

مصر الفرعونية



تأليف
سير أرنولد جاردنر

مصر الفراعنة

تأليف : سير ألن جاردنر

ترجمة : دكتور نجيب ميخائيل إبراهيم
مراجعة : دكتور عبد المنعم أبو بكر



المؤسسة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

هذا الكتاب مترجم عن

EGYPT OF THE PHARAOHS

An Introduction

by

Sir Alan Gardiner

الطبع في اكسفورد ، مطبعة كلارندون عام ١٩٦١

لذکری
چیمس برستد

مقدمة ..

اننى انما استجيب الى رغبة طالما أبدأها زملائي حين أقدم نمرة دراسات العمر كله لجمهور خارج نطاق المتخصصين ، ذلك أن هؤلاء الزملاء أدركوا أن المؤلف العظيم HISTORY OF EGYPT الذى رتبته برستند أصبح من نواح كثيرة قديما ، كما أنهم وجدوا أن مؤلف . هول . « ANCIENT HISTORY OF NEAR EAST » شديد التعقيد بالاضافة الى أنه يعالج ميدانا أكبر من أن يناسب المتحدثين بالانجليزية الذين لجئوا الى يسألون النصيح . ومع ذلك فإن هذه الآراء التى كان لها ما يبررها حين دار البحث حول مشروعي لم تعد كذلك تماما بعد ظهور هذه المؤلفات الرائعة العديدة فى أمريكا والتى لا أتردد مطلقا فى أن أوصي بها خيرا . هذا الى أن ما أنا بصدد عرضه يختلف عنها كثيرا من ناحية الهدف والمحتويات بحيث أرجو لحد ما أن أسد الحاجة التى يستشعرها أصدقائي ، ولقد كنت منذ البداية أقل حرصا على هدف محدد منى على تجنب طرفي نقيض : ذلك ان الشعبية المطلقة لم تكن هدفي من ناحية بحال من الأحوال كما ان الأوصاف المتداولة لأرض الفراعنة العجيبة كثيرة ولم أشأ أن أندد بها ولكنى أكرر أن هدفي كان مخالفا لذلك تمام المخالفة ، ومن ناحية أخرى فان محاولة ضغط موجز فى خمسمائة صفحة لمصر القديمة بكل مظاهرها لا يعدو أكثر من مقال مطول فى موسوعة ، وأنا أتخيل ان من يقرءون مثل هذه المقالات الممتعة قلة من الناس . . . فى هذا الوضع استعدت الى ذاكرتى لهفتى قرابة نهاية أيام الدراسة وتذكرت اننى فى هذه السن كانت الرغبة تملككنى لاصبح واحدا من دارسى المصريات وكانت هوايتى المتفتحة تتجه الى مجرى وطرائق الكشف كما تكمن فى الكشف نفسها . وكانت أطماعى - كأطماع « نفير كابتاح » فى القصة الديموطيقية تستهدف قراءة النصوص الهيروغليفية وادراك الكلمات الصحيحة للأقدمين . ولم يكن الفن أو الآثار بعيدين تماما عن مجال اهتمامى بل اننى أعترف

انه كان لهما مكانهما وان كان ثانويا . وهكذا حدث ان كتابي هذا كتب من وجهة نظر لغوية واضحة، ومن ثم كانت الاقتباسات العديدة من النصوص الأصلية التي استخدمتها بحرية أكثر مما كنت أفعل لو أنني كنت أقدم كتابا للدارسين المتقدمين أو المتخصصين . وكان الحيز الذي رأيته صالحا مما حتم على تحديد ضروريا لما يسمى - ان أحسنت التعبير - بـ «التاريخ المصري» ولئن كنت قد كرست الكثير للمناقشة فيما بقى من مائتو لدى مقتبسات الكتاب المتأخرين ، ان ذلك ليس مدعاة لأى اعتذار لأولئك الذين مارسوا تطور العلوم لدينا ، ذلك أنه ليس هناك دارس للمصريات استطاع أن يحرر نفسه من ربة الأغلال التي فرضتها عليه الاسرات الثلاثون لصاحب الحوليات الوطنى بل ان هذه ستظل دائما فى أغلب الامر الاطار الذى لا غنى عنه فى معروضاتنا الحديثة وهناك نقد له ما يبرره لجهدى الحالى هذا ، قد يشير الى نقصه الواضح ، وهى صورة سلمت بها فى العنوان الفرعى اننى لا أقدم تاريخا كاملا متكاملا بل اننى آمل ان يكون هذا مما يغرى بعض القراء ليتعمقوا فى ميدان الدراسة الذى استحوذ علينا ، ومن أجل هؤلاء الدارسين الجادين عرضنا هذه الاشارات المكتبية .

أما الهوامش فقد اجتزأتها بقدر ما وسعنى حتى أجنب صفحاتى التشويه ، وأما العناوين الكاملة للمراجع والدوريات المشار اليها فانها موجودة كاملة فى قائمة المختصرات فى أول الكتاب أو فى المراجع التكنيلية فى نهايات الفصول .

ولقد كانت مشكلة اختيار أحسن الطرق لكتابة أسماء الأعلام مما ضاق به كثيرا حتى الكتاب الكلاسيكيون ، والأمر أكثر حدة بالنسبة للمستشرقين وأكثر أولئك ضيقا به هم دارسو المصريات : ذلك ان الهيروغليفية تكتب بغير حروف متحركة كما أن الاستعانة بسد هذا النقص من القبطية أو غيرها ليست ميسورة دائما ومن ثم أصبح لا مفر من الحدس والتخمين بل انه ضرورى لأن الكتابة بغير حروف متحركة عسرة انهم على القارىء . هذا الى أن الحروف الساكنة فى اللغة المصرية لا تمت بصلة لحروفنا الساكنة فللكتابة القديمة نوعان من حرف H واثنان من حرف K واثنان من حرف KH، اثنان من حرف S وليس أقل من أربعة أنواع من حرفى T و A كما أن من بين خصائصها ومميزاتها حروفا حلقية تشترك فيها العبرية والعربية ومنها الـ «ع» وقد بينت فى أكثر من واحد من كتبى ومقالاتى المنشورة ما يبدو لى من انه الطريقة

المعقولة لمجابهة هذه الصعوبة وانى لأرى انه من المرهق أن أعاد تكرار ذلك . وإما من ناحية هذا المؤلف فقد قررت - بعد اعمال الفكر - أن أحتفظ بكافة العلامات المميزة وبخاصة فى مثل الأسماء المصرية القديمة كـ « حتحور » « ما ع كرع » أما الأسماء الاغريقية أو المتأخرة فان مجالا أفسح لا يبدو مسموحا به فحسب بل مستحبا حتى لتقبل متناقضات مثل « حوريس » ، « تيفون » « كوبنوس » ، « الفنتين » بغير تردد . أما بعد فان للطلاب الذين يرون فى العلامات المميزة حذقة لا تتفق وأمزجتهم مطلق الحرية لتجاهلها فى كتاباتهم أو مذكراتهم . وهناك تجديد سمحت لنفسى به ربما لا يلقى ترحيبا جماعيا ، وذلك أن تاء التأنيث فى نهاية الكلمات تختفى من النطق منذ الدولة القديمة رغم ظهورها فى الكتابة ، وأنا لتلقى مثل هذه الظاهرة فى العبرية والعربية . ومن ثم فقد وضعت مكان « بونت » و « واوات » و « حتشيسوت » الكلمات « بوينى » و « واواه » و « حاشبسوه » وأخيرا أحسست فيما يتصل بأسماء الأماكن العربية أننى لا أستطيع أن أقدم خيرا مما قدم « بديكر » ومتابعته فى هذا الميدان وهو النشر الذى يثير الإعجاب والذى يبدو ما قدمه صحيحا لا يحتمل تغييرا بقدر ما وسعنى مراجعة ما كتبه .

وقد قررت فى اللحظة الأخيرة أن أستبعد الفهارس الخاصة الكاملة التى كنت قد قمت بعملها على أن أحل محلها فهرسا واحدا عاما محدود المدى ، فقد حفزنى الى هذا القرار ادراكى ان خطتى الأصلية كانت ستضيف أكثر من ثلاثين صفحة الى كتاب متخم دون أن أعوض القارئ الذى كتب الكتاب من أجله بمزايا أخرى ، ولكن الفهرس المختار ، الأقصر طولا ، الذى احتل مكانه ليس مرضيا تماما وان كان يمتاز بأنه يشغل حيزا أقل . وقد يحلو للنقاد أن يلومونى من أجل حذف الفراعين أنفسهم ولكن هذا يبدو أمرا يمكن التغاضى عنه ما دامت الأسماء المركبة وكذا قراءتها المائتوية المشوهة قد قدمت كاملة جميعا فى قائمة الملوك فى الملحق بآخر الكتاب .

ويبقى بعد ذلك الاعتراف بالمعونة التى تلقيتها من نواح كثيرة : أما ديوى الصغيرة فكانت من الكثرة بحيث أن إيرادها هنا لا يؤدى الهدف من وراء ذكرها ، واننى أعتقد أن الشكر الشفوى يغدو مناسبا ، ومع ذلك فان هناك حالات هامة استشعرت فيها حاجتى لاستشارة جهات ذات شأن وكم أجدت كثيرا تعليقاتهم على الصفحات التى قدمتها لهم بقصد نقدها أو طلب الموافقة عليها ، وهنا يجب على أن أشيد خاصة بـ « أندروز » و « أ . ج . اركل » ، و « ر . كامينوس » و « ج . جوردنى »

و « و . ك . هيز » و « ك . س . ساندفورد » و « ر . د . ج . ويزمان » .
أما بالنسبة للوحات ، وهى قليلة العدد نسبيا ، فيبدو أنه لم يكن من
السهل اختيارها ما دامت ستمثل الناحية المصرية المميزة ، ومع ذلك
فان انعون المباشر الذى لقيته من عدد من زملائي كان له قيمة كبيرة .
ويجب على بخاصة - بالاضافة الى الاعتراف بالجميل الذى ذيلت به
الوحات من أن أذكر « ك . الدرد » (١٥) ، « نينا ديفيز » (٢ ، ١٢) ،
« دوذ دنهام » (٦) ، « لبيب حبشى » (٩ ؛ ١٠ ؛ ١٤ ؛ ٢٠ ؛ ٢١ ؛ ٢٢) ،
« ج . ف . لاور » (٤) ، « ج . سان فارجارنو » (١٩) و « أ . سموتزى »
(١٧) ثم « و . د . فان وينجاردن » (٨) كما أعد من حسن طالعى
الحصول على لوحة صدر الكتاب للتمثال الرائع للملك « امينيس الثالث »
فى متحف موسكو ، وهو فضل أدين به لمدير المتحف « ف . ف . بافلوف »
والى عناية « مدام م . ماتيو » . كما أدين لد « يونسكو » بالصورة
الممتازة التى تحلى الغلاف والتى تمثل أكثر المعبدین العظیمین شهرة
فى « أبو سمبل » لرمسيس الثانى اللذين يبدو أنه قدر لهما أن يغرقا فى
مياه خزان اسوان الجديد ، وأخيرا فأننى أقدم أصدق شكرى لكل من
أسهموا فى اخراج الكتاب بصورة أو بأخرى . وكانت المعونة التى قدمتها
« مس بربارا سيويل » تفوق بكثير أمر النسخ على الآلة الكاتبة أو
الفهرسة . كما أن العناية والصبر من جانب مطبعة كلارندون التى
تمشت مع رغباتى الصحيحة تجل عن الثناء . وهناك اسمان يستحقان
تسجيلا خاصا هما « ك . سيسام » السكرتير السابق للمفوضين ، وكان أول
من حرضنى على كتابة هذا الكتاب ثم خلفه « ك . روبرتس » الذى لم
يكتف بمتابعته فى هذه الناحية بل كان يجابه كل نزوة بأقصى تسامح .

اختصار أسماء المراجع

Abh. Berlin	Abhandlungen der Königlichen Preussischen Akademie der Wissenschaften, Berlin.
Ag. Stud.	O. Firkow, Agyptologische Studien, Berlin, 1955.
AJSL	American Journal of Semitic Languages and Literatures.
Am.	Cuneiform letter from El-Amarna. See p. 211.
Amenemhet	Nina de G. Davies and A.H. Gardiner, The Tomb of Amenemhet, London, 1915.
ANET	Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, edited by J. B. Pritchard, Princeton, 1950.
Ann. Serv.	Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, 56 vols., Cairo, 1900-59.
Anthes	R. Anthes, Die Felsinschriften von Hatnub, Leipzig, 1928.
Arab.	Arabic.
Baedeker	K. Baedeker, Egypt and the Sūdān, 8th edition, Leipzig, 1929.
Ball, Contributions	J. Ball, Contributions to the Geography of Egypt, Cairo, 1939.
BAR	J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, 5 vols., Chicago, 1906-7. See p. 69.
von Beckerath, Tanis	J. von Beckerath, Tanis und Theben, Glückstadt, 1951.
Beiträge	K. Sethe, Beiträge zur ältesten Geschichte Agyptens See p. 70, n. 1.
Bibl. Or.	Bibliotheca Orientalis, 17 vols., Leyden, 1944-60.
Borchardt, Mittel	L. Borchardt, Die Mittel zur zeitlichen Festlegung von Punkten der ägyptischen Geschichte, Cairo, 1935.
Borchardt, Sahure'	L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure' Leipzig, 1913.
Bull. Inst. fr.	Bulletin de l'Institut français d'Archéologie orientale, 57 vols., Cairo, 1901-60.
Bull. MMA	Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York, 1915 ff.
Bull. soc. fr. d'Eg.	Bulletin de la société française d'Egyptologie, 29 nos., Paris, 1949-59.

c.	circa, about (with dates).
CAH	The Cambridge Ancient History, 6 vols., Cambridge, 1923-7.
Camino's Misc.	R.A. Camino's, Late-Egyptian Miscellanies, London, 1954.
Chron. d'Eg.	La Chronique d'Egypte, 68 nos., Brussels, 1925-59.
Cl.-V.	J.J. Clère and J. Vandier, Textes de la première période intermédiaire et de la XI ^{me} Dynastie, I. Brussels, 1948.
CoA	(Various authors). The City of Akhenaten, 3 parts, London, Egypt Exploration Society, 1923-51.
Couyat	J. Couyat and P. Montet, Les Inscriptions hiéroglyphiques et hiératiques du Ouâdi Hammâmât, Cairo, 1912-13.
D. el B.	E. Naville, The Temple of Deir el Bahari, 6 vols., London., 1895-1908.
Darassy, Cerc.	G. Darassy, Cercueils des cachettes royales, Cairo, 1909.
Davies, Am.	N. de G. Davies, The Rock Tombs of El Amarna, 6 parts, London, 1903-8.
Davies, Ramose	N. de G. Davies, The Tomb of the Vizier Ramose, London, 1941.
Davies, Rekh-mi-re'	N. de G. Davies, The Tomb of Rekh-mi-re' at Thebes, 2 vols., New York, 1943.
Dyn., Dyns.	Dynasty, Dynastics, the lines or families of kings into which Manetho divided his history of Egypt. See pp. 46-47.
Edwards, Pyramids	I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, West Drayton, 1947.
Eg.	Egyptian.
Eg. Gr.	Alan H. Gardiner, Egyptian Grammar, 3rd edition, 1957.
Elliot Smith, RM.	G. Elliot Smith, The Royal Mummies, Cairo, 1912.
Emery, GT	W. B. Emery, Great Tombs of the First Dynasty, vol. i, Cairo, 1949; vol. ii, London, 1954; vol. iii, London, 1958.
Erman, Lit.	A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, translated by A.M. Blackman, London, 1927.
Festival Hall	E. Naville, The Festival-hall of Osorkon II. in the Great Temple of Bubastis, London, 1892.
fl.	floruit, flourished in or about the year named.
Franfort	H. Frankfort, The Mural Painting of El-'Amarneh, London, 1929.
Gardiner, Late-Egyptian Stories	Alan H. Gardiner, Late-Egyptian Stories, Brussels, 1932.

Gardiner, Mes	Alan H. Gardiner, The Inscription of Mes, in K. Sethe, Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens, iv, Leipzig, 1905.
Gauthier, LR	H. Gauthier, Le Livre des rois d'Égypte, 5 vols, Cairo, 1907-17.
G.K.	Greek.
Gurney	O. R. Gurney, The Hittites, Harmondsworth, 1952.
Hayes, RS	W. C. Hayes, Royal Sarcophagi of the XVIII Dynasty, Princeton, 1935.
Hayes, Scepter	W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, 2 vols., Cambridge, Mass., 1953, 1959.
Hdt.	Herodotus.
Hist. Rec.	W. F. Edgerton and J. A. Wilson, Historical Records of Ramses III, Chicago, 1936.
Huy	Nina de G. Davies and A. H. Gardiner, The Tomb of Huy, London, 1926.
JAOS	Journal of the American Oriental Society, Baltimore.
JEA	Journal of Egyptian Archaeology, 45 vols., London, 1914-59.
Jéquier	G. Jéquier, Le Monument funéraire de Pépi II, 3 vols., Cairo, 1936-40.
JNES	Journal of Near Eastern Studies, 19 vols., Chicago, 1942-60.
Junker, Turah	H. Junker, Bericht über die Grabungen . . . in Turah in Denkschriften der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien, vol. lvi, Vienna, 1912.
Kawa	M.F. Laming Macadam, The Temples of Kawa, 4 vols., Oxford, 1949, 1955.
Kémi	(Periodical), 12 vols., Paris, 1928-52.
Kienitz,	F.K. Kienitz, Die Politische Geschichte Aegyptens, vom 7 bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende, Berlin, 1953.
Kracling	E. G. Kracling, The Brooklyn Museum Aramaic Papyri, New Haven, 1953.
Kuentz	Ch. Kuentz, La Bataille de Qadech, Cairo, 1928.
Kuuli	(Periodical), 6 vols, Khartoum, 1953-8.
Lefebvre, Grands prêtres	G. Lefebvre, Histoire des grands prêtres d'Amon de Karnak, Paris, 1929
Lefebvre, Romans	G. Lefebvre, Romans et contes égyptiens, Paris, 1949.
Leps. Denkm.	R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, 6 vols., Berlin, 1849-58.
Luckenbill	D. D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 vols., Chicago, 1926-7.

Med. Habu	Medinet Habu, ed. J. H. Breasted and others, 5 vols., Chicago, 1930-57.
Mercer	S. A. B. Mercer, The Tell el-Amarna Tablets, 2 vols., Toronto, 1939.
Mes	See above under Gardiner, Mes.
Mitt. Kairo	Mitteilungen des deutschen Instituts für ägyptische Altertumskunde in Kairo, 15 vols., Augsburg and Wiesbaden, 1930-59.
Nachr. Göttingen	Nachrichten von der Kgl. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen.
OLZ	Orientalistische Literatur-Zeitung, 53 vols., Berlin, 1898-1959.
Onom.	A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, 3 vols., Oxford, 1947.
PM	B. Porter and R. L. B. Moss, Topographical Bibliography. See p. 17.
Parker	R. A. Parker, The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, 1950.
Peet, Tomb-robberies	T. E. Peet, The Great Tomb-robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, 2 vols., Oxford, 1930.
Petric, History	See p. 68.
Petric, Royal Tombs	W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of the First Dynasty, 2 vols., London, 1900-1.
Petric, Scarabs	W. M. F. Petrie, Scarabs and Cylinders with Names, London, 1917.
Posener	G. Posener, La première domination Perse en Egypte, Cairo, 1936.
PSBA	Proceeding of the Society of Biblical Archaeology, 40 vols., 1879-1918.
Psu.	P. Montaut, Les constructions et le tombeau de Psousennès à Tanis, Paris, 1951.
RAD	Alan Gardiner, Ramesside Administrative Documents, London, 1948.
Rec. trav.	Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie Egyptiennes et Assyriennes, 40 vols., Paris, 1870-1923.
Rev. d'Eg.	Revue d'Egyptologie, II vols., Paris, 1933-57.
RT	See above under Petrie, Royal Tombs.
Rylands	See under F. L. I. Griffith, p. 383.
Sandman	M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaten, Brussels, 1938.
Säve-Söderbergh	T. Säve-Söderbergh, Aegypten und Nubien, Lund, 1941.

Seele, Coregency	K. C. Seele, <i>The Coregency of Ramses II with Seti I</i> , Chicago, 1940.
Sethe, HP	K. Sethe, <i>Das Harschepsut-Problem</i> . See p. 211.
Sinai	See p. 146.
Thuc.	Thucydides.
Untersuchungen	See p. 70, n. 1.
Urk.	See under <i>Historical texts</i> , etc., p. 69.
Vandier	See under E. Drioton and J. Vandier, p. 69.
Winlock, Excavations	H. Winlock, <i>Excavations at Deir el Bahri</i> , New York, 1942.
Winlock, Rise	H. Winlock, <i>The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes</i> , New York, 1947.
Wiseman	D. J. Wiseman, <i>Chronicles of Chaldaean Kings</i> , London, 1956.
Wreszinski	W. Wreszinski, <i>Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte</i> , 2nd part, Leipzig, 1935.
WZKM	<i>Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes</i> , 56 vols., Vienna, 1886-1960.
ZAS	<i>Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde</i> , 84 vols., Leipzig, 1863-1960.

الكتاب الأول

تمهيد

١ دراسة علم المصريين قديما وحديثا

كان أول الكتاب الذين زودوا مواطنيهم بأوصاف مستفيضة عن مصر والمصريين أيونيين من المدن الواقعة على الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى فلقد كان يسكن هناك في أيونيا في القرن السادس قبل الميلاد جنس من الناس أكثر تعطشا للمعرفة من أى شعب آخر عاش فوق الأرض ولكن كانت هناك دوافع معينة جذبت انتباههم واهتمامهم الى مصر بخاصة ، فقبل منتصف القرن السابع كان الايونيون والكاريون يعملون كمرتزقة فى جيش الملك الساوى بسمتكوس الاول الذى كان يجهد فى تدعيم سلطانه على وادى النيل كله وليس من شك فى أن التجار والسياح العاديين جاءوا فى أعقاب المحاربين ثم حملوا الى أوطانهم قصصا كثيرة عن الأشياء الغريبة التى شاهدوها وتعلموها فى أرض تختلف كثيرا عن بلادهم وكانوا يدهشون المستمعين برواياتهم عن بلد قل أن تسقط به الأمطار وأن حقوله يزيد خصبها بفضل الفيضان السنوى لنهر عظيم .

لقد جاءوا من قبل الى مصر وفى أذهانهم انهم سيجدون بها ما يشبه من نواح كثيرة ما كان معهودا لديهم فى بلادهم حتى ان كثيرا من الاسماء التى أطلقوها على الاماكن والأشياء التى مروا بها أو مرت بهم ظلت عالقة بها حتى الآن ، ووجدوا انهم حين اقتربوا من ناحية البحر أمام مساحة مثلثة ضخمة ذكرتهم برابع حروف الهجاء لديهم وعند وصولهم الى رأس الدلتا شاهدوا مدينة ممفيس العظمى وهى اسم بدليل لـ « حكوبتاح » -

مقر روح (الاله) بتاح - الذى ربما أوحى الى هوميرو بكلمة « ايجبتوس » (ايجبت) التى استخدمها لتعبر عن كل من النهر والارض التى يرويها . ودهش الزوار عند منف حين شاهدوا المنشآت الضخمة التى أطلقوا عليها مداعبة اسم Pyramids وتعنى « كعك الحنطة » كما أثار اهتمامهم بالقرب من هليوبوليس تلك القطع الحجرية المفردة القائمة من الجرانيت والتى لم يجدوا من تسمية أقرب اليها من Obelisks وتعنى « السفود الصغير » وعند تقدمهم صاعدين النيل بالقرب من قناة تؤدى الى بحيرة « مويرس » - وهى الفيوم الحالية - شاهدوا مبنى ضخماً متعدد القاعات قيل لهم ان بانيه ملك يدعى لاماريس أو لاباريس ليكون قبراً له ، وهذا الملك هو المعروف اليوم لنا تحت اسم « أمينمس الثالث » من ملوك الاسرة الثانية عشرة . ثم ذكروا أخيراً ان هذا المبنى كان « لابيرنت » آخر وهو صورة طبق الأصل من مبنى المتاهة التى صممتها عبقرية ديدالوس الكريتى ووصلوا بعيداً الى الجنوب الى مدينة هامة يشير اسمها المصرى الى مشابهتها بمدينة « ابيدوس » فى الهلسبوننت . وكانت تقوم فى الاتجاه مصعداً فى النهر بعد ذلك مدينة كبيرة تعلن صروحها الكثيرة ، انها ليست سوى المدينة التى عنها شاعر الياذة ب « طيبة » ذات المائة بوابة ، وكانت ترى مقابلها نماما عبر النيل على حافة الصحراء الغربية معابداً تذكرنا أسماء بناتها - كما هى الحال فى المعبد الكبير فى ابيدوس - بالبطل الأثيوبى ممنون الذى ذبحه أخيل أمام أسوار طروادة ومن ثم فانه من الواضح ان توصف هذه الابنية وكأنما هى « ممنونيا » ، ولكن أعجب خيال طراً على ذهن الزوار الايونيين هو ان الآلهة والالهات التى عبدها المصريون ليست سوى معبوداتهم كرونوس وزيوس وهيڤايستوس وابوللو وافروديتى وبقيتهم وكان من المحير مع ذلك ان نجد زيوس - أو أمون كما عرفه المصريون - يصور كخروف ، وأن يصور ابوللو - حورس (أوريوس) المصرى يلبس رأس صقر وكان لا بد لهذه الانحرافات من أسباب خفية عميقة ، وكانت كثرة العجائب التى تشاهد فى مصر ثم قدمها الذى لا ينازع ، مما يبعث الرهبة فى نفوس أولئك السياح الذين قدموا عبر البحر المتوسط ومن هنا كانت بذور تلك الحكمة الاسطورية للمصريين . وهى عقيدة ظلت مسلماً بها مدى الالفى عام التالية .

واذن فاذا كان بين هؤلاء الزوار مصادفة من كان أدق ملاحظة أو أكثر قدرة على ملكة الوصف من الآخرين فانه من الواضح ان يجد مادة يكتب عنها أكثر من غيره . وكان من هذه الطائفة المؤلفان: هيودتس وهيكتاتيوس ويسبق هيكتاتيوس الملبى (٥١٠ ق م) صاحبه ويندو انه كان أكثر

اهتماما بمشاكل فيضان النيل وتكوين الدلتا ومزروعات البلاد منه بالسكان وتاريخهم وقد ضاع « تخطيط الارض » الذى ناقش فيه كل هذه الأمور ولكننا نذكره هنا بسبب أسبقيته من الناحية الزمنية وانه لمن الصعب أن نتخيل ان مثل هذا الكتاب لو كان لا يزال بين أيدينا لم تكن أهميته لتتناول الى جانب كتاب هيرودوتس الهاليكارناسوسى (حوالى ٤٨٤ - ٤٣٠ ق م) فنحن ندين لهذا العبقري بأول عرض رحيب عن مصر ظل سليما حتى اليوم . أما كتابه الثانى الذى سماه « يوتربى » متبعة لـ Muse فانه غير مطرد وقصصى كما انه يعيل الى الانحراف الذى يتسلسل الى رواية ملحمة الكفاح بين الفرس والهلينيين ونراه يحاول أن يعفى نفسه من اللاتمة عن طول روايته بالإشارة عن مصر وقوله : ان « عجائبها أكثر عددا منها فى أى بلد آخر ، وما بها من مصنوعات يبلغ من الضخامة أكبر مما يحتمل التعبير » . ولقد ارتحل هيرودوتس عقب ٤٥٠ ق م . مباشرة كسائح حتى الجندل الأول وان رأى المحدثون من النقاد ان رحلته ربما لم تستغرق أكثر من ثلاثة شهور ولعل هذا يفسر عدم الاستطراد أو الوصف المطول لطيبة وآثارها وان كانت هناك أشياء أخرى مشابهة قد حذفت مثل الإشارة الى أبى الهول وهسده يمكن أن تنسب الى محاباته للأشياء العجيبة الطريفة وهى عن الخصائص التى دعتة أن يقص فى تطويل روايات نقلها اليه التراجمة الوطنيون وخدم المعابد الذين ظنهم خطأ من طائفة الكهنة ، اولواقع أنه بسبب وصف هيرودوتس لمصر على الأغلب قامت ضده الاتهامات بالافك فى العصور القديمة والحديثة على السواء ، والحق يقال : انه ليس هناك من سبب للطعن فى حسن نيته وعلى الطالب أن يحذر مما يوضع أمامه بحسبانه تاريخا وهو من التراث الشعبى فى معايير غير دقيقة الرواية وتأكيدات بها نواة الحقيقة وان غلفت بالمبالغة والتحريف ، وانا لنكاد لا نجد أى مظاهر للحياة المصرية لم تثر اهتمام هيرودوتس فروايته عن الملكية المصرية العتيقة تدعو للأسى رغم أنه كان يعلم أن «مين» (مينيس) هو من مبدعها هذا الى أنه كان فى قدرته أن يقدم فى صورة مشوهة قليلا أسماء بناء أهرام الجيزة وهم كيوبس وكفرن وميسرينوس ومن أكثر الأخطاء الشائعة مع ذلك أن يضع قبل هؤلاء - بدلا من أن يضيفه بعدهم - الملك سيزوستريس الذى كان واحدا من عدة حكام يحملون اسم سنوسرة يرجعون الى عهد الاسرة الثانية عشرة لمانيتو والذين امتدت فتوحهم - وهو أمر فاقت المبالغة فيه كل حد - حتى اسكيديا واكولشمس على الشاطئ الشرقى للبحر الاسود . ومع ذلك فان معالجة هيرودوتس لأمر ملوك مصر ابتداء من بسامتكوس

الأول (٦٦٣ - ٦٠٩ ق م) يمكن الوثوق بها كما ينتظر من رجل كان بعد كل شيء - كما يدعو شيشرون - أب التاريخ وأول من استطاع أن يميز بين هذا الفن وبين الرواية الشعرية . أما فيما يتصل بالجغرافيا فإن هيرودوتس يقدم بعض المعلومات القيمة وبخاصة فيما يتصل بالدلتا . أما فيما وراء النجوم جنوبا فإنه لا يذكر سوى مدن قليلة فهو لا يذكر في مصر ذاتها سوى خميس (اخميم) وطيبة وسين والفنتين ثم نيوبوليس الغامضة . ومن بين الأقاليم الثمانية عشرة التي يورد ذكرها لا نستطيع تحديد أكثر من نصفها بسهولة ومع ذلك فإن قائمته تحوى أسماء لا نجدها في غيرها من المصادر وربما كان مرجع ذلك الى سوء فهم للواحد أو للآخر . وأما روايته عن الديانة المصرية فرغم ما تنسم به من افاضة فإنها تدعو الى اليأس وهو يعلن نيته في أن يلزم الصمت بالنسبة لهذا الموضوع ونراه يذكر لبعض المعبودات (أمون . بوباستس . ايزيس أوزيريس . أوريوس) بأسمائها المصرية ولكنه يفضل - كقاعدة - مقابلاتها اليونانية لأنه كانت تملكه الفكرة بأن الهيلينيين لم يستقوا من مصر الكثير من أحيلتهم (ملاحظاتهم) الدينية فحسب بل الآلهة أنفسهم كذلك . وقد حفظت لنا أوصاف الأعياد المحلية الكثير من التفاصيل الصميمة ، والحق يقال : ان ما قدمه مشحون بكل أنواع الحقائق الطريفة التي لا نستطيع أن نلقاها في مصادر أخرى . ولعل من أكثر ما يستحق الاهتمام مثلا الفقرة (٢ : ٣٥ - ٣٦) حيث يعد الملامح التي يختلف فيها المصريون عن بقية الشعوب ، وانه من النادر أن نستطيع أن ندينه بخطأ محدد مثل قوله : بأنه ليست هناك كررم في مصر (٢ : ٧٧) حين نراه يعارض نفسه (٢ : ٣٧ ، ٣٩) .

ولم يبق من كل ما كتب عن مصر في القرون التالية سوى القليل ، وليس هناك مؤلف آخر ذو خطر يمكن ايراده حتى عصر افلاطون (٤٢٨ - ٣٤٧ ق م) الذي نلتقى في كتاباته من وقت لآخر ببعض الاشارات التي لا تخلو من أهمية فهو يعرف مثلا اسم « نيت » الهة « سايس » كما يحدد تحديدا صحيحا اختصاصات « تحوت » اله الآداب والعلوم والفلك وكذا لعبة الداما ، وما دمنا لا نزال نسعى أساسا وراء المؤلفين مما لا تزال أعمالهم باقية لدينا فإننا نستطيع أن نمر من الكرام على الملاحظات المبعثرة في الجزئات القليلة لكتاب القرن الرابع مثل هيكتابوس الأبديري .

وبعد الاسكندر الأكبر - تحت حكم البطالمة - احتشدت مصر بالاغريق الذين حطوا رحالهم بها وشغلوا بأعمالهم التجارية وبالزراعة أكثر من ابداء

الاهتمام بالعادات الغربية لجيرانهم من المواطنين • ولدينا من عصر يوليوس قيصر اشارة عن مصر أطول بقليل مما وصلنا من هيرودوت وأن كانت أقل أهمية ، وانا لنلقاها في الكتاب الأول للمؤلف اليوناني ديودوروس الصقلي عن التاريخ العام General History . فلقد قام برحلة سياحية في مصر لمدة قصير في ٥٩ ق.م • وهو يروى مرة أو اثنتين من تجاربه الشخصية واما مصادره الاصلية فكانت على أية حال الكتاب الذين سبقوه مثل هيكتايوس الأبديري (٣٢٠ ق.م •) وأجاثاركليس السفودي الجغرافي المؤرخ (القرن الثاني قبل الميلاد) وهو لم يستطع أن يتجنب الاستعانة بهيرودوتس على نطاق واسع وان انساق وراء جمهرة نقاده ، وأما الموضوعات التي عالجها كل من هيرودوتس وديودورس فمتشابهة وان ذكر الواحد الكثير مما حذفه الآخر ، واما فيما ينصل بالقدرة الادبية فالبنون بينهما شاسع بل هما قطبان متباعدان فديودورس ليست له قدرة التمييز الفردي السريع كما انه ليس لديه ذلك الاحساس للقصة الطيبة وهما أمران جعلتا من مؤلف هيرودوتس شيئا له قيمة ضخمة • والكاتب الأخير يسير في كتبه على وتيرة واحدة وهو في الوقت نفسه متباطئ ممل ومن ثم فمن السهل تحليله وان كان يبعث السأم عند القراءة • وان كان مجملا مختصرا للتطور الكوني يؤدي الى وصف للعقيدة المصرية فيه وأساسها في ادراك الآلهة وقد كرست مساحة أكبر للاله أوزيريس الذي أضيفت لسوء الحظ تفاصيل أصلية قيمة تتصل به عن طريق رواية مفردة غير مصرية عن حملاته الحربية • وبلى ذلك تسجيل مصطنع تماما عن المستعمرات المصرية في بابل وكولشس وبلاد الاغريق ثم يتبع هذا قسم مستفيض عن أرض مصر ونهرها والحياة الزراعية والحيوانية بها وفي نهاية الامر نلتقى بمناقشة مستفيضة عن أسباب الفيضان • وهكذا بعد فترة قصيرة عن طعام المصريين ينتقل ديودورس الى تاريخهم • أما ميناس (مينيس) فهو يسلم به كأول ملك ولكن حكم اثنين وخمسين من خلفائه لايلقى لهم بالا ولا يشار اليهم ولو اشارة عابرة • وبلى ذلك تعريف ب « بوصيرص » المجهل وهو المؤسس الاسطوري لطيبة التي تنال قسما كبيرا من الوصف يبلغ ذروته مدعما بالمعالم القديمة البالغة الدقة لآثار « أوزيماندياس » (رمسيس الثاني) المعروف اليوم باسم الرمسيوم • وانا لنرى ديودورس يقلب نظام ترتيب الأحداث حين يجعل تأسيس ممفيس تاليا لتأسيس طيبة ولحكم « أوزيماندياس » ، والواقع أن بقية روايته الطويلة عن التاريخ المبكر تبدو بوضوح بعيدة عن التسابع الحقيقي أكثر مما فعل هيرودوتس رغم تسجيله عددا من الأسماء في دقة يعوزها الصقل • وقد خصصت مساحة غير متناسبة للآثار وتوفيق

« سيزوستريس » (سيزوستريس) الذي تحدثنا عنه من قبل * والثلاثون
فقرة الأخيرة من كتابه الأول باللغة الطرافة وهي تتناول طائفة من الموضوعات
من بينها حياة الملوك التي تسير على نسق الطقوس ثم ادارة الاقاليم ونظام
الطوائف ثم العدالة والقوانين فالتعليم فالطب فعبادة الحيوان فدفن وعبادة
الموتى وأخيرا ما يدين به الاغريق لمصر* والحق يقال : ان ما كتبه ديودورس عن
القرنين : الخامس والرابع قبل الميلاد يجعل كتابه بالغ الأهمية فهو يقف في
هذا المضمار جنبا الى جنب مع ثيوسيديدس واكسنفون كمؤرخ حجة ، أما
عن العصور القديمة فان كثيرا مما يرويه لا يمكن التحقق منه عن طريق
مصدر آخر ، ولما كان مؤلفه يعد جميعا فانه يصبح بطبيعة الحال ذا قيمة
لا تبارى * وهنا - كما هي الحال في تقدير الكتاب الكلاسيكيين قاطبة -
نرانا تجاه معضلة : ذلك انه حيث يؤكد تفصيلا من التفصيلات بدليل مادي
خارجي موثوق به ، نجد أن هذا التأكيد يجعل القضية المعروضة سطحية
بصورة ما ، وحين يعوزنا الدليل لا تكاد ثقتنا تصبح كافية لجعله مقنعا .

ومع ذلك فهناك استثناء جزئي لهذا التعميم وذلك فيما يتصل
بـ « سترابو » وهو من مواطني بونتس يتحدث اليونانية وعاش في
الاسكندرية لبضع سنوات ثم صبح صديقه الوالى الرومانى ، اليوس
جاللوس ، في حملة الجندل الأول حوالى عام ٢٥ - ٢٤ ق.م* وكتاب
سترابو عن مصر قصير نسبيا يتضمنه الكتاب السابع عشر والاخير من
مؤلفه Geographica رغم أن بعض الفقرات التي تحوى معلومات تتصل
بالبلاد تتردد في أجزاء أخرى من المؤلف * وهو يبدأ بحديث موجز عن
النيل ثم يتابعه بوصف مفصل عن الاسكندرية والاقليم المتاخم لها شرقا *
وهو يتابع بعد ذلك الكتابة تبعا للترتيب الطبوغرافى * وتعال اقاليم ومدن
الدلتا حطا من التفصيلات الكاملة ، وهذا الضغط على الدلتا يستحق أكثر
الترحيب لأن الوثائق الوطنية والآثار شحيحة فى هذه الناحية ولقد كان
اهتمام سترابو بخاصة جغرافيا * وانا لنراه بالاضافة الى بعض الانحرافات
التاريخية لا يعدم الوسيلة - حين تسنح له الفرصة - من تقديم تفصيلات هامة
فيما يتصل بالابنية والعبادات وكذا موضوعات أخرى طريفة * وهاك مثلا
من دقة سترابو حين يتحدث عن بثر أبيدوس فهو يقول عنه : « انه يقع على
عمق بعيد حتى لينزل المرء اليه من طريق سراديب مقبية من قطع مفردة من
الحجارة ذات أحجام وصناعة تفوق الوصف » وهذه اشارة واضحة الى البركة
التي كشف عنها نافيل (١) فيما نسميه نصب سيتوس الاول *

(١) J.E.A. i, 150 ff & PMvi, 29

وكان سترابو أول من أشار الى ممنون الصوتى فى طيبة وهو واحد من التمثالين الفخمين الجالسين ، والباقيين حتى اليوم على السهل الى غرب الاقصر (لوحة ١٢) والذي كان يصدر عنه عند الفجر صوت كان يستطيع تمييزه الكثيرون من الزوار الاغريق والرومان (١) . ثم هو يحدثنا كذلك عن مقياس النيل فى الفنتين وهو نموذج مشهور من طراز من الدرج كانت تسجل على جدرانها سنويا الارتفاعات التى يصل اليها فيضان النيل . واما ملاحظات سترابو على التاريخ والعادات الدينية فخاضعة بطبيعة الحال للنقد نفسه المحاذر الذى أشرنا اليه بالنسبة للمؤلفين السابقين ، وأما من ناحية الجانب الجغرافى البحت فى كتابه فانه رصين تماما . وهو لا يذكر فى حدود مصر المعروفة اليوم (أى حتى حدود السودان على بعد حوالى ٢٠ ميلا شمال وادى حلفا) أقل من ٩٩ مدينة ومحلة يمكن تحديد مواقع معظمها بدرجة طيبة من التأكيد . وفى الختام علينا أن نسجل أن سترابو كان كاتباً مرحاً لا تعوزه المهارة .

أما موسوعة *Historia naturalis* لـ « بلينى الأكبر » (٢٣ – ٢٩ ميلادية) فتجميع ضخمة لقدامى المؤلفين عالج فيها المواد التى ليست من الانتاج الصناعى للانسان . ولكنه يحمل الاختراعات البشرية والمعاهد عبء الكثير من الانحرافات وتناول مصر هنا نصيبها الوافى من اهتمامه . ويعد بلينى – كحجة عن جغرافية مصر – عنصراً هاماً رغم أنه لا يصل فى مستواه الى « سترابو » أو « كلوديوس بتولمايوس » الذى أخرج كتابه « الجغرافيا » حوالى عام ١٥٠ م . والأجزاء من كتاب بطليموس التى تتناول مصر والنواحي المتاخمة لها قصيرة وتحتوى أساساً قائمة من المقاطعات فقط ومع كل مقاطعة دائرتها الإقليمية ومدن قليلة أخرى . وانه لمن غير الضرورى أن نعلق هنا على المصادر الأخرى لجغرافية مصر فى العصر اليونانى الرومانى ما دام بين أيدينا كتاب بالانجليزية للمرحوم دكتور « ج . بول » يستطيع أن يزود القارئ الذى يهمله بكل ما يريد معرفته عن الموضوع :

بل نحن لسنا فى حاجة لأن نطيل أكثر من ذلك فى ان نتابع التقاط موجز عن المعلومات التى تتصل بالمظاهر المصرية الدنيوية للحياة والتاريخ من وراء المؤلفين اليونان والرومان . وبافتراض أن أهم ما كتبه مانيتو لا يزال محتفظاً به لمناقشة ستأتى فيما بعد ننقل الآن الى ما كتبه الكتاب الكلاسيكيون والمتأخرون وما يروونه لنا عن الدين المصرى : حين سقطت أرض الفراعنة فى قبضة اليونان – ومن بعدهم الرومان – وبسطوا عليها

نفوذا قويا أخذت الحكمة الوطنية التقليدية تنسحب أكثر فأكثر الى أيدي الكهنة الذين رأوا من مصلحتهم أن يصروا ويؤكدوا عمق حكمة أسلافهم ومعرفتهم السرية . وقد حلا لبعض المتكلمين أمثال جوفنال (١) (٤٧ - ١٢٧ م) أن يحقروا قوما أقاموا على عبادة القطط والتماسيح ولكن الكثيرين حتى من بين أقدر كتاب ما بعد العصر الاوجسطي رأوا أنهم كانوا أوسع معرفة . وبانهيار العقيدة في آلهة الاوليمب القدامى سقط أهل روما والاقاليم فريسة سهلة لما تعلقبت به أنظارهم من عقيدة المشرق وانتشرت عبادة ايزيس في أرجاء الامبراطورية قاطبة رغم أنه حتى أولئك الذين مجدوا هذه السرية أكبر تمجيد تحيروا فيما يمكن ان تكون ولعل من أكثر الامور اثارة للاهتمام كدليل على حيرتهم ذلك المؤلف الذي كتبه بلونارك الحبروني» (٥٠ - ١٢٠ م) وعنوانه : De Iside et Osiride وفي بعض الفصول - ليس بعيدا من مقدمته - نراه يروي في لغة بسيطة قصة أوزيريس الملك الصالح الذي قتله غيلة أخوه الشرير تيفون (ست) ثم انتقم له . . . كنتيجة لذلك - ابنه حوريس الذي كانت قد نشأته في عزلة خفية أمه ايزيس . وتتفق القصة التي يرويها بلونارك - والتي كان قد رواها من قبله ديودورس مع القصة التي يمكن بناء هيكلها من النصوص المصرية وان حملت بالكثير من التفصيلات التي استقى بعضها على الأقل من بعض مصادر وطنية لم تصل اليها . ولعل حيرة بلونارك غير الارادية تصبح واضحة جلية حين يتناول الامور بالشرح والتفسير فهو يصر على الا تؤخذ الاسطورة بحرفيتها ، ويمكن تشبيه الصور المتعددة التي تتضح الحقيقة من ورائها بالألوان المتعددة لقوس قزح كانعكاس للشمس ، وهو مرة يجعل أوزيريس مساويا للنيل فيقترن بايزيس كما يقترن النيل بالأرض ولكنه عندئذ يحدق به البحر (تيفون) أو يغرقه . وهو مرة أخرى يرى في أوزيريس الرطوبة المنتجة كما يرى في ايزيس الأرض وفي ابنهما حوريس الليل الطقسي الذي يحل بالدفء في أوانه ، ومرة ثالثة يكون تيفون قوة الجفاف ، بينما يكون حوريس المطر الذي ينتصر عليه . ولكن البعض يرون في تيفون الشمس القاسية وأوزيريس ضوء القمر المندى . . . وهكذا يسير الأمر بالكتاب من صفحة الى أخرى بشرح مجازي وباستعارة تفسح المجال لأختها ولسنسنا نستطيع أن نجزم بأن هذه التفسيرات أو الشروح ليست من أصل مصري ولكننا اذا تناولناها جملة فانا نراها تحمل بصمة لا يخطئها النظر من ناحية الاصاله التاملية التي تقترن بالغرب .

(١) جمعت الفقرات في كتاب

Th. Hopfner, Fontes historiae religionis Aegyptiacae, Bonn, 1923, pp. 281-4.

وبانتشار المسيحية أخذت المعبودات الوثنية تختفى تدريجياً ووجدت ايزيس ملجأ أخيراً على جزيرة فيلة وراء الجندل الأول حيث لم تختف عبادتها إلا في القرن الخامس . ورغم أن الدين الوطني لمصر زال إلا أن الاعتقاد في المعرفة الخفية العميقة لكهننتها القدامى ظل مكيناً بل شجعت عليه اشارات في التوراة عن (حكمة مصر) (ملوك . الأول ٤ : ٣٠) ثم ممارسة سحرتها العجيبة لفنهم (خروج ٧ : ١١ - ٢٢) وكانت العقيدة في هذا التراث الأخير لا تزال قائمة حتى أنه - كآثر لها - جلس الفلاسفة الأوائل لليونان مثل « تاليس » و « فيثاغوراس » كتلاميذ عند أقدم الكهنة المصريين (١) .

ولكن ربما كان أشد المؤثرات قوة لتخليد وجهات النظر نفسها المبالغ فيها هو المظهر الغامض للهيروغليفية وليس من شك في أن هذه الصور المصغرة للبشر والحيوان والنبات والأجرام السماوية والبيوت والأثاث ليست بالضرورة سوى رموز لمبادئ خفية عميقة وخاصة ما دامت تشاهد وهي تغطي كل جدران المعابد المصرية الكبرى ونقد تفرد قدامى الكتاب اليونان بالصمت فيما يتصل بطبيعة الهيروغليفية (٢) وقد كان ديودورس (٣ : ٤) وحده واضحاً وصريحاً في هذه النقطة فقد أكد أنها ليست نطقية بل هي مجازية على وجه التحقيق وقد تابعه في ذلك « خايريون » معلم « نيرون » في كتاب لم تصلنا منه سوى مقتطفات موجزة (٣) وعلى ذلك فإن أضخم ما وصل إلينا من هذا النوع عن الناسخين المتأخرين هو كتاب عن الهيروغليفية كتبه واحد يدعى « حورابولو » وهو على الاختص أديب مصري من القرن الثامن الميلادي ، وهاك نموذجاً منقولاً عن واحد من فصوله :

كيف يعرفون الروح

« وأكثر من ذلك فإن الصقر يوضع مكان الروح ، من دلالة اسمه ، ذلك لأن الصقر يدعى لدى المصريين « باييث » وحين تقطع هذه الكلمة

(١) Th. Hopfner, Orient und griechische philosophie Leipzig 1925.

(٢) P. Marestaing : Les Ecritures الفترات المناسبة للقاها في كتاب égyptiennes et l'antiquité classique, Paris 1913.

(٣) S. Birch in Trans. Royal Soc. Literature, III (1850). Ser. 2 Vol. 3, 385 ff.

نجدها تعنى الروح والقلب ، ذلك لأن كلمة «باى» تعنى الروح و «يث» تعنى القلب ، والقلب - طبقا للمصريين - هو وعاء الروح ، ومن ثم كان الاسم فى تركيبه يعنى « الروح فى القلب » .

والواقع ان بعض الحقيقة يكمن فيما جاء فى هذه الفقرة لأن كلمة « روح » كانت تكتب لدى المصريين بعلامة تمثل طائرا ، ولكن التفسير المجازى غير صحيح مطلقا بل هو مضلل لأبعد الحدود ، وهناك فقرة فيما كتبه القس العالم « كليمان السكندرى » (١) يبدو انها تستطيع أن تشير الى تقدير أدق لطبيعة الهيروغليفية ولكن تعبيراته تبلغ فى غموضها حدا يجعلها لا تلتقى والافكار الخيالية لدى الغالبية .

وبحلول القرن السابع ران الظلام على أوروبا ، أما مصر فانتقلت الى يد سلطان الفاتحين المسلمين ولم يقدر للاهتمام بآثار هذه البلاد أن يوظف من سبانه حتى بعد عصر النهضة . وكان السياح الذين غامروا بالسفر اليها فى طريقهم فى أغلب الامر الى الاراضى المقدسة ولم يذهب سوى قلة منهم الى ما وراء القاهرة العظمى وأما أكثرهم اقدا ما فكان يتقدم حتى سقارة وهناك يرشوا بعض المواطنين ليقوموا باستخراج بعض الموميات للاستمتاع بها ولم يعد منهم الى بلاده بمعلومات جديدة ذات قيمة سوى القليلين وربما كان من أهم هؤلاء اليسوعى « سيكار » (١٦٧٧-١٧٢٦) وهو أول من وصل الى أسوان من أولئك الذين سعوا وراء البحث والتحرى من المحدثين نسبيا . وقد أعاد الكشف عن موقع طيبة وهو يزعم انه زار أربعة وعشرين معبدا وأكثر من خمسين مقبرة صخرية ملونة أو منقوشة . ولكنه لسوء الحظ لم ينشر سوى القليل . ولعل أهم ما أسهم به هو الخريطة التى استخدمها بعد ذلك « دانفيل » أساسا لخريطته عن مصر التى ظهرت فى عام ١٧٦٦ . ومن بين أهم كتب السياحة التى تجدر الإشارة اليها هنا كتاب « نوردن » الدانمركى (١٧٠٨ - ١٧٤٢) ثم مواطننا « ريتشارد بوكوك » (١٧٠٤ - ١٧٦٥) وكذا « جيمس بروس » (١٧٣٠ - ١٧٩٤) ومع ذلك فقد نشر قبل عصرهم بزمان طويل مقال عن الاهرام هو « البيراميدوجرافيا » للفلكى « جون جريفز » (١٦٤٦) من اكسفورد .

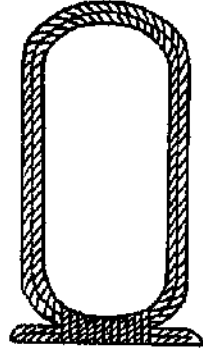
ويلاحظ ان الرسوم التى تتضمنها كل هذه الكتب غير صحيحة بدرجة ملحوظة . وكان من أكثر الاشياء فائدة للدارسين بالخارج تلك المخطوطات النبطية التى بدأت ترد الى أوروبا منذ أوائل القرن السابع عشر . وقد انتقل العديد منها مما كان فى حوزة « بيثرو ديللافالى » فى مصر الى يد الأب اليسوعى العالم « اثناسيوس كيرشر » (١) الذى يؤكد كتابه المسمى *Lingua Aegyptiaca restituta* (١٦٤٣) نقطة البدء الحقيقية للدراسة الجدية لهذا المظهر الاخير من اللغة المصرية القديمة التى كتبت بحروف الهجاء اليونانية مع اضافة حروف أخرى قليلة . والواقع انه لولا معرفة طيبة بالنبطية لما أتيح لحل رموز الهيروغليفية أن يتقدم تقدما سريعا وأنه لمن الأسف أن كيرشر الذى يستحق كل تقدير لم يستطع أن يمنع نفسه من التردى فى تفسيرات خيالية بالغة الغرابة للهيروغليفية ومن أمثلة ذلك اسم الفرعون « ابريس » الذى كتب على مسلة رومانية فهو يعنى لدى « كيرشر » (٢) « ان مزايا أوزيريس المقدس يمكن ادراكها بواسطة احتفالات مقدسة وعن طريق سلسلة من الجن حتى يمكن الحصول على مزايا النيل » . وفى الوقت نفسه نجد ان هذا العالم « الجيهند - شأنه فى هذا شأن عالم آخر جاء من بعده هو « ب . أ . يابلونسكى » (١٦٩٣ - ١٧٥٧) وشأن « ج . زويجا » فى نهاية القرن الثامن عشر - جمع فى مجلدات ضخمة كل ما قاله اسلافه أو فكروا فيه بالنسبة لمصر . ولم يسر التقدم قليلا الى أبعد من ذلك حتى أصبحت البلاد نفسها مفتوحة وحتى تم الكشف عن المفتاح للكتابات القديمة .

هكذا - باختصار وبكثير من الحذف - كانت دراسة المصريين فيما قبل عصر نابليون (ان أمكن استخدام هذا الاصطلاح لفرع من فروع المعرفة) غير مجدية وغير علمية تماما . وقد بدأت المرحلة الجديدة بحملة بوناپرت على مصر (١٧٩٨) وكشف حجر رشيد المكتوب بلغات ثلاث فى العام التالى . وكان مضمون ما جاء به مرسوم اذاعه لجميع الكهنة فى مصر تمجيذا لبطلميوس الخامس ابيفان عام ١٩٦ ق.م . وأما النصان : اليونانى والديموطيقى فيكادان أن يكونا كاملين . وأما النص الهيروغليفى فلم يكن كذلك وسرعان ما ثبت أن هذه الوثيقة الثمينة تتيح فرصة لحل الرموز أكثر مما أتاح أى شيء آخر قبلها وطالما ترددت قصة النجاح النهائى : كانت أول خطوة هى تلك التى اتخذها الدبلوماسى السويدى « اكربلاد »

(١) Chron. d'Eg. No. 35, 240 ff.

(٢) Obelisci Aegyptiaca inter pretatio, Rome 1666, p. 53.

الذى ركز جهوده على الكتابة المختزلة المنقوشة تحت الهيروغليفية مباشرة مدركا انها الديموطيقية التى أشار اليها هيرودوت (٢ : ٣٦) وبعد أن وثق عن طريق المقارنة باليونانية من مكان أسماء الأعلام استطاع أن يميز حوالى نصف حروف الهجاء وأن يستوثق من أن اللغة المستعملة هى التى عاشت بعد ذلك تحت اسم القبطية وقد نشر اكربلاد مقاله عام ١٨٠٢ ولكن لم تبذل جهود أبعد من ذلك حتى عام ١٨١٤ حين أقدم على ذلك العالم المشهور «توماس يونج» صاحب نظرية التموج فى الضوء ولقد كان « يونج » رجلا عميق المعرفة له عدة مناح اهتم بها وكان دائم الاستعداد لمعالجة أية معضلة جديدة وسرعان ما أدرك صلة القرابة الشديدة بين طرائق الديموطيقية والهيروغليفية ولاحظ أن القسم اليونانى من حجر رشيد كان مليئا بكلمات تتكرر وقد نجح فى تقسيم الديموطيقية الى ست وثمانين مجموعة كلمات ، معظمها صحيح . وأما بالنسبة للهيروغليفية فقد كانت نقطة البداية عنده - قبل أن يقيم هذا الفرض بزمان طويل كل من « جوينى » و « زويجا » - ان الحراطيش أو « الحلقات الملصكية » : (شكل ١) تحوى أسماء الملوك والملكات وانه (طبقا لما ذكره المرحوم الأستاذ جريفت) « استطاع فى حذق - ولحسن حظه كذلك - أن يتوصل الى معرفة خرطوش برنيس بالاضافة الى خرطوش بطلميوس المعروف ، ثم اقترح - وكان مصيبا فى ذلك - خرطوشا آخر نسبه الى تحوتمس الذى ذكره مانيتو من ملوك الأسرة الثامنة عشرة هذا الى أنه استطاع أن يميز فى الهيروغليفية حرفى « ف » ، « ت » وال « مخصص » الذى يستخدم فى النصوص المتأخرة لنهاية الكلمات المؤنثة كما تعرف عن طريق المتنوعات فى البرديات الى أن الحروف المختلفة تستطيع أن تكون لها القوة نفسها - وباختصار توصل الى مبادئ الجناس . وقد كان هذا كله مختلطا بكثير من الخاتومات الزائفة ولكن الطريقة التى اتبعها أدت من غير شك الى حل نهائى للرموز » . ولما كانت الحيرة قد تملك « يونج » مما منعه من أى تقدم آخر ثم انغمسه فى أعمال أخرى متنوعة ، فانه قنع بالتخلي عن موضوع الهيروغليفية لشاب لامع كان يعمل مدرسا فى جنين وبل وكان هذا الشاب يؤمن منذ باكورة شبابه بأن قدره قد هبأ لحل هذه المشكلة وقد أعد « جان فرانسوا شامبليون » (١٧٩٠ - ١٨٢٣) نفسه للعمل بأن جعل فى متناوله كافة المصادر الكلاسيكية ثم اتقن القبطية اتقاناً تاماً . وقد ظل حل المشكلة يروغ منه زمنا طويلا بل انه ظل مترددا مدى سنة بعد اكتشافه الخالد فى الجزم بأن الهيروغليفية - بعد ذلك - ليست كتابة رمزية خالصة . ورغم تردد شامبليون فانه اثبت عن طريق

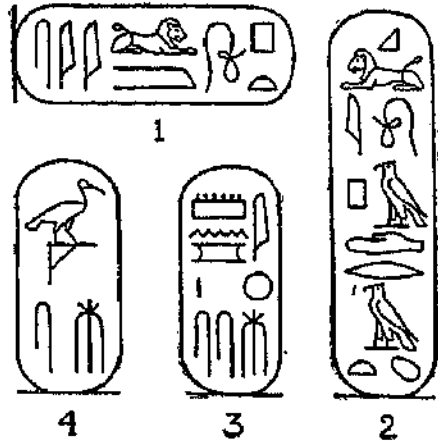


شكل (١)

مقارنة العلامات الديموطيقية بنظائرها فى الخرطوش ان الهيروغليفية
تستطيع كذلك ، ولو فى بعض المناسبات ، أن تصبح هجائية •

وقد وصل الى الدليل الحاسم عن طريق مصلحة كانت مقامة على قاعدة
مغطاة بكتابات يونانية تمجيدا « لبطلميوس فسكون والكليوباترتين » •
وكانت المسلة والقاعدة قد نقلتا الى انجلترا فى عام ١٨١٩ لتزين حديقة
« و • ج • بانكس » فى كنجستون لاسى فى دورسيه وقد طلب بانكس
فى عام ١٨٢١ طبع النقوش اليونانية والهيروغليفية بالليتوجراف (طبع
على الحجر) ووصلت نسخة مما طبع الى يد شامبليون فى يناير من العام
التالى ، وقد شاهد فيها مع خرطوش بطلميوس خرطوشا آخر لم يتردد
فى ادراك انه خرطوش كليوباترة ما دامت تتردد فى الاثنى عشر الحروف
الهيروغليفية المقابلة لـ « ب ، و ، ل • » فى الأماكن نفسها التى توقع أن
تكون بها • حقا ان حرف «ت» كان يختلف فى الحالتين ولكن هذا أمكن
تفسيره ببساطة عن طريق نظرية الجنس • وقد أمد الخرطوشان
شامبليون بثلاثة عشر حرفا تقابل اثنى عشر صوتا • وكان هذا السلاح
الجديد مما جعله يقدم على تمييز الكتابة الهيروغليفية للكتابات التى تحمل
أسماء الكسندر ، برنيس ، تيبريوس ، دومسيان ، تراجان الى جانب
الألقاب الرفيعة مثل أوتوكراتور ، قيصر ، سباستوس •

وهكذا أمكن الوصول الى حل فيما يتصل بخراطيش العصر اليونانى
الرومانى ولكن ماذا عن الخراطيش التى تنتسب الى العصور الاقدم ؟ فى
الرابع عشر من سبتمبر ١٨٢٢ تلقى شامبليون من مهندس معمارى نسخا
من نقوش من المعابد المصرية استطاعت أن تبديد كل شكوكه • وقد وجد فى



شكل (٢)

خراطيش اعتمد عليها شامبليون في
حل الرموز :

- ١ - بطلميوس
- ٢ - كليوباترة
- ٣ - المحبوب من امون - رعمسيس
- ٤ - توثموزس

نهاية واحد من الخراطيش علامة مكررة مرتين استطاع أن يتعرف عليها من حروف الهجاء وأن يدرك انها تمثل حرف « س » وتفصلهما عن علامة هيروغليفية مبهمه دائرة الشمس المعروفة بالقبطية « رع » وسرعان ما طرا على ذهنه الاسم الملكي رعمسيس أو رعمسيس لأنه فكر في أنها تقرأ « رع » - « س » - « س » وتحول الشك الى يقين حين طالع خرطوشا آخر بعد بضعة دقائق برزت فيه صورة الايبيس تحوت في صدره وبينه وبين ال « س » علامة ادرك انها تقرأ « م » (١) وقد أكد لنفسه ان هذا هو اسم الملك توثموزيس (الذي يقرأ خطأ في أكثر الاحيان في الكتب التي بطل استعمالها « ثومس » وهو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة لمانيثو . وقد جاء تأكيد قيمة العلامة المبهمه في حجر رشيد حيث انها كانت جزءا من المجموعة التي تقابل الكلمة اليونانية لـ « يوم الميلاد » وهي بالقبطية « ميسى » أو « موزى » بمعنى « يلد » .

ومنذ تلك اللحظة كان كل يوم يبشر بشمر جسد « وحين أدرك شامبليون أن ليس من داع لوقف نشر كشوفه قرأ في أكاديمية باريس في التاسع والعشرين من سبتمبر مقاله المشهور « خطاب الى السيد داسيه » Lettre à M. Dacier وهو لا يشير في هذا الخطاب الى أسماء رعمسيس أو ثموزس محتفظا بتعليقه على حد رموزها لبحثه الرائع : Precis du système hieroglyphique الذي ظهر عام ١٨٢٤ وقد شغلت زيارته الى تورين ومصر جانبا كبيرا مما بقي من حياته القصيرة . وقبل أن

(١) كان منطق شامبليون مسلما وان لم يؤد الى نتيجة سليمة تماما . ذلك ان الحرف الهيروغليفى الغامض يقرأ « مس » وليس « م » .

يموت في الحادية والاربعين استطاع أن يكشف عن المعنى العام لمعظم النقوش التاريخية . والحق أن معجزة العمل العظيم الذى أداه شامبليون لا تقع فى الكشف الرئيسى بقدر ما تقع فى الاستخدام الرائع له الذى مكنه من أن يفيد منه ، ذلك انه لكى يستخدم المفتاح الذى أمكن التوصل اليه استخدما تاما كانت الحاجة ماسة لمادة أغزر ولنسخ خير من النسخ الموجودة فعلا ، وكانت الحماسة التى نجمت عن ذلك مما أكدت أن الأمر يجب أن يكون فى متناول اليد فى وفرة وكان شامبليون الرائد الأول لشخصه ومن ثم كانت ثمرة رحلته المصرية بصحبة الايطالى الأستاذ روسيليني « مجموعة ضخمة من الرسوم نشرت فى مجلدات من الحجم الكبير ثم تلت ذلك بعثة بروسيه تحت رئاسة العالم الكبير رتشارد لبسيوس (١٨١٠ - ١٨٨٤) بزت الجهود السابقة بالمجلدات الاثنى عشرة الضخمة لـ Denkmäler (١٨٤٩ - ١٨٥٩) ولم تكن بريطانيا متوانية فى هذه المرحلة فقد برز فيها أكثر الأعلام أهمية : روبرت هاى من لنبلوم ، جيمس برتون و (سير) جون جاردنر ويلكنسون ، وقد عمل هؤلاء الثلاثة معا أحيانا ، وأحيانا أخرى اشتركوا مع غيرهم ثم أنتجوا مجموعات لا نظير لها من جزازات للنقوش واللوحات الملونة والكتابات التى لا تزال لها قيمتها الكبيرة حتى اليوم ، لأن أصول كثير منها بليت أو نالها الكثير من التلف . ولم ينشر من هذا الجهد الذى تم فى العقدين الثانى والثالث من القرن الماضى سوى جانب صغير رغم ان كتب ويلكنسون أمدتنا بلوحات فى كتابه المشهور :

Manners and Customs of the Ancient Egyptians (1837)

وقد شهدت الفترة نفسها الاسس الاولى للمجموعة الضخمة من الآثار المصرية أكثرها أهمية ما يوجد بالمتحف البريطانى و بمتحف اللوفر وفى تورين وفلورنسا وبولونيا وليدن وقد زود هذه المتاحف بها قناصل فرنسا وانجلترا والسويد : دروفتى وسولت وانستاسى ، ولكن الحفائر التى قاموا بها أو أعزوا بها لم تكن أكثر من عملية نهب وان لم يكن من واجبنا أن ننحى باللوم على هذا الاهمال من متابعة مبادئ علمية لم تكن قد عرفت بعد . ولكن عملية الحفر على نطاق واسع وبطريقة أكثر تنظيما ودقة بدأ بها منذ عام ١٨٥٠ العالم الفرنسى أوجست مرييت (١٨٢١ - ١٨٨٠) الذى استطاع أن يكون له تأثير على الحديو سعيد باشا حتى قام بتأسيس متحف بولاق (١٨٥٨) (١) ، وهو الذى تطور فيما بعد الى

(١) اسم ناحية من نواحي القاهرة .

دار المتحف القاهري العظيم مثار اهتمام كل زائر بمصر اليوم . والحق ان الحفر العلمي بدأ متباطئا في أول الأمر وظل كذلك حتى عام ١٨٨٤ حين استخدم فلندزر بيتري - وربما كان أنجح الحفارين جميعا - أكثر الوسائل دقة كما كان مثلا طيبا - لم يحتد الا في القليل النادر فيما بعد - للنشر السريع لنتائج بحوثه . وانه لما يثير ملل القارىء (ومع ذلك فانه ليس من العدالة أن نفض الطرف عمن لم يتناولهم الذكر) أن نسجل أسماء أهم الحفارين في العصر الحديث ومع ذلك فمن المستحيل أن نجاوز في صمت اسمي العالمين الأمريكيين : جورج ريزنز وهربرت ونلوك ثم اسم مكتشف قبر توت عنخ آمون الدكتور هوارد كارتير .

وتقتضى الصراحة أن نضيف الى أنه كانت هناك ، ولا تزال حفائر كثيرة جدا وبخاصة حين تركت بغير ان ينشر عنها شيء أو كان ما نشر عنها سيئا وان العلم المتزايد كان من الممكن أن يخدم أكثر اذا بذلت عناية أشد للدعوة الصادقة لنقل النقوش على الآثار الباقية فوق الأرض التي قام بحفرها في عام ١٨٨٩ العالم الكبير فرنسيس لولن جريفث (١٨٦٢ - ١٩٣٤) ويرجع الى همته فضل تأسيس Egypt Exploration fund والتي تحولت الى جمعية فيما بعد عام ١٨٨٢ وقد وزعت نشاطها في مصر فيما بعد الى شعبتين . وقد دخلت أمريكا الميدان متأخرة وان استطاعت أن تعوض ما فاتها من زمن حتى لنشهد النشر الرائع لمقابر طيبة الذي قام به متحف متروبوليتان للفن في نيويورك Metropolitan Museum of Art in New-York الذي يرجع أكبر الفضل فيه الى العالمة الانجليزية N. De G. Davies ويكاد يبرها مع ذلك في أهميتها العمل في المقابر الذي قام به معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو Oriental Institute of the University of Chicago وهو المنظمة الأثرية الكبيرة التي تديرها بوجودها الى همة العالم جيمس هنري بروسنت (١٨٦٥ - ١٩٣٥) والى اريحية جون . روكفلر (الصغير) .

ويجد تابع عدد من العلماء المتعمقين في بريطانيا العمل الذي كان قد بدأه شامبليون ففي مقال نشر عام ١٨٣٧ استطاع رتشارد ليسيوس أن يمسك نهائيا أصوات أولئك الذين كانوا لا يزالون يرتابون في صحة حل الرموز . وكان من أوائل الباحثين في هذا المضمار صموئيل برش (١٨١٣ - ١٨٨٥) وادوارد هنكس (١٧٩٢ - ١٨٦٦) وبعد ذلك بقليل ظهر ك . و . جودوين في انجلترا ثم ا . دي روجيه . و ف . ج . شاباث ، و ث . ديفيريا في فرنسا ، ثم أعظم الجميع هينرش بروجش (١٨٢٧ - ١٨٩٤) في ألمانيا . وهكذا بدأ الجدول الصغير للبحث في

الدراسات المصرية يمتلىء تدريجيا حتى أصبح يجرى فويا بحيث أصبح من المستحيل على أى دارس أن يتابع كل ما يكتب الا على حساب التعلى عن كل أمل للاسهام الشخصى . ومن بين الاسماء المتأخرة يكفى أن نذكر اسم ادولف ارمان (١٨٥٤ - ١٩٣٧) الذى استطاع مع تلاميذه ، وبخاصة كورت زيته ، أن يضع حدودا مميزة بين المظاهر المختلفة للغة وأن يضع أسس قواعد علمية لكل منها ، وما قام به جريفت الذى برزت عبقريته الممتازة كعالم فى الكتابات القديمة مكنته من قراءات مختلف الخطوط الهيراطيقية والديموطيقية بصورة بذ بها كل من سبقوه .

ولكن الجامعات أبطأت فى تكريم هذا النمط الجديد . كان شامبليون أول من شغل كرسيه فى « كولييج دى فرنس » الذى أنشئ له عام ١٨٣١ وربما كانت جوتنجن ثانى مركز للعلوم قام بتعيين أستاذ للدراسات المصرية ووقع الاختيار على بروجش (١٨٦٨) واما انجلترا فقد تأخرت حتى عام ١٨٩٤ حين استطاعت توصية من الروائية اميليا . ب . ادواردز أن تمنح بيتسرى كرسي الأساتذة فى University College فى لندن . واليوم لا تكاد توجد جامعة تحترم نفسها ليس بها أستاذ أو محاضر فى هذه الناحية من الدراسة .

لقد كرست هذه الصفحات الأخيرة رغما عنى لسلسلة من الاسماء ، اما بقية الكتاب فسيكرس فيما أمكن الحصول عليه من معلومات هى ثمرة جهود أصحاب هذه الاسماء .

مراجع مختارة

انبعا هنا - كقاعدة - تقديم المراجع المكتوبة بالانجليزية ، أما الكتب الأجنبية فلا تذكر
إلا حين تمس الضرورة . وهناك من المراجع التي لا تقدر .

1 — B. Porter and R.L.B. Moss : Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7 vols. (Vol. 1 in course of revision, Oxford, 1927-51.

2 — J.M.A. Saussen, Annual Egyptological Bibliography, 9 vols. Leiden, 1948-56.

وللمبحث عما كتبه علماء مختلفون يمكن الرجوع إلى

I. A. Pratt, Ancient Egypt, New York Public Library, 1925, Supplement 1925-41

وهناك مظاهر متعددة للدراسات المصرية مصورة من مجموعات المتاحف ، والناسخ
R. Engel bach

Introduction to Egyptian Archaeology with special reference to the لكتاب
Egyptian Museum, Cairo, Cairo, 1946

W. S. Smith, Ancient Egypt as represented in the Muscum of لم
Fine Arts, Boston, 1942

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, Part I, New York, 1953 و
Part II, Harvard University Press, 1959

الكتاب الكلاسيكيون

نصوص أصلية بترجمة انجليزية :

Herodotus, Diodorus Siculus, Strabo, Pliny the Elder, Plutarch

وكلها في مجموعة

Loeb Classical Library, London & Cambridge, Mass.

W. G. Waddell, Herodotus, Book II, London, 1939. وانظر كذلك

Harpollo, text and commentary, F. Sbordone, Hori Apollinis Hieroglyphica
Naples

وترجمة فرنسية في

Chronique d'Egypte, No. 35 (1943) pp. 39 ff. ; 199 ff.

وبالنسبة لتاريخ دراسة المصريين :

F. LL. Griffith, The decipherment of the Hieroglyphs, in J.E.A xxxvii.
38 ff.

وبالنسبة لتسجيل ملخص لسيرة الحياة :
W. R. Dawson, Who was who in Egyptology, London, 1951

وهناك موضوعات لم نعالج بخاصة في هذا الكتاب

أ - في الديانة المصرية :

J. Cerny, Ancient Egyptian Religion, London, 1952

S. A. B. Mercer, The Religion of Ancient Egypt, London, 1949 ; Id., The Pyramid Texts 4 vols., New York, 1952 ;

E. A. Wallis Budge, The Book of the Dead, 3 vols. London, 1898 ;

J. Vandier and J. Sainte Fare Garnot مؤلفات بالفرنسية للعالمين

A. Erman, K. Sethe, H. Kees وباللغاية للعلماء

ب - الفن
W. Stevenson Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, Pelican History of Art, Harmonds worth, 1958

C. Aldrea, Art in Ancient Egypt : Old Kingdom, London, 1949 ;
Middle Kingdom, 1950
New Kingdom, 1951

Nina M. Davies, Ancient Egyptian Paintings, 3 vols, Chicago, 1936

ج - العمارة
S. Clarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, Oxford, 1930

د - التحنيط والطقوس الجنائزية

G. Elliot Smith and W. R. Dawson, Egyptian Mummies, London, 1924

E. A. Wallis Budge, The Mummy, 2nd. ed., Cambridge, 1925

Nina de G. Davies and A. H. Gardiner, The Tomb of Amenemhet, London, 1915.

هـ - الآثار

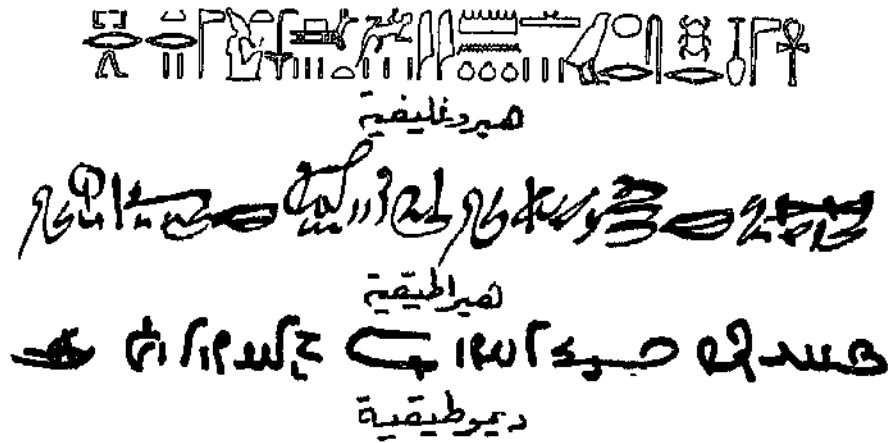
مجموعة كبيرة من الكتب تصور قطعاً مختلفة وذلك في مجموعة
Edwards, University of London, by W. M. Flinders Petrie

٢ اللغة المصرية والكتابة

كانت اكتشافات الانسان المتتابة - فى فترات متباعدة جدا للفنون المتصلة بالكلام والكتابة - المرحلتين الرئيسيتين اللتين مر بهما فى سراء نحو الحضارة . وقد يسر له استخدام الأصوات الواضحة تبادل الأفكار والرغبات والاستفسارات مع بنى جنسه . وكانت الكتابة التى قامت على الأساس نفسه بديلا مرثيا للعلامات المسموعة وهكذا وسعت من نطاق اتصالاته من ناحيتى المكان والزمان . وفى محاولة تلخيص تاريخ واحدة من أقدم الحضارات الشرقية ، ولعلها أكثرها ازدهارا ، نجد انه من المناسب أن نبدأ بموجز عما نالها بسبب الضغط عليها من هاتين الناحيتين الفئتين بقدر ما تستطيع المعرفة أن توصلنا اليه . ومن سوء الحظ أن أصل اللغة المصرية يحتل مكانا سحيقا فى الماضى المبهم حتى لا نجد سوى القليل مما يستطاع قوله فى هذه الناحية بطريقة مؤكدة . ومادام لا يكاد الاجماع يستقر عليه من ناحية أن أقدم سكان مصر كانوا من أصل إفريقى فانه يمكن أن نتوقع أن لغتهم يجب أن تكون إفريقية كذلك والواقع انه وجدت قرابة كثيرة باللهجات الحامية وبخاصة البربرية لا فى المفردات بل فى التركيبات الفعلية وغيرها . ومن ناحية أخرى كانت الصلة بالسامية (العبرية والعربية الخ) كذلك لا تخطئها الملاحظة ، ان لم تكن أشد . وقد تباينت آراء الدارسين فى هذا الأمر تباينا واضحا ولئن أمكن التوفيق حتى الانتهاء الى مكان أو أمكنة يشار اليها كأنما هى أصول فانه تبقى بعد ذلك مشكلة التأريخ (التوقيت) ، ومن أجل ذلك نرى أننا مضطرون دون توان الى دراسة الكتابة المصرية التى نستطيع أن ندرس تطورها تفصيلا .

كانت زخارف الأواني والأشياء الأخرى الجارى استعمالها نوعا من الاتصال المرئى يبدو أشد وضوحا وبخاصة حين استخدمت صور الناس والحيوانات والمراكب . ولقد بدأت الكتابة حين أضيفت علامات مرئية أجبرت تماما على الترجمة الى أصوات اللغة ، وقد صار هذا التجديد ملحوظا فى مصر قبل ظهور ممفيس بفترة قصيرة ويميزه ادخال الصور الصغيرة المنعزلة التى تتميز بوضوح عما يحيط بها من الرسم التصويرى الخالص ، والصور واحدة فى الحالتين وتعكس كل أنواع الأشياء المادية

كالأسلحة الصغيرة والنباتات والحيوانات والبشر وحتى الآلهة أنفسهم . وكان يرجع ظهور الهيروغليفية - كما تسمى العلامات الصغيرة - الى أنه كان هناك الكثير مما أراد الناس أن ينقلوه ولم يكن من المستطاع اظهار مرثيا كالاعداد وأسماء الاعلام والمظاهر العقلية . وقد ثبتت هذه الميزة الاضافية جنبا الى جنب مع غيرها طوال التاريخ المصرى حتى انه - كما حدث فى أغلب الأمر - حين زودت مناظر النقش بايضاحات من نصوص هيروغليفية أمكن أن يقال ببساطة عن الأخيرة انها تعبر عن السابقة أكثر مما يكون الأمر عكس ذلك . وكانت هناك مع ذلك تطورات هامة أبعد من ذلك سيكون من مهمتنا أن نقوم على تفسيرها ، بل انه جاء وقت لا يسبق قيام المسيحية بكثير - ظهرت فيه ثلاثة أنواع مختلفة من الكتابة المصرية تبودل استعمالها فى مختلف الأغراض ، بينما استعمل الاغريق الذين كانوا يملكون البلاد اذ ذاك حروف هجائهم فى كل أغراض الحياة الرئيسية .



شكل (٣) الأنواع الثلاثة الرئيسية للكتابة

ولا تزال الأنواع الثلاثة من الكتابة (شكل ٣) التى ذكرناها تحمل التسميات نفسها التى عرفها بها شامبليون ومعاصروه رغم اشتقاقها من مصادر مختلفة ورغم أن استخدامها مقصور على العصرين: اليونانى والرومانى وحدهما .

وكلمة هيروغليفية التي استخدمها كليمنت السكندري في فقرة مشهورة سلفت الإشارة إليها (صفحة ٢٣) تعنى حرفيا النقوش المقدسة .
وهي تعنى هذه التسمية فقط ؛ لأنها في العصور المتأخرة كانت تستعمل كليه في غالب الأمر في النقوش المحفورة على جدران المعابد . وهي تطلق الآن - تبعا لذلك - على كل الكتابة المصرية التي لا تزال تتكون من صور ابتداء من الكتابة المفصلة ذات العلامات الملونة الواضحة التي تزين المقابر حتى النماذج المختصرة المكتوبة بقلم القصب على البردى والتي تتضمن نصوصا دينية .

والواقع أن الهيروغليفية هي من غير شك النوع الأصيل من الكتابة الذي تطورت منه كل الأنواع الأخرى . وهي تقرأ أحيانا من أعلى الى أسفل ، وأحيانا أخرى من اليمين الى اليسار ولكنها تقرأ في بعض الأحيان كذلك من اليسار الى اليمين ، وهذه هي الطريقة التي نمارسها في كتب القواعد التي ننشرها ، وحين تكون الكتابة من اليمين الى اليسار تنتجه العلامات الى ناحية اليمين .

ويحدثنا «كليمنت» ان كلمة الهيراطيقية أطلقت على أسلوب الكتابة الذي يمارسه الكتاب الكهنة في كتبهم الدينية . وهي اشتقاق من الهيروغليفية المختزلة المذكورة في الفقرة السابقة ، ولكن دارسى المصريات عدوا استخدام هذا الاصطلاح الى عدد أكبر كذلك من أنواع مختزلات الكتابة التي عثر عليها في النصوص الأدبية أو النصوص المتصلة بشئون تجارية ويغلب على هذه الكتابة « التشبيك » أي ان العلامات مبروطة بعضها ببعض وهي في أغلب الأمر ممدودة جدا اللهم الا في العلامات الأولى التي تتجزأ الى خطوط تقريبا . وتسهيلا للدراسة تحولت الهيراطيقية عادة الى هيروغليفية رغم ان ذلك يصبح في حكم المستحيل في النماذج البالغة المد ، واما اتجاه الكتابة عادة فمن اليمين الى اليسار .



وأما النوع الثالث من الكتابة المصرية فيسمى «انكوريال» (وطني) على حجر رشيد كما يسميه كليمنت « ابيستولوجرافى » (كتابة الخطابات) وأما الدارسون المحدثون فقد احتفظوا بتسمية هيروودوت له « ديموطيقى » (شعبي) وقد تطورت هذه الكتابة من الهيراطيقية حوالى عصر الأسرة الأثيوبية (حوالى ٧٠٠ ق م .) وهي تقدم ميزات كبيرة





وتتطلب فى الوقت نفسه دراسة متخصصة عميقة • ولقد كانت فى العصر البطلمى والعصور الرومانية الكتابة المعتادة للحياة اليومية وأما مرتبتها فى الاستخدام فخير ما توصف به انها غير دينية •






وتتدرج بين طرفى النقيض : الهيروغليفية والديموطيقية ، منوعات كثيرة متوسطة ولقد كان الدافع الرئيسى الملحوظ هو الرغبة فى زيادة السرعة وقد كان يمكن الوصول الى ذلك فقط عن طريق تقليل تدريجى للشكل التصويرى بحيث تضيع التفاصيل ، وهناك عامل آخر ساعد على التطور هو أن سطح الكتابة نفسه قد تطور : ذلك ان الهيروغليفية كانت تكتب بالضرورة على القطع التذكارية فنحتت فى الحجر بأزميل وكانت ترسم بالحبر أو الألوان على جدران هيئت لذلك خصيصا ، وكانت الهيراطيقية كذلك قديمة قدم الهيروغليفية ولكنها كانت تستخدم - كالديموطيقية للكتابة على البردى أو على ألواح خشبية تغطى بطبقة من الجص أو على قطع من الفخار أو اللخاف أو قطع الحجر الجبرى •



ولما بدأت المسيحية تحل محل الوثنية الفرعونية أصبحت الحاجة ماسة الى وسيط أكثر سهولة لفهم ترجمة الكتاب المقدس ، وكان هذا هو سبب ظهور القبطية التى سلفت الاشارة اليها (صفحة ٢٧) كآخر مظهر للغة المصرية • وكانت تكتب بحروف يونانية مع اضافة بضعة حروف قليلة من الديموطيقية • أما الأدب القبطى فملء بالكلمات اليونانية • والواقع أن مجمل التركيبات يجعلها شيئا أقرب الى الرطانة منها الى وريث طبيعى للغة القديمة •




ان الدارس الجاد لا يقنع بغير تفاصيل أكثر عن الهيروغليفية التى زادت المعرفة بها عن طريق كشف شامبوليون حتى أمكن تقديم صورة منتظمة دقيقة وتاريخية عن الحضارة القديمة ولقد سلفت الاشارة الى أن الكتابة الهيروغليفية ثمرة مباشرة للرسم التصويرى وفى هذا الصدد كانت تشبه الكتابة البابلية ، والواقع انه ليس من غير المحتمل انه كانت هناك علاقة فعلية بينهما رغم انه ربما لم تزد عن أكثر من معلومات سماعية من أن أصوات اللغة يمكن التعبير عنها بواسطة صور مناسبة مختارة • وأما التطور التالى مع ذلك فيختلف اختلافا بينا فى الحالتين فالكتابة البابلية تستخدم الحروف المسمارية (الاسفينية) التى سرعان ما اختفت فيها الصور، بينما احتفظت الهيروغليفية المصرية بمظهرها التصويرى عبر القرون ولم تفقدها الا جزئيا عن طريق مشتقاتها الهيراطيقية والديموطيقية • وبفضل ذلك ظلت علامات كثيرة تعنى ما تمثل رغم أن الأشياء المقصودة التى كان يشار اليها بطبيعة

الحال في الحديث كانت تحمل أسماءها المصرية ، والعلامات التي كانت
نستخدم بهذه الصفة كان يطلق عليها « الكتابة التصويرية » Ideograms
مثل  Law « رجل مسن » و  re « شمس » ومع ذلك



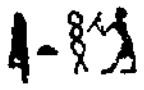



فان علامات كثيرة مثل  Por بيت « (وهذا استخدام تصويرى)
كان من الممكن أن تستخدم في كلمات ذات نطق مشابه وان لم تكن تعنى
مطلقا أية صلة بالشئ المقصود ، ويطلق على الهيروغليفية حين تستخدم
بهذه الصفة اسم علامة صوتية وهكذا فان  توجد في هجاء الكلمة
الهيروغليفية  pery « خرج »  proyet « شتاء »



 peret بذور . ولم يظهر بالكتابة المصرية - شأنها في ذلك
شأن العبرية والعربية - المتحركات ومن ثم كان النطق الذى تقدمه ليس
موثوقا به تماما مادام مجرد التزام برأى أولئك الأكثر تعمقا في مثل
Pry, pr(y)t, prt شيئا غير مستساغ وسنرى انه في أمثلتنا الثلاثة
كان لـ  القوة للساكنين ب + ر ومن ثم فهي علامة ثنائية والمبدأ
المختفى وراء ذلك هو مبدأ الألفاظ والأحاجي ، فمرة تبدو صورة الشئ
ولكنها تعنى شيئا آخر . ولكن المصريين استطاعوا في زمن مبكر جدا من
أن يصطنعوا مجموعة علامات مفردة وهى حروف هجائية من ٢٤ حرفا
ف  مثلا تصور فما ، وهى حين يصحبها خط صغير 
تعنى غالبا كلمة râ « فم » وهى لديهم تمثل حرف « ر » وسنشير فيما بعد
حروف هجائية أخرى . وكانت هناك كذلك علامات ثلاثية مثل  nfr











 hpr ومن مساوىء طريقة الهيروغليفية فى الكتابة أن الصور
الصغيرة التي كانت تستعمل كانت عرضة للبس من ناحية الصوت والمعنى
فنحن نجد مثلا ان علامة  التي تصور لوحة الكاتب وقدر الماء
وجعبة القصب قد لا تمثل هذه المجموعة فحسب وهى التى تقصد بها كلمة
m nhd «منخد» بل انها تعنى كذلك عملية الكتابة (S s) «شش» والكاتب
المحترف وأشياء أخرى الى جانب ذلك . ولتيسير ذلك الأمر والتخفيف من
حدثه كانت هناك علامة أو علامات أخرى يمكن اضافتها فحين تكون

تصويرية كما هي الحال فى  ss سش « كاتب » فان العلامة
 الاضافية تستخدم كمخصص ، أما حين تكون منطوقة كما فى  $hpr + r$ (bpr)  أو $nfr + f + r$ بمعنى « طيب » ، جميل ، أو
 « أصبح » ، « صار » فان العلامة أو العلامات الاضافية تعرف كأنها هي
 تكملة نطقية . وهناك ثلاثة أنواع من المخصصات :

١ - محدد (عينى ، واضح) كما فى كلمة « كاتب » السالفة
 الذكر .

٢ - شامل (نوعى) وذلك حين تشير العلامة الى نوع الفكرة
 المقصودة مثل  وهو رجل ضارب يستخدم فى كلمة  hwi بمعنى ضرب وكذا فى كلمات مثل  ith بمعنى
 « جر » وكذا  « الشمس » كما فى hrw 
 « نهار » و  wbn « أشرق » .


٣ - نطقى وهو نوع نادر مثل علامة  وتمثل صغير الماعز
 فى فعل  ibi « عطش » التى توضع بها كلمة
 ib « صغير الماعز » . قبل المخصصات النوعية للماء والأفعال التى
 يمارسها الفم . ومجمل القول ان الكتابة الهيروغليفية عند المصريين كانت
 مزيجا يضم علامات صوتية وعلامات ذات مغزى ولعل الجملة القصيرة التالية
 التى يصحبها نطقها بالحروف اللاتينية ثم ترجمتها تبين أن التحليل السابق
 قد يفى بالمقصود .


         
 hd.n.f r niwt hr inw nb nfr

بمعنى أبحر الى المدينة بكل الهدايا الطيبة أبحر (فى اتجاه التيار)



ففى هذه الجملة نجد ان  .


من حروف الهجاء التى تقابل ف ، ن ، ر ، خ ، ت ، د ، .
على التوالى .


أما  فمقاطع ثنائية ل « ان » ، « نب » .
« خر » على التوالى .

وأما  فمقطع ثلاثى .

وأما  « ر » بعد  « خر » فتكملة نطقية وكذا


 ف + ر بعد  « نفر » .


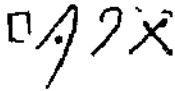
وأما  فمخصصات .

وأخيرا فان  تشير الى قرية بها شوارع متقاطعة وهى لفظ
تصويرى .

وعلى الدارسين ألا يستهوهم التفكير فى ان الكتابة الهيروغليفية فيها شيء من السرية . . . انها كتابة أصيلة تحوى الكثير من المركبات من غير شك ولكن لها مزايا التى تسترعى انتباه العين والعقل معا . ولما كان عدم وجود الحروف المتحركة يجعلها غير منطوقة فان البعض قد ينتهى الى القول بانها لا تمثل لغة على الاطلاق أو انها لغة بغير قواعد نحو وصرف . . . وليس شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الأمر وان كنا نميل الى الاعتراف بأن جهلنا بالتصويت بها عائق خطير ، أما مراوغات زمن الفعل وصيغه فانه يمكن استنتاج ذلك من مضمون النص فى أغلب الأمر مادامت هذه تتحكم فيها تغيرات داخلية أكثر مما تتحكم فيها مقاطع تضاف الى الكلمة . وأما اللغة المصرية بالنسبة للدارسين الكلاسيكيين الذين اعتادوا المفردات التقليدية للغات ، فان الأمر يبدو لهم مربكا ، وقد أثبتت القبطية انها لاتستطيع أن تمدنا بقدر ما كنا نأمل من عون . ومع ذلك فان المخصصات قد

استطاعت أن تؤدي خدمة بالغة الأهمية بالنسبة لادراك معانى الكلمات وكذا بفصل الكلمات عن بعضها البعض . كما كانت المناظر التى تصحب النصوص ذات فائدة من الناحية التى قصد وضع النص بسببها ، وأكثر من كل هذا قيمة وبخاصة فى النصوص التاريخية والقصص منطق الموضوع نفسه ، وعلى الجملة فانه من الممكن أن يقال ان الترجمة التى نقدمها فى الفصول التالية مؤكدة الى حد بعيد ، ومع ذلك فمن العدالة أن ننبه القارئ الى اننا تصرفنا بحرية أكثر مما كنا نفعل لو كنا نقدم الكتاب لدارس متخصص ، فقد حذفنا علامات الاستفهام . أما الكلمات المهشمة أو الغامضة فقد أحللنا فى جراحة غيرها محلها وقد غضضنا النظر أحيانا عن جمل وفقرات كاملة وانا لنرى ان هذا الأسلوب لا بأس به بالنسبة للهدف المقصود هنا .

وآخر مثال موجود للهيروغليفية المصرية هو كتابة وجدت على جزيرة فيلة وراء الجندل الاول ترجع الى عام ٣٩٤ م . حيث لجأ كهنة ايزيس الذين طردوا من نواح أخرى من مصر وقد وجدت فى المكان نفسه كتابة ديموطيقية ترجع الى عام ٤٧٠ م . ومع ذلك فهناك أكثر من احتمال للقول بأن الهيروغليفية عاشت - ولو فى صورة محورة - فى حروفنا الهجائية . ذلك أن فلنדרز بيتري أجرى حفائر فى عام ١٩٠٥ بالقرب من مناجم الفيروز فى شبه جزيرة سيناء عثر فيها على عدد من النقوش المشوهة بها بعض علامات منقولة عن الهيروغليفية المصرية استخدمت فى كتابة لغة أخرى - ربما كانت سامية ، وعدد هذه العلامات التصويرية ثلاثون على الأكثر ، ومن الواضح أنه كلما قلت العلامات المختلفة فى النص كانت الفرصة أكبر لتكون هجائية ولكن أهم ما يلاحظ فى هذه العلامات ان سنا منها تمثل مظاهر ترجع الى معانى أسماء حروف تمت الى الهجائية العبرية واليونانية ومنها ما لا يعتوره الشك مثل رأس الثور  لتقابل حرف الألف (ألفا باليونانية) وتعنى « ثور » فى العبرية ، ثم علامة متموج  يشبه الحرف المصرى  لتعنى « الماء » لابد انها كانت حرف « م » مادامت « ميم » فى العبرى هو اسم الحرف الذى

يعنى «ماء» • هذا الى أن الفينيقيين واليونان يكتبون حرف « م » بصورة مشابهة • أما الكلمة الواضحة على صورة العين  في النص السينائي فتذكرنا باسم - الحرف العبرى « ع » ويعنى « عين » وهى دلالة يمكن التعرف عليها فى يسر من الدائرة فى حرفى الهجاء نفسيهما • وأكثر دلالة من هذه جميعا مع ذلك تكرار متعدد لمجموعة من أربعة حروف  يمكن قراءتها - بالفكرة نفسها ••••• بعلات - ولما أمكن ادراك أن «بعلات» (سيدة) هى مؤنث « بعل » وهو اسم يطلقه الساميون دائما على الالهة المصرية حتحور وهى الربة نفسها التى كانت تعبد فى المكان نفسه الذى وجد فيه بيترى النقوش فان الشك يبدو ضئيلا فى انه أمكن الاهتداء الى أصول حروفنا الهجائية ، ومع ذلك فمن سوء الحظ ان بقية النقوش أثبتت مناقضتها للتراجم المزعومة وقد يرجع هذا الى تأثيرها بالعوامل الجوية ولكن حتى يخرج الى الضوء دليل أكثر وضوحا ، من نوع حاسم ، فانه سيكون هناك دائما مرتابون أو متزعمون لنظريات أخرى أقل قبولا من الناحية العملية •

مراجع مختارة

اللغة المصرية

صلتها بالعامة :

E. Zyhlarz, Ursprung und Sprachcharakter des Altägyptischen, Berlin, 1933
Z. A. S. LXX. 107-22 وكذا مقاله في

صلتها بالسامية :

T. W. Thacker, The Relationship of the Semitic and Egyptian Verbal Systems, Oxford, 1954.

الكتابة وقواعد اللغة

A. H. Gardiner, Egyptian Grammar, 3rd. ed. Oxford 1957
G. Lefebvre, Grammaire de l'Égyptien classique, 2nd. ed. Cairo, 1955

المفردات :

Gardiner, Eg. Gr. الكلمات الأكثر شيوعاً في

في كل العصور ، وله أهمية أساسية :

A. Erman and H. Grapow, Wörterbuch der ägyptischen Sprache, Text, 5 vols ;

Leipzig, 1926-53 والمراجع في خمسة مجلدات طبعت في

الخطوط والكتابات المختلفة

Hieroglyphic : N. M. Davies Picture Writing in Ancient Egypt, Oxford, 1958

Hieratic : G. Möller, Hieratische Paläographie, 3 vols., Leipzig, 1909-12

Demotic : F. LL. Griffith, Demotic Papyri in the John Rylands Library, 3 vols., Manchester, 1909 :

W. Erichsen, Demotischer Glossar, Copenhagen, 1954

وهناك مؤلفات لغوية أخرى عن :

E. Edel, Rome, 1955 قواعد اللغة المصرية القديمة :

A. Erman, 2nd. ed., Leipzig, 1933 وعن اللغة المصرية في العصر المتأخر :

J. M. Plumley, London, 1948. وعن القبطية

The legacy of Egypt, Oxford, 1942 pp. 55 ff. وعن مخطوطات سيناء

الادب

A. M. Blackman وقد ترجمت الى الانجليزية A. Erman

The literature of the Ancient Egyptians, London, 1927

وكذا

G. Lefebvre, Romans et Contes égyptiens de l'époque pharaonique Paris, 1949.

« مصر هبة النيل » هو التعبير الذى يفصح عن حقيقة واضحة لمن يعرفون البلاد ، ومع ذلك فهو بحاجة الى بعض التعليق لمن لا يعرفونها . ومصر - كما نرى فى الخريطة فى الصفحة السابقة - تشبه نبات البردى الذى يمثل وادى النيل فيه الساق ، أما الدلتا فبمشابة الزهرة كما أن منخفض الفيوم هو البرعم ولئن جرت الألوان على صفحة الخريطة لاستطعنا أن نرى الحقول تبدو فى خضرة لامعة كما تبدو الصحراء المجاورة فى لون أحمر داكن ذهبى . ولقد فكر قدماء المصريين أنفسهم فى مصطلحات تعزز القول المأثور عن هيروdotus حين أطلقوا على مصر  كيمى (١) أى « الأرض السوداء » مشيرين بذلك الى الطمى الذى غمرت به الأرض. الفيضانات التى لا حصر لها والتى تدين له بخصبها الفذ الذى لا نظير له . أما الصحراء فوصفوها أحيانا بأنها  « دشرة » أى الأرض الحمراء . والحق أن المقابلة بين الاثنتين صارخة فانت تستطيع أن تقف باحدى قدميك فوق الرمال اللامعة وبالأخرى فوق التربة التى تنبت الحب . وفى الوسط يجرى النهر العريض الذى تنتشر فوقه القلوع البيضاء . ويعكس الزرقة اللامعة للسماء . وترتفع الصحراء مباشرة على الجانبين وتتسامى بخاصة من ناحية الشرق الى قنن عالية تشرف على المجرى بحيث لا تدع مجالا لقيام أى لون من ألوان الزراعة . وأما حيث تتراجع الجبال فانها تتألا بألوان تتفاوت بين الأحمر الوردى واللبنى فى الصباح الباكر ، وهى أرض تكاد تستمتع دائما بضوء الشمس مع أمطار قليلة لا تكاد تسقط الا قرب البحر المتوسط ولا يزيد معدل سقوطها فى القاهرة سنويا على بوصة ونصف ثم لا تسقط مطلقا عند أسوان وهكذا فإن محاصيل مصر تعتمد تماما على فيضان النيل الناجم عن الأمطار الغزيرة فى المناطق المدارية الواقعة بعيدا فى الجنوب والتى يتوالى هطولها على المرتفعات.

(١) مكنا نطق بالقبطية ..

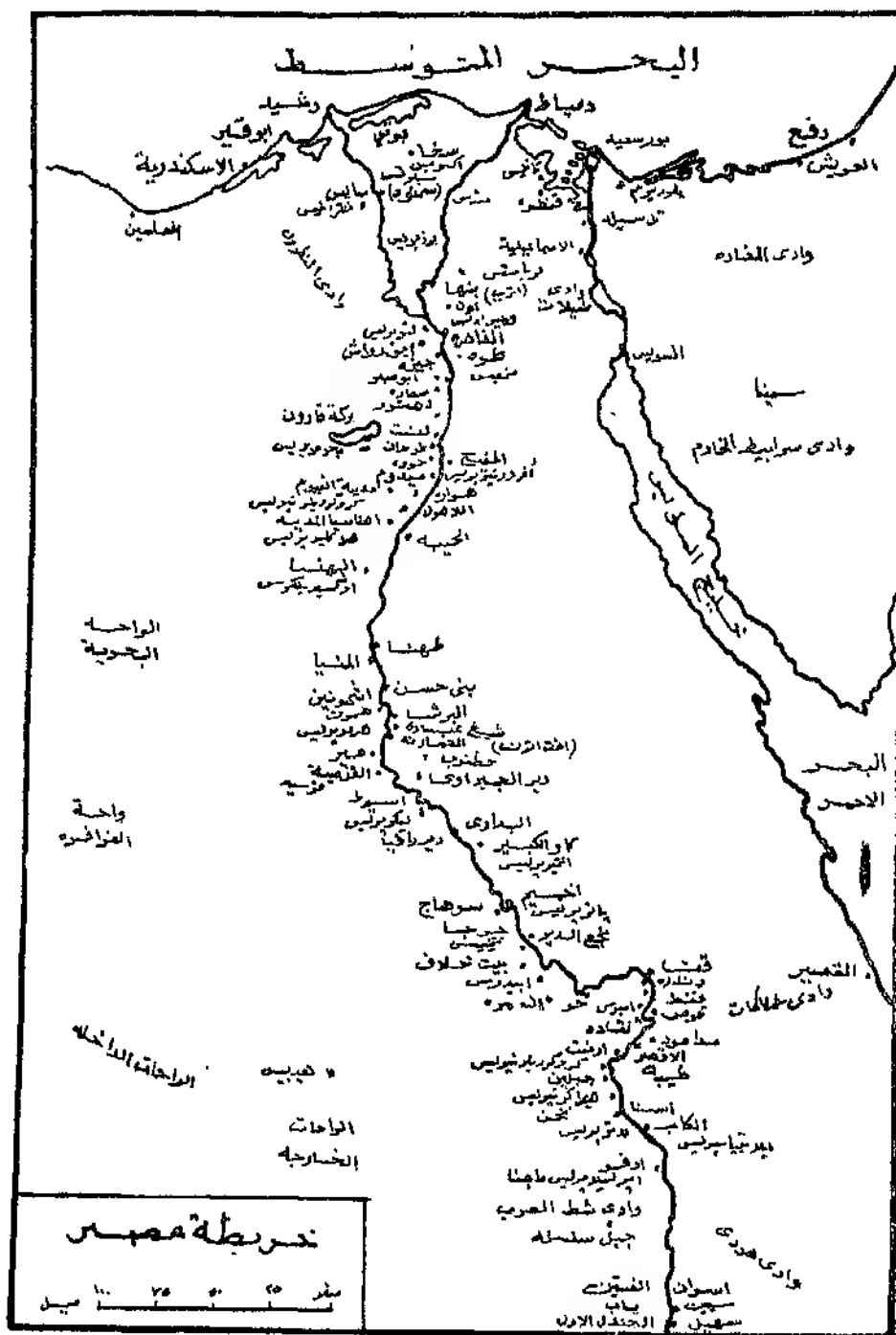
الجبشية من يونية الى سبتمبر ، مما يسبب ارتفاع مياه النيل الأزرق والعطيرة ارتفاعا سريعا . وبحس أسوان عند الطرف الشمالى للجندل الأول بأول آثار الارتفاع فى الأسبوع الرابع من يونية وأما أقصى ارتفاع فيصل الى القاهرة قرابة نهاية سبتمبر . وبعد أسبوعين يبدأ ماء الفيضان فى النزول ولكن النهر لا ينزل الى أدنى مستوى له حتى نهاية ابريل وهناك اختلاف ملموس بين تواريخ وكميات الفيض . ولقد كان النيل المنخفض فى العصور القديمة يعنى مجاعة بالنسبة لسكان البلاد المتكاثرين ولكن مثل هذه الكارثة أصبحت مستحيلة بفضل الخزانات الضخمة التى شادها المهندسون الأوروبيون فى أسوان واسنا وأسيوط والقاهرة وغيرها خلال الستين سنة الأخيرة على الأقل (١) . وأمكن عن طريق هذه الخزانات والسدود تحقيق زراعة مستديمة مادام الماء يحجز ثم يوزع فى قنوات حين يراد ذلك . ومنذ أقدم العصور مارس المصريون لونا من ألوان التحكم فى المياه وذلك عن طريق رفع ضفتى النهر الى حد يحصر أعلى فيضان . كما كانت السدود تقطع فى الوقت المناسب . ومع ذلك فانه كان من الطبيعى حتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر أن نشاهد وادى النيل كله يتحول الى بحيرة واسعة تبرز فيها أحراش النخيل والقرى كالجزر فى وسط الماء ولا يربط بعضها بعضا سوى طرق ترتفع فوق مستوى ماء الفيضان .

وتشغل مصر فى العصر الحاضر مستطيلا أضخم من أية دولة أوربية فيما عدا روسيا ولكن سكانها العشرين مليونا (٢) تزدهم بهم البقعة الزراعية التى تمثل ١٢٥٠٠ ميل مربع ، وأما البقية فصحراء يستمر امتدادها من ناحية الغرب دون انقطاع الى ناحية المحيط الأطلسي . وأما الدلتا فلا يمكن أن يزرع أكثر من نصفها وتشغل النصف الآخر بحيرات ضحلة ومستنقعات وأراض منخفضة مالحه لم تستصلح بعد (٣) . ويشير

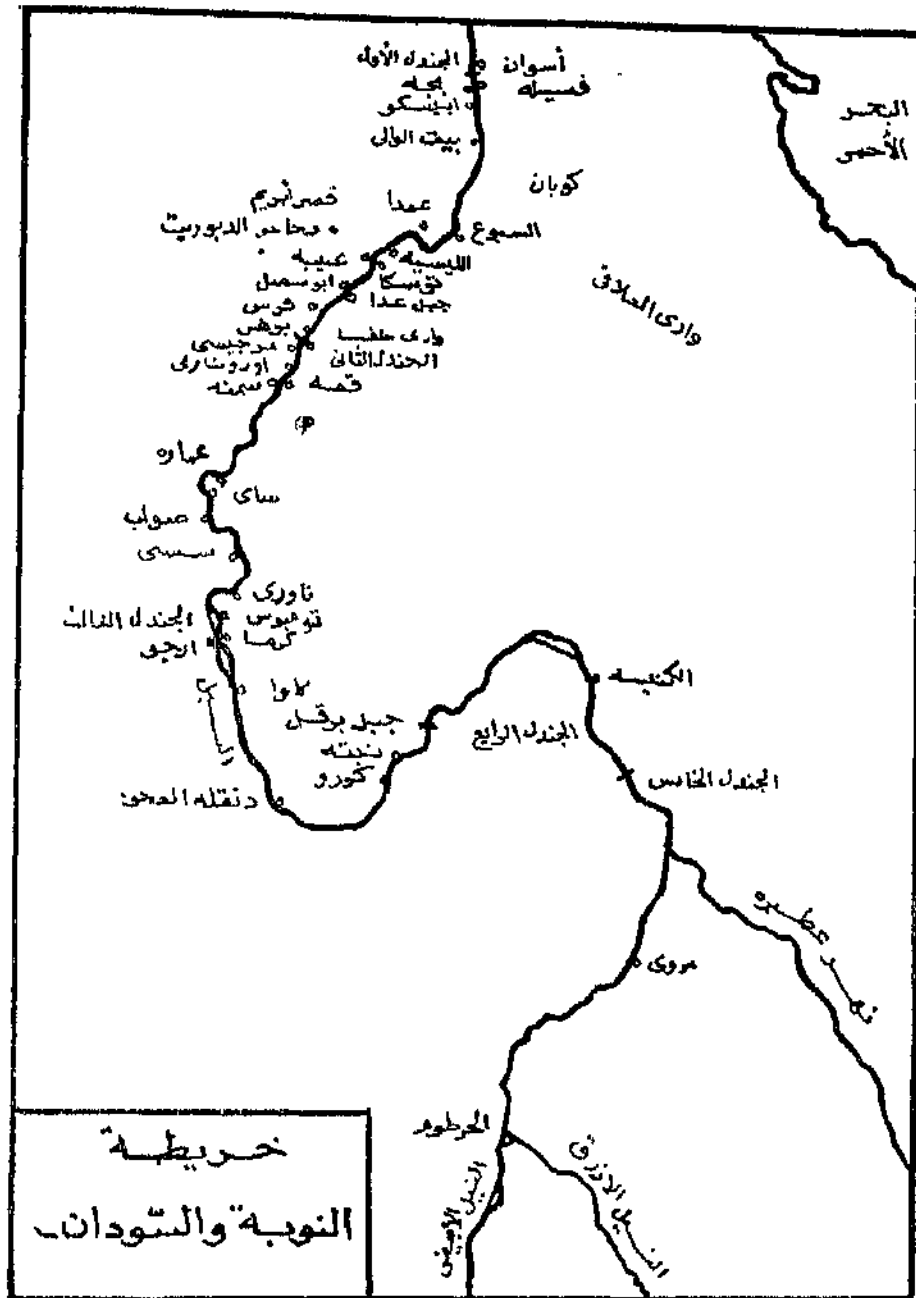
(١) فى هذا تجن واضح من المؤلف . فالخزانات أقيمت بسواعد مصرية وأموال مصرية ولئن حاول المؤلف أن يشير الى ثمرة طيبة للاستعمار بدعوى أنه استعمار وليس « استخرايا » فائى أحيله الى معجزة الثورة ، السد العالى الذى يزرى بكل نظائره فى العالم أجمع - المترجم .

(٢) ربما يعدل هذا الرقم أربعة أمثال من كانوا يعيشون فى الحقبة التى يتناولها بحثنا هذا . . ومع ذلك فهذا مجرد حدس .

(٣) يبدو أن المؤلف يجهل المشروعات التى قامت بعد الثورة فهناك المشروعات التى تمت باستصلاح جانب جديد من أراضى الدلتا ومن أهمها مشروع مديرية التحرير ومشروعات الإصلاح الزراعى الأخيرة فى غربى الدلتا وشمالها وهى المشروعات التى أنشئت من أحلها وزارة خاصة للإصلاح الزراعى - المترجم



خريطة رقم (١)



خريطة رقم (٢)

النيل في مصر العليا • منظر يطل غربا على التلال الطيية

هيروودوت الى انه كان للنيل سبعة فروع اختزلت الآن الى فرعين يصب
الغربي منها عند رشيد - وأما الآخر - الأطول - فهو الشرقي ويصب عند
دمياط ومع ذلك فالقنوات تمتد في كل مكان . ومن بين ال ٧٥٠ ميلا من
مجرى نهر النيل شمال أسوان حتى مصب رشيد نجد انه ليس هناك
أقل من ٦٠٠ ميل منها تخص الوادى ، ومع ذلك فان المساحة المزروعة منها
تمائل تقريبا المساحة المزروعة في الدلتا ، وذلك لان عرض الوادى لا يزيد
في أى مكان على ثلاثة عشر ميلا . ويلاحظ أنه في بلد مستطيلة بهذه
الصورة يكون من الطبيعي أن تتباين درجة الحرارة تباينا ملحوظا . ففي
الدلتا قلما يكون الطقس - بل هو لا يكون في أغلب الأمر - غير محتمل
الحرارة وأما عند أسوان خلال شهور الصيف فانه يكاد لا يكون محتملا
الا بسبب جفاف الهواء . وأما الأقصر فيما بين ديسمبر ونهاية مارس فان
للسائح أن يتوقع فترة تعدل خير شهور انجلترا رغم ان الترمومتر يسارع
في النزول عقب الغروب ، وأما حرارة النهار فانه يخفف منها ما أطلق
عليه السكان الأقدمون « النسيم العليل لرياح الشمال » وأما من مارس الى
مايو فان الاقليم يتعرض لرياح محملة بالرمال من الجنوب والجنوب الغربى
وهى المسماة بالحماسين ويعد هذا الموسم غير ملائم للصحة نسبيا ولكنه
ليس أسوأ من أواخر الخريف حين يساعد تصاعد الأبخرة من الأرض
المشبعة بماء الفيضان على انتشار الدوسنتاريا والأمراض الأخرى ولذا كان
الخوف يسرى دائما من الثعابين والعقارب التى تعد الكوبرا (Gk. ousaios)
والحية ذات القرنين (Gk. kerastes) أخطرهما جميعا كما ان الرمد الذى
تنشره أسراب الذباب بالملايين كان دائما لعنة مصر . وفيما عدا هذا
فان المناخ صحى بصورة تميزه كما أن الأهلى لم يتوقفوا يوما عن التغننى
بمزايا ماء النيل حتى نلتقى دائما برغبة طالما تتردد فى النصوص « أن
يشرب الماء من دوامة النهر » .

كانت مصر بعزلتها فى إطار من صحراوات لا تحد ، تعتمد فى
معاشها فى أغلب الأمر على مواردها الذاتية . وكانت الزراعة المتوسعة
حرفة السواد الأعظم من الشعب رغم أن الفيضان خلال شهور أخريات
الصيف كان عائقا مؤقتا دون ذلك مما حول نشاط العاملين الى انماحية
البناء والصناعات اليدوية . ولقد كان طمى النيل الكثير سببا لحصب
شديد ولكن الافادة منه لم تكن تتم الا عن طريق الكد الذى تلهبه الحماسة
فلا يفتر . . ويبدأ الحرث والبذر بمجرد انخفاض المياه كعملية تتم فى
وقت واحد ، وأما بالنسبة للحرث فان الأداة البدائية التى كانت تستخدم
هى التى كانت لا تزال معروفة فى أوائل القرن الحالى وقد اتخذت احتياطات

محكمة لتجنب خطر الفيضان الزائد ولتحويل المياه الى قنوات لتوزيعها على أرض ربما كان يقدر لها أن تصبح قاحلة لولا ذلك الاجراء رغم انه يبدو انه من أجل تحقيق هذا الهدف الأخير لم يستخدم الشادوف - وهو الأداة المعروفة اليوم لكل زائر لوادي النيل - استخدما على نطاق واسع حتى انه قلما يشاهد مرسوما على نقوش الجدران وكان يعنى طبعاً بالسدود وموالة رعايتها كما كان يعنى بحفر القنوات . وأما موسم الحصاد فكان ينتقل بهم الى نشاط متجدد . وهناك العديد من الصور التي تمثل حصاد القمح وضرب الكتان ثم حمل المحاصيل على ظهور الحمير الى ساحة الدرس حيث توطأ بواسطة الثيران ، وأخيرا بعد التذرية التي تلعب فيها المرأة دورا كبيرا يتم النقل برا أو نهرا الى الصوامع المقبية المبنية من اللبن حيث تخزن حين تمس الحاجة اليها . وكان جانب كبير من الانتاج المحلي يؤخذ كضريبة ، وكان الهدف عامة محصولا مضاعفا وكانت محصاة لات، الصناديق تتطلب جهدا أشق إذا ما انخفضت مياه النيل .

أكثر من ذلك، قمار .



شكل (٤) تمثال لاوشابتي

ولئن كانت الزراعة النصيب المعروف للفلاح فان مثل هذا العمل كان يعد بغيضا بالنسبة للأثرياء . وبمقابر السراة في أغلب الأمر مئات التماثيل الصغيرة المصنوعة من مادة القاشاني أو الخشب وهي المعروفة عادة تحت اسم «تماثيل الأوشابتي» أو المجاوبون (شكل ٤) وأما الكتابة القديمة لكلمة « شواپتي » فان معناها يحتمل الشك وهاك ترجمة موجزة

للدرقية السحرية التي تكتب عادة عليها (١)

« أيها الأوشابتي ، اذا استدعيت أو اذا عينت لأداء أى عمل في الجبانة . . حتى كالتزام لرجل ، أى لأزرع الحقول أو أغمر ضفاف النهر أو أحمل الرمل من الشرق الى الغرب فعليك أن تقول أنت « هانذا ! »

(١) فصل ٦ من الكتاب المسمى خطأ « كتاب المري »

وتبدو هذه التماثيل غالبا وهي تحمل فأسا وسلة لتبين بذلك طبيعة العمل الذي يأمل صاحبها الذي تمثله يتهرب منه عن طريق تدخلها . ولقد اعتاد الكتاب الأقدمون أن يباهوا بمهنتهم ويقارنوها بغيرها من المهن ...

وهاك وصفا لمتاعب صغار ملاك الأراضي (١) :

« نمت الى علمى انك هجرت الكتابة وانصرفت الى اللهو وأنتك اتجهت الى العمل فى الحقول وخلفت ظهريا الآداب ... ألا تذكر حالة الزارع حين يواجه تسجيل ضريبة المحصول ، حين تقضى الأفاعى على نصف حبوبه ويفترس عجل البحر بقيتها ؟

ان الفئران تعيش فى الحقول والجراد ينزل عليها والماشية تلتهمها . ان العصافير تسبب الخراب للزراع وأما ما بقى على ساحة التذرية فيسرقه اللصوص .

ان الثيران تموت فى موسم التذرية والحراث .



تم يأتى كتبة الأرض على ضفة النهر وهم يزعمون تسجيل ضريبة المحصول . فيحمل الحجاب هراوات والنوبيون عصى النخيل ويقولون : « سلم القمح » رغم انه لا يوجد هناك شئ من القمح . فيضرب الفلاح ويربط ويلقى به فى البئر ويغطسونه فى الماء رسا على عقب وتربط زوجته أمامه ويوضع صغاره فى القيود ويتخلى عنهم جيرانهم ويهربون ... وهكذا تضيق الحبوب ، ولكن الكاب على رأس الجميع ...

ان من يعمل فى الكتابة لا يؤدى الضريبة ، ليست عليه التزامات يدفعها ... لاحظ هذا جيدا » .

ولئن اتجهنا الى خارج الحدود المصرية الحقيقية فاننا نتابع المسال القديم ولنبدأ من الجنوب : ففي وسط الطريق بين ادفو والمناحى الضيقة لجبل السلسلة على مبعده ٥٥ ميلا شمال أسوان نلاحظ ان شكل الأرض يتغير تماما : فهنا نمر من اقليم الحجر الجيرى الذى يشكل الكتلة الضخمة لمصر الى اقليم خشن من الحجر الرملى يمتد جنوبا الى مسافة ألف ميل فى ناحية السودان ولا يعوق هذه المرحلة سوى خط قصير قبل الجندل الأول وراء الجزيرة الكبيرة المعروفة باسم « الفنتين » مباشرة . ويتكون الجندل من تيارات نهريّة بسبب وجود كتل ضخمة من الجرانيت الأحمر أو الأسود تعترض الطريق . وقد جعلت هذه لمصر الفرعونية حدودها الطبيعية رغم

أن بلاد النوبة تبدأ فعلا بالقرب من سلسلة من الناحيتين : الاثنولوجية والطبيعية .


وتقع النوبة السفلى بين جزيرة « فيلة » والجندل الثانى وراء وادى حلفا الذى يعد أطول وأجمل منظرا ، وهى رقعة من الأرض يخيم عليها الفقر وصفت بأنها أرض طولها مائتا ميل وعرضها خمس ياردات . . . وهو وصف مبالغ فيه من غير شك ولكن الحقيقة تبدو فى ثناياه حين ندرك ان رمال الصحراء والقنن العالية (مثل قصر ابريم على الضفة الشرقية) و « أبو سمبل » (على الضفة الغربية) تكاد تحاذى ضفة النهر وان التقينا أحيانا من وقت لآخر برقع صغيرة من أرض تزرع بها الحبوب أو بمزارع للنخيل أو السنط النيل أو أدغال الطرفاء تكون مايشبه الكثبان . وتضم النوبة السفلى اليوم حوالى ١٢٠.٠٠٠ من السكان (١) كلهم من الجنس البربرى وكذا لغتهم بربرية ، شأنهم فى ذلك شأن الجاناب الأكبر فى التاريخ القديم لقوم كانوا يسكنونها كما يسكنون السودان وأطلق عليهم المصريون اسم « نحسيو »  وكانوا يتكلمون لغة تتطلب مساعدة أحد التراجمة لتفسيرها . ويشير اصطلاح « نحسيو » بخاصة فى بعض النصوص الى النوبيين الذين يعيشون على النهر بمقابلتهم بال «مدجايو»  سكان الصحراء من جنس أكثر خبونة استعانت مصر بهم فى النهاية كشرطة (٢) .

وأما ما وراء الجندل الثانى فان العزلة أكبر فالقرى نادرة والزراعة فى أغلب الأمر تكاد تختفى . ولقد أرسيت الحدود فى وقت ما فى التاريخ المصرى عند سمنة وقمة وهما قلعتان تواجه الواحدة منهما الأخرى جنوب طرف الجندل وكانت تبدأ هناك أرض « كاس »  المعروفة فيما بعد باسم « كاش »  وهى « كوش »

(١) لم تعد نوبا السفلى المصرية تضم سكانا بعد مشروع السد العالى اذ تم تهجيرهم جميعا الى منطقة بين ادفو وكوم امبر وشملت بحيرة ناصر اقليم النوبة السفلى - المترجم .

(٢) Z.A.S. LX—XIII ; 38 ff.

« التوراة » التى تعنى الأرض المعروفة بآثيوبيا لدى اليونان ولقد كانت كوش أصلا منطقة معينة سمع عنها لأول مرة حوالى عام ١٩٧٠ ق.م . ولكن سرعان ماعم مدلولها بحيث اشتملت كل الأراضى الواقعة بعيدا الى الجنوب حتى تقم المقابلة بينها وبين البلاد التى حملت من عصور أقدم اسم «واوات»  وكان هذا فى أول الأمر اسما له دلالة محددة ولكنه استطاع أن يشمل بالتالى الرقعة الواقعة بين الجندلين : الأول والثاني (١) ، وبمرور الزمن قامت مجموعة كاملة من المستعمرات أو مراكز حراسة الحدود الى الجنوب من القلعتين التوأمين السابق ذكرهما تنتهى عند الصخرة العتيدة المعروفة باسم جبل البرقل الذى أصبح فيما بعد عاصمة للمملكة الأثيوبية المستقلة . (حوالى ٧٥٠ ق.م) ومع ذلك فإن هذا لم يكن الحد الأقصى الذى وصلت اليه الحملات الفرعونية فبالقرب من الكنيسة على مبعدة ٣٥٠ ميلا فقط من الخرطوم تلتقى بكتلة معروفة من الكوارتز تحمل نصوص الحدود للمحاربين العظمين : توثموزيس الأول والثالث (حوالى ١٥٣٠ - ١٤٤٠ ق.م) (٢) وينتهى اهتمام علم المصريات عند هذه النقطة فلسنا بعد فى حاجة لترسم خطى النيل فى رحلته من منبعه بالقرب من بحيرة تنجانيقا ويكفى القول بأنه بعد التقاء النيلين : الأزرق والأبيض عند الخرطوم ثم الالتقاء بعطبرة على مبعدة ٢٠٠ ميل الى الشمال لا تمد النهر العظيم أية روافد حتى يصب مياهه فى البحر المتوسط على مبعدة ١٧٠٠ ميل .

والرقعة الغربية من مصر تكاد تكون صحراء تماما ولكن علينا أن نقدر مدى الجفاف الذى حل بها خلال الخمسة آلاف عام الماضية . ولقد كان هناك على طول البحر المتوسط على أية حال اقليم مأهول بالسكان تشغل جانبا منه المراعى وتشغل جانبا آخر منه أرض صالحة للزراعة كانت موطننا للبيض ذوى الشعور الحمراء والعيون الزرقاء الذين - متابعة منا للاغريق - نعرف انهم الليبيون . وهذه التسمية فى الواقع تسمية غير صحيحة ولا تتمشى مع تسلسل الأحداث ذلك لان القبيلة المشهورة المعروفة باسم « لبو »  (٣) سمع عنها لأول مرة فى


عصر مرنبتاح (حوالى ١٢٢٥ ق.م) حين قامت على رأس حلف من الغزاة الذين قدموا من أقاليم أبعد غربا . ونستطيع أن نميز فى العصور الأقدم

Kush, VI 39 ff. (١)

J.E.A., XXXVI, 36 (٢)

Onom. I., pp. 121 ff. (٣)

مجموعتين : أولاهما ال «تحنينو»  (١) وال


«تمحو» (٢)  اللتان تشبه أولادهما تماما من ناحية الجنس

والثقافة المصريين فى غرب الدلتا وان كانوا يعبرون دائما كأنما هم أجانب وكان الواحد منهم يغمد عورته فى قراب • ويتزين بخصلة شعر تتدلى من أحد جانبيه رأسه • ويحمل ريشا فى شعره وانه لمن العسير أن نصدق أنهم كانوا كثيرى العدد ويبدو أكثر احتمالا أنهم هم الذين كانوا يسكنون فى الواحات (٣) وهى المنخفضات العجيبة تحت مستوى البحر التى تغذيها الينابيع والتى تقع على مبعدة من وادى النيل وأسمائها من الشمال الى الجنوب سيوة والبحرية والفراقة والداخلة والخارجة ولكن سيوة كانت أبعد من أن تحظى باهتمام الفراعين حتى العصر الساوى • وعدد سكان هذه الواحات الخمس اليوم لا يزيد كثيرا على ٤٠٠٠٠ نسمة • وتعد الفيوم كذلك واحة من نوع ما ولكنها أقرب الى مصر من غيرها وقد ألحقت بالنيل منذ عصور مبكرة قبل التاريخ وهكذا تكونت بحيرة كبيرة لا تزال بقاياها ترى فى بركة قارون (١٤٤ قدا تحت سطح البحر) وطبقا لأحدث نظرية تسعى وراء ربط التواريخ عن طريق مجموعة من الجيولوجيين العلماء يقومون بأبحاثهم على ضوء الملاحظة من ناحية ودراسة ماخلفه هيرودوت من ناحية أخرى نراهم يقررون ان البحيرة الأصلية غاصت الى مادون مستوى البحر بسبب سد القناة بالغرين حتى قام ملك من ملوك الأسرة الثانية عشرة بتوسيع القناة وتعميقها وهكذا أعاد البحيرة الى مستوى النهر • وهكذا نشأت البحيرة المشهورة المعروفة باسم بحيرة مويريس التى قامت بوظيفتها المشتركة كمهرب لفيضان النيل وكخزان ، وبذا أسهمت لا فى حماية الأراضى فى مصر السفلى من الآثار المدمرة للفيضانات الشديدة الارتفاع فحسب بل زادت فى كميات الماء فى النهر بعد انحسار النهر وانقضاء موسم الفيضان (٤) • وطبقا للنظرية نفسها أنزل صناعيا

Op. Cit., II pp. 116. (١)

Op. Cit., I, pp. 114 ff (٢)

(٣) هذه الكلمة اليونانية مشتقة من الكلمة المصرية


oꜣꜣꜣꜣ.

وحات وبالقبليّة



ومى قديما

وعنى اشتقاقا « قدر او دست » ، انظر • Z.A.S. Lvi, 44 ff.

J. Ball, Contributions ; 199. (٤)


مستوى وحجم البحيرة في أوائل العصر البطلمي بسبب تشييد مجموعتين من القناطر وهكذا استعيد جانب من الأرض العلوية . هذا الى أن مكان البحر انقص من حجم بركة قارون الى حجمها الحالي وأصبح الاتصال بالنيل لا يتم الا عن طريق بحر يوسف المتعرج الذى يخرج من النهر فى مجاورات ديروط .

أما فيما يتصل بالبحر المتوسط الذى يكون الحد الشمالى فانه ليس هناك من كثير يقال سوى ان مصر أصبحت مكشوفة من هذه الناحية وذلك فقط حين أصبح مغامرون من أبناء البحر أكثر جراً . ولابد ان الاتصال بكريت كان قائماً منذ زمن بعيد ذلك لان الثقافة المينوية تقدم دلائل قوية على التأثير المصرى ، أما النشاط البحرى المباشر فى هذه الناحية فلبس لنا عليه من دليل بل بالعكس فان السفن المصرية تبدو كأنما كانت بفضل ملازمة الشاطئ هادامت المراكب الكبيرة التى تصلح لتمخر عباب البحار ، حتى وان ترددت على البحر الأحمر ، كان يطلق عليها اسم « كبنو » أى « مراكب ببلوس » وذلك نسبة الى ميناء جوبلو أو ببلوس عند سفح لبنان .

أما من ناحية الشرق فان مصر كانت مكشوفة ، عرضة للهجوم ، وان كان ذلك فى بقعة محددة بالذات . كان الطريق الى ومن فلسطين يمر بشمال شبه جزيرة سيناء مسيرة قرابة تسعين ميلاً (من القنطرة الى العريش) على أرض شاسعة رملية محرومة من الماء (١) ولكن هذه المسافة لم تكن كافية لتعوق أولئك الذين تشدهم الحاجة أو الطمع الى خيرات مصر ، ولئن كان حقا ان حضارة الأسرات تدين بالكثير الى التأثير الميزوبوتامى فانه من المحتمل ان أصحابه أتوا من هذه الناحية وقد دارت مناقشة معقولة تشير الى انهم جاءوا الى وادى النيل من ناحية الشمال بدليل ان الكلمة المصرية السامية لد « غرب » تدل فى اللغة المصرية كذلك على « اليمين » ولقد سارت فى الطريق نفسه أو عن طريق بلوزيوم بالقرب من البحر الجيوش الغازية ل أسرحدون وقمبيز والاسكندر ، كما سار فى عكس الاتجاه العديد من حكام مصر نفسها . وهناك اشارات عن مدى الخطر الذى يتهدد مصر من هذه الناحية يتردد حوالى عام ١٩٧٠ ق . م . فى الحديث عن « أسوار الحاكم » التى شيدت لترد « السيتو » (الاسيويين) ولتقضى على « المتنقلين على الرمال » (٢) . وأما بعيدا الى الجنوب فمصر كانت آمنة تماما ضد أية فرصة للعدوان ؛ ذلك لان خليج السويس ومن

J.E.A. VI, 99 ff. (١)

J.E.A. I, 105. (٢)

ورائه البحر الأحمر كانا بمثابة خط دفاع بل انهما ، أكثر من ذلك ، كانت تفصلهما عن طريق النيل قنن من الجبال ترتفع أحيانا الى ٤٠٠٠ قدم ولم يكن يعيش فى هذه الناحية قوم لهم من القوة ما يكفى لشق طريقهم اليها . وقد وجد المصريون أنفسهم على أية حال طريقا من كوبيتوس (قفط) الى ميناء البحر الأحمر - القصير - التى استطاعوا أن يرحلوا منها بحرا الى بوينى (بونيه) Pwene  (١) التى ربما كانت الشاطئ الافريقى المقابل لعدن ، أرض التوابل والمر والمنتجات القيمة الأخرى .

ومجمل القول ان مصر فى عصورها القديمة يسرت لها عزلة ناعمة كاية دولة أخرى تزرق حسن الطالع حتى تستطيع أن تطور ثقافتها الفردية العالية ولم تقل هذه الظروف المسعدة من فكرتها الطيبة عن ذاتها فقد كان المصريون يعدون أنفسهم « الرجال » الحقيقين وحدهم ، الشعب الوحيد حقا الذى يستطيع أن يحمل عن جدارة اسم « رومى » (٢) ، ومن الطبيعى انها كانت تزدرى جيرانها الأقربين الذين كانت تطلق على رؤسائهم لقب « وغد » وهناك كاتب من عهد الدولة الوسطى تحدث عن النوبيين بقوله : (٣)

« اذا غضب المرء عليه استدبر وان تقهقر المرء بدأ يغضب ... انهم قوم لا يستحقون الاحترام ... انهم جناء ضعاف القلوب » .
ويصف كاتب قديم الاسيويين الذين يقطنون جنوبى فلسطين بقوله : (٤)

« عامو التعساء ! ان سوء الطالع يحل حيث يكونون ! ان بلادهم متعبة فيما يتصل بالماء شاقة بسبب كثرة الأشجار ... انها وعرة الطرق بسبب الجبال ... وانه لا يستقر فى مكان واحد بل يطرد الى خارجه بسبب الحاجة فقدماء دائمتا الحركة ... انه يقوم بالمعارك منذ عهد حوريس ومع ذلك فانه لا ينتصر مطلقا وهو كذلك لا يغلب » . ورغم الاعتزاز

(١) يقدم الاسم فى معظم كتب الدراسات المصرية كـ « بونت » وهو لطق خطأ تماما ومع ذلك فان النطق الذى تقدمه هنا تقديرى وطنى .

(٢) كلمة « يروميس » أى « رومى » مسبوقة بأداة التعريف أوردها هيرودوت (٢ : ١٤٣) بمعنى يقارب كلمة جنتلمان اليوم .

(٣) Eg. Gr. P. 361

(٤) J.E.A, I, 30



شكل (٥) نباتات البردى

بالنفس الذى تنم عنه هذه الفقرات فان مصر غزيت من وقت لآخر بل ان حضارتها القديمة خلال ال ١٣٠٠ سنة الأخيرة استطاعت أن تغشيتها تماما الحضارة الاسلامية ، والحق انه رغم ان زراعتها ظلت تفرض دائما حرفة مستمرة فان ظروف البلاد لم تكن أبدا بحيث تدفع الى تطور حربى يتسم

بالجراحة والبسالة بل انها كانت تستكين ان هي واجهت شعبا أصلب عودا
وأقدر على ممارسة الحرب (١) .

ولقد كانت موارد مصر المادية ضخمة منقطعة النظير في أزهي
عصور تاريخها . . . وفيما عدا سنى القحط كانت غلالها وفيرة ومحصولاتها
الرئيسية الشعير ونوع آخر من القمح ثم من الخضر والعدس والفول
والخيار والكراث والبصل ، ومن الفواكه البلح والجميز والتين والبرساء
والى جانبها - هبة السماء - العنب . وقد عرف المصريون بحبهم للزهور
وتظهر على نقوش جدران مقابرهم باقات كبيرة تزين موائد الطعام المتخمة
بعديد الألوان ونرى الضيوف فى الولائم وهم يقربون اللوتس الى أنوفهم
وتحيط الخادמות رقابهم بعقود من الزهور . أما زهرة اللوتس الزرقاء
- العطرة - فكانت تنمو - كالزهرة البيضاء - بكثرة فى المستنقعات
وكانت تلعب دورا له قيمته لدى المماريين والعنانين وبصرف النظر عن
المتعة الجمالية للزهور ودلالاتها الروحانية كرموز للحياة فانها كانت
مصدرا للعسل الذى كان يعوض النقص فى قصب السكر . وكان الكتان
يزرع بكميات كبيرة وتصنع منه الخيوط التى تنسج الى أرق الأقمشة
التيلية . وكان هناك محصول تفردت به مصر هو نبات البردى الذى
استخدم فى صناعة الحبال والحصير والصناديق والنعال والزوارق
الخفيفة . . . وأهم من هذا كله سيقانه التى كانت تقطع الى شرائح رقيقة
يوضع بعضها الى جانب بعض طولا وعرضا وتقرب حتى تصبح ألواحا
تجففها الشمس ثم يستخدمها الكتاب كأداة ممتازة للكتابة وقد ورثها
فيما بعد اليونان والرومان ومنها اشتقت الكلمة الانجليزية Paper
وأخيرا فهناك شجرة كان يستخرج منها الزيت تدعى (باق) ظن البعض
أنها الزيتون وان كان الأرجح أنها شجرة البان (٢) التى كان يستخرج
منها زيت ثمرة البان . . . وأما عن ندرة الأخشاب فأمر سنتناوله
بالحديث فيما بعد .

وكانت هناك فصائل من الحيوانات المستأنسة أولها وأهمها سلالات
عدة من الماشية الافريقية وكانت أطيب اللحوم لحوم البقر وكان الثور
حيوان التضحية الرئيسى الذى استخدم فى الحقول لجبر المحراث . وتربى
الأغنام والماعز والخنازير فى نقوش المقابر ، ويقف أصحاب اللوحات

(١) المترجم : هذه هى الخرافة التى يحاول الاستعمار دائما أن يصمم بها
الشموب المحبة للسلام وهى شبيهة بخرافة الأرض الزراعية التى لا تستطيع أن تمارس
الزراعة . . . وتد استطاعت مصر دون تحيز أن تثبت مدى التضليل فى هذه المزاعم خلال
السنوات الماضية فى أعقاب الثورة المباركة .

Bull. Inst. fr., XXXI, 130 ff. (٢)

الجنائزية (ستيل) (١) بالعديد الذى كانوا يملكونه من هذه الأنواع .
وقد استخدمت الماعز - وفي النادر جدا الخنازير - فى وطء الحبوب ،
ومن المؤكد أن الخنازير كانت تستغل كطعام وان كان هناك اتجاه الى
عدم الحديث عنها فى هذا الصدد . وكذلك كان السمك . وليس من
المحتمل أن الماشية كانت تستغل فى أغراض أخرى مادام التفكير يمنع
من استخدام صوفها فى الملابس . وفى العصور الفرعونية - كما هى
الحال اليوم - لم يكن هناك حيوان من ذوات الأربع أصلح للاستخدام
عمليا من الحمار سواء لاضمار المحصولات أو حمل الناس .

ولم يظهر الحصان فى مصر حتى عهد الهكسوس (حوالى ١٦٠٠
ق.م) حين ادخل من آسيا لجر العربات أصلا . أما الجمل فقد تأخر
استخدامه كثيرا .



لوحة ٦ - لوحة صغيرة
من عهد الدولة الوسطى

وكانت المزارع تزخر بأسراب الأوز والبط ، ولكن علينا هنا ان
نتوقف عن ترديد وسرد أنواع الكائنات الحية التى اسهمت فى لذائد
الحياة الفرعونية لنوجه اهتمامنا الى موارد لا تدب فيها الحياة من الثروة
المصرية .

(١) Stéle كلمة يونانية تعنى عمودا من الحجر ويستعمل فى علم الآثار المصرية
للأدوات الشائعة التى كانت تستخدم فى المناظر والنقوش الجنائزية أو التذكارية وهى فى
أغلب الأمر ذات قمة مستديرة (انظر شكل ٦) .

ان الحجر الجيري الرائع من مصر الوسطى وبخاصة من محاجر طره المقابلة لأهرام الجيزة استخدم لتشييد كل المعابد والمقابر في العصور القديمة ما دامت لم تصنع من اللبن المجفف في الشمس وتنحت في جرانيت الشلال وانه لما يدعو الى بعض العجب ان الحجر الرملي الاقل جودة استطاع أن يحل محله ابتداء من الدولة الحديثة (حوالي ١٥٠٠ ق.م) اما الاحجار الاغلى والاصعب ممارسة فقد استخدمت في صناعة توابيت الملوك والنبلاء وبوابات وأعمدة أضرحتهم وهياكلهم وكانت لهفتهم أكثر ما تكون على الجرانيت الاحمر الذي يستجلب من الجندل الأول ولم يكن الجرانيت الرمادي بأقل قيمة في نظرهم .

أما القيمة المعروفة للبازلت الذي يستجلب من الصحراء عند قفط فتؤكددها نقوش الصخور عند وادي الحمامات (١) . وإلى الشمال توجد محاجر عدة كان يؤتى منها بالمرمر ذى اللمعة نصف الشفافة الذي كانوا يفضلون استخدامه لصنع الجرار والأواني من كافة الأشكال والأحجام منه ولأغراض البناء الأخرى ، وكان الكوارتز الذى يميل لونه الى الحمرة يستجلب من الجبل الأحمر شمال شرق القاهرة وهو أكثر صلابة ويعد من أجمل أنواع الاحجار التى حاول المصريون نحتها بنجاح . ولم يكتشف الا حديثا - نسبيا - على مبعده أربعين ميلا شمال غرب «أبو سمبل» مصدر الديوريت الذى صنع منه التمثال الرائع لكفرين في متحف القاهرة (٢) . وهناك أحجار أخرى جميلة جىء بها من تخوم مصر مثل البرشيا واليشب والصوان والشمست . والحق أنه لا يوجد فى العالم أجمع من كانوا أمهر من المصريين فى معالجة الأحجار حتى ليعد الكمال الذى وصلت اليه الألوان التى لاتعد وكذا الجرار والصحاف وغيرها مما وجد بالهرم المدرج معجزة تعدل الهرم الأكبر نفسه .

وقد استخرجت المواد سالفة الذكر اما من بعض الأماكن فى الوادى نفسه أو من الصحراء التى لاتبعد مسيرة يومين . وكان فى استطاعة قوم لهم هذا التنوع من الموارد ان يجرؤوا أضخم الكتل حتى النيل ومع ذلك فانه كان لايزال هناك بضع مئات من الأميال للوصول الى الموقع المزعم استخدام الحجر فيه . وكان النهر نفسه أكثر العوامل المساعدة فضلا على النظام الاقتصادى المصرى ، ذلك لأن الرحلات البعيدة فى البلاد كانت تتم بواسطة المراكب ، وكان هؤلاء الأقدمون يبلغون درجة من

Ann. Serv. XXXVIII, 127 ff. (١)

P M VII, 274. (٢)

المهارة في بناء السفن تعدل تفوقهم في كافة الفنون العملية الاخرى ٠٠٠ ومع ذلك فان أخشاب بناء السفن كانت ضرورة أولى وكان عدم كفايتها معيبا ولكن الموقف لم يكن بالسوء الذي يصور به أحيانا لأنه رغم ان المناخ في الوادي لم يتغير خلال خمسة آلاف عام فان مرتبة الكفاية في البرى قد تغيرت ، وحيث تقوم الآن حقول غقط ، كانت هناك على الأرجح أشجار أكثر مما يرى اليوم ٠٠٠ ولكن الحاجة تبدو واضحة من ناحية الكيف لا الكم بالنسبة للأخشاب ، فالنخيل مثلا - وهو شائع في مصر في مختلف العصور - كان تقريبا عديم النفع للبناء اللهم الا لصنع السقوف كما أن أخشاب نخيل الدوم لم تكن مرغوبة كذلك ومن هنا كانت أهمية تلك الرحلات الدائمة الى ببلوس التي سلفت الإشارة إليها . ونصوصنا مليئة بالإشارات الى خشب « عاش » الذي كان يؤتى به من لبنان ، ولقد أصبح التنديد بترجمة الكلمة الى « أرز » شائعا واستبدالها بكلمة « صنوبر » ولكن اذا كان يمكن الاعتماد على نطق المختصين المتأخرين وهو غير غامض تماما فاننا قد نستطيع ان نقنع أنفسنا بالألا نكون أكثر خطأ من بليئى وأن نتشبت باستخدامه لكلمة « سدروس » لتشمل العرعر وغيره من الصنوبريات . ولكي نورد على سبيل المثال واحدا من أقدم ماذكر في نصوصنا يشير الى أربعين مركبا بحرية محملة بال « عاش » جئ بها الى مصر في سنة واحدة من حكم الملك سنوخرى من ملوك الأسرة الرابعة (حوالى ٢٦٢٠ ق.م.) (١)

ولكننا نقرأ كذلك عن سفن من السنط صنعت في النوبة السفلى بقصد نقل كميات كبيرة من الجرانيت عبر الجندل الأول لاستخدامها في هرم الملك مرنرع (٢) ونحن نسمع في مناسبة أخرى كذلك عن سفينة تم بناؤها على ساحل البحر الأحمر بقصد القيام برحلة الى بوينه (٣) .

وانا لنعلم منذ عصور بالغة في القدم ان التملك على الذهب كان يعد مرادفا للثراء وقد بزت مصر في تملكه كل جيرانها وكان المعدن النفيس متوفرا في الصحراء الشرقية في الرمال الفيضية والحصى وكعروق في صخور الكوارتز على السواء ولم يكن ضروريا مدى عصور طويلة السعى وراء البحث عنه مبعدين جنوبا من خط عرض قفط ولم يحدث ذلك الا حين بدأت الكميات في المناجم تشح أو ان العمل أصبح بالغ المشقة ومن ثم انتقل التعدين الى النوبة السفلى وما وراءها . وهناك

B A R I § 146. (١)

Op. cit., I § 324. (٢)

Op. cit., I § 360. (٣)

بردية فى متحف تورينو تتناول بالوصف الطريق الى واحد من اقاليم الذهب وهذه هى أقدم خريطة فى العالم من غير شك . اما الموقف بالنسبة للفضة فأقل وضوحا ؛ ذلك لأن مصر - بقدر ما نعلم - لم يكن بها فضة أو خام الفضة رغم ان الذهب المصرى يحوى فضة بنسب متباينة . وليست هناك وثيقة تسجل لنا ان كان الأقدمون قد استطاعوا ان يستخرجوا الفضة من الذهب ويرى البعض ان ما سمي فى النصوص القديمة « حدج » (الذهب الابيض) كان فى الواقع سبيكة طبيعية باهتة اللون اعتبرت كمعدن مختلف عن الذهب وقد اطلق اليونانيون على مثل هذه السبيكة من الذهب والفضة « الكتروم » ويسعمل علماء الدراسات المصرية غالبا تلك الكلمة لترجمة الكلمة الهيروغليفية « جام » التى تبدو على أية حال كأنما هى تعبير أكثر دقة من كلمة ذهب (نوب بالمصرية) ومن المؤكد كذلك ان « حدج » كانت تعنى فى العصور المتأخرة الفضة الحقيقية . ومنذ الأسرة الثامنة عشرة (القرن السادس عشر قبل الميلاد) كان يذكر باستمرار انه يؤتى بهسا من سورية وبابل وبلاد الحيثيين فى آسيا الصغرى . وبعد ، فربما كانت تستورد حتى فى العصور القديمة .

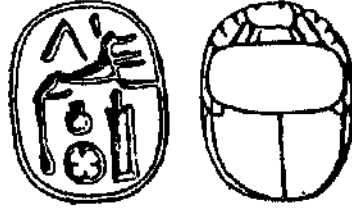
وهناك بعض الابهام فيما يتصل بالنحاس كذلك وقد كان شائع الاستعمال نسبيا حتى قبل عهد الأسرات ، وبعد عصر « مينيس » أصبح معدنا لا يمكن الاستغناء عنه يستخدم فى الأدوات والأسلحة . وتوجد خامات النحاس مثل الدهنج والزربرد فى الصحراء الشرقية وان لم يكن ذلك بكمية تكفى لتمد أكثر من الحاجة البدائية . وهناك مع ذلك مناجم واسعة فى شبه جزيرة سيناء ليست بعيدة عن الموقعين : « وادى مغارة وسرابيط الخادم » حيث تسجل نقوش كثيرة زيارات الحملات المصرية سعيًا وراء الفيروز . ومن عجب ان الفيروز وحده هو الذى يحظى بالذكر ولكن - لأسباب كثيرة - نجد ان كلمة « مافكة » المصرية لا تستطيع بالكاد ان تعنى شيئا آخر . ومنذ عصر الأسرة الثامنة عشرة يشار الى سورية كأنما ترسل جزية من النحاس وربما جىء ببعضه كذلك من قبرص أو كيليكيا .

أما الحديد فليس هناك من شك فى أنه استخدم فى الأدوات حتى أول الألف الثالثة قبل الميلاد ويشير وجود خنجر له سلاح من الحديد (١). مزين زينة رائعة فى مقبرة توت عنخ أمون الى المركز الممتاز الذى احتله ذلك المعدن . وقد عثر على حبات من الخرز من أصل شهبى فى واحدة من

مقابر جرزة من عصر ما قبل الأسرات ٠٠٠ وكان يعثر من وقت لآخر في مناسبات متفرقة على الحديد أو المعادن الشهبية أو غيرها وإن كان هذا غير ذي بال بالنسبة لنا ، خاصة ولأننا نقدم صورة عامة غير كاملة للثروة المصرية ومن أجل ذلك فسوف لا نناقش أمر الرصاص والصفائح اللذين يمكن الرجوع اليهما في كتاب « لوكاس » الذي يعد مرجعا أساسيا في هذا المضمار .

ولم تكن توجد بمصر أحجار كريمة بالمعنى المفهوم من هذا الاصطلاح اليوم ذلك انه كان يكفي صناعة الحلي من اللآلئ والفيروز والجمشت (الياقوت ! الاماتست) والعقيق وغيرها وربما كان استخدام هذه الأحجار أقل بهرة للناظر وإن لم يكن أقل جاذبية وذلك لأنها كانت لامعة ومصنوعة بمهارة فائقة . وقد تم انتاج التزجيج من عصر ممعن في القدم ويستطيع هواة المجموعات ان يدركوا القيمة العالية للقاشاني الأبيض والأخضر في مصر . وكان الحصول على الزجاج أقل سهولة بكثير ، وهناك نماذج منها غير كثيرة رغم العثور على أوان من الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة استطاعت ان تجد طريقها الى متاحفنا .

وقد كان من الطبيعي في أرض بها الوفير من الموارد الطبيعية وتنطور فيها الحرف سريعا بهذه الدرجة العالية من الكفاية ٠٠٠ كان من الطبيعي ان يوجد بها الكثير الذي يصلح للمقايضة مع الأجانب . وقد عثر على كثير من الصور وخاصة في مقابر النبلاء في طيبة لسوريين ونوبيين بل كريتيين حيث يحضرون ثرواتهم المجلوبة (الأجنبية) لتقديمها للملك . وكانت هذه تمثل دائما كأنما هي جزى أو هبات ولكن من الصعب ان تكبت شبهة ان الدفع بالذهب كان هو النظام السائد . ولقد كانت التوبة مصدر الابنوس والعاج الى جانب جلود الفهود وذيول الزراف وريش النعام والقروود ٠٠ الفخ وكانت يونيه - كما رأينا - أرض المر والتوابل . واما سورية فكانت تجيء منها الأواني ذات الأشكال الغريبة والسيوف والخوذات والعربات والاعنة من الجلد . وهناك أدوات أخرى من الواضح انها من أصل مينووى يجيء بها أحيانا كريتيون يلبسون نقبا ملونة وتحلى رموسهم خصلات شعر مecedة تثير الابتسام . وهناك صورة من الجزية تدعو الى الأسى تتمثل في الأطفال الصغار المخلقين كرهائن ٠٠٠ ولكن الى جانب هذه المساهمة المباشرة من شعوب



شكل (٧) جعل نموذجي

ارتبط بها المصريون ارتباطاً مباشراً نلتقى بمواد ذات أهمية فكتيرا ما عثر في الحفائر على الجعول (١) والأشياء الأخرى من اللازورد ، وليس هناك حجر شبه كريم تردد ذكره أكثر منه في النصوص ، ومع ذلك فإننا لا نعرف له من مصدر أقرب من الحبشة أو أفغانستان . وأما ما يعرف باسم الكهرمان فقد لا يكون سوى راتنج مصنوع . أما المعدن الشديد السواد المعروف باسم الأوبسيديون (سبج) فمثل طيب لما يقوم النزاع أو المناقشة حوله هنا ، ذلك لأن هناك نظريات متعارضة عن أصله فالبعض يرى أنه جيء به من الحبشة ، بينما يرى آخرون أن مصدره أرمينيا ، ويبدو أنه في عصور ممعنة في القدم تسبق ذكرياتنا التاريخية كانت التجارة تدور في فلك أوسع مما نستطيع ان نتخيل .

(١) الجعول (شكل ٧) هي تقليد من القاشاني أو أية مادة أخرى صلبة يستغساء المصرية *Scarabaeus sacer* وكانت تستخدم كتميمة أو ختم . وقد يحمل السطح المستوي السفلى اسم ملك أو موظف أو نقش زخرفي ، والجعل من الناحية الرمزية (والاسم المصري له هو شبرور) يمثل « النمو أو الصيرورة » وهو في صحبة المرميات يمثل القلب الذي يعد المعضو الحساس في الجسم .
انظر Eg. Gr. pp. 268-9 وآله خبري يرمز الى الشمس المشرقة .

مراجع مختارة

الأرض :

- K. Baedeker, Egypt, 8th ed. 1929
J. Ball, Contributions to the Geography of Egypt, Cairo, 1939 ; id. Egypt in the Classical Geographers, Cairo, 1942

المدن وأسماء الأماكن الأخرى :

- H. Gauthier, Dictionnaire des noms géographiques, 7 vols., Cairo, 1925-31
A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, 3 vols. Oxford, 1907

الشعوب الأجنبية :

النوبة والسودان :

- T. Säve-Soderbergh, Agypten und Nubien, Lund, 1941 ;

ليبيا

- W. Hölscher, Libyen und Agypten, Glück stadt, 1937

الجيران الشرقيون

- W. Max Müller, Asien und Europa, Leipzig, 1893

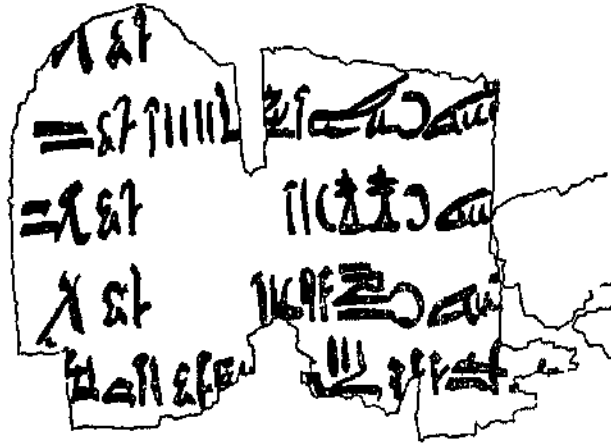
وقد تقدم به العهد ولكنه لا يزال مفيدا .

قنوات مصر :

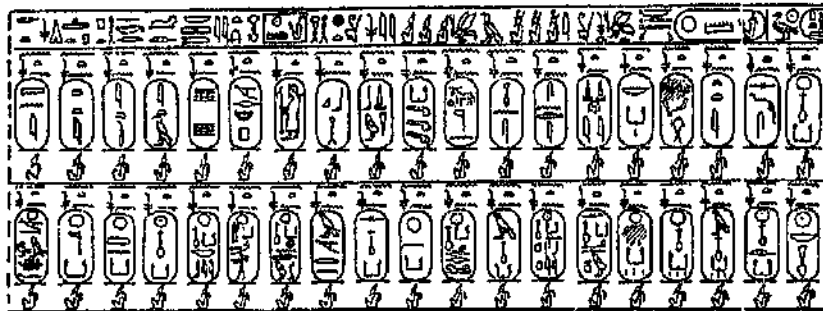
- A. Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries :
3rd. ed. London, 1948

٤ أسس التاريخ المصري وطبيعته

كان أول واجب على من جاءوا بعد شامبليون ان يضعوا النظام الحقيقى لملوك ما قبل العصر البطلمى وسرعان ما أدى بهم فك الرموز الى رد الاعتبار أو على الأقل رد الاعتبار الجزئى للكهنة المصرى مانيتو ، وكان الاحترام الذى استشعر قبل هيودوت وديودور قد ألقى جانبا من الظلال عن تلك المعلومات التى تستحق تقديرا أكبر، وهى التى قدمها العالم المعاصر الأول بطلميوس (٣٢٣ - ٢٤٥ ق م) وقد أخذ مانيتو على عاتقه أمر تدوين تاريخ لملوك المصريين الذى - بخلاف الفقرات الكثيرة التى نشرت ومن ثم حفظت على يد المؤرخ اليهودى جوزيفس (٧٠ م) - لم يبق منه سوى مختصر مشوه فى مؤلفات المؤرخين المسيحيين : سكستوس جوليوس افريكانوس (فى أول القرن الثالث الميلادى) ويوسيبوس (من أوائل القرن الرابع الميلادى) ثم هناك جامع متأخر يدعى جورج الراهب المعروف بـ « سنسللوس » ، (حوالى القرن الثامن) أسهم اسهاما كبيرا فى أمر نقل هذه المعلومات . ويقسم مانيتو فى مؤلفه التاريخ الكامل لمصر - بعد حكم الآلهة وأنصاف الآلهة - الى احدى وثلاثين أسرة من العائلات الملكية تبدأ بمينيس وتنتهى بغزو الاسكندر الاكبر عام ٣٣٢ ق.م. ورغم كل عيوب هذا التقسيم الى أسرات فانه اتخذ جذورا ثابتة فى تراث دراسة المصريات بحيث لم تعد هناك فرصة للتخلى عنه - وفى الصورة التى وصل اليها الكتاب بها نلتقى بأشياء غير مضبوطة بدرجة واضحة تصل الى ذروتها خلال الأسرة الثامنة عشرة حيث أصبحت الأسماء والتسلسل التاريخى معروفين لدينا من مصادر أثرية لا يرقى اليها الشك . هذا وانا لنجد ان افريكانوس ويوسيبوس قلما يتفان فافريكانوس مثلا يعطى تسعة أسماء لملوك الأسرة الثانية والعشرين ، بينما لا يسجل يوسيبوس سوى ثلاثة أسماء . وقد نجد ان كل ما يصل اليها أحيانا هو عدد ملوك الأسرة (كما هو الحال فى الأسرات ٧ ، ١٠ ، ٢٠) والمدينة التى نشئوا بها - أما الأسماء الملكية فهى عرضة للتشويه بصورة لاتصدق فـ « سنوسرة الأول » من ملوك الأسرة الثانية عشرة جعل مشابها فى اسمه « سيونكوسيس » لاسم شوشنق الذى جاء بعده بألف



جزارة من قائمة توريث الملكية



جانب من جدول ابيدوس



جانب من جدول سقارة

شكل رقم (٨) نماذج من القوائم الرئيسية الثلاثة

عام ، أما طول مدة الحكم فتختلف غالباً في النصين كما تبدو خلافات كثيرة في الاسماء المؤكدة تماماً . وقد ثبت من مراجعة النصوص وعمل النقاد الآخرين الذين بذلوا أقصى الجهد لديهم - ان خيرا أو شرا - ان اعادة هيكل ما كتبه مانيتو يظل مشوباً بنواحي النقص بل ان من الامور التي تثير الاهتمام حقا قصة امنوفيس والمجدومين التي نقلها عنه جوزيفوس وكذا قصص الاحداث الغريبة التي تنسب الى بعض الملوك التي تبين انه أفاد لا من المصادر الموثوق بها فحسب بل كذلك من الروايات الشعبية التي تخلو من القيمة التاريخية ومع ذلك فان كتابه لا يزال يسيطر على دراساتنا ، وربما يخبئ لنا بعض المفاجآت كما حدث منذ بضع سنوات حين عثر فجأة على اسم ملك مجهول يدعى « نفرخيس » - كان قد وضعه في الأسرة الحادية والعشرين - على اناء صغير من تانيس . (١)

وقد قاد شامبليون نفسه أمن تبرير ما كتبه مانيتو ، ففي الطبعة الثانية من مؤلفه المشهور Précis الذي نشر عام ١٨٢٨ م أعلن أنه عثر في آثار مختلفة على خراطيش الملوك المانيتونيين « اخوريس » و « نفريتس » و « بسامتكوس » و « اوسورخو » و « سسونخصس » و « رمسيس » و « توثموزيس » . (للأخيرين انظر صفحة ٢٧ المرسومة بها اشكال ٢) وكذا « امنوفيس » الذي اطلق عليه اليونانيون اسم « ممنون » وقد امكن بمعونة المؤرخ المصرى وضع هؤلاء جميعا في مكانهم الصحيح ، ولم تتوقف كشوف شامبليون عند هذه المرحلة ، ذلك ان نجاحه الكثير ، وفشله أحيانا ، يقدم قصة رائعة وان كانت قصة يصعب تفسيرها بل انه رغم وفرة المادة التي بين ايدينا اليوم لا يزال يتناولنا الشك بالنسبة لترتيب مختلف الحكام ، ولعل اسوأ المراحل جميعا ماسوف نعرفه تحت اسم العصرين الوسيطيين : الأول والثانى ثم ما بين الأسرات ٢١ ، ٢٤ ، ولقد امدتنا أحيانا النقوش التي تشمل عصور حكام متعددين ببعض المعونة ولكن أكبر ما ساعدنا هي قوائم الملوك التي علينا أن نقدم موجزا عنها الآن (٢) .

ان لدينا بقايا سفر اخبار حقيقى يشابه ما أورده افريكانوس ويوسبيوس عن مانيتو وذلك فيما يطلق عليه قائمة تورين للملوك (شكل ٨) والمتواتر أن البردية الهيراطيقية التي ترجع الى حوالى عهد

(١) P. Montet, Tanis, Paris (Payot), 1942, p. 164, with fig. 43

(٢) انظر المرجع فى آخر الفصل .

رسميس الثانى (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) كانت فى حالة تكاد تكون تامة حين توصل دروفتى للحصول عليها ، ومع ذلك فانه حين بدأ شامبليون ينقب فى ثنایا المخزون من الجزازات الكبيرة التى انتقلت ملكيتها الى متحف تورين اتضح له ان هذه الوثيقة التى تعد أثمن الوثائق المصرية قاطبة لم يبق منها سوى خمسين قطعة هى فى معظم الحالات ناقصة ، وتقدم على الأكثر ما بين ٨٠ ، ٩٠ اسما ملكيا . وبعد ذلك بعامين أى فى عام ١٨٢٦ نرى العالم الالماني جوستاف سيفارث الذى تناوله الشك فيما قدم شامبليون من نتائج يبدأ من جديد فى جمع الجزازات ويضم ما يستطيع ضمه منها بعضه الى بعض وقد عمل منفردا فى معالجة الألياف ومواضع سطور الكتابة على الوجهين حتى توصل الى النتائج الهامة التى تناولها تعديل ملحوظ منذ ذلك الوقت . ويبدأ سفر الاخبار - مثل مانيتو - بالآلهة وأنصاف الآلهة الذين تنسب اليهم مدد حكم أسطورية ، وهو يتفق وما جاء فى مانيتو والكتاب الكلاسيكيين من الاصطلاح على وضع مينيس مؤسساً للملكية المصرية واما بقية المستند فمجرد قائمة من الأسماء الملكية تبدأ به وتلى كل اسم اشارة بطول مدة الحكم والعمر ولا يقطع هذا السرد الا ذكر المجموع الذى يتفق والهدف نفسه الذى رعى اليه مانيتو من ناحية التقسيم الى اسرات وان كانت النقط التى تبدأ عندها أسرة جديدة لا تتفق دائما تماما فى المصدرين - وأما عدد الملوك فيكاد يكون واحدا فيهما : فبردية تورين تورد للست أسرات الأولى اثنين وخمسين اسما . بينما يورد مانيتو تسعة وأربعين، وأما بالنسبة للأسرة الثانية عشرة فكل من المصدرين يقدم سبعة أسماء وبعد هذه الأسرة تأتى قائمة ملوك لا يحكمون سوى فترات قصيرة لا يورد لهم مانيتو ذكرا وتلى ذلك جزازات قليلة تحوى أسماء القليل من الدخلاء الأجانب المعروفين بالهكسوس (انظر فيما بعد صفحة ١٦٩) . ولكنها تقدم مع ذلك بعض أسماء غريبة حتى ل يبدو كأنما لا تمت بصلة للملوك حقيقيين .

وبمرور الزمن ظهرت قوائم ملكية أخرى تكمل مانيتو وبردية تورين وأهمها ما عرف بجداول أبيدوس (شكل ٨) (١) المنقوش على جدران المعبد الكبير الذى يعد أروع مما يستطيع الزائر لمصر أن يراه ، والمنظر يمثل الملك سيتوس الأول (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق م) مصحوبا بابنه الأكبر رسميس وهو بصدد تقديم القرابين الى ستة وسبعين من

(١) . (230) - (229) PM VI 25

أسلافه الذين لا تقدم صورهم الشخصية وإنما تمثلهم الخراطيش التي كتبت بداخلها أسماءهم بالهيروغليفية ٠٠ وهنا مرة أخرى يتصدر مينيس القائمة ٠

وأما جدول سفارة شكل (٨) (١) فقد عثر عليه عام ١٨٦١ في مقبرة منف لأحد رؤساء الأشغال ويدعى جونيري وكان يحوى أصلاً خراطيش سبعة وخمسين ملكاً يمجدهم رمسيس الثانى ولكن تلفاً بالجدار أنزل العدد الى خمسين اسماً ، وأما جدول الكرنك (٢) المنقوش فى معبد طيبة الكبير الذى يحمل هذا الاسم ويرجع الى عهد توتموزيس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) فيحوى ٦١ اسماً لم يكن من المستطاع مطالعة أكثر من ثمانية وأربعين اسماً من بينها تماماً أو جزئياً عند الكشف عنها (١٨٢٥) ولكن هذا الجدول الهام من ناحية ذكر عدد من الحكام الذين لانجدهم فى غيره يعيبه عدم ذكر الملوك فى ترتيبهم المتتابع الصحيح ٠

وأما الهدف الذى صنعت من أجله هذه الجداول الثلاثة فلم يكن يستدعى وجودها كاملة ولم يسجل بها سوى الملوك الذين اعتبروا شرعيين أو رثى انهم يستحقون التمجيد ومن أجل ذلك استبعد حكام الهكسوس للأسرات ١٥ - ١٧ ، كما استبعد الملك اخناتون وخلفاؤه المباشرين الثلاثة ، ومع ذلك فإن هناك مظاهر فى اختيار الأسماء تتحدى كل تفسير ، فمن المفهوم ان يعنى جدول الكرنك عناية خاصة بالأسرة الحادية عشرة ثم بأسلاف اموزيس (عحموزه الأول) طارد الهكسوس مادام هؤلاء الحكام قد جاءوا من اسرات طيبية ولكن لماذا يذكر جدول ابيدوس عدداً من صغار ملوك الأسرة الثامنة الذين يرى من نقلوا عن مانيتو أنهم لا يستحقون الذكر بينما لا يرد ذكر مطلقاً للحكام فى الأسرات ١٣ - ١٥ وهم والآخرون يتساوون كذلك فى عدم الأهمية ؟ ، كما انه ليس من الواضح أن جدول سفارة يغفل أسماء الملوك الخمسة الأول للأسرة الأولى ويبدأ المجموعة باسم مينيس ٠٠٠ انه لما يدعو للأسف حقاً انه ليست هناك قائمة ملوك بعد عهد رمسيس الثانى الابن الأكبر وخليفة سيتوس الأول مادامت الأسرة التاسعة عشرة تنتهى بمشاكل ضخمة ، كما ان الأسرات ٢١ - ٢٣ لاتزال كذلك صعبة المراس ، وان اهم ما يماثل قائمة الملوك حقاً من عصر متأخر عن العصر

(١) PM III.192.

(٢) المرجع السابق II, 42

الذى ذكرناه من قبل هو تتابع الملوك المتصل بسلسلة طويلة من الكهنة المنفيين الذين يزعمون انتسابهم الى أسرة واحدة فهنا ينتسب أقدم الملوك الى نهاية الأسرة الحادية عشرة ، وأما آخرهم فهو شوشنق من الأسرة الثانية والعشرين (١) .

وقد حال دون تحقيق الاسماء فى قوائم الملوك ومطابقتها بالاسماء التى أوردها مانيتو أنه كان لمعظم الملوك - كما ذكر شامبليون - خرطوشان لا خرطوش واحد ، وهكذا نجد أن قائمة أبيدوس تذكر غالبا الاسم الدينى والملكى بينما يفضل مانيتو ذكر الاسم الملكى ، وقد أمكن التغلب تدريجيا على هذه الصعوبة بالعثور على النقوش التى تجمع بين الخرطوشين . . . هذا الى انه خلال الفترة التى بدت فيها الحضارة المصرية فى اكتمالها كانت الالقاب الملكية اكثر تعقيدا حتى بلغت على الأقل خمسة أسماء متميزة (٢) .

وهناك لوحة تذكارية من عهد الملوك الفاتحين فى مصر يتصدرها النص التالى : -

الحياة لحوريس « الثور القوى الطالع فى طيبة »
السيدتان « الخالد فى الملكية مثل رع فى السماء »
حوريس الذهب « الرائع فى القوة المقدس فى مظاهره »
ملك مصر العليا والسفلى « من خبر رع »
ابن رع « دحوتومزة حاكم الحق » المحبوب من أمن رع الذى يشغل
الرئاسة فى ابيت اسوه (الكرنك) .
ليحيا الى الابد . . . لقد أمر الملك نفسه . . . الخ




وهذا اللغو الذى يبدو غير مفهوم يفقد بعض قدسيته بالنسبة للقارئ الحديث حين يدرك ان العناصر الخمسة التى تسبق الاسماء الفردية المحصورة بين شولات تشير الى الالقاب أو النعوت المشتركة بين كل الفراعين وتسجل فيما عدا الحالة الرابعة - علاقته بمعبود أو ببعض المعبودات ، ومن ثم فان تعبير : حورس « الثور القوى الطالع فى طيبة » تشير الى ان توثموزيس الثالث - نحن نشير عادة الى دحوتومزة باسمه المائيتونى - كان إعادة تجسيد للاله الصقر حوريس فى المظهر المشار اليه ، وان الكلمات التالية للنعوت غير المألوف « السيدتان » (نبتى

Borchardt, Mittel, pls. 2, 2A. (١)

Eg. Gr., pp. 71 ff. (٢)



شكل رسم (٩) - اسم الملك اموزس
على الـ « سرخ » (واجهة القصر)

باللغة المصرية ويكتب  بالهيراوغليفية (يشير الى صيغة معينة لحامل الاسم الثاني بحيث يعد تحت حماية « نخبة » و « ادجو » وهما العقاب والصل (الكوبرا) اللذان يرعيان مصر العليا والسفلى على التوالى - اما أسماء « من خبررع » و « دحوتموزه » حاكم الحق فهما الوحيدان من بين الخمسة داخل الخراطيش وأولهما ماقلنا عنه من قبل بأنه اللقب ، واما الثانى فهو الاسم وتسبق اللقب بالهيراوغليفية  التى تنطق انسبيا (١) ، على لوحة بابلية وترجمتها الصحيحة على حجر رشيد هي « ملك الاقاليم العليا والسفلى » اما الاسم فتسبقه  التى تشير الى انه هو « ابن اله الشمس » ولكنه يحتفظ باسمه الشخصى الذى كان يحمله قبل ولاية العرش .

وهناك خاصية للاسم الحورىسى هو أنه يكتب غالباً عمودياً فى مستطيل بالتكسية ذات الفجوات التى تميز المباني الأولى من اللبن ويعرف هذا الرسم لدى المصريين تحت اسم « سرخ » ومن الواضح انه يمثل واجهة القصر الذى يشغله الملك كتجسيد للصقر الذى يشاهد . وهو

يقتضيه أو يقبع فوقه (شكل ٩) - وتدعونا هذه المناسبة لمعالجة اصطلاح « فرعون » : لقد جاءتنا هذه الكلمة من التوراة فهي ترد في قصص يوسف وموسى كمصطلح عام للحاكم الذي يحكم مصر ، وفي سفر الملوك الثاني يذكر حاكم من الأسرة السادسة والعشرين كأنما هو « فرعون نكو » بإضافة الاسم الشخصي كما كان يحدث أحيانا في التراث الأدبي الوطني منذ عهد الأسرة الثانية والعشرين - أما بالنسبة لأي ملك قبل عهد الأسرة الثامنة عشرة فإن استخدامنا بالانجليزية للاصطلاح يعد بمثابة خطأ في تسلسل تواريخ الاحداث ، وليس هناك من مبرر مطلقا لكلمة الجمع « فراعين » رغم اننا لانود ان نتخلى عن هذه التسمية المريحة والتي استخدمناها في الواقع كعنوان لهذا الكتاب . اما الكلمة المصرية الاصلية فهي « برعو » وتكتب  وتعني ببساطة البيت الكبير ، وكانت طريقة من بين الطرائق الكثيرة التي تشير الى القصر الملكي . ثم حدث خلال عهد ثوتموزس الثالث أن الاصطلاح بدى في اطلاقه على الملك نفسه كما كان يطلق اسم الباب العالي على حكومة العثمانيين من سلاطين القسطنطينية وقد انتقلت كلمة « فرعون » الى الكتابات العبرانية ومنها الى مفردات لغتنا .

لئن كانت لقارئ هذا الكتاب معرفة سابقة بعلوم المصريات فانه سيصدم من غير شك حين يتصفح قوائم الملوك في نهاية هذا الكتاب وذلك حين يجد بعض الأسماء تقدم في صورة تخالف ما اعتاده من قبل والامر يدعو للأسف حقا ولكنه ضرورى في الوقت نفسه وهو لحد ما مرغوب فيه كذلك ، وعلى أية حال فانه يشهد بالمظهر التقدمي لعلومنا واحجامها بالدليل الواضح عن تقبل قراءات غير سليمة فالاسم المعروف نوتمس في مكان الاسم الذي تقدمه (ثوتموزس) أو الذي يقدمه برستد « ثوتموزه » هو خطأ يجب أن يهجر بغير هوادة وليس هنا مجال الدفاع عن اختيارنا ويكفى أن نقرر المبدأ العام وهو استخدام الصيغ التي ذكرها مانيتو حين تشبه شبحا كافيا ما تقدمه الهيروغليفية ، فلئن لم يكن الأمر كذلك - فاستخدام الهجاء الذي يأخذ في الاعتبار قواعد النطق التي تقدمها القبطية ومع ذلك فليكن مايلى مفهوما : انه في اندر الحالات الممكنة - وبخاصة حين نلتقى بالمسمارية البابلية - نستطيع ان نعرف النطق الصحيح المعاصر .

ومع ذلك فانه ان اكتملت الاستعانة بقوائم الملوك وكذا المصادر الفرعونية الباقية فان الهيكل العام الذى يشتمل الأسرات فى التاريخ المصرى يكشف عن فجوات مؤسسية ومعلومات تتناولها الكثير من الشكوك، ولئن صح ذلك بالنسبة للهيكل فكم يكون أكثر صدقا بالنسبة للجسد والدم الذى نتمنى ان نكسوه به . واما النصوص التاريخية الطويلة نسبيا فهي فى ندرة الجزر المنعزلة وسط المحيط ، ونستطيع ان نتخيل أهمية كثير من الملوك من وراء العديد من اللوحات (١) والجعول (٢) التى تحمل اسماءهم ، ويجب ألا ننسى مطلقا اننا نتناول حضارة تمتد لآلاف السنين لم يبق منها سوى مخلفات ضئيلة ، واما ما يذاع فى فخر من انه تاريخ مصرى فليس فى الواقع سوى مجموعة من الخرق البالية ، ويجب أن نبحث عن سبب معين لندرة المادة التاريخية الاصلية ذلك ان تسعة اعشار الحفائر المصرية تمت فى الصحراء حيث شاد الاقدمون « مساكن الابدية » لهم وحيث يحفظ الرمل الجاف اكثر الاشياء عرضة للتلف ومن هنا كان المظهر الجنزى السائد لمعظم ما يعثر عليه . وأما مساكن الاحياء التى كانت تبني عن قصد من مواد اقل قدرة على الاحتمال فكانت تقام فى وسط الارض الزراعية فالمدن والقرى النائية اليوم مبنية فوق انقاض العصور السابقة ، وحين كانت تنهار المنازل المبنية من اللبن كانت تحل محلها منازل أخرى تقام فوقها ، وهكذا يرتفع مستوى الارض مرة بعد أخرى فوق منسوب الفيضان ، ومن هنا جاءت اصطلاحات « كوم وتل » وكلتاها كلمتان عربيتان تعنيان « ربوة » وكثيرا ما نلتقى بهما فى تركيب اسماء الأماكن فى مصر الحديثة ، وانه لمن الخرق ان نقوم بالحفر فى الاخصاص الحديثة ومن غير المجدى ان يتم ذلك فى أرض رطبة أو حيث يستطيع الماء أن يتسرب فى سهولة فالبطل فى الواقع هو السبب الرئيسى فى ندرة الوثائق من البردى وهو - اكثر من ذلك - اكبر الصعاب التى تجابه الحفارين ، ومن ثم كان العمل فى الدلتا بحيث لم يستطع ان يعوض - كقاعدة - كثرة النفقات ، كما ان تفاوت المعلومات المتصلة بشطرى البلاد عامل يجب الا يغيب عن ناظرنا ومع ذلك فالحق يقال ان هذا التعميم عرضة للاستثناء . فبوابستس وتانيس مدينتان كبيرتان فى الشمال قدمتا نتائج هامة وان كان معظمها من آثار من الحجر استطاعت ان تقاوم عامل الماء وبالمثل كذلك المعابد الرائعة فى الجنوب : الاقصر والكرنك التى تقوم على الارض الزراعية على مرمى حجر

(١) انظر صفحة ٥٧ .

(٢) انظر صفحة ٦٢ - ١ .

من النيل ٠٠٠ وفي الكرنك بالذات نلتقى بالكشف العظيم لـ « ليجران » عام ١٩٠٥ وهو الكشف الذى اخرج لنا مئات كثيرة من التماثيل الفاخرة المنقوشة والذى تم بعملية فيها الكثير من المهارة والذكاء حتى اطلق عليها ماسبيرو تسمية « صيد التماثيل » ولو ان عيوب الكم فى وثائقنا كان يعوضنا عنها تفوق الكيف لكان ذلك أمرا طبيعيا . ولكن مع الأسف ان الأمر ليس كذلك ، ومع ذلك فلكى نتعجل النقد من ناحية ان العرض الذى نقدمه يدعو الى تشاؤم غير لائق فلنسلم على الفور بأن جزالة التعبير والثراء فى اللمسات الانسانية فى المستندات المصرية تفوق كثيرا نظائرها من بلاد الشرق القديم ، وان كل ما سنتناوله هنا يشير الى كفايتها من وجهة النظر التاريخية البحتة ، والتاريخ الحقيقى لا يدرك بغير معرفة للعلاقات الشخصية ، وفي مصر نفسها نرى أن رواية الاخبار لايام العرب تقدم فى اغلب الامر مشهدا مستمرا للعداوات المريرة وللصراع العائلى والطائفى وللعنف وسفك الدماء ٠٠٠ هذا ان ذكرنا أكثر المظاهر قتامة - وفى العصر الفرعونى لم يكن من الممكن ان يكون الأمر غير ذلك أو نحن على أية حال - يجب ان نتجاوز الى حد كبير عن الروايات المشوشة للمآثر الايجابية التى تكاد تتشابه ، وانا لنلجأ الى الاستنتاج اكثر منا للحقيقة البينة حين نتحدث عن الصراع بين الملكة حاشبسوه وزوجها الصغير ، ونستطيع أن نرسم ظهور الحكام ، وكلهم حربيون أو على الأقل مجاهدون ٠٠ أولئك الذين تصدروا على التوالى أسرات ١٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، أما معلوماتنا عن المؤامرات التى أنهت حياة الملك أمنمس الأول وهددت على الأقل حياة رمسيس الثالث فترجع فى الحالة الاولى الى اشارات هى وليدة المصادفة فى نصين أدبيين منفصلين ، كما ترجع فى الحالة الثانية الى وجود نص حقيقى يسجل مصير المجرمين ، وعلى العموم فانه يمكن القول ان أى شر أو فشل فى سيرة الفراعنة كان يعنى بقمعه وهكذا نجحت هنا حتى تلك المعلومات التى تعطى للتاريخ لونه ومظهره ، وانها لحقيقة لا ذعة أنه رغم ان الخلق الشخصى والمصير كان يعنى باخفائهما جيدا فاننا لانزال نمتلك الاجساد المحنطة لعدد من الحكام (١) . وفى حالة واحدة فقط وهى التى تتصل بأخناتون قرابة نهاية الاسرة الثامنة عشرة نرى النصوص والنقوش تضعنا وجها لوجه أمام شخصية تختلف تماما عن كل الشخصيات التى سبقتها ولكن التقديرات المتفاوتة لهذا المجدد الدينى تؤكد الناحية التى توصلنا للهدف وهى الصورة ذات الوجه الواحد غير

(١) لمعرفة خبيطة الدبر البحرى المشهورة راجع صفحة ٣٤٧ - ٣٤٨ .

الحقيقى للحكام التى تطل علينا من ثنايا الوثائق التى خلفوها وراءهم .

وانه لمن العجيب أن نلاحظ كيف أن ضخامة ما وصل إلينا من النصوص التاريخية يتوقف على مدى النجاح الذى استتمعت به مصر من وقت لآخر ، وهناك فترتان متوسطتان كبيرتان تفصلان الدولة القديمة (الأسرات ٤ - ٦) عن الدولة الوسطى (الأسرات ١١ ، ١٢) ثم الدولة الوسطى عن الدولة الحديثة (الأسرات ١٨ ، ٢٠) التى تليها أربعة قرون من الاعتداء الأجنبى قبل أن تحل النهضة على يد حكام سايس (الأسرة ٢٦) واما بالنسبة للعصور الثلاثة المضطربة التى سلفت الإشارة إليها فان آثارها مشتتة ولا تقدم معلومات نافعة بل ان روايات الحوادث لاتزيد كما الا حين ترتقى أسرات جديدة من حكام أقوياء الى السلطان ، ومن الملاحظ ان السجلات الرسمية عن أعمال الفراعنة فى الدولة القديمة غير قائمة ٠٠٠ كان الملوك آلهة متعالين الى أبعد الحدود وأقوياء بصورة تجعلهم لا يهتمون برواية أعمالهم حتى تصل الى رعاياهم وكانت أهرامهم كافية لتقوم شاهدا على عظمتهم ونفس الشئ - مع درجة أقل - يمكن أن يقال عن الأسرة الثانية عشرة القوية التى خلفت لنا كمستند وحيد للدولة تقريراً عن بناء معبد هليوبوليس ، أمر « سنوسرة الأول » بتشيينه ٠ (١) وكذا حجر الحدود من إقليم الجندل الثانى الذى يحمل الإشارة الى التصوير المهيمن للعدو النوبى (راجع صفحة ٥٠-٥١) ولقد كان ملوك الأسرة الثامنة عشرة وملوك الأسرتين التاليتين أقل تعصبا فيما يتصل بالتمجيد الذاتى . وهذا يرجع من غير شك الى أنهم كانوا أصلا أمراء محليين صغاراً لم يكن لديهم منذ البداية - كما سنرى - عدم الرغبة فى ان يخلدوا على الحجر الاحداث الهامة خلال حكمهم ، وانا لنشهد اللوحات التذكارية تقام فى المعابد بناء على الأوامر الملكية وتكثر كثرة ملحوظة فى اخريات الأسرة السابعة عشرة وقرابة نهاية الأسرة العشرين، واما مجال الموضوعات فمحدود جدا ولعل أبرزها بناء هيكل لمعبود مفضل أو اخماد ثورة فى أرض مجاورة ، وهناك صورة تدفع للشك هى التنظيم المثالى الذى اعتادوا أن يعرضوا به رواياتهم ، ففرعون يستدعى حاشيته ويسألهم النصيح وهم يجيبون بحديث كله نفاق أو بنصح لا يستطيع مولاهم ان يتقبله وعندئذ يذيع خطته الحكيمة ومن ثم فان الحقيقة التقريبية لما يسجل بهذه الصورة تحتل الشك ومع ذلك فمن المؤكد ان هناك بعض التحريف فى طريقة العرض ، وهنا نجد مثالا للمسحة

المميزة المصرية للتفكير هي الارتباط العجيب بالتراث التقليدي بمقابلته بالواقع وهو أمر يؤكد الحرص على التعبير التقليدي بصورة لا نجد لها نظيرا في غير مصر من أنحاء العالم فليس هناك شعب آخر يبدى توفيرا أكبر مما تعارفوا عليه عند حديثهم عن « عصر الأسلاف » أو « عصر الاله » أو « المناسبة الأولى » وقد أدى هذا الحب لتمجيد القديم و (للتقليدى) أحيانا الى تمويه واضح - كان كل ملك مصرى يمثل كأنما هو غاز (فاتح) سواء كان ذلك فى الكتابات القديمة أو فى النقوش على جدران المعابد - واما النموذج فغالبا ما تلقاه فى العصور القديمة ، ويرى الفرعون وهو يمسك بمجموعة من الأجانب من نواصيهم وذراعه الأخرى مرفوعة الى أعلى لتهشم جماجمهم ، وأول طراز نلتقى به من هذا النوع هو اللوحة المشهورة ل « نعرمر » (لوحة ٢١) التى ترجع الى بداية الأسرة الأولى مع فارق بسيط هو ان ما يبدو فى هذه اللوحة أسير واحد وليس مجموعة من الأسرى ، وقد بلغ الأمر مداه أحيانا فى عدم الاكتراث بالحقيقة الى ابعاد سخيفة فمن هو ذلك الذى يستطيع ان يصدق ان توت عنخ آمون البالغ من العمر ثمانية عشر عاما يستطيع أن يقود مباشرة عربته ضد جيش اجنبى يقتل منه عشرين من الاعداء بسهامه التى يفوقها من قوسه أو انه يذبح بغيرعون من أحد مجموعة من الأسود ومع ذلك فان هذه المناظر منقوشة على الصندوق الرائع المنقوش الذى عثر عليه بقبره المشهور ٥٥٠ بل ان هناك أكثر من ذلك ، أن ملوكا معينين لم يأخذوا الأحجار بغير اكتراث من مباني اسلافهم فحسب بل ان كثيرا من النقوش القيمة والمناظر اختبأت كنتيجة لذلك وراء جدران المعبد الذى اصطنعوه لانفسهم بل انهم لم يترددوا فى ان ينسبوا لأنفسهم أعمال البطولة أو التقوى التى اختلسوها من غير شك من آخرين ، فالمعبد الجنزى للملك سحورع من الأسرة الخامسة يصف جماعة من الرؤساء الليبيين الذين جىء بهم كأسرى وهو يحدد عدد الماشية التى تم الاستيلاء عليها كغنيمة (١) والمنظر نفسه نلتقى به فى معبد بيوبى الثانى من الأسرة السادسة (٢) حيث يحمل الأمراء الليبيون الأسماء نفسها ثم فى مرة ثالثة نلتقى بهم بعيدا فى معبد نوبى من عهد الملك الاثيوبى تهرقا (حوالى ٦٩٠ ق م) (٣) ومن عصور متأخرة كذلك نجد بعض الصور الحربية

(١) Brachardt, Sahure, II, pl. I.

(٢) Jéquier, II, pls. 8, 9, II.

(٣) Kawa II, pl. 9, b.

لـ «رمسيس الثاني» (١) . كما تشبه قائمة القرايين في مدينة هابو نظيرتها في الرمسيوم (٢) ، ولم يقتصر هذا اللون من الاستعارة على الآثار الملكية وحدها بل اتنا ، نجد في طيبة في مقابر ثلاثة من الوزراء الممتازين نفس أسلوب الحديث من النصيح الموجه اليهم بمناسبة تعيينهم (٣) ، وانه لمن المستبعد جدا ان قراعين مختلفين استخدموا نفس الكلمات والتعبيرات حتى في فترات متقاربة .

ومع ذلك فاننا نجد الروايات التي نلتقي بها في مقابر النبلاء وبعض الرجال من ذوى الدرجات الاقل ممن حصلوا على ترقيات غير عادية ، نجدها اقل متابعة للتقاليد وأكثر التماعا مما تعكسه النقوش التي تتناول نشاط الملوك في ادارة دفة البلاد ولكن مثل هذه النعوت ليست كثيرة ، ففي مساطب الدولة القديمة في الجيزة وسقارة (٤) والمقابر الصخرية للأسرة الثانية عشرة في طيبة ليس هناك من بينها ١/٢ تروى أية أحداث مما أداها صاحبها من أعمال ، ومن ناحية أخرى تتشابه السلسلة الطويلة من الألقاب التشريفية مما يدفعنا الى القول بأنه ليس هناك جنس من البشر أولع بالمظهر الخارجى بهذه الصورة فاستسلم للزهو بالنعوت المزخرفة ولسنا ننكر بطبيعة الحال ان كثيرا من الألقاب التي نلتقي بها تشير الى وظائف ادارية حقة ، وحيث نلتقي بالنصوص التي تروى قصص الحياة نراها تضغط على مباشرة الأوامر الملكية أو على الأمجاد التي سيتعطف بمنحها الحكام المتتابعون وهناك فقرة لاتزال تتردد منذ أقدم العصور « لقد أدت عملي بحيث نلت مديح جلالته » . وأكثرها شيوعا من هذا تلك الفقرات المتكررة التي تعلن فيها فضائل صاحب المقبرة .

« أعطيت الخبز للجائع والملابس للعاري » أو

« كنت محبوبا من أبى ، وكانت أمى تمتدحنى ، وكنت عطوفا على اخواتى » .

وفي عصور تالية نرى مثل هذه التصرفات تشمل ميدانا أوسع فتتنفس في ثناياها المثل العليا للكرم والتراحم التي لاتكاد تختلف عن

(١) ZAS LXV, 26 ff.

(٢) Med-habu, III, p. IX.

(٣) Davies, Rekh-mi're'. I, pp. 84 ff.

(٤) المسطبة كلمة عربية لقاعد من الطين تشاهد في أفنية المساكن الحديثة ، وقد استخدمها عمال الحفائر للتعبير عن المبنى العلوى للمقابر المستطيلة التي لها المظهر نفسه .

مبادئ المسيحية فالمواطنون يلتزمون العدالة والأمن في كل العصور
لدى الرجل العظيم الذي يؤكد هذا بالقول السائر .

« انجيت الفقير ممن هو أقوى منه » .

وليس هنالك ما يدعو الى التشكك في انه في خير الحالات كانت
هذه الدعاوى تقارب الحقيقة وفي أسوأها ، هي شاهد على المبادئ التي
كانت تؤدي بها الاوامر الشفوية على الأقل ، ولكن كانت تضاف صيغة
للتسجيلات من هذا النوع فتذكر لتدعو المارة الذين تؤثر فيهم مثل هذه
الفضائل الدينية أن يقدموا بعض القرابين أو يتلوا على الأقل الدعوات
المعتادة ولكي تبرز الصيغة العامة لهذه النصوص وطبيعتها شبه
التاريخية نقدم هنا ترجمة خطاب له أهمية خاصة كتبه الملك اليفاع
بيوبى الثانى وسجله على جدران مقبرته الأمير حرخوف فى أسوان (١) :

« لقد ذكرت لى فى خطابك انك احضرت (دنج) للرقص المقدس
من أرض ساكنى الأفق مثل ال « دنج » (٢) الذى جاء به حامل ختم الاله
« باوردد » من بوينى فى عصر ايزوزى ، وقد ذكرت لجلالتي ان مثله لم
يؤت به بوساطة آخر ممن زاروا يام من قبل ، اننى اعلم حقا انك تعمل
ما يحبه مولاك ويمتدحه . حقا انك تقضى النهار والليل تفكر فى ... ان
جلالتي سيجيبك الى طلباتك الكثيرة الرائعة حتى يفيد ابن ابنك الى الابد
وحتى يقول الناس حين يسمعون ما فعله جلالتي لك « أهناك ما يشبه
الأشياء التى عملت للرفيق الوحيد حرخوف حين عاد من يام من أجل
اليقظة التى أبداهها ليعمل ما يحبه مولاة ويمتدحه وما يأمر به ا « عد
اذن الى الشمال فورا - أسرع واثت بهذا ال « دنج » معك .. حين ينزل
معك فى السفينة ضع رجلا أقوىاء من حوله على سطح السفينة وحاذر
لثلا يسقط فى الماء وعين كذلك رجلا أقوىاء ليقضوا الليل من حوله فى
خيمته ثم فتش عليه عشر مرات خلال الليل ، ان جلالتي يريد أن يرى
هذا ال « دنج » أكثر من كل خراج أرض المناجم وبوينى « ... ويصحب
هذه الروايات والقصص ذات التجربة الشخصية ، أو تحل محلها ، نقوش
على جدران مقابر الدولة القديمة تصب اللعنات أحيانا على من تراوده
نفسه على اغتصابها أو الاعتداء عليها أو تسجل ترتيب وصية تؤكد
لصاحب المقبرة ضمان استمرار القرابين الجنازية اللازمة لرفاهيته بعد
الموت ، وعلى ذلك فان أمثلة واضحة للعطف الملكى تبدو كفكرة مشتركة

BAR I, 351. (1)

(٢) هو قزم من قلب افريقيا من غير شك كما يبدو من المخصص ، انظر
JEA, XXIV, 185 ff.

بين المقابر جميعاً - ومنها ندرك من وقت لآخر ان الملك وحده هو الذى كانت له السلطة ليهب الجرائيت والحجر الجيرى الابيض الناعم اللازم لمداخل مصاطب نبلائه ، وكان الأمر يتصل أحياناً كذلك بمخلفات طعام القصر الذى كان يوزع على رجال البلاط أو يسلم لكهنة ال « كا » (خدم الروح) ليوضع فوق موائد القربان للموتى (١) . وانه لما يستلفت النظر ان الصيغة الجنازية التى تتكرر تقريباً فى كل المقابر المنقوشة تبدأ

بالكلمات « حوتب دى نرو »  « منحة يعطيها الملك » (٢) .

وهو اصطلاح يطبق ، وان كان بصورة أقل شيوعاً ، على الافضال الملكية الممنوحة للأحياء خلال حياتهم على الأرض ، ومن الواضح ان سسلطان الفرعون كان سائداً فى كل اقليم من الاقاليم فى حياة الدولة القديمة ، وكان الاحترام الذى يقدم لشخصه يشير الى الاتضاع الشديد . وهناك واحد من الاتباع الكهنوتيين يروى لنا كيف ان عصاة الملك مست مصادفة قدمه وكم كانت راحتة حين توقف مولاه عن ذلك (٣) ، وهناك كبار موظفى الدولة الذين يفاخرون بأنه سمح لهم بأن يقبلوا قدم الملك بدلاً من أن يقبلوا الأرض أمامه (٤) ، وبالإضافة الى نقوش المقابر نجد أن الوثائق الوحيدة على الحجر من هذه الفترة توجد فى المحاجر وأماكن التعدين وهى كتابات على الصخور فى الطريق إليها ثم أخيراً بعض المراسيم التى كانت تسجل فى المعابد ، فى قفط وإبيدوس مثلاً ، والتى تعفى كهنتها من الضرائب ومن العزل التعسفى من وظائفهم . وأما من ناحية البرديات فإن ما بقى منها قليل جداً وهى بخاصة تتصل بالحسابات أو أجزاء من خطابات (٥) ، وسنناقش فيما بعد حوليات حجر بالرمو ، وأما عن بقية شواهدنا عن الدولة القديمة فإنها أثرية خالصة . ولقد كانت سلطة الفرعون المطلقة لاتحتمل التشكيك فيها ، ويروى حجم الاهرام المباهاة التى تنصّف بالصلف فالملك كان يحب فى موته - كما فى حياته - أن يجمع نبلاءه من حوله ، وتدل الشوارع الكثيرة التى تمتد المصاطب على جانبيها محيطة بالمقابر الملكية الى الدرجة العالية من التركيز فى تلك العصور .

(١) JEA, XXIV, 83 ff.

(٢) Amenemhet, pp. 79 ff.

(٣) URK I, 232.

(٤) BAR. I, § 260

(٥) انظر فيما بعد (صفحة ٨٢) .

وانه ليس بغير سبب قوى ان المميزات الموجزة للتاريخ المصرى التى سلفت الاشارة اليها تبرز ملامحها وتتركز اكثر ما تركز على الدولة القديمة ؛ ذلك لان هذا هو العصر الذى يمكن أن نشاهد فيه أبرز المظاهر للحضارة الفرعونية فى اكثر مراحل نقائها وفى خير مراحلها ولقد كانت فترة التكوين الحقيقية تضمها القرون السابقة ولكن هذه القرون بكما لعدم وجود المادة المكتوبة ، أما فى الدولتين : الوسطى والحديثة ، فقد ظل المظهر العام لمثل هذه النصوص التى يمكن ان يطلق عليها تاريخية على حالته كما لم يتغير رضا الكاتب عن نفسه أو الاستحسان الواضح للمناظر الطبيعية ثم كبت كل شئ ما خلا الاحداث المنعزلة - كل هذه الأمور مضحوبة - دون تغيير - بسلسلة متصلة من الالقاب ونعوت المديح


اما الآن فكل المادة الثانوية تتقدم لتعلو فوق كل المصادر تحت تصرف المؤرخ من قصص ونصوص تهذيبية ووثائق قضائية وخطابات وحسابات . وتربط هذه الزيادة فى مستنداتنا بالحقيقة الواضحة وضوحا تاما من ضالة الفرصة للعثور على وثائق بردية أقدم أو ما يشابهها . والبردى الذى انحدر الينا من عهد الدولة القديمة هزيل بصورة ملحوظة ، اما فيما يتصل بمحتوياته فان المحنة الجديدة من حروب أهلية وغزو أجنبي اعقبها التلويح بالتفاؤل الرصين الذى كان يسيطر على كل وثائق الدولة القديمة ، وسنتحدث عن ذلك بافاضة فى الفصل السادس . وانا لو تساءلنا أين نجد خيرة مادتنا التاريخية فان الاجابة قد تبدو متعارضة فى نهاياتها ذلك اننا نلتقى بها فى القصص الروائى المصرى حيث استطاع المؤلفون ان يصفوا الأحوال القائمة وان يكشفوا عن مشاعرهم فى حرية كانت من الاستحالة بمكان حين كان المقصد السائد هو المباهاة ، ولسنا بحاجة هنا لنروى نماذج تثبت ما سلفت الاشارة اليه فاننا سنلتقى بها فى مجرى الحديث فيما بعد .

أما بقية هذا الفصل فستخصصه للموضوع العسير الخاص بالتاريخ :

لو أن المصريين استخدموا فى تأريخ نقوشهم وأوراقهم البردية تاريخا متصلا مثل التاريخ الذى نستخدمه أو مثل ما يفعل المسلمون حين يحسبون تاريخهم ببداية هجرة النبى من مكة الى المدينة ، لما قامت هناك مشكلة تاريخية هامة ولكن من سوء حظنا نجد ان ابتداء من الاسرة الحادية عشرة يحسب كل ملك سنى حكمه وحده . واما فى الاسرات الأسبق فنلتقى بتعقيدات أشد ، وربما كان ما اختاروه لحسابهم يغدو قليل الأهمية لو أن الحظ ساعدنا فى التعرف على الترتيب الصحيح لكل الفراعين ولآخر

سنى حكم كل ملك فى كل حالة ما دام يمكن تحديد كل أثر تحديدا نسبيا طبفا لطريقتنا فى التاريخ بالاضافة البسيطة أو كما يسمى بـ « الحساب المييت » وانه لمن الواضح أن مانيتو استطاع بهذه العملية أن يحصل على مجاميعه ما دام يحدد - كما توخى فى تفصيلات الاسرة - عدد السنين لكل حكم ، ولقد كان الدارسون للمصريات فى أوائل عهودها يتقبلون ما يقدمه مانيتو فى تصديق أشبه بتصديق الأطفال لما يلقي اليهم به ، وكان عذرهم فى ذلك عدم وجود - أو نقص - مصادر يمكن الاعتماد عليها أكثر من ذلك بل انه لا يزال يوجد حتى اليوم عدد من الدارسين لم يبرموا بعد من هذه الطريقة الخاطئة من الحساب ، وانه لما لا جدوى فيه هنا أن نكرر ماسبق أن قررناه من قبل بالنسبة الى عدم قابلية مارواه مانيتو للتصديق فى صورته التى وصلت الينا على الأقل ، ولكن ربما كان مما يهم القارئ أن يقارن بين أرقامه عن التاريخ المصرى عامة ومناصطليح عليه اليوم، فهو يعطى للأسرات: الاحدى عشرة الأولى ٢٣٠٠ سنة ومن الاسرة الثانية عشرة الى التاسعة عشرة ٢١٢١ سنة ثم ١٠٥٠ سنة من الاسرة العشرين حتى موت داريوس الذى هزم وأخذ مكانه الاسكندر الأكبر ، وجملة هذه الأرقام ٥٨٠٠ سنة من حكم مينيس حتى مولد المسيح ، نستطيع أن نقارنها برقم أقصاه ٣٢٠٠ سنة يقدمه مؤرخ رصين مثل ادوارد ماير لهذه المرحلة نفسها .

ويعد جدول تورين للملوك (راجع صفحتى ٦٥ - ٦٦) من أكثر المصادر التاريخية قيمة أو هو كان يمكن أن يكون كذلك لو أنه كان أكثر كمالا أو لو أنه حوفظ عليه فى عناية أدق ذلك انه سجلت به لاسنى كل حكم فحسب بل كذلك عدد الشهور والايام بعد اكتمال السنين ومن الواضح أن جامع هذه الوثيقة كانت لديه مصادر لمعلوماته ليست خالية من الفجوات نسبيا فحسب بل هى الى جانب ذلك دقيقة يمكن الاعتماد عليها ، وأرقام الاسرة الثانية عشرة مثلا تتفق تماما وما تشير اليه الآثار المعاصرة ، أما المجاميع القليلة التى تقدم فقد أمكن الحصول عليها عن طريق « الحساب المييت » وسنستطيع أن نفيد منها فى الافتراضات التى سنختتم بها هذا الفصل . ولسنا متأكدين تماما على أية حال من أن مصادر من تولى جمع هذه الوثيقة تتفق تماما وال « جنوت

المشار اليها فى النقوش ابتداء من

 عشرة ، وتعنى هذه الكلمة الوثائق التاريخية القديمة من نوع أو آخر

ويترجمها الدارسون عادة بكلمة « حوليات » ومع ذلك فإن شيئا من هذا لم يعرفه علماء المصريات حتى بداية القرن الحالى حتى تعرف شيفر بمساعدة بورخارت وزينته الى حقيقة ما أشرنا اليه من قبل تحت اسم حجر بالرمو وقاموا بدراسته دراسة وافية ، والقطعة الرئيسية من هذه القطعة البالغة الأهمية اتخذت اسمها من عاصمة صقلية حيث توجد اليوم ، وهى من حجر الديويت تبدو عديمة الأهمية لا يزيد ارتفاعها على سبع عشرة بوصة ولا يزيد عرضها على قدم واحد ، وهى لا تبدو كونها واحدة من عدة قطع لها نظائرها تنصل بالاثار نفسه مباشرة ، أو بآثار أخرى شديدة الشبه به من ناحية التخطيط والترتيب والمقاييس عثر عليها فيما بعد ولا تزال محفوظة بمتحف القاهرة . أما الوجه الرئيسى من قطعة بالرمو (فى لوحة ٣) فانه سيساعدنا على تفهم للوصف الذى سنقدمه ، والنص على الوجه الرئيسى (الصدر) له ما يكمله على الوجه الخلفى ، ولنا أن نتخيل الكتلة جميعها قائمة كلوحة مستطيلة فى معبد ، حتى ترى من جانبيها على السواء وكلا الجانبين مقسم أفقيا الى صفوف مقسمة بدورها الى خانات رأسية تتضمن كل منها رواية بالهيروغليفية ويعدد الصف العلوى من الوجه الرئيسى للوحة أسماء حكام عصور ما قبل الاسرات الذين لا نعرف شيئا عن طول مدة حكمهم أو عن أعمالهم ، وفى بقية الصفوف نجد الخانة تفصل عن الخانة اليسرى لا بخط مستقيم كما هو الحال فى الصف الأول بل بعلامة  التى ترمز للسنة ، وبين الصفوف توجد دائما ديباجة أفقية تقدم اسم الملك التى تنصل به النصوص ادناها ويصحب اسمه عادة اسم أمه ، وتحت كل اشارة ارتفاع النيل فى تلك السنة بالذات ، وهكذا فانه من الواضح ان هذا الاثر - حين كان مكتملا - كان سجلا سنويا مستمرا لكل الملوك المذكورين على وجهيه ٠٠ أما الأول (فى صف ٢) فقد كان بدون شك مينيس ، وأما الأخير فى الوجه الخلفى عند النهاية فقد كان من غير شك « نى وسرع » سادس ملوك الأسرة الخامسة رغم ان آخر اسم احتفظ لنا به الحجر هو ثالث ملوك الأسرة نفر أيركارع ، وتسجل الهيروغليفية فى الخانات دائما بعض الاحداث الهامة أو بعض أحداث العام

من شيء أو أشياء يمكن أن تميزه بحيث يذكر بها ، ولعله مما تجدر ملاحظته انه بينما تحوى كل خانة من الصف الثانى الى الصف الخامس من الوجه الرئيسى خانة مفردة مزدحمة بالكتابة اذا بالصف السادس يحوى خانات تتسع لثلاثة أو أربعة أنهار ، وحجم الخانات فى الوجه الخلفى أكبر من ذلك أيضا بالنسبة الى زيادة الاحداث المسجلة ، وهناك سببان يمكن أن يعلل بهما هذا الأمر ذلك انه اما أن احداث القرون السحيقة البالغة القدم قد انتقلت الى مرحلة النسيان أو أنها كانت تعتبر قليلة الاهمية ان هى قورنت بالنجاح البارز للعصور الاحداث ، ومهما يكن الأمر فانه من الواضح أنه لو كان أتيح لنا الحظ الكافى ليصل اليها هذا المستند كاملا فان نقوشه كانت تستطيع أن تعرفنا بالكثير مما تم فى الماضى بقدر ما رغب فراعين الاسرة الخامسة خلفاءهم ان يعرفوا ، ولقد انصب اهتمامهم على الاعياد الدينية وصناعة تماثيل الآلهة والانتصارات على القبائل الاجنبية من وقت لآخر ، وحملات للسعى وراء المعادن ثم بناء المعابد والقصور ، ولعل اهتمامنا بهذا النص يتلخص فى دلالة التاريخية ، وما كان يمكن أن يؤديه للمؤرخ لو كانت اللوحة كاملة . ولو سلمنا بصحة معلومات صاحب الحوليات القديم لتحققنا من التتابع الصحيح للملوك جميعا من مينييس الى نى وسرع ومن عدد السنين الصحيح لكل منهم وفوق ذلك كله فان احصاء بسيطا لكل الخانات يستطيع أن يضع بين أيدينا مجموع السنين التى استغرقها حكم الأسرات الخمس الأولى ، وحتى فى حالته الحاضرة المبتورة يمكن استخدام الحجر - الى حد ما - فى الاغراض التاريخية - كما سنرى فيما بعد - ومع ذلك فهو لا يحتوى سوى جزء ضئيل من التاريخ كله - كما هو الحال فى مدونة تورين للملوك التى لا تستطيع أن تصل بنا الى عصر التحامسة العظيم ، وابتداء من هذه النقطة نصبح فى حالة ضياع مطلقة حين نحاول أن نرسى أساسا سليما للتأريخ ما لم نلجأ الى طرق أخرى مختلفة تمام الاختلاف سنتناولها بالشرح فورا :

انه لمن العجيب انها ليست سوى نقطة ضعف تلك التى أمدتنا بهذا العون ، ولكن الضعف فى هذه المرة لا يتأتى عن نقص أو تشويه المستند التاريخى الذى بين أيدينا ولكن من عيب فى التقويم المصرى القديم نفسه ، ذلك أنه فى زمن بالغ القدم كانت السنة المدنية لدى المصريين تحوى ٣٦٥ يوما وتضم ثلاثة فصول (١) بكل منها أربعة شهور ذات ثلاثين يوما لكل تم أضيفت إليها الخمسة الأيام التى أطلق عليها « أيام النسى » ولكن مادامت

(١) أسماء الفصول : اخي « الفضان » ، بروية « الشتاء » ، شومى .

« الصيف » انظر Eg. Gr. p. 2٣٥

السنة الفلكية الحقيقية تحوى أكثر بقليل من $\frac{365}{4}$ يوم ، فان بدء العام الجديد فى السنة الخامسة من النتيجة المدنية يكون به يوم كامل يتقدم بدء السنة الفلكية وعند اسقاط مثل هذه الزيادة - كما نفعل فى السنة الكبيسة - فاننا نجد ان هذه النتيجة تتقدم بعد ١٢٠ سنة مدى شهر كامل عن السنة الفلكية ، ويبدو التناقض أسوأ فأسوأ حتى يصبح الموقف كما تتناوله بالوصف بردية من عصر الرعامسة جاء فيها :

الشاء يجىء فى الصيف ، والشهور تنعكس والساعات تضطرب . .
ويقدم مرسوم كانوب المكتوب بلغات ثلاث (٢٣٧ ق م) دليلا واضحا على أن المصريين بحرصهم الغريزى على التقاليد لم يسعوا وراء علاج لذلك الموقف ذلك انه فى هذا المرسوم نجد بطلميوس الثالث أورجيتوس يعلن ادخال يوم اضافى الى العيد بعد أيام النسيء الخمسة حتى يمنع الأعياد الوطنية التى تحدث فى الشتاء من أن تجيء فى الصيف ، فان الشمس تتغير يوما كل أربع سنوات وان أعيادا أخرى تقام الآن فى الصيف يجب أن تأتى فى الشتاء فى المرات المقبلة كما كان يحدث من قبل .

ولكن محاولة بطلميوس للاصلاح أثبتت عقمها وظلت الأمور على حالها حتى فرض أوغسطس فى عام ٣٠ ق م التقويم اليولياني ذا ال $\frac{365}{4}$ يوم ، وحتى حينذاك ، فان هذه « السنة اليونانية » كما كانت تسمى ، لم يستخدمها أهل البلاد الا بعد اعتناقهم المسيحية ، ومن الواضح ان العلاقة بين السنة المدنية والسنة الفلكية تعود فتتلازم بعد $4 \times 365 = 1460$ سنة بعد أن يكون أى حدث فلكى قد وقع بدوره فى يوم مختلف عنه فى التقويم المدنى ، وقد وضعت نظريات متعددة لتوضيح كيف أن النجم اللامع سريوس (نجم الكلب الذى يرى فيه المصريون ربهم سوبدة وهو ما يقابل سوتس باليونانية) بدأ يعرف كأنما يقدم أساسا سليما لتعيين أنسب تاريخ ليوم السنة الجديدة ، وربما لوحظ ان النيل يبدأ فى الارتفاع بسرعة معينة حوالى الوقت نفسه الذى يبدو فيه سيريوس - بعد أن ظل غير مرئى نزمن طویل - فى السماء قبيل شروق الشمس ، وعلى أية حال فان هذا الأمر الأخير الذى يصفه الفلكيون المحدثون كأنما هو الشروق الشمسى ل سيريوس والذى عرفه المصريون بأنه « ارتفاع سوتيس » اعتبر يوم العام الجديد الفعلى (وبت - رنيت $\sqrt{\quad}$) الذى يجب أن يوافق فيه « أول شهر الفيضان (الفصل الاول) ، اليوم الاول ، من التقويم

المدنى ، ولدينا عن سنسورينوس ما يقطع بأن الشروق الشمسى ويوم السنة الجديدة توافقا فى عام ١٣٩ م ومن ثم فان توافقات أخرى يفترض أنها تمت فى أعوام ١٣١٧ ق م ، ٢٧٧٣ ق م ولقد عثر فى نقوشنا الهيروغليفية على نصين يسجلان الشروق السوئى أحدهما يرجع الى سنة ما من عهد توثمورس الثالث (فى ٢٨/١١) (١) والآخر الى انعام التاسع من حكم امنوفيس الأول (٩/١١) ومثل ذلك يحدد كذلك للسنة السابعة من حكم سنوسرة الثالث (١٦/٨) فى بردية من معبد اللاهون فى القيوم والربط بين هذه التواريخ مع غيرها مما سبق ذكره يقدم لنا السنوات المقابلة لها ١٤٦٩ ، ١٥٣٦ ، ١٨٧٧ ق م . وهناك اختلاف طفيف يرجع لأسباب فنية فى الرأى بين الدارسين بالنسبة للارقام المضبوطة ، ولعل أحدث رأى فيما يتصل بالسنة المقابلة للأخيرة هو عام ١٨٧٢ ق م وفيما عدا ذلك يبدو ان الاتفاق تام .

ولسنا نستطيع هنا أن نقوم بمحاولة لوصف الطرق التى سلكها علماء المصريين لتحديد تواريخ الفراعين اللاحقين للأسرة الثامنة عشرة التى يتصل بها كل من امنوفيس الاول وتوثموزيس الثالث ويكفى القول بأنه تم الاتفاق على معظم هؤلاء الملوك بفروق ضئيلة جدا ، ويلاحظ أنه خلال الألف سنة الأخيرة كان هناك توافق عرضى بأحداث فى بلاد الشرق الأدنى القديم الأخرى لدرجة انه كان يؤخذ فى الاعتبار فيما يتصل بذلك الامر أبحاث الدارسين فى مختلف الميادين ، واما فيما ينصل بالعهد الوسيط الثانى فان العصر المظلم الذى يتوسط الأسرتين: ١٢ ، ١٨ لا يقدر له جبهة الدارسين - لأسباب متعددة - أكثر من قرنين ، وهنا على أية حال كنا نحس بعقبة كأداء ما دامت برديته تورين تحصى فى هذه المرحلة أكثر من مائة ملك وهو عدد أضخم من أن يشغل حيز مائتى عام ، ومع ذلك فان الرقم الذى يعرض أمام أى حكم نادرا ما يزيد على ثلاث سنوات ، وما دام ليس هناك أى أثر لمجموع فى الاعمدة النى تسجل ذلك فليس هناك اعتراض لا يمكن قهره يستطيع أن يقف أمام افتراض ان كثيرا من الملوك كان يعاصر الواحد منهم الآخر وانهم كانوا يحكمون فى أنحاء مختلفة من البلاد ، والبديل لذلك أن نطرح التاريخ السوئى للأسرة الثانية عشرة مدى ١٤٦٠ عاما ، ولقد كان هذا هو الحل الذى دافع عنه طويلا السير فلندز بيترى ، ولكن ندرة الآثار والاعتبارات الاثرية المختلفة

(١) للتيسير ، نشير بهذا التعبير الى اليوم الثامن والعشرين من الشهر الحادى عشر أو الشهر الثالث من شهور الصيف .

تكافح في عنف ضد وجهة النظر هذه ، وانه من الواضح انه من الخير ان نتقبل عام ١٨٧٢ ق.م. كأنما هو أقدم تاريخ ثابت مؤكد نسبيا في التاريخ المصري . ومع ذلك فان الفضول الغريزي لن يرضى إلا بالقيام بقتدير التواريخ المحتملة للملك «مينيس» أما الأدلة المستقاة من حجر بالرمو فشديدة التعقيد حتى بالنسبة لأبسط الامور ، وأما الدليل المستقى من آخر النصوص من الوجه الخلفي فيكاد يشير الى أن عرض القطعة الاصلية كان يبلغ تسعة أمثال القطعة التي لا تزال موجودة بمتحف بالرمو . وحين نحاول الافادة من هذه النتيجة لحساب عدد السنين المتضمنة في النصوص ٢ - ٥ من الوجه الأمامي وهو الجزء الذي تشغله الأسرتان الأوليان فان الرقم قد يصل الى حوالي ٢٥٠ سنة ، ولسنا نستطيع إلا أن نحذر الدارسين من أن مثل هذه التقديرات لا يؤمن جانبها وانا لنستمسك بالسراب كذلك حين ندعى ان بردية تورين يجب أن يوثق بها ضمنا ، ومن ناحية أخرى فان قيمتها الاثباتية كانت غالبا لا تعطى حقها من التقدير ذلك لأن الارقام الرصينة التي تقدمها كان يجب أن توحى بالثقة أكثر من عكس ذلك ، كما سنحاول الآن أن نبين . ولقد ثار الجدل حول ترميم واصلاح المجموع المفقود في نهاية الاسرة السادسة ولكن ليس من شك في وجود مجموع من السنوات يبلغ ٩٥٥ سنة من مينيس حتى تلك المرحلة من التاريخ الفرعوني . ثم يلي ذلك ثمانية عشر حاكما قليلو الأهمية على رأسهم اختويس من هرقلوبوليس (الاسرة التاسعة) وقد ضاعت معظم أسمائهم كما ضاع مجموع مدة حكمهم ، ولنا هنا أن نختار بين تقدير ادوارد ماير وهو مائتا سنة وبين تقدير أقل هو مائة سنة ثم يلي ذلك الأسرة الحادية عشرة وبها ستة ملوك حفظت لنا مدة حكم الاربعة الاخيرين منهم على التوالي ٤٩ ، ٨ ، ٥١ ، ١٢ سنة وجملته ١٢٠ سنة، ومادامت ملكية الملكين الأولين كانت قصيرة من غير شك فان علينا أن نتقبل المجموع الذي سجل وقدره ١٤٣ سنة للأسرة كلها . وهناك صعوبة طفيفة فيما يتصل بالناحية الباليوجرافية (الخطية) ويجب أن يصرف النظر عنها تبعا للحجة السالفة الذكر ، وأما فيما يتصل بالاسرة الثانية عشرة فاننا قد تقبلنا عام ١٨٧٢ ق.م على أنه يقابل السنة السابعة من حكم سنوسرة الثالث ، وهناك دليل أثري لا يقبل الجدل يتصل بهذه المرحلة يؤكد ولاية امنمس الاول مؤسس الاسرة في تمام ١٩٩١ ق.م أو حوالي ذلك وبإضافة هذه الارقام تحصل على ١٩٩١ + ١٤٣ + ١٠٠ (٢٠٠١) + ٩٥٥ = ٣١٨٩ أو (٣٢٨٩) ق.م للملك مينيس أو بداية الاسرة الاولى وهو التاريخ التقريبي لعام ٣١٩٧ الذي يقدمه ماير .


والشك الذى يبقى بالنسبة لهذا الحساب يتركز كما نرى فى مجموع بردية تورين للأسرات ١ - ٦ وهو ٩٥٥ سنة مما يحدو الى استقصاء أكثر - أما ال ١٤٩٧ سنة التى يقدمها افريكانوس فنستطيع أن نرفضها دون عناء ما دامت الحجة القوية لبردية الرعامسة لا تحتمل نقاشا، وأما عن الفراعين من الاسرة الاولى الى السادسة فهناك ٥١ مكانا مشغولة الآن - أو كان مشغولا - بمتوسط حكم $18\frac{1}{4}$ سنة لكل ملك ، وأما عن الأسرتين : الاولى والثانية فان الحفائر أماطت اللثام عن أسماء ١٧ ملكا وأما بردية تورين فيها ١٨ وأما قائمة ابيدوس ففيها ١٥ ، ويقدم مانيتو ١٧ اسما ، فاذا كان حجر بالرمو - كما أوضحنا من قبل - يقدم ٤٥٠ سنة لهاتين الأسرتين فان متوسط الحكم يجب أن يكون ٢٧ سنة وهو رقم مرتفع نوعا ما - ولكنه ليس مستحيلا مع ذلك . ومن بين ال ٢١ ملكا التى تسجلها بردية تورين للأسرات ٣ - ٥ لم يحفظ سوى ثمانية أسماء ، أما طول مدة الحكم فقد ظل سليما فيما عدا أربعة ضاعت ثم اثنتين تحتمل قراءة رقم ١٠ فيهما كأنما هى رقم ٢٠ أو ٣٠ وجملة ال ١٥ الباقية هى ٢٠٨ سنة أو ١٤ سنة لكل ، ومع ذلك فنحن نضطرب حين نلقى ١٩ سنة فقط تعطى كمدة حكم لزوسر بنى الهرم المدرج ومعبده الشاسع . ثم ٢٣ سنة لكيوبس الذى أقام أعلى الأهرام جميعا ، وأخيرا نجد فى الاسرة السادسة أن بيوبى الثانى فى عقده التاسع خلفه ثمانية من الملوك الهزيلين لا يحسب الاربعة الاخرون منهم سوى خمسة أعوام ونصف فيما بينهم .٠٠ وهنا تتوازن مدد الحكم القصيرة بالحكم الطويل مما يجعل مدة الحكم المسجلة وهى ١٨١ سنة معقولة بالنسبة لـ ١٤ ملكا . والواقع ان التحليل السابق يكون سليما لو أنه أقام الدليل على التماسك الذاتى والادراك الفطرى للبردية فى الفترة التى نناقشها على الأقل ، ومع ذلك فان الحذر يتطلب الا تكون ثقتنا مطلقة فى بردية مفردة من عصر لا يحتمل النقد ، وليس عجيبا أن كثيرا من الدارسين أبدوا تشككهم ، وأما من ناحيتنا فأننا نرى صعوبة تقبل تاريخ ٢٨٥٠ ق م كبداية للأسرة الاولى وهو الرقم الذى يقترحه أ - شارف معتمدا على تاريخ غير مؤكد كذلك بالنسبة لبابل ، ونحن نميل الى تفضيل عام ٣١٠٠ كتاريخ محتمل ثم نسمح به ١٥٠ سنة بالزيادة أو النقص كصمام أمن ، ومع ذلك فربما كان كل عذر يبدو فى المستقبل أمرا غير كاف .

تذييل

سنى الحكم وطرق التأريخ (١)

لاحظ كورت زيته منذ نصف قرن أن العلامة الهيروغليفية لكلمة « سنة » فى حساب السنين لحكم الفرعون لم تستخدم - كما كان يفترض من قبل - علامه 𐀀 (وتعنى الشمس) التى كانت المخصص للكلمات التى تعنى الزمن ولكنها استخدمت علامة أخرى هى 𐀁 وتقرأ « زب » (𐀁 بالقبطية) وكانت أصلا كلمة مستقلة تعنى « مناسبة » أو ما شبه ذلك وقد اقتصت دراسة النقوش وبخاصة حجر بالرمو ضوءا غير متوقع على هذا الاصطلاح ل « سنة الحكم » وقد كشفت لوحات من العاج من عهد الاسرة الاولى عن ان سنى الحكم لم تكن تعد فى البداية ، ولكن كانت تتذكر - كما فى بابل - عن طريق حادث بارز وقع خلالها - وعند منتصف الاسرة الثانية كانت هذه الحادثة هى تعداد الماشية فى مصر ، ولما كان هذا المعيار الادارى يحدث فى سنوات متبادلة فان العدد كان يستخدم للدلالة على أى احصاء معين فى أية سنة ، وهكذا نجد مثلا ان السنة الثامنة من حكم الملك « نى نوتر » كان يعبر عنها فى حجر بالرمو وكأنما هى « المرة » (زب) الرابعة للتعداد . وقد قدمت نقوش الأسرات الرابعة الى السادسة معنى مثل هذا التأريخ فى صور أقل اقتضابا فمثلا صدرت لوحة من عهد نفرير كارع من الاسرة الخامسة بالكلمات « سنة المرة الرابعة عشرة من تعداد كل الثيران والحيوانات الصغيرة » ، بينما نجد التأريخ فى عهد الملك ايزوزى قرابة نهاية الأسرة « السنة بعد المرة الرابعة للتعداد » وهكذا . ومن الواضح أن هذه التواريخ تشير الى العامين : الثامن والعشرين والتاسع على التوالي لهذين الحكيمين . وقبل مرور زمن طويل حذفت كلمة « تعداد » من وقت لآخر حتى أصبحت النصوص تسجل « سنة الوقت كذا » وحين نصل هذه المرحلة لا نلتقى بغير الأمثلة المعاصرة التى تشير الى « السنة بعد » مما يقوم شاهدا على أن تعداد الماشية لم يتوقف عن السريان كل عامين . وتسرى الأمثلة بكلمة « بعد » حتى حكم بيوبى الثانى من أواخر ملوك الاسرة السادسة - ويجب أن ندرك تبعا لذلك انه خلال الدولة القديمة يعنى اصطلاح « سنة المرة ٢٤ » أو ما يشبهه « العام الثامن والأربعين للحكم » وابتداء من الاسرة الحادية عشرة يصبح من المؤكد كذلك

K. Sethe Beiträge zur ältesten Geschichte Aegyptens, pp. 60-100, in (١)
untersuchungen Zur geschichte und Altertumskunde Aegyptens, III, Leip-
zig, 1905.

على أية حال ان  لا تعنى أكثر من « سنة الحكم » وإن الرقم الذى يتبع الاسماء هو السنة الفعلية للحكم ولئن كان تعداد الماشية ساريا حتى هذه المرحلة فإن معنى هذا انه أصبح سنويا .

وبهذه المناسبة نجد ان للمظهر التقويمى لولاية الملك للعرش أهمية ذلك لأنه فى الجانب الأكبر من التاريخ المصرى نجد أن كل سنة حكم كانت تبدأ يوم عام جديد بمعنى أن يكون هو اليوم الأول من الشهر الأول من فيصل الفيضان وما دام الملك الأسبق ربما عاش مدى بضعة شهور وأيام بعد بداية العام الجديد فإن السنة الأولى لحلفه ربما تضمنت فقط ما تبقى من سنة سلفه ، ولنفترض مثلا أن فرعون مات فى الخامس والعشرين من الشهر الرابع من الصيف من عامه الثانى والثلاثين فإن سنة ابنه الأولى تتضمن فقط خمسة الأيام الباقية حتى نهاية الشهر وكذا أيام النسيء الخمسة أى عشرة أيام فقط وهناك طريقة أخرى لتقدير هذا الوضع هى أن نقول ان كل ملك كان يضيف - لأغراض التاريخ لشخصه - كل بقية العام الأخير لسلفه - فمن أجل الأهداف التاريخية نجد أن الملك الذى افترضناه يحسب كأنما حكم واحدا وثلاثين عاما ، ومع ذلك فإنه فى عهد التحامسة والرعامسة العظام (الاسرات ١٨ - ٢٠) حدث بعض التغيير فكان كل ملك يؤرخ سننى الحكم طبقا لتأريخ التقويم الفعلى لولايته، وقد كان أثر هذا التجديد ملحوظا لأنه اذا حدث مثلا أن الولاية تمت فى ٣ - ٢٥ فإن الحكم الذى تعالجه فى حالة « السنة السادسة » الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم ٢٣ يقع متأخرا مدى ٣٦١ يوما عن « السنة السادسة » الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم ٢٧ » ومثل هذه الحالة الشاذة غير المألوفة لا تلبث على أى حال ان تثير الارتباك بالنسبة لكاتب يعمل على أن يضع فى ترتيب متصل سليم مجموعة من الوثائق المؤرخة ، كما هى عقبة كذلك بالنسبة للمؤرخ الحديث الذى يحاول جمع شتات الاحداث فى سنة معينة ومن أجل ذلك وتبعاً له نرى انه من المرغوب تعيين أيام الولاية الفعلية لكل ملك فى الدولة الحديثة . . وقد أعيد العمل بالطريقة القديمة وقتنا ما قبيل العصر الساوى (الأسرة ٢٦) وهكذا توافقت السنتان معا : سنة الحكم والسنة المدنية .

مراجع مختارة

تاريخ مصر الفرعونية

بالانجليزية : J. H. Breasted, A History of Egypt, New York, 1905

وقد صدرت طبعة مختصرة في لندن عام ١٩١١ تستحق الإعجاب وان كانت في حاجة لتعديل لتنمى مع أحدث المكتشفات .

W. M. Flinders Petrie, A History of Egypt vols., I, II, III

طبعت معادة في لندن ١٩٢٤ - ١٩٢٥ وهي عامة خاصة بالنسبة لقوائم الآثار .

واما vols. IV, V, VI فتعالج عصور البطالة والرومان والعرب

H. R. Hall, The Ancient History of the Near East, 7th ed. London, 1927

وهو مؤلف ينم عن براعة كبيرة تعطي ميدانا واسعا ، وهناك فصول لنفس المؤلف و ل

J. H. Breasted و T. Eric Peet في

Cambridge Ancient History, vols. I, II, III, Cambridge, 1923-25.

بالفرنسية :

E. Drioton and J. Vandier, L'Egypte (Clio في مجموعه 3rd ed. Paris, 1952

وبه ملاحظات تستحق الإعجاب ومناقشات حول النقاط التي تستدعي الجدول

A. Moret, Histoire de l'Orient (in Histoire générale, edited by G. Glotz) vols. I, II, Paris, 1936

بالألمانية :

Ed. Meyer, Geschichte des Altertums, vols. I (3rd ed.), II, (2nd ed.)

وله أهمية أساسية Stuttgart 1913, 1928.

A. Scharff and A. Moortgat, Agypten und Vorderasien im Altertum. Munich, 1950

قوائم الملوك : يجنما القارىء في آخر هذا الكتاب وافية

النص الهيروغليفي لقائمة ابيدوس وسقارة :

Ed. Meyer, Agyptische Chronologie Abhandlungen في

لاكاديمية برلين عام ١٩٠٤ ، لوحة رقم ١

قائمة الكرنك :

K. Sethe, Urkunden des ägyptischen Altertums, Leipzig IV, pp. 608-10

جزايات تودين :

Alan H. Gardiner, The Royal Canon of Turin, Oxford, 1959

وهو مفيد من ناحية اللوحات الفوتوغرافية

G. Farina, il Papiro dei Re, Rome, 1938

مانيتو (في مجموعا **Loeb** ، لندن ١٩٤٠) **W. G. Waddell**, Manetho
H. Gauthier, Le livre des rois d'Egypte, V vols. موجز شامل لكل العصور
Cairo, 1907-17 ; index, Bull. Inst. fr. XV. 1-138

Rec. trav. XL 177-204 في اضافات

التاريخ :

Ed. Meyer, Agyptische Chronologie, also, Die ältere Chronologie
Babyloni ns, Assyriens und Agyptens, Stuttgart, 1925
L. Borchardt, Die Mittel zur zeitlichen Festlegung von Punkten der
ägyptischen Geschichte, Cairo, 1935
R. A. Parker, The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, 1950

وكذا Rev. d'Eg. XI. 85-107

حجر بالرمو :

H. Schäfer, Ein Bruchstück altägyptischer Annalen
في Abhandlungen لأكاديمية برلين عام ١٩٠٢ والنص مرتبط بنصوص قطع القاهرة
وذلك في Sethe, Urkunden, I, 235-49

النصوص التاريخية ، التراجم ، التعليق :

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, 5 vols., Chicago 1906-7

وهو لاغى عنه لكل الدارسين الجادين وان كان قد مضى به العهد نسبيا . وهناك

ترجمات حديثة ممتازة قدمها **J. A. Wilson** في كتاب **J. B. Pritchard**.

المعروف باسم
Ancient Near Eastern Texts relating to the Old
Testament, Princeton, 1950

وقد جمع **G. Stein dorff** النصوص الهيروغليفية الاصيلية في
Urkunden des ägyptischen Altertums :

نشر **K. Sethe** المجلد الاول بعنوان Old Kingdom

ونشر **H. Schäfer** المجلد الثالث بعنوان Ethiopic period

ونشر المجلد الرابع **K. Sethe** واستكماله **W. Helck** بعنوان Dyn. XVIII

ويعرف هذا العمل باسم Urk. في العديد من الهوامش المرقومة في هذا الكتاب .
وأما نصوص الاسرة الحادية عشرة فقام بنشرها **J. J. Clère** و **J. Vandier** في
Bibliotheca Aegyptiaca, X
Brussels, 1948

الكتاب الثانى

من بناء الأهرام إلى الإسكندر

الدولة القديمة

٥

ان العموميات التى تناولها الفصل الاخير قد تترك عقل المبتدىء فى حالة من الاضطراب لو لم يتبعها ملخص عن مجرى الأحداث ، أكثر ترتيباً . وسيكون من الضرورى على أية حال أن نؤجل لما بعد أى معالجة لعصر ما قبل الاسرات والأسرتين الأولى والثانية ما دامت هذه العصور السحيقة تستدعى قيام معضلات هى مثار المناقشة والجدل فى هذا الحيز الضيق ، ومن ثم فإن البداية هنا ستكون مع الاسرة الثالثة التى تكون مع الاسرات الثلاث التالية الدولة القديمة التى يميزها الصف العظيم من الاهرام التى تمتد على طول الصحراء الغربية ابتداء من قرب مستوى القاهرة الحديثة .

وكان أول ملوك الاسرة الثالثة ذلك الحاكم الذى عرفته الأجيال اللاحقة باسم زوسر وهو الذى تبدو أهميته كمؤسس لعصر جديد باستخدام استثنائى للحجر الأحمر فى بردية تورين وكانت أبرز انجازات زوسر الهرم المدرج فى سقارة الذى يطل على مدينة ممفيس العظمى ، وهو مبنى ضخيم يرتفع الى ست طبقات غير متساوية الى ارتفاع ٢٠٤ أقدام (لوحه ٤) وليس بمصر مشهد أزعى للانتباه من المجموعة المكتشفة حديثا نسبيا من المباني التى تناولها الترميم ، والتى يتوسطها هذا الهرم ويرجع الفضل فيها على أية حال لا لزوسر نفسه بل لمعماريه المشهور امحوتب (ايموتيس لدى

اليونان) التي أدت شهرته فيما بعد ككاتب ثم كقادر على الشفاء الى تأليهه والى اقترانه بنصف الاله اليونانى اسكليبيوس ، وانه ليس بغير سبب ان نسب مانيتو الى ايموثيس اختراع البناء بالحجر ما دام الأثر الجنازى العظيم لزوسر يعد فى الواقع أول اثر مبنى بأكمله من هذه المادة ، ذلك أن المقابر الملكية للأسرات السابقة كانت من اللبن مع استخدام قليل للجرانيت والحجر الجبرى للأرضيات وما شابهها . وكان الهرم المدرج يعد أصلاً كمسطبة ، وان كانت القاعدة مربعة وليست مستطيلة ، ولكنه اتخذ فيما بعد مظهره الحالى الوحيد من نوعه عن طريق تغييرات متتالية فى التخطيط ، وقد كشف البحث فى متاهة السرايب السفلية عن عدد من الجدران مزججة بالقاشانى الأزرق تقليداً للحصير ، كما عثر فى أماكن أخرى على آلاف من الأوانى الرائعة الأشكال والصحون من المرمر والبرشيا منثورة فى جهات متفرقة . وتظهر بعض النقوش السفلية الملك فى أوضاع الاحتفالات وتميط رقتها الرائعة عن مدى تملك النجات فى ذلك العصر لناصية فنه التى لا تقل براعة فى ممارسته عن براعته فى نحت التمثال الجالس النبيل لزوسر الذى عثر عليه كذلك من بين الأشياء الأخرى ، وأما الساحة الكبرى فى الخارج فقد أماطت اللثام عن مبان من الوان من الطرز غير المتوقعة . وبصرف النظر عن غرف المعبد فى الجانب الشمالى وهى الغرف التى كانت تستخدم فى الخدمة اليومية للقرايين وشئون الاحتفالات الأخرى وكذلك صف النواويس الذى يبدو أنه كان يستخدم للاحتفال بعيد سد أو اليوبيل الملكى ، بصرف النظر عن هذه جميعاً نرى أنه قد كشف عن عدد من المباني الرائعة لا يستطيع معرفة أو تخمين الغرض منها ، وقد استخدمت فى بنائها فى كل مكان كتل صغيرة من الحجر الجبرى يمكن أن نقابلها بوضوح بالعمارة الضخمة التى فصلتها الأسرة التالية .

وليس من شك فى أن البناء باللبن فى العصر السابق كان لا يزال له أثره فى عقل المعمارى وكانت امكانيات قطع الحجر لا تزال قيد البحث وغير واضحة تماماً ، وانا لنلاحظ بصفة خاصة الابواب الحجرية نصف المفتوحة التى تحاكي نظائرها السابقة من الخشب ، وهنا نلتقى كذلك للمرة الاولى بالاعمدة ذات القنوات أو الاضلاع وبعضها أوراق مدلاة يبدو انها نقلت عن نبات اختفى (١) الآن ولم يعد له وجود ، ولا تزال هذه الاعمدة على أية حال مرتبطة بالجدران المتاخمة لها ، وكأنما هى فى حاجة الى الثقة فى قدرتها وقوتها كدعائم . ويحيط بالمنطقة كلها سور ضخم مكسو بالحجر

الجبرى ، وتعلوه شرفات ، يبلغ طوله حوالى ١/٢ ميل من الشمال الى الجنوب وحوالى نصف ذلك الطول من الشرق الى الغرب .

وان نحن تجاوزنا عن بناء مهم فى الركن الجنوبى الغربى من السور الذى يبدو الجزء العلوى منه وهو يطل على العالم كأنما هو قبر آخر لزوسر نفسه ، وان كان بحجم أقل ، ننتقل الى أضرحة الملوك الآخرين من الأسرة الثالثة ، لقد أثبتت اللفظة منذ عام ١٩٥١ بسبب الكشف الذى قام به زكريا غنيم عن هرم آخر شديد الشبه لا يبعد كثيرا الى ناحية الجنوب الغربى وهنا مرة أخرى نجد سورا ضخما تدعمه جدران من الحجر الجبرى لها المظاهر نفسها تقريبا وان شيدت بشئ من مراعاة الاقتصاد التى تدعو الى القول بأنها نسخة من عصر متأخر نسبيا ، وانا لنصل الى النتيجة نفسها لا عن طريق اختيار الموقع الذى يبدو أقل أهمية ، أو استعمال كتل أكبر من الحجارة ، ولكن كذلك بالحقيقة التى تقرر ان هذا الهرم الذى كشفه غنيم صمم على هذه الصورة منذ البداية بخلاف الهرم المدرج الذى كان ثمرة كثير من التردد والتغير ، ولا تزال الحفائر لم تستكمل حتى اليوم ولسنا ندرى بعد خيبة الامل بالعثور على تابوت فارغ ان كان سيقدر لنا العثور على جزء هام من المعدات الملكية ، وهناك على الأقل ، دلالات واضحة تشير الى أن الاثر لم يهجر دون أن يستخدم ، بل ان الاختام على بعض أغشية الدنان الطينية تكشف عن اسم الملك الذى كان يملكه ، ويحمل اسم (الحورس سخم خيه) وقد أثار هيس أن الاسم قد ورد على نقش فى وادى مغارة (سيناء) كان ينسب من قبل الى سممبسس من ملوك الأسرة الأولى ، ومما يؤكد وجهة نظره تأييدا قويا ان النقش موضوع التساؤل واحد من مجموعة من الوثائق عن حملات فى سبيل البحث عن الفيروز وكلها تخص الأسرة الثالثة ، ولم يمثل زوسر وحده فى هذه المجموعة بل هناك كذلك فرعون يدعى زانخت يرتبط ارتباطا قريبا بزوسر فى بيت خلاف فى مصر العليا حيث يظهر الملكان ولكل منهما مسطبة كبيرة من اللبن تجاور الواحدة منهما الاخرى (١) ، وأما هرم زانخت - ان كان له هرم - فغير معروف ، وقد اقترح «لاور» انه مات صغيرا وان المسطبة التى كانت نواة للهرم المدرج بنيت أصلا له ، ومع ذلك فهناك هرم آخر نعرفه اليوم بطراز أهرام الأسرة الثالثة كشف عنه «بارزنتى» عام ١٩٠٠ فى زاوية العريان على مبعدة أميال قليلة الى جنوب العيزة ويعرف باسم الهرم ذى الطبقات (٢) ولكن

(١) PM, V, 37.

(٢) P.M. III, 69, 70.

هذا الاثر الذى دمر بصورة تلفت النظر يعزى الى فرعون آخر مجهول كذلك يدعى «خع با» عثر على اسمه على أوان حجرية فى مجاوراته ، واما آخر وأحدث الاهرام التى يمكن أن يوضع فى المجموعة نفسها فيقع على مبعدة بضعة أميال الى جنوب سقارة فى ميدوم فى مكان لا يبعد كثيرا عن مدخل الفيوم ، وهو يشبه اليوم ، بعد ان نزلت عنه كل كسوته الخارجية ، برجا ضخما بجوانب مائلة تعلوه درجتان مرتفعتان قرب القمة ، وتشير كتابة فى معبد صغير بسيط عند قاعدته انه كان يظن فى عهد الاسرة الثانية عشرة أنه يخص سنفرو أول ملك من ملوك الأسرة الرابعة ، ولكن أسبابا سنتعرض لها فيما بعد تدفع الى ابداء وجهة نظر أخرى .

لو ان الأسرة الثالثة بدأ بزوسر فانها تضم أربعة ملوك فقط أو على الأكثر خمسة من الحكام يشغلون فترة لا تعدو طبقا لتقدير تورين خمسة وخمسين عاما ، وتبدو فترة انتسعة عشر عاما المقدرة لزوسر قصيرة قصرا غير معقول لا يتناسب واكمال هذا الأثر الضخم وقد نقبل التسع والعشرين سنة التى يقدمها مانيتو ، لولا أن أسرته الثالثة تضم تسعة ملوك لكل منهم فيما عدا توسورثروس (زوسر) أسماء غير مؤكدة ، وبجملة مدة حكمهم ٢١٤ سنة ، واما القوائم الملكية لابييدوس وسقارة فتقدم بردية تورين بالنسبة لعدد أربعة من الملوك وان كان هناك تناقض مزعج فيما يتصل بالأسماء التى تقدمها وهناك بصفة خاصة شك فيما يتصل بمركز نب كارع (١) الذى تضعه قائمة سقارة بعد خليفة زوسر الذى يحمل اسما مشابها هو زوسر تنى ، بينما تحل أبييدوس محل الملكين المجهولين : سيجس ونفر كارع . وتتفق بردية تورين وقائمة سقارة من ناحية جعل حوني السلف المباشر للملك سنفرو ويؤكد هذا نص أدبي مشهور (٢) . وهناك حقيقة قد تدعو فى أول الأمر لارتباك الدارس هى اختفاء اسمى سخم خيه وخع با ، وزانخت من قوائم الملوك ، وهى الأسماء التى ذكرناها من قبل للملوك من الأسرة الثالثة ، ولعل السبب فى ذلك هو أنه فى ذلك العصر كانت الأفضلية لا تزال تعطى طبقا للعادة القديمة بالإشارة للملوك بأسمائهم الحورية (انظر صفحة ٦٨) بدلا من الأسماء التى كانت تشغل مكانا أقل أهمية حتى حكم سنفرو والتى بدىء فى وضعها منذئذ فى خرطوش ، ولذا فانه أشد احتمالا أن تحقيق شخصية الملوك الثلاثة الذين نحن بصددهم محجوبة فى خراطيش قوائم الملوك . ومن المعروف

(١) للمناقشة ، Vandier, p. 200.

(٢) JEA, XXXII pl. 14, L. 7.

أن هذه هى الجالة بالنسبة لزوسر الذى يوصف دائما فى الهرم المدرج وفى بيت خلاف بال « حوريس نترى خيه » وأما اسم زوسر فقد سجل لأول مرة على لوحة من العاج ، متأخرة ، يبدو فيها هذا الاسم كأنما هو « اسم نبتى » (١) . ولكن هناك دليلا مؤكدا على أن « نترى خيه » هو زوسر بالهيراوغليفية وهو توزورثروس لدى مائيتو نلتقى به فى نص منقوش على الصخر يرجع الى العهد البطلمى فى جزيرة سهيل عند الجندل الأول (٢) . ويروى هذا النقش الملك نترى خيه زوسر بلغ به الحزن مداه من جراء مجاعة أصابت البلاد مدى سبع سنوات ، فطلب النصيح من الحكيم أيمحوتب وعلم منه أن فيضان النهر يقع تحت سلطان الاله ذى رأس الخروف : خنوم صاحب الفنتين الذى سرعان ما هدأ زوسر بمنحة هى رقعة كبيرة من أراضى النوبة السفلى المعروفة فى العهد اليونانى باسم « دوديكاشينس » وقد نوقشت مدى صحة محتويات هذه الوثيقة من الناحية التاريخية وظلت موضوع نقاش طويل ولكنه يبدو من غير المحتمل أن هذه الرقعة الكبيرة من الأرض كانت تحت سلطان الفرعون فى هذا العهد البعيد .

ولم يبق من محلفات الأسرة الثالثة المعاصرة شئ يسجل سوى كتل من معبد بناء زوسر فى هليوبوليس (٣) . وهكذا نستطيع أن نتقل الى العصر الذى يمثل أوج التاريخ المصرى .

لو أن أهرامها الخمسة العظيمة كانت هى كل ما تستطيع الأسرة الرابعة أن تقدمه كدليل على قدرتها على التنفيذ ، فإن هذه الأهرام تستطيع حتى اليوم أن تكون دلالة على العزم القوى والمقدرة الفنية التى لا مثيل لها فى أى عصر أو ظرف . ولقد أماطت الكشوف خلال الستين سنة الأخيرة عن تعديلات هامة فى فكرتنا عن الهرم ، فالهرم ليس مجرد كومة من الأحجار مشيدة فوق قبر ملكى لها شكل هندسى خاص أو هو بتعريف أدق ، قبر ضخم له قاعدة مربعة ذات أربعة جوانب مثلثة متساوية تلتقى عند القمة بل انه يبدو الآن أكثر من ذلك ، إذ انه يشرف على جبانة

(١) م. ز. غنيم « حورس سخم خت » القاهرة ١٩٥٧ .

«Horus sekhem khet» pl. 65, b

P. Barguet. La stèle de la famine a Séhel, Cairo 1954. (٢)

W. Stevenson Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting (٣) in the Old Kingdom; Boston, 1946, figs. 48-53.

واسعة ، فيها - بخلاف الهرم - ثلاثة عناصر مختلفة (١) . فهناك أولا بالقرب من حافة الصحراء يطل على الأرض المنزرعة بحيث يمكن الوصول اليه بواسطة قارب في زمن الفيضان معبد واد مبنى بنسب متوافقة وان كان أقل ضخامة ، ثم هناك ممر مسور يبلغ طوله أكثر من ربع ميل صاعدا الى أعلى ٠٠ الى المعبد الجنزى الحقيقى المتناخم مباشرة للهرم من الناحية الشرقية حيث يوجد « باب وهمى » أو لوحة غائرة تقليدا لفتحة الباب لتمكين الحاكم المتوفى من الخروج ليشترك فى الطعام الوفير المستجلب من الضياع الكثيرة المتصلة بالمؤسسة الجنازية وكانت جدران العناصر الثلاثة معدة لأن تزين بنقوش وكتابات تروى مختلف أنواع النشاط فى الأناثيم ومدى ما قام به فرعون ثم الطقوس اليومية والمتصلة بالأعياد التى كانت تقام تكريما له . وكانت هناك أهرام أصغر بالقرب من هرمه هى مدافن لزوجاته وبناته - ولقد كان الشكل الهرمى من غير شك من مميزات الملكية من ناحية الحجم ومن ناحية المظهر الخارجى ان هو قورن بجلاء بالمساطب ذات السقوف المستوية لأقاربه من الأمراء ولرجال البلاط والموظفين والتى تدور من حوله وتنظم فى شوارع كأنما هى مدينة أحسن تخطيطها ، وليس هناك من رمز مرئى خير من ذلك يستطيع أن يمثل الصلة التى تدعو الى المهابة بين حاكم بالغ القوة الذى يوصف عادة بأنه الاله العظيم « نثرا »  « أو الاله الطيب » نثر نفر  . وبين هؤلاء الذين كانوا يوما خدمه وعباده . وهناك مظهر أخذ يزداد وضوحا فيما بعد هو وجود مركب من الخشب كبير الحجم على جوانب الهرم موسى داخل فجوة مغطاة ، وقد عثر على نظائر لهذه المراكب منذ عهد الأسرة الأولى (٢) . وقد افترض دائما انه يمكن الملك من أن يرتحل عبر السماء فى مركب اله الشمس ، ولكن ما دام قد وجد وهو يواجه الجهات الأصلية الأربع (٣) فمن المحتمل أنها قصد بها فقط أن يمكن صاحب الهرم من أن يرتحل حيثما أراد كما كان يفعل حين كان حيا فوق الأرض (٤) . وتبدأ الأسرة الرابعة لدى مانيتو بملك أعطى اسمه مشوشا تحت اسم « سوريس » ولا بد أنه كان يقصد به سنوفرو الذى سلفت الإشارة اليه كخليفة لـ « حونى » وما دامت زوجته التى سنشير اليها فيما بعد

(١) انظر لوحة ٧

(٢) Emery, Gt III, p. 42 and pl. 44.

(٣) لقد وزعت المراكب الخمسة لكل من خوفو وخفرع على أساس ان ثلاثة منها على الجانب الشرقى واثنين على الجانب الجنوبى (المترجم)

(٤) JEA, XLI, 75 ff.

بتفصيل ، كانت تحمل لقب « ابنة الاله » فانه يفترض ان حونى كان ابا لها ، وأن سنوفرو يدين بعرشه لهذه الرابطة ، ومهما يكن من أمر فان أهمية ما بقى لنا من فواحي نشاطه ، ثم أمر تأليهه المتأخر فى مناجم الفيروز فى سيناء تجعل من الطبيعى أن نرى فيه مفتتحا لعهد جديد ، ومن المصادفة الموفقة أن حجر بالرمو وكذا القطعة الكبيرة بمتحف القاهرة قد احتفظتا بتسجيل أحداث ستة من أعوام حكمه الأربعة والعشرين أو أكثر ، فالى جانب بناء كثير من السفن وصناعة أبواب وتماثيل فى قصره يرد ذكر حملة ضد أرض النوبيين حيث يؤكد فيها احضاره سبعة آلاف أسير ، مائتى ألف من الماشية ، وكذا حملة أخرى ضد تبحنو الليبيين حيث حصل على غنيمة هامة وان كانت أصغر ، ولعل أطرف من ذلك ذكر وصول أربعين قارباً محملة بخشب الأرز هى من غير شك من ببلوس عند سفع لبنان ، وأما عن أمور أخرى من النوع نفسه فربما كان هناك غيرها ولكنها تتضاءل بطبيعة الحال أمام المخلدات الرائعة التى خلفها لنفسه وهى لا تزال ترى فى دهشور على مبعدة أربعة أميال جنوبى سقارة ، وانه ليبدو من غير الطبيعى أن ملكاً واحداً يبنى لنفسه هرمين كبيرى الحجم لا يبعد الواحد منهما كثيراً عن الآخر ، ولكن حقيقة الأمر يؤكدها مرسوم من عصر بيوبى الاول يعفى الموظفين من خدمات معينة كان رعايا فرعون الأقل حظاً يكلفون بها ، وقد عثر على اللوحة التى تحمل هذا المرسوم (١) فيها يظن أنه كان معبد الوادى للهرم الحجرى الشمالى فى دهشور الذى يخص سنوفرو فى أغلب الأمر تبعاً لذلك . وقد أثبتت الحفائر الأخيرة أن الهرم الحجرى الثانى على مبعدة ميلين الى الجنوب يخصه كذلك ولما كان من العسير أن نتخيل انه شيد ثلاثة اهرامات فان الاول فى ميدوم ينسب اليوم الى حونى وان وقع عبء اتمامه على سنوفرو واذا كان الأمر كذلك فيمكن الأخذ بنظرية أنه كان لسنوفرو ثلاثة اهرامات ويعرف الهرم الجنوبى من هرمى دهشور باسم الهرم المنكسر الأضلاع بسبب الزاوية السفلى لنصفه الأعلى ، البادية للعيان ، ويبدو أن الهرم الشمالى به العيب نفسه تقريبا فى ميله ولذلك نعتقد أنه الأحدث ، وكلاهما يزيد على ٣١٠ أقدام ارتفاعاً وأما من الداخل فهما متشابهان من ناحية وجود غرف دفن عالية جداً ذات رفارف وقد كشفت حفائر أحمد فخرى (٢) فى منطقة الهرم المنكسر الأضلاع عن معبد للوادى به نقوش رائعة مصورة بها حاملات القرابين اللواتى يمثلن اقطاعات سنوفرو

ZAS, XLII, I ff. (١)

Ann. Serv., LI, 509 ff. (٢)

الجنائزية فى مختلف أقاليم الوجه القبلى المعروضة فى نظام أصبح نموذجيا بعد ذلك ، ولقد قامت هناك كذلك مجموعة لأقاليم الوجه البحرى لم تبق لنا منها سوى أجزاء قليلة . ولهذه المناظر أهمية كبيرة ؛ لأنها تدل على أنه حتى فى هذه العصور المبكرة كان قد نشئ الجهاز الإدارى العريض الذى ظل قائما حتى العصور اليونانية الرومانية .

وقد خلف سنوفرو وراءه شهرة الحاكم المثالى فى الخير وحسن التصرف (١) . وقد تحرك خط الاهرام من بعده شمالا الى الجيزة فيما يقابل القاهرة تقريبا . وقد ظل كذلك باستثناء وحيد تحرك فيه الى الجنوب ، واما أن نصف أهرام الجيزة بأنها من عجائب الدنيا السبع فان ذلك قد يبدو أقل من الواقع مادام الهرم الأكبر (٢) يفوق فى حجمه أى مبنى أقامه الانسان فى تاريخه ، وأما ارتفاعه (٤٨١ قدما) فلم يفقه فى الآثار المصنوعة من الحجر سوى الأبراج المستدقة الأطراف لكاتدرائية كولن ، وقد سبقت الإشارة الى أسماء خالقى هذه العمالة المعمارية الممتدة منحرفة عبر صحراء هضبة الجيزة (لوحة ٥) كما قدمها هيرودوتس وهم كيوبس وكفرون وميسرنيوس على التوالى ، ورغم انها فى صورها هذه بعيدة عن الصواب فان شيوعها يشفع فى استمرار استخدامها (٣) . وقد وصف الهرم الأكبر فى غير هذا المكان وصفا كاملا طيبا بحيث لا نرى أنفسنا بحاجة الى الافاضة أكثر من أن ترتيباته الداخلية تشير الى استحداث تغييرين كاملين فى التصميم تضمن الأخير منها تشييد السرداب العظيم الرائع الذى يميل مرتفعا الى غرفة الدفن الفعلية وهى قاعة كبيرة من الجرانيت تعرف اليوم تحت اسم غرفة الملك . وهناك ثلاثة أهرامات صغيرة قرب القاعدة من ناحية الشرق أقيمت من أجل زوجات الملك ، وقد صفت أمامها مساطب كبيرة احتفظ بها لإبنائه الرئيسيين، واما المعبد الجنزى فقد تهدم تماما ولكن بعض الكتل وبها نقوش يبدو أنها من بقايا الممر الصاعد (٤) . ولسنا نعرف سوى القليل بعد ذلك عن أعمال هذا

(١) G. Poesner, *Litterature et Politique*, Paris 1955, p. 332.

(٢) PM III, 5 f..

(٣) الأسماء شائعة بالكتابات الأجنبية ولكنها غير شائعة على هذه الصورة باللغة العربية ، ومن ثم فان المترجم يقترح التسمية بالعربية : خوفو وخفرع ومنكاورع ، وهى مطابقة تقريبا للتسمية المصرية القديمة (خوفوى ، خاعافرع ، من كاو رع) .

(٤) W. Stevenson Smith, op. cit., LII 563 ff. p. 157 n-l.

الملك حارجا عن نطاق هذا الشاهد الالادى لسلطانه الأوتوقراطي ، واما خرطوشه الذى يحمل اسم خوفوى - أو بالصيغة الأكل «خنوم خوفوى» ، فقد عثر عليه فى محاجر متعددة . وفى مقابر أقربائه ونبلائه ، وفى عدد من الكتابات من العصر المتأخر ، ولكن من بين هذه جميعا ليس هناك وثيقة معاصرة تستطيع أن تزعم أصالتها التاريخية الا ما يتصل بدفن أمه « حتب حر اس » . وفى فبراير ١٩٢٥ م كانت بعثة جامعة هارفرد برئاسة الدكتور ريزنر تقوم بفحص المنطقة الواقعة مباشرة مقابل الضلع الشرقى للهرم الأكبر حيث عثر على مدخل ، بدا الحرص فى اخفائه ، لبئر مقبرة كشف فى قاعها عن أثاث جنازى مهشم ، وان كان كاملا ، لزوجة سنوفرو أم خوفو وقد نطليت إعادة الأثاث الى حالته الأولى بضع سنوات من الجهد الطويل ، ولكن النتيجة كانت حصول متحف القاهرة على مجموعة من القطع لا نظير لها بالنسبة لجمالها الرقيق ونسبها المتناسقة وليس هنا مجال الأطناب فى وصف السرير المغطى بالذهب والمطعم أو المحفلات أو صندوق السدائل أو الكنوز الأخرى لهذه المجموعة الفريدة ، ولكننا نحس بحاجة الى أن نثريث قليلا عند الأحجية التى تقدمها ، ذلك أنه رغم العثور على أحشاء الملكة ملفوفة ومحتفظا بها فى صندوق من المرمر من النوع المعتاد استخدامه فى ذلك العصر لهذه المناسبة ، الا انه لم يظهر أثر للجسد المحنط حين تم رفع غطاء الثابوت ، وأما الرواية الأليمة التى تخيلها ريزنر ليفسر مثل هذا الحدث العجيب فاننا ننصح بضرورة قراءتها بكلماته هو ، وكل ما يبدو مناسبا للقول بهذا الصدد انه كانت هناك إعادة للدفن تمت بمنتهى السرية وبطريقة تصونه من أى انزعاج ، ويجب أن نضيف الى ذلك أن ريزنر ومساعدته ستفنس سميث استطاعا أن يقوموا بعمل شجرة لأسرة خوفوى : زوجاته وأولاده بمنتهى المهارة والأصالة ، وان كانت تدعو لتأمل ليس مجاله هنا ، ونحن كذلك ليس لدينا سند سليم نقيم عليه قرارا ثابتا عن طول مدة حكم خوفوى الذى تسجله بردية تورين كأنما استغرق ثلاثة وعشرين عاما ، بينما يسجل له مانيتو - ولعله يلجأ الى الحدس وحده - ليس أقل من ثلاثة وستين عاما .

والشئ نفسه يمكن أن يقال عن الستة والستين عاما التى يقدمها مانيتو للخلف التالى لـ « خوفوى » صاحب الهرم الثانى (١) ، ولقد رأينا

(١) PM, III. 6 f.

ان اسمه لدى هيرودوتس هو كفرن ، ولكن علماء الدراسات المصرية اتفقوا على قراءة خرطوشه ك «خع أف رع» ولكن رانكه أبدى منذ زمن ليس ببعيد أسبابا قوية لقلب عنصرى الكلمة المركبة بحيث تصبح قراءة الاسم « رع خع اف » (١) فلو كان هذا صحيحا فان علينا أن نفترض ان النطق الصحيح أهمل فى العصر المتأخر وحل محله آخر يعكس الترتيب المكتوب للعنصرين ، ولما كان حدس رانكه لم يلق بعد من جماعة علماء المصريين موافقة فانه من الخير أن نلتزم التسمية التى عرفت من بعيد وهى «كفرن» أما أهمية ما قام به كفرن كبناء للهرم فقد حجبته بغير لياقة أعمال أبيه خوفوى ، ومع ذلك فان الهرمين متساويان فى المساحة وفى الارتفاع ، فليس هناك من فارق كبير بين الاثنتين ، ولكن الهرم الثانى بنى فوق مرتفع من الأرض ، ومن ثم يبدو كأنما هو الأكبر ، ولا يزال التابوت المهشم مصنوع من الجرانيت المصقول قائما فى مكانه من غرفة الدفن ولكن المصنوع لم يخلفوا أثرا لصاحبه الاصلى ، وأما البقايا الجوهريّة للثلاثة الاجزاء الرئيسية من مبنى الهرم العادى فلا تزال باقية ولعل أبرز ميزة فى المعبد الجنائزى لـ « كفرن » هو ضخامة حجم الكتل من الحجر الجيرى التى استخدمت فى بنائه وهى أكبر كتل من نوعها فى أى مكان آخر فى مصر القديمة ، وأما النقوش فى هذا المعبد وفى الممر المساعد فقد دمرت ربما فيما عدا قطعة أو اثنتين ، ولم يعثر على شئ منها فى معبد الوادى كذلك حيث كانت مثل هذه الزخرفة لا تستطيع الا أن تنتقص من جمال جدران الجرانيت الاحمر الملساء ؛ ولا يزال معبد الوادى قائما وهو الذى كان يسمى خطأ من قبل ، بمعبد «أبو الهول» ويعد واحدا من أكثر المناظر التى تبعث على الرهبة فى منطقة الجيزة ، فالابهاء الفسيحة بأعمدتها المربعة الصارمة تعكس البساطة والجمال الأخاذ لعمارة تلك الايام الغابرة ، ولقد عثر هناك كذلك بين تماثيل أخرى لـ كفرن على التمثال الرائع المصنوع من الديوريت الذى يعد من غير شك واحدا من أعظم القطع الفريدة من صناعة التماثيل التى انحدرت اليها من أقدم العصور .

ويقع (٢) أبو الهول الى الشمال الشرقى مباشرة ، وهو فى الخيال الشعبى لكل العصور تجسيد لسر لم يمتل عنه اللثام وللحق المبهم وقد اختفى الآن ، بعد أن تم تنظيف هذا التمثال على شكل الاسد برأس آدمى من كل ما يحيط به من الرمال ، الكثير من سحره الخفى ، ومع ذلك فان

(١) JAOS, LXX, 65

(٢) PM, III 8

أحجية أصله لا تزال باقية ، ولعل أكثر وجهات النظر احتمالا هي أن كفرن نحتته من ربوة من الصخر كانت متاخمة للممر الصاعد صور بها نفسه في صورة تجمع بين الرجل والاسد وليس من شك أن النموذج لم يبدأ به ولكن قدر له أن يصبح شائعا لا في زخرفة العمارة المصرية وحدها بل في الوحدات الزخرفية في العالم أجمع ، ولم يهتم المصريون أنفسهم بالأصل التاريخي لهذا النموذج ؛ وقد كان أبو الهول الجيزة بالنسبة لهم الها أطلقوا عليه ٠٠ « حورام أخى » أو « حورس في الأفق » وهو في اليونانية حرماخيس ولكنه من المؤكد أنه كان يعتبر كذلك شبيها بالملك وان هناك

كثيرا من الرصانة في مقترح المرحوم الاستاذ جن من أن كلمة $\Sigma \phi \nu$

مشتقة من  شسب عنخ « الصورة الحية » ؛ وهي

فقرة ربما تتطلب أن يضاف إليها ل « رب العالم » أو (الاله) أتوم التي نلتقى بها أحيانا ؛ ومن الغريب أن هيرودوتس تجاهل السفنكس تماما وأن بلينى « (١) كان الكاتب الكلاسيكي الوحيد الذى عرض لذكره »

وأما فيما يتصل بأحداث عهد كفرن ؛ فإنه ليس هناك ما يمكن أن يقال عنه أكثر من ذلك كما هي الحال بالنسبة لكيبوس ، وان ما رواه هيرودوتس (٢ : ١٢٤ ، ١٢٨) فيما يتصل بقسوة وعدم تقوى هذين الطاغيتين ربما كان ذلك استنتاجا من ضخامة الأعمال التي فرضاها على رعاياهم التعساء ، وأما دحض الاتهام الخاص بعدم التقوى فيقوم شاهدا عليه كتل ضخمة من الجرانيت عثر عليها في بوباستيس تحمل اسميهما كانت أجزاء من معبد شيد هناك من غير شك . ولقد فصل حكم الملكين عن بعضهما بملك آخر هو « رع جدف » الذى جلس فوق العرش ثمانى سنوات فقط ، واختار - لسبب خفى - مكانا يبعد بضعة أميال الى شمال غرب الجيزة عند «أبو رواش» ليبنى هرمه ، وقد تم الكشف عن بقاياها التي لم تكتمل (٢) ، وهناك حكم آخر قصير أو حكمان يتدخلان بين كفرن وميسرينوس اذا سلمنا بأن رقم ١٨ (أو ٢٨ ؟) سنة الموجود في بردية تورين ينسب للآخر ، وينسب الهرم الثالث في الجيزة (٣) الى ميسرينوس أو منكاورع ان نحن أردنا أن ننطق اسمه كما هو مسجل بالكتابة الهيروغليفية وهو مبنى أصغر حجما بكثير كان يستطيع أن ينافس جاريه العملاقين

Nat. Hist. 36-17. (١)

PM, III, I (٢)

Op. cit., III, 7 f. (٣)

من ناحية الفخامة لو ان مشروع تكسيته جميعا بالجرانيت الاحمر كانت قد نمت ، وعلى أية حال فان هذا العمل لم يستكمل ، كما يقوم استخدام اللبن في جانب كبير من الممر الصاعد ومعبد الوادى دليلا على موت صاحبه المفاجيء ، وليست هناك من وسيلة نستطيع التعرف عن طريقها الى كيفية حدوث ذلك الامر ، كما نرى انه من غير الممكن أن نقرر مدى صدق ما زعمه هيروتس من أن ميسرينوس كان ملكا تقيا خيرا ان هو قورن بسلفيه العظيمين وقد أثمرت الأبحاث المستكملة التى قام بها ريزنر ومعاونوه فى منطقة الهرم فكشفت عن العديد من تماثيله الرائعة ، ولعل أجمل القطع واحدة بالحجم الطبيعى من الاردواز تمثل ميسرينوس وزوجته الملكة ويضمها اليوم متحف بوستون كواحدة من كنوزه الهامة (لوحة ٦) وهناك الى جانب ذلك مجموعة من قطع من الاردواز من حجم أصغر بكل منها مجموعة من ثلاث تمثل ميسرينوس بين الالهة حتحور وأحد معبودات الاقليم ، وربما كان هناك من نوع هذه المجموعة اثنان وأربعون قطعة ، ولكن لم يعثر سوى على أربعة سليمة كاملة .

ولقد انهارت الاسرة سريعا بعد موت ميسرينوس فأكمل خلفه شبسسكاف هرمه وقام بتجهيزه ، ويعد شبسسكاف الملك الأخير الوحيد من ملوك الاسرة الرابعة الذى يعد شرعيا من وجهة نظر معاصريه وكذلك من وجهة نظر قائمة ابيدوس وان أضافت القائمة الملكية لسقارة ثلاثة آخرين ضاعت أسماؤهم ، ومن ثم لا يمكن مقابلتها بالأسماء التى يقدمها مانيتو . واما ان شيئا ما حدث فى هذه المرحلة جعل الأمور تسير فى غير طريقها السليم فيبعث الى التفكير فيه اختيار شبسسكاف لجنوبى سقارة منطقة لدفنه وأمره ببناء مقبرة له لا على شكل الهرم بل على شكل المقبرة مع ميل الجوانب الى الداخل وهو طراز الثابوت ، تابوت العصر . وأما السقف فمشطوف الحافة مع أطراف مستقيمة قائمة وهذه المقبرة المعروفة لدى الاهلين فى المنطقة بمسطبة الفرعون سرعان ما لحقتها بعد ذلك بقليل صورة منها تحاكيها فى منطقة الجيزة على شكل الاثر المسمى بالهرم غير المكتمل أو الهرم الرابع (١) وقد كشفت الحفائر عن أن هذا الأثر الواقع بين الممرين الصاعدين ل كفرن وميسرينوس ينسب الى أم الملك المسماة خنت كاواس التى ظلت عبادتها قائمة خلال الاسرة الخامسة . وقد دار جدل حول النص المنقوش على الباب الوهمى الضخم ، ويرى يونكر انها انتحلت

لنفسها فعلا لقب « ملك مصر العليا والسفلى » وهي دعوى قام بها ثلاث نساء سواها فقط خلال كل التاريخ المصرى . ومع ذلك فهناك ترجمة بديلة لها قوتها من الناحية اللغوية وتصفها كأنما هي أم ملكين لا ملك واحد فقط (١) . وعلى كل حال فانه يبدو انه من المتفق عليه أن خنت كاواس كانت السلف المباشر للأسرة الخامسة وإن كان هذا الرأى يتعارض مع التراث الموجود فى قصة من أواخر الدولة الوسطى تروى أن الملوك الثلاثة الأوائل للأسرة الخامسة كانوا ثلاثة توائم أبناء لزوج كاهن بسيط من كهنة رع فى إحدى مدن الدلتا ساخبو (٢) .

ومهما يكن أصل الأسرة الخامسة فليس هناك من شك بالنسبة الى طبيعتها المتغيرة والتميزة بالتفرد ، وأنا لنرى أنه تبعا لقصة الابن الأكبر ل « رديدة » أنه أنبىء أنه سيصبح الكاهن الأكبر لاله الشمس فى أون وهى المدينة الكبرى التى عرفها اليونان تحت اسم هليوبوليس وأننى ليست اليوم سوى ضاحية صغيرة الى شمال القاهرة ، وليس هناك ما يؤكد أو ما يدعو الى احتمال أن أوسركاف أول ملوك الأسرة قد مارس هذه الوظيفة وإن كان من المؤكد أن الكهانة الهليوبوليتانية بدأت تمارس فى عهده سلطانا لم يعهد من قبل . ولا يسجل حجر بالرمو سوى القليل مثل بعض هبات الأراضى والقرايين لاله الشمس رع ولابتنه حتحور



وللكائنات المبهمة المسماة « أرواح أونو baw-iwnw

ومن المهم أن ندرك على أية حال أن هذه العبادة الشمسية المبالغ فيها لم تكن مقصورة على الشمس كما حدث بالنسبة لاختاتون بعد ذلك بأكثر من ألف عام ذلك لأنه كان من بين المعبودات الأخرى الهات مصر العليا والسفلى التى كانت تعد كذلك منتفعة . وينعكس المركز الجديد لسيادة اله الشمس على التطور الجديد الذى وقع على الألقاب الملكية فحتى هذه المرحلة لم يظهر اسم رع الا فى خرطوش رع ددف وكفرن وميسرينوس . وأما فى الأسرة الخامسة فإن رع أصبح عنصرا منتظما كما نرى عند سرد أسماء الملوك التسعة فى تتابعهم الموثوق به : وسركاف ، ساحورع ، نفر اير كارع (كاكاي) شبسس كارع (ايزى ؟) رع نفراف ، نى وسرع (ان) ، من كاوحر ، دد كارع (ايزوزى) ، ونيس ، والأسماء التى وضعناها بين الاقواس كانت أسماء شخصية مثلها فى ذلك مثل الاسماء التى توضع داخل الخرطوش وتصبح أخيرا لقب الملك ، بينما يصبح الاسم الذى به




كلمة رع هو الاسم العام ، ومما يعد أكثر أهمية أن لقب زار رع

Ann. Serv., XXXVIII, 209 ff. (١)

Erman, Lit., p. 43. (٢)

« ابن رع » الذى وجد استثناء مع اثنين من الملوك الثلاثة للأسرة الرابعة الذين ذكرناهم من قبل بدأ الآن يصبح أكثر ملازمة إما داخل أو خارج الخرطوش ، وأصبح له فى النهاية مركز ثابت بين الاسم واللقب ، وأما الصيغة النهائية للقب فقد قدمنا لها وصفا وإيضاحا من قبل فى صفحة ٦٨ .

ومما يلفت النظر أكثر من ذلك على أية حال الدليل المستقى من طراز جديد للآثار كان - بقدر ما نعلم - من المبتكرات الأصيلة للأسرة الخامسة ، ولم يمتد الى ما بعد حكم ثامن ملوكها . انه ليس من شك فى أن هؤلاء المتحمسين لعبادة الشمس أدركوا أنهم ليسوا بقادرين على تمجيد الهيم المختار بقدر الفخامة التى أضفاها ملوك الأسرة الرابعة على تمجيد ذواتهم فحركوا المنظر الذى يمثل نشاطهم المعماري الى بضعة أميال الى جنوب الجيزة حيث تقل المقارنة التى تثير التحاسد من الوجهة العملية ، فهناك فى منطقة «أبو غراب» التى ظلت دهرا تحمل اسم هرم ريفاء كشفت الحفائر التى قامت بها Deutsche Orientgesellschaft الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية ، تحت ادارة المهندس القدير ل . بورخارت (١٨٩٨ - ١٩٠١م) عن معبد كبير للشمس يفترض عقلا انه صورة نسخت عن معبد رع أتوم فى هليوبوليس . والمنظر الخارجى العام يشبه منظر المجموعة الهرمية العادية وله مبنى كمدخل عند الوادى ثم ممر صاعد يؤدى الى مستوى أعلى ، وعند القمة ما يماثل الهرم ومعبد الجنازى الرئيسى وأما الفسارق الرئيسى ففى استبدال هذين الآخرين بمسلة مقامة فوق قاعدة مربعة مثل الهرم المبتور القمة  وتذكرنا المسلة بحجر قديم جدا فى

هليوبوليس يعرف باسم بنبن bn bn  ربما كان اشتقاقه من «الواحد المشع» ، والذى كان يرمز من غير شك لشعاع أو أشعة الشمس ، ومن المعروف ان ستة من الملوك التسعة للأسرة الخامسة قاموا ببناء معابد للشمس من هذا النوع لكل منها اسمه مثل « متعة رع » و « أفق رع » و « حقل رع » وقد أمكن تحديد مكان اثنين منهما فقط ، أحدهما ينسب الى أوسركاف يجرى كشفه اليوم على يد أحد تلاميذ بورخارت وهو ه . ركه وهو معبد يبدو متواضعا ، وأما الآخر فهو الذى قام ببنائه نى وسرع الذى كشف عنه تماما بورخارت نفسه (١) وكان إله الشمس يعبد هنا تحت قبة السماء كما يناسب طبيعته . وتوجد عند قاعدة المسلة ، شرفة فى وسطها مذبح كبير من المرمر وإلى شمال المذبح مسافة شاسعة كانت تقاد

(١) انظر قائمة المراجع فى نهاية الفصل

اليها الثيران حيث تذبح والى شمال هذه الساحة كذلك صف من المخازن
واما المرتفع الذى تقوم فوقه المسلة فكان يوصل اليه ممر طويل مغطى فى
وزرة الشرفة من ناحية الجنوب وتزينه مناظر منحوتة ومنقوشة بصورة رائعة
وبعضها تمثل فصول السنة بنباتها وحيواناتها التى خلقها اله الشمس، بينما
تصف الأخرى عيد سد الذى كان تجديدا دوريا للملكية حين كان يجتمع آلهة
نصفى الدولة ليمجدوا الملك ، ولا بد انها كانت لحظة مثيرة للعواطف حين
كان يبرز الكهنة فى خلال الاحتفالات من الممر المظلم نسبيا الى ضوء
الشمس الساطع الذى ينشره الههم فى الخارج . ولقد أثرت بسبب هذه
المجموعة من الآثار مشاكل خطيرة على أية حال ذلك أنه من المفهوم أن
يطمح كل ملك لتشييد ضريح فخيم له ، وان كان تفكيرنا العصري
لا يستطيع أن يمنع نفسه من العجب من الفخفة التى تفوق الحد التى
يمثلها بناء الاهرام ، ولكن مما يدعو الى الحيرة أن نجسد كل ملك يتلو
صاحبه يضيف معبد شمس منفصل من نسب متشابهة كى يؤكد صلة
بنوته بالمعبود ولا بد أن استنزاف موارده كان ضخما ، كما لا بد أن
ذلك الأمر تزايد ما دام هناك ما ينهض دليلا على أن منشآت أسلافه لم
تهجر بموتهم ، وليس عجيبا ان المسئولية المتراكمة بعضها فوق بعض
أصبحت أكثر مما يطيق ايزوزى الذى توقفت فى عهده مثل هذه المشروعات
ولقد دار التفكير مليا وكرس فى العصر الحديث لهذا الامر ولأمر أخرى
تتصل بمعابد الشمس (١) وان كان ذلك بنجاح محدود لحاجتها الى أدلة
إيجابية .

وقد تبع كشف بورخارت لمعبد الشمس للملك نى وسرع كشفه
المتتابع لاهرام الأسرة الخامسة المتجمعة معا فى «أبو صير» على مبعدة ميل الى
الجنوب تقريبا ، ولكن قبل أن نناقش ذلك الأمر يجدر بنا أن نقول شيئا
عن أهرام الملوك الثلاثة الأولين للأسرة الذين اختاروا شغل مواقع بعيدة الى
الجنوب فى سقارة بالقرب من الهرم المدرج - أما مدفن وسركاف - وهو
غير عادى من نواح عدة - فقد وجد مهشما تماما؛ لأنه استخدم كمحجر وجبانة
فى العصر الساوى ، وكان قد زود بنقوش سفلية رائعة لعل أشد قطعها
جذبا للأنظار قطعة تمثل منظر صيد الطيور الذى ربما كان يستخدم كنموذج
للرسوم المتشابهة فى المقابر من العصور اللاحقة (٢) ، ولكن لعل خير
مكافأة كانت رأسا لتمثال ضخم من الجرانيت الأحمر محفوظة

Mitt. Kairo XIV, 104 ff.; WZKM liv. 222 ff. (١)

W. Stevenson Smith. op. cit., pl. 52. (٢)

الآن فى متحف القساهرة ، ويظن ان التمثال - اذا كان جالسا - يزيد ارتفاعه على ١٥ قدما (١) . أما مكتشفا هرم زدكارع ، ايزوزى وقد ماتا فى سن مبكرة ، فلم يخلقا أى تقرير عن عملهما وربما كان ذلك فى المجاورات حيث عثر عام ١٨٩٣ على عدد كبير من قطع البردى لم تنشر بعد وتقاسمتها عدة متاحف وكلها مؤرخة بعصر ايزوزى وان كانت تخص الأملاك والادارة الجنازية للملك الأسبق نفر ايركارع كاكاى . ومن بين الموضوعات التى تناولتها المدفوعات اليومية لرؤساء الكهنة أو «المتنبئين» (٢) أو لسدنة معبد الشمس ومن بين الأشياء الأخرى كذلك تحويل الايراد الى ضيعة هرم كاكاى ثم القرابين المقدمة الى تماثيله والى تماثيل الملكة الأم خنت كاواس، ومثل هذه الوثائق نادرة جدا فى هذا العصر حتى لنرى لهذه المجموعة أكبر قيمة ، ومع ذلك فالأمر يتطلب الدراسة العميقة لحل رموز كتابتها العسيرة ولتحديد محتوياتها الصحيحة . ويعد هرم ونيس أصغر من أهرام أسلافه جميعا ، ولكن الثمار التى أمكن جنيها من ورائه ذات أهمية ، وأما ممره الصاعد فطوله ٧٣٠ قدما وهو مزين بنقوش من أدق الأنواع (٣) وموضوعاتها متنوعة جدا وغير عادية فهى تمثل مثلا النقل بالمراكب من أسوان لأعمدة الجرائيت على شكل النخيل ثم السجف المستخدمة فى تشييد المعبد الجنزى ، وهناك كذلك مناظر للعمال يمارسون مختلف الحرف ولكن لعل أعجبها جميعا وأعسرها فهما الصور العجفاء لقوم من الواضح انهم يموتون جوعا ، أما الترتيبات الداخلية للهرم فهى كذلك غير عادية وتقع أهميتها الرئيسية لدارس المصريات فى أن جدران البهو وغرفة الدفن مغطاة بأقدم النصوص الدينية التى بقيت لنا من قدماء المصريين مكتوبة فى أعمدة راسية بالهيررغليفيه وتحوى هذه النصوص رقى ، هدفها خدمة صالح الملك فى العالم الآخر وتعرف باسم متون الأهرام لانها لا توجد هنا فقط بل نلتقى بها كذلك فى أهرام أربعة من ملوك الأسرة السادسة وفى أماكن أخرى .

ولنرجع الآن الى الأهرام التى كشفها بورخارت فى «أبو صير» وهى أهرام ساحورع نفر ايركارع ، نى وسرع ومن بينها نجد ان هرم نفر

(١) Ann. serv., XXXIX, 64 ff with pl. I.

(٢) هذا هو الاسم الذى أعطاه اليونانيون لأعلى طبقة من الكهنة المصريين وهم يدعون باللغة الوطنية خدم الآلهة وحين تستخدم بهذه الصورة لا تصبح متضمنة قوة التنبؤ عن المستقبل .

(٣) W. Stevenson Smith; Art and Architecture, Horns Worth, 1958, pp. 75, 76 with p. 262, nn. 28, 29.

ايركارع لم يكتمل ، كما ان الصف السفلى من ممره الصاعد استخدمه نى
وسررع لأغراضه الخاصة . ونحن أمام عدم وجود نشر كامل عن هرم
ونيس ، نجد فى هرم ساحورع مميزات الآثار الجنازية للأسرة الخامسة على
أكمل صورة . وهما من ناحية الحجم أصغر بكثير من هرم كيوبس وكفرن
وأما من ناحية الجمال فهي جميعا فى مستوى واحد على الأقل ، ولكن
الضخامة والبساطة الوعرة أفسحت هنا مجالا للرشاقة والكمال الفنى
وهناك تطور مشابه فى بلادنا (١) لذلك هو التطور من العمارة النورمندية
الى القوطية ، ونلاحظ فى الأسرة الخامسة أن الأعمدة المربعة المستوية تحل
محلها الأعمدة الاسطوانية التى تمثل جذوع البردى المربوطة ببعضها
البعض ولها تيجان منحوتة برقة لتحاكى سعف النخيل ، هذا الى ان الثراء
فى النقش الذى يزين كل أجزاء المجموعة مذهل رغم اختفاء جانب كبير
منه بسبب نهب الأجيال اللاحقة المتعشمة الى الحجر الجبرى الناعم الذى
رأوا انه من الممكن استخدامه فى مبانيهم ونستطيع أن نتخيل المنظر
الوضاء العام حين ندرك أن الأرضية كانت تصنع غالبا من البازلت
المصقول ، بينما تستقر منحوتات الحجر الجبرى الأبيض اللامعة فوق الأجزاء
السفلى من الجدار المصنوع من الجرانيت الأحمر . وهناك تجديد صارخ فى
مجموعة ساحورع هو وجود أنبوبة صرف من النحاس تمر بطول الممر
الصاعد كله وهي مسافة لا تقل عن ٣٣٠ ياردة . أما موضوعات النقش
فمنوعة جدا ، ولو اننا استطعنا العثور عليها كاملة لكانت كفيفة بأن تبرز
كافة نواحي النشاط الطموح للملك ورعيته فى حيوية أكثر مما تستطيع
أن تفعل أية رواية مكتوبة ، ومن بين الصور الأقل واقعية مما بقى لدينا
واحدة تمثل فرعون وهو يحظى بلقاء الاله خنوم ويرضع من ثدى الربة
العقاب لمدينة نخن (هيراقونبوليس) وهناك كذلك حملة قرابين وهميون
يجسدون مختلف مظاهر الطبيعة مثل البحر والحبوب ، أو أفكار معنوية
مثل الفرح ، ويقابل هذه الأفكار التصويرية البحتة مقابلة شديدة منظر
فخم للصيد فى الصحراء وبقايا منظر آخر يمثل لقاء شرك لفرس البحر
فى النهر ، وان كان الموضوع - حتى فى هذا المجال - أصبح تقليديا . ومن
المستحيل أن نؤكد ان ساحورع نفسه وهب مثل هذا الاستعداد الرياضى،
ولقد سلفت الإشارة من قبل صفحة ٧٤ الى حملة ضد الليبيين كان
من ثمارها الاستيلاء على غنيمة ضخمة واخضاع أمراء أجنب وعائلاتهم .
ولكن لعل أكثر لفتا للنظر من الناحية التصويرية منظر رائع للسفن العائدة
من سورية بالتجارة والاسسيويين على ظهورها وأسلحتهم مرفوعة ولاء

(١) يقصد المؤلف : انحلترا - المترجم .

لفرعون ، وربما كان ذلك بمناسبة حملة الى لبنان للبحث عن الخشب القيم جدا من غاباتها . وقد كشفت الحفائر التى أجراها مونتيه ودينو فى ببلوس عن أوان حجرية تحمل أسماء كثير من ملوك الدولة القديمة ربما ليس بينها اسم ساحورع . وربما كان من المبالغة أن نصف ببلوس بأنها مستعمرة مصرية ولكننا ندرك على الأقل ان الرسل المصريين كانوا يقابلون دائما بالترحاب هناك . وان هذه المدينة الساحلية كان بها معبد للربة حتحور مقترنة بالربة الوطنية السامية استارته (عشتار) وتذكرنا صورة السفن هذه ان الاشارات الوحيدة فى قطع حجر بالرمو الى أية مشروعات دنيوية لفراعين الأسرة الخامسة لا تعدو مشروعين سجلت فيهما رحلات الى سينا سعيا وراء الفيروز ثم الى بوينى مورد البخور ومختلف التوابل ؛ ويبدو ان كل المغامرات الخارجية للدولة القديمة بخلاف الحملة الليبية السالفة الذكر تستهدف النفع وحده . فهى سفرات للحصول على موارد للملك يستطيع أن يرضى نزوته فيما يتصل بتشبيد المباني وأن يزيد من أبهة بلاطه وأن يسد حاجة المعبودات التى يتعبد لها .

والرأى السائد اليوم أن الأسرة الرابعة لم تستمر على العرش أكثر من ستين ومائة عام بينما لا تزيد مدة حكم الأسرة الخامسة على أربعين ومائة عام . وتبدو هذه الأرقام ضئيلة بالنسبة لما تم من أعمال . ولكن يبدو أنه من الضروري مع ذلك أن تنتقص (١) ؛ لأنه ليس هناك ما يدعو الى الشك فى صدق رواية أحد رجال البلاط الذى يزعم انه نال التشريف خلال حكم ستة ملوك من رع ددف الى ساحورع ، أو فيما قاله أمير ملكى ناله تشريف مماثل ولكنه يبدأ بعهد خليفة رع ددف وهو كفرن (٢) ، وفى الوقت نفسه تلقى تغييرا صارخا على أية حال بالنسبة للمصادر التى نستقى منها معلوماتنا عن هذه الفترة ، فالطابع الأبهى المكتوم للمساطب السابقة أفسح هنا مجالا الى لهفة لم يكن لها نظير فى أى بلد قديم آخر لوصف وتصوير كل مظهر تقريبا للحياة اليومية ، وليس لنا أن نتخيل بطبيعة الحال ان النحاتين أو سادتهم كانوا متخلفين عقليا ذلك انه بخلاف الدافع لخلق الجمال اللازم لكل عمليات الخلق الفنية ، نجد هنا أن الحافز كان الاعتقاد فى ان مثل هذه الصور تستطيع أن تمكن صاحب المقبرة من أن يستمتع بعد موته بكل الأشياء الجميلة التى كانت من نصيبه على الأرض ، وانا لثرى

A. Scharff, Grundzüge der Aegyptischen Vorgeschichte, Leipzig 1927, (١)
pp. 51 ff.

Ann. serv., XXV, 178 ff. (٢)

لزاما علينا هنا أن نصف التطور في افاضة أكثر ؛ ذلك أنه في أوائل الأسرة الرابعة كانت تقام الطقوس الجنائزية في مصليات صغيرة من اللبن تقام في الجانب الشمالى من المسطبة . وكانت البينة الوحيدة التى تشير الى شخصية وطموح صاحب المقبرة عبارة عن لوحة حجرية يمثل فيها جالسا أمام مائدة قربان مصحوبا بنص هيروغليفى يعدد أنواع الطعام والشراب التى يأمل فى تناولها ثم أنواع الكتان لكسائه وفراشه وكذا الأوانى والأثاث اللازم لسكناه . ومع ذلك فقد كانت هناك بعض الاستثناءات لهذا الطراز الأبكم . فهناك مقابر ميدوم من عهد سنوفرو (١) بها لوحات تمثل الحرف فى ضيعة نبيل عظيم وكذا صناعة القوارب وصيد الأسماك والطيور والحرف وذبح الثيران وهكذا . وهناك نقوش من نفس العصر تقريبا تسجل ثروة أحد الوجهاء فى الدلتا ويدعى متن (٢) الذى يخبرنا كيف أضاف الى الأرض التى ورثها عن أبيه بشراء أرض جديدة وأنه ابتنى لنفسه بيتا من حوله حديقة مسورة وأنه شغل عدة مناصب هامة . وهناك روايات بالهيروغليفية من الأجيال التالية تعالج موضوعات مختلفة : مكافأة « خدم الروح » مقابل القيام بالخدمة الجنائزية المستمرة بعد موت صاحب المقبرة ؛ وصية لتوزيع أراضى أوصى بها أحد أولاد كفرن (٣) اسداء العرفان بالجميل لاهتمام فرعون ببناء مقبرة (٤) ؛ وليس من الممكن أن نعد هذه النصوص التاريخية ، ولكنها تعطى أضواء جانبية على حضارة تلك الأيام .

وعلى أية حال فإن النقطة التى نريد أن نضبط عليها هنا هي ان هذه الأمور بالغة الندرة ، ولكن باقتراب الأسرة الخامسة نجد أن هذه الوثائق سواء تصويرية أو مكتوبة تزداد عددا بشكل ملحوظ . وفى هذا دلالة على الواقعية المتطورة للايمان بأن فرعون رغم دعواه من ناحية الألوهية كان فى الواقع رجلا لا يعلو كثيرا من ناحية التمجيد على رعوس نبلائه . ولقد كانت العطايا والهبات الكثيرة التى كان يقدمها لصيانة سلطان الحكم تصنع أسس النظام الاقطاعى وبدأت الغرف الداخلية تبنى فى جسم المسطبة تمثل قصور الأثرياء فمقبرة تى (٥) المشهورة ، بها مثلا بهوان بالأعمدة

(١) PM IV, 90 ff.


(٢) BAR I, §§ 170 ff.

(٣) Op. cit., I §§ 190 ff.

(٤) Ann. Serv., LI, 131 ff.

(٥) اشتهرت لدى السياح باسم مقبرة « تى »

وسرداب جميل ثم قاعة مخزن ضخمة ورواق أخاذ . هذا الى أن النقوش بدأ يتخللها الآن تنوع ملحوظ جدا في تتابعها فقلما نجد مظهرا من مظاهر الحياة اليومية غير ممثل ، ويستطيع المرء أن يصحب صاحب المقبرة على جدران قبره في طريقه للتفتيش على الحمازين وصانعي الجعة وعاصري العنب والطباخين والنحاتين والنجارين والصناع أو يجلس معه يستمتع بالموسيقا والرقص أو يشاركه في لعب الدامة . وقد تتسلل بعض التفاصيل المجونية (الهزلية) أحيانا الى هذه الصور فنرى مثلا قردا ينفش ريش كركى أو بعض ساق خادم ، كما نرى ان الرواية الهيروغليفية تختزل كل قصة استطرادية بجانب من المحادثات التي تتردد بين القوم الممثلين بها ، وهو أمر يتعارض تماما مع الأفكار التي كانت سائدة من قبل عن قدماء المصريين والتي لا تناسب اليهم أى تفكير عن شئ سوى الموت أو التحنيط ، ولكن علماء الدراسات المصرية يعلمون تماما أنه لم يوجد شعب أحب الحياة أكثر منهم وأنه ليس هناك شعب أكثر مرحا أو ابتهاجا ، وهناك مساحة محببة هي المساواة الواضحة بين الجنسين ففي النقوش والتماثيل تشهد المرأة تلف ذراعها حول وسط زوجها كما تمثل الابنة تعامل بالركة والحنان اللذين ينالهما الابن الصغير على قدم المساواة .

وقد سجلت بردية تورين بعد ونيس مجموعا لسنى الحكم من ولاية منيس حتى عهده ومن أسف أن الرقم مفقود . ولكن القيد على هذه الصورة يعنى أن فترة كبرى يظن انها انتهت عند هذه المرحلة . ويتفق معها مانيتو فى هذا الصدد فيبدأ الاسرة السادسة ذات الستة ملوك ممفيين عند النقطة نفسها ويطلق على أول ملك اسم اوئويس ، ومن الواضح انه تلى الذى تقدمه قائمتا الملوك فى ابيدوس وسقارة خليفة ل اوئيس . ومن الغريب ان مانيتو - وهو غير دقيق من غير شك - يجعل من الفنتين منشأ للأسرة الخامسة ، ومع ذلك فان الصواب لم يجانبه على أية حال حين وصف الأسرة التالية بأنها ممفية مادامت كل أهرام ملوكها قائمة فى سقارة على مبعدة أميال من بعضها البعض ، والواقع ان هرم ثالث ملوكها بيوبى الأول وهو الهرم المسمى من نفر  « بيوبى مستقر وجميل » هو

الذى منح اسمه للمدينة العظيمة منف فى وسط الوادى المقابل لسقارة تماما ، وليس من المعروف لم عد تلى مؤسسا لأسرة جديدة ولكننا نعلم انه حوالى ذلك الوقت حدث التغير الخطير فى هيبة الدولة المصرية . لقد ولت المركزية الضخمة التى ميزت العهود السابقة وذلك حين كانت أكبر أطماع كل نبيل أن يقام قبره فى ظل هرم مولاه - أما الآن فان كرم فرعون

بالنسبة للمقربين له أصبح لا يلقي الجزء المناسب ذلك ان ثروته الخاصة لم تستنزف فحسب . بل ان ثروة نسلاته أخذت تزداد تضخما حتى أصبحوا ينافسونه في القوة والنفوذ . فظهرت في كل مكان على مقربة من المدن الاقليمية الكبرى جبانات جميلة حيث أخذ - لا الأمراء المحليون وحدهم بل كذلك أبرز رعاياهم ، يزودون مساطبهم ومقابرهم الصخرية بشيء من الفخامة التي كانت تمارس في العاصمة الملكية - ويكفى هنا أن نذكر المقابر التي كشف عنها ونشرت مثل المقابر في نواحي زاوية الأموات وميرودير الجيراوي واخميم ودندرة وادفو وأسموان (١) وهناك كذلك واحدة أو اثنتان في طيبة رغم ان شهرة هذه الناحية لاتزال بعيدة جدا .

وهكذا رغم ان أursturatische اقليمية قد استطاعت أن تثبت أقدامها ، الا أننا يجب ألا نتخيل ان فراعين الأسرة السادسة كانوا ضعافا ، بل على العكس فأننا نشهد من بينهم بعضا من أعظم الاسماء في كل التاريخ المصري ان نحن اتخذنا قاعدة لحكمنا وجود خراطيش في كل مكان وأصداء نشاطهم ومشروعاتهم التي وصلت إلينا . والحق يقال ان آثارهم لا تستطيع أن تنافس من الناحية الفنية أعمال الأجيال السابقة ولا تستطيع كذلك أن تشير الى أصالتها الا بقدر ضئيل . أما أهرامهم فمن غير شك كانت قيمة حتى لنرى ان معظمها قد انهار وتحول الى كومة من أنقاض ، وقد ولت كذلك الحماية الدينية التي تركزت حولها جهود الأسرة الخامسة لتجديد اله الشمس ، وبدلا من ذلك نجد متون الأهرام تشغل الجدران في غرف الدفن الخاصة بهم وهدفها الوحيد السعي وراء رفع شأن الاله أوزوريس الذي كان الملك المتوفى - كما سنرى فيما بعد - مقترنا به تماما - وقد يثار اعتراض ربما فيه بعض العدالة - مؤداه ان تطورا مثل هذا لابد انه كان تدريجيا وان حكمنا عرضة للشك بسبب ندرة الوثائق الرسمية للأسرة الخامسة - ان هي قورنت بوثائق الأسرة السادسة - فلدينا مثلا من أبيدوس ميثاق إعفاء منحه نفر اير كارع لكهانة ذلك المكان يشبه نظائر له متأخرة عنه (٢) ومع ذلك فان الاتجاه العام سليم ويتمشى مع تعيين حكام اقليميين بارزين ليكونوا رؤساء لمقاطعاتهم ، فهناك مثلا «أيبي» في اقليم جبل الحية (٣) الذي أراد فرعون أن يشاركه في بناء المعابد المحلية وإعفاء خدمها من السخرة وهكذا . ولكي نقدم أمثلة قليلة نرى عهدا يقطعها تنى

(١) انظر PM. VI, V تحت هذه العناوين

(٢) BAR I § 377

(٣) PM, V, 40

ويوبى الأول فى أبيدوس (١) وكوبتوس (٢) (فقط) كل منهما فيما يخصه ، وفى بوباستس بقايا هيكل شاده بيوبى الأول (٣) الذى أقام كذلك مبنى هاما فى هليوبوليس (٤) مما يشير الى ان اله هذه المدينة لم يغفل أمره تبعا لذلك وان كان العهد به قد تقادم . وقد ذكر اسم الحاكم نفسه فى العصور البطلمية فى معبد دندرة كما ذكر اسم مؤسسه (٥) . وعثر له فى هيراقونبوليس على تمثالين من النحاس وهما من أجمل النماذج فى صياغة المعادن التى انحدرت إلينا من عهد الدولة القديمة - (٦) وحتى لو كانت هناك خلال الأسرة السادسة أقاليم استطاعت أن تبرز بصورة ضخمة فان كثيرا من الأشراف أملت عليهم واجباتهم أن يحصل الواحد منهم لنفسه على مقبرة بالقرب من العاصمة . وقد كشفت حفائر لوريه ، كويبل ، فرث حول هرم تتى عما يؤكد ذلك الأمر (٧) . ولقد كان وزيره مروقا - وهو فى الوقت نفسه صهره - صاحب واحدة من أجمل المساطب (٨) هذا الى ان كاهنا أكبر فى ممفيس يدعى سابو فاخر بالحماية التى أضفاها على جلالته حين خرج من قاربه بمناسبة الاحتفالات (٩) . وهناك كاهن أكبر آخر يحمل الاسم نفسه سجل فخره عند تعيينه (١٠) كما أن هناك موظفا يروى كيف أرسل الى طرة لاجزار الحجر الجيرى لبعض عمليات البناء (١١) - وأما وجود زوجتين ل تتى فتسجله مسطبة ممتعة كبيرة ل « خويه » وكذا الهرم المجاور ل «ايبوه» (١٢) ولقد كانت الملكة الأخيرة أما ل «بيوبى» الأول الذى عمل على تأمين ادارة لا تتوقف لمزار لها فى كوبتوس (١٣) (فقط) وأما عن أعمال تتى الشخصية فلانعرف عنها شيئا ، وانه لمن المستحيل أن نعرف ان كان صحيحا ما زعمه مانيتو من أنه قتل بيد حرسه .

ومن الواضح أن حكم خلفه وسركارع كان سريع الزوال مادمنا لانلتقى باسمه فى غير قائمة الملوك فى أبيدوس وعلى خاتمين اسطوانيين . أما فكرة العظمة التى يوحىها اسم مرى رع بيوبى الأول فلأتقوم على أثر بالغ الأهمية

- | | |
|---------------------------|--------------------------------------|
| Op. cit V, 126 f. (٢) | PM, V, 40 (١) |
| JEA, XXIV, I ff. (٤) | (٣) انظر فى آخر الفصل |
| PM, V, 193 (٦) | Gauthier LRI, 160 (٥) |
| Op. cit, III, 140 ff. (٨) | Op. cit. III, 131 ff. (٧) |
| | (٩) Bar I, § 286 ولكن الترجمة مختلفة |
| Op cit. I, § 290. (١١) | Op. cit. I § 288. (١٠) |
| Op. cit. V, 126 (١٣) | PM, III, 84, 129 (١٢) |

خلد من عهده ولكن على وفرة وسعة انتشار النقوش التي تذكره . وهناك دلالات أخرى ، منها - كما سلفت الإشارة - تسمية ممفيس باسم هرمه وكذلك انه ظل يذكر بالتوقيير لعدة قرون بعد وفاته . ولقد كان حكمه طويلا . فمانيثو الذي يمكن أن يعتمد على أرقامه التي يضعها لهذه الأسرة أكثر منه في أى مكان آخر يقدر له ثلاثة وخمسين عاما ، وهناك حملة وجهت الى محاجر المرمر فى حتنوب (١) مؤرخة بالعام الخامس والعشرين لتعداد الماشية وهو التعداد الذى كان يتم كل سنتين فى هذه المرحلة مما يعنى السنة الخمسين للحكم . ونقوش الصخور نفسها - شأنها فى هذا شأن غيرها فى وادى الحمامات - (٢) تشير الى المناسبة الأولى لعيد سد الذى ربما احتفل به فى العام الثلاثين . وكان بيوبى فخورا بهذه المناسبة فخلد ذكرها على أوانى المرمر الموجودة فى اللوفر اليوم ، وفى غيرها وليس هناك ايضاح مرض عن سبب تغير اسمه من نفر زاحور الى مري رع (٣) . وربما كان الاسم الحورىسى « مري تووى » أو « المحبوب من الأرضين » يعنى سمعة كان يتوق الى تحقيقها . ولعل ما يكشف عن نظرته غير المتعجرفة زواجه على التوالى من ابنتين لأمير محلى بالوراثة يدعى خوى يبدو أنه كان من مواطنى أبيدوس (٤) وقد حملت كل من الابنتين نفس الاسم مري رع عنخ ناس ولئن صدقنا النص الذى يسجل هذا الأمر فإن الواحدة أصبحت أما لحلف بيوبى الأولى وهو مرنرع وأما الثانية فأم خلفه الثانى بيوبى الثانى وأما أخوهما زعو فكان يشغل منصب الوزير . ويبدو ان هذه الارتباطات بالأقاليم تتفق وروح العصر .

كنا نحس فى الفصل السابق أن علينا ان نضغط على تفاهة معظم ما يسمى بنقوش رواية حياة الأفراد فى الدولة القديمة وذلك من الناحية التاريخية . وأما هنا فمن حسن طالعنا اننا نستطيع أن نروى ما يعد استثناء جزئيا على الأقل . فهناك لوح حجرى لا يلفت النظر من مقبرة فى أبيدوس يقص الطريقة التى استطاع بها « ونى » - وهو رجل من نشأة وضيعة - أن يرتفع الى واحد من أكثر المراكز المرموقة فى البلاد (٥) ، ذلك أنه بعد أن خدم كموظف صغير فى عهد تتى عينه بيوبى الأول «سميرا»


(١) PM, IV, 237.

(٢) Op. cit VII, 329

(٣) ZAS, XLIV, 129; LIX, 71.

(٤) BAR I, § 344-9

(٥) انظر قائمة المراجع فى نهاية الفصل

smr  أو رجل بلاط مقرب . وقد صاحب هذا التشريف تعيينه في مركز كهنوتي في مدينة هرمه . وسرعان ما كسب ثقة الملك الذي عينه عقب ذلك قاضيا ، وقد برز في هذا العمل مظهره قدرته كمساعد للوزير ليستمع الى قضايا مؤامرة افرخت في الحريم الملكي والستة البيوت الكبرى ، وحين أنهى هذا الواجب الهام أحس انه يستطيع أن يلتبس المعونة لتزيين قبره ، وسرعان ما منحه الملك مسأله :



أمر الملك حامل الختم الالهى (سزاؤ ونى نثر)

أن يعبر النيل بصحبة عدد من البحارة تحت امرته وأن يحضروا اليه هذا التابوت من طره . وقد عاد به في مركب كبير ، من مراكب البلاط ومعه غطاؤه وبوابته وأسكفته والعضادتان ، ثم مائدة سكائب ٠٠٠ ولم يفعل من قبل مثل هذا لآى خادم ٠٠٠

وتعد الفقرات التالية ذات أهمية حيوية كبرى وهي مسجلة في صورة مصرية أصيلة : حين لم أكن سوى قاض عيننى جلالته سميرا وحيدا ومشرفا على مستأجرى ضياع القصر وقد عينت أربعة من المشرفين من المستأجرين للقصر ممن كانوا هناك ، وقد كانت تصرفاتى بما يتفق ورنسا جلالته من ناحية تأمين الحراسة وتعبيد طريق الملك وشغل الوظائف التى تتطلب اللباقة ولما أقيمت دعوى سرا فى حريم الملك ضسد الملك عيننى جلالته لأستمع (للموضوع) وحدى دون أن يكون هناك أى وزير أو أى موظف . بل أنا وحدى ؛ وذلك بسبب تفوقى ولكونى ثابتا فى قلب جلالته ولأن لجلالته ثقة فى . . . لقد كنت أنا الذى سجل الامر كتابة وحدى مع قاض واحد . ثم ان وظيفتى كانت مشرفا على مستأجرى القصر . ولم يحدث من قبل ان مثلى سمع أسرار حريم الملك ولكن جلالته سمح لى أن أستمع اليها لأننى كنت ممتازا لدى قلب جلالته أكثر من أى موظف آخر من موظفيه وأكثر من أى نبيل من نبلائه وأكثر من أى خادم من خدمه .

وحين أراد جلالته أن يوقع العقوبة على الآسيويين والساكنين على الرمال جمع جلالته جيشا من عشرات الآلاف الكثيرة من كل (أرض) مصر العليا ، من الفنتين فى الجنوب الى مزيينيه (١) فى الشمال ، من مصر السفلى ، من جانبى البيت (٢) فى تمامها ، من سد جر ، ومن خن سجرو ، من نوبىي أرثى ومن نوبىي مدجا ومن نوبىي يام ومن نوبىي واواى ومن

(١) اسم أقصى مقاطعة فى شمال الصعيد التى تحمل رقم ٢٢

(٢) من الواضح ان هذا اصطلاح لجانبى الدلتا .

نوبيي كا آو ومن أرض التمحور (١) . وأرسلنى جلالته على رأس هذا الجيش، وقد كان به أمراء وحاملو أختام ملك الوجه البحرى وسمراء وحيدون من القصر وقواد ورعوس مدن الوجهين : القبلى والبحرى ورؤساء تراجمة ورؤساء متنبئين لمصر العليا والسفلى ورؤساء ملحقات المعابد ٠٠٠ على رأس جيوش مصر العليا والسفلى والمدن والقرى التى يحكمونها والنسوبيين من هذه البلاد الأجنبية ٠٠٠ كنت أنا قائدهم رغم ان وظيفتى لم تكن سوى وظيفة المشرف على مستأجرى القصر : لأننى كنت بحيث أستطيع أن أمنع الواحد من أن يتشاجر مع أخيه وأن أمنع أى واحد من أن يأخذ خبزا أو نعالا من المارة أو يفتصب نقبة من أية قرية وأن أمنع أيا منهم من اختلاس نعجة من الناس . وقد خرجت بهم سريعا من الجزيرة الشمالية ، بوابة أمحوتب ، وساق حورنب ماعه رغم اننى كنت فى هذه الوظيفة ٠٠ هناك كشف لى عن عدد هذه الجيوش ، وهو أمر لم يكن يكشف عنه من قبل لأى خادم . وعند هذه المرحلة ينتقل النص الى رواية شعرية تمثل مظهرها مفردا فى النص :

عاد هذا الجيش فى سلام

بعد أن خرب أرض ساكنى الرمال

عاد هذا الجيش فى سلام

بعد أن اجتاحت أرض ساكنى الرمال

عاد هذا الجيش فى سلام

بعد أن دمر محلاتها المسورة

عاد هذا الجيش فى سلام

بعد أن قطع تينها وكرومها

عاد هذا الجيش فى سلام

بعد أن أشعل النار فى كل بيوتهم الفاخرة

عاد هذا الجيش فى سلام

بعد أن ذبح عشرات الآلاف من رجال جيوشهم

عاد هذا الجيش فى سلام

بعد أن حمل معه جيوشا كثيرة العدد كآسرى

وقد نالنى من مديح جلالته من أجل ذلك أكثر من أى شىء .

وبعد هذه الرواية الشعرية يعود الى الرواية بالثر فيتابع ونى

القصة ويشير الى انه أوفد خمس مرات ليقضى على عصيان سكان الرمال .

ثم يلى ذلك تقرير عن تمرد عند أنف الريم وهو إقليم يظن انه جبل كرمل،

(١) متكلمون بالسنة اجنبية ليقوموا بعمل المترجمين .

وقد عبر بجيوشه الى ماوراء منطقة التلال حتى شمال أرض سكان الرمال .
بينما نصف الجيش يقترب على الطريق الصحراوي ، وقد عول وني على
أن يذبح كل المتمردين

عند هذه النقطة تنتقل رواية تاريخ حياه وني كما يقدمها الى حكم
مرنرع . وتعرضنا عند هذه النقطة مشكلة عسيرة . لقد رأينا وني يشغل
فى عهد تنى وظيفة صغيرة ، وقد قدمنا من قبل الدليل على أن حكم بيوبى
الأول استغرق أكثر من خمسين عاما ، ولو سلمنا بأن مرنرع لم يعقل
العرش الا بعد وفاة أبيه فان وني كان يبلغ من العمر عندئذ أكثر من ستين
عاما حين التحق بخدمة مولاه الجديد . وعلى أية حال فان مهامنا تتطلب بذل
الجهد والنشاط كانت فى انتظاره . . وهى مهام نرى انه من الصعب أن
يعهد الى من كان فى سنه القيام بها ، وربما ذلت العقبة أو قضى عليها
تماما لو أن بيوبى كان قد أشرك معه مرنرع فى الحكم بضع سنوات . ومن
هنا كانت المهام تتم باسم أحدهما . ولقد كشف عن هذا الاشتراك فعلا .
وان كان الدليل واهيا بعض الشيء - يبدو ان وني لم يكن سوى أمين
بالقصر وحامل نعل ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى رقى الى منصب حاكم
مصر العليا وكرجل يشغل مثل هذه الوظيفة الضخمة التى تعنى ادارة
النصف الجنوبي من مصر كان عليه أن يجمع الإيرادات المستحقة وأن يباشر
كل الأعمال التى تؤدى الى تحقيق هذا الهدف وقد قام بذلك مرتين قبل
أن يوفد الى محجر بعيد فى نوبيا لاحتضار تابوت وقمة هرمية نفيسة لهم
الملك . أما عن الفنتين فقد جاء بأبواب من الجرانيت الأحمر وأجزاء أخرى
لنفس الأثر . وقد أنجز هذه الأعمال جميعا فى رحلة واحدة . ولنا أن
نقدر ما بذل من جهد ولكنه تابع ذلك بالتوجه الى معاجر المرمر فى حثنوب
حيث أمر أن تقطع من هناك مائة قرابين ضخمة تطلب نقلها بناء سفينة
طولها ستون ذراعا وعرضها ثلاثون ، ولقد كان ذلك عملا مذهلا أن ينهى
هذه المهمة الهائلة فى ثلاثة أسابيع من الشهر الثالث من شهور الصيف
حين كانت مياه النهر أقل ما تكون انخفاضا ، ومع ذلك فقد كان هناك
عمل آخر ينتظره وهو شق خمس قنوات عند الجندل الأول لتيسير الملاحة ،
وكذا بناء سبع سفن من خشب اللبخ الذى جمعه له رؤساء مختلف الجهات
النوبية . ويبدو انه كان من العسير على وني بعد هذه المهمة الطويلة التى
تستحق التقدير أن يضطر الى أن ينسب كل هذا النجاح الى مقدرة وقوة
عزيمة مولاه . . ولكن ربما كان لا يستطيع الوصول الى هذا المركز بغير
صفات تحوى جرعة اضافية من الحنوع .

ويبدو من هذه الرواية أن مصر كان عليها أن تواجه صعوبات من

ناحية الشمال الشرقي أكثر من تلك التي تأتيها من ناحية الجنوب . وحتى



لو كان العدو يشار إليه هنا باصطلاح «حريوشع»^(١) فانه من الخطأ أن نتخيل انه ومعناه الحرفي « أولئك الذين فوق الرمال » فانه من الخطأ أن نتخيل انه يعنى فقط أولئك الرجل الذين أضر بهم شظف العيش في شبه جزيرة سيناء ، فرد مثل هؤلاء لا يتطلب جيشا من آلاف ، وما لم تغفل أمر التين والعنب ونعتبرهما كمجرد خيال فان جزءا معينا من جنوب فلسطين كان من غير شك داخلا في نطاق العملية ، وربما كانت أكثر التخمينات قابلية للتصديق وهي ان ما وصف بعبارة لطيفة كأنما هو عصيان وتمرد كان يتضمن في الواقع أول موجة من الضغط الآسيوي الذي أزعج مصر بعد ذلك بأكثر من مائة عام وكان تهديدا دائما لها طوال تاريخها .

وانه ليببدو من الطبيعي أن تكون العلاقات مع النوبة أكثر سلاما ، فالمزاي التي يمكن الحصول عليها من علاقات ودية كانت مزاي مشتركة ذلك ان النوبة كانت مصدر سلع للترف قيمة ولا يمكن الحصول عليها من مكان آخر . وكان النوبيون بدورهم يعتمدون كثيرا على جيرانهم الأكثر ثراء وحضارة ، وكانت الحبوب من أهم ما يسعون وراءه ، وان لم يرد لها ذكر في المستند الوحيد الذي يشير الى ما جاء به المصريون معهم بقصد التبادل وحيث ذكرت الأنواع المختلفة من زيت وعسل وملابس وقشاني . وكل الأشياء (١) . ولم تطرأ فكرة استعمار النوبة السفلى في أذهان المصريين الا متأخرة . وقد تقبلوا في تعقل الفنتين كحد جنوبي لهم مدركين ان المنطقة وراء الجندل الأول ليس مرغوبا فيها كممتلكات وأن حاجاتهم يمكن أن تسد عن طريق رحلات خاصة - وقد رأينا كيوبس من ملوك الأسرة الرابعة يطلب احضار الديوريت من محجر في شمال غربى توشكا (٢) حيث عثر كذلك على مجموعة من خراطيش خلفائه ، ولكن الصمت الذي كان يلف كل هذه المشروعات ظل قائما حتى الأسرة السادسة . وفي مرسوم لبيوبى الأول بمنح الحماية لأتباع هرمى سنوفر (٣) نلتقى بفقرات متعددة تحرم التدخل معهم بوساطة «النوبيين المسالمين» وهو اصطلاح يظن انه يعنى رجال البوليس مثل المدجاو في العصور المتأخرة . ونستطيع أن نستنتج من قول ونى انه استطاع أن يجد متطوعين لحملاته الآسيوية من بين مختلف القبائل النوبية وكيف رحب هؤلاء بفرصة وجود عمل في أرض كانوا يعدونها أنسب من أرضهم كما

PM, VII, 275 (٢)

BAR I, § 366 (١)

(٣) راجع ما جاء بصفحة ٩٥ .

هي الحال بالنسبة للبرابرة الذين يستخدمون في مصر اليوم كطهارة وخدم
وما الى ذلك (١) .

وقد زار مرنرع بشخصه اقليم الجندل الأول ليتقبل ولاء رؤساء مدجا
وارثت وواواي (٢) . وربما كان لا يقدر لنا أن نعرف سوى القليل - الى
جانب الحقائق السالفة الذكر - عن علاقات المصريين من عهد الأسرة
السادسة بنوبياء لولا النقوش التي أمر الأمراء الكثيرون المتعاقبون ل «الفنتين»
أن تنقش على جدران مقابرهم التي حفروها في التلال الحجرية عند أسوان .
وربما كان هؤلاء الأمراء أنفسهم نصف نوبيين . وعلى أية حال فانهم كانوا
يعرفون لغة أو لغات القبائل التي كان يطلب اليهم زيارتها . كما يبدو
كذلك انهم كانوا أكثر صلاحية للسفر الى الخارج من معظم النبلاء المصريين
مادامت بويني وبيلوس تذكران كأماكن تردد عليها أحدهم (٣) . بينما
أرسل آخر (٤) الى « بلاد الاسيويين » - وربما كانت تقع في مكان ما على
شاطئ البحر الأحمر لاسترجاع جسد موظف مصري ذبح مع كل رفاقه
وهو يبنى سفينة لرحلة الى بويني . ومن المؤكد انه رغم العلاقات الطيبة
المتبادلة كان من الممكن أن تقوم بعض المتاعب الخطيرة في نوبيا ، ونحن
نعرف ذلك من ببى نخت الذي عرفنا من مقبرته الحادث الذي سلفت
الإشارة اليه وسجله على هذه الصورة .

« أرسلنى جلالة مولاي لأسارع الى بلاد واواي وإيرتى ، وقد تصرفت
بما أرضى مولاي وذبحت عددا كبيرا منهم من أبناء الرؤساء. وضباط الجيش
الشجعان وأحضرت الى العاصمة من هناك عددا كبيرا من الأسرى وكنت على
رأس مجموعة من الجنود الأقوياء الشجعان » . وربما كانت أكثر نقوش
أسوان تزويدا لنا بالأنباء هي النقوش التي نقلنا عنها الخطاب الخاص
بالقزم الراقص (راجع صفحة ٧٦) وهي تبسداً بالطريقة
المتبادلة بالألقاب والنعوت للأمير رئيس التراجمة حوخوف ثم يلي ذلك (٥):

(١) هذه هي نظرة المؤلف لهم ، وإن كان المصريون يرون فيهم اخوة تربطهم بهم
رابطة الجنس والدين واللغة والآمال ، وهذه هي سياسة المستعمرين دائما حين يدسون
السم في الدسم ليثيروا بمثل هذه اللسعات العابرة ، التي قد تبدو بريئة سخائم
النفوس والأحقاد - المترجم . . .

BAR, I, § 317 (٢)

Op. cit., § 361 (٣)

Op. cit., § 360 (٤)

Op. cit., §, 333-6. (٥)

أرسلنى جلالة مولاي مرنرع مع أبى الصديق الوحيد والكاهن
المرتّل أرى الى يام لأعبد الطريق الى هذه البلاد ، وقد أتممت هذا الأمر فى
سبعة شهور وعدت من هناك بكل الهدايا العظيمة النادرة ونالنى المديح
من جراء ذلك ، ثم أرسلنى جلالتى مرة ثانية بمفردى فخرجت على طريق
الفنتين وعدت من أرتى ومخر وترروس وأرتيتى فى مدى ثمانية شهور
... عدت وحملت معى هدايا من هذه البلاد فى كميات ضخمة جدا لم
يحدث أن جىء بمثلها من قبل ، وقد رجعت عن طريق مجاورات بيت رئيس
زاتو وإيرتى وفتحت بهذا طريقا الى هذه البلاد ، ولم يحدث أن تم هذا
بالنسبة لأى سمير أو رئيس تراجمة ممن توجهوا الى يام من قبل - ثم
أرسلنى جلالتى الى يام مرة ثالثة فخرجت من المقاطعة الثينية على طريق
الواحات ووجدت رئيس يام قد ذهب الى أرض التمح ليضرب التمح فى ركن
السما الغربى فذهبت وراءه الى أرض التمح وأرضيته (١) حتى مدح الآلهة
من أجل الملك (أرسلت رسولا ؟) يام ... ليخبر جلالة مرنرع
مولاي (اننى ذهبت الى أرض التمح) واننى أرضيت رئيس يام (عدت ؟)
فى الطرف الجنوبى من أرتى والطرف الشمالى من زاتو ، ووجدت رئيس
أرتى ورئيس زاتو وواوى (هذه البلاد الثلاثة ؟) متحدين معا فى واحد
وعدت ومعى ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت حنكوسات
وجلود فهود وأنياب فيلة وبوميرانج (عصى رماية) وكل المنتجات العظيمة ،
ولما رأى رئيس أرتى وزاتو وواوى كم هو قوى وعديد جيش يام الذى
عاد معى الى العاصمة مع الجند الذين يصحبوننى بعث الى برسول وأعطانى
ثيرانا ومعزا وقادنى فوق مرتفعات أرتى بسبب اليقظة التى أبديتها أكثر من
أى سمير أو رئيس تراجمة ممن أرسلوا الى يام من قبل وحين أبصر
الخدام المتضع شمالا الى العاصمة أمر خونى السمير الوحيد والمشرف على
غرف الحمام المزدوجة أن يخرج للقائى ومعه سفن محملة بنبذ البلح
والكعك والخبز والجعة .

الامير حامل ختم ملك مصر السفلى ، السمير الوحيد ، الكاهن
المرتّل حامل ختم الاله أمين المهام (الملكية) حرخوف .

وقد ترجمت هذه الرواية (٢) التى تنتهى باللقاب واسم صاحب

(١) أى : دفعت له بالكامل كل الأشياء الجميلة التى كان سينالها .

(٢) آخر من ناقش هذا الأمر هو : E. Edel فى Aeg. Stud., pp. 51

المقبرة كاملة لتقدم فكرة أكبر عن أسلوب ومصاعب ما يعرف في نقوش الدولة القديمة الخاصة برواية الاشخاص لتاريخ حياتهم ومنجزاتهم ولعل المشكلة الكبرى تكمن في التعريف بالنواحي النوبية المختلفة التي يشار اليها ، فإين بصفة خاصة تقع بام . وهي نقطة النهاية في رحلات حرخوف؟ لقد قام جدل طويل مثير عن تحديد هذه البقعة التي وصفت بأنها تقع وراء الجندل الثاني ولكن من المستحيل أن نعتقد انها هي كرما التي تقع وراء الجندل الثالث والتي أصبحت في خلال حكم الاسرة الثانية عشرة حامية معزولة في قلب السودان ، أما عن الأماكن الأخرى فإن وادى تمتد جنوبا من الجندل الأول الى مسافة كبيرة ، وأما ارتى فقد تم تحديد مكانها بالقرب من توماس عند منتصف الطريق الى وادى حلفا ، وأما مدجا اتى ذكرها ونى ولم يذكرها حرخوف فتقع على مقربة من الجندل الثاني .

وقد حكم مرنرع أكثر بقليل من عشر سنوات قبل أن يخلفه أخوه نصف الشقيق - بيوبى الثاني ولا بد أن الملك الجديد لم يكن سوى صبي إذ ذاك مادامت بردية تورين ومانيتو يتفقان على أنه حكم أكثر من تسعين عاما ، ويبدو أنه كان في سنيه الأولى تحت وصاية أمه مادامت تذكر معه في سجل حملة أرسلت الى سيناء في السنة الرابعة (١) ، وهناك قطع من برديات من عصر متأخر (٢) ، تذكر كيف أنه ضبط وهو يقوم بزيارات سرية لواحد من قواده في ظلام الليل وهي رواية تتفق مع روح هيرودوت وقد وقعت بعض أحداث المغامرات النوبية التي أشرنا اليها في الصفحات السابقة في عهده الذي لانعرف عنه الكثير رغم طوله ، ولقد كان لديه على أية حال كثير من الوقت ليكرسه لبناء هرمه في جنوب سقارة الذي كان أكبر من أهرام أى من أسلافه المباشرين ، والذي يقدم بفضل الحفائر الممتازة التي قام بها G. Jéquier فكرة أحسن عن طبيعة المجموعة الهرمية في الدولة القديمة من أى هرم من الأهرام المجاورة ، وفيما عدا ذلك نحس أننا لسنا بحاجة الا لنذكر مراسيم الاعفاء التي سبلفت الإشارة اليها وكذا تاريخ حياة أمير من المقاطعة الثامنة أو الثانية عشرة من مقاطعات الصعيد يدعى زعو الذى يزعم بأنه استطاع أن يجهز لأبيه مدفنا فخما وأن يسجل حصوله على تمويله من الملك (٣) ، وهي مادة

(١) PM. VII, 342.

(٢) Rev. d'Eg., XI, 119 ff.

(٣) BAR, I, § 380 ff.

لا تشيخ المؤرخ على أية حال ، ولكن ما نقرؤه بين السطور فى مثل هذه النقوش جميعا يجعلنا نستشعر الانهيار التدريجى للملكية الذى يرجع جزئيا من غير شك الى ضعف قوة الحاكم نفسه ، وانا لنشهد بردية تورين تضيف ثمانية خلفاء قبل أن تصل بالمجموع الى ١٨١ سنة للفترة منذ عهد تنى ، ولم يحفظ لنا من اسماء خلفاء بيوبى الثانى سوى أربعة بينما لاتزيد مدة حكم خمسة من الثمانية الآخرين على أكثر من عشر سنوات ، وهكذا يبدو ان الاسرة السادسة انتهت ببجوعة كاملة من الملوك الضعاف كان من الممكن أن نعددهم ضمن ملوك هذه الأسرة ، لولا ان مانيتو يفضل ان ينتهى بالاسرة عند نيتوكريس وهى ملكة جهدت - شأنها فى ذلك شأن سبك نفرو آخر من حكم فى الأسرة الثانية عشرة - فى استخلاص عرش الفراعنة لنفسها - أما عن نيتوكريس هذه فيقول مانيتو انها كانت « أنبل وأحب امرأة فى عصرها » وتنسب الى هيرودوتس (٢ : ١٠٠) الرواية الخاصة بانتحارها بعد انتقامها من بعض المصريين بسبب ذبحهم لأخيها كى يحلوا مكانه ، واما فى بردية تورين فان « نيتوقرتى » - هكذا كتب اسمها هناك - فكانت الفرعون الثانى أو الثالث بعد بيوبى الثانى ، واذن فليس من شك فى وجودها من الناحية التاريخية ، ولكن من البعيد ان تكون هى الملكة نيت نفسها التى كشف جكييه عن هرمها فى سقارة (١) ، لأن هذه الملكة كانت كبرى بنات بيوبى الأول ، وكان من الممكن ان تكون احدى زوجات بيوبى الثانى عند بداية حكمه الطويل فقط ، واما مناقشة أمر بقية خلفاء بيوبى الثانى فنحتفظ بها للفصل التالى ، وكل مانريد قوله هنا عن نهاية الأسرة السادسة هى انه من الواضح ان مشاكل الاسرة بدت عقب موت الملك المسن مباشرة وانه - كما هى الحال فى الأسرة الثانية عشرة - جاءت ملكة مباشرة مستغلة بذلك الموقف القائم .

انه من الواضح ان الانتصارات الفنية والمعمارية الضخمة فى الدولة القديمة لم تكن لتتم لولا ادارة قوية منظمة تنظيما دقيقا ، ولكن ادواتنا لاعادة بناء صور مناسبة غير كافية لسوء الحظ ، وقد قامت محاولات باسلة لنفث الحياة والحقيقة الى الالقاب التى تزخر بها المقابر ، ولكن يجب ان نعترف بأن النتائج ذات طبيعة مهزوزة جدا وسنحاول هنا ان نقدم فقط صورة عامة خالية من التفاصيل تركز على العقبات أكثر مما تركز على المكاسب الايجابية ، هناك عيب خطير هو أنه - حتى الاسرة

G Jéquier, Les Pyramides des reines Neit et Apout, Cairo 1933. (١)

السادسة - ظل المصدر الوحيد تقريبا لمعلوماتنا هو المنطقة المفقية حيث كان البلاط ، رغم انه منذ ذلك الوقت بدأت مصر العليا تسهم اسهاما ضخما له قيمته . وقد ظلت الدلتا خلال خير جزء من تاريخ مصر صامتة صمتا مطردا ، وهناك مؤبر هام هو أنه تزداد حيرتنا أمام الأهمية الحقيقية لازدواج الصورة الذى يظهر فى مثل ألقاب « المشرف على الشونتين » و « المشرف على غرفتى تزيين الملك » والتوضيح المعتاد هو ان هذه من بقايا الفترة التى تعقب مباشرة اتحاد مملكتى مصر العليا والسفلى وان كانت النظرية الجديدة التى ظهرت حديثا وانتشرت فى كل مكان هو أنه لم يكن هناك أبدا مثل هذا الاتحاد وان الازدواج موضوع التساؤل كان بدعة من خيال المصريين تركز على تكوين شديد الاختلاف لنصفى البلاد، ونحن نعتقد من جانبنا ان الايضاح السابق صحيح الى درجة كبيرة ، ولكن يبقى مع ذلك تساؤلنا عما اذا لم تكن هناك فى عهد الدولة القديمة ادارات مستقلة للشونة لكل من الدلتا والوادي ، وعما اذا لم يكن من واجبنا حقا ان نزعّم قيام انفصال بين حكومات مصر العليا والسفلى ، انه يبدو على الأقل أنه لم يكن هناك تشابه تام ، ولم يكن هناك تماثل دقيق بين نصفى البلاد . . . كانت مصر العليا زراعية بالضرورة وكانت الدلتا أراض للمراعى ، وهناك ما يشير الى أن الماشية كانت تساق بانتظام الى مراعى مصر السفلى لترعى هناك . ولكى نقدم مثلا للادارات المختلفة للأرضين نقدم لقب « امير شمعو » .



حاكم مصر العليا « وهو لقب لم يكن له نظير - فى الدولة القديمة على الأقل - فى الدلتا وان التقينا فى الدولة الوسطى فى مناسبات عدة بلقب



« امير تامحو » أى حاكم مصر السفلى . وعلينا


ان نعترف بجهلنا عن الفترة التى نشأت فيها هذه الوظيفة ، اما فيما يتصل بلقب حاكم مصر العليا ، فهناك صعوبات كثيرة ، وقد دار البحث - ربما عن حق - حول رأى القائل بأن الوظيفة انشئت أول ما انشئت فى خلال الأسرة الخامسة لضمان جمع الضرائب من الاقاليم الجنوبية وكذا لايقاف السلطان المتزايد لنبلأ الاقاليم ، ولكن يبدو من المؤكد انه

قراية نهاية الأسرة السادسة منح هذا اللقب غالبا لهؤلاء النبلاء أنفسهم كلقب تشريفى بحث أو هم اصطنعوه لأنفسهم كحق وراثى ، وقد دارت مناقشات كثيرة حول أى الحالات الفردية يمكن اعتبارها وكأنما تشير الى الوظائف الادارية الفعلية وايها لم تكن فيها التسمية أكثر من نعت شرفى ، ولكن الاحكام التى انتهت اليها هذه المناقشات بدت فى أغلب الأمر بالغة التعسف ، وقد قامت مشكلة مماثلة فيما يتصل بلقب ، ربما كان أكثر أهمية يخص شخصية الوزير نفسه ، ذلك ان حامل لقب « تاتى taty »  الذى يترجم بوزير كان فى كل عصور التاريخ المصرى أكثر موظفى الدولة قوة وهو الرجل الثانى فى الواقع بعد فرعون . وكان الوزير فى الأسرة الرابعة بانتظام واحدا من الأمراء الملكيين ، ولكن الوظيفة انتقلت فيما بعد الى يد نبيل ، له قدرة فائقة بدأت تتحول معه الى وظيفة وراثية ، وحتى نصف قرن مضى كان يظن تماما ان الوزارة كانت لا تعقد الا لشخص واحد فى وقت واحد ، ولكن هذا الاعتقاد تم التخلي عنه بعد أن ظهر على نقش بالكرنك مؤرخ من عهد توتمويزيس الثالث (الأسرة ١٨) يتناول بالذكر عدة وزراء لمصر العليا والسفلى ، وبعد جيل زودنا المعبد الجنازى لـ « بيوبى » الثانى بصورة ظهر انها تكشف عن مثل ذلك الأمر عند نهاية الأسرة السادسة ، وقد كشفت الدراسة المتعمقة عن وجود عدة أشخاص كانوا يحملون اللقب نفسه فى الوقت نفسه حتى أصبح من المسلم به الآن أنه كان يوجد بجوار وزيرين للوادرى والدلتا آخرون منحوا أو انتحلوا اللقب فى صورة تشريفية . بحثة . . ان الدليل يدعو - الى الارتباك ومع ذلك ، فاننا ننتقل الى الكلمة الأخيرة فى الموضوع .

ولسنا ندرى على وجه التحقيق كم من المهام التى تنسب للوزير فى التعداد الضخم الذى نلتقى به فى العديد من مقابر الأسرة الثامنة عشرة . كم منها كان موجودا فى الدولة القديمة ومع ذلك فليس هناك ذكر للقب يشغل مكانا بارزا فى نعوت كل الوزراء الاقدمين الا وهو :

imy-r Kat nbt nt nsw



« امير كات نيت نت نسو » - « المشرف على كل أشغال الملك » . انه ليس من المعقول أن كثيرا من الوزراء أنفسهم كانوا معماريين مهرة ونحاتين مثل امحوتب ، ولكن كان من بين أعمالهم على الأقل تقديم أقصى عون مناسب ، واما ان الوزير كان القاضى الأعلى فاننا نستطيع ادراك ذلك من نقش ونى كما نراه ينعكس فى النعت الشائع «نسى ماعة» (ماعه هى الهة الحق) وهو يفاخر بأن بابه مفتوح لكل الشاكين الذين كان من المعروف انهم يهتمون بأن يسمح لهم بشرح متاعبهم أكثر من أن تضمد جراحهم ويبدو ان كافة الأوامر الملكية كانت تمر بين يدى الوزير ليمارسها ويطبّقها الكتاب فى ديوانه وكان هو الذى يبعث بالرسل يحملون الأوامر الى رؤساء المدن البعيدة والقرى ، وكانت السخرة والضرائب واجبة على الجميع الا حين يمنح الملك اعفاء لبعض أفراد الكهانة المحلية ، واما فيما يتصل بمختلف ادارات الدولة فاننا لا نعرف سوى القليل جدا ، ولكن هناك اشارات الى «البيوت» الستة العظمى «حوت ورت»  التى تشير الى انه كانت هناك تفرقة صريحة بين مختلف الادارات .

ولسنا بحاجة الى ان نشير الى ان البلاط كان يتطلب تنوعا كثيرا للوظائف ، فمن بين رجال البلاط snyt شنييت  «المحيطون بفرعون» . وكان أقرب المقربين هم أولئك الذين يسمون «سمرو smrw»  أى السمرء أو الاصدقاء ، وبجانب هؤلاء الذين وصلوا الى هذا المنصب بغير مؤهلات ، كان هناك آخرون ينالون التشريف بأن ينعت الواحد منهم بال «وحيد» أو «المحبوب الوحيد» وهناك شك فيما يتصل بالمعنى الاصلى للقب iry-h nzw «ايريخ نزو»  الذى ترجم فيما بعد ب «المعروف من الملك» أو «أحد معارف الملك» ولكن يبدو أن الاصطلاح استخدم لأقارب فرعون الذين لم يكونوا أبناء حقيقيين له ومن بين الموظفين الذين كان من واجبهم أن يرفعوا شخص الملك من حملة النعال وحراس الأبواب والتيجان والحلاقين والأطباء وكان من بين الآخرين متخصصون تخصصا دقيقا مثل أطباء العيون وأطباء المعدة وغيرهم وكان المطبخ وقاعة الطعام يزخران بجيش من الخدم يعملون

هناك ، كما كان هناك خدام من طبقة أرقى يقومون بحفظ النظام فى الموائد الملكية واما من بقى من هؤلاء فكان يوزعهم موظف خاص يحمل لقب

hry wdb حرى ازب « ذلك الذى يشرف على رجوع الهبة



للوهاب أو ورثته ، وقد كان للملك كذلك من غير شك كتابه الذين يسطرون خطاباته وأوامره التى كانت تختتم فى حضرته ، اما الاحتفالات الدينية التى كان الملك محورا لها فقد كان لها ادارتها ، ونستطيع أن نذكر بهذه المناسبة هنا ال « حرى حبت » hry-hbt



الكاهن

المرتل ، وحده .

أما ما قيل عن الميل لتحويل وظائف الدولة العليا الى وظائف وراثية فينطبق كذلك على من كانوا يشغلون وظائف أقل ، ولقد أصبح من أعز الامانى أن يستطيع المرء ان « يسلم وظيفته لابنه » وعلى كل المستويات فى الجهاز البيروقراطى كان أهم الأمور للسعى للترقية ، ومهما يكن الطريق الذى يتم به ذلك الأمر فانه كان ينسب دائما الى رضا الملك وهناك كتابان عن الحكمة الدنيوية يقدمان النصح لبراعم البيروقراطيين، ونستطيع ان نعرف منهما الكثير مما يتصل بالصفات اللازمة للنجاح فيما يسند اليهم من مهام ، واحد الكتابين جزاة (١) ، ولكن أمثال الوزير بتاح حوتبه (٢) الذى عاش فى عصر ايزوزى من ملوك الأسرة الخامسة أصبحت مشهورة ، وكانت أولى الفضائل طاعة الوالد والرئيس والقدرة على حفظ اللسان فى كل المناسبات ثم ادب الحديث وحسن التصرف فى المجتمعات والأمانة فى أداء الرسالة والاتضاع الذى لا يقل كثيرا عن الخضوع ، ولئن كان لعمال الدولة القديمة المدنيين هذه الصفات فان هذا يفسر أسباب نجاح واحدة من أكثر الحضارات التى عرفها العالم حتى اليوم من ناحية التنظيم .

(١) JEA, XXXII, 71 ff

(٢) Erman. Lit. pp. 54 ff.

مراجع مختارة

- I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, Penguin Series, London, 1947
J. - P. Laver, Le Problème des Pyramides d'Egypte, Paris, 1948.

الأسرة الثالثة :

الهرم المدرج Edwards, op. cit. ch. II

E. Drioton and J. - P. Laver, Sakkah, the Monument of Zoser 2nd. ed. Cairo. 1951

الهرم الجنوبي الغربي
M. Zakaria Goneim, Horus Sekhem-Knet, Cairo, 1957

رانتخ J. Garstang, Mahasna and Bêt Khallâf, London, 1902

زاوية العريان Edwards, op. cit pp. 67-68

الأسرة الرابعة :

الهرم الأكبر :

W. M. F. Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1883

قصر الملكة حتب حراس

G. A. Reisner, A History of the Giza Necropolis vol. II, Cambridge (Mass.), 1955 :

الهرم الثاني :

U. Hölscher, Das Grabdenkmal des Königs Chephren, Leipzig, 1912.

الهرم الثالث : G. A. Reisner, Mycerinus, Cambridge, Mass., 1931.

وانظر كذلك فيما بعد

G. Jéquier, Le Mastabat Faraoun, Cairo, 1928, p. 9 Fig. 2

الأسرة الخامسة :

معبد الشمس لـ « نى اومردع »

F. W. von Bissing, Das Re-Heiligtum des Königs Ne-woser-Re 3 vols.

الأول بالاشتراك مع بورخارت ، برلين ١٩٠٥

الثاني والثالث بالاشتراك مع هـ. كيس ، ليبزج ١٩٢٣ ، ١٩٢٨

وكذلك Ann. Serv. LIII. 319 ff.

معبد الشمس لـ « وسركاف » : Ann. Serv. LIV. 75 ff., 305 ff., LV. 73 ff.
اهرام « ساحورع » ، « نفرأيركارع » ، « نى ادسر رع » - لـ بورخارت وانظر كذلك
P.M. III, 73-78 هرم « ونيس »

W. Stevenson Smith, Art and Architecture, Harmonds worth, 1958.
p.p. 75, 76 with p. 262, nn. 28, 28

الأسرة السادسة :

محراب بيوى الاول فى بوباستس :
Labib Habachi, Tell Basta, Cairo, 1947, pp. 11 ff.
G. Jéquier, Le Monument funéraire de Pepi II, 3 vols., Cairo, 1936-1940

نص ونى : BAR. 1 §§ 291-4 ; 306-15 ; 319-24
وأحدث التراجم لجزء منه فى ANET, pp. 227 f.

فن العصر : W. Stevenson Smith, A History of Egyptian Sculpture and
Painting in the Old Kingdom, Oxford, 1946

وكذا فى مجلده من مجموعه Pelican لعام ١٩٥٨

الادارة وغيرها :

W. Helck, Untersuchungen zu den Beamtentiteln des ägyptischen alten
Reichs, Glückstadt, 1954

M. A. Murray, Index of Names and Titles of the Old Kingdom, London,
1908

R. Weill, Les Décrets royaux de l'ancien empire égyptien, Paris, 1912

وتوجد النصوص كذلك فى Urk. I, 280 ff.

٦ قيام وسقوط الدولة الرطية

يبدو ان مانيتو - أو على الأصح مانيتو الذى نعرفه ممن اقتبسوا عنه - متعثر عند الحديث عن العصر الوسيط الأول ، أو العصر الذى يفصل ما بين الأسرتين : السادسة والثانية عشرة ، وتضم أسرته السابعة سبعين ملكا من منفيس حكموا مدى سبعين يوما ، وكانت أسرته الثامنة كذلك ممفية ونضم سبعة وعشرين ملكا و١٤٦ عاما للحكم . أما الأسرتان التاسعة والعاشره فهما من هيراكليوبوليس (أى من أهناسيا) - وبكل منهما تسعة عشر ملكا ومجموع كلى قدره ٥٩٤ سنة وأما الأسرة الحادية عشرة ف «ديوسبوليتية» أو من أصل طبيى وعدة ملوكها ستة عشر ملكا بعدد تافه من السنين لا يعدو ثلاثة وأربعين عاما ٠٠٠٠ هذا هو الملخص الذى يقدمه افريكافوس - اما الارقام التى يقدمها يوسيبوس فهى أقل جموحا الى الخيال نسبيا ، ولكنها كذلك لاتوحى بالكثير من الاطمئنان اليها كذلك . ففى طول هذه المرحلة الزمنية لا نلتقى بغير اسم ملك واحد هو اخثويس الذى يوضع فى الاسرة الحادية عشرة - وتشير اليه المصادر كأنما هو أكثر قسوة من كل اسلافه ولكن كان مصيره فى النهاية ان أصيب بالخبل وافترسه تمساح . ويمكن أن نقارن بوضوح هذه الجذاة من التاريخ الكاذب بالاساطير التى روينها متصلة بكيوبس وببوبي الثانى ونيتوكريس ، ومع ذلك فان وجود اخثويس ليس موضع شك . . . ورغم كل المثالب فان صاحبنا مانيتو يقدم هيكلًا تتفق معه ثمار البحث تماما كما سنرى من وراء تعداد خمس مراحل متوتبة بعضها على بعض سنتناولها بالمناقشة تفصيلا :

١ - التحليل السريع للنظام الممفي القديم الذى تبع الحكم الطويل

ل « بيوبى » الثانى .

٢ - اراقة الدماء والفوضى الناجمة عن انهيار الملكية ثم الصراع

بين السادة الاقطاعيين الاقليميين أو « أصحاب المقاطعات »

واحتمال الاثارة كذلك بسبب تسرب الاسيويين الى الدلتا .

٣ - قيام فرع جديد من الفراعنة على رأسه اختوى (هو اخثويس

عند مانيتو) متخذين من هيراكليوبوليس عاصمة لهم .

٤ - التزايد المطرد فى الاهمية لطيبة تحت امرة اسرة نشطة من الامراء الحربيين كان يحمل الاربعة الاوائل منهم لقب انيوتف (انتف فى كتب التاريخ القديمة عن مصر) ويحمل الثلاثة الباقون لقب منتوحتبة (منتوحتوب) .

٥ - الحرب الاهلية مع الهيراكليوبوليتانيين التى برز خلالها منتوحتبة الأول منتصرا وأعاد توحيد الأرضين ومهد الطريق للدولة الوسطى - التى تبدأ بالملك امنمس الأول أحد حكام مصر العظام جميعا (الأسرة ١٢) .

١ - تحدثنا فى الفصل السابق عن الخلفاء الثمانية الضعاف للملك بيوبى الثانى الذى شهدناه يحدد فى بردية تورين نهاية الاسرة السادسة . واما فى قائمة ابيدوس فيشغل مكان هؤلاء ملوك آخرون عدتهم ثمانية عشر ملكا على الأقل سابقين للقفرة الكبرى عند آخر ملوك الاسرة الحادية عشرة ، وانه ليس من السهل ان نخفى أيا من الاسماء التى تقدمها قائمة الملوك فى ابيدوس وكذا الاسماء الاربعة الموجودة فى تورين ، ولكنه يبدو أن الخرطوش الرابع من النهاية يقدم لقب «ايبي» الموجود فى جزاة تورين والذى كشف جكييه عن هرمه القليل الاهمية فى سقارة (١) وأما وجود لقب نفركارع - الذى كان اسما للملك بيوبى الثانى - اما ككل أو كجزء فى ألقاب ستة من الاسماء التى تقدمها ابيدوس فان ذلك يبين مدى احساس تماسك هؤلاء الحكام الصغار بأكثر فراعين الأسرة السادسة توقيرا واحتراما ولكن لعل أوضح دليل على قصر أمد سلطانهم نص كشف عنه ريموند فيفى فى كوبتوس (قفت) عام ١٩١٠ - ١٩١١ (٢) ، فتحت انقراض مبنى من العصر الرومانى عشر على عدد من المراسيم مرتبة فى عناية ، وهى منحوتة بالهيروغليفية على الواح من الحجر الجيرى وبعضها يرجع الى حكم بيوبى الثانى ومعظمها تستهدف حماية معبد مين وكهنته من التدخل ومن السخرة وكان من بينها حوالى ثمانية صدرت فى يوم واحد من العام الأول من حكم ملك يدعى نفركاوهور وهو الملك قبل الاخير فى مجموعة قائمة ابيدوس - وكانت المراسيم موجهة فى كل حالة الى الوزير شماى وكان كل امر ملكى يتصل اما به مباشرة أو بواحد من أفراد أسرته ، وأحد هذه المراسيم يثبت فى وزارته فى كل المقاطعات الاثنتين والعشرين لمصر العليا ، بينما يسجل آخر تعيين

La pyramide d'Aba, Cairo 1936 (١٥)

PM, V, 126 f. (٢٦)

ابنه « ايدى » فى وظيفة حاكم لمصر العليا على المقاطعات السبع الجنوبية ، وهناك مرسوم ثالث يعطى الأولوية لزوجة شماى المدعوة « نبيه » (١) على جميع النساء الأخريات وتلقب هذه السيدة « الابنة الكبرى للملك » وربما كان من بين المراسيم مرسوم رابع أكثر استرعاء للانتباه يتصل بعمل الاستعدادات الكبيرة للعبادة الجنائزية لكل من الزوجين فى كل معابد البلاد ، وليس فى واحد من هذه المراسيم ما يشير من قريب أو من بعيد الى القلق أو الى الاضطراب السياسى ، وان استطعنا ان نخرج منها باللهفة اليائسة من جانب الملك لاسترضاء عظيم معين من العظماء الاقوياء فى مصر العليا .

٢ - ومن ثم فاننا نفترض أن كل مدد الحكم التى تتصل بالأسرتين : السابعة والثامنة لدى مانيتو ضغطت فى مرحلة امنية قصيرة نسبيا ربما لا تزيد على ربع قرن ، اذا كان من المستحيل أن نقرر فى أية لحظة معينة حدوث الاضطراب الخطير ، ولو أن حدوثه أمر لا شك فيه ، وهناك ما يدعو الى الظن بأن الفوضى ظلت قائمة بصفة مستمرة أو متقطعة حتى الاسرة الحادية عشرة * انها صورة ثورة حقيقية انطبعت فى أعجب وأهم بردية من الادب المصرى الذى استطاع أن يبقى رغم مخاطر الايام ، ولا ترجع هذه البردية الشديدة البلى والمحفوطة فى مجموعة ليدن الى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة . ولكن حالة البلاد التى تناولتها بالوصف لا يمكن أن تكون من وصف خيال قصاص أو راوية ولا هى تصلح لأن توضع فى أى مكان من التاريخ المصرى سوى الفترة اللاحقة لنهاية الدولة القديمة أما المقدمة فضائعة لسوء الحظ ، وقد فقد معها كذلك تسجيل الظروف التى دفعت المتحدث الى القاء موعظته ، وهناك فى أول الامر مجموعة كبيرة من الفقرات المختصرة تصور حالة الدمار والغزو التى سقطت البلاد فريسة لها نتيجة عدوان مغامرين منحطى الأصول وأسيويين يشقون طريقهم الى الدلتا ، وتكفى بضعة أمثلة لتصوير روح ومادة الرواية .

حامل القوس مستعد . فاعل الشر فى كل مكان . ليس هناك رجل الامس . يخرج الرجل ليحرق وهو يحمل درعه . الأخ يضرب أخاه والام ابنها ، الرجال يكمنون بين الاعشاب المرتفعة حتى يتقدم المسافر ليلا ليسلبوه ما يحمل . اللص يمتلك ثروات . صناديق الابنوس فضت . اللبخ الثمين شق الى نصفين !

واما ما تجيش به الصدور عامة فيعكسه وصف حالتي الغنى والفقر :

ان من كان لا يملك متاعا أصبح اليوم ذا ثراء • الفقير يملأ جوانحه
السرور : ان كل مدينة تقول لنكبت الاقوياء بيننا • ان من كان لا يمتلك
نيرا أصبحت له قطعان ، ذوو الملابس الشمينة يسرون اليوم فى الأسمال •
الذهب واللازورد ، الفضة والفيروز مربوطة الى اعناق الاماء • الاماء
لهن حرية اطلاق السنتهن • ان تكلمت مولاتهن فان ذلك يضيق به
الخدم • أطفال الأمراء يدفعون الى الجدران •

هذه الفقرات التى اخترناها عفوا تستطيع فى الواقع أن تعكس صورة
لما آلت اليه الأرستقراطية المنهارة ، ولكن هناك غيرها تصف الاضطراب
السياسى لتلك الايام ، والعبث بالقانون والقضاء على الوظائف العامة
والوثائق التى لا يستطيع تأويلها على الوجه الذى يروونه ، بل يبدو كذلك
أن ذات الملك نالها من العنف ما نالها • وان كانت الجملة التى يظهر
فيها ذلك قد فسرت تفسيراً لا يعول عليه تماما • وهناك أكثر أهمية من ذلك
فقرات قليلة تؤكد الدور الذى لعبه الاجانب بحيث اختزلت مصر الحقيقة
الى مصر العليا فقط ، وقد ذكرت بهذه المناسبة الفنتين وثنيس بالذات -
وتلى الصفحات الكثيرة للنواح الملى بالحنين دعوى الى التقوى والتأمل
الدينى - وهذه هى الصفحات التى منحت هذه القطع عن حق عنوان
» تحذيرات حكيم مصرى « التى يعرف بها المؤلف جميعه - وقد اختلفت
الآراء بصدد الطريقة التى يستطيع بها فهم بقية أجزاء الكتاب وقد ظن
البعض انه قد يستطيع أن يلتقى بإشارة الى بيوبى الثانى الذى مات فى
أرذل العمر وخلفه طفل أصغر من أن يكون ذا حكمة ، ولكن هذه
الاحداث - ان أشير اليها حقا - فانها كانت ماضيا بالنسبة للكاتب -
وأما الملك الذى يهيل ايبوور على رأسه اللوم من جراء ضعفه وتراخيه
فربما كان من بين آخر فرع للملوك الممفيين • • ومهما يكن من أمر فانه
لا نزاع فى أصالة وصدق بردية ليدن من حيث هى وصف لمصر فى العهد
الوسيط الأول ، وهنا - لأول مرة فى تاريخ الآداب المصرية - يتردد
نعم التشاؤم الميئس الذى شاع بين كتاب القرون النالية حتى حين لم
يعد هناك ما يؤيده من الظروف القائمة •

وهكذا فان علينا أن نصور لأنفسنا المملكة الممفية وهى تضعف
تدريجيا حتى لا تعود تستطيع أن تضمن ولاء حكام اذقاليم فى أعالي
الصعيد • أما الانباء المباشرة من الدلتا فقد توقفت تماما كما توقف سعى
البعثات الى سيناء وراء الفيروز ، ولم تستأنف نشاطها حتى اقتراب الأسرة
الثانية عشرة - ولئن كان خاتم اسطوانى خشن المظهر يحصل

خرطوش خندى (١) ! وكذلك جعل (٢) اسم تررو يستنطاع نسبتهما الى الملكين اللذين يحملان الاسم فى قائمة أبيدوس فان فى هذا دلالة على أنهما كانا يجب أن يهتما بالمهارة السورية حتى بالنسبة الى مثل هذه الأشياء التافهة . ويبدو ان الامور كانت بالغة السوء وعدم الاستقرار فى أقصى الجنوب ، ولدينا ذكر عرضى للملك يدعى نفركارع ورد فى مقبرة صخرية فى المعلى على مبعدة عشرين ميلا الى جنوب الاقصر يمكن أن يحدد نقش صاحبها عنخ تيفى بين أوائل وثائق ذلك العصر . - كان «عنخ تيفى» الرئيس الأكبر (حاكم الاقليم) لمقاطعة نحن ، وهى المقاطعة الثالثة من مقاطعات مصر العليا التى كانت عاصمتها هيراقونبوليس مقابل الكتاب . وهو يروى لنا كيف ان حورس رب ادفو اله المقاطعة التالية الى الجنوب (المقاطعة رقم ٢) أمره أن يقر النظام فيها مما دعاه الى اصطناع الرئاسة ثم هدأ الاقليم حتى ان الرجل كان يحتضن قاتل أبيه أو أخيه ، وهناك كثير من الأحداث التى تشير الى بسالة عنخ تيفى واقدامه يروياها فى جمل موجزة تتخلل النعوت التى تمتدح فضائله ، وأما عن قوته المحاربة الرئيسية فقد كان لديه « جيش حفاى الباسل » وحفاى هذه تعنى المعلى نفسها أو مدينة لا تبعد عنها كثيرا . وهناك كذلك حديث عن مناوشات بين هذه القسوة وبين طيبة وكوبتوس (فقط) التى هاجم جيشاهما معا قلاع أرممنت . واشارات عنخ تيفى الى نجاحه الحربى غامضة غموضا كبيرا ولكن ، ان صدقنا ما يرويه فانه أستطاع أن يبعث الذعر فى نفوس الاهلين فى شرق وغرب طيبة حتى ان كل الأحداث التى نتناولها هنا فى عصر سابق لأسرة انيوتف كانت بحيث استطاعت أن تؤمن لها سيادة منيعة . ولعل أبرز من كل هذه الاشارات الى أعمال الشجاعة ما تكرر ذكره عن سنى المجاعة التى يزعم عنخ تيفى انه أمد خلالها مدنا أخرى الى جانب مدينته بالهبات والقروض من القمح ، وقد امتدت دائرة نشاط أعماله الخيرة الى الشمال حتى دندره، ولسنا فى حاجة الى أن نتقبل فى جدية القول بأن « الجنوب كله كان يموت جوعا وكان كل رجل يئد أطفاله » ومع ذلك فان نقوشا معاصرة لأمرأى معاصرين تقريبا تتناول جميعها الحاجة الى الجنوب وهى حاجة قد نستطيع أن نحسب بأنها راجعة الى استحالة الزراعة المستقرة كما ترجع الى سنين متتالية فى الفيضان المنخفض وقد نلاحظ هنا أن الحالة المؤسسية لمصر العليا تنعكس بوضوح

(١) JEA, XII, 92

(٢) Petrie, Scarabs, pl. 10, 7 - 10

فى خشونة وقبح جهودها الفنية . . . حقا ان الحضارة المصرية كانت فى الحضيض .

٣ - أما فيما يتصل بنشأة «بيت اختوى» فيحيط بها الكثير من الغموض وتقع مدينة هرقليوبوليس فى نفس منطقة المدينة الحالية اهناسية المدينة وعلى الضفة الغربية من النهر مقابل بنى سويف على مبعدة ٥٥ ميلا الى جنوب منف ، ولم يبق لنا لحاف واحد دليلا محليا ليكشف عن أهميتها السابقة ولكن وصف مانيتو لأسرتيه : التاسعة والعاشرة بأنهما من هراكليوبوليس ينهض كذلك دليلا من ناحية أخرى على هذه الاهمية . وأما فيما يتصل بالملك « اختويس » فهناك على الأقل ثلاثة ملوك احتفظوا لأنفسهم بهذا اللقب فى الخرطوش الثانى لهم . أما الملك - الذى نطن أنه أولهم ، فقد كان لقبه الجوريسى « مرى ايب قوروى » (المحبوب من قلب الارضين) ولم يتردد - تأكيدا لدعواه - أن يظهر نفسه بألقاب فرعونية كاملة ، ولا بد أنه كانت له صفات شخصية غير عادية استطاعت أن ترتفع به الى هذا المستوى العالى ، وليس لدينا مما يؤكد وجوده سوى موقد نحاسى فى اللوفر وعصا للتوكؤ من الأبنوس عثر عليهما فى مير تم أشياء أخرى قليلة عديمة الاهمية (١) وهناك اختوى آخر يلقب ب « واح كارع » عرفناه عن طريق تابوت دقيق الزخرف عثر عليه فى البرشا يبدو أن خراطيشه كتبت عليه فى مكان اسم صاحب التابوت الأصلي وهو مندوب خراج يدعى نفرى (٢) . وهناك كذلك ملك يحمل اللقب نفسه هو اختوى نب كاورع نعرفه عن طريق ثقل ميزان من حفائر بيترى فى الرطابة (٣) وبورود اسمه فى واحدة من الأعمال القصصية المصرية القليلة التى بقيت لنا كاملة وهى تروى قصة فلاح من الواحة المتاخمة لوادى النطرون كان قد اغتصب حماره كما اغتصب بضائعه وهو فى الطريق الى هراكليوبوليس ولكنه قذف بشكاواه الى مولى السارق فى فصاحة دفعت الى احتجازه حتى تتسم كتابة توسلاته وعتبه ولومه وسبابه كى يدخل السرور الى نفس الملك .

وقد سجلت فى بردية تورين أصلا أسماء مالا يقل عن ثمانية عشر ملكا ينتسبون الى الاسرة المالكة نفسها وكل منها مسبوقا ب «نفرع كارع» (أنظر ما سبق قوله) أما الألقاب المتصلة بالاسم فمهمشة أو لا يمكن تحديدها ، أو ضائعة . ونستطيع أن نجد فى بعض مقابر أسيوط لمحات

Gauthier, LR, I, 204, Ann., Serv. X, 185 Hayes, Scepter I, p. 143. (١)

Rce, Trav. XXIX, 90-92 (٢)

Op. cit., XL, 186. (٣)

تلقى أضواء صادقة على العصر الهيراكليوبوليتاني والنقوش في هذه المقابر الثلاث أفسدها العيبان التوأمين اللذان كانا دائما آفة لكثير من وثائقنا الهيروغليفية ألا وهما الفراغ الضخم في النص ثم معلوماتنا التي لا تزال غير مستوفاة في اللغة المصرية ، ومع ذلك فإن ما تقدمه من معلومات يلقي أضواء هامة ؛ فأقدم أصحاب هذه المقابر الثلاث لم يكن ليستبقى لقبه اختوى لو لم يكن شريكا في الرواية الهيركليوبوليتانية ، اذ يبدو أنه قضى شبابه في هدوء نسبي فهو يروى انه تعلم السباحة مع أبناء الملك ثم عين حاكما اقليميا وهو لا يزال رضيعا لا يعدو ذراعا في الارتفاع ورغم انه يذكر انه جند فصيحة من الجند الا ان أهم ما يفخر به من أعمال هو مشروعات الري وتشجيع الزراعة وهو ينهى روايته بقوله : « شكرت هيراكليوبوليس الاله بسبي » وهي طريقة المصريين في التعبير عن العرفان بالجميل . وفي ثاني أقدم المقابر نلتقى بالامير تقيبي يزهو بسبب يده الطولى التي لا تعرف التحيز واحساس الأمن الذى يضيفه جنوده .

« حين يحل الليل - كان أولئك الذين ينامون على الطريق يمتدحوننى - كانوا كأنما يرقدون فى بيوتهم » وفى الوقت نفسه كانت مقاطعات الجنوب دائمة التحرك وربما كان ذلك تحت امرة أحد أفراد أسرة الأنبيوتف الاقدمين . ويروى تقيبي انه دخل معهم فى صدام ولسنا نشك فى نجاحه وان كانت انصاف السطور التى تروى النتيجة من بين أكثر القصص غموضا فى رواية يحوطها الغموض من كل جانب ولكننا نجد فى مقبرة ابنه - وهو مرة أخرى اختوى - بيانا واضحا للحرب الأهلية ويرد فى هذا النص ذكر الملك هرقليوبوليتاني يدعى مري كارع مرتين وهو ملك سنسمع عنه كثيرا فيما بعد - أما الامير اختوى الذى يوجه إليه الحديث بتعبير المخاطب لسبب لا نستطيع تفسيره فينسب اليه أنه حرض الملك نفسه على التوجه جنوبا .

« أضواء السماء ، الأرض كلها معه ، جاء أمراء مصر العليا وأقطاب هرقليوبوليس - اقليم سيده الأرض - ليدفعوا العدوان ، ارتعدت الأرض . . انطلق الناس هاربين . . . المدن . . والخوف يشل أعضائهم . . مشرعو البيت العظيم يحتويهم الذعر من هرقليوبوليس . أما المقربون فيظهرون احترامهم لها .

ويبدو أن أسطول الملك وصل الى شاسحوتب ، وهى مدينة تقع الى جنوب أسيوط بقليل ، قبل أن يعود بين مظاهر الفرح الى عاصمته ، وليس من شك فى أن الملك مري كارع أمر - اظهارا للشكر من أجل مثل هذا التوفيق الكبير - بإجراء اصلاحات ضخمة فى معبد وب وادة الاله ابن آوى

لأسيوط ولئن كانت هناك ناحية في مصر هادئة نسبياً خلال هذه الأيام العصبية فإنها كانت بغير شك المنطقة الواقعة بين ممفيس وطيبة . وقد قدمت لنا جبانات كثيرة في المقاطعات الوسطى مثل بنى حسن (١) واخميم (٢) معدات جنزية تنم عن الثراء النسبى ، وليست هناك توابيت من هذه الفترة أمكن الكشف عنها أجمل من توابيت البرشا (٣) ، وقد كانت في هذه المرحلة مكان الدفن لـ « الأمراء العظام لأقليم الأرنب » (المقاطعة ١٥ من مقاطعات مصر العليا) وكانت قاعدة الحكم بها « خمون » التى عرفت فيما بعد بهرموبوليس وهى الأشمونين الحالية - وكانت قد قامت هناك أسرة جديدة من الأمراء الأقوياء حلوا محل حكام أقاليم الدولة القديمة التى كانت مقابرهم تقع فى الشيخ سعيد الى الجنوب قليلا وكانت هذه النواحي تقع داخل نطاق المملكة الهراكليوبوليتانية ولكن دليلا جديدا وصل إلينا يشير الى أن ولاء حكامهم لقضية الشماليين كان أقل من أن يبدو خالصا تماما . وتخلو جدران المقابر من أية اشارات للتوفيق أو التوسط ولكن مثل هذه الاشارات نجدها فى محاجر المرمر فى حتنبو التى تبعد قليلا فى الصحراء الشرقية حيث عثر هناك على عدد كبير من الكتابات بالحبر لا تهيل النعوت المليئة بالزلفى على الحكام الاقليميين فحسب بل نجدها تصحب أسماءهم بصيغ التمنيات مثل « ألا فليعيش الى الأبد » أو « حماية الحياة تحيط به مثل رع الى الأبد » وهى صيغ عهدناها من قبل ومن بعد فى أماكن أخرى مقصورة على الفراعين وحدهم - ولعل أعجب من هذا أن هذه الكتابات مؤرخة بسنى الحكم لا للملوك المعاصرين بل للأمراء المحليين أنفسهم وهناك نصان ولعلهما من أقدم هذه الكتابات يسجلان العامين : الثلاثين والعشرين للحكم على التوالى . وهذه اشارة مؤكدة الى أنهم لم تلحقهم لعنة الاضطرابات التى حلت بالأمراء الأبعد جنوبا حيث قدر للمملكتين المتنافستين أن تلتقيا فى نهاية الامر فى معركة . ومن الامور الشديدة التناقض أن هذه الكتابات تسجل الولاء لـ « بيت الملك » وان كان اسم الملك قد طمس بعناية فيما عدا حالة واحدة ذكر فيها نكرة يدعى « مري حتحور » . وعلى أية حال فيجب ألا نتخيل ان العبارات التى تتضمن المديح خلت تماما من الاشارة الى العصيان وسفك الدماء . فهناك مثلا أمير يشير الى حرب مع مواطنيه (٤) وان كانت التعبيرات مبهمة

PM, IV, 141 ff. (١)

Op. cit., V, 17 ff. (١)

Op. cit., IV, 177 ff. (٣)

(٤) رقم ١٦

كالمعتاد بحيث لا نستطيع تفهم مرمها - وهناك كذلك تناقض واضح يجعلنا فى حيرة كاملة لا نستطيع معها أن تقدم رأيا ثابتا كالحال مثلا مع قائد سفينة كان يعيش فى ظل أمير يدعى « نحرى » يروى لنا انه أُوغِد فى مهام تتصل بالملك جنوبا حتى الى الفنتين وشمالا حتى مناقع البردى فى الدلتا (١) . وهى مهام خطيرة من المستحيل من غير شك أن تتم فى مثل الظروف السياسية التى كانت تمر بها البلاد اذ ذاك .

بقى لدينا ان نخص بالذكر نصا أدبيا ربما كان يستطيع أن يلقي ضوءا أكثر على مظهر معين يخص السيادة الهيراكليوبوليتانية أكثر من كل ما قدمنا من أدلة أخرى مجتمعة ، لولا أنه وصل إلينا فى حالة يرثى لها من التمزق والقدم ، والنص فى ثلاث برديات : الأولى فى ليننجراد والثانية فى موسكو والثالثة فى كوبنهاجن ويرجع تاريخها جميعا الى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشرة وهى جميعا معقدة بسبب الفجوات والغموض من كل نوع ، والنص عبارة عن كتاب يحوى النصائح الحكيمة موجهة الى الملك مرى كارغ الذى تعرفنا عليه فى مقابر أسيوط ، أما اسم الأب فمفقود ، ولكنه ربما كان أختوى وان لم يكن أول من يحملون اللقب !! وربما لو كان بقى لنا الجزء الاول ، وكان أكثر تماسكا وحفظا لكان أهمها جميعا ما دام يقدم النصيح بأنه من الأفضل حسن معاملة الموالى العنيد الذين يستمتعون بشعبية ملحوظة ، ويضغط النص على القدرة على الكلام الطيب المقنع ثم يوصى بشدة بتقليد النماذج القديمة ومع ذلك فمن المرغوب فيه التطلع للمستقبل وهى مسحة من الخلق كان يفاخر بها بخاصة نبلاء العصر : من الخير أن نجامل الأثرياء لأنهم أقل قبولا للرشوة والفساد من الفقراء ، العدل والعطف على المظلوم ضروريان جدا مادام سيأتى يوم المحاكمة بعد الموت حيث يجازى المرء على أعماله مهما بعدت شقتها فى ماضيه ، تجنيد شباب الجند والهبات من حقول وماشية . احتياط يتسم بالرصانة ، ومع ذلك فليس هناك أهم من الخدمة الموقرة للآلهة وتشييد المباني تمجيда لهم .

وانه لما يدعو للأسف أن الأجزاء التى تضم الأحداث المعينة هى الأكثر غموضا وانا لنرى أن بعض الدارسين الذين استخدموها فى ثقة كبيرة تجاوزوا أحيانا ما يسمح به من الناحية اللغوية ومع ذلك فان دعوى الناصح الملكى اتخاذه لـ «ثنيس» كأنما هى «مطر شديد قصير المدى» لم تجانب الصواب من الناحية اللفظية . وعلى أية حال فانه يبدو أنه عبر فى الفقرة نفسها عن أسفه للتخريب الذى حدث بسببه لما كان يعد دائما أقدم

اقليم في مصر قاطبة - ومع ذلك فيظهر أن توغل الهيراكليوبوليتانيين جنوبا أعقبته فترة هدوء مؤقتة بين الطرفين المتنازعين ما دام قد ورد في النص « أنت في سلام مع الجنوب ، الحمالون يأتونك بالهدايا ٠٠ الجرانيت الأحمر (من أسوان) يأتيك دون عقبات ٠ ولكن لعل ما نراه أكثر تعقيدا هو الفقرة التي تتصل بعلاقات مري كارع بالدلتا والآسيويين المتبربرين في الشرق ، وهناك اشارة الى دد - اسوى (١) وهي المنطقة الواقعة حول هرم تنى في سقارة ، ويلاحظ أن ذكر هذا الموقع بالذات حيث كرس كهنة كثيرون للعبادة الجنزية لهذا الحاكم الهيروكليوبوليتانى نفسه يؤكد انه دفن هناك وان كان لم يعثر على هرمه اطلاقا ٠ وقد سلفت (صفحة ٥٣ ترجمة فقرة تصف طبيعة الآسيويين وتكشف عن أن مريكارع كان على علاقة هربية بهم ، وينتهى الكتاب بالحث على الجهد ، مع التأكيد المشدد على مسئوليات الملكية والتحذير من ان الاله ، وان كانت قوته مخبوءة ، إلا انه يدير مصاير البشر ؛ لأنه هو الخالق للجميع والحكم بينهم ، وأخيرا نلتقى بالكلمات ، «هاك اننى تحدثت اليك بخيرة أفكارى الكامنة ، ضعها ثابتة أمام وجهك » ٠

٤ - لم تكن طيبة - وهي التي أصبحت فيما بعد العاصمة الجنوبية والتالية في الأهمية لمنف بين مدن مصر - لم تكن في عهد الدولة القديمة أكثر من قرية عديمة الأهمية على الضفة الشرقية للنيل ٠ والواقع انها ربما كانت في هذه المرحلة أصغر أربع مدن صغيرة تضمها المقاطعة الرابعة لمصر العليا ، أما المدن الأخرى فهي الطود على بعد عشرين ميلا الى الجنوب الشرقي ، وهرموننتس (ارمنت) مقابل الطود عبر النهر ، و «مدامود» الى شمال طيبة بالقرب من الصحراء الشرقية ، وقد أكدت المدن الأربع جميعا عبادة الاله المحارب ذى رأس الصقر مونتيو (مونتو) فأقامت في النهاية معابد فخمة تمجيدا له ، ولسنا ندري كيف استطاعت طيبة أو - ويسه كما تسمى بالمصرية - أن تتقدم صاحباتها سريعا ، ولكن ربما كان العامل الحاسم في ذلك هو جمال موقعها ؛ لأننا قد نطيل البحث طويلا في البلاد كى نصل الى مثل ما يحيط بها من مناظر رائعة ٠ وتقع الصحراء الغربية على بعد ليس بكثير وراء الحقول ويشرف عليها جبل القرنة العالى الذى تقوم من تحته تلال صغيرة تسمح بشق مقابر صخرية لا نظير لها ، والى الشمال فى مقابل معبد مونت بالكرنك تقريبا يدور خانق طويل ضيق فى الجبال هو خانق « بيبان الملوك » (مقابر الملوك) الذى استغل ملوك الدولة الحديثة طرفه فى شق مدافن خفية لهم ، وعلى بعد ميل الى الجنوب

يوجد انتجويف الاكثر قصرا واتساعا والذي يفصل بين القسرة وذراع «أبو النجا» وهو المسمى بالدير البحري وهو تسمية منقولة عن دير قبلى كان قائما هناك ، ويؤدى الى قمة راسية ذات صخامة لا توصف (لوحة ٩) وعلى الضفة الشرقية توجد مساحة واسعة من الحقول الخضراء تكشف من بعيد عن خط من التلال ترتفع الشمس من ورائها بكل بهائها ، ولكن جاذبية طيبة اليوم بالنسبة للسائح الحديث يعلى من قيمتها يسر الوصول اليها وحسن صيانة آثارها وهى مزايا نلتقى بها فى الاهرام وما يحيط بها من مساطب ولكننا للأسف نفتقدها فى المناطق المجاورة لمف .

ومن بين المجموعة الضخمة من المقابر المنشورة بين بيوت قرية قرنة الحديثة لا نلتقى بغير ثلاث فقط ترجع الى عهد الدولة القديمة ، ومن بينها واحدة فقط تخص « الرئيس الاكبر للمقاطعة » وهى ضئيلة الشأن صغيرة بحيث توحى بأن صاحبها كان شخصية قليلة الاهمية ، ران الجيش الذى رأينا (صفحة ١٣٠) عنخ تيفى صاحب المعلى يغير به على الاقليم حول أرمنت ووراءها يقوى الفكرة من أن الاقليم الطبى لم يبدأ فى أخذ زمام القيادة بين مقاطعات الجنوب الا بعد فترة طويلة نسبيا ، وكان أول من قام بهذا الامر من غير شك نبيل عرف فيما بعد باسم « أنيوتف الاكبر » المولود من « ايكو » وهو يوصف فى لوحة أخرى بأنه « أمير بالوراثه » ولقد كان من الواضح مؤسسا لسلسلة من الملوك يعرفون لدينا باسم الاسرة الحادية عشرة وهو الامير نفسه بالوراثه « انيوتف » الذى نلتقى به فى الحصر الغير واضح للملوك الذين يحملون هذا اللقب والمذكورين فى جدول الكرنك صفحة ٦٧ وهناك ثلاثة لوحات يمكن أن تعد وثائق معاصرة لهذا الأمير وعلى اثنتين منها يوصف هو - أو آخر يحمل اللقب نفسه - بأنه « الرئيس الأعلى لمصر العليا » واما على الثالثة فهو « الرئيس الأعلى للمقاطعة الطيبية » ولكن لعله يبدو من الأكثر بساطة أن نفترض وجود سلف واحد فقط يحمل اللقب ، ومهما يكن من أمر فإن لنا ان نصور لأنفسنا « انيوتف عا » (انيوتف العظيم) الذى استطاع أن يخضع نواحي الجنوب وراء حدود اقليمه وان لم يجرؤ على انتحال الملكية .

ولم يترك أول انيوتف غير لقبه داخل خرطوشه آثارا معاصرة ، وإذا غضضنا النظر عند ذكره المشكوك فيه فى قائمة الكرنك فإنه لايعرف الا عن طريق نقش هام من عهد نب، حبت رع منتوحتبة كشف عنه فى معبد طود (١) - ويرى هذا الملك هنا وهو يقدم القرابين الى مونت ، وتقف

من خلفه الالهة المحلية تيننتى ومن ورائها ثلاثة ملوك هم من المؤكد اسلاف منتوحتبة المباشرون فى نظام معكوس ، وكل منهم يحمل داخل خرطوش اللقب والاسم « ابن الشمس انيوتف » ولكنهم يميزون فى كتلة أعلى باختلاف ألقابهم الحوريسية : (١) مفقود (٢) واح عنخ (٣) سهرتوى . وهكذا فان سهرتوى « مهدى الأرضين » كان أول انيوتف ملكى ، وهو اما ابن من نسل الأمير الوراثنى صاحب اللقب نفسه ويظن ونلوك (١) - وربما كان على صواب - أنه صاحب المقبرة الشمالية من مجموعة المقابر الثلاث الكبرى ذات الطراز الخاص التى كشف عنها فى السهل على خط وهمى بين معبد مونت فى الكرنك والفتحة المؤدية الى مقابر الملوك، وتسمى هذه المقابر بـ « الصف » ؛ لأن لها مداخل تجعلها تبدو كأنها هى محاطة بأروقة من ثلاث نواح ، وربما كانت هذه هى مدافن الثلاثة أنيوتف الاوائل مادام من المؤكد أن أحدها - ربما الأوسط - يخص الـ « حورس واح عنخ انيوتف الثانى » ومن المصادفة العجيبة ان هناك اشارة الى هذا الأمر فى بردية ترجع الى عهد رمسيس التاسع (حوالى ١١١٥ ق م) تصف دورة التفتيش الرسمية لفحص المقابر الملكية التى كان يخشى من أن يكون لصصوص المقابر (٢) قد عبثوا بها ، ويقول النص :

المقبرة الهرم للملك سى رع ان عو الذى يقع الى شمال بيت امنحوتبه للحوش والذى انهار هرمه فوقه ولوحته موضوعة أمامه ، وصورة الملك تظهره واقفا على اللوحة ومعه كلبه المسمى « بحكا » بين قدميه . . فحص اليوم ووجد سليما .

وقد وجد مارييت الجزء الاسفل من هذه اللوحة نفسها فى عام ١٨٦٠ ولم يكن مرسوما عليها كلب واحد بل خمسة كلاب ومن سوء الحظ انها تركت لأهل الناحية فنالها من التهشيم ما نالها ومع ذلك فان ما بقى بها من نقوش له أهمية كبرى ذلك ان واح عنخ يروى انه بعد أن أقام أو رسم عددا من المعابد أرسى حدوده الشمالية فى المقاطعة العاشرة عن مقاطعات مصر العليا أو المقاطعة الافروديتوبولية ، ثم هو يتابع القول بأنه استولى على اقليم ابيدوس كله وفتح أبواب معاقلها ، ومما يؤكد اتساع الرقعة التى كان يحكمها ما تسجله الآثار التى خلفها عدد من الموظفين فى اقليمه ولعل

(١) Winlock, Rise, p. 11 . وكذا AJSL, XXXII, 1 ff.,

(٢) انظر فيما بعد صفحة ٣٢٨ .

يوجد انتجويف الأكثر قصرا واتساعا والذي يفصل بين القرنة وذراع «أبو النجا» وهو المسمى بالدير البحري وهو تسمية منقولة عن دير قبطنى كان قائما هناك ، ويؤدى الى قمة راسية ذات ضخامة لا توصف (لوحة ٩) وعلى الضفة الشرقية توجد مساحة واسعة من الحقول الخضراء تكشف من بعيد عن خط من التلال ترتفع الشمس من ورائها بكل بهائها ، ولكن جاذبية طيبة اليوم بالنسبة للسائح الحديث يعلى من قيمتها يسر الوصول إليها وحسن صيانة آثارها وهي مزايا نلتقى بها فى الاهرام وما يحيط بها من مساطب ولكننا للأسف نفتقدها فى المناطق المجاورة لمنف .

ومن بين المجموعة الضخمة من المقابر المنثورة بين بيوت قرية قرنة الحديثة لا نلتقى بغير ثلاث فقط ترجع الى عهد الدولة القديمة ، ومن بينها واحدة فقط تخص « الرئيس الأكبر للمقاطعة » وهى ضئيلة النسب صغيرة بحيث توحى بأن صاحبها كان شخصية قليلة الاهمية ، ران الجيش الذى رأينا (صفحة ١٣٠) عنخ تيفى صاحب المعلى يغير به على الاقليم حول أرمنت ووراءها يقوى الفكرة من أن الاقليم الطبيعى لم يبدأ فى أخذ زمام القيادة بين مقاطعات الجنوب الا بعد فترة طويلة نسبيا ، وكان أول من قام بهذا الامر من غير شك نبيل عرف فيما بعد باسم « انيوتف الأكبر » المولود من « ايكو » وهو يوصف فى لوحة أخرى بأنه « أمير بالوراثنة » ولقد كان من الواضح مؤسسا لسلسلة من الملوك يعرفون ادينا باسم الامرة الحادية عشرة وهو الامير نفسه بالوراثنة « انيوتف » الذى نلتقى به فى الحصر الغير واضح للملوك الذين يحملون هذا اللقب والمذكورين فى جدول الكرنك صفحة ٦٧ وهناك ثلاثة لوحات يمكن أن تعد وثائق معاصرة لهذا الأمير وعلى اثنتين منها يوصف هو - أو آخر يحمل اللقب نفسه - بأنه « الرئيس الأعلى لمصر العليا » واما على الثالثة فهو « الرئيس الاعلى للمقاطعة الطيبية » ولكن لعله يبدو من الأكثر بساطة أن نفترض وجود سلف واحد فقط يحمل اللقب ، ومهما يكن من أمر فان لنا ان نصور لأنفسنا « انيوتف عا » (انيوتف العظيم) الذى استطاع أن يخضع نواحي الجنوب وراء حدود اقليمه وان لم يجرؤ على انتحال الملكية .

ولم يترك أول انيوتف غير لقبه داخل خرطوشه آثارا معاصرة ، واذا غضضا النظر عند ذكره المشكوك فيه فى قائمة الكرنك فانه لايعرف الا عن طريق نقش هام من عهد نب، حبت رع منتوحتبة كشف عنه فى معبد طود (١) - ويرى هذا الملك هنا وهو يقدم القرابين الى مونت ، وتقف

من خلفه الالهة المحلية تيننتى ومن ورائها ثلاثة ملوك هم من المؤكد اسلاف منتوحتبة المباشرون فى نظام معكوس ، وكل منهم يحمل داخل خرطوش اللقب والاسم « ابن الشمس انيوتف » ولكنهم يميزون فى كتلة أعلى باختلاف ألقابهم الحوريسية : (١) مفقود (٢) واح عنخ (٣) سهرتوى . وهكذا فان سهرتوى « مهدى الأرضين » كان أول انيوتف ملكى ، وهو اما ابن من نسل الأمير الورائى صاحب اللقب نفسه ويظن ونلوك (١) - وربما كان على صواب - أنه صاحب المقبرة الشمالية من مجموعة المقابر الثلاث الكبرى ذات الطراز الخاص التى كشف عنها فى السهل على خط وهمى بين معبد مونت فى الكرنك والفتحة المؤدية الى مقابر الملوك ، ونسبى هذه المقابر بـ « الصف » ؛ لأن لها مداخل تجعلها تبدو كأنما هى محاطة باروقة من ثلاث نواح ، وربما كانت هذه هى مدافن الثلاثة أنيوتف الاوائل مادام من المؤكد أن أحدها - ربما الأوسط - يخص الـ « حورس واح عنخ انيوتف الثانى » ومن المصادفة العجيبة ان هناك اشارة الى هذا الأمر فى بردية ترجع الى عهد رمسيس التاسع (حوالى ١١١٥ ق م) تصف دورة التفتيش الرسمية لفحص المقابر الملكية التى كان يخشى من أن يكون لصوص المقابر (٢) قد عبثوا بها ، ويقول النص :

المقبرة الهرم للملك سى رع ان عو الذى يقع الى شمال بيت امنحوتبه للحوش والذى انهار هرمه فوقه ولوحته موضوعة أمامه ، وصورة الملك تظهره واقفا على اللوحة ومعه كلبه المسمى « بحكا » بين قدميه . . فحص اليوم ووجد سليما .

وقد وجد مارييت الجزء الاسفل من هذه اللوحة نفسها فى عام ١٨٦٠ ولم يكن مرسوما عليها كلب واحد بل خمسة كلاب ومن سوء الحظ انها تركت لأهل الناحية فنالها من التهشيم ما نالها ومع ذلك فان ما بقى بها من نقوش له أهمية كبرى ذلك ان واح عنخ يروى انه بعد أن أقام أو رسم عددا من المعابد أرسى حدوده الشمالية فى المقاطعة العاشرة عن مقاطعات مصر العليا أو المقاطعة الافروديتوبولية ، ثم هو يتابع القول بأنه استولى على اقليم ابيدوس كله وفتح أبواب معاقليها ، ومما يؤكد اتساع الرقعة التى كان يحكمها ما تسجله الآثار التى خلفها عدد من الموظفين فى اقليمه ولعل

Winlock, Rise, p. ١١ . وكذا

AJSL, XXXII, ١ ff.,

(١)

(٢) انظر فيما بعد صفحة ٣٢٨ .

أجملها ما تحمل اسم حامل الختم المدعو تيتي (١) الذى يفخر أكثر ما يفخر - كما يعبر عن ذلك فى عبارات شديدة المبالغة - بأنه عهد اليه فى إدارة الثروة الواسعة التى جىء بها لمولاه لا من مصر العليا والسفلى فقط بل كجزية من رؤساء بلاد الصحراء كذلك . وتحدثنا لوحة واح عنخ الجنزية نفسها انها أقيمت فى العام الخمسين من حكمه . وتشير مدة الحكم هذه - كما تشير نقوش مماثلة لأمرأى مقاطعة الارنب فى حتنوب - ان الامور كانت هادئة فى الارض التى تقع تحت سلطانه على الاقل ، وهذا أمر مناسب لحيرة الصناع بطبيعة الحال ، وانه لمن الطريف أن ندرك أن نحأتى النقوش فى طيبة قد تطوروا بطرازهم الفردى الذى لا بأس به وبخاصة فى صور العلامات الهيروغليفية وعلى أية حال فان هذه المهارة الفنية تتمشى خطوة خطوة مع ركافة كثيرة على لوحات أخرى مما يدل على ان احباء الثقافة لم يكن قد وصل بعد الى مرحلة الثقة بالنفس .


ولم يتردد واح عنخ نفسه أو خلفاؤه طويلا فى استخدام اللقب «ملك مصر العليا والسفلى» رغم انه كان يجب أن تمر بضع سنوات قبل أن يطابق الواقع . وكان الملك التالى سى رع انيوتف آخر من اصطنع لنفسه اللقب الحورى الذى يعنى «قوى ، سيد البداية الطيبة» (نخت نب نب نوبه) (٢) ، ومما يستحق الذكر هنا ان مثل هذه الألقاب المخترعة عن قصد غالبا لها دلالة أكبر من أن تكون خاصة بهم ولئن لم يسجلوا وقائع تاريخية فانهم قد يجسدون على الأقل طموحا . . . وسنشهد أمثلة من الامكانيات قبل نهاية هذا الفصل - أما انيوتف الثالث فكان آخر واحد يحمل هذا اللقب لبضعة قرون وكل ما يعرف عن أعماله أنه رمم المقبرة الصخرية فى أسوان لامير مؤله هو حقا ايب . *

٥ - تبع انيوتف الثالث أول فرعون من سلسلة الفراعين الذين استبدلوا لقب العائلة انيتوتف بلقب منتوتتبه وهو يعنى «مونت راض» وقد كان للاله المحلى أن يكون راضيا حقا ذلك أن مدة حكم منتوتتبه الأولى الطويلة التى تبلغ إحدى وخمسين سنة شهدت - بعد سنين طوال من الصراع - إعادة اتحاد مصر تحت سلطان حاكم مفرد ، والواقع أن شخصية هذا الملك العظيم لم تبدأ فى الخروج الى النور من الظلام الذى كان يلفها الا حديثا نسبيا . ونحن ندين بهذا الى شتوك الذى توصل لمعرفة

JEA, XVII, 55 ff. (١)

Mitt, Kairo XIV, 44 - 47 (٢)

ثلاثة ألقاب منفصلة كانت تنسب من قبل الى ثلاثة من الفراعين مختلفين يحملون جميعا لقب منتحوتبه تخص في الواقع ملكا واحدا فقط ويعكس كل لقب من الالقاب مرحلة مختلفة من حياته العملية (١) . والواقع ان مثل هذا التغيير الاساسى فى الالقاب فريد فى نوعه تقريبا فى الحوليات الفرعونية ولكن يحمل على تصديقه الاحداث الخطيرة الشأن التى يعكسها ففى بداية حكم منتحوتبه الأول - شأنه فى هذا شأن الحكام الاوائل لأسرته - اكتفى باسم ورضى أن يطلق عليه « الحورس » سعنى ايب تووى (الذى يجعل قلب الأرضين يعيش) وقد يعنى هذا « ذلك الذى يحيى آمالهم » . وهناك لوحة فى المتحف البريطانى تعد واحدة من الآثار القليلة التى تسجل هذا المظهر ، وهى تشير الى أنه فى السنة الرابعة عشرة من حكمه ثارت ثنيس وربما استهدفت بذلك أن تعطى الإشارة لتقدم الملك شمالا . وفى المظهر التالى أضاف منتحوتبه اسم نب حبت رع الى كنيته (لقبه العائلى) وأستخدم فى الوقت نفسه اللقب الحوريسى نب حدى الذى يعنى « سيد التاج الأبيض » ويحتمل أن هذا كان يقصد به الدلالة الآن على سيطرته التامة على مصر العليا، ولم يصل اليها أى شىء مؤرخ من هذه الفترة ، ولكن اللقب الحوريسى هنا يروى قصته ، ومنذ العام التاسع والثلاثين - وربما قبل ذلك بفترة لا بأس بها - بدل اللقب الحوريسى الى « سام تاووى » (موحد الارضين) بينما ظل الاسم يقرأ « نب حبت رع » وان كتب بعلامة الجداف ! بدلا من أن يكتب

بعلامة غير معروفة تماما لهذا الشكل  وقد أدت هذه الحقيقة الاخيرة الى الاسم النهائى الذى قرئ خطأ « نب خوروع » ونسب الى منتحوتبه آخر يختلف عن الاثنين اللذين حملوا اللقب السالف الذكر ، واذا نبذنا هذا الخطأ فانه بدلا من الخمس منتحوتبة المتميزين الذين يعدهم معظم المؤرخين فى الاسرة الحادية عشرة سنعترف هنا بثلاثة فقط .

ولسنا نعرف شيئا محددا تماما عن الحملات التى استطاع عن طريقها منتحوتبه الاول استعادة التاج المزدوج ووضع بذلك نهاية للفوضى الداخلية التى أفسحت المجال فى نهاية الامر الى قيام ممالك منفصلة فى الشمال والجنوب - ولقد كشف ونلوك عن مقبرة فى طيبة تضم جثتا ليست لأقل من ستين جنديا ذبحوا من غير شك فى معركة على مسافة لا تبعد كثيرا عن العاصمة - وربما كان الامر محتاجا الى

Op. cit., XIV, 42 ff. (١)

خوض المعارك في الجنوب والشمال على السواء ، وهناك نقش صخرى هام في الوادى الصغير المعروف بشط الرجال على بعد ميلين وراء جبل السلسلة يظهر فيه منتحوتبه الأول مصحوبا لا يخازنه اختوى فقط بل كذلك بأمه « يوعج » وأبيه « انيوتف الثالث » ونقرأ بالقرب منهم أسماء رجال حاشيته . وربما كانت هذه الزيارة التى أرخت بالعام التاسع والثلاثين مجرد حدث فى تقدم ملكى يزعم أن يمارس سلطانه وقد نقش جندى فى الصخر عند ابيسكو (١) على مسافة قصيرة وراء الجندل الأول معلومات تشير الى أنه صاحب مولاة الملكى فى حملة ربما وصلت الى وادى حلفا - والواقع أن دور نوبيا فى الفترة السالفة الذكر شديد الغموض ، فهناك ذكر للملك هو وادج - كارع قرن فى تردد بواحد يحصل نفس الاسم أشير اليه فى مرسوم كوبتوس (٢) (فقط) ثم هناك اشارات كثيرة الى انيوتف الذى زود نفسه باللقاب ملكية كاملة (٣) ولكن لا يمكن له فى الاسرة الحادية عشرة كما نعرفها من مصر نفسها . انه لمن الصعب أن نعلل نموذج جيش النوبيين المتطوعين الذى عثر عليه فى مقبرة فى أسيوط (لوحة ١٠) (٤) كما انه من الصعب كذلك تعليل الاشارة فى حتنوب لرجال المدجا والواوى بين أتباع أمير المقاطعة الهرموبوليتانية (٥) ، ومن ثم فانه يبدو أن فرقة الجنود النوبيين كانت فى خدمة الاتحاد الهيرقليوبوليتانى .

ونحن ندين للجندى الذى خلد وجوده فى ابيسكو بمعلومات أكثر عن الملك نب حيت رع أى منتحوتبه الأول ، فى مظهره الثالث « استولى على الأرض كلها وأقدم على ذبح أسيويى دجاتى » ولا بد أن أمر تهدئة الأرض كلها تم قبل العام السادس والأربعين اذ أن هناك لوحة فى تورين (٦) من ذلك التاريخ تحدثنا بأن « تقدما طيبا تم بسبب منح الاله مونتو الأرضين للملك نب حبت رع » وقبل انتهاء الحكم أصبح من الممكن كذلك لحامل ختم الهى يدعى اختوى من أن يذهب فى رحلة واسعة النطاق الى الخارج وأن يعود بكثير من المعادن والأشجار الثمينة من مختلف الأنواع ، ولكن هذا كله كان يتضمن صراعا أكثر نجاحا مع المواطنين (٧)

Op. cit., p. 43 (٢)

Säve Söderbergh p. 58 (١)

Op. cit., p. 50 f. (٤)

Op. cit., p. 47 (٣)

Anthes Nos. 16, 25 (٥)

L. Klebs, Reliefs und malerei des mittleren reichs, Heidelberg, 1922, (٦)
p. 22 fg. 14.

(٧)

فملك قوى مثل هذا لم يكن ليستطيع أن يقنع بمجرد مقبرة « صف » مثل أسلافه ، ومن أجل ذلك فإن الموقع الذى اختاره لضريحه كان فجوة محدودة بالقنن العالية فى الدير البحرى » (لوحة ٩) • والواقع أنه من المستحيل أن نتصور جوا محيطا له تأثير على النفس أكثر من ذلك ، وهناك ما يشير الى أنه حدث هنا - كما هى الحال فى أغلب عصور التاريخ المصرى - تغييرات فى الحطة قبل أن يستقر الرأى نهائيا على الأثر الجنائزى الفخم ويوضع موضع التنفيذ ، وليس أقل المظاهر المحوطة بالغموض حجرة الدفن التى نصل اليها بممر منحدر وهى المعروفة بباب الحصان والتى كانت تحوى - حين كشف عنها هوارد كارتر - تابوتا فارغا وصندوقا يحمل اسم منحوتبه الأول ثم تمثالا ملفوفا بالكتان الرقيق ، وليس أقل غموضا تلك الهياكل الستة لسيدات البلاط من ملكات ومحظيات التى ضمنت واختفت جزئيا فى جسم الحائط الخلفى للممشى ، وكانت بكل هيكل بشر خاصة به تؤدى الى حجرة دفن تحوى تابوتا عنى بزخرفته زخرفة دقيقة ، وقد عثر هنا على عناصر لقب نب حبت رع الذى يعد أول الصور استنتاجا من مكان وجوده ، وأما عن معبد منتهوتبه الأول الذى صممه معماريوه ليخلدوا شهرته ، والذى كشف عنه نافيل وهول ، فلم يبق منه الا القليل ليشير الى عظمتة الأصلية ، ولقد امتزج فيه مع التراث والتجديد فى أجمل طراز وكما هى الحال فى أهرام الدولة القديمة كان هناك طريق صاعد من الوادى ولكن مسحة جديدة أضيفت اليه وهى وجود حرش من أشجار الطرفاء والحمير تمتد حتى تصل الى جانبى الطرف الداخلى للبهو الكبير ، وكان هناك منحدر يقطع صفا أدنى من أعمدة مربعة الشكل يذكرنا بصف المقابر ويؤدى الى شرفة لها أعمدة مائلة فى الواجهة والجانبين • وكانت هناك بوابة توصل الى بهو مغطى ، فى نهايته قاعدة متينة تحمل هرما متناسق النسب ، وهناك الى الغرب - محفورا فى الجبل - يوجد حوش أضيق ينتهى بصالة ثانية ومحراب دقيق ، وهكذا فإن المبنى الذى خلق بهذه الصورة كان من الممكن أن يظل فريدا فى نوعه لولا مبنى آخر أكثر روعة وتأثيرا فى النفس قامت بتشبيده الملكة حاشبسوه من الأسرة الثامنة عشرة فى المكان نفسه مقلدة الأفكار هنا ومتطورة بها ، وربما يرجع توقيف نب حبت رع مدى قرون طويلة تالية بوصفه حاميا لجبانة طيبة بسبب هذا الرمز المرثى لروعته وفخامته أكثر مما هو بسبب انتصاراته ؛ ومع ذلك فإنه كذلك أول ملك منذ الأسرة الثامنة قررت أحقيته لكان فى قائمتى ملوك ابيدوس وسقارة • وتزخر جنبات معبده الجنزى بمقابر حاشيته • وقد تابع الحفر فيها ونلوك باسم متحف متروبوليتان فى

نيويورك ، فهنا مثلا دفن الوزير ايبي والخازن اختوى الذى لا ينسى ولكن ربما كان أكثر إثارة للاهتمام أمر الكشف فى احدى المقابر عن نماذج غريبة تمثل ما يمارسه الناس من نشاط فى الحياة اليومية من نسج وصناعة جعة وتعداد ماشية وهى تعرض حياة العصر فى وضوح قد يفوق مناظر النقوش التى قامت بتعريفنا بحضارة مصر القديمة فى واقعية لا نظير لها من أى عصر سالف .

ويمكن أن يعتبر منتحوتبه خاتمة لمرحلة العصر الوسيط الأول - وعلينا عند معالجة هذا العصر معالجته وكأنما بضم خمس مراحل متداخلة وترجع استحالة الحصول على صورة متماسكة الى مدى هذا التداخل المجهول والى عدم الوثوق من طول المراحل المختلفة ، وقد قامت عدة محاولات تخطت معظمها حدود ما تقدمه الوثائق ولسنا ندرى كم مر من الزمن بين الأسرات الممفية الشاردة الأخيرة وبين العصر الذى بدأت هرقليوبوليس ترفع رأسها خلاله ولسنا ندرى كذلك شيئا عن تاريخ نابت ل عنخ تيفى فى المعلى . ويحيط الغموض كذلك بمركز مرى كارع وان لانت العظمت الموجهة اليه تربطه بالحرب المدنية التى نلقى وصفا لها فى أسيوط . وربما يقدم المدعو دجارى الذى كان يعيش فى عهد واح عنخ افيوثف الثانى معبرا لثلاث من المراحل حين يقول انه « حارب مع بيت اختوى فى غرب ثنيس » وعلى ذلك فان الصراع الذى نحن بصدده ربما لم يكن هو الذى جاء ذكره فى العظمت (التعليمات) نفسها ، وان اصطلاح بيت اختوى بالغ الابهام . ان العقدة الحقيقية فى المسألة عقدة تاريخية ، ولئن اتفقت معظم الآراء الحديثة على تقدير الفترة من نيتوكريس الى نهاية حكم منتحوتبه بمائتين الى مائتين وخمسين عاما فان هذا ليس أكثر من مجرد تقدير يقوم على الحدس (١) أما بردية تورين فلا تقدم لنا عونا فى هذا الصدد ؛ لأن مجموع مدد حكم الملوك الثمانى عشر للأسرات الهيرقليوبوليتانية وخلفائهم ضائع ، ويبدو أن هناك تجاهلا لامكان وجود تداخل فى الاسرة الحادية عشرة .

ولم يكن يبدو قرابة خاتمة الحكم المجيد ل « منتحوتبه الأول » أن هناك ما يوحى بأن سلطان الأسرة كان يقترب من النهاية ومع ذلك فان الأمر كان كذلك . ان بردية تورين تقدم ل «سعنخ كارع منتحوتبه الثانى» اثنى عشر عاما كمدة حكم ولكنها تجعل منه - وان كان هذا غير صحيح

(١) انظر صفحة ٨٤ . ٥٧

تماما - آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وبالمثل نجد في قائمتى ملوك ابيدوس وسقارة أن سعنخ كارع هو السلف المباشر لـ « سحتب ايب رع امنمس الاول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة وما يعرف لدينا باسم الدولة الوسطى ، وهناك كتل مبعثرة عليها نقوش عشر عليها في مدن من الوجه القبلى تشير الى أن سعنخ كارع كان دائب النشاط فى اقامة المعابد والهيكل ، وهناك نص طويل نقش فى العام الثامن من حكمه على صخور وادى الحمامات يروى كيف أن أحد رجائه المدعو « حنو » أرسل الى هناك ليقتطع أحجارا لتمائيل تقام فى هذه المباني المقدسة (١) ويروى « حنو » كيف خرج من كوبتوس (قفط) وتحت امرته ثلاثة آلاف جندي مجهزين بعد أن ظهرت قوة بوليسه الطريق أمامهم من العصاة . وقد حفر فى الطريق الى البحر الأحمر آبارا كثيرة ، وكان هناك ذكر من قبل لأسطول أرسل لاحضار المر من بوينى وقد تمت عملية قطع الأحجار فى طريق العودة . أما مكان دفن سعنخ كارع ففيه مشكلة ؛ ذلك انه يتاخم الدير البحرى من ناحية الجنوب تل الشيخ عبد القرنة الذى يتميز باتساعه ووضوحه والى جنوب التل يوجد خليج يكاد يشبه الخليج الذى اختاره منتحوتيه الأول ليكون مقبرة له ولكنه أقل جمالا ، ويمكن أن نرى هنا آثار طريق صاعد كبير وبداية ممر منحدر ، ويرى وفلوك (٢) أنه حدث توسيع سريع فى نهاية هذا الممر حتى غرفة الدفن وانه سد بعد ذلك ، ومهما يكن من أمر فان سعنخ كارع لا بد أنه دفن فى مكان ما فى المنطقة المجاورة ما دمنا نلتقى فى المرتفعات التى تشرف على الواديين بكتابات لكهننته الجنائزين الذين عملوا فى خدمة عبادة هذين الملكين اللذين يحملان لقب منتحوتيه . وفى جزاة بردية تورين . نلتقى بذكر سبع سنين تالية لسعنخ كارع دون ذكر اسم الملك ، ومن المحتمل أن هذه السنين خاصة بـ « منتحوتيه ثالث » الذى لم يعد فيما بعد فرعوناً شرعياً . ونحن نعرف هذا الـ نب توى رع منتحوتيه الثالث - بخلاف قطع من اناء حجرى عثر عليه فى اللشت (٣) - من محجرين أرسل اليهما بعثات كذلك - وهناك ثلاث كتابات من عامه الأول وواحدة من عامه الثانى تسجل ايفاد موظف للحصول على الجمشت (الاماتست) من وادى اليهودى (٤) على مبعدة سبعة عشر ميلا الى جنوب شرق أسوان ، ولعل

(١) BAR. §§ 427. ff.

(٢) Winlock, Op. cit., p. 52

(٣) Hayes, Scepter I, p. 167, fig. 102

(٤) PM, VII, 319

مما يثير الاهتمام أكثر من ذلك مجموعة من النقوش الصخرية في محاجر وادى الحمامات التى. سلف ذكرها ، وقد أرسل الى هناك فى العام الثانى من حكم نب تووى رع وزيره امنمحيه لياتى له بتأبوت ضخم (١) وانه لما يدعو للشك ان عشرين ألف رجل صحبوه فعلا فى هذه البعثة ، ولكن ليس هناك ما يدعو الى الريبة فيما يتصل بمعجزتين صحبتا هذه المهمة القصيرة ، وتروى القصة تفصيلا عن غزال يتقدم فى غير خوف باديا للعيان أمام العمال ليسقط صغيره على كتلة الحجر نفسها المزمع قطعها لتكون غطاء للتأبوت (٢) وبعد ثمانية أيام جاءت عاصفة ممطرة كشفت عن بئر مساحتها عشرة أذرع طولا ومثلها عرضا ملأى بالماء حتى الحافة (٣) وشخصية الوزير امنمحيه بالغة الأهمية بالنسبة للمؤرخ ذى العقلية العادية ؛ ذلك لأنه يكاد يبدو من المؤكد أنه ليس سوى امنمس الأول الذى سنلتقى به مستقبلا فى اسمه الذى يقدمه لنا مانيتو . وعلينا أن نفترض أنه فى فترة معينة تأمر ضد مولاة الملك وربما استطاع أن يعتلى العرش مكانه بعد بضع سنوات من الاضطراب ، وهناك كشف حديث يلقي ضوءا على هذه النظرية ، ذلك ان هناك كتابة من الأسرة الثامنة عشرة منقولة عن الصرح الثالث للكرنك تذكر بعد نب حبت رع وسعنخ كارع «اباله» يدعى سنوسره نستطيع أن نعرف من لقبه أنه ليس سوى الأب غير الملكى ل « امنمس » (٤) ٠٠ وكانت الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق م) كما سنرى مكونة من عدد الملوك كانت تتبادل بينهم القابهم امنمحيه أو سنوسرة على التوالى فى معظم الأحيان .

ونحن نعرف الى جانب الافتراضات السليمة التى ذكرناها كثيرا من التفاصيل الشخصية عن مؤسس الأسرة الجديدة أكثر مما نعرف عن أى فرعون آخر ، وأما مصادر معلوماتنا هذه فهى عبارة عن روايات وقصص وأشباحها أى انها ليست وثائق رسمية ، فهناك فى متحف ليننجراد بردية ، هدفها تمجيد هذا الحاكم ، ولا بد أنها تبعا لذلك ألقت فى عهده أو ليس بعده بكثير ، وقد جاء فيها : ان الملك سنوفرو (صفحة ٩٦) كان يسعى وراء ما يسليه فدعا رجال حاشيته ل يبحثوا له عن رجل ماهر يستطيع أن يقدم التسلية التى يتطلبها ، وكان هناك كاهن مرتل من

(١) BAR, I, §§ 439

(٢) Op cit., §§ 436 ff.

(٣) Op. cit., §§ 450 ff.

(٤) Mitt. Kairo XIV, 46, N. 6.

بوابستس يدعى نفرتى وقع الاختيار عليه ولكن سنفرو طلب اليه أن يحدثه عن المستقبل أكثر مما يحدثه عن الماضى فاندفع هذا فى وصف لكارثة مقبلة تذكر بجلاء الصورة التى التقينا بها من قبل تحت عنوان « تحذيرات » (صفحة ١٢٨ - ١٢٩) ومع ذلك فإن الخلاص سيتم فى النهاية .

« سيأتى ملك من الجنوب يدعى أمنى ابن امرأة من تاستى ، طفل من خن نخن سيتقبل التاج الأبيض وسيلبس التاج الأحمر . . . وسيسعد من يعيشون فى عصره ، سيجعل ابن واحد (بعضهم) اسمه خالدا الى الأبد أبدا » .

وهنا نجد أن النسب غير الملكى لـ « أمنس الأول » واضح ، لأن اصطلاح « ابن بعضهم » (ابن واحد) كان طريقة شائعة للدلالة على الشخص الذى ينتمى الى منبت طيب وان لم يكن من أسرة ملكية . واما تاستى فاسم أول مقاطعة من مقاطعات مصر العليا ، وكانت عاصمتها الفنتين ، وكان معظم أهلها من غير شك من العنصر النوبى ، و « أمنى » اختصار مؤكد لاسم امنمحيه وهو الاسم الذى تأغرق على يد مانيتو فأصبح أمنس كما شهدنا ، ويعنى « امنحية » أى « أمون فى المقدمة » ويثير هذا الذكر للاله أمون مشكلة لايزال حلها غامضا ، ذلك انه حتى ذلك الوقت كان المعبود الرئيسى للاقليم الطبى كما رأينا هو الاله الصقر ، المحارب « مونت » ولكن بظهور أسرة جديدة استطاع أمون ، بالرأس الآدمية ، أن يكسب سريعا السيادة عليه ، وسرعان ماقرن فى اله الشمس رع ، وأصبح فى نهاية الأمر المعبود الوطنى الرئيسى تحت اسم « أمون رع » ملك الآلهة ، ولقد كان أمون طبقا لنظرية معقولة قدمها كورت زيته من بين آلهة هرموبوليس ، ولكنه اندمج منذ زمن بعيد باله الطبيعة « من » ذى القضيب المنتصب الذى كان يعبد فى المناطق المجاورة للمقاطعة القفطية ، وهناك بعض الأدلة التى تشير الى أن أمون عرف فى طيبة قبل قيام الأسرة الحادية عشرة ، ومن ثم فإن القول بأن الملك الذى قرن اسم الاله باسمه كان من أصل طبى افتراض ممكن ولكنه لا يرقى مع ذلك الى مرتبة اليقين بحيث يؤخذ كأساس ومع ذلك فمن المؤكد مهما تكن الظروف ان كلا من امنمحيه الأول وابنه سنوسره الأول تابع تمجيد طيبة باقامة المباني بها (١)، وان اختاروا بحكمة عاصمة فى مكان أكثر مركزية يقع بين الدلتا ومصر العليا ، فهناك فى اللشت على الضفة الغربية للنهر أقاموا أهرامهم وأحاطوها بمقابر رجال

PM, II, 19-41 & c. (١)

بلاطهم ، وقد فحصت البقايا القليلة بعد الكشف الذى قام به أولا ج. أ. جوتييه وج. جكييه بدقة بواسطة متحف متروبوليتان للفن فى نيويورك ، وقد أصبحت « ايت تووى » (القابضة على الأرضين) ، وهى التسمية المصرية للعاصمة الجديدة ، أصبحت فى أعين الأجيال التالية العاصمة الملكية النموذجية وليست عاصمة الأسرة الثانية عشرة بالذات وان كان شأنها كمدينة قد أهمل بعد الدولة الوسطى .

كانت نظرة الأسرة الجديدة للقديم غامضة بعض الغموض ، وانه لمن الواضح أن أمنمس الأول رأى فى نفسه مفتتحا لعصر جديد كما يبدو هذا جليا من اصطناعه اللقب الحورى للنعت « وحام مسوى » أى معبد الولادات وهو استعارة مشتقة من إعادة المولد الشهرى للقمر ، ومع ذلك فاننا نرى سنوسره الأول يكرس تمثالا ل « انيوتف الأكبر » المولود من « ايكو » وهو سلف الأسرة الحادية عشرة (١) وكذلك مذبحا ل سعنخ كارع منتحوتبه الذى رأينا قوائم الملوك تختم نفس الأسرة به (٢) فلو أنه كان هناك لون من ألوان الصراع بين أمنمس الأول وبين أسرة منتحوتبه فان ذلك لم يجد الا فى الفترة القصيرة ل نب تووى رع ، ومع هذا فانه يبدو أن ما يقدمه مانيتو ليس بغير دافع حين يضع أمنمس فى مركز متوسط بين الأسرتين ومن ناحية أخرى نجد أن بردية تورين حاسمة من ناحية بدء قسم جديد للملوك « ايت تووى » - ونستطيع أن نعتمد على البردية فى اطمئنان فيما يتصل بالأسرة الثانية عشرة وكذا نستطيع أن نقدر طول مدد الحكم نظرا لأنها قد أثبتت بدقة ، ومع ذلك فاننا لا نحب أن تمر هذه النقطة دون أن نذكر بالخير مانيتو لأسباب مماثلة وان كان قد أخطأ مع ذلك فى وصف الأسرة الثانية عشرة بأنها ديوسبوليتيه (من طيبة) مادامت صفتها الرئيسية المميزة - بالاضافة الى استقلالها الداخلى كأسرة واحدة - هى انتقالها الى مركز جغرافى بعيد الى الشمال .

وليس هناك شك فيما يتصل بعظمة سحتب ايب رع أمنمحيه (أمنمس الأول) والا فان ابنه وخلفاءه كانوا يصبحون غير قادرين على الاحتفاظ بالملك مدى قرنين كاملين ، وانا لنلاحظ ان الآثار تزداد زيادة ضخمة من الناحية العددية ، كما ان مدد حكم الملوك طويلة فى معظم الأمر وهى علامات بينة تشير الى التقدم والثبات فى أنحاء البلاد، وقد كثرت المعابد المحلية مشيدة أو مضافا اليها بواسطة ملوك الأسرة الثانية عشرة رغم أنه

(١) Winlock, op. cit., p. 5, N. 12.

(٢) Gauthier, L.R., I, 245.

لم يبق لدينا - كقاعدة - سوى كتل متفرقة منها فقط ، أما البقية فقد دمرت أو نقلت من مكانها لتفسح طريقا لأبنية من عصور لاحقة ، هذا الى أن اللوحات الخاصة عديدة وبخاصة ما عثر عليه منها في أبيدوس المحج الذى اشتهر بوصفه مكانا لدفن أوزيريس . ومن الواضح أن أول أمنمس كان يستهدف الاستحواز على سلطان أوتوقراطى ينافس به سلطان فراعين الدولة القديمة ومع ذلك فان اختلافا خطيرا يلى ذلك . فحتى ذلك الوقت لم تبد فى الجو مسألة القضاء تماما على سلطان حكام الأقاليم ، ويجب علينا أن نأخذ فى الاعتبار عدم وجود ظروف مماثلة فى كل أنحاء مصر ولكن النقوش الرائعة على جدران المقابر الصخرية فى بنى حسن تكشف عن أن كبار أمراء مقاطعة أوريكس (المقاطعة رقم ١٦ من مصر العليا) كانوا سادة صغارا فى ممارسة حقوقهم ، وهناك كثير من الموظفين تذكرنا ألقابهم بالوظائف التى كانت تتصل بالقصر الملكى من أمناء ومشرف على قاعة العدالة ومشرف على المخازن وخزنة بل قائد فرقة كما نلتقى كذلك بحملة الجزية الأجنبية ، وانا لنشهد فى مقبرة الحاكم خنم حنم الذى كان مقربا من أمنمس الأول لبيبين فى زى مزخرف يضعون الريش ويحضرون معهم قطعان الماعز ، وكذا نشهد فى مقبرة حفيده الذى يحمل الاسم نفسه - وان لم يصل الى مرتبة الحاكم مطلقا - اسيويين يحملون هدايا خضاب العين ، وان كان السلطان قاصرا على مسافة محدودة - وهناك كتابة طويلة هامة فى مقبرة الأخير تقدم دليلا قاطعا عن الخلق الوراثى لهؤلاء النبلاء وأصل بعضهم وارتباطهم بصلات عن طريق التزاوج من بنات حكام الأقاليم المتاخمة لهم ، ومع ذلك فتبيست هناك محاولة لاختفاء قيام تبعية كل هذه الاقطاعات والالتزامات على رغبة الملك وتفضله عليهم بها ، ويشار الى أول تشريف أضفاه أمنمس الأول على الحاكم الأصلي خنم حنم الأول بالقول (١) بأنه :

عينه ليكون أميرا وراثيا وحاكما ومحافظة للصحراوات الشرقية فى منعت خوفوى ، لقد ثبت حجر حدوده الجنوبية وأمن حدوده الشمالية كالسما . انه قسم النهر الكبير على ظهره حتى أصبح نصفه الشرقى من نصيب اقليم أفق حوريس حتى الصحراء الشرقية . وذلك حين جاء جلالته ليقمع الثورة فقام مثل أتوم نفسه حتى يصلح ما كان مخربا ، وليعيد الى مدينة ما اغتصبته من أخرى ، وليجعل كل مدينة تعرف حدودها مع غيرها وقد ثبت أحجار حدودها كالسما وعرفت مياهها طبقا لما جاء فى

BAR, I, 625 (١)

الكتابات وحقت طبقا لما كان قائما فى القدم كل ذلك بسبب
عظمة حبه للعدالة .

وهكذا نجد ان الانجازات العظيمة التى قام بها مؤسس الأسرة
كانت تستهدف إعادة التنظيم الكامل للبلاد . أما بالنسبة لفخامة بيته
وتنظيم بيروقراطيته فإن الحاجة كانت ماسة الى موارد وفيرة . ويروى
لنا أمينى (١) الذى عينه ابنه سنوسرة الأول حاكما خلفا له خنم حنم
قوله :

« قضيت سنين كحاكم فى اقليم أوريكس وقمت بأداء كل الخدمات
المطلوبة لبيت الملك ، لقد عينت مشرفين واداريين على ضياع اقليم أوريكس
وبها ثلاثة آلاف من الثيران المفرزة ، وقد نالنى المديح فى بيت الملك بسبب
ذلك عند كل سنة تعداد ، وقدمت كل انتاجها الى بيت الملك ولم يحدث
أن اثير ضدى ما يشير الى عجز فى أى مكتب من مكاتبه » . ويتابع أمينى
القول بأنه رغم كل ما فرضه بسبب ولائه ، فإنه كان يحكم اقليمه بعدالة
لا تنحرف محترما ابنة الفقير والأرملة عاملا على طرد الفقر وفتح الأرض
فى مثابرة وكد حتى لم يكن هناك جائع فى أيام المجاعة . ومن
الواضح انه كان هناك ميزان يقام بين السلطة الملكية واعتزاز الأمراء
بذواتهم . وكانت مصر اذ ذاك دولة اقطاعية فى صورة كاملة لم تعرفها
من قبل أو من بعد . ومع ذلك فإن هناك دلالات على أن الضرورة كانت
ماسة لاتخاذ احتياطات واسعة للحفاظ على سلطان فرعون ، وربما كان
أمنس يقرب من أواسط العمر حين اعتلى العرش وقد أشرك معه فى الملك
ابنه الأكبر سنوسرة الأول فى العام العشرين وحكما معا عشر سنوات
بعد ذلك وقد اتبعت هذه السنة بعد ذلك طوال حكم الأسرة . ومع ذلك
فربما لم يكن ذلك فى بداية الأمر تجديدا كاملا ، لأننا لدينا ما يشير الى
أن بيوبى الأول من ملوك الأسرة السادسة ربما فعل مثل ذلك الأمر
(p. 97) . وعلى أية حال فإنه فى الدوائر الأقل شأنًا كان المسنون
من ذوى المركز والثراء يرون انه من الفطنة أن يشغلوا ب « عصا
الشيخوخة » وهى التسمية الطريفة التى اتخذها هذا الوضع ، وأما فى
حالة الملكية فقد قامت على أية حال صعوبة تدعو الى الحيرة ذلك أنه اذا
كانت النظرية المعتمدة للملكية المصرية صحيحة فإن الطبيعة المقدسة
الالهية للاله الصقر حوريس تنزل من الابن الى الابن كما أن الملك الميت

Op. cit., 522 f. (١)

يتنحى عن هذه الصفة ليصبح أوزيريس ومعنى الارتباط الناجم من وجود اثنين من الحوريس يعملان معا فى آن واحد يجعل هذه المبادئ لغوا ، ومع ذلك فليست هناك اشارة الى أن المصريين استشعروا ريبة فى هذا المجال . . . ان المنطق لم يلعب دورا كبيرا فى أمور الدين كما أن ازدواج أو تمثيل المعبودات أو تداخلها فى بعضها أصفى من غير شك سحرا خفيا فى علومهم اللاهوتية .

ولدينا من نهاية الحكم نصاب أدبيان يسهمان معا فى تقديم صورة متماسكة تستحق الاعتبار . وكان الموضوعان محبوبين للدارسين فى المدارس المصرية وقد نسخا وأعيد نسخهما مرارا فى القرون التالية ، وان كان ذلك قد تم بعدم دقة متزايدة . ويوصف موت أمنمس الأول فى حلم يكشف فيه عما يجول فى نفسه لابنه وخليفته كى يقدم له النصيح الخالص وهو يحذر سنوسرة من أن تكون له صلات ود قوية برعاياه ثم يؤكد نصحه بتذكر تجربته الشخصية :

« كان ذلك بعد العشاء حين حل الليل ، اقتطعت لنفسى ساعة للراحة وأنا ممدد فوق سريري كنت مجهدا واستشعر قلبى النعاس . وفجأة تراشقت الأسلحة وسمعت حديثا يدور حول شخصى فظلمت فى مكانى كنعبان الصحراء ثم قمت لأحارب وحدى وأدركت أن هذا هجوم دبره الحرس . لو أننى كنت قد أسرعت بالأسلحة فى يدي لاستطعت أن أرد الأذنياء ولكن ليس هناك قوى فى الليل ولا يستطيع المرء أن يحارب منفردا وليس هناك مهرب موفق دون حماية .

ومن الواضح أن ذلك يشير الى المؤامرة التى أودت بحياة أمنمس الأول تعيش ذكراها - وان نسبت الى ملك آخر - فيما يقرره مانيتو من أن أمنمس الثانى قتله خصيائه ، وأما ما يلى ذلك فيرويه أروع ما وصل الينا من الأدب المصرى القديم وهو القصة المشهورة ل سنوهى ، والفقرة التالية مترجمة هنا بأكملها :

« السنة الثلاثون، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم السابع - صعد الاله الى أفقه ، ذهب ملك مصر العليا والسفلى سحطب ايب رع عاليا الى السماء وأصبح متحدا بقرص الشمس . امتزجت أعضاء الاله بمن صنعه ، أما العاصمة فقد حل بها الصمت ، القلوب يجللها الحزن والبوابات الكبيرة مغلقة ورجال البلاط يربضون ورووسهم بين سيقانهم ، النبلاء محزونون . كان جلالته قد أرسل جيشا الى أرض تيمح (الليبيين) وكان ابنه الأكبر قائدا لهذا الجيش وهو الاله الطيب سنوسرة . كان قد

أرسل ليضرب البلاد الأجنبية وليقوم بأسر السكان في أرض تيجنو ، وكان في طريق العودة ومعه أسرى أحياء من التيجنو وأنواع من الماشية بغير عدد وأرسل رفقاء القصر الى الجبهة الغربية لينهوا الى ابن الملك أمر الموقف الذي جد في القصر الملكي ولقيه الرسل على الطريق وكانوا قد وصلوا ليلا فلم يتلکأ لحظة ، طار الصقر مع اتباعه دون أن يدع جيشه يعلم بالأمر وأرسل في طلب أبناء الملك الذين كانوا يصحبونه في هذا الجيش ، ثم استدعى واحدا منهم . »

كان سنوهي شابا نشيء في البلاط ، وتصادف أنه كان واقفا حين أنهى السر الكبير - وذعر أشد الذعر فهرب مسرعا ولم يتوقف حتى وجد نفسه في فلسطين حيث لقي رعاية لدى أمير رتنو العليا ورغم التشويق الذي يسرى في بقية القصة الا أننا سوف لانتابعها مادام معظم ما تتطلبه منها هو أنها « قائمة على حقيقة » .

وليس هنا على أية حال مجال غير مناسب نلخص فيه معاملات مصر مع جيرانها في الشمال الشرقي خلال عهد الأسرة الثانية عشرة . ان نبوءة نفرتي (p. 126) أكدت في قوة أكثر من الموضوعات الانشائية المشابهة تسرب الآسيويين (عامو) الى الدلتا ، وأشارت - كما أشارت قصة سنوهي - الى أسوار الحاكم التي أقيمت لترد ال ستيو ولتسحق سكان الرمال (١) - أما أين كانت تقع تلك الأسوار التي أقامها أمنمس الاول فغير معروف ولكن يكفي ذكرها مرتين ليجعلنا ندرك مدى الخطر المتوقع من هذه الناحية ، ولقد كانت العلاقات ودية على أية حال في هذه المرحلة ، وقرابة نهاية الأسرة كان أخ أمير رتنو يقدم يد المساعدة في عهد أمنمس الثالث الى المصريين في العمل في استخراج الفيروز من سراييط الحادم في شبه جزيرة سيناء (٢) ولم تتم هذه الأعمال من غير شك في رتنو نفسها . اذ أن رتنو العليا ربما امتدت شمالا حتى خط عرض ببلوس ، ومن الشاهدين المشار اليهما نستطيع أن ننتهي الى القول بأن حاكما قويا مفردا كان يسيطر تقريبا على معظم فلسطين ومع ذلك فان هناك ما يعارض هذا الدليل . فالمصريون - وبخاصة في العصور القديمة - كانوا على استعداد لأن يروا في الأجانب أعداء طبيعيين وقد التقى ما عثر

(١) انظر صفحة ٥٣ .

(٢) Sinai II, p. 19

عليه حديثاً أضواء هامة على أسماء الأشخاص والأماكن مكتوبة بالهيراغليفية على لحاف أو تماثيل من الحجر الجيري لأمرأة محليين تمثلهم كأسرى ربطت أذرعهم خلف ظهورهم ، ولا يمكن تحديد معظم أسماء الأماكن وإن وجدنا من بينها ما يحتمل أن يكون عسقلون وششم وكان المصريون في ذلك العهد يأملون من غير شك في أن القوة السحرية لهذه الأشياء تنتزع من أعدائهم القدرة على حمل السلاح ، وتبين لوحة نسيمونت (١) المؤرخة من الحكم المشترك لأمنمس الأول وسنوسرة الأول أنه كان على هذا القائد أن يشهر الحرب على الآسيويين الرحل ويدمر حصونهم ولكننا لا نعرف إلى أي مدى بلغ نشاطه في الأقاليم الأجنبية . وفي عهد سنوسرة الثالث ارتحل الملك نفسه للقضاء على الآسيويين ووصل إلى إقليم سكم الذي يرى فيه معظم الباحثين ناحية ششم في منطقة السامرية الجبلية (٢) ، وهنا قام أحد رجاله المحاربين ويدعى سبك خو بمغامرة مشهورة يرويها على لوحته ، وهناك وثائق أخرى مشابهة باللغة البابلية بحيث لا تقيس من الناحية التاريخية ، ولعل ما تخلفه من فكرة عامة هو أن فلسطين كان يسكنها حتى ذلك الوقت قبائل صغيرة أو جماعات يحكم كل منها أمير من أهلها ، وهناك أدلة يعتد بها على أنه إذا بعدنا إلى ناحية الشمال نلتقي بما يشير إلى التغلغل المصري خلال الدولة الوسطى ، ومن أجل ذلك فإن أثريا محنكا مثل « سير ليونارد وولي » يؤكد أنه لا بد أن كانت هناك حملات أكيدة قد تمت حتى نلتقي بمثل هذا العدد مما عثر عليه من الأشياء التي تنسب للأسرة الثانية عشرة ، فهناك ملكان من ببلوس تلقيا هدايا قيمة من أمنمس الثالث والرابع على التوالي (٣) . كما عثر في طود على كنز ثمين من مصنوعات من الذهب والفضة واللازورد تشير بوضوح إلى يد الصانع العراقي والايجي ، وقد نقشت عليها خراطيش أمنمس الثاني (٤) . ومن المحتمل أنها هدايا من حكام ببلوس ، كما كشف في قطنه (٥) إلى شمال حمص عن تمثال لأبي الهول يحمل اسم ابنة أمنمس الثاني ، وغير ذلك في أوجاريت بالقرب من المدينة التي عرفت باسم « لا يودسيا » فيما بعد (٦) على عدد من التماثيل المشابهة . كما عثر على تمثال شخصي لوزير عرف اسمه كذلك من مصادر أخرى ، وأما أقصى الأماكن إلى الشمال التي عثر بها على مثل هذه الأشياء فهي اتخانا (٧)

Op. cit., I §§ 676 (٢)

Vandrier p. 256 (٤)

Op. cit., 393 - 4 (٦)

Op. cit., VII, 395. (٧)

BAR, I, 469 ff. (١)

PM, VII, 386 (٣)

PM, VII, 392 (٥)

التي لا تبعد كثيرا عن مصب الأورنت ، ويلاحظ أنه في حالة غياب دليل مكتوب تعد أهمية هذه المكتشفات وأمثالها مجرد تخمين ، ويلاحظ كذلك بهذه المناسبة على أية حال أن ذكر الأسرى الآسيويين يزداد على اللوحات والبردى وإن لم تكن هناك وسيلة لتعريفنا إن كانوا أسرى حرب أو هم تسربوا إلى مصر لحسابهم وعلى مسئولياتهم الخاصة (١) .

والحيل السحرية نفسها التي قاومت بها مصر أذى جيرانها في الشمال الشرقي استخدمتها كذلك ضد الجنوب ولكن الأسماء القبلية هنا كذلك لا أمل من وراثتها لشدة غموضها ، ومن ناحية أخرى نجد أن الدليل المكتوب والدليل الأثرى عن العلاقات بين فراعين الأسرة الثانية عشرة وبين النوبة والسودان أغزر نسيباً - ولقد سلفت الإشارة إلى جزايات خداعة من عهد منتحوتبه الأول ، ولكن واحدة أكثر تشويها من غيرها يبدو أنها نزع من بلاد الواوات والواحات المتاخمة إلى مصر العليا (٢) ، ومنذ عهد أمنمس الأول تبدأ وثائق أكثر صحة ، وفي هذا العصر حل جنس جديد يعرفه الأثريون باسم مجموعة ج في النوبة السفلى ولكنهم لم يكونوا زنوجاً ولا يمكن تحديد ارتباطهم واحتكاكهم بالمصريين قبل الأسرة الثامنة عشرة (٣) أما الاصطلاح الذي أطلق على سكان نوبيا فظل كما كان من قبل « نحاسيو » وهو اسم نلتقى به في فينحاس (النوبي) في التوراة ، ولا يزال موجوداً في الاسم اليهودي الحديث « بنكوس » وعلى أية حال فإنه وجد الآن لأول مرة الاسم الجغرافي كوش الذي يعنى في الدولة الحديثة اقليماً إدارياً متميزاً عن الواوات يمتد إلى الجنوب وراء الجندل الثاني بينما يقصد به في التوراة اثيوبيا عامة ، ولقد كان الجندل الأول عند منطقة الشلال الحد الشمالى ل واوات في كل العصور . أما الحد الجنوبي في الأسرة الثانية عشرة فغير مؤكد وقد نستطيع من غير شك أن نرجع الفضل في إخضاع النوبة السفلى إلى أمنمس الأول . وهناك نص من عامه التاسع والعشرين في كورسكو يسجل وصوله « لقهر واوات » (٤) « وكانت وادى حلفاً في عهد ابنه وشريكه في الحكم سنوسرة الأول في قبضة المصريين وأحلت بها حامية هناك وقد أقام قائد يدعى منتحوتبة لوحة (٥) من الحجر الرملى صور فيها الآله

(١) G. Posener in syrio XXXIV, 145 ff.

(٢) Save. Soderbergh pl. 39 ff

(٣) H.F. LVTZ, Egyptian Tombs steles. Leipzig, 1927, pl. 34, No. 66

(٤) BAR, I, §§ 472 f.

(٥) Op. cit., I §§ 510 ff.

مونت اله طيبة - ويلاحظ أنه لم يكن أمون بعد - يقدم الى سنوسرة أسرى من عدد الأراضي السودانية وعلى رأسها كوش - وأما أن الأمر لم يكن مجرد شهوة فتش - الأمر الذي أصبح الآن الهدف الرئيسي - فإن ذلك يتضح من الرواية التي كتبها على بوابة قبره في بنى حسن أميني الذي سبق ذكره - وهو حاكم مقاطعة أوريكس (١) وهو يصف كيف أنه بعد أن حل محل أبيه المسن أبجر جنوباً « وراء كوش ، ووصل الى « نهايات الأرض » وكان سنوسرة في هذه المناسبة على رأس الجيش بنفسه وعاد من الحملة دون خسائر ، وبعد ذلك سحب أميني سمييه ابن الملك الأكبر وهو من غير شك أمنمس الثاني فيما بعد ، لاحتضار كنوز الذهب لجلالته وقد أتم هذه المهمة بنجاح وناله ثناء كبير في القصر الملكي ، ولم يكن الذهب من النوبة يذكر إطلاقاً في عهد الدولة القديمة ، وربما كانت المناجم في شرق مصر قد استنفدت في عهد الأسرة الثانية عشرة أو أن مطالب الفراعين أخذت تزداد ، وعلى أية حال فإنه منذ عهد الدولة الوسطى أصبحت النوبة هي المنطقة الأولى المنتجة للذهب ، ولم يكن الذهب وحده بأية حال من الأحوال الانتاج الوحيد الذي يسعون وراءه في هذه الناحية إذ أنه كانت هناك مواد أخرى قيمة يؤتى بها من السودان ذكرناها في الفصل الثالث (p. 44) كانت معظم هذه الأشياء يتم الحصول عليها عن طريق المقايضة من المواطنين وبخاصة المدجايو من وراء حدود الجندل الثاني ، وأنه من الواضح على أية حال أن الغزو من ناحية الجنوب كان مصدر خوف دائم ، ورغم أن الحملات الى النوبة السفلى والصحراوات المجاورة أصبحت الآن كثيرة فإنها كانت دائماً تتسم بشيء من المغامرة ، ولم تكن هناك إلا بعض المحاولات القليلة لما يمكن أن نسميه استعماراً - وهناك بردية (٢) تقدم قائمة بها ثلاث عشرة قلعة بين الفنتين وسمنة عند الطرف الجنوبي للجندل الثاني . ومعظم هذه أماكن التعرف عليها وتخطيطها - أما تلك التي تقع الى شمال وادي حلفا فمقامة على الأرض السهلة ومن الواضح أنه كان يقصد بها أن تكون نقاط مراقبة يقظة على المواطنين ، وهناك على الأقل سبع قلاع واقعة في الرقعة التي تمتد مدى أربعين ميلاً من الجندل الثاني معظمها فوق روابي وعدد منها فوق الجزر ، وقد صممت بغير شك لتكون مواقع دفاعية كما يتضح من أسمائها « التي تطرد القبائل » و « التي تكبح الصحراوات » وهي منشآت ضخمة لها جدران سميكة من اللبن تدور حول مسافة تكفي لايواء العديد من الموظفين والكتاب وكذا الحاميات اللازمة، ولسنا

Op. cit., I, §§ 519 f. (١)

Onam, I pp. 10 f. (٢)

مقتولين ومدفونين مع مولاهم ليقوموا على خدمته فى العالم الآخر (١)
وقد عثر فى احدى الكومات على تمثال رائع لـ « حب دجفاى » (زفاى)
الذى ربما كان حاكما ، وآخر لزوجته ، ونحن نعرف هذا الرجل من
مقبرة له فى أسيوط فى الاقليم الثالث عشر من أقاليم مصر العليا ،
ونعرف عنه أنه كان يعيش فى عصر سنوسرة الأول . أفكانت هذه اذن
محطة دائمة للتجارة والصناعة ، وكيف كانت تستطيع أن تسد حاجاتها
مادام خط القلاع فى الجندل الثانى يبدو انه يعنى أن كل الاقليم وراءه
كان بطبيعته معاديا ؟

وكانت مطالب المعمارين والنحاتين وصانعى الحلى تتطلب دواما
متابعة النشاط الاستغلاى لموارد الصحراء والبلاد المحيطة بمصر ، وحيثما
تستطيع الصخور المطلوبة أن تسهم فى ذلك الأمر ، فان النقوش كانت
تسجل أسماء المبعوثين الملكيين ، وقد استغل فى ذلك بازلت وادى
الحمامات ومرمر حتنوب والديوريت من شمال غربى أبو سمبل استغلالا
كبيرا وظل وادى اليهودى يزود البلاد بانتاجه من الجمشت (اماثيست)
أما فى شبه جزيرة سيناء فان أعمالا جديدة بدىء فيها على نطاق واسع فى
سراييط الخادم حيث بنى معبد للمعبودة « حتحور » « سيدة الفيروز » .
وقد ناقشنا من قبل العلاقات مع فلسطين واما العلاقة الأكثر تعقيدا مع
كريت فلا يمكن تجاهلها ذلك أنه لم يعثر فى ذلك المقر الكبير للثقافة المينوية
على كثير من الأدوات المصرية (٢) ولكننا نشهد قرائن من هواراة فى الفيوم ومن
غيرها من عهد الأسرة الثانية عشرة تشير الى فخار مصرى مزخرف من صناعة
كريتية مؤكدة ولعل أكثر ما يلفت النظر اناء رائع كشف عنه
« جارسنانج » فى أبيدوس (وهو الآن فى متحف اشموليان فى اكسفورد)
ولا يزال هناك سؤال حائر هو : هل كفتيو تعنى الاسم المصرى لكريت ،
وهل هى كفتور التى جاءت فى التوراة ؟ ان النقاش لا يزال قائما حول
اجابة هذا السؤال (٣) - اما بعيدا الى الجنوب الشرقى فان البعثات
المصرية كانت لا تزال تتردد على بوينى وشاطيء الصومال ، واما من
وادى جاسوس على مسافة الى شمال القصير ، ميناء البحر الأحمر ، فقد
وصلت اليها لوحة ترجع الى العام الثامن والعشرين من حكم أمنميس الثانى

(١) Dows Dunham, Museum of Fine Arts, Boston, The Egyptian
Department and its excavations, Boston, 1958, pp. 82. ff.

PM, VII, 405. (٢)

Onom. I, p. 203* (٣)

تسجل قيام مثل هذه البعثة (١) ، كما وصلتنا لوحة أخرى من السنة الأولى للحاكم التالى تشير من غير شك الى مهمة مماثلة ومعها الكلمات « يوطد آثاره (أى الملك) فى أرض الاله » . ومن عجب أن قليلا من الاهتمام كرس للتساؤل عن أى اله يقصد ، ذلك أن اصطلاح « أرض الاله » لا يوجد هنا فحسب بل هو كذلك يتصل بالبعثات الآسيوية وما دامت هذه توجه دائما وعلى رأسها موظف « حامل ختم الاله » أو الخازن فانه يبدو كذلك ان المعبود المقصود ليس سوى فرعون نفسه ومن ثم فان الفكرة من وراء ذلك هى دعوة متعمدة لامتلاك ثروات كل البلاد الأجنبية .

ورغم أن أمنس الأول اختار اللشت (ات . توى) كموقع هرمه الذى بنى سنوسرة هرما له يجاوره الا أن بقية ملوك الأسرة الثانية عشرة فضلوا أماكن أخرى ، فعاد أمنس الثانى الى دهشور ، الى جوار هرمى سنوفرو الكبيرين ، ولم تكشف الحرائب التى قام بدراساتها ج . دى مورجان عام ١٨٩٤ (٢) عن شئ غير عادى سوى طريقة البناء ، كما لم يمكن التوصل الى اسم صاحبها الا عن طريق المساطب القريبة - أما الأسباب التى حدث بالملك التالى سنوسرة الثانى الى اقامة هرمه على بعد أكثر من ثلاثين ميلا الى الجنوب وعلى مسافة عشرة أميال من النيل فنستطيع أن نتخيلها : ذلك ان المكان المختار ، اللاهون ، يقع الى شمال البقعة التى ينحرف فيها بحر يوسف غربا ليشق طريقه الى واحة الفيوم (p. 132) وقد أبدى سنوسرة الأول اهتمامه الخاص بهذا الاقليم الحصب فأقام فى ابجيح أثرا جنازيا يبلغ ارتفاعه خمسين قدما كان يوصف دائما كأنما هو مسلة ولكنها ربما كان يعلو قممها تمثال الملك (٣) ولسنا ندرى على وجه التحقيق أينسب اليه أم الى أحد خلفائه أمر تنظيم وتحسين وسائل الرى التى أشار اليها هيروdotس وسترابو . ولكن من المؤكد انه منذ ذلك الوقت أصبحت المناطق المجاورة لبحيرة مويريس المشهورة مقرا طبيبا للفراعين الذين أشبعوا فيها هوايتهم من صيد السمك وصيد الطيور (٤) ويشير هرم سنوسرة الثانى (٥) الى

(١) PM, VII, 338

(٢) Op. cit. III, 234

(٣) Op.cit. , IV, 99, Ann., Serv. XXVI, 105 ff.

(٤) R.A. Iominos, litreary fragments, Oxford, 1956, pp. 22, ff.

(٥) PM, IV, 107 ff.

تجديد تمت محاكاته فى هرمين آخرين. من أهرام الأسرة ٠ ذلك أن التجربة أثبتت أنه من النادر أن يفلت الهرم من النهب مادام المدخل المؤدى الى غرفة الدفن يشغل مكانه الطبيعى فى الجانب الشمالى من المبنى العلوى ومن ثم فإن مهندس سنوسرة رأى أن يضع المدخل خارج الهرم نفسه (١) ، ومع ذلك فإن هذه الخطة أثبتت على أية حال عدم صلاحيتها للغرض الذى صممت من أجله لأنه اتضح عند الوصول فى النهاية الى غرفة الدفن أنها نهبت من غير وازع ضمير حتى ولم يبق من كل المعدات الجنازية الثمينة التى كانت تملؤها أصلا من غير شك سوى تابوت رائع من الجرانيت الأحمر مع مائدة قربان من المرمر ، ومع ذلك فأننا لا ننكر عبقرية المهندس التى كلفت فلندزريتري شهورا طويلة مضيئة حتى استطاع الوصول الى البئر التى تنزل الى الممر المؤدى الى المدخل ، وقد استلزم الأمر نفس الوقت بعد ذلك بخمس سنوات (١٨٩٤) حين قام ج ٠ دى مورجان بأبحاثه فى أهرام سنوسرة الثالث وأمنس الثالث فى دهشور ٠ وكان اللصوص هنا كذلك قد استطاعوا أن يغلبوا البنائين ، وفى الوقت نفسه أن يضيعوا أملا يعلقه الأثريون المحدثون عن أماكن العثور على دفنة فرعونية سليمة ، ومع ذلك فإن لونا من التعويض قدمه كل من هرمى دهشور واللاهون (الأخير فى ١٩١٤) عن طريق الحلى الرائعة التى كشف عنها فى مقابر الأميرات الملكيات داخل الأسوار المحيطة بالهرم ، فالصديريات والتيجان والمعاضد والقلائد ٠٠٠ الخ التى تمثل أرقى أنواع الصناعة والتركيب على الذهب بأحجار شبه كريمة مثل اللازورد والجمشست (الامتيسست - حجر أزرق) والعقيق الأحمر والفلسبار ، وهى جميعا من بين كنوز متحفى القاهرة ونيويورك ؛ ولئن لم تكن للتصميمات البساطة العذرية للأمثلة النادرة من الدولة القديمة فإنها تخلو على أية حال من عدم التناسق الذى نشهده فى الحلى التى عثر عليها فى مقبرة توت عنخ أمن ٠

ومع أمنس الثالث نلتقى من جديد بظاهرة تملك فرعون لاكثر من هرم - كان الأثر الذى أمر أن يقام بالاضافة الى هرم دهشور يقع فى هواره على مبعدة بضعة أميال الى غرب اللاهون بجوار قناة من العصر العربى ، وهناك اتخذت كذلك خطى واسعة لاحباط مساعى اللصوص ، ولم تكن جهود بيتري للوصول الى مكان الدفن الحقيقى (١٨٨٦) أقل

(١) لكل ما يلى انظر Edwards; Pyramids pp. 183 ff.

دفة مما اتبعه في اللاهون في العام التالي ومما تجدر الإشارة اليه عثوره على المعبد الجنائزى لهرم هواره ذلك الذى كان يشتمل اللابيرنت الذى وصفه بإسهاب كل من هيروودوتس وديودورس وسكنوس وسترابو . وقد فحص بيتري المكان فحوصا سطحيا فى نفس الوقت الذى فحص فيه الهرم . ثم أعاد الفحص فى عام ١٩١١ فكشف عن مساحة واسعة من شظايا الحجر الجيرى مع بقايا قليلة تحمل أسماء أمنمس الثالث والملكة سبك نوفرو التى سنتعرف عليها أكثر من ذلك فيما بعد ، وبحول اتساع هذه المساحة وشكلها المربع دون التفكير فى أن هذا المعبد الجنائزى يمكن أن يكون من الطراز المعتاد ، والواقع أنه يمكن أن نتقبل فى ثقة ما قدمه الكتاب الكلاسيكيون حيث انهم لم يغالوا كثيرا . هيروودوتس (٢: ١٤٨) يتحدث عن المبنى كأنما هو أعجوبة فاقت حى الأهرام ، وسترابو (١٧ ، ١ : ٣٧) يصفه كأنما يحوى عددا ضخما من الأبناء المتصلة بعضها ببعض عن طريق ممرات دواره لا يستطيع الغريب أن يحدد مساره خلالها ، وأما كيف أن هذا البناء المصرى اتخذ الاسم الأناضولى (لايرنت) فإن هذا الأمر أضحناه فى الفصل الأول ، ونستطيع أن نذكر بهذه المناسبة هرمين زعم هيروودوتس (٢ : ١٤٩) أنه رأهما يرتفعان من بحر مويريس ، وليس من شك أنه كان يعنى بذلك التمثالين العملاقين لأمنمس الثالث اللذين شهدهما بيتري يطلان على البحيرة عند بياهمو (١) ، ولا بد أن هذين العملاقين - بما فى ذلك القاعدتان - كان يزيد ارتفاع الواحد منهما على ستين قدما ، ويفترض انهما كانا قائمين فى حوش قريب جدا من قمة السد ولم يعثر على ما يماثل هذا الأثر فى مصر كلها الا اذا أخذنا فى الاعتبار مسألة إيجيج التى سلفت الإشارة إليها .

ومما تجدر ملاحظته أن المقابر الاقليمية الكبرى التى التقينا بها فى بداية الأسرة تختفى عقب حكم سنوسرة الثالث ، ويرجع ادوارد ماير - لاحتمالات تستحق التقدير - ذلك الأمر الى أن الملك مهد السبيل على الأقل - ان لم يكن عن طريق الاكراه - الى تغيير جذرى للنظام الاقطاعى، ومهما يكن من أمر فانه من العسير أن نغض عيوننا عن الازدياد الكبير للسلطان الملكى ، فأهازيج الثناء تطرى فضائل كل من سنوسرة

الثاني (١) وأمنمس الثالث (٢) - وقد حكم الملك الأخير أكثر من خمسة وأربعين عاما ، أما خلفه أمنمس الرابع فلم يحكم - طبقا لبردية تورين - سوى تسع سنوات وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما - وإن كان عامه السادس هو آخر سنة سجلت له في سيناء ، وقد جاءت « سبك-نوفرو » في ختام الأسرة وهي التي ينسبها مانيتو - وربما كان على حق - إلى آخر امنمس بوصفها أخته - وتقدم لها بردية تورين ثلاث سنوات وعشرة شهور ، رغم أن قائمة ابيدوس تتجاهلها فإن قائمة سقارة تذكرها باسمها سبك كارع كخليفة لأمنمس الرابع . وهناك خاتم اسطوانى فى المتحف البريطانى يحمل ألقابها الملكية الكاملة تقريبا (٣) وهناك مايشير قطعاً الى أنها كانت تشارك فى الوقت نفسه على العرش أمنمس الثالث ، الذى يحتمل أنه كان أباهما ، كما أن هناك دليلاً أكثر تأكيداً على اشتراك أمنمس الثالث وأمنمس الرابع كذلك لفترة ما ، بينما لا نجد إشارة إلى اشتراك فى الحكم بين أمنمس الرابع وسبك نفرو (٤) وأمام مثل هذه الملاحظات نرى أنه من الخطر أن نقدم نتائج ايجابية - ولكن هناك احتمال مقبول عن امكان وجود نزاع فى الأسرة خرجت منه « سبك نوفرو » منتصرة .

وهكذا فإنها تكون ثانى مرة فى تاريخ مصر تنجح فيها امرأة فى أن تجعل من نفسها « ملك مصر العليا والسفلى » ولكن مثل هذا الموقف الشاذ كان يحمل بذور الكارثة فبعد سبك نفرو - كما حدث بعد سيتوكريس - تعاقبت سلسلة من الملوك لم تزد مدة حكم أحدهم - كما نرى - على ثلاث سنوات ، ومهما يكن السبب فإن الدولة الوسطى المجيدة انهارت نهائياً .

ولو وضعنا فى الاعتبار العدد الضخم من اللوحات الخاصة التى يمكن أن تنسب عن ثقة إلى الأسرة الثانية عشرة فإنه مما يدعو إلى اليأس أن القليل منها يستطيع أن يلقي ضوءاً على الأحداث الفردية أو الظروف القائمة وقلّة منها مؤرخة ومعظم الباقي يقنع بالتمنيات التقليدية « لكل الطيبات والأشياء الطاهرة التى يعيش عليها الإله » متبوعة بلقب واسم

(١) Erman, lit., pp. 134 ff.

(٢) Op. cit., pp. 84 f; Wilson in ANET, p. 431.

(٣) Gauthier, L.R., I, 341.

(٤) JEA, XXIX, 74 ff.

صاحبها واحصاء لأفراد أسرته ، وليست النعوت التمجيدية بغير شائعة ، ولكن الادعاءات مثل كون صاحب اللوحة « المحبوب حقا من موله » و « المستمسك بطريق من أعطاء زينته » غالبا ما تكون كل ما تتاح لنا معرفته عن الشخص ؛ أم من الوهم أن نفترض أن يد الملك أصبحت اليوم أثقل على رعاياه الأذلاء مما كانت في القدم ؟ وان عبادة الشخصية كانت نقاوم عن عمد في ظل الأوتوقراطية الجديدة ؟ ان علينا على أية حال ألا ننشط في المبالغة ، وانه ليبسود من الملائم هنا أن نشير الى بعض المصادر القليلة التي تلقى ضوءا على مختلف مظاهر الحياة في ذلك العصر ، وان بقى لهؤلاء الأكثر مغامرة أن يحاولوا الربط بينها ليقدّموا صورة يستطيع فهمها ، وهنا مرة أخرى نرى في الخيال والوهم المصدر الأكثر بهاء ؛ فليس هناك ما هو أكثر روعة من النص الذي يشير الى عودة سنوهي الى مصر ، فبعد حياة مجيدة جدا في فلسطين طغى عليه الحنين ليدفن في الأرض التي ولد فيها فسطر التماسا متواضعا الى سنوسرة الأول الذي يجلس على عرش فرعون اذ ذاك ، وقد ناله عفو شامل عن هربه الذي اتسم بالتهور قبل ذلك بأعوام كثيرة ، ولقيته عند الحدود سفن محملة بكافة الأشياء الطيبة ، وعند وصوله الى « اث-توى » اقتيد وهو في وعشاء السفر الى الحضرة الملكية حيث رحب به الملك بكلمات قليلة عطوفة لم يكدها يعيها من شدة الروع .

« ادخل الأطفال الملكيون ... ثم قال جلالتة للزوجة الملكية هاك سنوهي الذي أقبل ك « عام » من نسل قوم « ستيو » . . . فصرخت عاليا وهكذا فعل كل الأطفال الملكيون بصوت واحد . . . وقالوا لجلالتة : حقا انه ليس هو . . . وقال جلالتة : بل انه هو هو حقا . »

وفي هذه القصة نرى أنفسنا أقرب الى الواقعية منا في أية قطعة أخرى من الكتابات القديمة ، ويجب ألا نسمح لبقية القصة أن تحتجزنا . . . وهناك لمحة عن قضائية قانونية في نص منقوش على جدار مقبرة الأمير « حب زفاي » في أسيوط - وقد سجلت هنا فقرات مستفيضة عن عقود بينه وبين كهانة الاله المحلي (١) . كان « حب زفاي » قد عين « خادم روح » ليشرف على عبادته الجنزية بعد موته مع تسجيل هبات

(١) J.E.A. V, 79 ff.

من أراض وعبيد وما أشبه كمغريات للوفاء فى الاخلاص بواجباته ، وكانت التقدّمات الى تمثاله مؤكدة خلال العام كله عن طريق سلسلة من التبادل مع الكهنة ولا يستطيع المرء أن يقرأ هذه الارتباطات المسهبة لهذه العقود دون أن يدرك القواعد الدقيقة عن الملكية التى تكمن وراءها ، فهناك مثلاً فرق بين ما يملكه الأمير عن طريق الوراثة وما يملكه عن طريق الوظيفة ، ويمكن جمع الكثير مما يتصل بالادارة الداخلية للمعابد — عن طريق الدراسة الأدق — من مجموعة من البردى التى عثر عليها فى غرفة من مدينة هرم اللاهون ونستطيع أن نقدم مثلاً يشار فيه الى المدفوعات اليومية الى مختلف الأعضاء من موظفى المعبد ، فقد سجل مثلاً (١) ان المشرف عليهم يتقاضى ستة عشر رغيفاً مختلفة الحجم ، وثمانى أوان من الخبز ، أما مدفوعات الموظفين (٢) فعبارة عن سدس الايراد اليومى للمعبد وأما الباقي فلد « خدم الروح » ٠٠٠ ولكن لأيهم ؟ لسنا ندرى ٠٠٠ وهنا جزاء أخرى من البردى تهتم بالناحية الادارية عثر عليها فى حرجة ، وهو موقع يرجع الى الأسرة الثانية عشرة ولا يبعد أكثر من ميلين عن هذه المنطقة (٣) والجزاء تحوى مذكرة عن أيام استغرقها قياس الحقول وتقدير الضرائب وتقديم تقرير عن ذلك الى صاحب الأرض فى الاقليم الشمالى . وانه لما يتفق والعادة المصرية ان ما كان يسجل عن واجبات الوزير التى نقشت على جدران عدد من مقابر الأسرة الثامنة عشرة (٤) يشير فعلاً الى ما كان قائماً قبل ذلك بأربعة قرون ٠٠٠ ولكننا لسنا على ثقة من ذلك الأمر ، ذلك أن تشتت المادة لدينا ، والمرحلة التى وصلنا اليها فى دراستنا تجعل أية محاولة للملاءمة لا يؤمن جانبها .

وقد أثبت موقع اللاهون الذى قام بيترى بالحفر فيه أنه بالغ الأهمية اذ أنه أماط اللثام عن بقايا مدينة كلها من عصر واحد كما كشف عن مرحلة غير متوقعة لتخطيط المدن ، وكمية من الأثاث والأدوات والحلى تكاد تكون فريدة فى نوعها فى أرض القراعنة . وكانت بيوت الأثرياء كبيوت الفقراء مبنية من اللبن ولكل منها قاعة كبرى ذات عمد بها حوض من الحجر الجيرى فى الوسط (وكان السقف عادة من كتل خشبية فوقها حزم

(١) JEA, XLII, 119

(٢) ZAS, XL, 113 ff.

(٣) JEA, XXVII, 74 ff.

(٤) Davies, Rekh-mi-rê, pp. 88 ff. See above p. 104

انظر صفحة ١٢٠ - ١٢١ .

من القش المغطى بالطين ولا تزال سقوف مقببية من اللبن في مكانها: بعضها كامل وبعضها لم يبق منه سوى الجزء الأسفل . أما الأبواب فعقود من اللبن ، ونحن نعرف على وجه اليقين أنهم لم يعرفوا العقد والقبو فحسب ولكننا نعلم كذلك أن استعماله كان شائعا منذ أمد بعيد لدى المصريين (١) وكان هناك سور يدور من ثلاثة جوانب حول المدينة التي تفتح على سهل النيل الى الجنوب ، وكان هناك شارع رئيسي في الداخل حوله المجموعة الرئيسية من المباني كما ان هناك شوارع أصغر تتخلل المباني - والى جانب مجموعة حسابات المعبد والرسائل التي عثر عليها في المعبد نفسه ، أمكن العثور على كمية من البردى تتناول موضوعات مختلفة ، وقد أمكن جمعها من كثير من المنازل ، وكانت مهمة العالم الكبير جريفت في حل رموزها أحد الأعمال التي يستحق الإعجاب . فمن بينها ورقة طبية تتناول أمراض النساء وجراحة عن الطب البيطري ، ثم هناك وصايا نستطيع أن نستنتج من ورائها معرفة أن المرء يستطيع أن يورث من يشاء لا بيته ومتاعه فحسب بل كذلك وظيفة مثل وظيفة مدير هيئة الكهنة العاديين ، وفي حالة أخرى نرى من بين ما تركه الرجل زوجة وأربعة من العامو وبضعة عبيد أسويين . وكانت مثل هذه الوثائق تتطلب شهودا من الناحية الرسمية وتودع في بيت التسجيل ، كما أن عمليات الاحصاء المنزلية كانت تسجل كذلك - وهكذا فإن الحياة الدائبة لهذه المجموعة المحلية الهامة كانت تنظم عن طريق معايير إدارية دقيقة نستطيع أن ندرك مداها ومراميها من لمحات فيما بقي من هذه المخطوطات .

وفي غير ذلك نلتقي بجدار أو لوحة تصور جانبا من الحياة لم نعرض لهما . فهناك موظف يروى أنه أوفد الى الواحات ليعود ببعض الهاربين (٢) ، وهناك منظر مشهور في البرشا يصور جر تمال ضخم الى حيث أزمعت اقامته . ويبدو في المنظر ١٧٢ جنديا شابا على الأقل من مقاطعة الأرنب يعملون في تنفيذ ذلك الأمر (٣) . وكان الجنود الذين يمتازون بالشجاعة يتلقون هدايا قيمة من الملك ربما كانت خنجرا وقوسا محلي بالذهب ف « سبك خو » الذي برز في فلسطين (p. 36) لم يكافأ بهذه فحسب بل منح كذلك ستون عبدا . وكان يعهد بالبعثات.

Petrie, Ten Year's Digging in Egypt, London 1893, p. 115. (١)

ZAS, LXV, 108 f. (٢)

BAR, I, §§ 694 ff. (٣)

الهامة الى موظفين ذوى أهمية خاصة ، وهكذا نرى أن سنوسرة الثالث
يوسف رئيس خازنيه « ايخر نوفر » الى أبيدوس ليزود معبد أوزيريس
بالأثاث الفخم المحلى بالذهب والفضة واللازورد ، وهو يقوم فى نفس
المكان بالاشراف على الاحتفالات التى تمثل مأساة الاله الذى قتل (١) .

ويجب أن نشير قبل أن نختم هذا الفصل الى أهم آثار العصر التى
لم ينلها التدمير فهناك فى هليوبوليس مسلة مفردة لا تزال قائمة كشاهد
على المعبد الكبير الذى أقامه سنوسرة الأول هناك (٢) كما هو مسجل كذلك
على وثيقة من الجلد سلفت الاشارة اليها (٣) ، وهناك فى الكرنك
كتل لامعة من الحجر الجيرى أعيد استخدامها فيما بعد فى تشييد الصرح
الثالث ، أعيد تجميعها فكونت معا مصلى جميلا ليوبيل الملك نفسه ولعل
بعد الشقة هو الذى حفظ معبدا بسيطا كشف عنه الايطاليون فى مدينة
ماضى فى اقليم الفيوم وفى حالة خير من نظائره من الهياكل من النوع
نفسه .

وأما فن الأسرة الثانية عشرة فانه من العسير أن نميز ملامحه
بصورة مرضية هنا . وان كان من الممكن أن يقال على الأقل انه يمثل
ألوانا تختلف عن كل ما شهدناه من قبل فى صورة تستطيع حتى
العين العادية أن تلمسها ، أما التقاليد الفنية فلم تتغير وكذا النماذج
ومع ذلك فهناك فروق واضحة ، ويستطيع المرء بخاصة أن يلاحظ تمثيل
النحات للعبوس وقوة التصميم فى ملامح الفرعون . ولعل أروع القطع
النموزجية هى رأس أمنمس الثالث من حجر الاويسيديان التى كانت
موجودة فى مجموعة ماك جريجور (٤) ، وكذا تمثال صغير للملك نفسه فى
موسكو قدمنا صورته فى آخر الكتاب .

(١) Op. cit., §§ 661 ff.

(٢) PM, IV, 60

(٣) راجع صفحة ٧٧ .

(٤) J.E.A. IV, 71

مراجع مختارة

العصر الوسيط الأول :

H. Stock, Die Erste Zwischenzeit Agyptens, Rome, 1949

Bibl. Or. VIII. 165 ff. G. Posner وعلق عليه

A. H. Gardiner, The Admonition of an Egyptian Sage, Leipzig, 1909

واحدث ترجمتها قدمها J. A. Wilson فى ANET, pp. 441 ff.

A. H. Gardiner, The Story of the Eloquent Peasant, in J.E.A. IX. 5 ff.

A. H. Gardiner, The Instruction for King Merykare, in J.E.A. I. 20 ff.

واحدث ترجمتها قدمها J. A. Wilson فى Anet, pp. 414 ff.

مراسيم كوبتوس (قنط) ، قائمة بها مع تعليق :

W. C. Hayes in J. E. A. XXXII. 3 ff.

J. Vandier, Moalla., Cairo, 1950

La Famine dans l'Egypte ancienne, Cairo, 1936, pp. 3-16

H. Brunner, Die Texte aus den Gräben der Herakleopolitenzeit von Siut, Glückstadt, 1937

R. Anthes, Die Felseninschriften von Hatnub, Leipzig, 1928

الأسرة الحادية عشرة :

H. E. Winlock, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947

, Excavations at Deir el Bahari, New York, 1942

J. J. Clère & J. Vandier, Textes de la première période intermédiaire et de la XI^{me} Dynastie, I, Brussels, 1948

J. Couyat & P. Montet, Les Inscriptions hiéroglyphiques et hiératiques de Ouedi Hammamat, Cairo, 1912-13

E. Naville, The XIth. Dynasty Temple at Dair el-Bahari, 3 vols., London, 1907-13

H. E. Winlock, Models of Daily Life in Ancient Egypt, Cambridge, Mass., 1955

الأسرة الثانية عشرة :

P. M. IV. 77 ff. اللشت

op. cit. IV. 107 ff. اللاهون :

مدينة ماضى - تقارير كتبها فوليانو ، ميلانو ١٩٣٦ - ١٩٣٧

دهشور : P. M. III, 229 ff.

الفيوم : op. cit. IV. 98 ff.

بنى حسن : op. cit. IV. 141 ff.

الكرك :

P. Lacav & H. Chevrier, Une Chapelle de Sésostris I, Paris, 1956

الأدب :

G. Posener, Littérature et politique dans l'Egypte de la XII^e dynastie, Paris, 1956

نبوءة نفرتى A. H. Gardiner in J.E.A. 1, 100 ff.

واحدت ترجمة قدمها J. A. Wilson فى ANET pp. 444 ff.

A. H. Gardiner Notes on the Story of Sinuhe, Paris, 1916

واحدت ترجمة قدمها J. A. Wilson فى ANET, pp. 18 ff.

تعاليم امنموس الأول ، احدت ترجمة قدمها J.A. Wilson فى ANET pp. 418 f.

برديات من اللاهون F. LL. Griffith, The Petrie Papyri, 2 vols. London, 1898

ومقالات مختلفة نشرها L. Borchardt فى Z. A. S.

وحطابات نشرها A. Scharff فى ZAS LIX. 20 ff.

العلاقات بالأماكن والشعوب الأجنبية

A. H. Gardiner & T.E. Peet, The Inscriptions of Sinai, سيناء
2nd. ed. by J. Cerny, 2 vols. London, 1952-5

نصوص اللغات :

K. Sethe, Die Aechtung feindlicher Fürsten, Völker und Dinge in Abh. Berlin, 1926

G. Posener, Princes et pays d'Asie et de Nubie, Brussels, 1940

نوبيا :

T. Säve Soderbergh, Agypten und Nubien, Lund, 1941.

من الانهيار إلى البعث

V

مادام سرى الزمان لا يظهر انقطاعا لسلسلة الاستمرار فليس سوى حادث ذى اثر ، أو تتابع لأحداث هي التي نستطيع أن تجعل من حكم ما ذاتجة لعصر جديد ، ومن المؤكد أننا سوف لا نعرف السبب الذى من أجله اعتبرت سبك نفرو - أو سبك نفرو رع كما تسميها المصادر المتأخرة - خاتمة للأسرة الثانية عشرة وبينما نرى بردية تورين وقائمة ملوك سقارة ومانييتو تجمع على هذه النقطة إذا بقائمة أبيدوس تنتقل مباشرة من أمتمس الرابع إلى أول ملك من ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وأما تاريخ أموزس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة فثابت . ويجب أن نتقبل الفترة من ١٧٨٦ إلى ١٥٧٥ ق.م . كمرحلة استغرقها العصر الوسيط الثانى وهو عصر تعدد مشكلاته أشد مراسا من مشكلات العصر الوسيط الأول . وقبل أن ندخل فى التفاصيل يجدر بنا أن نشير إلى أن الشكل العام لهاتين الفترتين المظلمتين يكاد يكون واحدا ، فكلتاها تبدأ بمجموعة مضطربة من الحكام الوطنيين الذين لا يعتد بهم ، وفى الحالتين نرى المعتدين من فلسطين يلقون بظلالهم على الدلتا بل على الوادى نفسه وفى الحالين يأتى الخلاص أخيرا على يد أمراء طيبين أشداء يستطيعون القضاء على التفرق الداخلى وأن يطردوا الأجانب ويبدؤوا عصرا جديدا من المنعة والنجاح .

ولقد أشرنا من قبل (p. 66) إلى الصعوبات التي تواجهنا هنا . ولكن علينا الآن أن نناقشها بالتفصيل . ونحن نبدأ كعادتنا بـ مانييتو ، فالأسرة الثالثة عشرة عنده كانت أسرة ديوسبوليتية (طيبية) تضم ستين ملكا حكموا ٤٥٣ عاما ، وأما عدد ملوك الأسرة الرابعة عشرة فستة وسبعون ملكا من خويس ، سخا الحالية فى وسط الدلتا ، ومجموع مدة حكمهم ١٨٤ سنة ، أو فى قراءة أخرى ٤٨٤ سنة ، وأما فيما يتصل بالأسرات الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة فهناك تفاوت بين أفريكانوس ويوسبيوس ، بينما نجد بيانا أكثر بساطة لدى المؤرخ اليهودى جوزيفوس فى فحوى النص الحرفى المنقول عن كتاب مانييتو نفسه ، ويكفينا لتغطية هدفنا الحالى اللجوء إلى ما يقدمه أفريكانوس من تواريخ . فأسرته

الخامسة عشرة تحوى ستة من الأجانب يطلق عليهم « رعاة » أو ملوك
هكسوس استمر حكمهم ٢٨٤ سنة ، أما الأسرة السادسة عشرة فتضم
ملوكا رعاة كذلك وعددهم اثنان وثلاثون حكموا ٥١٨ سنة ، وأخيرا
نلتقى فى الأسرة السابعة عشرة بملوك رعاة وملوك طيبين حكموا بالاتفاق
معا وعدة كل فرع منهما ثلاثة وأربعون ، واستغرقت مدة الحكم المشترك
١٥١ عاما ، ولو أضفنا بعض هذه الأرقام الى بعضها الآخر متخذين أقلها
من حيث عدد السنين بالنسبة للأسرة الرابعة عشرة فان المجموع يصبح
٢١٧ ملكا حكموا مدى ١٥٩٠ عاما . وهو رقم يعادل سبعة أضعاف ماتم
الاتفاق عليه بالنسبة للتاريخ السوثيائى الوارد فى بردية اللاهون (p. 56)
ولو تنازلنا عن عام ١٧٨٦ ق م . باعتباره العام الذى انتهت فيه الأسرة
الثانية عشرة (١) فان هذا يعنى انا ننحرف مع التيار عند نقطة ثابتة وهو
أمر تكون له آثار خطيرة من الناحية التاريخية لا فى مصر وحدها بل فى
الشرق الأوسط كله .

وليس هناك بين قوائم الملوك الأثرية ما يحصى ملوك هذه
الفترة سوى قائمة الكرنك ، وهى فى حالتها المهشمة تستطيع أن تقدم
ثلاثين اسما وهو رقم يقرب من نصف العدد الذى تؤكد الآثار الفعلية
الباقية وانا لنجد من سوء الحظ أن هذه الأسماء مبعثرة بين أسماء ملوك
الدولة القديمة والوسطى فى صورة غير منتظمة تجعل من العسير علينا
أن نقدم من ورائها تتابعا سليما ، وأما بردية تورين فرغم حالتها المهلهلة
فهى مصدر ذو قيمة كبيرة (٢) . والجزازات فى الصورة التى قام
بترميمها إيبشر تتناول الملوك من الأسرة الثالثة عشرة حتى ما بعدها فى
اتجاه الأسرة الثامنة عشرة فى حوالى ستة (أعمدة) انهار يحوى كل
منها قرابة الثلاثين اسما وانه ل يبدو بعيدا عن الحكمة على أية حال أن
نقرر أن الوثيقة كانت تضم - حين كانت سليمة - مائة وثمانين ملكا
وخاصة أن النهر العاشر والحادى عشر يضممان مجموعة تتناولها الشكوك
كما أن بعض الأسماء فيها - كما هى الحال كذلك فى النهر (العمود)
التاسع - ذات مظهر يدفع الى التشكك ، وليس هناك فى الواقع أكثر
من حوالى ستين اسما محفوظة بحالة مقبولة تجعل الاطمئنان اليها مؤكدا
وليس من بين هذه الا حوالى الثلث أمكن التأكد منه عن طريق الآثار الأخرى،

(١) Parker, P. 69

(٢) مترجمة بأكملها فى نهاية هذا الكتاب

هذا الى أن الآثار تقدم لنا عددا لا بأس به من الأسماء التي تمت الى هذه المرحلة ولكن - لسبب أو لآخر - لا نلتقي بها في البردية ، ومن المؤكد أن هذا لا يرجع الى حالة البردية المهشمة ، وقد تكلف جمع هذه المادة والسعي وراء احلال الملوك المختلفين في ترتيبهم التاريخي الصحيح الكثير من العناء . ومن أجل ذلك كانت طرز الجعول التي عثر عليها تحمل خراطيش ملكية، ثم مظهر تركيب الأسماء نفسها، وكذا أدلة أخرى دقيقة، من أهم الأشياء التي استعان بها العلماء لتحقيق ذلك ، وعلى ذلك فانه حين تم هذا كله كانت النتائج ذات طبيعة فرضية تتسم بسوء الحساب حتى لا تستطيع أن ترضى سوى أكثر الدارسين ميلا الى المجازفة ، وسنرضى أنفسنا هنا بشيء أكثر بقليل من التدقيق في بردية تورين نفسها ، وليس من شك أن صاحب عملية التجميع في عصر الرعامسة كان يظن نفسه قادرا على تقديم المائة ملك أو حوالى ذلك ممن عرفهم في مجموعة مفردة متتابعة مع تسجيل طول مدة الحكم لكل منهم ، ولدينا رقم السنين في حوالى تسع وعشرين حالة وجملة المجموع ١٥٣ بخلاف كسور الشهور والأيام ويدخل في هذا المجموع ستة ملوك (سنذكر أسماءهم فيما بعد) ممن تزيد مدة حكم كل منهم على عشر سنوات وهم في جملتهم يحكمون ١٠١ سنة وان كانت قراءة الأرقام ليست دائما مؤكدة بالصورة التي نتمناها . ومعنى هذا أنه يبقى للملوك الثلاثة والعشرين الباقين ما لا يزيد على ٥٢ سنة بمعدل ما لا يزيد على عامين لكل منهم ، وانه لمن الواضح انه في الحالات النادرة التي أرخت بها الآثار قلما يرتفع التاريخ عن العام الأول والثاني أو الثالث ، فلئن تذكرنا الجدل في الفصل السابق الذى دار حول أن طول مدة الحكم في مصر دلالة مؤكدة على تقدم البلاد فاننا نستطيع الآن أن نزعج العكس ونقرر أنه خلال الفترة التي تقابل في بردية تورين ما بين الأسرات ١٣ ، ١٥ لدى مانيثو كانت البلاد في حالة دمار فظيع واضطراب وفوضى وكان الحكام يقتل بعضهم بعضا ويحلون الواحد محل الآخر في سرعة بالغة ، وتذكر البردية حالتين أو ثلاثا (١) لم يكن بالبلاد ملك وقد استمرت حالة منها ست سنوات ، وفي أربع (٢) حالات نلتقي بصيغة يترجمها إدوارد ماير - دون سند قوى في الواقع - وكأنما نشير الى قياس أسرة جديدة ، ولكن يحدث مرتين خلال ذلك أن تتردد كلمات تحتوى واحدة قبلها ،

Turin Canon 6.6;8. 12, 14. (١)

Ibid, 6.5 ; 73 ; 8, 4, 2 (٢)

ولعله أكثر دفعا للاهتمام من الفقرة (المجموع ، خمسة ملوك ٠٠٠)
 فى ١١ - ١٥ جزاة لم ترقم توصل اليها سيفارث وأعاد كشفها من
 جديد بوتى واستطاع ايبشر وفاريننا أن يحددا مكانها وسط النهر
 العاشر وهى تتبع مباشرة سطرنا يجب أن يقرأ بعد ترقيمه واعادته لأصله
 (رئيس بلد أجنبية) « خامودى » تأتى بعدها (مجموع رؤساء) بلاد
 أجنبية ، ٦ ، مجموع ١٠٨ سنوات ٠ وهؤلاء من غير شك هم المغتصبون
 الأجانب الذين أشار اليهم أفريكانوس فيما يتصل بالأسرات ١٥ ، ١٦ ،
 ١٧ لدى مانيتو ، وسنتناول ذلك الأمر فيما بعد ، أما هنا فنحن نعالج
 أمور التاريخ وحدها ، ويضطرنا التدوين المشار اليه أن ننتهى الى
 القول بأن البردية تحوى أسرات متعاصرة تحكم فى أنحاء متفرقة من
 مصر حتى اذا لم يكن من قام بجمع المادة قد غفل عن هذه الحقيقة ذلك
 انه اذا طرحنا ١٠٨ سنوات من ٢١١ وهى كل ما يمكن أن نسمح به للعصر
 الوسيط الثانى فاننا نجد أن مائة ملك أو أكثر يتزاحمون فى مدى قرن
 أو أكثر بقليل ، وهو أمر غير معقول طبعا ، ويصبح الأمر أكثر اسفافا
 حين نأخذ فى الاعتبار أمر ال ١٠١ سنة السالفة الذكر التى أشرنا اليها
 كأنها تخص ستة ملوك ومن ثم فإن ال ١٠٨ سنوات لحكام الهكسوس لا يمكن
 أن تطرح بهذه الصورة ويجب أن نشير الى السيطرة على مكان ما بالدلتا ،
 وعلى ذلك فإن وجهة النظر الأخرى التى يتقبلها كافة المحدثين من دارسى
 المصريات هى أن الحصر الاحصائى للبردية يضم ملوكا كثيرين كانوا
 موجودين معا فى وقت واحد ومن المحتمل انهم كانوا فى أنحاء متباعدة
 من البلاد - ويبدو أن مانيتو كما رأينا عن اشارته الى خويس لم يكن
 غافلا تماما عن هذا الأمر وان اعتبر هو أيضا هذه الأسرات وكأنما هى
 أسرات متعاقبة ومن سوء الحظ أننا نادرا ما نلتقى فى قائمة تورين بملك
 نستطيع أن نحدد مكانه فى بقعة معينة وربما كانت الأسرة التى حملت
 لقب « مرمشع » أى « القائد » (٦ - ٢١) كانت لها السيطرة على الشمال
 مادام لا يعرف - فيما عدا البردية - الا عن طريق تمثالين عثر عليهما
 فى تانيس ومثل هذا يصدق على نحاسى - (النوبى) (٨ - ١) الذى
 يبدو أنه يمت للدلتا رغم لقبه ، واذا كان مما يسترعى النظر أن نصف
 ملوك النهر (العمود) السادس خلفوا آثارا وقطعا من آثار فى مصر
 العليا فإن عددا قليلا جدا من الآثار عثر عليه لملوك بقية الأنهر
 (الأعمدة) وسنرى انه مما يدعو للأسى أننا سنلجأ للحدس والتخمين
 حين نناقش مثل هذه الأمور ٠

وقد قام حوار بارع فى محاولة تجميع ملوك العصر بطريقة نخالف ما تقدمه بردية نورين وانه ابن الغبن أن نستبعد هذه الفروض باعتبارها ميثوسا منها اذا أنه ليس ييسدو فى أى مكان أن ترتيب الأسماء أثبت بصورة قاطعة انه بعيد عن الصواب ، ففي الملاحظات التى تلى تتابع البردية نتقبل الأمر لا لسبب سوى أننا فى حاجة لشيء يقوم على أساس أكثر ثباتا ، وعلى أية حال فليس هناك شك فيما يتصل بأول ملكين من ملوك الأسرة الثالثة عشرة فهما على التوالى سخم رع خوتورى ، سخم كارع . وهما لم يحكما فيما بينهما أكثر من عشر سنوات تليهما فجوة ست سنوات خالية من الملوك ومن الواضح ان كلا منهما باشر سلطته على الأرض كلها من الفيوم حتى الجندل الثانى وما وراءه ، وكون الأول قد اتخذ لنفسه لقباً أمنمحية سبك حوتبه ، وان الثانى ربما اصطنع لقب أمنمحية سونب أف فهذا يشير الى أنهما تعلقا باستماتة فى أمل الاعتراف بهما خليفتين شرعيين للأسرة الثانية عشرة ، وهذا الأمل نفسه يعرض لنا فى صورة أكثر دعوة الى الأسى فى لقب سعنخ ايب رع سادس ملوك الأسرة الذى لم يكن يرصى بشئ أقل تفخيما من لقب أمنى - انيوتق - أمنمحية وقد سبقه مباشرة ظهور لقب شعبى هو أفناى (انه لى) كما يظهر فى أكثر من ستة أماكن بعد ذلك حاكم آخر يحمل كذلك اللقب الشعبى رن سونب ولم يجلس على العرش أكثر من أربعة شهور ، ويلاحظ كذلك أن أكثر من ستة من ملوك هذا العصر انتحلوا لقب سبك حوتبه (سبك راض) بالاشارة الى الاله التمساح بالفيوم الذى مجد لأول مرة فى خرطوش الملكة سبك نفرو ، وسنرى فيما بعد - فيما نرى أنه يخص الأسرة السابعة عشرة - ان ملوكا وملكات يحملون لقب سبك أم سا اف (سوبك يضىفى عليه حماينه) مما يشير الى أن ارتباط الاله التمساح بالملكية ظل قائما ، ولكن الرابطة بالفيوم كانت قد انفصمت على أية حال اذ ذاك ، ونحن نستشعر الميل لربط هذا المعبود بـ «كروكوديلونولوليس» أخرى لا تبعد أكثر من خمسة عشر ميلا الى جنوب طيبة(١) ولقد كان يستخدم أحيانا هذا الاستمرار فى التسمية ، وربما عن حق ، كدليل على قصر العصر الوسيط الثانى وان كانت هناك مظاهر أخرى مثل التغيرات الطفيفة فى الفن والمواد تظل هى الأخرى شاهدا قويا على ذلك .

وستتوقف مؤقتا عند هذه النقطة بسبب المناقشة الموحشة الكثيرة

(١) هى سميتو بالمصرية وتقرن حاليا بالريقات على الضفة الغربية .

التي تتصل بالملوك سريعي الزوال لهذا العصر ، فنحول انتباهنا الى وثيقة تنقلنا الى صميم الحقائق الحيوية - وهذه الوثيقة عبارة عن بردية كشف عنها في دراع أبو النجا (١) منذ مائة عام في مقبرة كانت للحريم الملكي وتتضمن الوثيقة قائمة حسابات البلاط الطبيعى مدى أكثر من اثني عشر يوما خلال السنة الثالثة من حكم واحد من الملوك يحمل لقب سبك حوتبه وقد سجلت بدقة ايصالات وتوزيع الخبز والجمعة والحضر من يوم لآخر ، ونستطيع أن نميز بين مصدرين للإيراد فهناك أولا الدخل الثابت اللازم للقيام بأود حريم الملك وموظفى الدولة الخ ٠٠ ، وكان هذا يصدر عن ثلاث إدارات (أواعره) وهى إدارة رئيس الجنوب ومكتب عطايا الشعب وإدارة الخزانة ، وكانت أولى الإدارات تسهم تقريبا بضعف ما تسهم به كل من الإدارتين الأخرين ، وكانت هناك ثانيا إضافات يطلق عليها « اينو » وهو اصطلاح يستخدم للجزية فى غير هذا الصدد كما يستخدم كذلك لـ « الهبات التكريمية » التي كانت تستغل للأغراض الاستثنائية كالولائم لأعلام الدولة وهيئة موظفى ما يعرف باسم « بيت المرضات » أو كمنح مقابل خدمات خاصة ، وأما النوع الأخير من الإيراد الذى ربما كان الوزير أو أى موظف كبير مسئولاً عنه فكان يتراوح بين ما يعادل المورد السابق كله ثم يتضاءل حتى يصبح لا شئ تقريبا ، ومن ثم فلا يمكن إعطاء فكرة عامة عن كميته ، ونحن نعلم من ناحية أخرى أن الحاجات اليومية لبيت الملك كانت تتطلب تقريبا ألفى رغيف وأنواعا مختلفة من الخبز وفيما بين ٦٠ ، ٣٠٠ اناء من الجمعة ، أما اللحوم فيبدو أنه كان يحتفظ بها لمناسبات خاصة وهناك تفصيل يدعو للدهشة وهو أنه على معبد أمون أن يقدم بأمر الملك مائة رغيف يوميا - وكانت الكميات الفعلية التي توزع تختلف اختلافا طفيفا طبقا للميزان الذى يؤثر به فى اليوم السابق ٠٠٠ وهذا النص المدهش يستطيع أن يمدنا بكل المعلومات الطريفة أو ربما كان يستطيع ذلك لولا العوائق المعتادة من حالة التمزق وصعوبات نقله وترجمته فهناك مثلا ما يشير الى امتداد وليمة لمجموعة صغيرة من حرس مدجا النوبيين أسبوعين ، وكانت المجموعة تضم قائدين انضم إليهما ثالث جاءوا جميعا لتقديم ولائهم ويبدو أن هؤلاء المتبربرين لم يكن يسمح لهم بالدخول الى وليمة كبيرة فى بهو القصر ذى العمدة التي كانت تضم ستين شخصا بما فيهم

(١) لتحديد هذا الموقع فى غرب طيبة انظر صفحة ١٣٦ وتعرف البردية باسم بردية بولاق ١٨ نسبة الى ناحية من نواحي القاهرة حيث شيد مارييت متحفه عام ١٨٦٣ ويمكن مراجعة نشرها ومناقشتها فى ZAS, LVII, 51 fff

الموسيقيون ، ولم تكن الملكة أو أخوات الملك حاضرات بهذه المناسبة التي أقيمت الوليمة من أجلها ألا وهي بدء الاحتفال بعيد الإله موت (رب) مدامود في ليلة ارتحال تمثاله الزائر من العاصمة . وكان كل الضيوف المدعوون ذكورا وعلى رأسهم الوزير وقائد الجيش والمشرف على الحقول ، وهناك إشارة في مكان آخر للاستقبال في البلاط لقادة هرمونتس (ارمنت) والقوصية (وتقع الأخيرة على مبعدة ٢٥ ميلا إلى شمال أسيوط) ومن المهم أن نلاحظ أنه لم يعد هناك ذكر في ذلك الوقت للامارات الاقطاعية أو الأقاليم وإن الإشارة بدلا من ذلك للمدن وهكذا فإن كلمة « حاتى عو » التي كانت تعنى من قبل - عن حق - « أمير » أو « سيد اقطاعية » أصبحت خير ترجمة لها من الآن « عمدة » .

والوزير « عنخو » الذى كان يرأس أكثر من مرة الموظفين الذين يتقبلون هبات الطعام بأمر ملكي ، معروف لدينا من عدة مصادر أخرى ، وواحد من هذه المصادر هو بردية في متحف بروكلين (١) جاء فيها : أمر كتابي موجه إليه من الملك الذى حكم مدى خمس سنوات على الأقل ، وتذكر البردية نفسها ملكا آخر يعرف عادة باسم سبك حوتبه الثالث والذى ترك أشياء كثيرة خلدهته أكثر من غيره من صغار حكام تلك الأيام المضطربة ، ومع ذلك فالرابطة بين المصدرين غامضة ، ويظهر صاحبنا عنخو كذلك على واحدة من لوحتى اللوفر (٢) ، التى تسجل ترميمات واسعة النطاق فى معبد ابيدوس على يد كاهن يدعى امينى سونب وكان ذلك فى عهد خندجر الذى يبدو من اسمه مظهر خارجي وربما كان من أصل أجنبي ، وقد استطاع جكييه (٣) فى عام ١٩٣١ أن يتعرف الى صاحب هرم صغير فى سقارة ذكر أنه يخص ملكا هو خندجر الذى يحمل لسوء الحظ اسما يختلف عن الاسم الموجود على لوحة اللوفر ، أفكان هناك اذن ملكان يلقب كل منهما خندجر الواحد فى الشمال والآخر فى الجنوب ؟ انه يبدو أقرب للاحتمال افتراض أن يكون الاثنان واحدا يتأرجع بين اللقبين ، والمشكلة نموذج للصعوبات التى تقدمها هذه المرحلة ، وانا لنلتقى بـ خندجر سقارة مدرجا من غير شك فى بردية تورين (٦ - ٢٠) ولئن كان سبك حوتبه هو المقصود - كما نعتقد - عند قيد الأربعة أماكن التى نجدها بعد ذلك (٦ - ٢٤) فاننا ربما نكون

(١) W.C. Hayes, A Papyrus of the late Middle Kingdom, Brooklyn

وانظر كذلك مرجعا أحدث هو 1955; Helck in JNES, XVII, 263 ff.

B.A.R. I, No. 781 ff. (٢)

Deux Pyramides du Moyen Empire, Cairo, 1933. (٣)

أمام ظاهرة عجيبة هي وجود وزير واحد يشغل وظيفته خلال عهود خمسة ملوك قصار الحكم ربما كانوا حكاما معادين - وقد قدم هيس الدليل (١) على أن العاصمة الفرعونية كانت لا تزال في اللشت خلال عهد الأسرة الثالثة عشرة ، حوالى العمود (النهر) السادس من البردية، وإن كان البلاط ينتقل أحيانا الى طيبة ، ويعزز هذا الرأى من غير شك وجود الهرم السالف الذكر وأمر ابن الوزير الذى قدم يد العون لأمينى سونب فى عمليات الترميم بأبيدوس ثم ابجاره شمالا الا بعد انجازها .

وطبقا لبردية تورين نجد أن خلف سبك حوتبه الثالث هو ملك يدعى نفر حوتب (٦ - ٢٥) حكم أحد عشر عاما وقد خلف آثارا عديدة نسبيا - شأنه فى هذا شأن سلفه - وتؤكد كثير من النقوش الصخرية عند الجندل الأول زيارة له هناك وتوحى لوحة من الستياتيت عثر عليها عند وادى حلفا أن نفوذه امتد الى هناك ، ولكن لعل أكثر هذه الآثار أهمية نقش كشف عنه بعيدا فى بيلوس على الشاطئ السورى ويصور الأمير المحلى وهو يقدم الخضوع لشخصه (٢) ، وهناك صورة له محفوظة على هيئة تمثال صغير جميل فى متحف بولونيا (٣) وأما بالنسبة لدارس الهيروغليفية ، فإن أهم أثر من عهده هو لوحة كبيرة كشف عنها مارييت فى أبيدوس وتركت لحالها مهملة فى المنطقة بالنسبة الى حالتها المشوهة (٤) تشويها بالغا . ولا يزال مرماها العام واضحا رغم النسخة الوحيدة التى بين أيدينا ، المليئة بالعيوب مع ذلك . وتعد ثانى أقدم مثال كما تعد أكثر النماذج اتقانا لطراز الكتابة الملكية المشار اليها من قبل ويصور الملك وهو يستشير حاشيته منبثا اياهم أنه يود أن يصوغ تماثيل للاله أوزيريس وتاسوعه فى أشكالهم الحقيقية وهو يسألهم أن يقوموا بعمل اللازم لكى يفتش فى الكنب القديمة النى تسجل فيها مثل هذه الأمور ، ويوافق رجال البلاط فى خضوع واضح ثم يرسل موظفا الى أبيدوس ليمهد الطريق فيقوم بعمل الترتيبات كى يظهر أوزيريس فى الموكب فى قاربه المقدس ثم يصل الملك بشخصه ويشرف بنفسه على صناعة الصور ويسهم فى الابداء التقليدية لاعداء الاله . وأما بقية النص فمخصص للملق ، الذى يتسم بالثقوى ، للمعبود

J.E.A. XXXIII, 10-II. (١)

P.M., VII, 389. (٢)

Petrie, History, I, 221 fig., 127, 222 fig, 128. (٣)

B.A.R. I, No. 753 ff. (٤)

ولتهديد من تسول له نفسه مستقبلا أن يحول دون تذكر مثل هذا الملك
الخير العظيم .

خلف هذا الـ «نفر حتب» - ويبدو أن هناك آخر لا نستطيع تحديد
مكانه يحمل اللقب نفسه - سيحتجور (٦ - ٢٦) الذى لم يمكث على
العرش أكثر من ثلاثة أشهر ثم تلاه أخ لـ «نفر حتب» من الأبوين نفسيهما
غير الملكيين وهو خع نفررع سبك حوتبه المعروف برابع من يحمل اللقب
(٦ - ٢٧) وقد ضاعت مدة حكمه فى فجوة وان بقيت لدينا لوحة (١)
تسجل العام الثامن من حكمه ، ومن الواضح أنه كان كذلك حاكما فويا
ان نحن اعتمدنا فى اصدار ذلك الحكم على آثاره الباقية من عصره وانه
لمن العسير أن نعرف معنى وجود تمثال له بغير رأس فى جزيرة
أرجو (٢) جنوب كرما مباشرة خاصة وهناك نقش فى المتحف البريطانى
يشير الى وجود حركات مناوئة فى هذه الناحية (٣) ، أفكان من أهداف
هذا الملك من ملوك الأسرة الثالثة عشرة أن يبعث برسله أو جنده وراء
الجنبدل الثالث ؟ هناك كذلك سبك حوتبه خامس (٧ - ١) سجلت له
بردية تورين أربع سنوات فقط ، وقد تلاه واح ايى رع ياع ايى (٧-٢)
الذى حكم عشر سنوات ثم جاء من بعده مرنفررع (٧-٣) ومدة حكمه
٢٣ سنة ٠٠٠ ونحن لا نكاد نلتقى من مخلفات الأخيرين بغير لوحة
عتب باب وأسكفة وبعض الجعول ، ولكن ماداما قد استطاعا أن يطمئنا الى
ولاء رعاياهما هذه السنين الطوال فانه لا يمكن أن يكونا نافهين ٠٠٠
وبعد مرحتب الملقب ايناي (٧-٤) ، والذى نعرفه كذلك من لوحة ومن
جعل واحد ، يخيم الظلام على المنظر التاريخى فلا يخلف مما يرى فى
الغسق سوى القليل من وراء الأسماء الملكية التى تقدم قائمة بها مرفقة
بآخر هذا الكتاب والتى نرى أنه من الضرورى الرجوع اليها .

ويتركز اهتمامنا فيما يلى حول المسألة الخطيرة الشأن ٠٠٠ مسألة
الحكام المعروفين بالهكسوس . أما فيما يختص بهؤلاء الأجانب فان المؤرخ
اليهودى جوزيفوس فى مجادلاته « ضد ابليون » يزعم أنه يروى الكلمات
الأصيلة لما نيتو :

Alliot, fouilles des Tell-Edfou (1933), Cairo, 1935. pp. 33. (١)

P.M., VII, 180. (٢)

Säve Söderbergh, pp. 119-120. (٣)

توتيمايوس وفى عهده ، لسبب لا أعرفه حلت بنا ضربة من الله .
وفجأة تقدم فى ثقة بالنصر غزاة من اقليم الشرق ، من جنس غامض الى
أرضنا واستطاعوا بالقوة أن يملكوها فى سهولة دون أن يضربوا ضربة
واحدة ، ولما تغلبوا على حكام الأرض أحرقوا مدننا بغير رحمة وقوضوا
أرض معابد الآلهة وعاملوا المواطنين بعدوان قاس فذبخوا بعضهم وساقوا
زوجات آخرين وأطفالهم الى العبودية ، وأخيرا عينوا من بينهم واحدا
ملكاً يدعى سالييتس وكان مقره ممفيس ففرض الضرائب على مصر العليا
والسفلى وكان يخلف وراءه حاميات فى الأماكن الهامة ٠٠٠٠ فى المقاطعة
السينوريتية وجد مدينة ذات موقع طيب جدا تقع على الضفة الشرقية
من الفرع البوباستى للنيل وكانت تسمى أفاريس تبعا للتراث الدينى
المصرى . فأعاد بناء هذا المكان وحصنه بأسوار ضخمة ٠٠٠٠٠ ومات
سالييتس بعد أن حكم ١٩ عاما وخلفه ملك آخر يدعى بنون حكم ٤٤ عاما
تلاه بعدها أباخنان الذى حكم ستة وثلاثين عاما وسبعة شهور ثم أبوفيس
الذى حكم واحدا وستين عاما ومن بعده ياناس مدى خمسين سنة وشهرا
واحدا وأخيرا جاء أسيس الذى حكم تسعة وأربعين عاما وشهرين ، وهؤلاء
الملوك الستة وهم أول من حكم منهم ، كانوا يعملون جاهدين أكثر فأكثر
لاستئصال العنصر المصرى ، وكان جنسهم عامة يسمى هكسوس أى
« ملوك الرعاة » ، لأن « هيك » تعنى فى اللغة المقدسة « ملك »
و « سوس » تعنى فى اللغة الدارجة « راعى » .

ويتابع جوزيفوس اشتقاقا آخر لاسم هكسوس من مصدر آخر
فيذكر أنها تعنى « الأسرى الرعاة » لأن كلمة « هيك » بالمصرية تعنى
« أسير » وهو يفضل هذا الاشتقاق لأنه يعتقد - كما يعتقد كثير من
دارسى المصريات كذلك - أن قصة التوراة عن دخول الاسرائيليين الى
مصر ثم الخروج بعد ذلك لهما أصولهما فى احتلال الهكسوس ثم طردهم
فيما بعد (١) . والواقع أنه رغم وجود أسس لغوية سليمة للاشتقاقين
فإنهما جانباً الصواب معا ، وكلمة هكسوس مشتقة من غير شك من
اصطلاح « حيق - خاسة » أى « رئيس البلد الأجنبية الجبلية » التى
كانت تعنى منذ عهد الدولة الوسطى مشايخ البدو - وقد عثر على جعول
بها هذا اللقب وإن كانت كلمة بلاد بالجمع - مع عدد من ملوك الهكسوس
لا يحتملون التشكك فى أمرهم والبرهان الأخير فى بردية تورين كما

(١) يمكن الرجوع الى دراسة علمية مفصلة عن مشكلة الخروج - وإن كانت لا تتفق

ووجهة نظر الكاتب هنا لى مؤلف

H.H. Rowley, from Joseph to Joshua, London, 1950.

رأينا ، ومن المهم أن نلاحظ على أية حال ان الاصطلاح يشير الى الحكماء وحدهم وليس - كما يظن جوزيفوس - الى الجنس كله . وطالما أخطأ الدارسون المحدثون فيما يتصل بهذا الأمر بل ان بعضهم يرى أن الهكسوس جنس معين من الغزاة شقوا طريقهم الى مصر أخيرا بعد أن تم لهم غزو سورية وفلسطين ، وليس هناك ما يؤكد وجهة النظر هذه حتى وان بدا أن كلمات مانيتو نفسها قد تشير الى ذلك ؛ حقا انه حدث قبل ذلك ببضعة قرون أن الضغط كان يزداد من شعوب أجنبية نازلة على سورية . وكان الحوريون من اقليم قزوين من أوائلهم وهم من مهدوا الطريق للحثثيين الذين جاءوا بعدهم من الشمال الغربى فى نهاية القرن السادس عشر ، ولكن هذه التحركات لم ينتج عنها أكثر من انعكاس بعيد على الحدود المصرية . وأما غزو الدلتا عن طريق جنس جديد محدد فانه أمر مسلم به . وربما كان من الواجب علينا أن نفكر فى تسرب الفلسطينيين الذين كان يسرهم أن يجدوا مأوى فى ناحية أكثر أمنا وخصبا ، وكان بعض الفلسطينيين - ان لم يكن معظمهم - ساميا . والجمعول من ذلك العصر جاءت بها أسماء رؤساء مثل « عنات هر » و « يعقوب هر » ومهما يكن من معنى « هر » هذه فان « عنات » هى الربة السامية المعروفة وانه من الصعب أن نرفض وجهة النظر القائلة بأن الأب يعقوب قد خلد ذكره فى الاسم الآخر (١) وانه لمن المستحيل من غير شك أن نمنع الاستعمال الخاطيء لكلمة هكسوس كأنما تشير الى جنس معين ولكن يجب أن ندرك أن المصريين كانوا يستخدمون بالنسبة لهؤلاء المتطفلين ، الذين لا يرحب بهم ، اصطلاح « عامو » الذى نترجمه عادة فى غير دقة كثيرة « أسويين » ، والذى استخدم من بعد ليطلق على أسرى الفلسطينيين أو المهاجرين المقيمين فى مصر كخدم .

ولكن ما مقدار ما نستطيع أن نتقبله من القصة التى يرويها جوزيفوس من الناحية التاريخية ؟ ان كلمته الأولى تثير مشكلة و « توتيمايوس » ليست فى الواقع غير تصحيح أحد الدارسين - حتى ولو كانت الكلمة صحيحة فان هناك أسسا قوية تتصل بالنطق السليم تجعلنا لا نقرن حامل الاسم بالملك « دجدموسى » الذى نعرف أنه يمت لهذا العصر . ومن بين حكام الهكسوس الستة الذين ذكرهم افريكانوس كذلك ، وان كان بصورة متفاوتة بعض الشيء ، لا نلتقى بغير ابوفيس وحده معروفا لدينا بغير شك فى الهيروغليفية ، فهناك ملوك اتخذوا من

J.E.A., XXXVII, 62, No. 5. (١)

«ابوبى لقباً لهم ، وأما أسماؤهم على التوالى فهى عاقنرع ، عاوسررع ، نب خبش رع ، والأخير أقل أهمية مادامت ليست له الألقاب الفرعونية الكاملة مثل الآخرين وأما ما عثر عليه مما يحمل أسماء هؤلاء الملوك فقليل ولكنه يكفى مع ذلك ليبين على الأقل أن عاقنرع رع ، عاوسررع كانا يعتبران ملكين مصريين حقيقيين ، وهناك معبد من عاقنرع رع مكرس « كآثر له لأبيه سمث رب أفاريس » . وهناك تمثال للملك مرمشع عثر عليه فى تانيس يبدو أنه اغتصبه منه . ، وسنعرف عن عاوسررع أكثر من ذلك فيما بعد ، ولكن علينا هنا أن نشير الى لوحة منحها الى الكاتب الذى أشار اليه بلقب يوحى بعرفانه للجميل وصفه فيه بأنه « الصورة الخفية للاله رع على الأرض » ولعله من الطريف كذلك أن نشير الى أن يردية رند الرياضة الموجودة الآن بالمتحف البريطانى مؤرخة بالعالم الثالث والثلاثين من حكمه .

وأقل تأكيداً - وإن كان محتملاً مع ذلك - أن نقرن ياناس لى مانيتو ب « رئيس البلاد الأجنبية خيان » الذى يعرف بهذا الاسم على عدد من الجعول وإن كان يوصف بها أحياناً كأنما هو «ابن رع ساوسر رع» والاسم واللقب مشتركان فى خرطوش واحد على « غطاء من المرمر عثر عليه إيفانز فى كنوسوس فى كريت كما نجد الاسم « ساوسران رع » على صدر سفنكس صغير جىء به من تاجر فى بغداد ويشير تمثال من عصر الدولة الوسطى كشف عنه فى بوباسته الى اغتصابه اياه بما يشبه الاغتصاب الذى ، قام به « عاقنرع رع » فى تانيس وهو يستخدم هنا اللقب الحورى « محتضن الأرضين » ويعلن عن نفسه فى جرأة أنه « المحبوب من كاه (أو روحه) وهناك كتلة عثر عليها فى جبلين عليها لقبه كذلك ، سنشير إليها فيما بعد مرة أخرى ؛ على هذا الأساس الواهى ، أقام بعض الدارسين افتراضهم أن خيان أقام لنفسه امبراطورية عالمية تضم كل النواحي السالفة الذكر ، ولكننا نستبعد هذا الزعم لانه خيالى وإن كان يبدو انه لا بأس من أن نرى فيه أنه كان من قبل رئيساً فلسطينياً محلياً وفرعوناً مصرياً ، ومهما يكن من أمر فانه يستطيع أن يزعم لنفسه مكاناً بين حكام الهكسوس الستة الرئيسيين .

ويجب أن تراعى وجهة نظر مختلفة تماماً خاصة ببعض مدعين آخرين للعرش ليس لدينا عنهم أكثر من جعول أو أختام أسطوانية عثر عليها فى أجزاء بعيدة مثل فلسطين الجنوبية أو مراكز مراقبة الحدود عند كرما فى السودان ، وأما دعواهم بكونهم ملوك هكسوس فإننا نلتقى بها لدى واحد

أو اثنين منهم مثل « عنات هر » و « سمقن » حيث يستخدمان لقب « الرئيس » ولكن آخرين مثل « مروسر » و « ماعاي ايب رع » يضمنان اسميهما داخل خرطوش كما يصطنع « ياعمو » و « شيشي » لقب « ابن الشمس » . فيفاخران ويزهوان به بينما ليس لهما فيه حق أكثر مما يقدمه طراز القطع التي تحوى الأسماء ، فليس هناك أثر أو نقش على الصخور ينهض شاهدا على حكمهم ، وأما الانتشار على نطاق واسع للأدوات والأشياء التي يسهل نقلها وحملها كالجعول فهو بطبيعته عديم القيمة كدليل ، وقد أصبح من المعتقد أن تميز اليوم بين مجموعتين من الهكسوس: تضم الأولى ستة ملوك ذكرهم مانيتو وتحوى الأخرى شخصيات معتمة سنقوم بمناقشتها (١) ، والمجموعة الأخيرة تتطلب بعض الإيضاح وسنقوم بهذه المحاولة فيما بعد ، ولكنهم من المؤكد لم يصلوا إلى المرتبة الفرعونية التي أضفيت على بعضهم أحيانا .

انه يبدو من المحتمل - كما سلفت الإشارة - أن نقرن ملوك الهكسوس السنة الذين قدمهم مانيتو على أنهم « رؤساء البلاد الأجنبية » ، والمشار إليهم في الجزازة البالغة الأهمية من بردية تورين . وقد كانت هناك فكرة في وقت ما أن مكانين للقيود في آخر العمود (النهر) التاسع جاءت بهما أسماء حكام من الهكسوس أحدهم هو (بنون) لدى مانيتو ، ولكن اتضح أن الهيراطيقية أسيئت قراءتها وإن وجود أسماء لهم في الحراطيش مما يحسم الأمر ضد هذا الافتراض ، وأما المجموع الذى يقدمه من قام بتجميع البردية (انظر صفحة ١٦٧ - ١٧٠) فانه يشير من غير شك إلى أنه عرف ستة من الهكسوس وليس أكثر من ذلك وربما وضعهم فى قائمة الملوك المصريين على مضض ولأنهم كانوا معروفين بحيث لا يمكن تجاهلهم تماما وإننى أعتقد أنه كان هناك ستة حكام حقيقيين من الهكسوس لا غير وإن تقدير ١٠٨ سنوات يكفى لتدعيم هذا الرأى ، ولقد قدمنا أن الفترة ما بين نهاية الأسرة الثانية عشرة وولاية اموزيس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ومطاردة الهكسوس هى ٢١١ سنة فقط ، فلئن كانت السنة الرابعة لأموزيس هى نهاية الاحتلال الأجنبى وقمنا بطرح ١٠٨ سنوات من المجموع وقدرة ٢١٥ سنة فإن ما بقى وهو ١٠٧ سنوات تخلص لأسرتى مانيتو الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، وأما المرحلة الكبيرة التى ترجع بالاحتلال إلى الأسرة الرابعة عشرة فيبدو أنه شغلها حكم نفرحوتب الذى امتد سلطانه كما

(١) قام بدراسة أخيرة Säve Södrebergh, J.E.A., XXXVII, 62-63.

راينا مبعدا الى ببلوس ، ونحن نختم القول بأنه لا يكاد يكون هناك مجال لأكثر من ستة من الهكسوس الأقوياء ليغتصبوا عرش الفراعين ، وفي هذه الحالة فإن وصف مانيتو لهم بأنهم « أول الحكام » مضلل ويجب في هذه الحالة أن تختفى الأسرتان السادسة عشرة والسابعة عشرة . وهناك دلالة أقوى مقنعة هي وجود « ابوفيس » بين أول الحكام لدى مانيتو ، وذلك يعنى أن نفس الاسم هو للهكسوسى الذى حاربه أخ اموزيس وسلفه المباشر كاموزة ، وهكذا فإن الستة الملوك لا يلحقون بأول الاحتلال الأجنبى فقط بل بآخره كذلك وليس لنا أن نغفل الدليل الذى تقدمه لوحة سلفت الإشارة اليها (صفحة ٦٨) من عصر متأخر تسجل سلسلة طويلة من الكهنة المقيمين يذكرون أنهم مارسوا الوظائف الكهنوتية من الأب الى الابن ابتداء من الأسرة الحادية عشرة . وكما هي الحال دائما مع متون الانساب نرى ان المعلومات التى تقدمها هذه الوثيقة الثمينة ليست مما يعتمد عليه تماما ، ولكن لا يمكن أن تثار الشبهة حول ترتيب الملوك المذكورين بها . ونحن نجد فيها أن الملك السابق لـ اموزيس هو أبوبى الذى يتبع بدوره واحدا غير معروف هو شارك الذى كان من غير شك واحدا من أواخر الهكسوس ، وفي المكان السادس قبل شارك نجد « عفن » خلفا مباشرا لملك يدعى ايبى الذى يشير اسمه الى انه من مولد مصرى والذى ربما كان هو الفرعون صاحب هذا الاسم المسجل فى منتصف النهر (العمود) السابع من بردية تورين ، وهناك افتراض به بعض الجراة قد يؤدى بنا الى أن نقرن عفن بـ عفن رع أبوبى الذى قدمناه فى صفحة ١٧٨ ولكن يجب أن نلجأ لتحقيق ذلك الى قطعة من الدعابة المصرية الفجة فـ « عاقن » كما تكتب على اللوحة تعنى « الجحش القوى » بينما نعنى « عاقن رع » « رع عظيم وقوى ، وعلى أية حال فإن النقطة الهامة فيما يتصل بهذه اللوحة المفقدة هي أنها تغطى كل عصر الهكسوس ، وتستطيع تبعا لذلك ألا تشير لأكثر من ست .مدد للحكم ان سلمنا أن طول كل مدة منها عادى .

وليس من الممكن أن نوغل فى أمر الاعتماد على مانيتو دون أن نقدم بعض البيانات عن الأمراء الطيبين الذين استطاعوا فى نهاية الأمر أن يردوا الغزاة الأجانب ومادام أماننا الكثير الهام مما يمكن أن يقال فإننا سنضحى بتقديم غير الملائم على أن نقدم فى اسهاب تعاقب الحكام الذين شغلوا كل النصف الأخير من العصر الوسيط الثانى ، وهناك حوالى اثنى عشر ملكا وانه لما يميز مانيتو وأثره أن الجدل لا يزال قائما حول أيهم

يتمت للأسرة السادسة عشرة وأيهم ينسب للأسرة السابعة عشرة ، وانا بالكاد نستطيع أن نحدد تعاقبهم الصحيح ولكن من المستحيل لحد ما - كما هي الحال في الأسرة الحادية عشرة - أن نرجعهم الى سلف مشترك، وانا لنجد أنه من المريح أن نبدأ بملك يدعى رع حوتبه ذكر في قائمة ملوك الكرنك وربما كذلك في بردية تورين (١١ - ١) وتوجه اليه حاشيته الحديث في لوحة مكسورة من قفط (١) الملقى المعتاد كما أن هناك واحدا من موظفيه يتحدث في نقش من أبيدوس (٢) عن اصلاحات قام بها في جدار معبد أوزيريس ، وقد ذكر هذا ال « رع حوتبه » كذلك في قصة من عصر متأخر جدا . ومن المحتمل أن يكون الملك التسالى في البردية (١١ - ٢) الذى جاء عنه أنه حكم ستة عشر عاما هو « سبك ام سا اف » ورد ذكر لعامه السابع على كتابة شهدها لبسيوس في وادى الحمامات (٣) ، وبعد ذلك بقليل نقرأ من « نييريراو » الذى ترجع أهميته الى تاريخ لوحة كبيرة (٤) أقيمت في عهده رغم أنها تتناول موظفين من الناحية الشخصية الا ان هذا الملك أمر بإقامتها في الكرنك كسجل دائم - ويبدو أن هناك من يدعى كبسى كان قد كلف نفسه ديناً كبيراً يبلغ ستين دينا من الذهب (٢٥٠٠ جنيه بعملةنا الحالية) لقريب يشغل مركزاً كبيراً يدعى سبك نخته ولما لم يستطع الدفع وافق على أن ينقل لدائنه عمودية مدينة الكاب الهامة مع عائلاتها ، وتوضح الرواية الأصلية كيف أن كبسى نال هذه الوظيفة . وهناك كل التفاصيل المتعلقة بالاجراءات القضائية التى تمت وبمحكمة الوزير ثم بالقسم النهائى الذى أداه الطرفان . . وهناك بعض الأمور الغامضة ، ولكن هذا لا يمنع من القول بأن هذا المستند يلقي أضواء على نموذج من التصرف الإدارى فى مصر أكثر من غيره ممابقى لنا من العصور الفرعونية .

وقد وصل اليينا معظم معلوماتنا عن صغار الملوك التالين مما عثر عليه فى منطقة دراع أبو النجا على الضفة الغربية لطيبة ونحن مدينون للأبحاث الرائعة للأمريكي هـ . ونلوك (٥) بالنسبة لكل من الحفائر فى

(١) P.M., V, 129.

(٢) المتحف البريطانى ، Hieroglyphic Texts. IV, pl. 24.

(٣) P.M., VII, 332.

(٤) P. Lacau, Une stèle juridique de Karnak, Cairo 1949.

(٥) أنظر بخاصة مقالة فى J.E.A., X, 217 ff.

الموقع المذكور ولجمع المعلومات من مختلف المصادر ، وقد أُلقت السرقات التي ارتكبتها بعض العرب في أوائل القرن التاسع عشر الضوء على مقبرة فرعون كان قد اتخذ لنفسه اللقب الذائع في الأسرة الحادية عشرة وهو لقب انيوتف ، وقد نقل تابوته المذهب الى المتحف البريطاني عقب ذلك ، ويلاحظ أنه ، كما هي الحال في توابيت العصر المذكور ، يبدو الملك في ثوب ريشي ، ونحن نعرف ملكين آخرين بلقب انيوتف يرجعان كذلك الى هذا العصر ونعرفهما من تابوتين ريشيين مشابهيين نقلتا الى اللوفر في النهاية وكان صاحبهما أخوين، كان تابوت أحدهما منحة من أخيه، ولدينا من الأسباب مايدعونا الى ترجيح ان الانيوتف الذي يوجد تابوته في متحف لندن هو نوب خبرو رع الذي نعرفه من نقوش وجدت في ابيدوس (١) وقفط (٢) وهناك نص غير عادي عشر عليه في الموقع الأخير هو عبارة عن مرسوم ملكي يحرم ثائرا موظفا بالمعبد يدعى تتى بن منحوتبه من وظيفته ويهدد بالعقوبة كل ملك في المستقبل أو أى صاحب سلطان يعفو عنه أو عن أى فرد من أفراد عائلته أو نسله ، ومن المصادفة أن مقبرة هذا المدعو « نوب خبرو رع » كانت واحدة من المقابر التي تم التفتيش عليها ووجدت سليمة وذلك بوساطة موظفين عينهم رمسيس التاسع بعد حوالى خمسمائة عام ليحققوا اتهامات السرقة التي أثارها عمدة طيبة « بسيور » نكاية في زميله على الضفة الغربية (٣) ، وقد أفاد ونلوك من المعلومات التي تقدمها بردية أبوت المشهورة والموجودة بالمتحف البريطانى وقرر أن الهيئة لم تنتقل من الشمال الى الجنوب لتؤدى هذا العمل فحسب بل ان مقابر الملوك التي أشير اليها حددت أماكنها كذلك ، ولئن كان هذا صحيحا فانه من المحتمل أن تعاقب الكثيرين من هؤلاء الفراعين يمكن أن يحدد على وجه الدقة . وقد قامت على الفور أبحاث تستهدف الاستيثاق من رأى ونلوك وأمكن العثور على بقايا أهرام تبدو قليلة الأهمية وكان يقع هرم نوب خبرو رع عند أقصى الشمال منها . وأما المقبرة الملكية التالية الى الجنوب فربما كانت لأحد الاثنيين اللذين يحملان لقب انيوتف . . وأما بعد ذلك فنلنقى بالهرم الوحيد الذى نهب فعلا وهو هرم « سخم رع شد تووى

(١) P.M., V, 48.

(٢) Op. cit., 125, BAR. I, No. 773 ff.

(٣) انظر فيما بعد ٣٢٨ ومابعدها لمراجع كل مايلي .

سبك ام سا اف « وانا نترك للهامش ادناه (١) أن يروى قصة الكشف التي تقرب من الخيال عن النصف المفقود للبردية التي تسجل محاكمة اللصوص . ويروى هنا رئيس العصاة المدعو « أمن بنوفه » ، كيف اقتنحهم هو وزملاؤه طريقهم الى القبر وعندما شاهدوا تابوتى الملك والملكة « نوب خاع اس » جردوهما من الذهب والفضة والحلى ثم أحرقوا كل شيء . وقد نارت الشكوك حول صحة هذا الاعتراف وعلى أية حال فاننا نستطيع أن نثق ان اعتراف « أمن بنوفه » لم يكن بالصورة المبسطة التي قدمها الكاتب ، ولكنه انتزع منه تدريجيا عن طريق استخدام الاكراه بالضرب بالعصا على الأقدام (٢) ، وكانت الزيارة التالية - طبقا لما جاء ببردية أبوت - للمقبرتين الخاصتين بالملكين اللذين يحملان لقب سشن رع تاعو ، ولكن هذا بعيد الاحتمال جدا ، ورغم ان الملقب تاعو قد يكون واحدا في الحالتين فان ثانيهما هو الذى كان يحمل اسم « سقنن رع » (٣) الذى نستهل به الأسرة السابعة عشرة والذى بدأ بطرد الهكسوس ، وهناك قصة (٤) لم يبق لدينا الا الجزء الأول منها تربط بين هذا الملك الطيبى ومعاصره من الهكسوس ورغم ان الفكرة فى مجموعها خيالية الا أن تركيبها يقدم صورة قد تقارب الحقيقة ؛ وتقول الفقرة الأولى منها :

وعندئذ حلت بمصر محنة رهيبة ، ولم يكن هناك حاكم يحكمها كملك فى ذلك الوقت ، وكان « سقنن رع » حاكما على المدينة الجنوبية (٥) ٠٠٠٠ بينما كان الرئيس أبوفيس فى أفاريس ، وكانت كل الأرض تدفع له الجزية كاملة وكذا كل الأشياء الطيبة من

(١) كانت هذه الوثيقة التي عرفت من قبل باسم بردية امهرست حين نشرها « شاباس » ١٨٧٣ تحوى الانصاف السفلية لأربع صفحات مكتوبة كتابة متقنة بالهيراظيقية، وفى فبراير ١٩٣٦ أتاحت للعالم كبار الفرصة ليفحص بعض الآثار المصرية التي جاء بها من قبل دوق باربان عام ١٨٥٤ وهى المعروضة الآن فى متحف بروكسل . وقد مد كبار يده الى تجويف فى داخل تمثال خشبى صغير وأخرج منه ما ثبت أنه النصف العلوى المفقود من الملف ، ولم يكن أمرا غريبا بالنسبة للأهلين فى مصر ممن يمشون على البردى ان يقطعوه الى جزئين ذلك لان بيع ملفين يأتى بربح أكبر من بيع ملف واحد ، ولما ضم النصفان معضمهما الى بعض بقصد التصوير والنشر خرجت من وراء ذلك وثيقة رائدة لا يعادلها فى الأهمية الا نظائر قليلة جدا .

(٢) J.E.A. XXIV, 59 ff.

(٣) Op. cit., X, 243-4.

(٤) Op. cit., V, 40 ff., Gardiner, Late Egyptian Stories, 85 ff.

(٥) طيبة

تيموريس (١) واتخذ الملك أبوفيس سوتخ (٢) الها له ، ولم يحترم الها فى الأرض كلها سوى سوتخ وقام ببناء معبد جميل أبدى بجوار بيت الملك أبوفيس ، وكان يقوم كل صباح ليقدم الأضاحى لسوتخ وكان موظفو الملك يحملون أكاليل الزهور كما كان يحدث تماما فى معبد حاراختى .

ويتوالى سرد القصة لتروى أن حاكم الهكسوس أراد أن يلقي الاتهام ضد « سقن رع » فلفق اتهاماً سخيفاً مؤداه أن عجل البحر فى طيبة كان يصدر خوارا فى الليل يمنع من النوم وأما ما يلى ذلك فمفقود ، ولكننا نعلم ان الصراع انتهى بنصر « سقن رع » وان لم يكن صراعا من النوع الحربى ، ومن المحتمل ان خصمه كان هو أبوفيس نفسه الذى أصبح كما سنرى عدوا لحفه كاموزه ، وأما عنه شخصيا فانه رغم أنه لم يمكن تحديد مكان مقبرته بصفة نهائية الا أن ونلوك استطاع - بمقتضى الأسس السابقة - أن يحدد مكانها التقريبي ، ولعل مما تجدر الإشارة اليه العثور على جثته (٣) ، ذلك أنه فى السنة العاشرة من حكم سيامون من ملوك الأسرة الحادية والعشرين (٤) كان قد بلغ نهب الجبانة الطيبية حد أن الأمر استدعى أن ينقل كل ما يمكن نقله من التوابيت الملكية ومحتوياتها الى مقبرة الملكة « انجيبى » بالقرب من الدير البحرى حيث كشف عنها عام ١٨٨١ وكان الكشف مثيرا بطريقة لا نظير لها فى الدراسات المصرية الحافلة بالكثير من الأشياء المثيرة (٥) ، ذلك أنه لم توجد هنا التوابيت فقط بل كثير من الجثث المحفوظة كذلك لفراعين الأسرات الثامنة عشرة الى العشرين وان جردت من حليها والمعادن الثمينة التى كانت تزينها يوما ما ، وأما جسد « سقن رع » فقد كان متقلصا كأنما كان يقاسى الألم من سكرات الموت ، وقد ظهرت به جروح قاتلة فى الرأس والعنق ، ويفترض البعض أنه مات فى معركة ضد الهكسوس ومع ذلك فليس هناك من دليل على ذلك ، وعلى أية حال فانه لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره .

ولنرجع من جديد الى « جوزيفوس » وما نقله عن مانيتو . فمن

(١) اسم مصر .

(٢) لكتابه اسم الاله ست انظر صفحة ١٨٥ .

(٣) G. Elliot Smith; R.M., p.p. 1-4.

(٤) لتحديد التاريخ انظر J.E.A., XXXII, 24 ff.

(٥) انظر فيما بعد صفحة ٣٤٨ وما بعدها .

الواضح انه عرف الشيء الكثير عن أفاريس وهي المعقل الذى اختاره الهكسوس من أول الأمر قاعدة لهم وهي طبقا لما جاء فى كتابات ذلك المؤرخ اليهودى كانت تقع فى ذلك الجزء من شرق الدلتا المعروف بالمقاطعة السثروتية ، وقد اختلفت الآراء فى تحديد موقع « حاويرة » وهو اسم أفاريس باللغة المصرية ، ويعتقد أغلب الباحثين (١) ان هذه هي التسمية القديمة لما عرف فيما بعد تحت اسم المدينة العظيمة تانيس وان كان غيرهم (٢) يفضل موقعا بالقرب من قنطير على بعد أحد عشر ميلا الى الجنوب ، وكان الهكسوس يعبدون فى أفاريس الحيوان الاله الغريب الشكل ست الذى يرسم هكذا  فى نقوش المعبد وفى أماكن أخرى ، وقد أشرنا اليه من قبل (صفحة ٢١) كعدو وقاتل للاله الطيب أوزيريس ولكن الهكسوس اختاروه ليتجاهلوا هذا المظهر الذى يدعو للأسف كما كان يحدث فعلا من قبل فى هذا الركن من الدلتا من أقدم العصور (٣) . وأما ترجمتهم لمنطوق الكلمة ست التى تكتب بالبابلية كأنها تنطق سوتخ فكانت من غير شك أسيوية فى مظهرها أكثر منها وطنية الأصل اذ يحمل فى ثنايا ملابسه ورداء رأسه تشابها مميزا للاله بعل السامى ، وهناك أكثر من دليل على أن الهكسوس جاملوه أكثر من كل المعبودات المصرية وان لم يكن هناك ما يبرر فعلا اتهامهم باحتقار واضطهاد هذه المعبودات ، وهناك فيما يتصل بسبت أوسوتخ الهكسوسى لوحة هامة كشفت عنها مارييت فى تانيس ثم قام بردمها حتى رفع الرمال عنها ب . مونتيه (٤) ، وربما كانت لهذه اللوحة أهمية تاريخية وقد رسمت فى المنظر العلوى فوق النص الهيروغليفى صورة لرمسيس الثانى يقدم القرابين للاله الذى يوصف هنا كأنها هو ست نوبتى أى ست انبو أو أومبوس وهي المدينة التى اعتبرت الموطن الأصلي له فى مصر العليا - ثم يروى النص بعد ذلك كيف أن والد رمسيس الثانى وهو ستنى الذى أصبح فيما بعد الفرعون سيتوس الأول ولم يكن اذ ذاك سوى قائد حربى ووزير ، كيف أنه جاء فى السنة الأربعمئة الاله ليقدّم له الولاء ، وقد دار جدل حول احتمال كبير لأن يشير هذا النص الى وصول الهكسوس الى أفاريس ، وما دام الاحتفال المذكور حدث خلال حكم حرمحب حوالى

(١) Onom., II, pp. 171* ff.

(٢) انظر فيما بعد p. 258

(٣) Ann. Serv. XLIV. 295 ff.

(٤) A.N.E.T. p. 235 Kêmi IV 191 ff. وترجمت فى

١٣٣٠ ق.م خان الاحتلال الأول لهذا المكان يؤرخ في هذه الحالة بعام ١٧٣٠ بعد أقل من ستين سنة بعد بداية فترة العصر الوسيط الثاني ولئن ربطنا هذه الأرقام بما عرضناه من قبل فإن الهكسوس ربما يكونون قد استولوا على أفاريس أكثر من خمسين عاما قبل أن يستطيع واحد منهم أن يستشعر من القوة ما يجعله ينصب نفسه فرعونا شرعيا ، ومن المناسب أن نلاحظ أن تاريخ بناء تانيس يتردد طويلا ففي سفر العدد ١٣ : ٢٢ يشار إلى أن « حبرون » بنيت قبل صوعن (تانيس) في مصر بسبع سنوات ، وهذا يكاد يؤكد أن تانيس وأفاريس شيء واحد ، ولكن فحوى هذا التأكيد لا يزال موضع جدل شديد .

لم يحدث كشف أثري في السنوات الأخيرة عن الآثار بين العلماء مثل ما أحدثه الكشف في الكرنك ١٩٥٤ عن لوحة كبيرة تروى في افاضة الجهود الحربية التي قام بها كاموزة خليفة «سقن رع» ضد ملك الهكسوس عاوسرع أبوبى (١) ، وكانت حفائر اللورد كارنارفون قد كشفت قبل ذلك بخمسين سنة تقريبا عن لوحة كتبت بالهيرايقية تروى المراحل الأولى للصراع (٢) . وقد ظن البعض في أول الأمر بأنها ليست سوى موضوع أدبي ، ولكن العثور على قطع قليلة مكسورة في الكرنك نى عام ١٩٣٥ أثبت أن لوحة كارنارفون نسخة نقلها كاتب عن نص تاريخي أصيل أقيم في المعبد (٣) ، ولا يزال ننتظر من ليبب حبشى أن ينشر الوثائق الثلاث وهو ممن يرجع الى جهوده الفضل في العثور على لوحة كاملة فعلا وان كان من الواضح انها ليست سوى متابعة للنص المكتوب بالهيرايقية ، وهاك مقرة مختصرة من فحواها .

في العام الثالث للملك القوى في طيبة ، كاموزة الذى عينه رع ملكا حقيقيا ومنحه القوة فى رضا تام تحدث جلالته فى قصره الى مجمع الكبراء الذين فى حاشيته قائلا : « أريد أن أعرف ما معنى قوتى هذه حين يكون هناك رئيس فى أفاريس وآخر فى كوش وأنا أجلس مرتبطا بأسىوى ونوبى ، وكل منهما يملك شريحته فى مصر هذه وأنا لا أستطيع أن أتجاوز ممفيس . هاك انه يضع يده على خمون (٤) وليس هناك توقف عن النهب بسبب العبودية للستيو ، اننى سأصارعه وأبقر بطنه ، ان رغبتى هى أن أخلص مصر وأضرب الأسىوين » وعندئذ قال كبار مجلسه

(١) Ann. Ser. LIII, 195 ff.

J.E.A., III, 95 ff. (٢)

Ann. Ser., XXXIX, 245 ff. (٣)

(٤) هيرموپوليس ماجنا ، الاشمونين الحالية .

« هالك أن الجميع موالون للأسيويين حتى القوصية ونحن مطمئنون في نصيينا من مصر ، الفنتين قوية ، والقسم الأوسط معنا حتى القوصية والناس يحرقون لنا أجمل أراضينا وماشيتنا ترعى في مناقع البردى ، ان الحبوب يرسل بها الى خنازيرنا وماشيتنا لا تستلب » .

ومعنى هذا أن الحاشية كانت ترى انه ربما كان من الأنسب لظروف معينة ألا يبادأ بالعدوان ، ولكن كاموزه أعرب عن عدم رضاه عن هذه النصيحة التي تنسم بالحرص وأعلن تصميمه على استعادة مصر كلها وعندئذ نرى النص يستكمل بضمير المتكلم :

أبحرت شمالا في عزم وقوة لأغلب الأسيويين بأمر أمون أعدل الناصحين ، وكان جيشي القوى أمامي كلفحة اللهب وكان جنسد المدجا الثوبيون يقفون عاليا فوق قمراتنا ليراقبوا السثيو ويدمروا مواقعهم . كان الشرق والغرب يتملكان خيرة ما كان لهم وكان يتم تموين الجيش بكل شيء في كل مكان .

ويبدو أن كاموزه وجه عقب ذلك فرقا من المدجاو لمعاقبة من يدعى تنى بن بى الذى كان من الواضح مصريا بارزا اعتزل في نفروزي (١) الذى جعل منها وكرا للأسيويين ، وقد أجل سحق هذا العدو للغد على أية حال:

قضيت الليل في سفينتى وقلبي سعيد ، ولما أضاءت الأرض انقضضت عليه كالصقر - كان ذلك وقت تطهير الفم (٢) وهزمته ودمرت أسواره وذبحت قومه وجعلت زوجته تذهب الى ضفة النهر - كان جنودى كالأسود مقابل فريستهم فاقتسموا فيما بينهم ممتلكاتهم من العبيد والماشية واللبن والدهن والعسل .

وبعد بضع جمل غامضة يتهشم النص الهيراطيقى . . . ثم تستأنف الرواية في استهلال اللوحة المكتشفة حديثا ، فنرى كاموزه بالقرب من قلعة أفاريس يقرع عدوه بالمفاخرة والتهديد ، وقد سجل تتابع الأحداث في اسهاب وفي لغة بليغة جدا ، ولسنا نستطيع أن نذكر هنا سوى فقرات قليلة بارزه . . . كان أبوفيس قد طرد من غير شك من مصر الوسطى لاننا نجد بين الكلمات التي قالها كاموزه :

* Onom. II, p.p. 83*, p.p. 84*

(١) قرب خمون في شمالها بقليل ، راجع

(٢) ساعة وجبة نصف النهار (الظهيرة) .

ان قلبك معطل أيها الآسيوي الوضيع الذي اعتاد أن يقول « أنا سيد » وليس هناك من هو ند لي من خمون وبى حتحور (١) حتى أفاريس .

ولما أن المحارب الطيبى لم يكن بحال من الأحوال يشعر بالخجل من جراء قسوته ضد مواطنيه فيتضح من قوله :

أجتحت مدنهم وحرقت مواطنهم حتى أصبحت خرائب حمراء الى الأبد وذلك بسبب التخريب الذى كانوا قد ألحقوه بمصر ولأنهم جعلوا من أنفسهم خدما للآسيويين وتخلوا عن مصر سيدهم .

ثم نلى ذلك فقرة بالغة الأهمية :

قبضت على رسول له متجه عبر الواحات الى الجنوب نحو كوش يحمل رسالة مكتوبة ووجدت ان كاتب الرسالة من أفاريس يقول « أنا عاوسررع بن رع ، أبوبى احببى ابنى رئيس كوش . لم أصبحت رئيسا دون علمي؟ ألم تشهد ما فعلته مصر ضدى . ان كاموزه القوى الرئيس الذى بها قد طردنى من أرضى ولم أستطع الوصول اليه . بعد كل ما فعله ضدك باختياره للأرض التى يجتاحها . . . أرضى وأرضك يدمرها . . . اقبل فورا الى الشمال ولا يتملكك الجبن . هاك انه هنا معى . . . سوف لا أدعه يفلت منى حتى تحضر وعندئذ سنتقاسم مدن مصر هذه بيننا .

أما الواقعة الكاملة غير المتوقعة التى برزت فى هذه الفقرة فهى أن أبوفيس الذى كان يحاربه كاموزه هو نفس عاوسررع الذى ينهض لقبه على معبد فى جبلين مع لقب خايان (٢) دليلا أساسيا على أن الهكسوس لم يبعدوا الى هذه الناحية جنوبا . ان كل سياق النص الضخم يؤكد فى وضوح أن أبوفيس هذا - الذى يحتمل انه آخر من حمل اللقب - لم يمد نفوذه الى أبعد من خمون اللهم الا فى احتلال مؤقت قصير لاقليم جبلين (بى حتحور) وليس هناك دليل حقيقى أن غيره من جنسه قد تم له ذلك الأمر - وقد كشفت مقدمة لوحة كارنارفون عن شيء لم يكن معروفا من قبل هو قيام مملكة كوشية منفصلة وهو الذى يوضح هنا موضع التأكيد ؛ هذا الى أنه كشف أخيرا عن بعض لوحات فى وادى حلفا كرسها بعض ضباط

(١) لا ند أن بى حتحور هذه مدينة قرب جبلين ، انظر * Onom. II, p.p. 17 ff.

(٢) J. ٩١, V. 163,

يحملون أسماء مصرية كانوا يعملون في هذه المرحلة في خدمة رئيس كوش (١) ولكن حاشية كاموزه أكدت في اجابتها عليه ان الفنتين في قبضتهم المكيئة . ومن الواضح انه لم يكن في هذه المرحلة قلقا من فاحية جيرانه النوبيين ، وبطبيعة الحال كان الأمر كذلك في الرقعة الممتدة شمال الجندل الأول حتى خمون وان كل تفكيره كان مركزا على طرد الآسيويين ، وتتحدث خاتمة اللوحة الجديدة عن عودة كاموزه منتصرا الى عاصمته حيث جن الناس به فرحا - ومع ذلك فان القدر لم يكتب له أن يكون هو القاهر النهائي للهكسوس ذلك ان هذا العمل المجيد ادخره لحلفه « عاحموزه » الأول (اموزيس لدى مانيتو) الذي مجده الأجيال اللاحقة كمؤسس للأسرة الثامنة عشرة واما تفاصيل سقوط أفاريس فنقشت على جدران مقبرة في الكاب لجندى يدعى « عاحموزه » بن أبانا (٢) وقد خلف هذا الرجل في صدر حياته أباه « بابا » الذي كان يعمل تحت امرة « سقن رع » . وبدأ خدمته العسكرية في عهد أموزيس حين أبحر الملك شمالا ليهاجم العدو ثم أخذ يرتقى بفضل شجاعته من سفينة الى سفينة كما حارب راجلا في حضرة مولاه ، وأنعم عليه في مناسبات متعددة لا بأسرى ذكور وإناث فحسب بل كذلك بوسام يدعى « ذهب الشجاعة » . ويبدو ان حصار قلعة الهكسوس لم يكن أمرا سهلا وقد تبعه حصار آخر لم يستغرق أقل من ثلاث سنوات عند « شروحين » وهو موقع في جنوب غربى فلسطين جاء ذكره في سفر يوشع (١٩ : ٦) ويظهر أن هذا الموقع كان حد حملة أموزيس في القطاع الفلسطينى ، لأنه كان لا يزال عليه أن يكافح المختصب فى النوبة كما كان عليه أن يقضى على اثنين من الثوار كانا لا يزالان فى مصر العليا ، وقد صحبه تابعه الكابى الشجاع فى كل مكان وهو يسجل ما أداه من أعمال التقتيل والذبح فى كل المعارك وما ناله بعد من مكافآت بما فى ذلك بعض الحقول فى مدينته - وانا لنلقى مثل هذه الأعمال الباهرة - وان كان ذلك باختصار - على يد قريب شاب من الاقليم نفسه دعى « عاحموزه بن نخب » الذى يمتد نشاطه كجندى نشيط وكأحد رجال البلاط عبر خمس مدد حكم متتابعة (٣) وهناك دليل فى مكان آخر على ان الملك أموزيس عامل كل جنوده بسخاء كانوا يستحقونه من غير شك - وأما الخمس والعشرون سنة التى يقدرها له مانيتو فمن الواضح أنها:

J.E.A., XXXV, 50 ff.; Kush IV, 54 ff. (١)

J.E.A., V, 48 ff. « أبانا » كان اسما لاه . (٢)

B.A.R., II, No. 17-25, 344. (٣)

لا تبعد كثيرا عن الرقم الصحيح - وقد نابح ابنه وخلفه امنوفيس الأول (امنحتبه كما يكتب بالهيروغليفية) سياسة أبيه مع بعض الاختلاف ذلك أنه حتى هذه المرحلة كان الهدف إعادة مصر الى حدودها الشرعية ، ولكن انبثقت في هذه المرحلة رغبة « توسيع الحدود » وهذا اصطلاح شاع استعماله منذئذ وان لم يستخدم من قبل الا مرة أو اثنتين في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وقد شغل امنوفيس أكثر ما شغل بالنوبة في حملة نشهد فيها الجنديين الكابيين يلعبان دورا هاما ، فيزعم ابن ابانا انه نقل الملك الى الجنوب وانه بعد القبض على رئيس الأعداء عاد بمولاه الملك الى مصر في مدى يومين (١) ، فلئن كان هذا صحيحا فان معنى ذلك ان الملك لم يجارف بالابعاد كثيرا نحو الجنوب ، ولكن يبدو مع ذلك أن الرأي قد استقر نهائيا على استعمار النوبة ، ونحن نلتقي في خلال حكم هذا الملك للمرة الأولى باللقب الذي تبلور فيما بعد الى « ابن الملك في كوش » ونحن نلتقي في عهد أموزيس بالوالى المقبل (نائب الملك) تورى « قائد بوهن » (وادى حلفا) وهو يلقب في عهد أمنوفيس ب « ابن الملك » وهى صفة أضيف اليها فيما بعد لقب « حاكم الأراضى الجنوبية » ورغم أن اسمه « عاحموزه » ، وليست كلمة « تورى » سوى كنية الا انه ليس هناك ما يدعو الى التفكير فى انه هو أو أى واحد آخر ممن اصطنعوا اللقب المذكور كانوا أبناء حقيقيين للفرعون الحاكم . ونحن نلتقي فى حوالى هذه الفترة فى الكاب التى شهدناها تزودنا بالجنود الشجعان بلقب مبهم هو « أول ابن للملك فى نخبة » (٢) (أى الكاب) وانه لمن العسير أن نصدق ان هذه الصفة لها علاقة بتعاقب ولاية النوبة ويشجع على هذا الرأي ما نشهده بعد قرنين فيما يتصل بنخن وهى هيراقونبوليس المقابلة للكاب من أنها تعرف بنقطة البدء الشمالية لاداراتهم (٣) .

ولئن رجعنا الى الوراء لنلقى نظرة على ما كشفت عنه المصادر المعاصرة فيما يتصل باحتلال الهكسوس الذى اتسم بالاذلال لنجد ان ماذكره ماتيتو فى الصورة التى يرويها جوزيفوس يحوى الحق والباطل معا فى معايير متعادلة ، ولقد كان فايل (فيبي) R. weill (٤) أول من أصر على التحريف الذى يرجع الى طراز الرواية الأدبية التى أصبحت تقليدا ثابتا

Op. cit., II, No. 39 (١)

Ann. Serv. X, 193 ff. (٢)

Huy, p. 11. (٣)

(٤) هو ما سبقت الإشارة اليه من قبل فى (صفحة ١٨٤) .

من تقاليد الكتابة التاريخية المصرية : فترة من الحراب والفوضى ملونة في كثير من المبالغة بألوان مغرية تستخدم عادة لتمجيد الحاكم الذي ينسب إليه خلاص البلاد ، وتمثل رواية مائيتو المرحلة الأخيرة لعملية التزييف التي بدأت بعد جيل من نصر أموزيس ، وبعد حوالي ثمانين عاما من طرد العدو نجد الملكة حاشبسو (١) تصور اغتصابهم في نفس الصورة التي تقدمها تقريبا قصة « سقن رع » وأبوقيس وهناك نظائر من هذا كله من عصر « توت عنخ آمن » و « مرنبتاح » و « رمسيس الرابع » ، وليس لنا أن نصدق أن جحافل قوية من الغزاة الآسيويين انحدروا الى الدلتا كاعصار فاحتلوا ممفيس وأنزلوا بالأهلين كل لون من ألوان القسوة ، ان البقايا القليلة مما خلفه ملوك الهكسوس تشير الى محاولة جدية لاسترضاء المواطنين ولتقليد صفات ومظاهر الفراعين الضعاف الذين قاموا بخلعهم ، والا أفكانوا يتخذون الكتابة الهيروغليفية ويصطنعون لأنفسهم ألقابا يدخل في تركيبها اله الشمس رع؟ اما أمر جبايتهم للضرائب من مصر العليا ومصر السفلى على السواء فموضع شك على الأقل ؛ لأنه - كما رأينا - ليست وجهة نظر احتلال الهكسوس لبلاد كلها سوى وهم قضى عليها النص الكبير ل كاموزه الذي يتضمن في وضوح ان الغزاة لم يتقدموا اطلاقا فيما وراء جبلين والذي يشير الى أنهم اضطروا بعد قليل الى ارساء حدهم الجنوبي عند خمون ، وحتى قبل العثور على هذا الكشف نجد ان « سيفه زيد ربرج » (٢) قد استخلص من كلمات رجال الحاشية على لوحة كارنارفون ان جانبا كبيرا من السكان قد استسلموا لاحتلال الآسيوي وأنهم وجدوا أنه من الممكن أن يتأملوا مع الغزاة على أسس مشتركة يفيد منها الطرفان وتدعم وجهة النظر هذه بقوة المعلومات التي تقدمها اللوحة الكبيرة بل انها تشير الى أن التدمير الذي قام به الرجل القوي الذي ثار في طيبة أضخم مما فعله المهاجرون الهكسوس ، ويجب أن نضع في أذهاننا ان الأمراء الطيبين استطاعوا دائما أن يستحوذوا على السلطان في مقاطعتهم حتى وان اضطروا لفترة قصيرة أن يرضخوا لوضعهم بوصفهم موالي بالاكراه ، وذلك حتى تتم كشوف أخرى تستطيع أن تقدم وجهة نظر تخالف هذا الرأي .

ولم تكن قصة الهكسوس بغير تغييرات معينة تناولت الحضارة المادية لمصر (٣) وكان أهمها استخدام الحصان والعربة التي يجرها الحصان

(١) J.E.A., XXXII, 45, 47-48

(٢) J.E.A., XXXVII, 69-70

(٣) للتفصيلات انظر المرجع السابق 57 ff.

والتي لعبت دورا هاما في التاريخ التالي للبلاد . وليس من الثابت ان هذه المستحدثات أسهمت لدرجة ملحوظة في نجاح الآسيويين ولكنها كانت من غير شك ذات أثر كبير في مساعدة المصريين أنفسهم . في حملاتهم المقبلة - ويجب أن ندخل في الحساب كذلك ألوانا جديدة - الخناجر والسيوف وأسلحة البرنز والقوس الآسيوى المركب - من بين المزايا التي كان من الممكن أن تعد في وجهها الآخر كارثة قومية ، وفي مؤلف ذى طابع لغوى أكثر منه أثرى كهذا المؤلف يكون من نافلة القول أن نركز على الطراز الجديد من التحصينات التي استحدثها العدو في البلاد ، واما عن فخار تل اليهودية الذي تردد ذكره في هذه المناسبة فان على القارئ أن يستخلص فكرة من المصادر الأكثر صلاحية لتقديم ذلك ، وأخيرا فانه يبقى لنا أن نفي بما وعدنا به من تقديم بعض المقترحات التي تتصل بشخصيات الهكسموس الأضال شأنا والذين عرفناهم من الجعول والأختام الاسطوانية ، ويبدو ان هؤلاء كانوا أول المعتدين الذين أملوا في السيادة قبل أن يستطيع الملكان خيان وأبوفيس أن يصلوا الى هذا الهدف ، ولكن هناك افتراضا آخر هو أن هذه الأشياء التي أشرنا اليها كانت جميعا من أصل فلسطيني وقد خللت ذكر رؤساء أضال شأنا اصطنعوا الألقاب الفرعونية - دون حق ما - ومع ذلك فهذه كلها افتراضات ويجب أن نكرر ان الأسرة السادسة عشرة لدى مانيتو تبدو ملفقة تماما وان أسرته السابعة عشرة يمكن أن تعد عنوانا ينضوى تحته الأمراء الطيبيون .

وأما منقذو مصر الطيبيون فيمكن أن نعدهم أسرة مترابطة الأواصر لعبت فيها النساء دورا بالغ الأهمية سواء عن طريق جاذبيتهم الشخصية أو بسبب ادراك انهن وحدهن اللواتي يعترف بهن كأنما يستطعن نقل السلطان . وتمثل وجهة النظر الثانية في تنبؤ شيرى وهى من أوائل الملكات ما دامت بعض قطع كفنها التي عثر عليها في الحبشة الكبرى للدير البحري تشير الى انها ابنة واحد من عامة الشعب (١) ، وقد عثر لها على تماثيلين لابد انهما كانا في مقبرتها الطيبية ، وأما فيما يتصل بهذه المقبرة وصلاتها بالأسرة فهناك المعلومات الهامة التي تقدمها لوحة عثر عليها ببيتري في ابيدوس (٢) . وفيها يوصف الملك اموزيس كأنما يجلس الى زوجته فاحموزه نوفرتيروى يفكران فيما يستطيعان عمله لأسلافهما :

(١) J.E.A., X, 246

(٢) B.A.R., II, No. 33-37.

قالت أخته (١) وأجابته « لم تذكر هذه الأمور . ماذا فى قلبك ؟ » وأجابها الملك نفسه قائلا : - لقد تذكرت أم أمى وأم أبى الزوجة العظمى للملك وأم الملك تتى شيرى المتوفاة . ان لها اليوم غرفة دفن وضريحا فوق أرض المقاطعة الطيبية ومقاطعة أبيدوس ولكننى أقول لك ذلك لأن جلالتي انتوى أن يصنع لها هرما ومصلى فى الأرض المقدسة بالقرب من اثر جلالتي « . هكذا قال جلالته ووضعت هذه الأمور موضع التنفيذ .

والنقطة الهامة هنا هى أن الملك أموزيس يؤكد أن والديه كانا من أم وأب واحد وهو مثال كلاسيكى للزواج بين الأخ والأخت ، ونحن نعرف هذين الأبوين فأم أموزيس هى عاح حوتبه زوجة سقنن رع ناعو الثانى . وأغلب الأمر اذن ان تتى شيرى كانت زوجة ل ناعو الأول الذى تم التفتيش على قبره كما تم التفتيش على قبر ناعو الثانى فى عهد رمسيس التاسع ووجد سليما - وقد أشرنا من قبل الى ما حدث ل «ناعو الثانى» . وأما عن ناعو الأول فلا نعرف أكثر من ذلك ، ولكن يظن ان اسمه كان « سنخت ان رع » .

وكانت شهرة « عاح حوتبه » زوجة ناعو الثانى أوسع من شهرة أمها ، وهناك لوحة عثر عليها فى الكرنك (٢) تتناول بعد ازجاء الثناء على ابنها أموزيس الأول ، الذى كرس اللوحة ، حث جميع الرعايا على تقديم الاحترام لها . وهى تمتدح فى هذه الفقرة العجيبة بوصفها تلك التى جمعت قوى الجيوش فى مصر ولانها وضعت حدا للعصيان والتمرد . أيشير هذا الى فترة حرجة بعد موت كاموزه الذى يفترض انه الأخ الأكبر لأموزيس ولكنه لم يعمر طويلا ؟ ان قبر كاموزه (٣) هو آخر من فتشه فى الصف موظفو عصر الرعامسة ولكن الجنة نقلت من تابوتها بعد ذلك الى ناحية تقع جنوب مدخل الوادى مباشرة وتؤدي الى مقابر الملوك حيث عثر عليها عمال مارييت عام ١٨٥٧ ولم يكن التابوت مذهبيا ولكنه كان من الطراز الريشى الذى كان للشخصيات غير الملكية فى ذلك العصر وقد تحولت الجنة الرديئة التحنيط الى كومة من التراب عقب الكشف عنها مباشرة وان عثر ، من بين ما عثر عليه من حلى أخرى ، على خنجر فاخر محفوظ الآن فى

(١) هنا - كما هى الحال فى أغلب الأمر - بمعنى زوجة

(٢) Urk IV, 14-24. و مترجمة جزئيا فى B.A.R., II, No. 29-32.

(٣) لكل ما سيجيء بعد ذلك ، راجع ونلوك فى J.E.A., X, 252 ff; 259 ff.

بروكسل . وبعد أقل من سنة كانت عصابة أخرى من الفلاحين تبحث بالقرب من المكان نفسه حيث عثرت على تابوت « عاج حوتبه » وموميائها مزينة بحلى فاخرة هي اليوم من بين خير كنوز متحف القاهرة .

وبصرف النظر عن قطع قليلة تحمل اسم كاموزة نجد أن هذه الحلى كانت هبة من ابنها أموزيس الذى يرى خرطوشه على معظمها ، ولابد أنها كانت عجوزا فى الثمانين أو أكثر حين كانت تهيل المكافآت على أحد رجالها المدعو « كارس » فى السنة العاشرة من حكم امنوفيس الاول (١)، وقد اضطرت قبل ذلك بزمان طويل أن تتنازل عن مركزها المرموق الى زوجة أموزيس وهى عاحموزه نوفرثيروي .

واننا لنذكر من وراء مطالعة العديد من النقوش المعاصرة والمتأخرة التى يظهر فيها اسم هذه الملكة الشابة ، انه كان لها من الشهرة وذووع الصيت ما لم يكن لغيرها فى تاريخ مصر - وتوحى ألقابها بوصفها ابنة ملك وأخت ملك ، انها ربما كانت ابنة كاموزة وبالتالي ابنة أخ زوجها (٢)، وقد منحها أموزيس ، أو باعها فى سنة غير محددة من حكمه ، وظيفة الكاهن الثانى لأمون فى الكرنك ليكون لها ولنسلها الى الابد (٣) ، وهى تشاهد على لوحة من محاجر الحجر الجيري بالقرب من طره خلف زوجها وهو يفتح بهوا سردابا جديدا فى عامه الثانى والعشرين (٤) والماشية تجر الزحافة ومن فوقها كتلة حجرية كبيرة ويشار الى الماشية وكأنما تم الاستيلاء عليها فى حملته الآسيوية ، وأما موقع مقبرته فغير معروف ولكن عثر على تابوته وموميائه فى خبيثة الدير البحرى (٥) ونلاحظ بعد موته الارتباط الوثيق يشتهد بين عاحموزة نوفرثيروي وابنها امنوفيس الاول الذى عثر على مقبرته فى مكان مرتفع من التلال جنوب الوادى المؤدى الى مقابر الملوك (٦) وربما كان يشاركها فى هذه المقبرة ، كما أن له معبدا

(١) B.A.R., II, 49-53 مالم تكن هى كذلك زوجة للملك التى تحمل الاسم نفسه .

(٢) Gauthier L.R., II, 159 No. 2 ; 183 No. 2.

(٣) Bull. Soc., fr. d'Eg. No. 12 (1953)

(٤) B.A.R., II, No. 26-28.

(٥) P.M., I; 173.

(٦) J.E.A., III, 147 ff.

جنازيا في الوادي الى الجنوب مباشرة (١) ، وأما تابوتاهما وكذا المومياءان - وان كانت موميأوها موضع شك - فقد عثر عليهما من بين ما وجد في الحبيثة الكبرى (٢) .

وأسماء عاحموزه وعاج حوتيه تشيع كثيرا في هذا العصر لا بين الملوك وحدهم بل كذلك بين الافراد مما يثير مشكلة ليس من اليسير حلها حلا يطمأن اليه ، وتعني هذه الاسماء « القمر يولد » و « القمر راض » على التوالي مما يجعل من المحتمل افتراض قيام عبادة للقمر في المنطقة التي جاء منها ملوك الاسرة السابعة عشرة ، ولقد كان عضو الثالوث الطيبى الثالث في الكرنك هو الاله القمر المسمى خونس ، وأما لقب توثموزس (دحوت موزه باللغة المصرية) الذي حمله بضعة من فراعين الجيل التالى فيبين أن الصلة القمرية بأسلافهم كانت مع ثوث أكثر منها مع خونس وليس هناك ما يدعو للظن بأن الملوك والملكات الذين نحن بصدددهم لهم علاقة ما بخمون - هرموبوليس - المركز الرئيسى لعبادة ثوث ويمكن أن تفترض هنا ان موطنهم الاصلى كان يقع الى الجنوب قليلا من مدينة حابر على الضفة الغربية حيث لا يزال قائما معبد صغير من العصر البطلمى المتأخر مكرس ل ثوث ك قمر ويعرف باسم قصر العجوز (٣) ، وفي القرية التى لا تبعد كثيرا والمعروفة باسم دير المدينة ، وهى كانت تؤوى بعد بضعة قرون العمال الذين يعملون فى المقابر الملكية ، نجسد أن أفراد الأسرة جميعا ابتداء من الملكين المعروفين ب «تاعو» كانوا يعبدون بوصفهم « سادة الغرب » وهناك على جدران مقابر هؤلاء العامة أسماء أخرى لكثير من الأمراء الى جانب الأسماء الملكية المذكورة ويطلعنا من بينها منتحوتيه الأول من الأسرة الحادية عشرة كحالة شاذة خارج نطاق عائلة عاحموزه ، وقد أعطيت الأولوية هنا للملكة عاحموزه نوفرثيروى التى رسمت لسبب لا نعرفه بسحنة سوداء وأحيانا باللون الازرق ، ولئن كانت ابنة لكاموزه فانه ليس هناك دم أسود يجرى فى عروقها - هذا الى اننا نشهد دورا أكثر أهمية فى الجبانة يقوم به امنوفيس الاول الذى كرسنت له عدة مصليات تميز بين بعض خصائصه ك « امنوفيس المدينة » و « امنوفيس المحبب لأمون » و « امنوفيس المتصل بالبهو الأمامى » (٤).

P.M., II, 147 (١)

P.M., I, 174. (٢)

P.M., II, 193-7 (٣)

Bull. Inst. fr. XXVII, 659 ff. (٤)

وقد قدمت لهؤلاء المعبودات المحبوبات جدا أدعية فى أزمئة الاضطراب أو
توسلات لوحيتهم حين كانت الحاجة ماسة لفض نزاع .

وهناك فلكى يدعى امنمحيه يروى فى نص بقبيره الطيبى انه عاش
احدى وعشرين سنة فى عهد امنوفيس الأول (١) وهذا يعدل فترة أقل
بقليل من مدة الحكم كلها ما دام ذلك يتفق تقريبا مع الرقم الذى يقدمه
من نقلوا عن مانيتو بالنسبة لمن يدعى امنوفيس الذى جعلوا منه الملك
الثالث للأسرة الثامنة عشرة بدلا من أن يكون الملك الثانى ، وأما عن
قبيره ومومياء فقد أشرنا اليهما من قبل .

L. Borchardt, Geschichte der Zeitmessung, Berlin, 1920, pl. 18

(١)

مراجع مختارة

ملوك العصر الوسيط الثاني :

H. Gavthier, LR II. 1-153

R. Weill, La fin du moyen empire égyptien, 2 vols., Paris, 1918

H. Stock, Studien zur Geschichte und Archäologie der 13. bis 17 Dynastie Agyptens, Glückstadt-Hamburg, 1942 —

J. Vandier, Clio, 313-17

L. Borchardt, Geschichte der Zeitmessung, Berlin, 1920, pl. 18.

الهكسوس

تسجيل رائع للاحداث قدمه بامور لبيب

Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Agypten und ihr Sturz, Glückstadt, 1937

Stock, op. cit. 63 ff.

Vandier, op. cit. 317-18

الحكام الطيبون المندرجون تحت الاسرة السابعة عشرة

H. Winlock, The Tombs of the Kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes J. E. A. X 217-77

Stock, op. cit., 75-81

Vandier, op. cit. 297-8 ; 318-21

ابن الملك من كوش

G. Reisner in J.E.A. VI. 28 ff. ; 73 ff.

Rec. Trav. XXXIX. 182 ff. H. Ganthier في تعليق متكاملة - تقديم

حلي الملكة عاح حوتبة

F. W. von Bissing, Ein Thebanischer Grabfund aus den Anfang des Neuen Reichs, Berlin, 1900

٨ السيادة الطيبية

عند موت امنوفيس الاول (حوالى ١٥٢٨ ق م) كانت الدولة الحديثة ، أو الامبراطورية كما يطلق عليها أحيانا ، تشق طريقها ، وقد تبع ذلك أكثر من قرن ونصف من نجاح مستمر ، وكانت طيبة أعظم مدن مصر وكان أمون رع المعبود الرئيسى فى الكرنك يدعم حقه أخيرا فى لقب « ملك الآلهة » الذى ظل يحمله دهرًا طويلا . ويرجع بعض التحريف فى رؤيتنا للأمور الى ندرة الآثار من ممفيس وهليوبوليس والدلتا وان كانت القواعد الحربية قائمة فى الشمال ومع ذلك فاننا لا نكاد نخطئ فى الضغط على السيادة الطيبية ؛ ذلك لأن التماثيل والنقوش فى المعبد الكبير بالكرنك كانت معينا للمعلومات وأما الجبانة الرئيسة على الضفة الغربية فقد تحركت جنوبا ومعها سلسلة من المعابد الجنائزية تمجيدا للفراعين وللمعبودهم الحامى على حافة الأرض الزراعية ، كما ان المقابر الصخرية للنبله تقدم نموذجا أجرى حفره فى تل الشيخ عبد القرنة (انظر لوحات ١١ ، ١٢) وكان يحتفظ عادة بجدار واحد من القاعد الخارجية لهذه المقابر لوصف نشاط صاحب المقبرة ، وكان جدار آخر يحمل أحيانا لوحة تقدم سردا مكتوبا لأهليته وكفاءته ومغامراته ، وطبعى ان أماكن أخرى لا تخلو تماما من مادة للمؤرخ من بقايا المعابد الاقليمية ثم الكتابة على الصخور عند الجنادل وأخيرا سجلات نشاط التعدين فى سينا وغيرها وان كانت الكتابة على البردى باللغة النادرة ، ومع ذلك فان نحن جمعنا كل هذه المخلفات المشتتة فان طيبة تحتفظ بمكانتها بوصفها المصدر الرئيسى للمعلومات .

كان الملك الجديد توتموزيس الاول ابنا لامرأة من دم غير ملكى تدعى « سنى سونب » وربما كانت دعواه الوحيدة للوصول الى العرش زواجه من الأميرة « عاحموزة » . ومن الواضح انها كانت سيدة من أصل عريق جدا ، وهناك ولدان صورا فى مقبرة باحيرى عمدة الكاب حيث

يظهر والد ذلك النبيل كأنما هو « المربى » أو « المؤدب » (١) لهما ، ويوصف امنموزه - الذى ربما كان أكبرهما - على لوحة مهشمة مؤرخة بالسنة الرابعة (٢) كأنما يمارس الصيد فى الصحراء بالقرب من أبى الهول الكبير ، ولئن صدق القول بأنه كان اذ ذاك « قائد الجيش الكبير لأبيه » فلا بد ان زواج الملك حدث قبل أن يلى العرش بزمن طويل ، أما الابن الآخر واسمه « وادج موزة » ، فهو شخصية غامضة تدعو للاهتمام ما دام كرم بعد موته تكريما غير عادى بأن شيد له مصلى أنيق الى جنوب الرامسيوم (٣) ، وهناك رجل يدعى امنحتبه كان يحمل لقب « أول ابن للملك عاخبر كارع (اسم توثموزس الأول) » ولم يكن ابنا حقيقيا للملك لأن اسمى أبويه ذكرا - (٤) ومن المهم أن نذكره هنا لأن هذه المناسبة تبين الصعوبة الرئيسية فى معالجة مشاكل الانساب المصرية . فالمرء لا يدرى مطلقا ان كان علينا أن نأخذ كلمات « ابن » و « ابنة » و « أخ » و « أخت » حرفيا أم لا .

كان أول عمل رسمى ل توثيموزس الأول هو ارسال مرسوم ينبئ « تورى » أمر ولايته للعرش وكان تورى لا يزال واليا على نوبيا - وفى هذا المرسوم سجل فى افاضة الالقاب التى يود اعلانها والتى كان يجب أن تستخدم فيما يتصل بالقرايين التى يقدمها للالهة كما تستخدم فى الحلف باسمه (٥) ويقال ان احدى النسختين الموجودتين لدينا جئ بهما من وادى حلفا ، ولكن أطماع توثموزس الأول لم تقف عند هذه المدينة القلقة فهناك نقش كبير يرجع الى عامه الثانى محفور على الصخر المقابل لجزيرة تومبوس وراء الجندل الثالث (٦) ويعتبر أكثر غنى من ناحية الفاظه المفخمة وعباراته الفصيحة من مرسوم التولية الجاف ، وهناك تقرير أكثر رصانة عن الحملة يقدمه صاحبنا « عاحموزه » الكابى الذى يروى كيف أبحر بأسطول الملك عبر مياه النيل المضطربة حين كان جلالته هائجا كالفهد يرشق صدر الرئيس عدوه بسهمه الأول ويحمله الى طيبة معلقا

Urk, IV, 110 (١)

Op. cit., IV, 91 (٢)

P.M., II, 157-8 (٣)

Urk, IV, 105-6. (٤)

B.A.R. II, No. 54-60 (٥)

Op. cit., II No. 67-73; P.M. VII 174-5 (٦)

ورأسه الى أسفل في مقدم سفينته الملكية (١) وهناك مآثرة حربية أعظم من هذه هي الحملة التي اخترقت منطقة الغرات الى بلاد ناهرين (٢) حيث يحكم ملك ميتاني وحيث أقيمت لوحة تذكارية (٣) وحيث حدثت مذبحه ضخمة وأخذ الكثيرون كاسرى ، وهنا كذلك أسهم جنديا الكاب وتسلم كل منهما جائزة لطيفة مقابل الحصان والعربة التي استولى عليها (٤) واحتفل الملك في رحلة العودة بنجاحه بصيد فيل في اقليم المستنقعات عند « نى » التي تقع بالقرب من « أباميا السورية » ولم يحدث سوى مرة أخرى مدى عدة قرون ، في عهد توئموزس الثالث ، ان استطاع جيش مصرى أن يندفع بعيدا في الشمال الشرقي مما يجعلنا نقدر اننا لا نخطئ أن نحن نظرنا الى توئموزس الاول وكأنما لا يقل عبقرية حربية عن حفيده .

ولسنا ندرى على وجه التحقيق كم استغرق هذا الحكم وربما لم يزد على عشر سنوات ولكن آخر تاريخ مؤكده هو السنة الرابعة . وهناك لوحة كبيرة (٥) تعدد أعماله في معبد أوزيريس في أبيدوس ضاع منها تاريخها ان كان قد سجل يوما ما - ولئن كانت المومياة التي عثر عليها في الدير البحرى تخصه فانه لا بد انه كان في الخمسين من عمره ، وقد تابع من ناحية الترتيبات الجنائزية التجديد الذى استحدثه أمنوفيس الأول في عمل فاصل فراغى بين المعبد الجنائزى والقبر الفعلى وهو أمر تابعه فيه خلفاؤه ، ولم يعثر على المعبد فعلا ما لم يكن متداخلا فى معبد ابنته الذى سنتحدث عنه كثيرا فيما بعد ، وأما مقبرته فهي أقدم المقابر جميعا فى الوادى البعيد المعروف باسم ببيان الملوك (مقابر الملوك) وتحوى مدخلا بدرج ينزل الى أسفل نزولا وعرا وهناك غرفة جانبية وصالة دفن تتفرع منها غرفة مخزن صغيرة وهو جهه متواضع جدا - ان هو قورن بما تم من هذا النوع فى عهد خلفائه - وكان التابوت من الكوارتز موجودا بداخل المقبرة وقد نقل الى متحف القاهرة وكان من الواضح أن الذى وضعه فى مكانه من المقبرة فيما بعد هو حفيده توئموزس (٦) ، وهناك موظف هام يدعى « اننى » (٧) أشرف من قبل على الأبنية الفخمة فى

B.A.R., II, No. 80 (١)

Onom. I, p.p. 171* ff. انظر « بلاد النهر » (٢)

B.A.R. II, No. 478. (٣)

B.A.R., II, No. 81, 85. (٤)

Onom. I, p.p. 158* ff. (٥)

B.A.R., II, No. 90-98 (٦)

Hayes, R.S., p.p 138 ff. (٧)

الكرنك ومن بينها المستطان اللتان لا تزال احدهما قائمة ، وقد عهد
اليه بحفر المقبرة وهو يشير الى ذلك العمل بقوله : -

« أشرفت على حفر ضريح التل لجلالته سرا ، بحيث لم يرني أو يسمع
بى أحد » ونستطيع أن نستنتج من وراء ذلك أن الهدف كان السعى بقدر
الامكان لوضع مومياء الملك وأثاثه الثمين بعيدا عن متناول اللصوص وهو
طموح عقيم كما ثبت فيما بعد ، وقد كوفىء « اننى » بمنحة هى عبارة عن
عدد من العبيد ومقررات يومية من الخبز من مخازن الغلال الملكية . ثم
بى ذلك قوله :

« ذهب الملك يستريح من الحياة ، وصعد الى السماء بعد أن أكمل
سنية فى هناء » . وأما الرعاية التى كان « اننى » يلقاها فانها كما هى بل
زيدت فى عهد توثموزيس الثانى ابن توثموزيس الاول من ملكة أقل
شأنا هى « موت نوفرة » . وربما كان حكمه قصيرا ما دام « اننى » يعلن
عن نفسه ، أنه كان مسنا اذ ذاك ومع ذلك استطاع أن يصف الأحوال
فى عهد خلف توثموزيس الثانى ، ورغم هذا فليس هناك من سبب قوى
فى تاريخ السنة الثامنة عشرة الموجودة على لوحة مكسورة قام « دارسى »
بنسخها (١) ولا يعرف مكانها الآن . وأما أهم آثاره فلوحة نصر مؤرخة
بالسنة الأولى أقيمت على الطريق بين أسوان وفيلة (٢) وهى تروى فى
تفصيلات كثيرة غير معتادة كيف وصلت أنباء تمرد فى النوبة .

« جاء من ينهى الى جلالته ان كوش الخسيصة ثارت وان من كانوا
عبيدا لسيد الأرضين قد دبروا العصيان لينهبوا أهل مصر وليسرقوا
الماشية من القلاع التى كان قد بناها عاخير رع فى انتصاراته ليصد
الأراضى الثائرة والقبائل النوبية فى خنت حن نوفه (٣) . والآن جاء
رئيس فى شمال كوش الخسيصة وتآمر على العصيان مع قبيلتين من
تاستى من نسل رئيس كوش الخسيصة الذى كان قد هرب أمام سيد
الأرضين فى يوم الذبح العظيم للاله وقسمت هذه الارض الى خمسة
أجزاء وتملك كل واحد نصيبه »

ولما سمع الملك ذلك ثار كالفهد - كما فعل أبوه من قبل - وأقسم

Ann. Serv., I, 99 (١)

B.A.R., II, No. 119-22. (٢)

(٣) اسم آخر لنوبيا .

ألا يترك من بينهم واحدا حيا وعندئذ تقدم جيشه وقضى على هؤلاء الاجانب ولم يستحي منهم سوى واحد من أطفال الرئيس النوبى عاد به الى طيبة كاسير بين مظاهر الابتهاج العام . ولسنا نعرف أعمالا أخرى عن توثموزيس الثانى سوى ما يرويه عاحموزه الكابى الصغير من انه صحبه الى فلسطين وأخذ العديد من الاسرى (١) وانه أظهر عطفه على المدعو « نبأمون » الذى أصبح فيما بعد وكيل خراج للملكة « نبتو » وقائدا لأسطول الملك (٢) ويعلم « اننى » المسن موت توثموزيس الثانى وولاية خلفه فى الكلمات التالية (٣) :

« صعد الى السماء وأصبح متحدا بالآلهة وأخذ مكانه ابنه كملك على الأرضين وحكم من فوق عرش من أنجبه ، بينما كانت أخته الزوجة الالهية « حاشبسوه » تحكم البلاد وكانت الارضان تحت أمرتها وكان الناس يعملون من أجلها ومصر تحنى الرأس لها . »

ورغم الطريقة السديدة التى سجلت بها هذه العبارة فانه ليس هناك ما يدعو الى أن نظن أن توثموزيس الثانى مات ميتة غير طبيعية . وهناك قبر يكاد يكون غير مزخرف فى بيبان الملوك (٤) يحوى تابوتا ، ليست به كتابة ، قريب الشبه جدا من تابوت توثموزيس الأول بصورة تدعو الى أن ينسب عن ثقة الى الابن ، ويبدو من اهماله احتمال عدم عناية أحد كثيرا بمصيره . أما معبد الجنائزى (٥) الذى كشف عنه الفرنسيون فى عام ١٩٢٦ فهو عمل تافه - وهناك لوحة ربما كان مصدرها هليوبوليس (٦) تصوره فى صحبة الملكة عاحموزه أرملة توثموزيس الاول وكذا فى صحبة ابنتها « الزوجة الملكية العظمى حاشبسوه » ومن ثم فان الاخيرة زوجت من غير شك من توثموزيس الثانى ، وما دام أبوها هو توثموزيس الاول فان دعواها للعرش بالغة القوة ، ومع ذلك فقد كان هناك دعى آخر قوى يبرز لنا فى صورة ابن توثموزيس الثانى من محظية هى ايزه (ايزيس) التى قنعت بلقب (أم الملك) (٧) وهناك ما يؤكد قيام

(١) B.A.R., II, No. 124

(٢) Urk, IV, 150-3

(٣) B.A.R., II, 341

(٤) Hayes R.S., p.p. 7 ff

(٥) C. Robichon and A. Varille, Le Temple du scribe royal amenhotep, I, (٥) Cairo 1936, p.p. 31 ff.

(٦) Sethe, Hp., p. 14, fig. I; J.E.A. XV, 60, No. 4

(٧) Sethe, op. cit., No. 9.

جماعة ذات نفوذ استطاعت أن تنجح فى تأكيد حقوق الشاب توثموزيس الثالث وليست حجتنا فى ذلك نصوص تاريخ حياة « اننى » كما يرويها بنفسه فى مقبرته ولكن هناك كذلك نص متأخر من الكرنك (١) يروى فى لغة بديعة قصة ارتقائه العرش فقد جاء فيه أنه كان مجرد مراهق يخدم فى معبد أمون بالكرنك ولم يكن قد ارتقى بعد الى مرتبة كاهن (خادم اله) وذات يوم بينما كان الملك الذى يحكم يقدم الاضاحى لأمون قام الاله بدورة حول الاعمدة ليلبحث عن الامير الصغير فى كل مكان ولما عثر عليه توقف أمون أمامه ثم أقامه من وضعه المتكى ووضعته أمام الملك ثم جعله يقف فى المكان الذى يشغله الملك عادة ، والضمان المستخدمة فى هذه الفقرة تثير كثيرا من الصعوبات ولكن يبدو ان الغرض كان واضحا من ناحية تقديم توثموزيس الثالث كملك معين عن طريق الوحي الالهى خلال حياة أبيه . وما دام النص قد كتب ربما بعد اثنين وأربعين عاما فان صدقه المطلق موضع تساؤل ولكن ما نراه مؤكدا على أية حال هو أنه جاء الى العرش تحت وصاية زوجة أبيه حاشبسوه التى استطاعت أن تجعله ينزوى عددا طويلا من السنين .

ولئن بدا هنا أن جانبها غير متناسب سيكرس لمشكلة فى أسرة واحدة فان عذرنا فى ذلك هو : أولا أهمية الشخصيتين الكبيرتين اللتين تواجه الواحدة منها الاخرى فى وسط مسرح الاحداث وثانيا : لأنه ليست هناك احداث فى التاريخ المصرى استطاعت أن تثير مثل هذا الجدل الشديد ، ان هدف هذا الكتاب ليس احياء الماضى المصرى فحسب ولكن لقاء ضوء كذلك على الطرق التى اتبعها علماء الدراسات المصرية مع عدم اغفال الاشارة الى الحجج التى لعبت دورا كبيرا (٢) . كان من عادات الفراعين السيئة أن يأمرؤا بازالة الاسماء المنقوشة لأسلافهم الذين لا يحبونهم ولكن هذه الاسماء كانت عرضة لأن يعاد وضعها فيما بعد أو يستبدل بها غيرها وهكذا كان من أثر العداوة التى آثارتها « حاشبسوه » ان محى خرطوشها بصورة منظمة من كثير من آثارها ولم يدخل فى العصور التالية فى أية قائمة ملكية . وقد حدث ان حل فى أغلب الامر لقب توثموزيس الاول او توثموزيس الثانى محل لقبها . فمن هو المسئول عن المحو ثم اثبات الاسماء الاخرى ؟ فى مقال محكم نشره كورت زيتنه فى عام ١٨٩٦ ثم اعاد كتابته وتنظيمه فى عام ١٩٣٢ ناقش الامر

B.A.R., II, No. 131-66. (١)

(٢) راجع آخر الفصل فيما يتصل بالمراجع .

وانتهى الى أن إعادة كتابة الأسماء لا يمكن أن تتم الا بواسطة أصحاب الخراطيش الشانوية - ومعنى هذا ان كلا من الحاكمين عاد من غير شك الى العرش لفترة قصيرة بعد دكتاتورية حاشببسوه الأصلية وليس هذا على أية حال هو كل شيء بل ان هناك نظرية معقدة جدا بدأت تظهر فى الأفق وتتناول مشكلة تعاقب التحامسة ؛ ذلك أن « نافيل » وهو الذى كشف معبد الدير البحرى العجيب الذى أقامته « حاشببسوه » وقام بأمر النشر أجاب على وجهة النظر السابقة مشيرا الى أن الترميمات تمت فى عصر الرعامسة ، ولكن المؤرخ ادوارد ماير والأثرى وفلوك رفضا وجهتى النظر السابقتين وعاد هذان العالمان الى آراء أكثر بساطة كانت قائمة قبل أن يقدم زيتة افتراضه الذى يتسم بالمجازفة . وفى عام ١٩٣٣ م قام « ادجارتون » بإعادة دراسة كل الخراطيش التى أمكن الوصول اليها فى عناية وأدرك انه يستطيع أن يزعم ان كل ما محى تقريبا ثم أعيدت كتابته كان من عمل توثوموزيس الثالث الذى استهدف أن يبرر دعواه فى الانتساب للأسرة ، بينما كان لدى « حاشببسوه » غرض مماثل فى أية حالات ظهرت فيها القاب توثوموزيس الاول وتوثوموزيس الثانى أصيلة وسليمة على الآثار التى أقامتها ، وأخيرا وافق « هيس » على النتائج التى وصل اليها « ادجارتون » وذلك عن طريق دراسته لكل توابيت العصر ، ومن الواضح ان صدى هذا كله قد يؤدى الى مخاطرة ما دام التنوع الضخم للآراء على هذه الصورة يوحى بمظهر لا يطمئن اليه كثيرا فى شهادة من هذا النوع ولذا فان النتائج المستقاة من المحو والاثبات يحسن أن تحسب حتى هذه النقطة بقدر الامكان .

كانت الألقاب الكاملة التى تحملها « حاشببسوه » خلال حياة توثوموزيس الثانى هى « ابنة الملك ، أخت الملك ، زوجة الاله والزوجة العظمى للملك » . كانت لاتزال اذ ذاك مجرد ملكة رئيسية ، شأنها فى ذلك شأن من سقنها ، ولم تكن هناك فكرة ما عن حفر مقبرة لها فى هذه البقعة المنعزلة الرهيبة التى بدى فى تخصيصها للفراعين ، وقد وجد لها قبر يرجع الى هذه المرحلة وبداخله تابوت سليم على ارتفاع كبير فى قمة عالية على مبعده ميل ونصف ميل الى جنوب الدير البحرى (١) وكان عليها أن ترضى نفسها فى السنين الاولى لادارتها المحكم بكونها ملكة بل ان هناك نقشا مؤرخا من العام الثانى لابن أخيها (٢) وان كان يحتمل الا يؤخذ كمصدر معاصر ، وانا لنراه بعد سنين حكمه فيما بعد - كما

(١) J.E.A., IV, 114 ff.

(٢) J.E.A., IV, 114 ff.

تعد هي سنى حكمها ، منذ بدء حكمها المشترك ، وعلى أية حال فان أطماعها لم تكن بأية حال فى الوقت نفسه ساكنة فلم تنقض بضح سنوات حتى أخذت لنفسها الخطوة الحاسمة منتحلة التاج المزدوج - ولقد حدث مرتين من قبل فى مصر فى تاريخها السابق ان اغتصبت ملكة العرش ولكن الجديد هنا ان أنثى ظهرت بمظهر الرجال وارتدت زيهم ، ولم يحدث هذا التغيير بغير بعض التردد؛ لأن هناك على الأقل نقشا واحدا تظهر فيه كملك لمصر العليا والسفلى ومع ذلك فانها ترتدى زى النساء (١) ، ولكن هناك أماكن متعددة فى الكرنك (٢) تبدو فيها « حاشبسوه » فى زى الذكور وتتقدم توثوزيس الثالث الذى يظهر حقا كملك ولكن بوصفه شريكا ، وهى تزهى فى نصوص كثيرة بالألقاب الكاملة وان كانت قد تعرضت فى آثارها وآثار نبلائها الى الاشارة لشخصها بضمائر المؤنث أو وصفت بألقاب ذات نهايات تأنيث ، وهناك نص لم ينشر بعد يحدد تاريخ تتويجها كملك بالسنة الثانية (٣) . ومنذ ذلك الوقت حتى عشرين سنة تالية لم يعد هناك شك فيمن هو الفرعون . وفى السنة الأخيرة نرى الاثنين على أية حال يمثلان على قدم المساواة (٤) .

وليس لنا ان نتخيل على أية حال ان امرأة مهما تكن بهذا المظهر المسترجل تستطيع أن تصل الى مثل هذه الذروة من القوة دون عون من الرجال - ولا يزال بالجبانة الطيبة الكثير من المقابر الفاخرة لموظفيها وكلهم يتحدثون عنها فى عبارات تتسم بالانقياد المهين ، ولكن يقوم من بينهم رجل واحد مميز ، ويبدو أن « سننموت » لم يكن من منبت ممتاز ؛ ذلك لأنه يتضح من القبر السليم لأبويه - وهو الذى كشف عنه لانسنج وهيس - (٥) ان أباه لا يحمل لقبا بل كنية مبهمه تعنى « الوجيه » أما أمه فهى مجرد « ربة دار » ومع ذلك فانه خلال خدمته المتألقة استطاع أن يضع يده على عشرين وظيفة مختلفة على الأقل وبعضها كان مما يعود عليه بالربح الجزيل من غير شك ، أما لقبه الرئيسى فكان « وكيلا لحراج أمون » مما يضع بين يديه الثروة الهائلة لمعبد الكرنك ، ونستطيع أن نلمس العطف العظيم الذى يستمتع به ويلقاه من مولاته الملكية من تعيينه وصيا على

Ann. Serv. XXXIV, pl. 4 (١)

Op. cit., XXIV, P.M. 3 (٢)

Nachr. Göttingen, 1955, p. 212 (٣)

Sinai, pl. 57 No. 181. (٤)

Bull. M.M.A., Eg, exped., 1933-1936 p.p. 5 ff. (٥)

الاميرة رع نفرو الوريثة الثانية للمعرش ثمرة زواج أمها عن توتموزيس الثاني ومن بين العشرة تماثيل أو أكثر مما بين أيدينا لسننموت (١) نلتقى بستة على الأقل تصوره وهو يمسك بالطفلة بين ذراعيه أو بين ركبتيه ورغم أنها عاشت من غير شك طويلا بعد أن بدأت حاشبسوہ بناء معبدها الضخم المعروف بالدير البحرى الا اننا لا نسمع عنها بعد السنة الحادية عشرة (٢) ، ولئن صدقنا دعوى « سننموت » على تمثال عثر عليه فى معبد موت فاليه يرجع الفضل فى بناء كثير من المنشآت الطيبية (٣) فى عهد الملكة وان كان ما يقال عادة من أنه كان المعماري الفعلى ، يحتاج الى ما يدعمه .

وقد ذكرنا من قبل صفحة ١٣٦ ان المعبد الجنائزى لحاشبسوہ فى الدير البحرى كان واقعا داخل نصف دائرة كبيرة من القنن العالية وهو يدين بكثير من وحيه الى أثر منتحوتبه الأول الأكثر بساطة ، والواقع على الخط نفسه الى جنوبه ، ولم تبق سوى آثار للممر الصاعد فى رفق الى الاسوار التى يؤدى مدخل بها الى بهو واسع يرى فيه الزائر فى مواجهته رواقا بالاعمدة فوق رواق بالاعمدة كلما صعد من المنحدر الرئيسى الى المستوى العلوى ، ويستطيع صف من الاعمدة من الحجر الجيرى الوضاء الى الشمال من وسط البهو أن يكشف عن جمال المبنى قبل أن يحوله الزمن والتدمير البشرى الى حالته الراهنة من الدمار . ومع ذلك فليس فى مصر اليوم عمارة فى مثل هذا السمو يمكن رؤيتها ؛ والنقوش المنحوتة خلف الأعمدة المستديرة أو المربعة للأروقة ذات أهمية فريدة ، ففي الرواق السفلى منظر رائع للسفن التى تحمل مسلتين كبيرتين من الجرانيت الأحمر من الفتنتين الى الكرنك (٤) . ويظن (٥) انهما المسلتان اللتان كلفت حاشبسوہ مهندسها سننموت أن يقيهما خارج الجدار الشرقى واللذان لم تبق منهما الا أجزاء وليس لنا أن نخلط بينهما وبين مسلتين أخريين وضعتهما بين الصرحين الرابع والخامس فى السنة السادسة عشرة من حكمها والتى يبلغ ارتفاع أحدهما أقل بقليل من مائة قدم لا تزال قائمة فى مكانها - أما الرواق التالى الى أعلى ففيه منظر أكثر

(١) A.J.S.L., XLIV, 49

(٢) Sinai, pl. 58, No. 179

(٣) B.A.R., No. 361

(٤) D. El B. (VI) pl. 154

(٥) J.N.E.S., XVI, 88 ff.

تشويقا فعلى الجانب الجنوبى منه مثلث الرحلة الى بوينى صفحة ٥٤
فى السنة التاسعة كما مثل على الجانب الشمالى حمل أم الملكة بها -
عن طريق معجزة - ثم ولادتها ؛ وتشهد فى المجموعة السابقة من
الصور (١) سفن الملكة حاشبسوه - وهى تبدو فى هذه المرحلة كملك ،
تصل الى هدفها عند باب المندب ثم يتقدم لتحيتها رئيس ملتح وزوجته
المشوهة تشويها فظيحا ٠٠ وهناك عدد من الرؤساء أقل أهمية يخرون
على وجوههم أمام شعار الملكة :

انهم يتحدثون ٠٠٠ يلتسمون السلام من جلالتها ٠٠٠ المجد لك ٠٠٠
أى ملك مصر أيتها الشمس الأئشى التى تضى كقرص الشمس .

ويعيش الأهليون وسط أشجار النخيل وفى أكواخ ذات قباب مستديرة
يستطاع الوصول الى أبوابها عن طريق سلالم ، وقد أقام الرسول المصرى
خيمته فى ناحية قريبة ثم قدم هدايا من الجعة والنبير واللحوم والفواكه
كأمر « حاشبسوه » . ولكن من الواضح أن جيوشها أفادت أكثر ما يمكن
من عملية التبادل فهناك صور متقنة لكل الأشياء الثمينة التى حملت من
هناك الى السفن ومن بين هذه المنتجات أشجار المر والأبنوس ثم العاج
والذهب والقردة وجلود الفهود ، ويرى الأسطول فى الصف العلوى وهو
يبدأ طريق العودة الى الوطن وقد تجاهل الرسام أمر الانتقال عبر الصحراء
الى النيل ٠٠ وعلى أية حال فإن الطبيعة الخيالية لهذه النقوش العجيبة هى
دون ما نراه على الجانب الآخر من المنحدر (٢) فهناك - عن طريق أسطورة
نلتقى بآثارها منذ الأسرة الثانية عشرة - يسند الى الحاكم أصل الهى
وأما مقدمات عملية الولاية فمبينة فى دقة اذ ترى صورة الملكة عاحموزة
وهى جالسة على وسادة أمام الاله آمون ، وفى المنظر التالى يظهر الطفل
الملكى مصحوبا بقسيم (صورة منه ماثلة له) لا يمكن تمييزه يمثل
ال « كا » الخاصة به أو روحه يقوم بصياغتها على عجلة الفخار الاله خنوم
ذو رأس الكبش ، وتقاد بعد ذلك الملكة الأم الحامل الى مكان الولادة حيث
يكون فى انتظارها معبودات أقل شأنًا - وقد محيت كثير من هذه المناظر
بسبب حقد توثموزيس الثالث فيما بعد ، وأنه لما يتفق والتفكير اللولبى
للعقل المصرى أن أبوة آمون موضع الفخر لا تسمح بالتنازل عن أبوة
توثموزيس الأول ؛ ذلك لأن هناك دليلا قويا على اصرار حاشبسوه على هذه

(١) D. El B. (III) pls. 69-76

(٢) D. El B. (II) 47-51

البنوة البشرية ، وهناك نص طويل فى الدير البحرى (١) يبتدع اجتماعا رسميا للبلاط يعلن فيه الملك ولاية ابنته ، وهناك نص آخر فى الكرنك بالهيروغليفية (٢) يسجل الشكر لأمون لأنه صادق على هذا الحادث السعيد ، ومن الواضح أن هذه الادعاءات مزيفة لأنها تتدخل فى حكم توتموزيس الثانى من ناحية ولأن « حاشبسوه » كانت من ناحية أخرى لا تزال تنتحل فى الأيام الأولى من حكمها لقب « الزوجة العظمى للملك » .

ولقد حلت النعمة بـ « سننموت » فى النهاية ، انه ليس جديدا على أسماعنا بالنسبة لفرعون أن يخلد كبار موظفيه على جدران أثره الجنائزى وبيوبى الثانى فعل مثل ذلك الأمر فى جنوب سقارة كما فعلته « حاشبسوه » فى الدير البحرى ، ولكن الخطوة التى لا نظير لها من قبل لرجل محبوب من رجال البلاط - مهما بلغت قوته - هى أن يستخدم معبد مولاه لأغراض تعبدية تتصل به ، فهناك فى بعض مصلياته مشكاوات صغيرة أو غرف صغيرة لحفظ الأشياء التى تستخدم فى الاحتفالات وكانت لهذه المشكاوات أبواب خشبية تخفى ، حين تفتح ، جوانب الحائط خلفها (٣) وقد أمر « سننموت » أن تحفر صورته هنا وهو يبدو متعبدا من أجل رفاهية مولاته الملكة ، وكان يأمل أن يظل ما أمر به غير ملحوظ ، وان زعم أنه نال الأذن بذلك من مولاته (٤) ، ولكن هذه الحيلة كشفت لسوء الحظ فمحيط النقوش بغير رحمة وان بقيت مصادفة أربعة منها دون أن تكشف . وقد لقيت المصير نفسه ترتيباته من أجل ضريحه ، ذلك أنه فى أوائل عهده بوظيفته كان قد بدأ حفر سرداب للمقبرة الرائعة فى الشيخ عبد القرنة وهى اليوم مخربة تماما ولكنه رسم الخطة ، حرصا على سلامته أن يدفن فى غرفة صغيرة بالقرب من الطرف الشمالى للفناء الكبير لمعبد حاشبسوه ويوصل الى هذه الغرفة سسلم ينزل الى عمق حوالى مائة ياردة (٥) ، وقد كشف عن هذا المدخل ونلوك فى عام ١٩٢٧ م وقد شهد صورته ملونة فى كل مكان وان ترك اسم « حاشبسوه » دون أن يمس ويبدو أن غضبا أشد أنزل بتأبوت المصنوع من الكوارتز والذى كان موضوعا

(١) Op. cit., (III) pls. 60-73; B.A.R. II, 232-9

(٢) B.A.R., II, No. 243-5; P.M. II, 57 (34)

(٣) Winlock, Excavations, p.p. 105-6 with pl. 45

(٤) Mitt, Kairo, XV, 80 ff.

(٥) Winlock, op. cit., p.p. 137 ff.

بالقرب من قبره العلوى اذ وجدت بقايا مبعثرة الى مسافات بعيدة ، وكان آخر ما نسمعه عن سنموت فى السنة السادسة عشرة ولكن من المؤكد أن حاشيسوه نفسها عاشت بعد ذلك ، لدى خمس أو ست سنوات أخرى ، وما دامت قد أعلنت نفسها ملكا فلم يكن هناك ما يمنع من أن تحفر لها مقبرة فى بيان الملوك وهى المقبرة التى كشف عنها هوارد كارتير عام ١٩٠٣ (١) ومن الواضح أنه قصد أن تحفر تحت الجبل بحيث تكون حجرة الدفن تحت معبدها ولكن الصخر المفتت حال دون ذلك . وقد عثر على تابوتين يظن أن أحدهما كان ثمرة فكرة طارئة لديها لنقل جسد توثموزيس الأول اليه حين فكرت أن تنقله من مقبرته حتى يفيم معا فى العالم السفلى (٢) ، وليس من المؤكد أن هذا الهدف قد تحقق ولسنا ندرى على وجه التحقيق كيف كانت ميتهتها ولكن ذلك لا يبعد كثيرا عن الوقت الذى بدأ توثموزيس الثالث فيه يمحو اسمها حيثما وجد ، وقد خلفت الكثير من الآثار ولكن ليس بينها آثار فى الشمال سوى فى سيناء . وهناك نص طويل أمرت أن ينقش على واجهة معبد اقليمى سماه اليونانيون سبيوس ارتميدس (٣) جاء فيه أن موضع فخارها كان فى ترميم هياكل مصر الوسطى التى ظلت مهملة حتى عصرها .

« كان الآسيويون فى أفاريس فى شمال البلاد وكانت من بينهم حشود تقوم بهدم ما سبق تشييده ، كانوا يحكمون بغير مشورة رع ولم يحدث أن تم التصرف طبقا للأمر الإلهى حتى عصر جلالتي » .

والدعوى مبالغ فيها من غير شك وهى بعيدة عن الانصاف فيما يتصل بجهود أسلافها

وأصبح توثموزيس الثالث رجلا مكتملا وأطلقت يده أخيرا ، ومن الواضح أنه انتوى ألا تتفوق عليه زوجه أبيه المتوفاه التى كان يشابهها فى تصميمها من ناحية الرغبة فى الحصول على ذبوع الصيت عن إنجازاته وكما استخدمت هى معبدها فى الدير البحرى واستغلت مسطح جدرانها من أجل هذا الغرض استخدم هو معبد أمون رع فى الكرنك مما أتاح له أن يعبر على التوالى عن عرفانه للمعبود الذى كان قد أصبح اذ ذاك الإله الوطنى . كان الهيكل الذى بناء أول ملكين من ملوك الأسرة الثامنة عشرة

(١) P.M., I, 28, No. 20.

(٢) Hayes, R.S., p.p. 2, 11-12

(٣) J.E.A., XXXII, 43 ff.

عملا متواضعا ولكن منذ بدء الأسرة الثامنة عشرة أضيف الكثير ، وقد أسهم في هذا الأمر أمنوفيس الأول وتوتموزيس الأول وحاشبسوه مساهمة فعالة ومع ذلك فقد ظل مبنى الدولة الوسطى الحد من الناحية الشرقية - أما الى ناحية الغرب فان المبنى لم يمتد على طول المحور الرئيسى الى أبعد مما يعرف الآن بالصرح الرابع - وكان يجب أن تنقضى بضعة قرون قبل أن تبنى هذه المجموعة الضخمة من المعابد التى لا تزال بقاياها قائمة حتى اليوم ، وأكثر الاضافات وضوحا للعيان هى تلك التى قام بها توتموزيس الثالث ومنها بهو الأعياد الجميل الى الشرق والصرح السابع الى الجنوب ، أما ما شاده من أسوار وجدران وبوابات ففى كل مكان وتغطيها كلها مناظر ونقوش تنهض دليلا على تقواه وانتصاراته بل انه أمر أن ترسم فى صالة الأعياد النباتات العجيبة التى عرفها فى سورية وان كان تعريف هذه النباتات كفيلا بأن يدخل الحيرة والارتباك الشديد الى نفس عالم النباتات . وانا لنرى أنفسنا تظهر الشجن كعادتنا من جراء اختفاء كتل تكمل يوما هذه الروايات . ومع ذلك فان ما بقى يمكننا من أن نحكم على طبيعتها العامة وأهدافها ، ومما يثير الدهشة أن نجدها أكثر واقعية وأقل تفخيما من النقوش المماثلة للكثيرين من الفراعين الآخرين ، فهنا نرى أنه يمكن تقبل المعلومات فى ثقة كبيرة . وعلى أية حال فيجب أن نلاحظ أن معظم النقوش خاصة بأحداث سابقة لم تسجل الا بعد أربعين سنة من حدوثها حين أنهى توتموزيس من عمره سنين النشاط الحربى المتحمس ، وهناك بالاضافة الى نصوص الكرنك لوحتان تلخصان شجاعته الجسمانية وفنون اقدامه ، وقد أقيمت كبراهما وأكثرهما أهمية فى معبد بعيد جدا فى نينته (جبل البرقل) عند الجندل الرابع (١) ، وأما الأخرى فهى فى أرمنت (٢) ، وهى أصغر وأقل كمالا وان كانت تساوى أختها من ناحية تغطية الموضوع ، ولقد كان الحادث الذى يكرره توتموزيس ويعيد تكراره مرارا هو الحادث الذى كان يعده أساس كل مراحل نجاحه التالية ألا وهو انتصاره فى مجدو وهى مدينة قوية التحصين تطل على سهل أزدريلون وقد تم هذا النص فى العام الثالث والعشرين الذى يعادل العام الثانى من الحكم المشترك . وانا لنشهد القصة نفسها تروى على بعض جدران نالها التهشيم فى قلب معبد أمون رع (٣) .

Z.A.S., LXIX, 24 ff. (١)

Mond and Myers, Temples of Armant, London, 1940, pl. 103. (٢)

P.M., II, 33 (37) ff., 37 (73) ff. (٣)

لقد خلا حكم « حاشبسو » من أى مشروع حربي اللهم الا غارة غير هامة ضد النوبة (١) . وكان من أثر ذلك أن صغار الأمراء فى فلسطين وسورية رأوا الفرصة مناسبة لطرح النير الذى كان آلقاه عليهم توئموزيىس الأول ، وكان أمير قادش على رأس النائرين . وقادش مدينة كبيرة على نهر الأورنت ترجع أهميتها الى موقعها الحربى عند الطرف الشمالى لما يعرف بالبقاع (الوادى) وهى الرقعة الضيقة الواقعة بين لبنان ولبنان الداخلية (٢) ، وقد اتجه توئموزيىس الثالث عند نهاية الشهر الثامن من عامه الثانى والعشرين خارجا من قلعة الحدود « زل » (٣) قرب القنطرة الحالية على قناة السويس وهدفه كما يقول :

أن يقهر العدو الحسيىس وأن يمد حدود مصر وفق أوامر أبيه أمون رع (٤) .

وبعد عشرة أيام كان فى البقعة التى عرفت فيما بعد بالمدينة الفلسطينية غزة التى استولى عليها . وكان هذا اليوم يوافق يوم الاحتفال بعيد توليته أى اليوم الأول من عامه الثالث والعشرين ، وغادر غزة فى اليوم التالى ووصل بعد عشرة أيام الى مدينة يحم وهى تبعد على التحقيق كثيرا عن الحافة الجبلية التى كان عليه أن يعبرها قبل أن يستطيع أن يصل الى الالتحام بالعدو ، وهنا دعا مجلس الحرب وخاطب ضباطه قائلا :

ان هذا العدو الحسيىس من قادش قد دخل الى مجدو وهو هناك فى هذه اللحظة .

انه قد ضم اليه أمراء كل البلاد التى كانت موالية لمصر حتى نهرين . . . من سوريين وشعب قودى بخيلهم وجنودهم وشعوبهم وهو يقول (كما يزعمون) اننى سأقف لأحارب جلالته هنا فى مجدو « فخبرونى عما فى قلوبكم وأجابه الضباط على هذا بقولهم :

كيف يستطيع أى انسان أن يسير على هذا الطريق البالغ الضيق ؟ انه يشاع ان العدو يقف فى الخارج وانه أصبح كبير العدد . . . أليس من المفترض أن يسير الحصان خلف الحصان والجنود والناس كذلك ؟ هل ستبدأ الجبهة المعركة ، بينما لا تزال المؤخرة واقفة هنا فى عارونا لا تحارب ؟

(١) J.N.E.S., XVI, 99 ff.

(٢) Onom. I, pp. 137* ff.

(٣) Op. cit., II, p.p. 202* ff.

(٤) النصوص فى Urk. و I.V. 647 ff اما الترجمة وغيرها فانظر المراجع فى آخر

الفصل .

ان هناك طريقين : أحدهما ينفتح عند « تاعاناخ » والآخر الى ناحية الجانب الشمالى من دجفتى (زفتى) يوصلانا الى شمال مجدو فليتقدم مولانا الى حيث يقوده قلبه ، ولا يدعنا نتابع السير فى هذا الطريق الوعر . وجاءت تقارير جديدة بوساطة الرسل ، فرد جلالته قائلا :

طالما أنا حى وطالما يحبنى رع ، وطالما يعطف على أبى أمون ، وبوصفى مجدد الشباب بالحياة والقوة فان جلالتي سيتقدم على طريق عارونا ، فليذهب من يشاء منكم عن الطريق التى تحدثتم عنها وليتبع جلالتي من يريد . لاندعوا هؤلاء الاعداء الذين يمقتهم رع يقولون : أيتقدم جلالته عبر طريق آخر لأنه يخافنا ؟ لأنهم سوف يقولون هذا .

وأجاب الضباط فى تذلل .

لينجح الآله أمون رأيك ، هاك اننا فى حاشية جلالتك حيثما تنوجه جلالتك . . . ان الخادم يتبع مولاه .

وتقدم المقتطفات السابقة فكرة عن أسلوب هذه الرواية التاريخية وهى أول وصف كامل عن أية معركة حاسمة ومع ذلك فانه بدون اضافة الكلمات المفقودة هنا وهناك فان القليل الذى يبقى تستطيع ترجمته ، من هذه النقطة يزداد الفراغ حتى نجد أنفسنا فى كثير من أجزاء النص لا نفعل أكثر من أن نشير الى المقصد العام ، لقد اختار توثموزيس الطريق المباشر وان كان الأصعب واقسم ان يسير على رأس جيوشه ، وبعد ان استراح ثلاثة أيام فى قرية عارونا انطلق الى الشمال وهو يحمل أمامه صورة أمون لتشير الى الطريق وحين وصل الى مدخل الوادى اكتشف الجناح الجنوبى لقوات العدو عند تاعاناخ على حافة السهل ، بينما كان الجناح الشمالى منتشرا بالقرب من مجدو ، وكان من الواضح أنه من المتوقع أن يأخذ أحد الطريقين السهلين وادرك انه بالنسبة لهذا الخطأ فان الحلفاء معرضون للهزيمة من جراء ذلك ، وانتشرت جبهة فرعون الامامية على الوادى فى جنوب الرافد المعروف باسم قينا وعندئذ قال الضباط لمولاهم : -

هاك ان جلالته قد خرج مع جيشه المنتصر وقد ملأوا الوادى . ليصغ مولانا المنتصر اليها هذه المرة الوحيدة وليدعنا مولانا ننتظر مؤخرة جيشه وقوته فحين تصلنا مؤخرة الجيش فائنا نحارب ضد هؤلاء الآسيويين وسوف لا يعتورنا القلق على مؤخرة جيشنا .

وعمل الملك بهذه النصيحة وتوقفت جيوشه حتى الظهيرة حين بدأ
ظل الشمس يتحول وعندئذ تقدم الجيش كله الى جنوب مجدو على طول
ضفة الرافد قينا وكان الوقت الساعة مساء .

فنصب المعسكر هناك لجلالته . وأعطيت الأوامر للجيش كله
« اعدوا أسلحتكم لأننا سنلتحم بالعدو الحسيس في الصباح »

وقدمت مواد التموين واعتكف توئموزيس وجنده ليستريحوا ونام
الملك في خيمته الملكية نوما عميقا وفي الصباح أعلن ان الشاطئ خال
وأن القسمين : الجنوبي والشمالي للجيش في حالة طيبة ٠٠٠ كل هذا
حدث في اليوم التاسع من الشهر ، ومن عجب ان يقال ان المعركة لم تحدث
الا في الحادى والعشرين ٠٠٠ وربما كان ذلك بسبب انتظار العيد للقمر
الجديد ٠٠٠ وبعد ذلك نسمح عن خروج الملك .

(على عربة من الذهب مجهزة بكل عدة الحرب ، مثل حورس الذى
يلوح بذراعه سيد العراك ومثل مونت الطيبى) وللمرة الأخيرة يقدم
وصف لمكان القوات بالجناح الشمالى الى شمال غربى مجدو ، والجناح
الجنوبى على التل الى جنوب رافد قينا والملك فى الوسط بينهما ، وحين
قامت المعركة ابدى توئموزيس شجاعة شخصية كبيرة ، وكانت فوضى
واضطراب العدو كاملين فهربوا رأسا الى مجدو بوجوه مذعورة مخلفين وراءهم
خيلهم وعرباتهم الذهبية والفضية ثم أغلقت بوابات المدينة ورفعوا اليها
بجذبهم من ملابسهم ، وهنا نجد كاتب هذه القصة المفصلة يسمح لنفسه
بابتداء الأسى .

لو لم يضع هؤلاء الجند ، جند جلالته ، فى قلوبهم ان يتهبوا متاع
الأعداء لاستطاعوا فى تلك اللحظة حين كان يرفع الى الأسوار العدو
الحسيس من قادش والعسكو الحسيس من هذه المدينة ، وبينما كان
الآسيويون المبعثرون منبطحين كالأسماك فى الشبكة كان المصريون
يقسمون فيما بينهم متعلقاتهم وهم يقدمون الشكر لأمون ٠٠٠ ولكن
كان لايزال أمامهم حصار طويل استغرق سبعة شهور كما تسجل ذلك
لوحة نبتة . وأما كيف كانت هذه العملية حيوية فاننا نستطيع أن
نستشعر ذلك من وراء بضع كلمات كان توئموزه يعرض بها رجاله على
المزيد من بذل الجهد .

(أن كل أمراء البلاد الشمالية حبيسون فى داخلها ، ان الاستيلاء
على مجدو يعدل الاستيلاء على ألف مدينة) ولسنا نستطيع أن ننكر أن

وصف معركة مجدو بالحوار بين الملك وحاشيته يطابق الطراز المؤلف ، ولكنه من أجل ذلك لا يقل عنه قبولا للتصديق ، واما الحقائق الطبوغرافية ، فقد قام بتحقيقها في مواقعها عالم بالغ الكفاية (١) ، وكان نقله الوحيد المضاد ان ضيق الطريق المختار بولغ فيه بعض المبالغة . ولسنا بحاجة هنا الى أن نقص تفصيلات الحصار التي جاء عنها أنها سجلت على ملف من الجلد أودع في معبد آمون (٢) ، ويزعم المدعو تجنن الذي كان يعمل « كاتب جيش » في نص مقبرته (٣) انه خلد كتابة الانتصارات التي شهدتها بنفسه ، ولكن مادام عمله العسكري امتد خلال الحكم التالي لـ « توتموزه الثالث » فانه من المستبعد أن يكون قد اشترك في « حملة النصر الأولى » . اما نتائج الحملة فلم تؤد كما حدث في نوبيا الى تعيين نائب للملك هنا ، فظرووف فلسطين وسورية مختلفة اذ أن كل هذه المنطقة كانت بها مدن وولايات مستعدة لأن تدخل في معارك مع بعضها البعض أو ترتبط من جديد ببعضها البعض ، وكان ولاؤهم للغازي المصري يهزه دائما تهديد القوات الكبرى الأخرى التي تضغط من ناحية الشمال ، وبمعبد الكرنك من هذا العهد مناظر عظيمة للنواحي التي اخضعت ويمثل كل منها أسير مقيد الأيدي من خلف وتعد قائمة رؤساء الآسيويين ثلاثمائة وخمسين اسما على الأقل (٤) كما تذكر لوحة نبتة أسماء ثلاثمائة وخمسين أميرا اشتركوا في الصراع ضد المصريين عند مجدو . ولا نعجب كثيرا من أنه فيما بين العام ٢٣ والعام ٣٩ رثيت ضرورة توجيه أربع عشرة حملة منفصلة بقصد اخضاع كل المناطق الشمالية الشرقية ، وتهتم سجلات الكرنك بالغنيمة أو الجزية أكثر من اهتمامها بالعمليات الحربية ومع ذلك فهناك في بعض الخانات ما يلقي ضوءا على ما اتخذ من خطى وعن السياسة التي اتبعت ، وقد عني توتموزيس منذ البداية أن يعين أمراء جددا يختارهم بنفسه ويحمل معه الى مصر أخوتهم أو أطفالهم كرهائن (٥) واما الحقول حول مجدو فقد عهد بها الى مزارعين مصريين (٦) وبخاصة تلك النواحي المثمرة التي تزود الجيوش بحصص اضافية لتموينهم (٧) ، وهناك كذلك

(١) أنظر في آخر الفصل H.H. Nelson كمراجع .

(٢) B.A.R., II, No. 433.

(٣) Urk., IV, 1004

(٤) Urk., IV, 779-94

(٥) B.A.R., II, No. 467

(٦) Op. cit., II, No. 437

(٧) Op. cit., II, No. 461

اشارات مشئومة لتدمير المحصولات والبساتين (١) ، وقد كان هذا من غير شك عقوبة للرؤساء الذين يقودون أعمال المقاومة ، وهناك منظر يستحق الالتفات بخاصة هو تزويد الموانئ الساحلية بالمؤن مما يوحي بأنه كان يوجد في الشمال في جميع الأحوال معدات وربما رجال كذلك من البحارة المنشئين في سفن بنيت في الأحواض الكبيرة بالقرب من ممفيس (٢) ولم يكن من الممكن لمثل هذا التنظيم الناجح أن يفشل في التأثير على حكام الولايات الهامة التي قد تستشعر التهديد ... ونحن نقرأ عن هدايا كان يرسلها ملوك آشور (٣) وسنجار (بابل ، شنعار التوراة) (٤) وحتى خاتى العظمى (الحيشيون) (٥) في هذه المرحلة الأقل خطرا .

أما حجر العشرة الحقيقي ضد خطط التوسع ل توموزيس الثالث فكانت على أية حال قوى نهريين التي سلفت الإشارة إليها عند الحديث عن توموزيس الأول (صفحة ٢٠٠) وكان عبور الفرات ثم هزيمة ملك ميتاني العمل الذي توج الحملة الثامنة في العام ٣٣ (٦) حوالي ١٤٥٧ ق م . وهاك وصفا تفصيليا جاء على لوحة نبتة .

عبر جلالتي حتى أبعد الحدود في آسيا ، وأمرت أن تبني قوارب كثيرة من الأرز على تلال أرض الآله في مجاورات « سيدة ببلوس » (٧) ، ووضعت فوق عربات (أي عربات ذات عجل) تجرها ثيران وسافرت أمام جلالتي لكي تعبر هذا النهر العظيم الذي يفيض بين هذه البلاد ونهريين ... كلا ... ولكنه ملك يفاخر به بالنسبة للاستعدادات التي قام بها جيشاه في المعركة ذلك الذي عبر الفرات لمطاردة من هاجمه ، وكان على رأس جيشه في السعي وراء ذلك العدو المحسيس على جبال ميتاني حين هرب خوفا أمام جلالته إلى بلاد بعيدة ... عندئذ أقام جلالتي لوحة على ذلك الجبل في نهريين قطعت من الجبل الواقع على الجانب الغربي للفرات .

(١) Op. cit., II, No. 416-465

(٢) T. Säve-Söderbergh, The Navy of the Eighteenth Egyptian Dynasty, Uppsala 1944, p. 33 ff.

(٣) B.A.R., II, No. 446-9; Onom. I, p. 191*

(٤) 3.A.R., II, No. 484; Onom. I, p. 209*

(٥) B.A.R., II, No. 485; Nom. I, p. 127*

(٦) B.A.R., II, No. 476 ff; J.E.A. XXXII, 39 ff.

(٧) هذا النعت للربة بعالات أو حتحور يستخدم هنا كاسم للاقليم نفسه .

وهناك أوصاف أخرى لتلك الحملة (١) ، ولكن ليس من بينها ما يعدل هذه من ناحية التفاصيل ، ولئن كان الطريق من ببلوس يمر عبر قطنة وتونب (قرب حلب) وقرقيش فان معنى نقل هذه القوات قطع أكثر من مائتين وخمسين ميلا كما ان استخدام عربات تجرها الثيران من ذوات الأربع عجالات ظاهرة غير متوقعة تماما ، ومع ذلك فربما لم يكن النصر عظيما بالصورة التي اشير اليها لأنه بعد عامين حدثت الحرب من جديد مع أمير نهرين (٢) وان لم يكن هذا في الافليم نفسه ، وهناك بعض الأحداث في رحلة العودة تستحق الذكر ، ذلك ان وقت الفراغ لدى الفراعين لم يكن أقل ورودا في النصوص من فنونهم ولسنا في حاجة لأن تستولى علينا الدهشة حين نعلم ان توثموزيس الثالث شأنه في هذا شأن جده (صفحة ٢٠٠) اتجه في بقصد صيد الفيلة (٣) وهناك مصدران متميزان يشيران الى أنه اعترضه هناك قطيع من الفيلة ، عدته مائة وعشرون فيلا على الأقل ، وفي هذه المناسبة نزل أحد أتباعه الشجعان ويدعى امنمحاب الى الماء وقطع خرطوم أضخم هذه الحيوانات . وتروى قصة حياة الرجل الذي كتبها على مقبرته في أسلوب حماسي من بين ما تقصه من أحداث أخرى قطعة غير عادية من الخطط الحربية من جانب أمير قادش ذلك ان فرسا اطلقها كانت كفيلة ان تثير الاضطراب بين خيول العربات المصرية لو لم يتابعها امنمحاب ويرميها بسكينه ثم يقدم ذيلها الى فرعون ، وقد دمرت مدينة قادش في العام الثلاثين ثم تمت زيارة جديدة لها بعد ذلك ودمرت أسوارها الجديدة ٠٠ وحتى هذه المرحلة لم تكن هذه المناطق المجاورة قد أخضعت تماما وذلك لأننا نعرف عن ثلاث من قراها بأنها نهبت في العام الثاني والأربعين (٤) .

ونحن نحتاج في الواقع الى حيز أكبر بكثير من المخصص هنا لنسجل النجاح الحربي للملك توثموزيس الثالث ان نحن أردنا أن نكون موفقين في معالجتنا لذلك الأمر ، وعلينا كذلك أن نمر مرور الكرام على الحملات الأقل اثارة للاهتمام في النوبة الا فيما يتصل بذكر صيده هناك لخرتيت وهو أمر نادر جدا في النصوص المصرية (٥) ، ونحن هنا كذلك لانستطيع

(١) لكل ما يلى انظر Onom. I, p.p. 153 ff.*

(٢) B.A.R. II, No. 498-9

(٣) Op. cit., II, No. 588, f. ١٣

(٤) تقرا ثلاث قرى بدلا من كلمة «مدن» B.A.R., II, No. 531

انظر كذلك Urk, IV, 730

(٥) A.N.E.T., p. 244; Urk, IV, 1246, 1248

أن نتحدث بالتفصيل عن نشاطه البنائى أو أعياده التى أقامها تكريما للآلهة بل يكفى أن نقول أن قليلا من المدن هى التى لم تنعم بإحسانه ، أما المعبد الجنازى (١) الذى بناه لنفسه على حافة الصحراء الغربية فى طيبة فقد دمر تماما تقريبا ولكنه لا يبدو أن به شيئا معينا يثير الاهتمام ، وأما قبره فى بيبان الملوك فلا يختلف كثيرا عن قبور أسلافه (٢) ، وفى المقبرة برد ذكر أسماء لا أسم أمه ايزه فحسب وانما اسم زوجته الرئيسية كذلك وهى مريت رع التى كانت تسمى حاشبسوه الثانية ، ثم كذلك زوجتين أخريين (٣) ، هذا الى أنه كانت هناك ثلاث أخريات يحملن أسماء أجنبية - ليس من غير المحتمل أنها آسيوية - عثر عليهن بحليهن الثمينة فى قبر بعيد ظل سليما من غير شك حتى اكتشفه وسرقه المواطنون المصريون عام ١٩١٦ (٤) ، وقد وجد تابوت الملك كما وجدت موميائه فى خبيثة الدير البحرى (٥) . ولئن صدق ما يزعمه «فرشوه» من أن مظهر الملك يبدو شابا فان معنى هذا أنه لم يكن سوى طفل حين ادارت زوج ابيه شئون الحكم تحت اسميهما المشترك وهو يرى انه مات وهو فى الرابعة والخمسين من عمره (٦) .

ولم يكن هناك من بين نبلاء عصره من هو أعظم من رخميرع الذى يزور كل السائحين مقبرته فى طيبة ، والمحفوفة فى حالة جيدة ، وكان يشغل وظيفة وزير فى « المدينة الجنوبية » ولسنا نستطيع سوى الاشارة العابرة لمناظر الأجانب والضياح التى تزين الجدران ولكن هناك صورا لا يمكن أن نتغاضى عنها هى صور المدن الكثيرة من سنموت ، جزيرة بجا عند الجندل الأول ، حتى أسيوط فى المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات الوحه القبلى ويظهر فى هذه الصور فى معظم الحالات العمدة ومسجل الناحية وبعض الكتاب وجماعة من صغار الموظفين يأتون بمختلف السلع كالتزامات واثاثات تدفع لمكتب الوزير . وقد خصص

(١) P.M., II, 148

(٢) Hayes, R.S., p.p. 22 ff.

(٣) P. Bucher, les textes des tombes de Thoutmosis III et d'Amenophis II, (٣) Cairo, 1932, pl. 24

(٤) H.E. Winlock, The Treasure of Three Egyptian Princesses, New York, 1948.

(٥) P.M., I, 175 No. 16

(٦) B.A.R., II, No. 592

أحد الجدران لتكريس ومديح رائع لوظيفة هذا الرجل العظيم مع وصف مختصر لتقدمه للحضرة الملكية ولكن ما هو أكثر أهمية نصان طويلان يتكرران في مقابر عدة وزراء التقينا بواحد منهم في أوائل هذا الكتاب يسجل الحديث الذي يفترض أن يوجهه فرعون في يوم تعيين رئيس قضائه فيقال له مثلا ان الوزارة ليست عملا حلو المذاق ولكنها مرة كالعفص وأن الشاكي يفضل أن يسمح له بأن يستمتع الى مأساته أكثر من أن توضع موضع العدالة ، ورغم أن هذا النص قيم من الناحية السيكلوجية الا انه ليس له من الناحية التاريخية ما للنص الآخر الذي يحدد واجبات الوزير المتعددة ، والمشكلة الوحيدة هنا هي اننا لا نستطيع ان نتأكد من التاريخ الذي كتبت فيه هذه الموضوعات الحيوية جدا وليس مما لا استطاع تصوره انها ربما ترجع الى عهد الدولة الوسطى .

وأما عن الشخصيات الأخرى البارزة التي عرف عنها انها ازدهرت في هذا العهد فان عددها لا يمكن أن يقل عن مائة وللكثيرين منهم مقابر رائعة في تل الشيخ عبد القرنة حيث تسجل الرسوم الملونة والنقوش نشاطهم المتنوع ، وكان يعدل رخميرع في الأهمية الكاهن الأكبر لأمون رع المدعو « من خبروع سونب » الذي كان واجبه قبل المعبد الكبير ، الكرنك يتطلب جميع الثروات من كل العالم ، والجدران الملونة في مقبرته يظهر فيها الأمراء الحيشيون والسوريون وهم يحضرون جزاهم من أوان غالية ، بينما يقدم الموظفون من قفط الذهب حلقات وفي أكياس اسهاما من الصحراء الشرقية وكوش ، وتتحدث النقوش عن المسلات وساريات الاعلام التي كان من واجبه أن يشرف على اقامتها ، وهناك كذلك صور نجارين وفلاحين يضمنون نصيبهم الى ثروة الاله ، وانه لمن المستحيل هنا أن نفعل أكثر من أن نشير الى واحد أو اثنين من الموظفين البارزين في العصر مادام ليس في الاستطاعة تقديمهم جميعا في صورة مترابطة نرتاح اليها ؛ ان مقبرة من يدعى دحوتى ، الذي كان يشغل وظيفة المشرف على الأقاليم الشمالية كما كان قائدا ، لم يكتشف عنها بعد ، ولكن يوجد بمتحف اللوفر طبق فاخر من الذهب أهده اياه الملك وكذا نلتقى في بعض المتاحف ببضعة أشياء تخصه (١) وهو كذلك بطل لقصة تشبه كثيرا قصة « الاربعين حرامى (٢) » . وهناك صعوبة نحس بها

F. Chabas, Œuvres Diverses, I, 225 f. The Devéria, oeuvres (١)

Diverses, I, 35; Urk IV, 999 ff.

J.E.A., XI, 225 f. (٢)

عاليا وذلك حين نجد موظفا يشغل بأعمال لا صلة لها بوظائفه الأصلية ،
فهناك مثلا منموزة وهو المشرف على الاعمال الذى نظم الانششاءات.
البنائية فى أكثر من اثنى عشر معبدا نجده يصحب توثموزيس الثالث.
فى حملاته الى نوبيا وسورية ويقوم بجمع الضرائب لمولاه ٠٠ هذا الى
انه عين كذلك مشرفا على الكهنة فى المعبد الذى كان يعمل به (١) .

ويلاحظ أنه خلال الاثنتى عشرة سنة الأخيرة من حكم توثموزيس
الثالث لم يسجل ارسال حملة الى سورية وبالرجوع للوحة نبتة من
السنة السابعة والأربعين لانراها تقدم جديدا فى هذه الناحية سوى
التسليم السنوى للاخشاب التى يقوم بسحبها الى الشاطئ امراء لبنان
والتي كانت تحمل على المراكب بعد ذلك الى مصر ٠ وفى العام الخمسين.
أثناء عودة الملك من النوبة مر فى الجندل الأول وفعل مثل ما فعل من
قبل سنوسرة الثالث وتوثموزيس الأول اذا أمر بتطهير القناسة التى
كانت قد سدتها الأحجار (٢) . وربما كان آخر مظهر نشاط فى حياته
هو اهتمامه بتصميم عمائر جديدة والاستمتاع بالثروة الهائلة التى
جمعها ، ولكن ماذا كان يحدث فى نفس الوقت فى الشمال الشرقى
الدائم الاضطراب ؟ ان خاتى (٣) كانت تمر فى أزمة طويلة بسبب
الصراع والتفرق الداخلى ، ولم تكن بعد فى مركز يسمح لها بمد نفوذها
الى أبعد من حلب التى هاجمها ملكها تودها لياس الثانى ودمرها فى
تاريخ غير محدد فى أواسط القرن الخامس عشر ، وكان الخط الرئيسى
بالنسبة للنفوذ المصرى فى هذه الفترة يكمن فى ميثانى التى ذكرت فى
النصوص الهيروغليفية منذ حكم أمنوفيس الأول (٤) ، وكانت تحكم
هذه المملكة القوية أسرة من الجنس الآرى فرضت سلطانها على الحوريين
فى جبال أرمينيا ، ولسنا ندرى على وجه التحقيق الى أى مدى استطاع
الميتانيون أن يزحفوا الى سوريا الشمالية ، ففي النصوص الهيروغليفية
نجد ان اصطلاحى ميثانى ونهرين يعنىان الشئ نفسه وان كان لفظ
نهرين يستخدم غالبا للإشارة المحددة الى الأرض وراء الفرات ٠ وعلى
أية حال فان المباهاة المستمرة بأن الاقدام وطئت نهرين لاتدع مجالا

Urk, IV, 1441 ff. (١)

B.A.R., II No. 649-50 (٢)

Gurney, p. 26. (٣)

p. 175, No. 3 فى النص المذكور فى (٤)

للتشك في الاحساس بأول المحرضين على العصيان والاضطراب في سورية وفلسطين ولقد كان تهديد ميتاني فعلا بعد قهرها على يد سوبيللو ليوماس عام ١٣٧٠ ق.م. ثم من خلفائه من الحيثيين وفيما بعد الاشوريين ، حتى اننا لانرى مدى ثمانمائة عام تقريبا جيشا مصريا يشق طريقه حتى يصل الى الفرات . وهذه القوى المصرية التي أخذت تبني تدريجا لم تقم عائقا على أية حال في عهد ابن توثموزيس الثالث دون محاولة محاكاة انتصارات أبيه .

كان أمنوفيس الثاني (١٤٣٦ - ١٤١٣ ق.م) ابنا لحاشبسوه مريت رع التي ذكرنا من قبل انها كانت الزوجة الرئيسية ل توثموزيس الثالث ، وقد ولد في منف (١) ، وقد شغل في سنه الباكورة بالاشراف على تسليم الأخشاب لترسانة السفن الكبرى في « برونوخه » بالقرب من ممفيس ، ويبدو انه كان يشغل في الوقت نفسه وظيفة « ستم » أى الكاهن الأكبر في العاصمة الشمالية (٢) . وهناك لوحة كبيرة (٣) لم ترفع عنها الرمال بعد بالقرب من أبى الهول ، تقدم بيانا مليئا بالمبالغة في الثناء على ما قام به من أعمال . ولقد كانت قوته الجسمانية غير نادرة اذ يقال أنه كان في استطاعته أن يصوب نحو هدف معدنى سمكه قبضة يد فيخرقه بحيث يبرز سهمه من الناحية الأخرى . ومن سوء الحظ ان مثل هذا الأمر يحكى كذلك عن توثموزيس الثالث وان كان بتفصيلات أقل (٤) ، ومن ثم فلنا عذرنا في التشكك ، وعلى أية حال فان هناك أمثلة أخرى لبسالته واقدامه الرياضى وهو أمر ينفرد به بحيث لا نستطيع أن ننحيه جانبا ، ذلك انه لما بلغ الثامنة عشرة كان قد برع في كل فنون مونت اله الحرب ، كان مجدفا يستخدم مجدفا طوله عشرون ذراعا فيعدل في تجديفه مائتى رجل ويبعد في تجديفه ستة أمثال ما يفعلون دون توقف ، وكان خيالا رائعا حتى عهد اليه أبوه توثموزيس بخيرة جيساد حظائره التي مرنها بحيث كانت تستطيع قطع مسافات طويلة دون أن يتصيب منها العرق ، وهناك نص عجيب من سمنه يؤرخ بالسنة الثالثة والعشرين (٥) يشير الى طباعه في أخريات حياته ، وبقدر

(١) Urk, IV, 1366

(٢) ZÆS LXVI, 105 ff. L. XVIII, 7 ff.

(٣) A.N.E.T., p. 244

(٤) Op. cit., p. 243

(٥) Urk. VII, 65 ff.

ما نستطيع أن نفهم من النص يبدو انه كان فى مجلس شراب فانطلق لسانه باظهار الاحتقار لأعدائه الأجانب معلنا بأن الشماليين بما فيهم « عجوز أرباخ » و « قوم نخسى » (١) لا جسدوى منهم ولكنه يأمر نائبه فى النوبة أن يحذر القوم هناك وكذا سحرتهم ، ويحرضه على أن يستبدل أى رئيس يشتم منه المعارضة بآخر وضيح النشأة .

وقد تابع امنوفيس الثانى النشاط المعمارى الذى كان قد بداه أبوه ، ففى الكرنك كان قد بولخ فى تمجيد أمون رع فرأى امنوفيس الثانى أن يكرس مظاهر تقواه للأقاليم دون اهمال الاله الطيبى العظيم كلية . وهناك لوحة صخرية فى طره تشير الى أنه فى السنة الرابعة من حكمه كان منموزة لا يزال مشغولا بمعابد الدلتا (٢) وفى عمدا - وهى مدينة هامة هى وسط النوبة السفلى - لا يزال يرى الكثير من المعبد الجميل الذى بديء فى بنائه فى عهد سلفه ، وكان المعبود المحلى « حورس ميعسام » وقد تضاءل أمام الهى الدولة الكبيرين رع مراخنى وأمون رع (٣) ، وقد رسمت تحت صورهما - وهما جالسان فى قارب وكأنما يزوران المكان ، يقصفان بالنبيذ الذى يقدمه الملك - رسمت لوحة لا تزال قائمة فى حالة جيدة ظلت طويلا مصدرا لمعلوماتنا عن أعمال الملك ، فبعد النعوت التى لا بد منها والتى تشير الى قوته ، نجد تقريراً عن المنشآت فى المعبد التى تقام صورة طبق الأصل من نسخة منقولة عن معبد خنوم فى الفنتين (٤) ، وتلى ذلك فقرات تسجل عملا من أعمال الربرية التى كانت تعد فى مثل الجو الخلقى الفج لذلك العصر الحربى . موضع فخار . . ولقد جاء فيها : -

بعد ان عاد جلالته من رتنو العليا ، وبعد أن فهر اولئك الذين لم يستشعر حبهم له وبعد أن مد حدود مصر فى حملة النصر الأولى له ، عاد جلالته فرح القلب الى أبيه أمون بعد أن قتل بهراوته الرؤساء السبعة الذين كانوا فى ناحية نخسى ووضعهم مقلوبين على مقدم سفينة جلالته التى كان اسمها « عاخبررع - مثبت الأرضين » وقد علق ستة من هؤلاء الأعداء على واجهة جدار سور طيبة . . أما السابع فقد أرسل

(١) انظر صفحة ٢٢٥ .

(٢) Urk, IV, 1448.

(٣) P.M., VII, 65 ff.

(٤) A.N.B.T., pp. 247-8.

يسفينته الى النوبة وعلق هناك على جدار سور نبتة ليكون عبرة تريهم
قوة انتصار جلالته الى الأبد .

وقد ارخت لوحة عمدا بالسنة الثالثة وتوصف الحملة السورية
المقصودة هنا بأنها أول حملة نصر ، وقد أثار هذا الاصطلاح الكثير من
الحيرة عند العلماء ؛ لأن الكلمات نفسها استخدمت فى لوحة كبيرة أخرى
من السنة السابعة ، - وهو أمر غير بعيد الاحتمال - (وتخصى لا تبعد
كثيرا عن قادش على الاورنت ، وهى الحملة نفسها التى جاء ذكرها على
تمثال ل منموزة عثر عليه فى مدامود (١) ، يشير فيه أنه شهد جراءة
واقدم مولاة حين « غزا ثلاثين مدينة فى ناحية تخصى » والملك الذى
يشار اليه هنا هو من للاحية الشكلىة توثموزيس الثالث ، ولكن ربما
كان صاحب هذه الفعلة امنوفيس الثانى الذى كان يعمل بدلا من أبيه
- ان هناك حقا بعض الدلائل التى يشك فيها والتى تشير الى قيام
اشتراك فى الحكم فى أخريات عهد توثموزيس الثالث (٢) - وأن كان
هذا يتعارض وما ذكر من قبل فى رواية المحارب امنمحاب .

ولقد عرفنا من زمن بعيد لوحة مهشمة الى أجزاء ، كثيرة العيوب ،
عثر عليها بالكرنك تتناول بالوصف انتصارات امنوفيس الثانى وقد
ظلت هذه اللوحة غير ذات أهمية من الناحية العملية حتى عام ١٩٤٢
حين عثر على لوحة مماثلة فى ممفيس (٣) هى من ناحية صورة طبق
الأصل ثم هى مكتملة من الناحية الأخرى ، وبالرغم من وجود بعض
الاختلاف الا أن النصين يكمل احدهما الآخر ، والشائبة المشتركة
بينهما ترجع الى أن كثيرا من الجمل قام بمحوها شركاء الملك المتعصب
اخناتون وهو تشويه لم يستطع اصلاحه العلماء الذين استخدمهم
سيثوس الاول - المصلح الأكبر لآثار السابقين - وهاك ترجمة مطلقة
غير مقيدة لبعض المقتطفات التى تبين رواية من أكثر الروايات حيوية فى
التاريخ المصرى .

بعد التاريخ بالسنة السابعة ثم النعوت التى لا يمكن تحاشيها

(١) انظر P. 197, No. 3.

(٢) توجد خراطيش الملكين الواحد الى جانب الآخر لا فى « معبد عمدا » وحده بل فى
مقبرتى طيبة اللتين تحملان رقمى ٤١ ، ٢٠٠ ، ومع ذلك فعلينا أن نحذر القارىء من
التعاضد وراء مثل هذا النوع من الأدلة .

(٣) A.N.E.T., p.p. 245-7 انظر المراجع آخر الفصل .

والتي تمتدح شجاعة الملك ، نلتقى بفقرة تصف تدمير مكان يدعى شمس
أدوم لا يبعد أكثر من مسيرة يوم من قطنة وهي مدينة هامة على بعد
أحد عشر ميلا الى شمال شرقي حمص (١) ، وخلف النصر السريع في
أيدي المصريين عددا قليلا من الآسيويين والماشية . عند هذه النقطة
تبدأ الرواية الفعلية :

عبر جلالته الاوربت فوق مياه مضطربة كالاله رشف ثم استدار
ليستطلع مؤخرة جيشه فشهد بعض الآسيويين الذين كانوا قد جاءوا
خلسة من مدينة قطنة ليهاجموا جيش الملك ، وكان جلالته مزودا
بأسلحة القتال فانقض جلالته على ظهورهم كما يطير الباشق المقدس
فتراخوا وسقطت قلوبهم وارتى كل منهم فوق صاحبه بما في ذلك
قائدهم ، ولم يكن هناك أحد مع جلالته سوى شخصه وذراعه القوى . لقد
ذبحهم جلالته دفعة واحدة .

وبعد اشارة مختصرة الى ارتحال الملك والى الاستيلاء على الغنائم
نجد نص الكرنك يتابع ذلك بفقرة كاملة جاء فيها : -

الشهر الثاني من فصل الصيف ، اليوم العاشر ، العودة من جديد
الى الجنوب . . تقدم جلالته بعربته الى مدينة نى وكان اسيويو المدينة
رجالا ونساء على الأسوار يعبدون جلالته ويظهرون اعجابهم بالاله
الجميل .

ولقد أشرنا من قبل مرتين الى نى عند منظر صيد الفيل ، وذكرها
هنا له قيمته لأنه يرتبط بوجهة النظر القائلة بأن هذا المكان ليس على
الفرات كما كان يظن البعض ، وأما الفقرة التالية فمصدر صعوبة من ناحية
ما يجب أن يفهم على وجه التحقيق ذلك لأن مدينة اوجاريت تحتاج الى
وقفة لا بد منها ، واوجاريت هي التي تعرف اليوم باسم رأس الشمرة
على الشاطئ الى شمال لايدوشيا بقليل ، وهي الناحية التي قام شيفر
فيها بحفائر موفقة . وكان من بين ما عثر عليه الكثير من الألواح الطينية
المكتوبة بالحروف الاسفينية : -

« ونما الى علم جلالته ان بعض الآسيويين الذين كانوا في مدينة
اوكتا يبحثون عن طريقة لطرد حامية جلالته خارج مدينته وليحطموا
وجه الأمير الذي كان مواليا لجلالته . وعلم جلالته بهذا الأمر في قلبه

فأحاط كل من تحده في هذه المدينة وذبحهم على الفور وهكذا أخذ هذه المدينة وهدأت الأرض كلها . »

وكان لابد من بعض الراحة بعد هذه الشدة ، وبعد أن استراح في خيمته انطلق الى المناطق المجاورة لمدينة جالخي (١) وخرج الملك لغزو بعض القرى واتجه الى أخرى لينتقل خضوع رؤسائها ، وعند وصوله الى قادش جاء بعض الأمراء ومعهم أطفالهم ليقسموا يمين الولاء له ولكي يستعرض مهارته وفي الوقت نفسه يظهر قوته .

سدد بعد ذلك نحو هدفين من النحاس في حضرتهم على الجانب الجنوبي للمدينة ثم قاموا برحلات الى ريبي في الغابة ، وعادوا بملا يحصى من الغزلان والثعالب والأرانب والحمر الوحشية .

ولكن كانت أمامه مهام أشق ، وتقص لوحة ممفيس بقية حملة أمنوفيس الأولى في الكلمات التالية :

تقدم جلالته على عربته الى خشسبو (٢) وحيدا بغير رفيق ثم عاد بعد فترة قصيرة ومعه ستة عشر أسيرا مقيدين الى جانب عربته وكذا عشرين يدا على جباه خيله وستين من الماشية مسوقة أمامه وقدمت هذه المدينة الخضوع الى جلالته . والآن بينما كان جلالته متجها جنوبا الى سهل شارون (٣) وجد رسولا من أمير نهرين يحمل لوحا من الطين في رقبته فأخذه أسيرا حيا على جانب عربته . ثم انطلق جلالته عائدا الى مصر ومعه اثنان من ٠٠ والمريانو كأسير حي على عربة واحدة معه . وصول جلالته الى ممفيس بفرح قلب كثور منتصر .

حصيلة هذه الغارة : ماريانو ٥٥٠ وزوجاتهم ٢٤٠

كنعانيون ٦٤٠

أبناء أمراء ٢٣٢

بنات أمراء ٣٢٣

(١) انظر Am. 126, 5, Onom., I, 165*

(٢) Am. 174-4

(٣) قرب الشاطئ بين الكرمل ريفا وقد تردد ذكرها عدة مرات في أشعيا وفي فقرات أخرى في التوراة .

موسيقىات لأمرأ من جميع البلاد ٢٧٠ ومعهم آلاتهم من الفضة
والذهب .

المجموع ٢٢١٤ (١).

ومن الخيل ٨٢٠

ومن العربات ٧٣٠ ومعهم كل أسلحة القتال الخاصة بهم .

وشهدت زوجة الآله ، زوجة الملك ، ابنة الملك (الاسم مفقود)
انتصارات جلالته وتمت الحملة التالية فى السنة التاسعة وكانت على
نطاق أضيق من الأولى ، ولم يقد الملك الجيش المصرى الى أبعد من بحر
الجليل ، وقد ذكرت بضعة أسماء لأماكن مثل ايحق ويحم وسوخو
واناهارات وهى مما سبق ذكره فى قوائم توثوموزيس الثالث أو فى التوراة
أو فى كليهما ، وقد حددت أماكنها تحديدا فيه كثير من احتمال الصحة ،
والرواية عن الحملة تسير على النسق نفسه للحملة الأولى وإن ظهرت
بها بعض التجديدات ، فقد ذكرت من جديد ليلة الراحة فى الخيمة
الملكية ولكن الآله أمون يظهر هنا فى حلم ويعبد بالنصر وبعد العملية
الهامة من قبض على الأسرى ونهب نقرأ عن احاطة المعسكر بحفرتين
كبيرتين ملئتا بالنار وظل فرعون يقوم بالحراسة الليل كله لا يقوم على
خدمته سوى تابعه الخاص . . وهذا الاصرار على شجاعة الملك الشخصية
فى غياب جيشه أمر شائع فى مثل هذه النقوش ، وهو من مميزات
العنصر الكبير من الأسطورة التى تحويها هذه النصوص ، وقد فام
« ايدل » بتحليل دقيق لمجموع ما نهب فى كل حملة ، وقد كشف من
وراء ذلك عن تفصيلات هامة لا نستطيع التعليق هنا سوى على القليل
منها ، وتضم القائمة فى نهاية اللوحة الممفية نتائج لا الحملة الثانية
وحدها بل الحملة الأولى كذلك ، ومن هنا نستطيع أن نفسر أمر ال
١٥٠٧٠ أسيرا من ناجاسو لأنه من الواضح أن هؤلاء هم ال نوحاشى فى
الوثائق المسمارية الذين عرف عنهم انهم كانوا يحتلون الاقليم الواقع
بين حمص وحلب (٢) والرقم الذى نراه مسجلا يدعو للعجب ، شأنه فى
ذلك شأن بقية الأرقام عن الشوسو أو البدو وعن الخورين الذين اشتق
اسمهم - الذى اشتمل فيما بعد كل الفلسطينيين والسوريين - من الغزاة
الحوريين من الشمال ، وتسبق هذا مباشرة اشارة الى ال « عابرو » ،

(المترجم)

(١) من الواضح ان هناك خطأ حسابيا

(٢) Onom. I, p.p. 168* ff.

وهو اصطلاح نوقش كثيرا ولا نستطيع أن نتجاهله (١) ، فمنذ سنوات قليلة مضت كان هناك من يؤكد في ثقة ان هؤلاء الاقوام هم أنفسهم العبرانيون في التوراة ، ولكن هذا الأمر لا يتقبله اليوم سوى قلة من العلماء وانه من المسلم به عامة على أية حال انهم هم الخابير (أو على الأصح الخابيرو) الذين جاء ذكرهم في ألواح العمارنة ، ويبدو أنه اصطلاح شامل أطلق على ال «منبوذين» أو «العصابات» التي لا تنسب الى أية مجموعة جنسية محددة وهم يظهرون في النصوص المصرية كآسرى آسيويين يستخدمون في المحاجر ، أما فيما يتصل بكلمة ماريانو الذين تردد ذكرهم في لوحاتنا ، فتكاد الآراء تتفق عليهم . ذلك ان هذه الكلمة الهندوإيرانية تشير الى أعلى طبقة من المحاربين في مدن سورية وهم أولئك الذين كان يعهد اليهم بالعربات وبخيولهم الشخصية .

وتنتهى لوحة ممفيس بفقرة تستحق أن تترجم كاملة :

والآن حين سمع أمير نهرين وأمير خاتى وأمير سنجار بالنصر العظيم الذى تم لى تنافس كل منهم مع صاحبه بكل وسائل الاهداء من كل البلاد وتحديثوا فى قلوبهم الى اب آبائهم ليسأل لهم السلام من جلالته مقابل أن يمنحهم نسمة الحياة « جئنا الى قصرنا بجزيتنا يا ابن رع امنوفيس حاكم الحكام والأسد الغضوب فى كل البلاد وفى هذه الأرض الى الأبد » ، ولعل من المهم هنا تلك الإشارة الى القوى الثلاث الكبرى الشمالية (٢) التى ربما كانت ترنو بعين جشعة الى الاقليم السورى وفى الواقع ربما كانت منافستهم فيما بينهم هى التى منعت أيا منهم من السعى لاخراج المصريين مما بقى من فتوح توتموزيس الثالث الآسيوية ، وفى خلال السبع عشرة سنة أو العشرين سنة الباقية من حكم امنوفيس الثانى لا نلتقى بإشارة الى مناقشات حربية كما أنه فى مدة حكم ابنه توتموزيس الرابع الذى يقدر له مانيتو - وهو فى هذا صادق فى تقديره فى أغلب الأمر - تسع سنوات ، نجد أن أحماد ثورة نوبية فى العام الثامن (٣) هى كل ما يسجل تقريبا ، وفى خلال هذا الربع قرن الذى يكاد يخلو مما يزودنا بمعلومات تاريخية نجد الشخصيات البارزة من الأشراف يزينون مقابرهم بالقرنة بصور ملونة فاخرة فهناك رجل على سبيل المثال يدعى قنامون (٤) كان الوكيل الاول لأمنوفيس فى مركز

(١) المراجع فى آخر الفصل .

(٢) انظر صفحة ٢٠٠ .

(٣) B.A.R., II, No. 823-9; Urk. IV, 1545 ff.

(٤) P.M. I, 123, No. 93

صناعة السفن الممفى فى «برونوفه» وكان من بين واجباته أن يقدم للملك فى مناسبة العام الجديد خيرة انتاج مصانعه ، وقد صورت على جدران المقبرة تماثيل وأوان ودروع وعربات وأثاث من كل نوع وكلها رسمت ملونة فى عناية ودقة ، وهناك لوحة من السنة الأولى من عهد توثموزيس الرابع (١) تروى كيف انه بينما كان يصيد ، وهو يافع فى المناطق المجاورة لأبى الهول فى الجيزة ، تلقى فى حلم الوعد من حرماخه (حرماخيس) (وهو الاله الشمسى الذى يجسده) بأن يكون ملكا * وكان عليه فى مقابل ذلك أن يخلص المعبود من الرمال التى تثقل عليه - وأما النهاية المفقودة فلا بد أنها تروى كيف انه قام بوفاء هذا الواجب ، وليس هناك من هذا العهد سوى القليل مما يستحق أن يسجل بالاضافة الى هذه الاقصوصة الخالية ومع ما ذكر فيجدر بنا أن نذكر أكبر المسلات جميعا وارتفاعها ١٠٥ أقدام وهى قائمة الآن أمام كنيسة سان جون لأثيران فى روما ، وكان هذا الأثر مهملا فى الكرنك حتى أخذ توثموزيس الرابع على عاتقه أمر اقامته (٢) أما المعابد الجنائزية لكل من توثموزيس (٣) وأبيه (٤) فتشغل مكانها الطبيعى على أطراف الصحراء الغربية عند طيبة وان لم يبق منها شئ تقريبا ، وقد كشف لوريه فى عام ١٨٩٨ عن مقبرة أمنوفيس الثانى فى ببيان الملوك ، ولا تزال تحوى تابوت الملك وكانت المومياء بداخله ولكنها لعبت بها أيدي العابثين وسرقت (٥) ، وبعد خمس سنوات كشف هوارد كارتير مقبرة توثموزيس الرابع (٦) وكان بها كذلك تابوته الضخم وقطع كثيرة من أثائه الجنزى ، وهناك مومياء يبدو أنها له عشر عليها داخل تابوت من العصر المتأخر فى مقبرة أمنوفيس الثانى وكانت الجثة - كما يرى اليوت سميث - لشاب نحيل لم يكن يعدر الثامنة والعشرين من عمره .

وبولاية أمنوفيس الثالث للعرش (حوالى ١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق م)
تصل الأسرة الثامنة عشرة الى قمة مجدها وان كانت شهرة هذا الملك

(١) B.A.R., II, 810-15

(٢) Urk., IV, 1548 ff.

(٣) P.M., II, 159

(٤) Op. cit., II, 149

(٥) Op. cit., I, 29, No. 35; Hayes, R.S. pp. 23-25

(٦) P.M., I, 30, No. 43; Hayes, op. cit., p.p. 25-27

لا تقوم على أى عمل حربى ، والواقع اننا نشك فى أنه أسهم شخصيا فى أية حملة حربية ، وقد قامت ثورة فى بلاد النوبة فى العام الخامس كان يجب أن تخدم ، ونحن نعرف أمرها من ثلاث وثائق تتسم بالمبالغة وجدت على صخور بالقرب من الجندل الأول (١) ، ولكن اذا كانت هى المناسبة نفسها التى وصفت فى رصانة على لوحة بالمتحف البريطانى (٢) ، فان الجيش المصرى كان تحت قيادة نائب الملك الذى تردد ذكره من قبل وهو منموزة ، وحين يقال ان « الذراع القوية لأمنوفيس قبضت على العدو » فليس هذا بحاجة الى أن يعنى انه كان حاضرا بشخصه ، واما منظر النصر ففي ناحية « ايبة ايب حات » التى حصل منها مرنرع من ملوك الأسرة السادسة على أحجار لهرمه ، وكان عدد الأسرى الذين أخذوا قليلا لم يزيدوا على ١٠٥٢ ، ومع ذلك فان الاقليم النوبى يشهد بقوة على عظمة أمنوفيس الثالث فهو لم يبن هناك معابد ضخمة فى سدنجبا (٣) وصولب (٤) - على مسافة قليلة الى شمال الجندل الثالث - فحسب ولكن « الصورة الحية » ، له كانت تؤدى لها العبادة فى المكان الأخير ، كما كانت تؤدى لزوجته تبي فى المكان الأول .

وقد استحدثت طريقة جديدة فى عهده لتخليد الأحداث الهامة للحكم وذلك بصناعة جعول ضخمة تحمل نصوصا بالهيروغليفية ، وحتى هذه المرحلة كانت المعلومات التى تستقى من الجعول مقصورة على كلمات قليلة قصيرة وأما الآن فانها كثرت وطالت لتتضمن قصة كاملة أو ما يشبه ذلك وقد وصل اليينا خمسة أشكال (٥) تربط كلها أمنوفيس بزوجته المشهورة تبي التى يذكر اسم أبويها فى حالتين فهما : أب الاله كاهن مين فى اخميم المشرف على الجياد « يويا » والسيدة الرئيسية فى حريم أمون تويا ، ونلتقى بألقابها فى القبر الذى كشف عنه ديفز فى بيان الملوك عام ١٩٠٥ م (٦) وهو قبر فاخر الأثاث ، وهكذا فلا مكان للنظريات القديمة التى تنسب الملكة تبي الى أصل أجنبى ، وهناك صعوبة تعترضنا فى ذلك أنه فى الجعل الذى يسجل يومين من الصيد

(١) B.A.R., II, No. 842-5; Urk, IV, 1661 ff

(٢) B.A.R., II, No. 851-5.

(٣) P.M., VII, 166-7

(٤) Op. cit., 169-72; B.A.R., II, No. 893-8.

(٥) B.A.R., II, No. 860 ff.; Urk. IV, 1737 ff.

(٦) P.M., I, 30-31, No. 46

أمكن خلالهما الاستيلاء على قرابة مائة ثور برى يشار إليها كملكة ، بينما يرجع تاريخ الجعل الى السنة الثانية ومن هنا دار النقاش حول أن أمنوفيس الثالث لا يمكن أن يكون ابنا للملك توثموزيس الرابع ما دامت جثة الأخير التي عثر عليها كما سلغت الاشارة في مقبرة أمنوفيس الثاني تبين أنها لشاب لا يعدو الثامنة والعشرين من عمره (١) ، وقد وجدنا الاجابة الكافية لمثل هذا الجدل وغيره (٢) ، أما أكبر دليل على أن أمنوفيس الثالث هو ابن توثموزه الرابع فنجد في المعبد الكبير الذى ببناء أمنوفيس فى الأقصر ، وحيث تنسب المناظر المنقوشة مولدا الهيا للحاكم ، وكما كانت الحال مع حاشيسوه فى الدير البحرى نرى موت ام ويا أم أمنوفيس تمثل زوجة للاله أمون الذى يقال انه « اتحل صورة زوجها الملك من خبرورع » وهو اسم توثموزيس الرابع (٣) .

وأما صيد الملك نفسه لـ ١٠٢ من الأسود المتوحشة فى خلال عشر سنوات فربما كان أكثر قبولا للتصديق من الصورة المرسومة على صندوق توت عنخ آمون (صفحة ٦٦) ، ولكن لعل من الأمور التى تثير اهتمامنا أكثر مع ذلك ذلك حفرة لبركة لهو للملكة تيبى ، ويقدم الجعل الذى يسجل ذلك الأمر مساحتها ب ٣٧٠٠ ذراع × ٧٠٠ ذراع وهى أرقام ليست غير معقولة اذا وضعنا فى الاعتبار أن البركة المذكورة هى بركة حابو الواقعة الى جنوب معبد مدينة حابو الكبير فى طيبة والمتاخمة لشرق موقع قصر أمنوفيس مباشرة ، وأما أن هذه البحيرة ثم حفرتها فى خمسة عشر يوما فانه أمر يصعب تصديقه ، والقصر (٤) أو مجموعة القصور ، بالغ الأهمية بوصفه واحدا من المقار الملكية القليلة التى لا تزال باقية بعض أجزائها ، وكان مبنيا كله من اللبن ، شأنه فى ذلك شأن كل المباني المصرية التى كانت تخصص للأحياء ، ومع ذلك فان الجدران المغطاة بالجص كانت مزخرفة بلوحات منقوشة ملونة صورت بها طيور ونباتات مائية وما شابه ذلك (٥) ، وكانت توجد هنا كذلك صالة الاحتفالات التى أحيى فيها أمنوفيس أعياد « سد » الخاصة به أو يوبيلاته فى أعوام حكمه الثلاثين والرابع والثلاثين والسابع والثلاثين ، وأما طبيعة الأعياد المذكورة

(١) راجع Vandier p.p. 383-4 بخصوص هذا الجدل .

(٢) Z.A.S. LXV, 98 ff.

(٣) A, Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1894 pl. 63 fig. 205.

(٤) J.N.E.S., X, 35 ff.

(٥) H. Frankfort. The Mural Painting, London 1929.

فلا تزال غامضة (١) وإن كان من الواضح أنها كانت تحيي في صورة ما تجديده القوة الملكية وكان يؤتى بصور لمختلف الآلهة الاقليمية الى العاصمة حيث كانت تقام الاحتفالات * ويقدم حجر رشيد في نصه اليوناني اصطلاح « عيد العام الثلاثين » والواقع أن الكثيرين من الفراعين احتفلوا بأول عيد سد لهم في العام الثلاثين ومع ذلك فهناك شذوذ لهذه القاعدة لا يمكن توضيحه .

ونلتقى على الجعل المعروف - بغير حق - بجعل الزواج بأسماء تبي ووالديها وتتبعها الكلمات - هي زوجة الملك المنتصر الذي تمتد حدوده الى كاروى وحدوده الشمالية الى نهرين .

وربما كانت كاروى (٢) تمتد الى ما وراء نبتة وكانت الحد الجنوبي للاقليم الادارى لنائب الملك ، وأما فيما يتصل بنهرين فان الادعاء بذلك ربما كان صادرا عن طموح أكثر منه عن حقيقة ، ومع ذلك فان علاقات الود بين امنوفيس وبين أمير ميتاني بلغت من الأهمية حد اصداره جعلا آخر مؤرخا بالسنة العاشرة ليسجل :

معجزة ، جى الى جلالته بابنه سورتارنا أمير نهرين ، كرخيبا ونساء حريمها وعدتهم ٣١٧ امرأة .

وقد اقيت أضواء شديدة على العلاقات بين مصر وميتاني والبلاد المجاورة خلال هذا الحكم والحكم التالى وذلك عن طريق كشف عجيب سننناوله بالوصف ، ذلك انه فى عام ١٨٨٧ كانت احدى الفلاحات تجمع السبخ من خرائب العمارنة وهى قرية تقع على مبعدة ١٩٠ ميلا الى جنوب القاهرة فعثرت على عدد كبير من الألواح الطينية محفورة بحروف أسفينية الشكل ، ولم يكن شئ مثل ذلك قد عثر عليه من قبل فى مصر اطلاقا ومن بين هذه الأشياء الغريبة والتي بدت عديمة القيمة بيع البعض مقابل مبالغ تافهة كما كسر البعض وحطم وضاع الكثير مما بقى ، وقد قدر أول أثريين وقعت بين أيديهم هذه القطع أنها مزيفة ولكن ادركوا حقيقتها بعد مناقشات طويلة ومقارنة بما هو موجود فى مختلف المتاحف . أدركوا حقيقتها وعرفوا أنها مراسلات بين أمنوفيس الثالث وخلفه

(١) الحقائق الرئيسية H. Bonnet, Reallexikon d. äg. Religionsgeschichte, Berlin, 1952, p.p. 158-60.

(٢) T. Säve Söderbergh, op. cit., Index under kari

وبين مختلف الحكام الآسيويين في عصرهم ، كبارهم وصغارهم (١) ، وكانت الكتابة بالبابلية الآسفينية التي كانت تستخدم في المعاملات الدبلوماسية اذ ذاك ، وفي هذه الألواح يظهر أسماء الأميرة وأبيها «جيلوخييا» (٢) و «شوتارنا» (٣) ، بينما الفرعون الذي نعرف اسمه بالهيريغلييفية بـ «نيماعرع» يطلق عليه «نيموريا» وهي تسمية قريبة من النطق الصحيح ، وأما الكاتب فهو توشراتا ، وهو ابن سوتارنا الذي اعتلى عرش ميتاني بعد قتل أخيه الأكبر (٤) . وينبئنا أحد خطابات توشراتا ان جده ارتاتا كان قد زوج ابنة له من توثموزيس الرابع وان كان ذلك بعد أن طلبها عدة مرات (٥) ولسنا نسمع بعد ذلك عن جيش الوصيفات اللواتي جاء ذكرهن على الجعل من انهن صحبن «جيلوخييا» ، الى مصر ولكن من الواضح أن الهدايا اللازمة من الجانبين كانت تقترب بمثل هذه الصفقات الزوجية المرغوب فيها كثيرا وعلى العموم فان العلاقات بين امنوفيس الثالث وتوشراتا كانت ودية ولكنها لم تكن بهذا القدر بينه وبين كادشمان الانليل الأول ملك بابل لأن الأخير يشكو من عدم توفيقه في معرفة أن كانت أخته - وهي سيدة أخرى أرسلها كزوجة الى مصر - لا تزال حية أم ماتت (٦) ، ولسنا نلتقي بخطابات في ذلك العهد بين مصر وآشور التي كانت قد غدت من موالى ميتاني اذ ذاك ، كما أنه ليست هناك كذلك مراسلات مع الحيثيين وان التقينا بخطابات من امنوفيس الى أمير ارزاوا - وهي من أراضى الأناضول الداخلية - . ومن وراء كل هذا النشاط المتصل بالرسائل نجد دافعين يقاومان في وضوح هما تزايد الاعتداد الذاتي والرغبة في الحصول على مقابل ثمين . فبابل مثلا كانت تبعت بالخيل المجهزة وباللازورد والمواد الأخرى الغالية ، بينما كانت الاسيا - وهي قبرص على الأغلب - تبادل النحاس بالذهب الذي كانت كل هذه البلاد تظن أن معين مصر منه لا ينضب ، أما الصراحة التي كانت تتم بها هذه العمليات التجارية فتدعو الى الدهشة ، فالحكام الآسيويون يعاملون «أخاهم» المصري على

(١) انظر المراجع في آخر الفصل

A.M. 17, 5. 41 (٢)

A.M., 24, I, 47; 29, 18 (٣)

A.M., 17, 11-20 (٤)

A.M., 29, 16-18 (٥)

Am. I, 10-14 (٦)

قدم المساواة التامة ، ومع أن الخطابات لم تخل مطلقا من التحيزات التقليدية التي تستلزمها المجاملة إلا أنه تعوزها تماما المداواة فيما يتصل بالسؤال المغلف بالملق والمداهنة والذي ينقلب أحيانا الى اتهام بالبخل ، وعلى العموم فإن الطابع الذي يخلفه كله كان على أية حال دبلوماسية تدرك المنافع المشتركة التي يمكن الحصول عليها من وراء تقارب وصداقة ثابتة ، ويختلف عن ذلك تماما ما تنبئنا به رسائل تل العمارنة عن العلاقات بالأقاليم الصغيرة في سوريا الشمالية ، وسنرجى الى ما بعد أمر الانشعاق العنيف الذي حدث هناك حتى تكتشف أسبابه من وراء السياسة التي جلبت الكوارث في عهد خلف امنوفيس الثالث .

وكان في البلاط المصرى رجل واحد (١) اعترف بمركزه وقدرته الهامة في ذلك العصر بل انتهى الأمر فيما بعد الى تأليهه كما حدث بالنسبة للحكيم ايمحوتب (صفحة ٩١) ذلك هو امنحتبه بن حابو الذى ولد من أبوين قليلي الشأن فى الدلتا فى مدينة أتريب (بنها الحالية) ورغم أنه يعد من خيرة من مجد من خدم امنوفيس الثالث إلا أنه لم يصل الى وظيفة من وظائف الدولة العليا ، وتصوره التماثيل العديدة التي سمح عطف الملك أن تقام فى معابد آمون وموت فى الكرنك - ك « كاتب ملكى » جالس على الأرض وبردية مفتوحة على ساقيه وكان لقبه الرئيسى « الكاتب العظيم للشباب » وهو اصطلاح يستخدم عادة لوصف الموظفين المنوط بهم البحث عن المتطوعين السليمى البدن للخدمة الحربية ، وللأغراض الأخرى ، وأما النقوش المحفورة حول التماثيل الجالسة لفرقصاء فليست قاطعة بصورة ما فيما تقدمه من بيانات ومع ذلك فلا تدع مجالا للشك فى مسئوليته عن نقل واقامة التماثيل العاملين الجالسين اللذين يمثلان امنوفيس الثالث ولا يزالان يريان بالقرب من الطريق المؤدى للصحراء الغربية من النيل أمام الأقصر (٢) وقد قطعت أحجارهما من الجبل الأحمر فى شمال شرق القاهرة وهو مصدر الحجر الرملى البلورى ذى اللون الأحمر الرقيق الذى كان يستخدم فى ذلك العهد ، وليس ضئيلا أو تافها أمر نقل زوج من التماثيل بمثل هذه الضخامة - اذ يبلغ ارتفاع الواحد منها قرابة سبعين قدما - من هليوبوليس السفلى الى هليوبوليس مصر العليا ، ولا تزال مدفونة تحت الأرض الزراعية بقايا المعبد الجنزى الضخم الذى كان يقوم التمثالان عند

(١) انظر المراجع آخر الفصل - وكذا النص الاصلى فى B.A.R., II, No. 911-20

(٢) احدهما ممنون الصوتى المذكور من قبل فى صفحة ٢٥ وانظر كذلك لوحة ١٢ .

واجهته ، ومن أجل هذا العمل وغيره من الآثار الباهرة كافاً الملك سميّه بمعبد ضخّم يلي معبده مباشرة الى الغرب (١) ومنذ ذلك الوقت حتى العصر اليونانى الرومانى لم تذو عبادة أو ذكرى امنحتبه بن حابو - ولقد كان فى الثمانين من عمره - كما يذكر لنا قبل موته - وكان يقوم بدور بارز فى الاستعدادات بعيد سد الأول لأمونفيس الثالث ، ونحن نشك كثيراً فى أنه صاحب الحكم التى نسبت اليه فيما بعد لأن البقايا القليلة منها تشير الى أنها من أصل يونانى .

كان النصف الأول من حكم أمنوفيس الثالث الطويل عصر تقدم لم تستمتع طيبة بمثله من قبل وكانت أعلى منتجات النوبة أو أسسها تفيض على المدينة الجنوبية فى سيل لا ينقطع جريانه ، ويبدو أن كريت بل ميسينى أسهمتا فى ذلك الأمر كذلك ، ونحن نعرف الكثيرين من عليّة القوم من هذا العهد عن طريق المقابر الجميلة والتماثيل التى صنعت لأصحابها أو اختتام الجرار التى كانت تحوى الطعام والجعة والنبذ التى كانوا يقدمونها للقصر الملكى (٢) ، وحتى لو دار بخلدنا أن كبرياء فرعون كان يدفعه الى التفكير أولاً فى تفخيم معبده الجنزى والقصر المجاور فإن هذا لم يمنعه من أن يلجى مطالب المعابد فى عاصمته الجنوبية . وتروى النقوش المطولة (٣) ما أسداه لمعبدى الكرنك والأقصر ، وهناك نص تكريس يقدم كذلك بيانات مفصلة عن الذهب والأحجار شبه الكريمة التى خصصها لتزيينها (٤) ، ولسنا بحاجة الى القول بأن الأرقام التى تشير الى ذلك لا يمكن تصديقها تباعاً ، ولابد أن ثروة معبد أمون رع كانت طائلة جداً ، وكان كاهنه الأكبر بتاح موزة أول من استطاع أن يضيف الى سلطانه الكهنوتى ذلك السلطان الذى يصحب مرتبة الوزير (٥) .

ولم يكن نبلاء طيبة يستطيعون أن يتكهنوا بالعاصفة التى قدر لها أن تزعج أمنهم وتسلب عناصر الدمار على أعز مثلهم وعقائدهم .

(١) P.M., II, 160

(٢) انظر مقاله Hayes المشار اليها فى آخر الفصل

(٣) B.A.R., II, No. 878-92; 899-903; the teets; Urk. IV, 1646 ff; 1722 ff.

(٤) Urk. IV, 1668

(٥) G. Lefebvre; Grands Prêtres; p.p. 99 ff; Z.A.S. LXXII, 62-63

وكذلك ZAS, LXXII, 62-63.

مراجع مختارة

مقابر وتوابيت العصر :

W. C. Hayes, Royal Sarcophagi of the XVIII Dynasty, Princeton, 1935

الجدل حول حاشيسوه :

K. Sethe, Das Hatschepsut — Problem in Abh. Berlin, 1932

W. F. Edgerton, The Thutmosid Succession. Chicago, 1933

Hayes, op. cit. p. 3, no. 14

Vandier, pp. 381-3

سيرة سننموت :

Winlock, Excavations, pp. 145-53

حوليات توتموزس الثالث :

ANET, pp. 234 ff. أحدث الترجمات

H. H. NELSON, The Battle of Megiddo, Chicago 1913 مناقشات

R. O. Faulkner, in J.E.A. XXVIII. 2 ff.

H. Grapow, Studien zu den Annalen Thutmosis des Dritten, in Abh. Berlin, 1949

اسماء الأماكن الفلسطينية :

J. Simons, Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists, Leyden, 1937

M. Noth, Der Aufbau der Palästinaliste Thutmoses III in ZDPV LXI (1938), 26-65

قبور كبار الطبیین المعاصرين لتوتموزس الثالث :

N. de G. Davies, The Tomb of Rekh-mi-re at Thebes, 2 vols., New York 1943

Nina is Norman de G. Davies, The Tombs of Menkheperasone b, & c. London, 1933

العملات الآسيوية لامنوفيس الثاني :

Urk. IV. 1299 ff.

E. Edel, Die Stelen Amenophis II aus Karnak und Memphis in ZDPV LXIX (1953) 98-176

The Apiru people : ibid., p. 170

R. Borger, ZDPV LXXIV (1958), 121-3 and T. Sâve-Söderbergh وكذا
in Orientalia Suecana, I, 1 ff. .

امنوفيس الثالث

W. C. Hayes ; Inscriptions from the Palace of Amenophis III.
in JNES X (1951) 35-40 ; 82-104 ; 156-83 ; 231-42

رسائل العبارة

S. A. B. Mercer, The Tell el-Amarna Tablets, 2 vols. Toronto, 1939

معتمدا على :

J. A. Knudtzon & O. Weber, Die El-Amarna Tafeln, 3 vols.
Leipzig, 1915

امنحتبة بن حابو :

W. Helck, Der Einfluss der Militärführer in der 18. ägyptischen Dynastic,
Leipzig, 1939, pp. 2-13.

C. Robiehon and A. Varille, Le temple du scribe royal Amenhotep, I,
Cairo, 1936.

الثروة الدينية وما بعدها

٩

يبدو ان السنوات الاخيرة من عهد امنوفيس الثالث كانت تتبع مجرى طبيعيا من بعض النواحي ، ذلك أنه كان محوطا بكل ما تستطيع الثروة أن تمنحه اياه ، فظل يقيم في قصره الفاخر على الضفة الغربية من طيبة ويتابع اتصالاته بالملوك الآسيويين ورؤساء فلسطين الأقل شأنًا ، وليس من شك في أن الملكة تيبى كانت تقارن نفوذها قويا على تصرفاته وكان يظهر عطفًا خاصًا على واحدة من بناتها هي ستامون التي يبدو انها منحت امنحتبه بن حابو - وكيل أعمالها - دارا خاصة بها في منطقة القصر (١) . وما دامت ستامون هذه تضيف الى لقبها « ابنة الملك » لقب « زوجة الملك العظمى » بل ان هناك كرة من القاشاني يظهر بها خرطوش تيبى وخرطوشها متقابلين وكل من الخرطوشين مسبوق بهذا اللقب مما جعل كثيرا من الباحثين يرون أن الملك المسن تزوج من ابنته (٢) . ونحن نرى أنه من الصعب معارضة هذا الرأي ولو اننا لا نرحب به ، وعلى أية حال فان هذا لم يكن ليتعارض وحريمه الكبير الذي كان به من قبل أخت ملك بابل والذي كان قد بعث في طلب ابنته كذلك (٣) ، وأما عن جيلوخييا فلسنا نعود نسمع عنها سوى تحياته من أخيها توشراتا (٤) ، وهناك خطابات أخرى عديدة تتناول على أية حال مفاوضات عن زواج الملك المصري ب «تادوخييا» ابنة الملك الميتاني نفسه (٥) ، ونرى ان توشراتا يصر في هذه الحالة على أن تصبح زوجة لامنوفيس و «سيدة مصر» وأرسل معها - لاقناعه بهذا الامر - أنواعا فاخرة من الهدايا اخصيت في تفصيلات كثيرة (٦) . وقد تأخر وصول العروس كثيرا ولكن توشراتا كان في ذات

(١) J.N.E.S., X, 35-36

(٢) P.S.B.A., XXIV, 246; Ann. Scriv. XL, 651-7; XLV, 123-4.

(٣) A.M., I, 11-14

(٤) A.M., 17, 5-6; 19, 6

(٥) A.M., 20, 8-12

(٦) A.M., 22

الوقت يفخر بأن يعلن نفسه سلفاً صهر (١) فرعون ، وربما لم تتم هذه الزيجة إطلاقاً لأن امنوفيس الثالث كان إذ ذاك قد تقدم به العمر وتملكه المرض وسلك توشراتا في سبيل تحقيق أمل شفائه خطة لها نظائر سابقة في مصر إذ أرسل إلى طيبة تمثال « عشتار نينوى » راجياً أن تنال من المعاملة الكريمة مثل ما حدث في فرصة سابقة على أن تعاد بعد ذلك سالمة إلى بلادها (٢) . ويؤرخ خطاب العمارة الذي يسجل هذا الأمر بالعام السادس والثلاثين ، ونحن نعرف من مصادر أخرى أن امنوفيس الثالث ظل حياً حتى أكمل عامه السابع والثلاثين ، أن لم يكن قد أتم عامه الثامن والثلاثين على العرش (٣) . ومع ذلك فقد كانت هذه هي النهاية ، وفلتني بالخطاب التالي من توشراتا موجهها إلى الأرملة تيبى المطلقة النفوذ مذكراً إياها بالعلاقات الطيبة التي كانت وطيدة بينه وبين زوجها المتوفى ومعبراً عن أمله في أن تصبح علاقاته بإبنها عشرة أمثال هذه العلاقات القلبية (٤) وقد حفر قبر من الطراز العادي لامنوفيس الثالث في الفرع الغربي من ببيان الملوك (٥) . وهناك أكثر من سبب يدعونا إلى تأكيد أنه دفن هناك ، وعلى أية حال فإنه لم يقدر لضريحه أن يظل مرقده الأبدى ما دامت موميأؤه - التي تظهر بها آثار واضحة لما قاساه من ألم في الأسنان - قد وجدها لوريه في مقبرة امنوفيس الثاني الذي نقلها إليها الكاهن الأكبر لأمون « بى نوجم » بعد ثلاثة قرون ونصف القرن (٦) .

وتعد خطابات توشراتا من غير شك خير مرجع لدينا عن مرحلة الانتقال إلى حكم امنوفيس الرابع ويستدل بوضوح من هذه الخطابات الموجهة إلى الملكة تيبى أن الملك الجديد لم يعتل العرش إلا بعد وفاة أبيه ، ونرى الأمر نفسه يؤكد في وضوح أكثر في خطاب إلى الملك الصغير من الحاكم الحيثي العظيم سويبلوليوماس (٧) ، ومن ثم فإن الاشتراك في الحكم الذي طالما أشير إليه ليس إلا وهما ، وهناك ملخص بالهيرايقية لما يحتمل أن يكون أول خطاب (٨) موجه إلى نبخوريا من توشراتا ، ونبخوريا

(١) A.M., 20, 1-3; 21, 1-6

(٢) A.M., 23

(٣) انظر صفحة ٢٢٩ .

(٤) A.M., 26

(٥) Hayes, R.S., pp. 27-30.

(٦) Bull. Inst. Eg. 1898, 109, 111; Elliot Smith, R.M., 46-51

(٧) A.M., 41 ومن العجيب أن هذا الخطاب يلقب الملك بـ « خوريا »

(٨) A.M., 27

هو التعبير بالمسمارية عن اسم امنوفيس الرابع « نفر خبرورع » يرجع الى السنة الثانية ويقرر أن البلاط كان لا يزال فى العاصمة فى طيبة الغربية ، ونعلم كذلك أن واجبات تادوخيبا الزوجية قد انتقلت من الابن الى الابن (١) ، وقد وضع موضع الافتراض أحيانا أن هذه الأميرة الميثانية ليست سوى الجميلة نفرتي التى عرفها العالم الحديث من وراء نموذج رأسها الملون الرائع المحفوظ فى متحف برلين (٢) . ولكن مما يقف عنقه دون تقبل هذه النظرية على أية حال هو أنه من المعروف أنه كانت هناك أخت لـ «نفرتي» بمصر (٣) وان تى زوجة ألسابط المتقدم فى السن «آى» والذى أصبح ملكا فيما بعد ، تزعم أنها كانت مربية لها (٤) .

ومن الواضح أن ابنا فى مثل مظهر امنوفيس الرابع من الصعب أن يكون مولودا عن أبوين طبيعيين تماما ، ورغم أن تماثله الأولى لا تكشف عن سحنة أو صورة تختلف عن نظائرها من أمراء مصر السابقين إلا أن تصويره بعد سنين قلائل (انظر لوحة ١٤) فى صور واضحة البشاعة صادقة بصفة عامة بما لا يدع مجالا للشك . فالرأس المستطيل ينحدر الى الأمام فوق رقبة طويلة رفيعة ، والوجه ضيق وبه أنف بارز والشفتان غليظتان والذقن مستديرة ناثمة ، أما من ناحية الجسد فالصدر غائر والمعدة منتفخة والافخاذ ضخمة وبطن الساق رفيعة . . . وكل ذلك يتنافى ومظاهر الرجولة الحقة ، وانا لنرى اخناتون — كما فضل فيما بعد ان يطلق عليه — فى المنحوتات المنقوشة يظهر غالبا وهو يتدلى فى تخنث من فوق كرسي ذى وسائل ومع ذلك فان التمثال الضخم الواقف فى بهو الأعمدة فى الكرنك يحمل صورة العزيمة المتعصبة التى أبان عنها تاريخه اللاحق المشؤم . ومن أجل ان نقدر فى عدالة الثورة الدينية التى استحدثها نرى انه من الواجب أن نلخص ، ولو من جانب واحد مؤقتا ، المظاهر الرئيسية للعبارة التقليدية التى استبدلها لفترة بتوحيد واضح من ابتكاره هو وحده .

كان الدين المصرى — كما ظل طوال ألف وخمسةائة عام — ثمرة تداخل عدد كبير من العبادات القبلية الأصيلة وكان لكل مدينة معبودها الخاص الذى كان يظهر أحيانا على صورة رمز مقدس (فتيش) مادى ولكن

(١) A.M., 28, 8; 29, 3

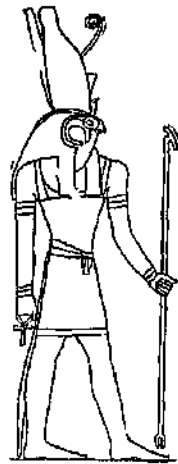
(٢) Vandier, 384 لمناقشة ذلك الأمر راجع

(٣) Benremût, Davies, A.M., VI, Index, p. 39

(٤) J.N.E.S., XIV, 170-1.



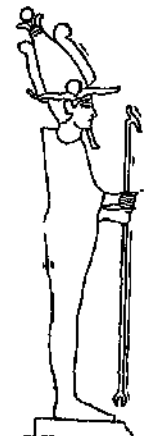
سٲٲ



ٲورس



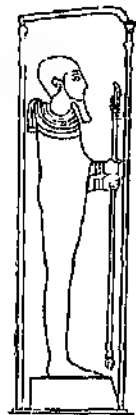
ايزيس



اوزيريس



مين



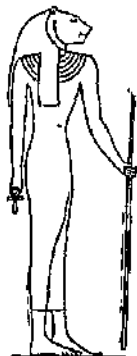
ٲٲاٲ



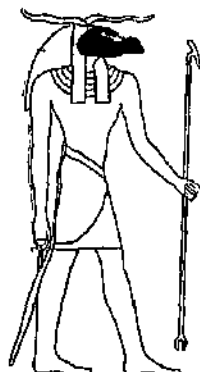
رع ٲارٲٲٲ



امن رع



ٲاست



ٲنوم



ماءٲٲ



سٲٲٲٲ

شكل (١٠) - بعض المعبودات المصرية الرئيسية

في أغلب الأحيان في صورة حيوانية . وهكذا كانت الالهة القطعة باست في
 بوباستس والالهة الصل ادجو في بوتو (كوم الفراعين الحالية) والاييس نوث
 في هرموبوليس ماجنا (خمون في المصرية) أو وب واوه (أوفويس) الاله
 ابن آوى في ليكوبوليس . (ساوتى بالمصرية وهى أسيوط الحالية) وحين
 تجمع الآلهة معا زودت هذه المعبودات الحيوانية بأجساد وأعضاء الآدميين
 العاديين ونسبت اليهم بعض الصفات وألوان النشاط الآدمية ، وقد مهدت
 طبيعتها المزدوجة الناجمة عن ذلك الطريق الى انجاءين متضادين فمن
 ناحية كان الحفاظ الغريزي على التقاليد المصرية تقوى منه الرابطة الوطنية
 القوية المحلية مما حال دون الغاء الفروق الفردية فبقيت رموس الحيوانات
 ولم يتوقف النظام العام للتعدد ، ومن ناحية أخرى كان هناك حافظ
 قوى نحو التفرد والتوحيد فلم يعلن اله المدينة بوصفه الوحيد القوى
 فحسب بل ضغط على مطابقته لآلهة مدن معينة أخرى بالعديد من
 الوسائل المختلفة وهكذا فان سوبدو من المقاطعة الغربية وحسن من
 اسفينس وعانتى من انتيوبوليس كانوا جميعا صورا من حورس لأنهم
 شاركوه في نفس صورة الباشق ، وأحيانا كان الاسم هو المظهر العام
 بينما يختلف التجسيد فهناك مثلا البقرة الالهة حتحور في دندرة لم تكن
 في الواقع سوى حتحور التى تقوم عبادتها بالقرب من منف في شجرة
 الجميز ، وكان تغير الصور الذى يبدو مع بعض المعبودات عجيبا فمثلا
 نوث كان يرمز له بالطائر أبيس أو رأس أبيس على جسد آدمى ، ولكنه
 كان من الممكن أن يكون كذلك قردا أو ان يبرز نفسه كقمر ، وربما كنا
 نتوقع من طبقة المعبودات التى تتجسد مختلف قوى الطبيعة ان تظل
 بمنأى عن مثل امكانية التحول هذه ، ولكنها لم تبق كذلك فاله الأرض
 جب اتخذ صورة الكباش خنوم في هسيلييس ، وشو ، التجسيد الذكر
 للفراغ الذى باعد ما بين السماء والأرض ، كان فى ثنيس الاله المحارب
 أونوريس ، ومن بين القوى العظمى التى باشرت نفوذها على الحياة
 الأرضية كانت الشمس وهى التى ظهرت على وجه التأكيد أكثرها دواما
 واستقرارا كما كانت أقلها حاجة لصور متغيرة ، ومع ذلك فان القوم
 كانوا يتخيلونها حرختى (حورس الأفق) برأس الباشق أو هى ملك
 آدمى يحمل لقب أتوم ، أو ربما هى جعل يدحرج كرة الروث أمامه
 (خوبرى) ولم يكن هذا كل شيء بل انهم أدركوا أن أهمية الاله المحلي قد
 ترتفع اذا اردفت اليه كلمة رع – أكثر القاب اله الشمس شيوعا –
 كنعت له ، ومن هنا نلتقى بالاله التمساح سوبك في أناشيده يلقب :

« سوبك رع » ، وفوق هذا كله كان أمون العظيم فى طيبة منذ الدولة الوسطى يذكر فى كل مكان كأنما هو أمون رع .

ولقد كان للتزايد المحير لمجاميع الآلهة - كما احكم تدبيره كهنتهم الاقوياء - رد فعل ، ذلك ان الحاجة كانت ماسة من أجل الحديث اليومي وبسبب الميل للوحدانية الى كلمة لـ « الشمس » ليس لها ارتباطات دينية أو انسانية - آلهية أو النزول بهذه على الأقل الى أدنى مستوى ممكن ، ومن هنا كانت كلمة اتن ● التى تعنى بها عادة « أتون » أو قرص الشمس ، وانه من الصعب غالبا ان نحدد متى كان له ، أو لم يكن له ، ارتباط دينى من نوع ما ، فهناك مثلا قصة سنوهى (صفحة ١٤٩) تتحدث عن موت أمنمس الأول فتقول :

صعد عاليا الى السماء وأصبح متحدا بالقرص ، واندمجت أعضاء الاله بمن صنعه .

وانه لمن العيب ان نناقش ان كانت كلمة « اتن » تشير الى المعبود أم لا ، كما أن هناك العبارة المبهمة كذلك « سيد كل ما يحيطه القرص » وهى نعت يستخدم غالبا (وبطريقة بالغة الغرابة) لـ « أتون الحى » الذى كان موضع عبادة اخناتون ، والكلمة التى تترجم هنا الى « قرص » تشير بوضوح الى الجسم النورانى المرئى ، ويشير الفحص الدقيق للنصوص من عهد أمنوفيس الثالث (١) الى استخدام أوسع نطاقا للاصطلاح أكثر من ذى قبل وانه لمن العدالة ان نرى فى هذا الأمر توقعا للمذهب الذى سينتج عن قريب هذا المظهر العام ، وهناك اشارة صغيرة للدلالة على ذلك فى لقب « أتون يشع » الذى اطلق على القارب الذى كانت الملكة « تىي » تتريض فيه فوق البحيرة التى حفرت تكريما لها (صفحة ٢٢٩) وهناك مقبرة فى طيبة (رقم ٤٦) ، لم تنشر بعد ، ترجع من غير شك الى عهد امنوفيس الثالث ويحمل صاحبها لقب « الوكيل فى قصر اتن » وانه لمن الصعب أن نترجم هذا بغير أن يكنى عن أن أتون كان يتلقى بالفعل عبادة فى طيبة ، وهناك دليل من نوع آخر وجد باللوحة المشهورة من العهد نفسه ، التى تسجل أنشودة طويلة لاله الشمس أنشأها المعماران التوأمان سوتى وهور (٢) ويخاطب الاله هنا كـ «أمون»

Z.A.S., LIX, 109 ff. (١)

Bull. Inst. fr., XLI, 25 ff. (٢)

وك « حرختى » ويشبه التعبير كثيرا النشيد المشهور لاختاتون مما لا يدع
أمامنا من مجال سوى القول بأن الثورة كانت على الأبواب » .

ومع ذلك فإن الأمر تطلب تجارب مبدئية حتى يستطيع المذهب
الهرطقي أن يأخذ شكله النهائي وحتى يمكن للنتائج العملية من أن
تجعل الجميع يستشعرونها . وكان امنوفيس الرابع لا يزال يستخدم
فى اسمه حتى السنة الخامسة (١) الكلمات المميزة « أمن حتبو »
(امنحتبه) التى كان قد ورثها من ثلاثة من أسلافه ، وأما اللقب الكامل
الذى يضمن فى نهايته إضافة مميزة كذلك فكان يعنى « أموض راض » ،
« الحاكم الاله لطيبه » وهو يرى تحت هذا اللقب وهو يتعبد الى أمون رع
فى معجر الحجر الرملى فى جبل سلسلة (٢) . وأما السبب فهو أن
الكتابة أسفل ذلك تتناول المباني التى ستتقام فى فناء معبد الكرنك
حيث عثر فى الواقع على قطع كثيرة من معبد لاختاتون نالها التدمير فى
قسوة ، ومن عجب ان الملك الشاب يصف نفسه فى النص المذكور بأنه
« الكاهن الأول لرع حرختى المتهلل فى الأفق فى اسمه ضوء الشمس
(شو ، بالمصرية) الذى هو اتن » والتسمية المحكمة هنا لاله الشمس
هى تلك التى أصبحت فيما بعد أول رواية للقب اتن وان وزعت هناك
بين خرطوشين كى تؤكد الحالة (٣) الجديدة الملكية للمعبود . وأما الى
أى مدى اعتمد هذا العمل المبكر على العبادة القديمة ل هليوبوليس فانه
لا يرى من تكريسه لرع حرختى فحسب بل كذلك فى ذكره ل « مسلته
الكبرى فى الكرنك » ذلك لأن القطعة المفردة القوية التأثير التى تعرف
باسم « بنين » أو « مسلة » (صفحة ١٠٢) كانت من مميزات المكان ،
ومن أجل ذلك أيضا نلتقى فى العام السادس عشر (٤) من حكمه
بالكاهن الأكبر لأتون واسمه مرى رع وهو لا يزال يحمل اللقب
الهليوبوليتانى المجد من قديم « كبير الرائين » وأما الصعوبة فى
الافلات كلية من التراث القديم فكامنة فى استمرار الضغط على
الاحساس بها مهما اشتدت الرغبة فى تقبلها نظريا .


كان لابد للعقيدة الجديدة فى اله الشمس ، التى بدت نذرها فى لقب
رع حرختى الطويل من ان تظهر نتائجها الموثقة على الفور وهى النتائج

(١) Gauthier, L.R. II, 343-5

(٢) P.M., V, 220

(٣) J.E.A. IX, 168 ff.

(٤) Petrie, Tell El Amarna. pl. 22, 3

التي استهدفت القضاء على أعز أحاسيس الكهانة ، وكان من الممكن أن التغيرات الأساسية التي توشك أن تحول المظهر الكلي للفن المصري تمر غير ملحوظة من الناحية العملية لفترة قصيرة . كان رع حرختي لا يزال يأخذ الصورة الانسانية ولكن برأس الباشق يعلوها قرص الشمس ، وكان الملك الصغير لا يزال قائما بأن يصور في الهيئة التقليدية الجامدة (١) ولكن هذا التوافق مع التقاليد لم يقدر له أن يدوم وذلك لأن الثائر الملكي كانت له الأهداف الشخصية الجمالية والدينية وسرعان ما فرض طرازا جديدا على فناني البلاط ، فقرص الشمس المجنح لحوريس البعديتي الذي كان يشرف حتى هذه المرحلة في صرامة على المناظر والنقوش ، اختفى الآن وحلت محله الشمس الذهبية تبعث بأشعتها المنعشة على الملك والملكة فوق موائد قرابين يقومان بأداء الخدمة الدينية امامها كما تبعث بأشعتها على صور المعبد والقصر ، وكان من المستحيل صرف النظر تماما عن كل ارتباط للمعبود بالانسان . فالأشعة كان يجب أن تظهر منتهمية بأيدي تمسك  رمزي «الحياة» و «السلطان»

أو القوة ، وأما الطبيعة الملكية للجسم النوراني المرئي فمثلت عن طريق الصل أو الكوبرا التي تتدلى من دائرة مضيئة كما كانت حالها دائما من قبل حين كانت تزين جبهة فرعون ولسنا نستطيع ان نلتقي في أي مكان آخر بالتباين بين الطرائق القديمة والحديثة ممثلا خيرا مما نجده في مقبرة الوزير رعموزه في طيبة حين نجد هنا نقوشا منحوتة بالغة الجمال تزين الجانِب الأكبر من الجدران ترجع بجلاء الى عهد امنوفيس الرابع الذي يصور في الهيئة التقليدية القديمة (٢) ثم يحدث التغير فجأة - فعلى الجانِب المقابل للباب نرى الملك نفسه ومعه زوجه نفرتيتي يرسمان في الطراز الجديد وهما يتكئان من فوق شرفة تحت أشعة أتون ويمنحان عقودا من الذهب لكبير قضاتهما (٣) ، وفي المنظر موظفو الحريم الملكي ومختلف الخدم يقفون في الخدمة ، ويلاحظ ان مظهر هؤلاء الأشخاص جميعا يختلف عما نشهده في بقية المقبرة كما نستطيع ان نتخيل ، ومن الواضح أن هناك حيوية مبالغا فيها واهتماما عاطفيا يستطاع مطالعته ؛ وهناك شجاعة في رسم الخطوط لظهور الظهور الأكثر انحناء مما يضغط على زيادة الاحترام الواجب للملك ، ومن الصعب أن يخدع المرء في

Z.A.S., LII, 73, fig. I. (١)

Davies, Ramose, pl. 29 (٢)

Op. cit., pl. 33 (٣)

الطابع الذى خلفته المميزات الجسدية الخاصة لاختاتون من ناحية تقليدها فى صور رعاياه وهناك منظر رائع مرسوم يمثل الاتباع الأجانب لم يكن قد عمل فيه بعد ازميل النحات ٠٠ وبعد هذا نجد فراغا فالمقبرة لم تستكمل كما لانعرف شيئا عن تاريخ وعموزة التالى لهذه المرحلة ، وقد صعب اختفاؤه فى الوقت نفسه اختفاء كبار رجال الدولة الآخرين من عصره ، وقد بذلت الجهود لكسر حدة الصمت الذى يخيم فوق السنوات التالية وذلك عن طريق ما استطاع استنتاجه من الألقاب التى وجدت على تماثيلهم أو من النقوش والكتابات ولكن النتائج كانت نظرية الى أبعد الحدود وكل مانستطيع ان نضع يدنا عليه ونحن مطمئنون هو العبادة الثورية وتعبيرها الفنى ويدخل فى نطاق الأخير التماثيل العملاقة العجيبة التى سلفت الإشارة إليها التى اقحمت على الكرنك فلم تلبث ان أثارت غضب الكهانة الطيبية وكراهيتهم وحقدهم على اختاتون وكل ما أوحى به من أعمال عامة .

ثم يرتفع الستار بعد ذلك بعيدا عن طيبة وذلك فى السنة السادسة من حكم اختاتون ، وكانت العمارنة - وهى التى ورد ذكرها فيما يتصل بالألواح الأسفينية التى عشر عليها هناك - هى المركز الذى اختير لتجديد ثورى قام به الحاكم العنيد ، البالغ الشجاعة مع ذلك ، وفى منتصف الطريق بين القاهرة والأقصر تتراجع الجبال الشرقية مخلفة سهلا على شكل الهلال طوله ثمانية أميال وعرضه ثلاثة ٠٠ وكان هذا مكانا يتسع لمدينة كبيرة بينما كانت هناك على الضفة اليسرى وراء النيل مساحة أوسع تفسح مجالا للزراعة التى تحس جماعة كبيرة من السكان حاجتها إليها . وكان الاسم الذى اختاره اختاتون لمدينته هو اختاتون أى « افق أتون » والاسم الحديث الشائع اليوم هو « تل العمارنة » ويربط خطأ بين قرية التل الحالية فى الشمال بقرية قبيلة بنى عمران التى تقطن تلك الناحية ، ولكن لعل الجميع يتقبلون اليوم التسمية الأكثر دقة وهى « العمارنة » وقد أجرى فلنדרز بيتري حفائر فى أول الأمر هناك فى عام ١٨٩١ ظلت مستمرة لم يقطعها الا قيام الحرب العالمية الأولى وقابعتها من بعد انتهائها الى عام ١٩٣٧ بعثة ألمانية فى أول الأمر ثم تلاهم جماعة من الأثريين البريطانيين (١)، وقد كشفت عن عدد كبير من المباني من اللبن - أو بالأحرى بتخطيط أرضى لها - وأما المباني الحجرية فلم يبق منها سوى القليل . ومع ذلك فقد عثر على كمية ضخمة من الآثار القيمة ولعل

P.M., IV, 192 ff. (١)

أكثرها أهمية واثارة للهفة هي الألواح الاسفينية التي كانت مخزونة فيما تشير اليه قوالب الطوب التي استخدمت بأنه « قصر رسائل فرعون » (١) وكذا التمثال بالشكل الطبيعي الذي كشف عنه في محترف (اثلييه) المثال الأول « دحوتموزه » (٢) وأنه لمن المستحيل هنا أن نحصى حتى ولو جزءا من المنشآت العظيمة التي أمكن التعرف اليها من قصور ومعابد ودور للموظفين وقرية للعمال وأنصاب صحراوية للقرايين أقيمت تمجيذا لآتون ، ولكي نعطي فكرة عن ضخامة بعض هذه المباني فأننا نذكر أن المعبد الكبير لآتون كان يبلغ طوله قرابة ٢٠٠ ياردة .

ومع ذلك فهناك دلائل كثيرة تشير الى السرعة التي كانت نتم بها اقامة هذه المباني فعلية الانشاء في كل مكان تشير الى اصطناع ابرازها خير مما هي في واقع الأمر ، وان اخفيت حقيقتها بالجمال الذي تضفيه الصور الطبيعية الرائعة للطيور والنباتات التي رسمت ملونة فوق الجدران والأرضيات من الحصى ، وربما كان من أكثر الأشياء أهمية لتزويدنا بمعلومات عن سير الحياة هنا هو النقوش التي نحتت في مقابر الموظفين التي حفرت في جوانب التلال الشرقية والسجل الوحيد لها من عمل - « ديفيس » . وهي في كل مكان قد نالها من التهشميم قديما وحديثا مايدعو الى الأسى ، وأخيرا فأننا يجب أن نشير الى مقبرة الأسرة التي أمر اخناتون أن تجهز على مبعدة أربعة أميال في الصحراء الشرقية (٣) وقد دفنت بها ابنته الثانية ، ماكت اتون التي ماتت في سن مبكرة . ومن الواضح أن والديها أو أية واحدة من أخواتها لم يتم دفنهن هناك وأما الآراء المتصلة بمصير اخناتون فسنتناولها فيما بعد .

وقد أشار اخناتون نفسه الى أصل تأسيس الموقع على لوحات حدود كبيرة عددها أربع عشرة على الأقل ، محيت نقوش العديد منها ، منحوتة على جوانب التلال الشرقية والغربية للنهر (٤) . وهناك نسختان من النص أحدهما طويل والآخر قصير ، والنص القصير محفوظ خير من الآخر ، وقد جاء به أنه في اليوم الثالث عشر من الشهر الثامن من السنة السادسة أعتلى الملك عربة مذهبة وأبحر شمالا من الخيمة المزينة التي

(١) Petrie, op. cit., M. 42; P.S.B.A. XXIII, 219

(٢) P.M., IV, 202-3

(٣) P.M., IV, 235-6

(٤) Op. cit., IV, 230-2

كان قد قضى الليل بها ، وذلك بقصد تثبيت حدود مدينة أخت أتون التى كان قد تم تصميمها ، وبعد تقديم الأضاحى الى الاله توجه جنوبا الى بقعة كانت أشعة الشمس التى تضىء من فوقه تحدد المكان الذى يجب أن تكون عنده أقصى حدوده الجنوبية ، وهنا أقسم بأبيه أتون وبأمله فى أن تصل الملكة وابنتاهما الكبريان الى العمر الطويل بأنه لن يتخطى هذا الحد كما أقسم ألا يتخطى حدين آخرين الى الشرق وثلاثة أخرى الى الغرب . وأما كل الأرض داخل هذه الرقعة فهى لأتون وأنه سيصلح من كل تلف أو تهشيم يحل باللوحات التى تحددها وأقسم على أن يعيدها الى حالتها الجيدة ، وأخيرا يرد ذكر لتجديد القسم فى العام الثامن ، ولا بد أن النص الأطول على بعض لوحات الحدود الأخرى يرجع الى التاريخ نفسه مادامت تتناول فى دقة الوقائع نفسها مع اضافة كثير من التفاصيل الهامة ومع ذلك فمن سوء الحظ أن فقرات كثيرة قد ضاعت ضياعا لا يستطاع تعويضه ، وقد جاء بها بعد الاشارة الى أول مسح للمنطقة والى التضحية الكبرى التى تبعت ذلك أن اخناتون استدعى رجال بلاطه وقواده العسكريين وشرح لهم رغبة أتون فى أن أخت أتون يجب أن تبنى ، وتابع قوله بأنه لم يكن هناك من يعرف الموقع سوى أتون نفسه ، ومن ثم فإنه له ، وله وحده . وفى نهاية الأمر يجيب رجال البلاط ويؤكدون للملك ان كل البلاد ستأتى حاملة هداياها فوق ظهورها لتقدمها الى أتون. وبعد مديح كثير للاله يردد قسم اخناتون الذى يتضمن أنه لن يمد حدود المدينة ولن يسمح لزوجته أن تغريه بذلك ، ثم هو يحصى بعد ذلك عدد المعابد التى سيقوم ببنائها فى أخت أتون وينتهى بالاشارة الى قبر الأسرة السالف الذكر ذاكرًا انه سيدفن به هو وزوجته وبنساته حتى أن وافاتهم منيتهم فى مدينة أخرى ، وهناك اشارة غريبة جاء فيها ان عجل منيفس فى هليوبوليس يجب أن يدفن هو كذلك فى مدينة أتون وهى دلالة أخرى على اعتماد الاتونية الجديدة على واحدة من أقدم العبادات الدينية فى مصر .

وتلقى النقوش المنقوشة التى لخصناها هنا فيضا من الضوء على أهم عمل من مهام اخناتون وأن كان يثير عددا من المشاكل ويخلق كثيرا من الأسئلة بغير جواب ، وليس من شك فى أن التصميم على خلق عاصمة جديدة فى العمارنة كان يدفع اليه الاعتراف والتسليم بأن عبادتى أتون وأمون رع لا يمكن أن تقوما جنب الى جنب بعد اليوم ، وعلى ذلك فان الظلام يظل يلفنا فيما يتصل بالصورة الحقيقية التى استلزمها هذا الفصل ولا بد أن ذلك كان فى اللحظة التى غير فيها الملك الصغير لقبه

من امنحتبه الى اخناتون التي تعنى « الصالح لخدمة أتون » وليست هناك أية علامات تشير الى خصومة لأبيه المتوفى وأن كان هو الآخر يحمل لقب امنحتبه بل نجد على العكس من ذلك أن نقوش المعبد فى صولب فى النوبة (١) ، وكذا لوحة فى هيراقونبوليس من مصر العليا تصور فيها أمنوفيس الرابع وهو يقدم القرابين الى أمنوفيس الثالث المؤله وهى حالات نادرة ترجع الى مرحلة تسبق الثورة مباشرة من غير شك مادام حرختى ذو رأس الباشق المرسوم على اللوحة مزود بالخرائيش والنعوت الدينية لأتون وهناك بالمثل دلالات على الولاء البنوى من ناحية اخناتون تبدو فى كتابات معينة حيث ترك اسم أبيه نب ماع رع دون أن يمحي كما استخدم مرة ثانية بشكل خشن ليحل محل اللقب (٢) المحقوت ، واما لقب نب ماع رع فكان يلقي قبولا لدى اخناتون لأن معناه « سيد الحق (ماعه) هو رع » ذلك لأنه هو شخصا كان يفاخر بأنه ينعت « ذلك الذى يعيش على الحق » وعلى أية حال فانه يجب أن نلاحظ أن ماعة التى لا نستطيع تجنب ترجمتها الى « حق » لاتعنى حب الحقيقة وان كان الميل للواقعية واضح تماما فى « الفن الجديد » لدى اخناتون ، ولقد بين « انثس » ان ماعة ، فى نصوص العمارنة ، ، تعنى « الكيان المرتب الحسن التنظيم » وأنها لا تشير الى الحق (بمعنى الصدق) الفعلى اطلاقا (٣) .
وأما فيما يتصل بـ « تبي » أم اخناتون فانه من الواضح أنه ظل على أطيب العلاقات معها وربما جاءت لتعيش فى نهاية الأمر فى العمارنة حيث تظهر صور لها فى مقبرة حويا – وكيل ضياعها – وهى تتناول الطعام مع ابنها وزوجته وان كان لايمكن التأكد مما اذا كانت هذه زيارة قصيرة أو اقامة دائمة (٤) .

والأقسام التى خلفها اخناتون ومؤداها الا يقوم بتوسيع اقليم أتون لغز ٠٠ أيعنى هذا أن الخلافات بينه وبين كهانة أمون رع أمكن تسويتها وديا فى أول الأمر وقنع هو بأن يعيش ويتعبد على طريقته فى مكان يختاره بنفسه ؟ انه ليس هناك على أية حال إشارة الى حرب أهلية بل أنه يرى كذلك امكان أن يموت هو أو أحد أفراد أسرته فى مدينة أخرى ٠٠ ان الحاجة الى كتابة مؤرخة عقبه كأداء فى سبيلنا . ولدينا

(١) P.M., VII, 169-70

(٢) J.E.A., XL, 14; No. 8.

(٣) J.A., O.S., 1952; Supplement

(٤) Davies, Am. III, Pl. 4

بردية من العام الخامس (١) عثر عليها في كوم مدينة غراب عند مدخل الفيوم كان لا يزال يستخدم فيها لقب امنحتبه وجاء بها ذكر لبتاح وتقدمات لآلهة والهة غيره ، وربما لم تكن هرطقة أتون قد وصلت بعد الى هذه الناحية شمالا ، وتؤكد النقوش الصخرية للمعماري «بك» Bek في أسوان أنه حتى مرحلة معينة من الحكم كانت المحاجر هناك تستغل « للآثار العظيمة القوية للملك في بيت أتون في أخت أتون » (٢) وهناك في أسوان ووادي حلفا (٣) وجدت وثائق سجلها نائب الملك اخناتون في النوبة ويدعى « دحوتموزه » وهناك كذلك اسم « جم أتون » (وجود أتون) الذي أطلق على موقع « كاوا » الهام وراء الجندل الثالث مما قد يشير الى تأثير نفوذ اخناتون هناك (٤) .

وأما عن الشخصيات التي منحها اخناتون فيما بعد مقابر صخرية في العمارة فلسنا نعرف من بينهم سوى واحد يتبعه من طيبة وهو ساقيه « بارننوفه » (٥) الذي زين جانبا من مقبرته الطيبية (٦) وقد هجرت بعد ذلك - بنقوش من العهد البائد بينما رسم في جزء آخر أتون في طراز العمارة الحقيقي ، وأما بقية المقربين من اخناتون فيبدو أنهم جدد لم تستطع الا قلة ضئيلة منهم أن تصل الى الوظائف العالية - وقد عثر على منزل الوزير نخت (٧) بين الانقاض ولكننا لا نعرف من أين أتى أو مدى سلطاته القضائية وأما عمدة أخت أتون فكان يحمل لقباً متميزاً يترجم بما معناه « اخناتون خلقتني » (٨) وكان العبيدون منهم كهنة كما كان هناك اثنان من المشرفين على شئون الحريم الملكي وكذا كبير أطباء ، وكان لا بد أن يكون هناك بطبيعة الحال قائد جيش (٩) وكذا حامل لواء (١٠) من بين ضباطه ، وأما - « آي » الموقر الذي سنسمع عنه الكثير فيما بعد فكان مشرفاً على جياد الملك (١١) ، وكان الأمر يتطلب وجود قائد بوليس (١٢) لحفظ النظام في المدينة وأما صاحب المركز المرموق

B.A.R., II, 973-6.	(٢)	P. 217 — No. 3.	(١) انظر
Släve Soderberg p. 162	(٤)	J.E.A., VI, 34-5	(٣)
		Davies, am VI, pls 2-10	(٥)
		J.E.A., IX, 133 ff. with pl. 23	(٦)
Davies. Am., IV, pl. 37	(٨)	P. M., IV., 206	(٧)
Op. cit., pl. 39	(١٠)	Op. cit., pl. 35	(٩)
Op. cit., IV, pls. 14 ff.	(١٢)	Op. cit., VI, pls. 22	(١١)

حقا فهو المشرف على الخزانة (١) . ومناظر الحياة في المدينة زاهية بصورة غير عادية ولسنا نستطيع أن نستوثق لبعد الزمن عن مدى أصالة الاعتقاد والاهتمام الشخصي من ناحية أعضاء الحاشية التي كانت تحيط باخناتون . . انه كان يهيل عليهم من غير شك العقود الذهبية ويزوردهم بالطعام من مائدته الخاصة . . وهناك على الأقل واحد من موظفيه يعترف بأنه رفعه من وظيفته الوضيعة الى مركز كان يمكنه من مصاحبة النبلاء (٢) ، وليس من شك في أن اخناتون كان يعد نفسه حوارى المعتقد الجديد ، وهناك نقوش عديدة في المقابر تنهض دليلا على الاستعداد للاستماع الى مذهبه وهاك مثلا نموذجيا منها (٣) .

ما أكثر نجاح من يستمع الى مذهبك في الحياة ومن يملأ ناظره بمشاهدتك ولا تتوقف عيناه عن النظر لآتون كل يوم كما أن الملك نفسه يقول لكاهنه الأكبر مرى رع وكذا لحاجبه توتو (٤) .

انت خادمى العظيم الذى تستمع الى مذهبي . وان كل عمل تؤديه يرضى قلبى عنه وأنا امنحك هذه الوظيفة حتى تستطيع أن تأكل من أطعمة فرعون السيد فى بيت آتون .

وتكفى هذه المقتطفات القليلة لتبين كيف أن هذا النظام الجديد لم يتناول بالتغيير سوى القليل من العلاقة بين الملك والرعية ، ولكن الفارق الرئيسى فى الواقع هو إبراز أقوى للذلة التقليدية ، وليس هناك مقابر فى مصر أكثر ازدحاما بالنصوص المنقوشة من مقابر العمارنة وهى جميعها تتناول بالمديح على وتيرة واحدة آتون أو الملك أو ما أضافه من نعم على صاحب المقبرة ، ولا يعوز اللغة الجمال تماما ولكننا لا ننكر انها مصحفة فى تعبيراتها ، وقد اشتهرت عن حق الانشودة الكبرى فى مقبرة آى (٥) وربما كان من الحق كذلك نسبتها الى اخناتون نفسه وهى لا تختلف كثيرا عن غيرها من نظائرها فى الجبانة ، وفيما يلى ترجمة حرفية تقريبا لها :

(١) Op. cit., I, pl. 15

(٢) Sandman, 61, 12-16

(٣) Op. cit., 92, 8-9; 60. 6

(٤) Op. cit., I. 7-9; 80.17-81.1

(٥) Sandman, 93-96

« أنت تشرق في بهاء في أفق السماء أى أتون الحى ، يا بادىء حين نشع في الأفق الشرقى وتملاً الأرض بجمالك ، أنت جميل وعظيم ومتلألئ وعال في كل أرض ، أشعتك تحتضن البلاد الى حد كل ماصنعتة انت بوصفك الشمس وأنت تصل الى حدودهم وتخضعهم لابنك المحبوب - أنت بعيد جدا ومع ذلك فاشعتك على الأرض ، أنت في وجوه البشر ومع ذلك فتحرركاتك لا ترى ، حين تغيب في الأفق الغربى تصبح الأرض في ظلام كالموت ، الليل ينقضى في غرف النوم والرؤوس مغطاة ولا ترى عين صاحبها ، تسرق أمتعتهم حتى وان كانت تحت رؤوسهم فلا يدركون ذلك ، الأسود تخرج من أوجارها والشعابين تعض . الظلام هو الضوء الوحيد بينما الأرض في صمت لأن صانعها يستريح في الأفق ، الأرض تلمع حين تشرق في الأفق وتضىء مثل أتون في النهار ، أنت تطرد الظلام وتضفى أشعتك . الأرضان في عيد تستيقظان وثقفان على أقدامهما لأنك أقمتهما ، أنهن ينظفون أعضائهم ويلبسون ملابسهم ويرفعون أيديهم مديحا لبزوغك الرائع ، الأرض كلها تقوم بعملها ، كل الماشية في سلام على مراعيها ، الأشجار والمراعى تخضر . الطيور تخرج من أعشاشها وأجنحتها تقدم المديح لروحك . كل الحيوانات تتوثب سرورا فوق أقدامها ، كل ما يطير أو يحط يحيون حين تبرز لهم ، السفن تبحر شمالا وجنوبا على السواء ، كل الطرق تنفتح عند طهورك ، الأسماك في النهر تقفز أمام وجهك . أشعتك في الأخضر العظيم (١) ، أنت يامن تجعل سائل الذكر ينمو في المرأة ومن يصنع الماء في البشر ، أنت يامن تأتى بالحياة للابن في جسد أمه ، أنت يامن تسكته بتوقف دموعه ، أنت يامن رعيتة في الجسد ثم تعطى الهواء ليعيش كل من صنعت ، انه ينزل من الجسد ليتنفس في يوم مولده ، أنت تفتح فمه تماما وتخلق له مقومات الحياة ، الكتكوت في البيضة ، أنت تكمله حتى يكسرها ، يكسر البيضة ، ثم يخرج من البيضة ليفصح عن كماله ، ويسير على قدميه حين يخرج منها » .

ما أكثر أعمالك انها خفية لدى أعين البشر ، أنت الاله الوحيد الذى ليس له من نظير ، أنت خلقت الأرض طبقا لرغبتك ، وكنت وحدك . . . خلقت البشر جميعا والقطعان والجحافل وكل ما على الأرض ، كل المخلوقات التى تدب على قدمين والتى تحلق عاليا مرفرفة بأجنحتها ،

(١) الاسم الذى يطلق عادة على البحر .

وبلاد خور (١) وكوش وأرض مصر . أنت ترى كل انسان في مكانه
وتمكن لهم من مقومات الحياة . . لكل طعامه ، ودورته في الحياة محسوبة
. . الألسن تتنوع في الحديث واللهجات كذلك . . ألوانهم متباينة لآنك
ميزت بين بلاد وبلاد » .

« أنت تصنع فيضان النهر في العالم السفلي وتأتي به كرجبتك
ليهب الحياة الى البشر ، أولئك الذين صنعتهم لذاتك أنت مولاهم جميعا
أولئك الذين يكدون معهم ، مولى كل أرض تشرق من أجلها ، أنت أتون
النهار ، العظيم في جلاله كل البلاد البعيدة أنت منحتها الحياة ، أنت
صنعت فيضان النيل في السماء (٢) وهو ينزل منها ويصنع أمواجاً على
البحال مثل الأخضر العظيم ليبلل حقولهم في قراهم . كم هي فعالة
خططك ! أي سيد الأبدية ! فيضان نيل السماء هو هبتك للبلاد الأجنبية
وللحيوانات التي تدب على أقدامها في كل بلد ، ولكن فيضان النيل يخرج
من العالم السفلي لأرض مصر - الأشعة تغذى كل مرعى . . حين تشرق
يحيون وينمون من أجلك » .

« أنت تجعل الفصول منتظمة لينجح كل ما صنعت . الشتاء ليبردها
وحراة الصيف لينذوقوك ، أنت جعلت السماء بعيدة لتضئ فيها ولتري
كل ما صنعت ، وأنت وحيد تضئ في مختلف صورك كاتون الحي وتبدو
رائعا ومشعا وأنت بعيد وقريب - أنت تجعل ملايين الصور من ذاتك
وحذك ، مدنا وقرى ، حقولا وطرقا وأنهارا . . كل عين تشهدك أمامها
. . أنت قرص النهار » .

« ليس هناك آخر يعرفك سوى ابنك نفر خبرورع وعانرع . أنت
جعلته يبرع في طرقك وفي قوتك . الأرض تصبح كائنة على يدك كما
صنعتها . أنت أشرقت وهم يعيشون ، أنت تغرب فيموتون ، انك أنت
العمر ، والرجال بك تعيش ؛ العيون في حضرة الجمال حتى تغيب ، كل عمل
يهمل حين تغرب على اليمين (٣) بالاشراق تجعلهم يفلحون . . من أجل
الملك ، حركة في كل ساق منذ أسست الأرض ، أنت ترفعهم من أجل

(١) فلسطين وسوريا ، انظر . Onom. I, 180 f.

(٢) يعنى المطر

(٣) كان المصريون ينظرون عادة الى الجنوب ومن ثم فكلمتا « الغرب » و « اليمين »
متعادلتان

ابنك الذى خرج من جسدك ، ملك مصر العليا والسفلى . الذى يعيش على الحق ، سيد الأرضين ، نفر خبرو رع وعان رع ، ابن رع ، الذى يعيش على الحق سيد الظهور البهى اخناتون العظيم فى خلوده ، مع زوجة الملك العظمى التى يحبها ، سيدة الأرضين ، نفر نفرو اتن نفرتيتى الا فلتعشى ولتنزدهر الى الأبد أبدا » .

وتجسد هذه الأنشودة التى طالما أشير الى مشابقتها الصارخة بالمزمور ١٠٤ ، كل عقيدة اخناتون تقريبا من الجانب الايجابى ولكنها تحوى قليلا مما لم يرد من قبل فى أناشيد اله الشمس ، وندور الفكرة حول القوة المنعمة للشمس كقوة طبيعية ، وقد عمل المصلح كل ما فى وسعه ليخلص هذه القوة من الارتباطات البشرية الالهية ، كان معبوده هو الكوكب المضىء العظيم نفسه الذى يباشر تأثيره المنعم بمنحة الحياة عن طريق الأشعة التى لا يوجد من لا يحس التماعها ودفاعها ، ومثل هذا المعتقد يستطاع تقبله عن طريق الرؤية الى ابعاد كبيرة ، كما أنه ليست هناك صورة منحوتة قدمت أتون فى الهيئة الانسانية ، ومع ذلك فإن المعتقد الجديد انهار من الناحية اللفظية مادامت اللغة بضرورتها تصف الأحداث فى اصطلاحات ذات مظهر انسانى ، وحين توجه الأناشيد الى اتن بصيغة المخاطب وحين نلتقى به فى قصيدة أقصر من نفس السياق يدعى « أم وأب » كل الأشياء المخلوقة (١) ، وحين يعامل اخناتون نفسه كابن محبوب جاء من أشعة اتن فان التناقض يكون واضحا . ان الاتونية لم تكن مجرد نظرية طبيعية ولكنها كانت توحيداً أصيلاً ، وان العظمة الحقيقية لهذا المصلح تكمن فى الشجاعة الخلقية التى جاهد بها ليزيح تجمعات النفايات الأسطورية الموروثة من الماضى . . ولقد كانت هذه من غير شك عظمة سلبية ولكنها كانت عظمة ليس من العدالة أن ننكرها عليه ، فانه لا يمكن مناقضة القول بأن سلوك اخناتون كان أكثر الأمور فاعلية لاثارة سخط أعدائه ، وكان كلما ازداد قوة ازدادت الحماسة التى يعمل بها على اضطهاد التقاليد التى ظلت دهرا موضع التمجيد . وفى لحظة معينة أبعد ذكر رع حرجتى من الخرطوش الأول اتن أو من الاسم (انظر صفحة ٢٤٠-٢٤١) واحل محله حاكم الأفق «أما فى الخرطوش الثانى فانه رغم أن كلمة « شو » لا تعنى أكثر من « ضوء الشمس الا أنه أبعدا كذلك لتشابهها بلقب اله « الفضاء » (٢). ولكن حماسة اخناتون

(١) Davies, Am. IV pl. 32, Apy 4

(٢) J.E.A., IX, 168 ff.

الهدامة لم تقف عند هذا الحد ، ذلك لأن المعتقد الحقيقي لم يكن من الممكن ان ينتشر ما لم يتم بالغاء العدد الذى لا يحصى من الآلهة والالهات التى كانت تعبد حتى ذلك الوقت . وتبعاً لذلك نراه يرسل عماله فى البلاد كلها ليمحو أسماءها حيثما وجدت محفورة أو مكتوبة ومن نافلة القول أن نقرر أن أمون رع كان الفريسة الرئيسية لغضبه الذى استهدف تدمير الصور والتماثيل الدينية بل أن الكلمة البسيطة «أم» كانت تشبه الآلهة الطيبية «موت» فأمر بالتخلي عن الرسم الهيروغلىفى للعقاب وأمر أن تكتب بالحروف بعلامتى م ت ، أما كلمة آلهة فكانت محرمة ، وأما «امنحبة» لقبه السابق ولقب أبيه فقد تحدثنا عنه من قبل .

وهناك عسدم تناسب فى النقوش التى وجدت فى منطقة العمارية أثارى من غير شك - اشمئزاز المتشبهين بالتقاليد وكانت صورة اخناتون تتوسط المنظر دائماً وكان وضع خراطيشه الى جانب خراطيش اتون مما يدل على انه كان لا ينفر اطلاقاً من ادعاء نصيب فى الوهية أبيه المقدس ، والواقع أن المرء يستشعر أحياناً أن هذا النصيب كان يقارب التماثيل الكلى ، ودليلنا على هذا الاتجاه ، النعت « ذلك الذى فى عيد سد » الذى أصبح ملازماً للقب الاله ذلك لأن « عيد سد » أو « اليوبيل » كان بالضرورة احتفالاً ملكياً ، ويبدو أن الارتباط يجيء من ناحية أن أتون وابنه الشبيه بالاله يبدآن معا طوراً جديداً لوجودهما المشترك ، ومما له مغزى كذلك أنه بينما كان اخناتون يتعبد لأتون كان رعاياه يتعبدون له هو ، ومن ناحية أخرى نجد أن الطريقة التى أعلن بها اهتمامه بالأمور المنزلية كانت لا تتجانس وهذه الادعاءات المتعالية فهو يرى مصحوباً دائماً فى المناظر بزوجه نفرثيتى وبعدد من بناته اللواتى بلغن الستة عدداً فى نهاية الأمر ، ونرى فى إحدى اللوحات طفلة يقبلها أبوها الملك بينما تدلل أخرى على ركبة أمها الملكة (لوحة ١٥) (١) . وقد صور اخناتون وهو يستضيف أمه تيبى - أو تضيفه هى - فى وليمة وهو ينهش ضلعاً كبيراً بينما تفعل نفرثيتى الشيء نفسه فى طائر مشوى (٢) . ويبدو اعزاز الملك لزوجته ثم لصهره فيما بعد دون أى تكتم ، وكم يبدو هذا مخالفاً للتصرف الذى يتسم بالوقار فى العصور القديمة حين كان أقصى ما يعرض من مظاهر الألفة وعدم التكلف لا يعدو ذراعاً تمتد بفتور حول خصر الزوجه .

(١) Z.A.S., LII, 78, fig. 9

(٢) Davies, am, III, pl. 4

كان هناك عيب في المذهب هو حاجته الكاملة للتعاليم الاخلاقية ، ويرجع سبب ذلك الى حد كبير من غير شك الى اقضاء اوزيريس لا لأن اسطورته كانت تمتاز بعمق روحى بل لأنها كانت تروى قصة انتصار الخير على الشر ، وتحدث عن اخلاص الزوجة وولاء الابن ولذا احتفظت العبادة الجنازية بكثير من مظاهرها الخارجية ، ولكن هذه جردت الآن من معناها السابق (١) . كانت الجعول الكبيرة لا تزال توضع فى الموميا ، ولكن الكتابة التى عليها لم تعد تلتصق من القلب أن يكف عن الشهادة ضد الميت حين توضع أعماله الأرضية فى الميزان . وكانت تماثيل الأوشبتي (انظر صفحة ٤٨) لا تزال شائعة ولكنها لم تعد بعد لتتقوى على اعفاء صاحبها من واجبه فى أداء الأعمال الزراعية فى العالم السفلى ، وانه ليبعد كذلك أن عقيدة اخناتون لم تتغلغل الى ضمائر الجماهير - ولقد كشفت قرية العمال فى العمارة عن آثار متعددة للعبادة القديمة ومن بينها تماثيل للاله بس على شكل القزم وللعين المقدسة لحوريس وغيرها - وأما الانتشار الكامل للمعتقد الجديد فيتطلب بحثا أوسع ، ومن المؤكد أنه كان يوجد بممفيس معبد لـ «اتن» (٢) ، وقد عثر على بقايا مبعثرة فى طول البلاد وعرضها - وان لم نجد لها الى شمال هيليوبوليس فى الدولتا - لنقوش آتونية ، وأما فيما يتصل بالنوبة فراجع ص ٢٤٨ .

وقد نسبت الى اخناتون فى وقت ما رغبته فى تأسيس دين عام ، ولكن النصوص لا تدعم هذا الافتراض كثيرا حقا ان العقيدة الكبيرة التى قدمنا ترجمتها تشير الى سورية والنوبة ، ولكن من الصعب أن يؤمن الجميع بأن الشمس نفسها التى تضى مصر هى التى تضى هذه البلاد على السواء ولا أن ما يروى أراضيهم مطر بدلا من فيضان النيل ، ونحن لا ندرى شيئا عن جهود الدعاية فى الشمال بل على العكس نرى أن اهتمام الملك يظهر فى غالب الأمر محدودا . وقد قام الملك بسبب حماسه بأداء الخدمة اليومية بالمعابد فى ضوء الشمس الكامل وليس فى حجرات مغلقة مظلمة كما كانت الحال من قبل ، ومن أجل ذلك لم يكن راغبا فى أن يكلف نفسه عناء الاهتمام بالشئون الخارجية ولهذا السبب نفسه نجد أن اتهام التهدة أو المهادة الذى يوجه اليه يعيد عن الهدف ، وقد تكرر كثيرا هذا الاتهام حتى قيل أنه بدد الامبراطورية المصرية العظيمة التى انشأها توتموزيس الثالث فى فلسطين وسورية بسبب تراخيه وكراهيته

(١) Z.A.S., LV, 2-4; J.E.A. XLIII, 19

(٢) P.M., III, 220

للحرب ٠٠ والأمر كله يتطلب إعادة النظر فى ضوء المعلومات المتزايدة التى أمكن جمعها عن هذه البلاد نتيجة للأبحاث الأثرية ، واللغوية ، بن أن الأمر ليدعو للشك فيما اذا كانت الامبراطورية المصرية التى طالما تناولها الحديث بالفخر قد قامت فعلا ٠٠ ان هزيمة توئموزيس الأول لميتانى ربما كانت داعية لقيام محاولة فى هذه الناحية ، ولكن ليس هناك من دليل على أن نجاحه ظل يتابع فى عصر خلفيه ، وانه لمن التعت أن نقلل من الأعمال الرائعة التى قام بها توئموزيس الثالث ولكنها بدأت بثورة من حلف ضيخم من رؤساء الاقاليم الفلسطينية والسورية الصغار - وحتى بعد أن هزمت ميتانى نجد أن الأمر يستلزم تجريد ثلاث عشرة حملة أخرى منفصلة لتمكين السيادة المصرية ، ونستطيع أن نحدر - والأمر لا يعدو التخمين - انه بينما كانت الموانى فى قبضة حازمة كان الحكام الحربيون معينين فى نقط حساسة . ومهما يكن من أمر فان دويلات المدن الصغيرة الكثيرة التى كانت تنقسم اليها البلاد كانت تعد نفسها فى أغلب الأمر من موالى فرعون الذين كانوا يلتزمون حمايته التى رأوا فيها على الأقل أهون الشرور ، ولقد كان الشقاق فيما بينهم مما حفزهم الى السعى وراء عون ما حيثما يوجد ، ولم تكن مصر دائما فى رأيهم آمن القوى التى يتجهون اليها ، وأنه لمن الخطأ أن نعد اخناتون الفرعون الوحيد المسئول عن ضياع هيبة مصر فامونفيس الثالث لا يقل نصيبه عنه فى اللوم ، وهناك عدة خطابات موجهة اليه من « أكيزى » صاحب قطننة يشكو فى مرارة من أن فشله فى ارسال جيوش يمكن « ايتوجاما » حاكم قادش من أن ينحاز لصف الحيثيين . ومع هذه بضعة أمراء محليين صغار ، وهناك أهل تونب فى خطاب آخر (٢) ربما كان لاختاتون - يعلنون أنهم ظلوا طوال العشرين سنة السابقة يلتزمون العون ولكن أحدا لم يعرهم التفاتا ، ويزخر عدد كبير من « كتب العمارنة » (٣) بالتوسلات اليائسة التى يبعث بها ربعدى نائب الملك فى ببلوس طالبا العون ضد عبدى شرتا الذى كان ملكا على أمور ، وهى اذ ذاك منطقة ساحلية تمتد من لبنان شمالا حتى أرادوس (ارود) . ولقد كان عبدى شرتا وأولاده من بعد ذبحه وبخاصة عزيزو - رغم بعض الادعاءات السابقة - اعداء مزمنين لمصر ربطوا أنفسهم بأعداء فرعون

(١) A.M., 53. 11 ff.; 54.26 ff; 55.16 ff.

(٢) A.M., 59. 13 ff.

(٣) Mercer (II) 830-7

المعروفين بـ الحابيز (صفحة ٢٢٦) أو ساجاز (قاطعو الرقاب) ثم فيما بعد بالحسينيين ٠٠ وقصة ربعدى فى محاولة الاستمساك بالولاء نحو مصر تخص تاريخ فلسطين وسورية أكثر مما تخص تاريخ مصر ، ومهما بلغت فتنة هذه المأساة فإن تعقيدها أكبر من أن نتابعه هنا ، ولكن مادام علينا أن نتعرف جدى الى القوة العدوانية للحسينيين فيما بعد فأنا يجب أن نخصص فقرة على الأقل لبروزهم على مسرح سورية الشمالية .

إن اللفظ السلالى « حيشيون » جاء عن طريق التوراة حيث يعنى المجموعة البشرية التى وجدها الاسرائيليون تسكن فلسطين حين دخلوا الى أرض الميعاد ، وهذا ليس سوى خيط رفيع من سلسلة الانساب التى تربطهم بالأمة الكبرى خاتى التى سنتعرف اليها الآن ومع ذلك فإن استخدام كلمة حيشيين ظل سائدا لدى الباحثين ولم تقم محاولة للتخلص منها ، ولسنا نستطيع أن نخصص مكانا للخطى التى تم بها التوصل فى شمال سورية الى الكشف عن عاصمة الحيشيين ، « خاتوساس » فى الأناضول على بعد ثمانين ميلا الى شرق أنقرة ، ونصف هذه المسافة الى جنوب البحر الأسود ، وكان من ثمار حفائر هوجو ونكلر التى بدأها فى عام ١٩٠٦ الكشف فى هذا الحصن الجبلى بالقرب من قرية بوغازكوى عن دار ملكية للمحفوظات تضم قرابة ١٠ر٠٠٠ لوح اسفينى كتبت بلغة - أثبت بعد بحث طويل - انها من العائلة الهندوأوربية . وكانت المحتويات لحسن الحظ تاريخية الصيغة لحد كبير واستطاعت أن تزودنا بتفصيلات دقيقة عن العلاقات الأجنبية قبل وبعد الفترة التى نعالجها فى هذا الفصل - وهكذا انتهى عصر مبهم - كانت تعوزنا فيه مصادر المعلومات - عن تاريخ غير مؤكد فى أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد ابتداء من تودها لياس الثانى الذى يعد عادة مؤسس الامبراطورية الحيشية ، ولا بد أنه واحد من أسلاف ذلك الذى جاءت رسله بالهدايا الى توثموزيس الثالث كما ذكرنا من قبل (صفحة ٢١٥) وعلى أية حال فإنه تلت ذلك فترة جديدة بدأ فيها ضعف الحيشيين واستطاعت ميتانى خلالها أن تسترجع قواها بعد هزيمتها على يد مصر وأصبحت فى واقع الأمر القوة المسيطرة على شمال سورية ، وهكذا وقفت ميتانى فى طريق التوسع الحيشى الى ناحية الجنوب الشرقى كما وقفت ارزاوا فى طريق هذا التوسع غربا ، ولكن اعتلاء سوبيللوليوماس فى عام ١٣٧٥ ق . م وضع حدا لهذا كله ، وقد كان سوبيللوليوماس جنديا عظيما حكم مدة طويلة ميزتها حركاته الدبلوماسية الناجحة ، وانتصاراته الحربية البارزة حتى انتهى الأمر بعد مقتل توشراتا بتحول ميتانى الى مركز دولة حاجزة بينه وبين قوة أشور الصاعدة ،

ولم تلبث ميثاني بعد ذلك أن اختفت كدولة معترف بها مخلفة الحيشيين دكتاتوريين حقيقيين في كل الاقليم الواقع غرب الفرات وظلوا كذلك طوال القرن التالي ، وقد كتب سوبيلوليوماس في أول حكمه خطابا الى الملك اخناتون عقب موت أبيه امنوفيس الثالث (١) يذكره بوعده لم يتحقق خاص بارسال بعض التماثيل من الذهب والفضة له . ولئن استثنينا خطابا آخر من الكتب التي عثر عليها في العمارة لم يكتمل ربما كان من انشاء سوبيلوليوماس نفسه - نجد أن العلاقات المباشرة بين الحيشيين ومصر قد توقفت لفترة - وربما كان ذلك لأن سوبيلوليوماس رأى أن النفع قليل من وراء هذا المراسل الكسول .

وأما عن بقية حكم اخناتون فإنه لا تزال تعوزنا تماما الوثائق ذات القيمة التاريخية ونحن نعتمد على ما أمكن استخراجها من خرائب العمارة - وقد ماتت الابنة الثانية ماكت أتون ووصف الحزن في جنازتها على جدران المقبرة الملكية الكبرى (٢) - ويبدو أن الملكة نفرتيتي مستها فضيحة ما في العام الثاني عشر أو بعده بقليل ما لم تكن قد ماتت ، وقد محى اسمها دوما من ميني خاص يدعى مارو أتون يقع الى جنوب المدينة وأحل محله اسم ابنتها الكبرى مريت امون (٣) الذي خلف زوجها سمنخ كارع حميه اخناتون على العرش لفترة قصيرة ، والعلاقة غامضة بين هذا الملك الهزيل وبين حميه ، وهناك لوحة يظهر فيها الملكان جالسين معا في مظهر مودة شديد ، ورغم أنه ليست هناك كتابة هيروغليفية بالخراطيش الا انهما من المؤكد اخناتون وسمنخ كارع - وهناك حقيقة معينة هي انه هناك صورة بديلة للقب سمنخ كارع حيث يطلق عليه نفر نفرو اتن المحبوب من وع - ان رع (٤) - والعنصر الأول هو اللقب الذي كانت تحمله الملكة نفرتيتي أما العنصر الثاني وع ان رع فهو أحد نعوت اخناتون ، ومن ثم فإنه يبدو كأنما حل سمنخ كارع في عطف الملك محل الملكة ، وللشك أن يظل قائما فيما يتصل باشتراك في الحكم بينهما ما دامت ليست هناك توارين مزدوجة . وفي مقبرة العمارة (٥) التي يظهر فيها اخناتون مع زوجته يكافئان صاحب المقبرة بالذهب استبدلت خراطيشهما بخراطيش

(١) انظر ما قبله صفحة ٢٣١ .

(٢) P.M., IV, 236

(٣) C.O.A., I, 155 with., No. 3

(٤) J.E.A., XIV, pl. 4

(٥) Ibid, 5. 10 ff.

سمنخ كارع ومريت أمون مما قد ينهض دليلا على أن الملك الأكبر سنا مات قبل أن يهجر شريكه الأصغر العاصمة الى طيبة ودليلنا على اتخاذ الخطوة الأخيرة كتابة بالهيراطيقية ترجع الى السنة الثالثة وجدت بالقرنة يشار فيها الى المدعو بواج وهو كاتب قرابين لأمون في قصر عنخ خبرورع - (وهو اسم سمنخ - كارع) في طيبة . والنص تناول أنشودة للاله القديم (١) ومن هنا يتضح أن صهر اخناتون ومحبوبه السابق كان أول من نخلي عن هرطقة أتون ، ومن بين بقايا الحكم القصير عشر على عدد من الحلقات في العمارة وكذا على قطع من نفس في ممفيس (٢) . هذا بخلاف احتمال طفيف لامكان الحصول على مومياء المرتد الصغير .

كانت السحب العاصفة تتجمع منذ وقت لا بأس به حول شخص المصلح السيئ الحظ ، ولسنا نعرف على وجه التحقيق كيف انتهت مغامرته . ان لدينا أختام جرار من العام السابع عشر ولكن هذا آخر ما لدينا وهناك ما يصلح أساسا للقول بأن أملة في أن يدفن في مقبرته الفسيحة في العمارة التي كان قد صممها لنفسه ولاسرتة لم يتحقق ، وقد وجدت الأجزاء المكسورة لأربعة توابيت من الجرانيت الأحمر طريقها من المنطقة الى متحف القاهرة (٣) ، واستطاع بندلبري أن يستخرج من الأرض أجزاء من صندوق الاحشاء المرمرى لخناتون (٤) وهو يقرر في صراحة انه لم يستخدم لأنه لم تكن نلطخه بقايا المادة الراتنجية السوداء التي نراها في المقابر الملكية الأخرى ، ومن الواضح أن أيدي انتقام الحريصين على التقاليد القديمة لم تكف عن العمل . . ثم تنتقل المشكلة الى طيبة ، فقد عثر الأثريون الذين يعملون بتمويل من المليونير الأمريكي ديفيس في عام ١٩٠٧ مصادفة في بيبان الملوك على مقبرة خربت في عنف نسبت من أول نظرة سريعة للملكة تبي (٥) ولعل ما دعا الى ذلك هو العثور على بقايا هيكل مزار كبير مغطى بالذهب تشير النقوش عليه أن اخناتون صنعه من أجل أمه . ولكن كان هناك كذلك تابوت مشوه جدا ومرمم يحوى مومياء قدر العالم الفسيولوجي الكبير اليوت سميث انها لرجل ، ولقد كان ظهور

(١) Davies, Am., II, pl. 41

(٢) J.E.A. XIV, p p. 10 ff.

(٣) P.M., III, 220

(٤) Ann. Serv., XXXI, 102, N. 2

(٥) Op. cit., XL, 537 ff.

لقب اخناتون على التابوت دلالة صريحة على ان شاغله ليس سوى الملك المهرطق نفسه وظلت هذه الفكرة حتى استطاع دارسى (١) فى عام ١٩١٦ أن يقدم دليلا مؤداه أن شاغل التابوت الأول كان امرأة يظن انها تسمى وأنه استصلح فيما بعد لتحفظ به بقايا الملك ، وأحس دارسى أنه لا يستطيع بأية حال أن يؤكد وجهة النظر القائلة بأن الملك المذكور هو اخناتون وكان صاحب المومياء فى رأيه هو توت عنخ آمون ، وفى عام ١٩٣١ بدأ انجلباك مناقشة الأمر من جديد (٢) . وكانت مقبرة توت عنخ آمون قد تم الكشف عنها قبل ذلك ومن ثم كان المرشح ليكون شاغل التابوت هو سمنخ كارع ، وقد دعم «درى» وجهة نظر انجلباك وقرر أنه يستطيع أن يجزم بعد دراسة جدية دقيقة للجمجمة انها لا يمكن أن تكون لاختناتون وانها تخص شابا أصغر سنا (٣) . ونحن الآن أمام حكمين متعارضين لاثبتن من أقدر العلماء الفسيولوجيين لا نستطيع الا أن نقول أن المظهر الخارجى للمشكلة يجب أن يبقى دون قرار نهائى . أما من ناحية التابوت نفسه فان « الدرد » ناقش الأمر بقصد الوصول الى حل للمشكلة وقد وضع فى حساباته المعدات الجنزية الفخمة لتوت عنخ آمون وكذا التوابيت الأربعة وأحدها من الذهب الخالص - وهو يرى أنه لا بد من أن اخناتون صنع لنفسه أشياء مماثلة ومن ثم فان التابوت من الدرجة الثانية الذى عثر عليه فى المقبرة الطيبية لا يمكن أن يكون احد التوابيت التى جهزها الملك المهرطق لدفنه ويتابع « الدرد » القول بأن هناك مظاهر أثرية متعددة تؤكد أن شاغل التابوت المزعوم كان امرأة ، وان لم يكن هناك دليل ايجابى باق ليبين أنها من أميرات العمارنة ، ومما له دلالة حاسمة فوق كل شئ لاثبات أن تابوت الانثى جهاز ليناسب اخناتون نفسه وجود صل من البرونز يحمل لقبه فى صورته الأخيرة ، وليس من شك فى أن هذا أضيف الى الجبهة فيما بعد ، ويعدل هذا فى الأهمية كذلك ، كدليل ، الأربع قطع من الطوب السحرية التى عثر عليها فى القبر فى أماكنها الصحيحة (٤) - وعليها كذلك خرطوش اخناتون ولا يستطيع تفسير وجودها الا بان المقصود منها أن تؤدى وظيفتها الحقيقية ألا وهى حماية الملك من الأرواح الشريرة ، وتبعاً لذلك فإنه من المؤكد أن من جهزوا

J.E.A., XLIII, 10 ff. (١)

Bull. Inst. fr., XII, 151 ff. (٢)

Ann. Serv. XXXI, 103 ff. (٣)

Op. cit., 115 ff. (٤)

أمر الدفن اعتقدوا - ان حقا أو باطلا - انهم كانوا يقومون بدفن اخناتون نفسه ، وفي رأينا انه افتراض معقول أن يكون قلة من اتباعه الأوفياء استطاعوا أن يستنقذوا من مقبرة العمارنة بقدر ماوسعهم أثاثا جنازيا نقلوه الى طيبة جاھدين في تجهيز دفنة ملائمة لمولاهم الذي كانوا يحترمونه كاله تقريبا - ولئن كان ما يقرره « درى » صحيحا فانهم أخطئوا حتى في هذا العمل الأخير الذي ينم عن الولاء ، ومن ثم يمكن تقبل الرأى بان جسد اخناتون مزق الى أشلاء وألقى به الى الكلاب ، وأما عن اللعنة التى لاحقته بعد موته بقليل فليس من شك فيها وقد ظل جيلان من بعده يشيران اليه كأنما هو « العدو من أخت أتون » (١) . وقد هجرت العمارنة عقب ذلك ولم تشغل بعد كعاصمة ، ومن هنا كانت أهمية خرائبها التى تكشف عن صورة العاصمة المصرية فى لحظة ثابتة معينة .

كان خليفة سمنخ كارع هو توت عنخ أمون الذى سيظل اسمه مشهورا دوما بسبب ذلك الاكتشاف المثير لمقبرته الذى قام به هوارد كارتير عام ١٩٢٢ . وهو لم يكن يزيد كثيرا عن الثامنة عشرة من عمره عند وفاته ومع ذلك فقد حكم ثمانى سنوات كاملة فان هذا يعنى أنه كان مجرد طفل حين اعتلى العرش ، ولما رفعت اللغائف عن وجهه موميائه - ذهل المكتشفون حين أدركوا مشابھته لاختناتون حتى دفع بهم ذلك الى الحدس بأن كان ابنا لاختناتون من زيجة غير رسمية ، ورأى بعض العلماء انهم وجدوا بهذه المشابهة القوية الدليل على انه كان ابنا لامنوفيس الثالث . ولعل من الخير أن نقول انه ليس هناك شىء ثابت فيما يتصل بأمر أبويه ، وربما كان وصوله للعرش عن طريق زوجته « عنخ اس أن أمون » الابنة الثالثة لاختناتون ونفرتيتى . وكانت تعرف خلال حياة أبويها عنخ اسن ان با اتن . ولكنها تخلت - كما فعل زوجها - عن الإشارة المقيتة لقرص الشمس فى اسمها حالما أدارا ظهريهما للعمارنة ، ولابد أن هذا حدث مبكرا بقدر الامكان ما دام ليس هناك أثر لها فى تلك البقعة سوى جعل قليل (٢) ، وهناك بعض المصاعب التى تكتنف سن « عنخ اس أن أمون » سنوردها دون أن نحاول حلها ، ذلك أنه وجد بالمقبرة جنينان انثيان فى أغلب الأمر ، هما جنيناهما من غير شك ، كما عثر على لوح حجرى بالاشموئين يشير الى ابنة صغيرة تحمل اسمها نفسه ولكن يميزه نعت « الطفلة » الذى أضيف اليه (٣) . وأمام وجود خرطوش أبيها

J.E.A., XLIII, 23 (١)

Gardiner, Mes, 23, N. 82; J.E.A. XXIV, 124 (٢)

Petrie, Tell el Amarana, pl. 15 (٣)

اخناتون على اللوح نفسه اقترح البعض قيام زيجة بينهما بعد موت توت عنخ أمون وهو اقتراح لا مبرر له اطلاقا (١) ، وهناك اقتراح أوهن من ناحية القرائن التي يركز عليها وهو الاقتراح الذي يشير ارتباطها بالموظف المسن أى (٢) وفي اعتقاد الكاتب (جاردنر) ان فضيلة هذه الملكة الصغيرة الجميلة قد طعنت بغير حق رغم انها - كما سنرى فيما بعد - لم تنفر اطلاقا من فكرة زواج ثان ومن أجنبى كذلك .

وقد أضاف توت عنخ أمون الى لقبه كنية « حاكم اون الجنوبية » ويعنى هذا أنه كان يعد طيبة عاصمته الرئيسية . وتبعاً لذلك فان اللوحة الكبيرة (٣) التي أمر أن تقام بالقرب من الصرح الثالث فى معبد الكرنك تصوره وهو يقدم القرابين لأمون وموت وان كان كملك لمصر جميعاً يزعم كذلك انه المحبوب من آتوم حرختى فى هليوبوليس ومن بتاح فى ممفيس ، والنص الطويل مسجل بالسطور التقليدية المعتادة ولكن هناك فقرة تتصل فى وضوح تام بالحقيقة التاريخية :

حين اعتلى جلالته العرش كملك كانت معابد الآلهة والالهات ابتداء من الفنتين حتى مستنقعات الدلتا قد انهارت ، وكانت هياكل مزاراتها قد دمرت وأصبحت خرائب تنمو فيها الأعشاب . أما المصليات فكأنما لم تكن وأما الإبهاء فكانت طرقات للمارة . كانت البلاد قد انقلبت رأساً على عقب وأدار الآلهة ظهورهم للبلاد وان أرسل الرسل الى زاهى (سورية) ليمدوا حدود مصر فانهم لم ينجحوا ، وان اتضع امرؤ لاله ليلتمس منه سؤالاً فانه كان لا يجيبه ، وان قدمت الصلاة لالهة فانها كانت لاتستجيب كذلك . . ولكن بعد أيام كثيرة اعتلى جلالتي عرش أبيه (٤) وبسط سلطانه على أقاليم حورس وأصبحت الأرض السوداء والأرض الحمراء تحت ادارته .

ويتابع النص القول بأنه بينما كان الملك فى قصره فى بيت عاخيركارع (توتوموزيس الأول) فى ممفيس قام بمشاورة قلبه عن الوسيلة التي يستطيع بها أن يقوم بدور المصلح مع أمون والآلهة الآخرين ورأى أن

(١) Z.A.S., LXXIV, 104

(٢) J.E.A., XVIII, 50

(٣) P.M., II, 16-17; J.E.A. XXV, 8 ff.

(٤) يجب الا يؤخذ هذا الاصطلاح التقليدى دليلاً على أن توت عنخ أمون كان ابناً حقيقياً لآخناتون .

تزيين التماثيل وتحليتها بالجواهر وما يمانلها ربما كانت خير طريقة لضمان تجديد رضاها وليس من شك في أن توت عنخ آمون ونصحاه عملوا ما في وسعهم لاسترضاء السماء الغاضبة فنراه في الاقصر مثلاً يزين بهو الأعمدة الضخمة تزيينا رائعا بالنفوش (١) التي تمثل العيد الكبير لأمون رع حين يقوم الاله بزيارته السنوية للمعبد الجنوبي القريب ولكن العناصر الاصلية لهذا العمل الرائع محيت تقريبا على يد خلفه الذي اغتصبها وهناك بعض المباني الرسمية القليلة الأخرى من عهده ، ولكن ليس من بينها ما يستحق الذكر هنا . ومع ذلك فلعل من أبرز الأشياء أهمية على أية حال المقبرة الطيبية المنفوشة بالالوان الجميلة لنائب الملك حوى حيث بينت بدقة تفصيلات الاقليم الذي يديره والذي يمتد من الكاب الى نبتة ومنه يتضح أن حوى كان يدير المنطقة الرئيسية للذهب الذي لم تمل كتب العمارنة من نوالى ترديد وصف مصر كأرض «الذهب فيها كالشراب» .

وقد كشف مساعدهو ثيودور ديفيس عن قطعة دقيقة من رقائق الذهب فى غرفة مليئة بالطين فى بيبان الملوك ، وهى فيما كشفت عنه تبرز الكثير من الأشياء التى تبدو أهم منها (٢) وقد صور فيها توت عنخ آمون تنبعه زوجته وهو يقف متزنا ليدبح عدوا أمسكه من ناصيته ، والى اليسار يقف حامل مروحة ويده مرفوعة كمظهر للعبادة ويشار اليه فى أكثر من مكان بأنه أب الاله ، أى ؛ وانه لما يشك فيه كثيرا أن يكون توت عنخ آمون قد شغل اطلاقا بأى عمل حربى أو شبه حربى ، ولكن تصوير « آى » على هذا الشكل يشير الى مرحلة كان هو خلالها القوة الفعالة خلف العرش ، ولم يكن يصطنع لنفسه صفة أخرى ، وهناك قطعة أخرى من المصدر نفسه يلقب فيها بلقب الوزير (٣) ، وقد انتحل « آى » على أية حال الألقاب الملكية قبل موت توت عنخ آمون وظهر كشريك فى العرش وقد مثل على هذه الصورة فى الرسوم على جدران غرفة دفن توت عنخ آمون حيث يقود جنازة الملك الشاب (٤) .

كان كل فرعون منذ أبام توتموزه الأول ينقر لنفسه مقبرة فخمة فى بيبان الملوك ولم تنقطع سلسلة المقابر على هذه الصورة حتى فعل ذلك

W. Wolf, Das schöne Fest von Opet, Leipzig, 1931 (١)

Th. M. Davies, the Tombs of Harmhabi and Toutatankhamanu, London, 1912, p. 128, fig. 4. (٢)

Op. cit., p. 133, 15. 3 (٣)

Ann. Serv., XXXVIII, 641 ff. (٤)

اخناتون بانتقاله الى العمارنة وقد تابع السلسلة ملوك الأسرتين الناليتين ومع ذلك فلم تسلم واحدة من هذه المقابر من نهب اللصوص ، ولا تزال باقية تلك النقوش التي تمثل أسرار العالم السفلى اذ تزين جدران الممرات الطويلة ، وقد نجد كذلك تابوتا أو تابوتين ، وربما كذلك مومياء ملكية مجردة من أكفانها ، ولكن ليست هناك تقريبا قطعة واحدة من كل تلك الكنوز التي أمل الملوك في اقتنائها في الحياة المقبلة ، وليس هناك سوى حاكم واحد من هذه الفترة شذ عن ذلك الأمر وقام هناك احتمال أن يكون قبر توت عنخ آمون قد أفلت من أيدي اللصوص ، وكان هذا الاحتمال البعيد في ذهن هوارد كارتير الذي كان يعمل لحساب إيرل كارنارفون حيث ظل يدافع في عناد عن ضرورة استمرار الحفر الذي كان قد أثبت حتى تلك اللحظة عدم جدواه . وأخيرا سنحت فرصة تنازل بها الحظ فبدأ مواتيا . وكان هناك باب مختوم يقع في مكان عميق تخفيه بعض البقايا التي تكونت فوقه منذ حفر قبر رمسيس السادس في جانب النل، وكان الباب يؤدي الى أربع غرف منها اثنتان داخليتان سالتان تماما تقريبا ، وأما الخرفة الخارجية عند المدخل فكانت تحوى أثاثا أعيد وضعه بسرعة وبغير ترتيب بعد أن حاول اللصوص نهبه ، وأما الغرفة الرابعة التي تقع من ورائها فكانت تستخدم مستودعا للبقايا والمخلفات التي لم يكن من اليسير اصلاحها . وكانت المقبرة فعلا مقبرة توت عنخ آمون ، وقد فاقت محتويات الغرفة الامامية كل ما شهده أو حلم برؤيته أى واحد ممن قاموا بعمليات الكشف عن الآثار في مصر (لوحة ١٦) فهناك على سبيل المثال أسرة كبيرة وكراس وصناديق ملونة ومطعمة وأوان من المرمر وعرش فاخر وكومة من العربات المقلوبة . . . ولكننا لن نتوقف هنا لنصف تفاصيل هذا الكشف الفريد ، ويكفى القول بأنه حين كسر الحاجز من الجص بعد ثلاثة أشهر وكان يحرسه على الجانبين تمثالان حارسان ، كشف عن هيكل كبير مذهب ومحلى بالقاشاني وجدت بداخله ثلاثة هياكل أخرى مذهبة كذلك الواحد في داخل الآخر ، وبداخل أصغرها تابوت ضخم من الكوارتز الأصفر كان يضم في داخله ثلاثة من التوابيت الفخمة ، وكان التابوت الأخير من الداخل من الذهب الخالص وبداخله كانت مومياء الملك بقناعها الذهبي الرائع وكذا ثروة ضخمة من الحلي بين اللقائف ، وأنه لمن المستحيل أن نقدر أهمية هذا الكشف بالنسبة لعلم الآثار ، وكمثال لما كانت عليه الدفونات الفرعونية الأخرى ، ولكن علينا أن نسلم بأن ما أضافه الى معلوماتنا التاريخية تافه ضئيل ، ولقد أشرنا من قبل الى عمر الملك الصغير وكذا الى أمر خلفه الأب الالهى « آى » يقود

الاحتفالات الجنائزية ، وبقي لدينا أن نقرر أنه من الواضح أن هذا القبر المتواضع نسبيا الذي رسد فيه وسط هذه الفخامة لم يكن له أصلا ، فالهيكل جمعت في سرعة حتى أنها وجهت الى عكس الناحية التي كان يجب أن توجه اليها (١) ، كما أن النابوت من الكوارتز لم يكن غطاؤه الجرانيتي مناسبا له ، بل هناك دليل أكبر على السرعة التي رسد بها توت عنخ آمون فيما كان يتمنى أن يكونه « بيست أبعديته » . وليس لدينا دليل بعد هذا نستطيع أن نقدمه عن الدور الذي لعبه آي في الأمر كله ولكن من المعروف أنه حكم حتى عامه الرابع (٢) حين خلفه حاكم من طراز مختلف تماما .

وعلىنا قبل أن نخلف وراءنا آي أن نشير الى بعض الحقائق التي تجاهلها كثير من المؤرخين ، بينما ظهرت لبعضهم آراء خاصة بها تتعارض مع بعضها البعض تماما . ان هناك على أية حال قرابة ليست موضع نزاع بينه وبين يويا الذي رأينا فيه أبا للملكة تيبى ومن ثم كان حميا لأمنوفيس الثالث (صفحة ٢٢٨) وقدم كل منهما لاسمه بكنية « أب الاله » التي تظهر في بعض الأحيان للدلالة على مركز أكبر بقليل من الرجل المتقدم السن والذي يستمتع بقدر كبير من الاحترام ، ويحمل يويا في مقبرته في طيبة لقب « المشرف على الخيل » بينما نجد أن آي في العمارنة هو « المشرف على كل جياد جلالته » وهناك ما يستلقت النظر أكثر من ذلك هو الرابطة بين كل منهما وبين بلدة اخميم حيث كان يويا كاهنا للاله مين كما كان مشرفا على ماشية الاله (٣) ، وحيث أقام الملك آي هيكل مزار وخلف نقشا طويلا (٤) ، وكما كانت تويا زوجة يويا أما للملكة تيبى كانت الملكة تيبى زوجة الملك أي مربية للملكة نفرتيتي من قبل ، ومن ثم فلا عجب أمام هذه الحقائق أن قدم نيوبري النظرية القائلة بأن كل من يويا وآي وكذا تويا و تيبى هم نفس الأشخاص (٥) ، ومن المفهوم أن الأسماء التي نقدمها - في صورة تقليدية بحثه - بهذه الطرق المتفاوتة لا تقف حائلا حقيقيا أمام هذه النظرية . وطبيعة الكتابة

Ann Serv., XL, 136 ff. (١)

P.M. V., 22 (٢)

Th. M. Davies, the tomb of Iouiya and Touiyou, London, 1907, p. 5, 7. (٣)

P.M., V, 17 (٤)

J.N.E.S., XIV, 168, N. 2. (٥)

الهيروغليفية فى هذه المرحلة تجعلنا لا نؤكد أن ما يبدو فى الكتابة « يويا » لا ينطق « آى » والأمر كذلك بالنسبة لأسماء الزوجات . وأما من ناحية التسلسل الزمنى فى رأى نيوبرى الذى لم يقم بنشره شخصيا فالأمر مستحيل تماما ذلك لأن موميا كل من يويا وتويا . - ومن الواضح أنهما مسنان - اكتشفنا فى مقبرتهما الطيبية ومن ثم فإن علينا أن نسلم بأن « يويا » أو « آى » - كيفما يكن النطق الذى نفضله - اضطر قبل موته أن يتخلى عن لقبه الملكى ويتحول الى وظيفة رجل من عامة الشعب . وقد اقترح « الدرد » (١) رأيا معقولا ، مؤداه أن الملك آى هو ابن يويا ولعل هذا يفسر تشابه القابهما وارتباطهما ارتباطا وثيقا بأخميم ولكن هذا الرأى لا يدعمه دليل قاطع . ولسنا بحاجة الى القول بأن المقبرة التى منحها اخناتون الى آى فى العمارنة لم تستخدم اطلاقا . وعند عودة آى الى طيبة وردته الى المذهب القديم أمر بتجهيز مدفن له فى الوادى الغربى فى ببيان الملوك قرب مقبرة أمنوفيس الثالث (٢) وهى مقبرة صغيرة ليس بها سوى غرفة صغيرة فى نهاية ممر يستطاع الوصول اليه عن طريق درج على جانبيه زخارف - وأما المناظر الدينية فتشبه شبها كبيرا المناظر فى غرفة دفن توت عنخ آمون ، ولكن هناك صورة للملك وهو يصيد الطيور فى المستنقعات لا نرى نظائر لها الا فى مقابر الأفراد الذين لا ينتمون الى الأسرة المالكة . وقد أثار إعجاب الأثريين القدامى تابوته المصنوع من الجرانيت الوردى والذى كسر فيما بعد الى أجزاء كثيرة ، ويلاحظ كذلك أن خراطيشه محيت من مقبرته .

وعلىنا الآن أن نسجل حدثا غير عادى يرجع الى الفترة التى أعقبت موت توت عنخ آمون مباشرة وهى عبارة عن نص بالمسمارية (الاسفينية) (٣) يروى قصة خطاب موجه الى الملك الحيثى سوبيلوليوماس من أرملة شابة لا يمكن أن تكون سوى عنخ اس ان آمون رغم أن ما يبدو أن لقبها قد اتخذ صورة محرفة نتيجة خطأ ما ، وهى تذكر فى الخطاب أنها لم ترزق بابل وتلتمس من الملك الحيثى أن يرسل لها واحدا من أبنائه ليتزوج بها وتعد بأنه سيعترف به فرعوننا وقد شك سوبيلوليوماس فى صحة هذا التلمس وأرسل موظفا للتحرى عن حقيقة الأمر ، واحتجت الأرملة باحتقار على أساءة الظن بها وأخيرا

J.E.A. XLIII, 30 ff. (١)

P.M., I, 28, No. 23 (٢)

A.N.E.T., p. 319 مترجم فى (٣)

أرسل الأمير الحيثي الصغير ولكنه قتل في الطريق ، وقد كان من أثر ذلك اشهار الحرب على مصر (١) . وان كنا لا نعرف شيئا من هذا عن طريق المصادر المصرية .

وتقدم ولاية حرمحوب للعرش خليفة للملك آي بقية للأسرة الثامنة عشرة لا يورد لها مانيتو ذكرا وربما كان له الحق في ذلك ما دامت أسماء الستة عشر ملكا التي يقدمها افريكاتوس والأربعة عشر التي سجلها يوسبيوس تبدو في صورة محرفة بشكل لا يصدق فبعضها غير معروف اطلاقا بل أكثر من ذلك نجد أن الاسمين الأخيرين يمكن أن نقرنهما على وجه التأكيد باسمي رمسيس الثاني ومرنبتاح اللذين يظهران من جديد - عن حق - في الأسرة التاسعة عشرة ، وقد ذكر حرمحوب مرتين احدهما كـ « أورس » الذي يأتي مباشرة بعد الامنوفيس المشهور لعلاقته بالتمثال المعروف باسم ممنون الصوتي (صفحة ٢٣٢) وثانيهما أرميس الذي ساواه اليونانيون بـ « داناوس » والذي نسجت حول شخصه وحول شخص أخيه أسطورة معقدة . وأما عن تتابع ملوك الأسرة الثامنة عشرة فالدليل غير مستقى من الآثار فحسب بل كذلك من قائمتي الملوك في ابيدوس وسقارة التي تتجاهل - وهو أمر مفهوم - اخناتون وخلفاءه الثلاثة الموصومين بالأتونية ثم تضعان حرمحوب عقب امنوفيس الثالث مباشرة وهكذا نتفقان مع « أورس » لدى مانيتو ، ومن العجيب انه بينما نجد مانيتو ، كما نطالبه لدى من اقتبسوا منه ، يبدو به تخطيط واضح الا أن مدد الحكم في حالات عديدة تقارب الحقيقة ، ومن ثم فانها رغم أنه لايمكن أن يوثق بها تماما الا أنه لا يمكن تجاهلها تماما كذلك . وربما كان يوسبيوس أقرب الى الحقيقة حين يقدم ٣٦ أو ٣٨ سنة لـ أورس ذلك لأن لدينا كتابة ترجع الى عامه ال ٢٧ (٢) ، ومن الواضح أنه حين يتحدث نص منقوش من عهد رمسيس الثاني عن قضية كأنما حدثت في العام التاسع والخمسين من حكم حرمحوب فان هذا يتضمن الثماني والعشرين أو الثلاثين سنة منذ موت امنوفيس الثالث حتى موت آي . وعلينا أن نتذكر على أية حال أنه يجب أن نقنع في هذه المسائل التاريخية (المتصلة بالتسلسل الزمني) بالتقديرات وحدها . وخطاب عنخ اس ان أمون الى سوبيلوليوامس يضيف بعض الاثبات ان هو قورن

(١) Op. cit., p. 395. 4

(٢) وهو أمر يحتمل الشك على كل حال ، انظر 157-8 III, C.O.A.,

بخطاب الملك الحيثي الى اخناتون في أوائل عهده بالحكم . فان نحن قدرنا لـ اخناتون سبعة عشر عاما ولثوت عنخ آمون ثمانية أعوام فاننا نجد أن الخمس والعشرين عاما تقسح كلها خلال الأربعين سنة لـ سوبيلوليوامس (١٣٧٥ - ١٣٣٥) كما يقدرها له أو يفترضها العلماء الذين يعملون في الحقل المائل من هذه الدراسة .

وانه ل يبدو من المناسب الا نعد حرمحب عضوا في الاسرة الثامنة عشرة أو في الاسرة التاسعة عشرة أى هو يحتل مكانا منفردا بينهما - أما والداه فغير معروفين وليس هناك من سبب يدعونا الى أن نفترض أن الدم الملكي يجرى في عروقه وان كان من الممكن أنه كان يجرى في عروق زوجته موت نوزمة ، وليس هناك ذكر لاولادها وهكذا فانه لا يستطاع تأكيد قيام أية قرابة بأول ملوك الأسرة التاسعة عشرة بل ان الأمر غير محتمل حقا . وهناك تمثال جميل في متحف تورين (١) يمثل الزوج والزوجة معا مع نص طويل على القاعدة تروى فيه قصة ارتحاله الى طيبة ليتزوج هناك وذلك بعد مقدمة تتصل بالاحداث السابقة ، وأبهم التعبير فيها . ونحن نعلم من النص انه كان مواطنا في بلدة غير مهمة هي « حنس » على الضفة الشرقية من النيل جنوبى القاهرة بمسافة ١١٠ أميال ، وانه يدين بترقيته الى حوريس اله الصقر المحلى ، واللغة المستخدمة لرواية قصة حياته مبالغ فيها كالمعتاد حتى لنجد صعوبة فى الوصول الى حقائق تاريخية ثابتة من ورائها . وهناك اشارة عابرة الى استدعائه للقصر الملكي . حين حل الغضب بالقصر (ربما تشير الى أنه نجح فى مجابهة غضب اخناتون) وهو يقول انه « تصرف كنائب ملك فى الأرضين بضع سنين » والفعل المستخدم هنا يتفق تماما والاسم فى لقب « نائب الملك » الذى نجده فى آثار عدة مما يدفعنا الى الظن بأنه كان يدير الحكومة فى الشمال حين كان الملك المهرطق غارقا فى احتفالاته الدينية بعيدا فى الجنوب .

وترجع مقبرة سقارة (٢) الى ذلك الوقت الذى لم تكن هناك لدى حرمحب فكرة عن شغل مكان فى سلسلة الفراعين العظام ، وهناك الى جانب مركزه الهام كـ «القائد الكبير لجيش سيد الأرضين» نلتقى بنعوت مثل « ذلك الذى انتقاه الملك من الأرضين لادارة الاقليمين » و « مبعوث الملك أمام الجيش الى الاراضى الجنوبية والشمالية » ، ولئن لم ينجح

(١) J.E.A., XXXIX, 13 ff. with pl. 1

(٢) P.M., III, 195 - 7, J.E.A., XXXIX, 3 ff.

هذا النعت الاخير فى حملنا على تصديقه بالنسبة للظروف القائمة اذ ذاك فان نعتا غيره يدعونا الى الامعان فى عدم تصديقه وهو لقب تقليدى يصوره كأنما « يصاحب الملك فى روحاته الى البلاد الجنوبية والشمالية (١) » . أما النقوش العجيبة فى المقبرة - وهى مبعثرة اليوم فى عدة متاحف - فتمثله بخاصة كقائد حربى نشيط مما يجعلنا لا ننكر عليه بعض الصديق فيما ينسبه لنفسه من حملات حربية وان لم يبق نص رصين ينهض شاهدا على ذلك ، ومما له أهمية خاصة صورة يبدو فيها حرمحب محملا بالعقود الذهبية وواقفا أمام الملك - الذى لم يبق شئ من صورته أو صورة الملكة - يعلن زيارة عدد من الأمراء الأجانب (٢) ثم يلتفت نحو عدد من الضباط والموظفين المصريين وينهى اليهم رسالة فرعون ، ونقتبس من النصوص التى نالها الكثير من التهشيم والتى تلحق بالمنظر السابق الفقرات التالية : -

و . . . (قيل ان) ؟ (بعض الأجانب الذين لا يعرفون أين جاءوا ؟) بلادهم جوعى ويعيشون كالحيوانات فى الصحراء و (أطفالهم) ؟ . . . العظيم فى القوة سيرسل ذراعه القوية أمام (جيشه ؟ و س) يحطمهم وينهب منهم ويشعل النيران (فى) . . . (و) . . . الأراضى الأجنبية - (٣) يحل آخرين فى اماكنهم .

وهذه الفقرة نقدمها كما تظهر تماما فى الاصل بالهيروغليفية ، وليس هناك نموذج خير من هذا لبيان حالة الكثير من النصوص التى يعتمد عليها المؤرخ لمصر القديمة للوصول الى معلوماته - ولقد كان الكثيرون يشكون فى أوائل عهدنا بهذه الدراسة عما اذا كان حرمحب صاحب هذه المقبرة التى صنعها لنفسه هو حقا - رغم جمالها غير العادى - الملك المقبل ، ولكن الواقع أن الصل الذى أضيف فيما بعد الى جبهته (٣) لا يدع مجالا للشك .

واذا كانت المقبرة المنفية - كما يبدو مؤكدا فى الغالب - ترجع الى عصر اخناتون فان مهام حرمحب كانت حربية بصفة أساسية - وهناك قطعة أسىء فهمها تحدثنا عن كيفية ارساله كمبعوث ملكى الى اقليم قرص الشمس المشرق وعودته منتصرا ولكن ليست هناك تفصيلات

(١) Gauthier, L.R., II, 382

(٢) J.E.A., XXXIX, 5, fig. 1

(٣) Z.A.S., XXXVIII, 47 ff.

أخرى . أما فى عهد توت عنخ آمون فقد كان موظفا اداريا وهناك تمثال من ممفيس وآخر من طيبة يصفانه ككاتب ملكى يسجل أوامر مولاه (١) ، كما أن هناك موكبا جنزيا يمثل فى نقوش مقبرة يظهر فيها وهو يتقدم وزيرين من عصره (٢) . « أما تمثال تورين فلا يشير الى علاقته بـ آى ، ولكنه يسرد كيف أن الاله حورس تقدم به جنوبا نحو طيبة حيث توجه آمون وتقبل شاراته الملكية ثم عاد بعد ذلك الى الشمال مما قد يعنى أنه قرر أن يجعل من ممفيس عاصمة له - أما بقية حياته فيبدو أنها كرسست لترميم المعابد المخربة الخاصة بالآلهة وبتجديد الرعاية الطقسية لها وبمنحها حقولا وقطعانا ، وهناك أحد التفصيلات ذات الدلالة : ذلك انه يقال انه عين الكهنة من بين خيرة رجال الجيش وفى هذا مايشير الى ان حرمحب لم ينس تنشئته العسكرية ، وهو فى الوقت نفسه لم يكن على استعداد لأن يتسامح فيما تسببه أعمال جنده من اساءات ، وهناك لوحة بالكرنك (٣) مشوهة تشويها يدعو للأسى تصف الاجراءات التى اتخذها لتأمين العدالة فى البلاد ، ومن أسف أنه ليست هناك جملة مكتملة بحيث تستطيع أن تقدم فكرة واضحة عن الأذى الذى كان يسببه الجنود ونستطيع على الأقل ان نرى ان التصرفات الجائرة كان من أثرها على المواطنين العاديين حرمانهم من قواربهم وحمولاتهم أو ضربهم وسرقة الجلود الثمينة - وكانت العقوبات المفروضة بالغة الشدة ، وكان المسيئون فى أسوأ الحالات يعاقبون بجذع الانف وينفون الى قلعة مدينة زل على الحدود الآسيوية ، وفى الحالات الأقل شأنا كانت العقوبة الضرب مائة جلدة وفتح خمسة جروح ، ولو كانت هذه النصوص الفريدة قد حفظت لنا فى حال خير من هذه فاننا ربما كنا استطعنا أن نعرف الكثير عن إعادة تنظيم البلاد مثل المحافظة على النظام عن طريق تقسيم الجيش الى قوتين رئيسيتين الواحدة فى الشمال والأخرى فى الجنوب وكل منهما تحت امرة قيادة منفصلة ، أو مثل نظم المحاكم فى المدن الكبرى وبها كهنة المعابد وعمد المدن كقضاة . . ومكافأة الذين يؤدون واجبهم بأمانة مكافأة مناسبة يمنحها الملك نفسه .

ولقد كان البناء الشغل الشاغل لحرمحب خلال سنيه الأخيرة من غير شك ، ففي الكرنك اتخذ الخطوة الأولى فخلق بهو الاعمدة الكبير

J.E.A., X, 1 ff. (١)

Z.A.S., XXXIII, pl. 1, LX, 56 ff. (٢)

U.R.K., IV, 2140 ff. (٣)

التي كان اكمالها من نصيب رمسيس الثاني (١) كما تحدث عن نفسه كمشيد للصرحين : التاسع والعاشر الى الجنوب (٢) ، وقد أتاح له الأول الفرصة التي رحب بها لتدمير المنشآت التي أقامها اخناتون في أول مراحل حياته الملكية ، هذا الى أنه يبدو ان طريق الكباش المتسد من الكرنك الى الأقصر يرجع تنفيذه اليه كذلك - وقد اغتصب في الأقصر من توت عنخ أمون النقوش الرائعة التي كان توت عنخ أمون بدوره قد اغتصبها لنفسه أو أكملها من امنوفيس الثالث (٣) * ونحن - دون محاولة احصاء أعمال حرمحب في أماكن أخرى - يجب مع ذلك أن نشير الى ال « سبيوس » الرائع في جبل السلسلة (٤) حيث وصف - ان صدقا أو ادعاء - نصره على النوبيين * وقد شيد على الضفة الغربية من النهر في طيبة معبدا جنزيا كان « آي » قد بدأه (٥) لم يبق منه سوى الأساس ، وقد مول ديفز الحفائر في بيان الملوك وأدى ذلك الى الكشف عن مقبرة حرمحب الشاسعة (٦) التي تغطيها زخارف تركت دون أن تستكمل ، أما التابوت الضخم الذي يشبه تابوت آي شبيها كبيرا فلا يزال يحتل مكانه المختار في غرفة الدفن *

P.M. II, 62. (١)

Seele, Coregency, 7 ff. (٢)

P.M., II, 59 ff. (٣)

Op. cit., II. 102-3 (٤)

P.M., V, 208 ff; Wresyinski, II, pl. 161-2 (٥)

Hölscher, Temples of the Eighteenth Dynasty, pp. 63 ff.

مراجع مختارة

J. D. S. Pend le berry, Tell el-Amarna, London, 1935

وهو ملخص عام عن التاريخ والحفائر

N. de G. Davies, The Rock Tombs of El Amarna, 6 vols. London, 1903-8

والنصوص في هذا المرجع الأساسي مذكورة أكثر سهولة في كتاب :

M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, Brussels, 1938

الحفائر التي أجرتها Egypt Exploration Society في العمارنة ، عدة مؤلفين عن

The City of Akhenaton, 4 vols. London, 1923-51

وفي المجلد الثالث مناقشات واسعة للنصوص يقدمها H. W. Fairman

وأما عن الاشتراك في الحكم بين امنوفيس الثالث وامنوفيس الرابع فيمكن الرجوع الى

Fairman in CoA III. 152-7

فن العمارنة :

The Mural Pointing of El Amarnah ed. H. Frankfort, London, 1929 :

وهناك مقالات كتبها H. Schäfer في ZAEs LII. 73 ff. ; LV. 1 ff. ; LXX. 1 ff.

معبرة توت عنخ آمون :

H. Carter, The Tomb of Tutankhamen 3 vols., London, 1923-33

Penelope Fox, Tutankhamun's Treasure, London, 1951

تابوت الخناتون :

A. H. Gardiner, The so-called tomb of Queen Tiye in JEA XLIII, 10 ff.

ولكن انظر كذلك XLV. 10

بعض المقالات الحديثة الجدلية :

K. C. Seele, King Ay and the close of the Amarna Age in JNES XIV. 168 ff.

C. Aldred, The End of the ELAMARNA Period, in JEA XLIII. 30 ff.

P. van der Meenr, The Chronological Determination of the Mesopotamian Letters in the El-Amarna Archives, in Ex Oriente Lux, Joarbericht No. 15. 75ff.

حرر معاني : :

K. PFLUEGER, Haremhab und die Amarnazeit, Zwickau, 1936

ثم مقالات كتبها **A. H. Gardiner** سلفت اليها الاشارة في النص في

JEA XXXIX, 13 ff. with Pl. 1

JEA XXXIX, 5 f.g. 1

W. Helck in **ZAS LXXX**, 109 ff.

واما مرسوم الكرك فلي

النوبة : :

Nina de G. Davies and **A. H. Gardiner** The Tomb of Hay, Viceroy of Nubia,, London, 1926

العشيون : :

O. R. Gurney, The Hittites (Pelican Book) Harmondsworth, 1952.

أصبحت مصر بعد أن أفاقت من الثورة الدينية عالما مختلفا ، وإنه ليس من اليسير أن نحدد طبيعة هذه التغيرات تحديدا دقيقا بالنسبة لوجود استثناءات كثيرة ، ومع ذلك فإنه من المستحيل ألا ندرك الانهيار الملحوظ للفن والأدب ثم الثقافة العامة للشعب فاللغة التي يكتبونها كانت قريبة جدا من المدارجة وتحوى كلمات أجنبية كثيرة ، ونسخ النصوص القديمة يشيع فيها الإهمال بصورة لا تكاد تصدق وكأنما فشل الكتاب تماما في تفهم مضمونها ، وفي طيبة لم تعد تظهر بالمقابر المناظر المرحية ذات الألوان الزاهية للحياة اليومية وهى المناظر التى تعد من خصائص الأسرة الثامنة عشرة ، ولكنها أصبحت تتركز على المخاطر التى تجابه الإنسان فى العالم الآخر ، وكانت محاكمة القلب أمام أوزوريس فكرة محببة ، وأنا لنرى كتاب البوابات يصور العوائق التى تقابل الميت فى رحلة الليل خلال العالم السفلى ، وهناك بقايا ليست كثيرة عشر عليها فى منف تظهر بها نقوش أكثر رشاقة من هذه قليلا . أما المعابد فى الأماكن الأخرى فعلى جدرانها صور تمثل الحروب وإن كانت عملية النحت خشنة نسبيا كما أن الأساطير التى تشرحها يغلب عليها فى غالب الأمر عنصر المداجنة أكبر من عنصر الرواية ، ورغم كل شيء فإن مصر لا تزال تقدم مظهرا للعظمة الرائعة تجعل للكثرة الوفرة لآثار هذا العصر شهرة لدى السائح اليوم أكثر من الانتاج الأكثر دقة فى العصور السابقة .

وقد عثر على تمثالين بالكرنك فى عام ١٩١٣ (١) يمكن ربطهما باللوحة المشهورة للأربعمئة سنة التى كشف عنها فى تانيس قبل ذلك بخمسين سنة (صفحة ١٨٥) وهى جميعا تثبت أن مؤسس الأسرة التاسعة عشرة هو رجل من الركن الشمالى للدلتا كان قد رفعه حرمحب الى وظيفة الوزير - لقد كان براعمسة وهو اسمه قبل ان تسقط اداة التعريف فى أول الاسم ليصبح الملك المعروف رمسيس الأول - رجلا من أسرة ضئيلة الشأن نسبيا ولم يكن أبو ستى سوى « قائد جيوش » عادى . ونستطيع أن ندرك

(١) Ann., Serv. XIV, 29 ff.

لماذا رغب حرمحب في أن يختار معاونه من سلكه الحربى نفسه ، ويصور التمثالان - الواحد منهما نسخة طبق الأصل من الآخر - براءمسة ككاتب ملكي جالسا القرفصاء كعادة الكتاب ، وتعدد البردية نصف المفتوحة على فخذه مختلف الوظائف العالية التى رقاها مولاه اليها - وقد تضمنت الى جانب الوزارة وظائف المشرف على الجياد وقائد القلعة والمشرف على مصاب النهر وقائد جيوش مولى الأرضين الى جانب العديد من الوظائف الكهنوتية، ولكن لعل أكثر ما يلفت النظر من بينها جميعا دعواه بأنه كان « نائب ملك مصر العليا والسفلى » كما كان حرمحب من قبل . ولقد كان براءمسه رجلا مسنا اعتلى العرش ولم يكن مقدر له أن يستمتع بسلطان الملك طويلا . فمانيتو - كما نقل عنه جوزيفوس - لايقدم له سوى عام واحد وأربعة شهور كمدة حكم ، وهى فترة لا تتعارض بالضرورة وتأريخ فى السنة الثانية على الأثر الوحيد المؤرخ من عهده وهو عبارة عن لوحة عثر عليها فى وادى حلفا وموجودة الآن باللوفر (١) . ويبدو ان هذه أقامها كذلك ابنه وخلفه ستى (سبتىوس الأول) الذى أقام فى المكان نفسه لوحة تكاد تماثلها تماما فى فحواها وقد أرخت بالسنة الأولى من حكمه (٢) ، وتسجل هاتان الوثيقتان تأسيس معبد فى بوهن (وادى حلفا) وكذلك تقدمات جديدة للمعبود « من أمون » الذى عين له كهنة عبادة وكهنة عاديون مع عبيد واماء من بين « اسرى جلالته » وعلينا الا نحمل محمل الجد هذه العبارة الأخيرة وذلك بالنسبة لنقص مدة الحكم والواقع أن السلم ربما كان مستتباً فى النوبة حين كان لا يزال بسيور (٣) ابن الملك فى كوش فى عهد حرمحب فى وظيفته ، وآثار رمسيس الأول فى غير هذا المكان بالغة القلة فهناك نقوش قليلة تحمل اسمه على الصرح الثانى بالكرنك وبالقرب منه تشير الى أنه رضى أو اقتنع بالتغير الهائل الذى تم هناك فى بهو حرمحب المفتوح ، الذى يتوسطه صف مزدوج من الأعمدة الضخمة كتلك القائمة بالأقصر فى الصالة الكبرى التى تعد من بين أهم العجائب الخالدة من مصر الفرعونية (انظر لوحة ١٨) (٤) . أما مقبرته فى وادى الملوك فقد صممت لتنافس مقبرة سلفه من ناحية الحجم ولكن العمل توقف فيها بسبب وفاته من غير شك ويمكن أن يرى حتى الآن تابوته عند نهاية الدرج الثانى (٥) . أما التابوت

(١) P.M., VII, 130; B.A.R., III, No. 74 ff.

(٢) P.M., VII, 129

(٣) J.E.A., VI, 36 ff.

(٤) P.M., II, 16 (25) - (26), Seele, op. cit., No. 22 ff.

(٥) Bull., Inst. fr. LVI, 189 ff.

الداخلي والمومياء فقد لقياً من المصير ما لقي غيرهما من موميات الفراعين الآخرين فنقلنا من مقبرته الى مقبرة سيتوس الأول في بداية الأمر ثم نقلنا من هناك الى خبيثة الدير البحرى الكبرى . (١)

كان الملك العظيم الذى شعل العرش مدى الخمسة عشر عاما التالية أو أكثر ، مشربا بالحب الحقيقي والولاء لأبيه ، ولكن للتقوى البنوية حدودها ، ذلك انه فى المعبد الجنزى الهام الذى بناه سيتوس الأول لنفسه فى القرنة عند أقصى شمال خط المعابد المتاخمة للصحراء الغربية فى طيبة لم يكرس سوى عدد قليل من الغرف لمسييس الأول (٢) ، واما فى أبيدوس فانه أضاف على أية حال الى معبده الكبير مصلى صغيرا تحليله نقوش ملونة جميلة (٣) ولوحة جميلة فاخر فيها بفضائل سلفه (٤) ، ومع ذلك فلم يكن عرفان الجميل الذى كان سيتوس مستعدا لابدائه نحو أبيه ، لم يكن لينفر من اعتبار نفسه مفتتحا لعهد جديد ، وقد ابرز هذا عن طريق اصطلاح « إعادة الولادات » التى أردفها الى تواريخ العام الأول والثانى من سنى حكمه والتى أحلها فى النقش المتصل بلقب « نبتى » (سيدتيه) وأحيانا فى لقبه الحورىسى كما حدث من قبل بالنسبة لأممس الأول فى بداية الأسرة الثامنة عشرة (صفحة ١٤٦) ولكن ربما كان هناك أيضا سبب اضافى لهذا . ذلك انه لو كان حساب المؤرخين الفلكيين سليما فان فترة سوثيائية (٥) بدأت حوالى ١٣١٧ ق م عقب اعتلاء سيتوس الأول للعرش مباشرة ، ويشير الرياضى السكندرى ثيون الى الفترة السوثيائية بأنها عصر ال « منوفريس » وقد أوضح « شتروفه » وتابعه « زيته » (٦) ان هذا اللقب الملكى صورة مشوهة قليلا من الصفة « مرى ان بتاح » أى « المحبوب من بتاح » التى نلتقى بها عادة فى بداية الخرطوش الثانى لسيتوس وقد يكون هذا الافتراض سليما أو غير سليم . كان سيتوس غريبا من أقصى الشمال لا يسبقه تسلسل ملكى يستند اليه ومن أجل هذا نراه يقوم بمغامرة حتى لا يبدو كمحدث نعمة ، لم يكن آلهة الأرض قد برثوا تماما مما أصابهم به شركاء اخناتون وقد وجد سيتوس هنا فرصة لاكتساب شعبية ، وليس من شك انه

J.E.A., XXXII, 27 ff. (١)


P.M., II, 146 (XXIX) (٢)


Op. cit., VI, 31-33 (٣)

Ann. Serv., LI, 167 ff., Rev. d'Eg., XI, 1 ff. (٤)

(٥) انظر صفحة ٨٢ .

Z.A.S., LXIII, 45 ff., LXVI. I ff. (٦)

بهذا الخاطر في ذهنه عول على ترميم الكتابات المشوهة من عهد أسلافه، ولكن لعل ابرع حركة قام بها هي اقامة معبد ينافس في فخامته اعظم هياكل ومصليات المدن الرئيسية، ولقد كانت أبيدوس المقر المشهور لأوزوريس وظلت دوما المركز المفضل للنشاط المعماري لدى الفراعين، ولكن لم يحدث ان واحدا من اسلاف سيتوس اسنطاع ان يمجّد المنطقة بالقدر الذي فعله . فمعبد (١)، مع الضريح الغامض من خلفه، ظل حتى اليوم محجبا لا يستطيع واحد من الروار المهمين أن يغفله عن قصده ولا تزال النقوش على الجدران تحتفظ في كثير من الأحوال بلمعان ألوانها الأصلية وتبدو في رقة وكمال صناعة ندعو للدهشة، ونحن على أبواب عصر اضمحلال لا شك فيه، ويشير اللقب المتوارث وهو «ستى» ويعنى «السنى» (المنتسب الى ست) الى ولاء نفس الاله الذي كان قائلا للمعبود المحلى الموقر، وكان كل ما رآه واجبا عليه هو أن يترضى أوزوريس أو بمعنى أصح كهانته القوية، ورغم كثرة ما أنفق على هذا الأثر العظيم فإن المماربين الذين استخدمهم لم يعنوا بأن يخصصوا مكانا لست من شاغليه المقدسين، بل انه خلال كتابتهم للقب الحاكم استخدمت صورة أوزوريس  في مكان الصورة الحيوانية

 لخصمه المددود، ومع ذلك فإنه لم يسمح لأوزوريس أن يعبد هنا بنوع خاص على حساب ست، ذلك أن المعبد كان يعتبر بمثابة مصلى وطنيا فقد أقيمت الى جانب أوزوريس مصليات منفصلة لزوجته ايزيس ولابنه حورس وهؤلاء الثلاثة هم ثالث ابيدوس القديم، ولكن كان هناك الى جوار مصلياتهم مصليات أخرى من الحجم نفسه وبالأهمية نفسها كرسن للآلهة الثلاثة الهامة في المدن الرئيسية : لامون اله طيبة ولبتاح اله منف ثم لرع حراختى اله هليوبوليس، ولم يكن سيتوس الأول بالرجل الذي يفصل ما بينه وبين هذه الصحبة الفخمة ومن ثم فقد أمر أن يكرس لعبادته الهيكل السابع الواقع الى أقصى الجنوب، وقد يبدو هذا العمل بالنسبة الى التفكير الحديث كأنما هو وقاحة غير محتملة، ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة الى فرعون مصرى . ألم يكن هو منذ زمن بالغ القدم الها عظيما ان لم يكن أعظم الآلهة قاطبة فكيف لا يجب أن يكون له ضريح في اقدس مكان من الأرضين ؟ وأخبرا يجب ألا ننسى مطلقا أن الدين الأول اعتنق اعتناقا عاما مقبولا لدى الجميع وان الآلهة جميعا ليذبلون ما لم يعن فرعون بلبية الاحتياجات اللازمة لقيام عباداتهم .

وتأسيس المعبد أو بالأحرى إعادة تكريسها كاملا تماما حين ينتهى البناء الفعلى فيعين به كهنة من مختلف المراتب وكذا خدم عاديون لتنفيذ الواجبات المعتادة لصيانته وتمويله وتخصيص له رقعة كبيرة من الأرض لامداده بالموارد اللازمة له ، وفى مقابل ذلك كان يصدر مرسوم ملكى ليحدد حقوق المؤسسة المقدسة وموظفيها . ولقد أشرنا من قبل الى مراسيم ترجع الى نهاية الدولة القديمة كانت تستهدف حماية معبد مين فى قفط من التدخل الخارجى ، وقد حفظ لنا لحسن الحظ مرسوم - أو أجزاء من مرسوم - بما منحه سيتوس الى معبده الجديد العظيم فى أبيدوس ، ومن عجب ان هذا المرسوم نقش على صخرة عالية فى نوري على مسافة قليلة الى شمال الجندل الثالث (١) ٠٠ وقد جاء فيه بعد وصف الثراء وجمال المعبد الواقع على مبعدة ستمائة ميل الى الشمال ، فى استهلال شعري طويل الأوامر الصريحة الموجهة الى :

الوزير والموظفين ورجال البلاط ومجالس القضاء وابن الملك فى كوش وقواد الجيش والمشرفين على الذهب وعمد ورؤساء قرى مصر العليا والسفلى وقادة العربات ورؤساء الاسطبلات وحملة الأولوية وكل وكيل لبيت الملك وكل شخص ممن أوفدوا فى مهمة للعرش .

وانه ليكفى هنا أن نشير الى بعض الوسائل التى كان يمكن عن طريقها نفض امتيازات موظفى المعبد ، ذلك انه كان من الممكن هنا أن يقبض عليهم وان ينقلوا من جهة الى أخرى وأن يكلفوا بالحرث والحصاد وأن يمنعوا من صيد الأسماك والطيور وأن تسرق ماشيتهم ٠٠٠٠ الخ . هذا الى أن أى موظف لا يباشر تنفيذ العدالة ضد المعتدى كان هو نفسه يعاقب عقابا شديدا ، وانا لنرى الفقرة تلو الفقرة تتناول هذه الأمور ، ولكن علينا أن نعترف ان المرسوم فى جملته كتب فى اهمال مما يجعلنا نرى فيه مسحة الصناعة فى التشريع أكثر منه تشريعا يتسم بالدقة القانونية .

كان من بين الاتباع فى معبد أبيدوس الذين جاء ذكرهم فى نص نوري غاسلو الذهب الذين كانوا يستخدمون فى المناجم المجاورة للبحر الأحمر وكان عملهم ممارسة استخراج المعدن الثمين بازالة المواد الأخف من الحجر المسحوق ، وأما الجانب الأكبر من عمال المناجم الفعليين فقد جاء وصفهم فى فقرة ، رواها ديودورس سيكولس (٣ : ١٢ - ١٤) عن

J.B.A., XIII, 193 ff; XXXVIII, 24 ff. (١)

الجغرافى أجاثارخيدس ، ولقد كان من الأهمية بمكان أن يصل هؤلاء الى مقر عملهم دون أن يموتوا فى الطريق ويصف سيتوس فى نص طويل يرجع الى السنة التاسعة (١) وجد منقوشا على جدران معبد صغير فى وادى عباد على مبعده ٣٥ ميلا الى شرق ادفو ، الوسائل التى اتخذها لمعالجة مثل هذا الموقف . وهاك فقرة مختصرة تتناول بالوصف أسلوب ومادة الرواية .

توقف فى الطريق ليستشير قلبه وقال : ما أتعبه طريقا بغير ماء ، كيف يستطيع الناس أن يسافروا فيه ، حقا ان حناجرهم تجف فماذا يطفى سغبهم - ان الوطن بعيد والصحراء واسعة . . . ويل لذلك الرجل الذى يحس العطش فى هذه المهمة ، ألا فلافكر فى مصلحتهم ولأدبر الوسائل للحفاظ على حياتهم حتى يباركوا اسمى فى السنين المقبلة وحتى تفاخر الاجيال القادمة لى من أجل نشاطى بوصفى عطوفا على المسافرين وحائيا عليهم .

ثم يروى سيتوس أمر حفر بشر وتأسيس محلة فى هذه الناحية وهناك نقش آخر فى آل «سبيوس Speos» (الكهف) يحذر فيه من يجرى بعده من ملوك ورعاياهم من أن يختلسوا الذهب الذى يقدم الى معبد ابيدوس وينهبه بهذه اللعنة :

وأما من يتجاهل هذا المرسوم فان أوزوريس سيطارده وأما زوجته ايزيس وحورس ابنه والعظماء وسادة الأرض المقدسة فانهم سوف يقومون بمحاسبتهم .

وأما مركز مصر بين جيرانها الشماليين فكان قد انهار ، وهو موقف انطلق سيتوس للتو لمحاولة اصلاحه ، وهناك مناظر حربية سجلت على الجدار الخارجى الشمالى للصالة الكبرى بالكرنك (٢) تضيف الى المناظر التقليدية لشجاعة الملك الشخصية معلومات كثيرة ذات طابع تاريخى أصيل وليست هذه النقوش عملا فنيا هاما رغم الجياد المتوثبة فى عربة فرعون والتقلصات والالتواءات الأليمة التى تبدو على ضحاياها ولكن شيئا فريدا يبدو فى صورة سيتوس وهو واقف على قدميه وتحت كل من ذراعيه

(١) J.E.A., IV, 241 ff.

(٢) Wreszinski, II, Rls 34 ff ; J.E.A., XXXIII, 34 ff.

أسيران سوريان في وضع لا يستطيعان معه حراكا ، وهناك مجموعتان من المناظر تتجهان الى البوابة الرئيسية التي يقف بالقرب منها أمون ليرحب بالمنتصر العائد وليشهد رمز القضاء حتى الموت تقريبا على الرؤساء المنهزمين ، أما الأسرى الأقل شأنًا فيتوالون في صفوف طويلة وقدرهم يترقبهم ليصبحوا عبيدا في مصانع معبد الكرنك ، وعلى الجانب الشرقي من السجل السفلي يرى الطريق الحربي الذي كان على جيش سيتوس أن يمر به قبل أن يصل الى أهدافه الرئيسية في سورية الشمالية ، وكانت نقطة التحرك كما كان الحال من قبل بالنسبة لتوئموزيس الثالث وغيره هي قلعة زل (سيلة أو سلة باللاتينية) (١) بالقرب من القنطرة الحالية التي عرفها جنودنا في الحربين العالميتين . ومن هذه النقطة كان الطريق يمر عبر صحراء لا ماء فيها هي شبه جزيرة سيناء وراء قناة صغيرة تشغل مكانها اليوم قناة الامسماعيلية . وتبين النقوش (٢) في نظام صحيح المحطات الصغيرة المحصنة التي بنيت لحماية الآبار التي لا يمكن الاستغناء عنها . وهذه المحطات بالإضافة الى مدينة ضاع اسمها يبدو من الواضح أنها رفح على بعد ١١٠ أميال من زل - تمثل أقدم ما يمكن أن نتخيله لخريطة هذه البقعة من العالم القديم ، وعلى بعد عشرين ميلا بعد ذلك توصف مدينة بأنها « مدينة كنعان » وهي غزة الفلسطينية على بعد يسير من الحدود الفلسطينية . ولقد اضطر سيتوس قبل أن يصل اليها الى القيام بمذبحة كبيرة بين الرحل الثائرين من الشوسو الذين اعترضوا طريقه (٣) ، وانه لمن العسير أن نقرر الى أي مدى سارت حملة السنة الأولى ما دام السجل العلوي على النصف الشرقي من الجدار مفقودا ، ولكنه وصل من غير شك الى لبنان حيث يرى الأمراء هناك يقطعون أشجار الارز والصنوبر التي رأى نفسه في حاجة اليها لصنع القارب المقدس وساريات الأعلام لآمون الطيبى ، واما النص الهيروغليفي المصاحب لتلك الصور والذي يصف « صعود فرعون للقضاء على بلاد قادش وبلاد امور » ، فربما تخص سنة أخرى تالية ، وقادش المذكورة هنا هي بطبيعة الحال المدينة البالغة الأهمية على الأورنت ، أما أرض أمور فهي الاقليم السوري الشمالى المتاخم والذي يمتد الى الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط ، وفيما بقى من سجلات نلتقى في نصف الجدار الغربى باثنين يسجل أو سطهما

J.E.A., X, 6 ff. (١)

Op. cit., VI, 99 ff. (٢)

B.A.R., III, No. 88. (٣)

معركة ضد الليبيين الذين لم يعرف عنهم سوى القليل منذ الأسرة الثانية عشرة ، وأما السجل الأسفل فيمثل سيتوس يتصارع من الحيثيين الذين كانت قوة امبراطوريتهم تنمو باطراد على يدى مورسيلس الثانى ابن سوبيلوليواماس ، من الطبيعى أن تمثل النقوش سيتوس منتصرا • وهناك لوحات من قادش نفسها (١) ومن تل الشهاب (٢) فى حوران تحمل لقب سيتوس ولكنها أقل أهمية من نقشين من عصره عشر عليهما فى بيسان (بيت شين فى التوراة) على بعد ١٥ ميلا الى جنوب بحر الجليل وعلى بعد أربعة أميال فقط من غربى الأردن • وكانت هناك بهذه الناحية منذ عهد توثموزيس الثالث قلعة كبيرة الحجم نسبيا تستغر بها حامية مصرية ، وكانت بمعبدتها الصغير لوحات تتحدث عن أعمال سيتوس فى المنطقة المجاورة ، وهناك واحدة من هذه اللوحات تكاد يكون من المستحيل قراءتها ، ومع ذلك فان جردسلوف (٣) استطاع أن يبرز مهارة فى حلها وقد أشار الى أنها تناول قوم آل «عابرو» الذين ناقشنا أمرهم من قبل فى صفحة ٢٢٦ ، وأما اللوحة الأخرى فمحفوظة خيرا من صاحبها (٤) وقد جاء فيها :

السنة الأولى ، الشهر الثانى من الصيف ، اليوم الثانى ، فى هذا اليوم نعى الى علم جلالتى أن العدو الخسيس الذى كان فى مدينة حماه قد ضم اليه الكثيرين واستولى على مدينة بيت شائيل ثم اتصل بسكان بحل ولم يسمح لأمر رحوب أن يخرج ، وعندئذ أرسل جلالتى الجيش الأول لأمر « قوى الأقواس » الى مدينة حماه ، والجيش الأول ل «برع» «العظيم فى الشجاعة» الى مدينة بيت شائيل ، والجيش الأول ل «سوتنخ» «المنتصر فى الأقواس» الى مدينة ينوعام ، ثم كانت فترة يوم ، ولم يلبثوا أن سقطوا تحت سلطان جلالة ملك مصر العليا والسفلى من ماعرع ، ابن رع ، ستى مرتتاح ، ليعط الحياة •

وفى أماكن تحديد الأماكن المذكورة هنا بكثير من الاحتمال وليست هناك واحدة منها تبعد كثيرا عن بيسان ، وقد وصف الاستيلاء على بنوعام فى نقوش الكرنك ، ولسنا بحاجة الى التعليق أكثر من أن نشير

(١) P.M., VII, 392

(٢) Op. cit., VII, 383

(٣) B. Grdseloff, Etudes Egyptiennes, II, Cairo 1949

(٤) P.M., VII, 380

الى الجيوش الثلاثة التى نحمل أسماء آلهة طيبة وهليوبوليس نسب بى
رعمسه التى تانى فيما بعد على التوالى . وسنرى هذه الجيوش تعاود
الظهور فى حملة قادش فى عهد رمسيس الثانى ويبدو انها تمثل قيام
قوات قوية فعلا فى الجهة الفلسطينية ، وربما كان لدى مصر خلال ربيع
قرن فى بداية الأسرة التاسعة عشرة من الامبراطورية الآسيوية بقدر
ما كان لها فى أية فترة أخرى من تاريخها ، ومع ذلك فانه يظهر ان الادارة
الرئيسية كانت فى يد الأمراء المحليين ولم يعد للموظفين المصريين
- فيما عدا قواد الحاميات - أى لقب يشير الى السلطان أكثر من «مبعوث
الملك الى كل البلاد الأجنبية» ، وأما فى النوبة من ناحية أخرى فقد كان
الحكام الحقيقيون هم أبناء الملك فى كوش ومع الواحد منهم وكيله أو
نائبه رغم أن سيتوس اضطر هنا كذلك أن يقوم بعمل حربى ضد قبيلة
بعيدة فى العامين : الرابع والثامن من حكمه (١) .

وليست تبدو أعمال سيتوس الأول فيما عدا معابد القرنة وايبندوس
التي سلفت الإشارة اليها وكذا ما أتته من عمل فى بهو الأعمدة الكبير
فى الكرنك ذات أهمية ، ومن ناحية أخرى فان الضريح الذى أمر بحفره
لنفسه فى بيبان الملوك هو أروع شيء من نوعه فى الجبانة كلها ؛ إذ يبلغ
طوله أكثر من ٣٠٠ قدم وهو مزين ابتداء من مدخله بنقوش ملونة ذات
ألوان وضاعة تعدل من ناحية النوع نظائرها فى أثره الفخم فى ايبندوس
وأما التابوت المرمى الجميل فهو اليوم فى حيازة متحف سون فى لندن،
وكان قد انتزعت منه الجثة التى وجدت طريقها الى خبيثة الدبر
البحرى (٢) . وكان سيتوس الأول متوسط القامة ولكن الرأس المحفوظ
جيذا بفكه الثقيل وذقنه العريض القوى تقدم نموذجا يختلف تماما عما
عهدناه بالنسبة لملوك الأسرة الثامنة عشرة .

• ولئن اقتيسست عظمة فرعون مصرى بحجم وعدد الآثار التى خلفت
لتخلد ذكره فان ابن سيتوس وخلفه رمسيس الثانى يوضع فى مرتبة
مساوية ان لم يبرز أشد بنسبة الأهرام زهوا . فبهو الأعمدة الكبير فى
الكرنك يعد أساسا من أعماله كما ان المعبد الجنائزى المعروف بالرمسيوم
والقسانم على الضفة الغربية من طيبة لا يزال يحتفظ بجانب كبير من

(١) Säve. Söderbergh, p. 168

(٢) P.M., I; 175. 18.

ضخامته الأصلية ، وأما فى ابيدوس (١) فإن معبدته يقف على قدم المساواة مع معبد أبيه الذى قام هو بآتمامه ، وأما المنشآت فى منف (٢) فقد تناولها بالتدمير المخربون المتأخرون الذين سعوا فى شراهة للحصول على أحجار البناء ولكن بقايا من تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى تنهض دليلا على سبق قيام معبد ضخيم له هناك ، وأكثر من ذلك نجد أن هذا يشار اليه فى لوحه مشهورة محفوظة بالمعبد النوبى فى «أبو سمبل» حيث يعترف رمسيس بالبركات والنعم التى أسبغها عليه الاله الممفى بتاح (٣) . وأما عن البقايا فى تانيس فسنستحدث عنها فيما بعد ، وعلى أية حال فإن جنونه بالدعاية لشخصه تبدو أكثر ما تكون وضوحا فى النوبة ولئن غرضنا النظر عن أربعة معابد صغيرة هامة كانت لا يمكن أن تمر بالنسبة الى غيره دون اثاره الانتباه أو التعليق فانه لا يسعنا الا أن نردد اعجابنا بالمعبد الرائع فى «أبو سمبل» الذى تتقدمه التماثيل العملاقة الأربعة الجالسة مواجهة للنهر تمثل رمسيس (٤) ، ومع ذلك فانه رغم هذه الهمة البناء لا نستطيع أن ننكر ان قامه رمسيس الثانى قد تضاءلت نتيجة للأبحاث اللغوية التى تمت فى النصف قرن الأخير ، ولقد دفعت الكنية « سيسى » التى عرفت له فى بعض النصوص الأدبية المتأخرة (٥) ، ماسبيرو الى القول بأنه ليس سوى الفاتح سيزوستريس صاحب الشهرة المعروفة لدى الكتاب الكلاسيكيين ونحن ندرك اليوم ان هذه الشخصية نصف الاسطورية قامت كنتيجة لمزج ملكين مختلفين من ملوك الأسرة الثانية عشرة (٦) . ولا تزال أقل الدعاوى مطمعا فى أن يكون هو فرعون الاضطهاد المعنى بهذه الكنية قائمة فى دراسات أقدر الباحثين المتحفظين وان كان ذلك فى صورة معادلة تعديلا كبيرا ، وذلك فى الوقت الذى لا نستطيع أن نغفل تماما قلة من المؤرخين تتنابهم شكوك كثيرة فى قصة الخروج (٧) كلها ، وأخيرا فإن السحر الذى أحاط برمسيس الثانى كغاز منتصر قد خفف منه الدليل المستقى من وثائق بوغازكوى ، وعلى أية حال

Op. cit., VI, 33 ff. (١)

P.M., III, 218 (٢)

Op. cit., VII, 106; B.A.R., III, No. 394 ff. (٣)

P.M., VII, 95 (٤)

Z.A.S., XLI, 53 ff. (٥)

(٦) انظر صفحة ١٥٥ .

(٧) انظر صفحة ١٧٦ .

فإن أحداث سنى حكمه السبعة والستين معروفة لدينا كما انها تبدو أكثر تشويقا من أحداث غيره من أئداده فى التاريخ المصرى .

وأما عن بداية عهده بالحكم فإن مصدرنا الرئيسى هو نص بالغ الطول يعرف لدى جمهرة المهتمين بالدراسات المصرية باسم « كتابه تكريسية » *Inscription dédicatoire* كما عرفها بذلك أول مترجم (١) لها وهو ج . ماسبيرو وهى تشغل جدارا كاملا فى معبد سيتوس الأول فى أبيدوس وتتضمن - أصلا - بيانا فيه كثير من الزهو عن فضل رمسيس فى اكمال معبد ابيه الفاخر ، أما الجانب الآخر المخصص للقصة الفعلية فضئيل نسبيا ولكن هناك فقرة هامة تتناول أمر ارتقاء رمسيس فى شبابه الباكر الى مركز ولى العهد وبالتالى اشتراكه مع سيتوس فى العرش .

• الاله العالمى نفسه (٢) عظمى وأنا لاأزال طفلا حتى أصبحت حاكما، انه أعطانى الأرض وأنا لا أزال فى البيضة وتشمم العظماء الأرض أمام وجهى ثم تم اختيارى بوصفى الابن الأكبر لاأكون ولى العهد على عرش جب (الاله الأرض) . وكنت أقدم تقاريرى عن حالة الأرضين كقائد للمشاة والعربات وحين تجلى أبى فى مجده أمام الشعب ، كنت لا أزال رضيعا على فخذه وقال عنى : «توجوه ملكا حتى أشهد جماله وأنا على قيد الحياة» ودعا رجال البلاط ليربطوا التيجان على وجهى ثم قال عنى وهو لا يزال على الأرض : « امنحوه العظيم المفرد (يعنى صل الثعبان) فوق رأسه » .

وقد فندت هذه الواقعة وتناولت المناقشة أمر صحتها ولكن مناقشتها للصدق تبدو غير صحيحة ما دامت المناظر فى الكرنك والقرنة تؤكد اشتراك رمسيس فى العرش مع أبيه (٣) . وربما كان على أية حال اصغر سنا مما تقترحه هذه الفقرة حين بدأ الاشتراك؛ ذلك لأن هناك دليلا على أنه صاحب سيتوس فى حملاته الحربية ، بينما كان لا يزال وليا للعهد وكذلك لأن الفقرة التى قدمناها جاء فيها بعد ذلك ان سيتوس زوده بنساء للبيت وبحريم ملكى « مثل فائتات القصر » مما يشير الى أنه كان يبلغ الخامسة عشرة من عمره على الأقل فى هذه المرحلة ، وعندما نخمن طول مدة الاشتراك يجب علينا أن نتذكر أن رمسيس كان لا يزال أمامه أقل

(١) B.A.R., III, No. 259 ff.

(٢) تعد هذه هنا كنية لسيتوس الأول

(٣) Seele, op. cit., pp. 23 ff.

يقليل من سبعين سنة أخرى مدة حكم . ذلك لأنه اعتبر سنته الأولى
لولاية العرش السنة التالية لموت سيتوس من غير شك ، ويقدم لنا نص
ايبيدوس كذلك بعض المعلومات المتصلة بتصرفاته الأولى عقب ولاية العرش.
فقد جاء الى طيبة كما فعل حرمحب - ليقوم بدوره في المعبد الكبير لامون
نلاحتفال بعيد «أوبه» حين كان الاله يحمل في فخامته في قارب مواكبه
من الكرنك الى الأقصر ، وبعد انتهاء فترة الاعياد انطلق عن طريق النيل
الى عاصمته الجديدة في الدلتا وتوقف عند ايبيدوس في الطريق ليقدم
الولاء لأوزيريس أونوفريس وليصدر الأوامر لاستمرار العمل في معبد
سيتوس ، وقد منحته هذه الزيارة الفرصة ليعين كاهنا أكبر لامون رجلا
كان يشغل من قبل وظيفة الكاهن الأكبر للاله أونوفريس في ثنيس
ولحاتجور في دندرة وكذا في بعض الأماكن الأخرى البعيدة الى الجنوب وقد
كان هذا الاختيار مما رواء بفخر نب اوننف - وهو الكاهن المذكور - في
مقبرته في طيبة (١) . وتابع رمسيس تقدمه شمالا حتى وصل الى
« المكان القوى بى رعمره ، عظيمة الانتصارات » التي أصبحت منذئذ
مع سنف بالتناوب - المقر الملكي الرئيسي في الشمال خلال الأسرتين .
التاسعة عشرة والعشرين (٢) : ومن المتفق عليه أن هذه المدينة ، وهي
رامسس في التوراة ، كانت تقع في مكان حصن الهكسوس الكبير نفسه
في افاريس (انظر صفحة ١٨٥) وأن معبودها الرئيسي كان سوتخ وهو
اسم ست كما كان ينطق غالبا اذ ذاك ويرى مونتيه كما يرى المؤلف انها
لا تعنى شيئا آخر سوى تلك المدينة الكبرى التي عرفت فيما بعد باسم
دجعنه ، وهي تانيس لدى اليونان وصوعن في التوراة ولا يسع امرؤ
يكون قد قام بزيارة المنطقة أو قرأ عن آثارها في الكتب الا أن يبدى تأثره
بالمخلفات العديدة هناك من عهد رمسيس الثاني . ومن ناحية أخرى نجد
أنه على مبعدة احد عشر ميلا الى الجنوب توجد في ختعا قنطير أجزاء من
قصر جميل من عهد رمسيس الثاني (٣) مزين ببلاط من القاشاني الفاخر
يحفز لتأكيد الدعوة المناهضة التي تقدمه بوصفه بى رعمره الحقيقي
« بيت رعمره » ومن بين الباحثين الآخرين عمل لبيب حبشى بجدة وتوفيق
حتى عشر على لوحات وأدلة أخرى من بعض النواحي المجاورة تجعل

(١) Z.A.S., XLIV, 30 ff.

(٢) J.E.A., V, 127 ff ; 179 ff.

(٣) P.M., IV, 9

البندول يتأرجح الى هذه الناحية (١) ، وطبقا لهذه النظرية تكون آثار رمسيس الثانى فى تانيس قد تم نقلها الى هذه الناحية بواسطة ملوك الاسرة الحادية والعشرين الذين عرف عنهم انهم اختاروا هذه المدينة لتكون عاصمة لهم . والنقاش لا يزال قائما ولا يستطيع الوصول من ورائه الى رأى بالنسبة لأحد الرايين .

وهناك لوحة جمية يرجع الى السنة الثالثة ، عثر عليها فى قلعة كوبان فى النسوبة السفلى وهى تسجل نجاح حفر بئر فى أرض ايكيتا حيث يوجد الذهب بكميات كبيرة (٢) . وقد أكد ابن الملك فى كوش فى التقرير بأنه حين أرسل عمال الذهب الى هناك لم يصل سوى نصف عددهم وأما الباقون فهلكوا عطشا فى الطريق وأضاف الى ذلك أن البئر التى أوصى بها سيتوس الأول هناك ثبت فشلها بخلاف بئر وادى عباد السالفة الذكر . وليس من شك فى أن موارد المعدن النفيس بعيدا فى الشمال كانت قد استنفدت ، ومن ثم فقد أصبحت الضرورة ملحة لاستخدام طريق الصحراء لوادى علاقى الذى يفتح شرقا بالقرب من كوبان ، وعلى أية حال فانه بالنسبة لنا نجد أن لهذا النص أهمية رئيسية فيما يتصل بتعزيز التعيين المبكر لرمسيس كولى عهد ولمشاركته فى المشروعات الملكية منذ طفولته وقد جاء فى النص انه « عمل كقائد للجيش حين كان لا يزال صبيا فى العاشرة من عمره » وهو أمر ليس مستحيلا فى الشرق حين يفهم على ضوء المؤهلات اللازمة .

ونحن نلتقى فى بداية الحكم بأول ذكر لدى المصريين لقراصنة ال «شردن» (٣) الذين منحوا اسمهم فيما بعد من غير شك لسردنيا وان كانوا يعيشون على الأرجح فى ذلك العصر فى بقعة أخرى من نواحي البحر المتوسط ، وهناك لوحة من تانيس (٤) تتحدث عن قدومهم « فى مراكب الحرب من وسط البحر وأنه ليس هناك من يستطيع أن يقف أمامهم » ولا بد أنه حدثت معركة بحرية فى مكان ما بالقرب من مصاب النهر ؛ ذلك لأنه بعد ذلك بفترة قصيرة نشهد كثيرين من الأسرى من جنسهم فى حرس فرعون حيث ييسدون للعيان بقلانسهم ذات القرون ودروعهم

Ann. Serv., LII, 443 ff. (١)

P.M., VII, 83 ; B.A.R., III, No. 282 ff. (٢)

Onom., I, 194* ff. (٣)

Kêmi, X, 63 ff., with pl. 16 (٤)

المستديرة وسيوفهم الضخمة الذين يصورون بها وهم يجهزون على الاعداء
الحِيثِيِّين . وبعد قرن أو أكثر بقليل نلتقى بال شردن يباشرون زراعة
أراض خاصة بهم كانت من غير شك بمثابة مكافآت منحت لهم من أجل
خدماتهم الحربية ولكنهم لم يكونوا الا جانب الوحيدين الذين استخدمهم
رمسيس الثاني في هذا المضمار فهناك بردية أدبية تصور الحياة في
عهده (١) وتصف قوة بعث بها ، قوامها خمسة آلاف رجل من بينهم الى
جانب ٥٢٠ من الشردن ثلاثة أمثال هذا العدد من الليبيين من قبائل قحقي
ومشوش وكذا ٨٨٠ من النوبيين وكلهم كانوا من غير شك أسرى حرب
أو أبناء لأسرى الحرب ؛ لأنه ليس هناك من دليل على أن المرتزقة استخدموا
في ذلك العصر كما يشار الى ذلك خطأ .

ولسنا نستطيع بعد ذلك ان نتمهل في الاشارة الى الصراع بين
مصر والحِثِيِّين . . . كان رمسيس يطمح في أن يكرر ما لقيه أبوه من نجاح
في شمال سورية وكان موثا للسل حفيد سوبيلوليو ماس مصرا على
الاستمساك بالمعاهدات الكثيرة التي كان قد تم عقدها مع صغار امراء
الاقليم . حدثت أول « حملة نصر » كما يشار الى الحملات الآسيوية على
نطاق واسع في النصوص المصرية في السنة الرابعة حين قاد رمسيس
جيوشه على شاطئ فلسطين شمالا حتى نهر الكلب على بعد أميال قليلة
وراء بيروت حيث أمر باقامة لوحة في مواجهة البحر (٢) لا يمكن مطالعة
شيء منها اليوم سوى التاريخ وينسب الى العام التالي الصراع العنيف
الذي مارس فيه رمسيس قوته الشخصية التي لم ينل منه الجهد اطلاقا في
اعلانها لرعاياه على جدران المعابد التي شيدها ، وتروي القصة في روايتين
منفصلتين تكمل الواحدة منهما الأخرى وقد صورتا في نقوش منحوتة
مصحوبة بالتعبيرات اللفظية ، ولقد كان ما اصطلح عليه دارسو المصريات
في أول الأمر بأنه قصيدة بنتاءور عن نص طويل حسن التدبير يوصف
اليوم ببساطة بأنه « القصيدة » رغم انه ليس فيه من القصيدة أكثر مما
في الوثائق التاريخية الأخرى من عهود أخرى ، واما نسبته الى بنتاءور
فقد صرف النظر عنها حين عرف أنه لم يكن سوى الكاتب المسئول عن
نسخة معينة احتفظ بها في بردية يشترك فيها اليوم متحف اللوفر
والمتحف البريطاني ، وبالنص قصور في نماذج الهيروغليفية المقررة وقد

A.N. E.T., p. 476 (١)

P.M., VII, 385 (٢)

أمكن تجميعه من نمساى نسح فى معابد الكرنك والأقصر وأبيدوس
والمسيوم ، اما النص المختصر فيعرف باسم « التقرير » أو « النشرة » ،
وجد كذلك فى المعابد نفسها فيما عدا الكرنك ، ولكن يوجد كذلك بالمعبد
الكبير فى « أبو سمبل » (١) .

عبر رمسيس وجيشه الحدود المصرية عند سيلة فى ربيع عامه
الخامس وبعد مسيرة شهر وصل الى مرتفع يشرف على قلعة قادش على مسعدة
خمسة عشر ميلا . وتقع قادش - وهى اليوم تل نبي مند - فى زاوية بين
المجرى الشمالى للاورونت ورافد صغير يدخل من الغرب ، واما أهميتها
الحربية فنرجع الى مركزها بالقرب من مخرج أعلى الوادى بين جبال لبنان
المسمى بالبقياع ، وكل جيش يتجه شمالا عبر هذا الوادى عليه بالضرورة
أن يمر - ان هو أراد أن يتجنب الطريق الضيق الذى تعترضه مصاب
الأنهار - بالشاطيء الفينيقي - وقد رأينا سبتوس الأول من قبل يستولى على
قادش ولكنها أسقطت بعد ذلك فى أيدي الحيثيين - وكانت هى الهدف المحدد
لرمسيس كما كانت الموقع الذى منح اسمه للمعركة الكبرى التى قدر لها
أن تقع وقد قسم الجيش المصرى الى أربعة أقسام تحمل أسماء أمون وبرع
وسنخ الذين التقينا بهم على لوحة لسبتوس فى بيسان (صفحة ٢٧٩)
أما الرابع فأطلق عليه اسم بتاح اله منف الذى يظهر هنا للمرة الأولى .
وقد قضى رمسيس الليل فوق قمة التل السالف الذكر جنوب قادش وبكر
فى الصباح التالى آملا من غير شك فى الاستيلاء على قلعة المدينة قبل
حلول الظلام - وقد نزل على رأس جيش أمون مسافة ستمائة قدم الى
مخاضة الأورونت الواقعة الى جنوب شبتونا مباشرة - وهى من غير شك
ربلة الحالية - وقد جئ له ببديوين اما قبل أو عقب عبوره النهر مباشرة
وحين استجوابهما قررا انهما كانا مع الملك الحيثى وانهما رغبا فى النزوع الى
مرعون . كما فررا كذلك ان الحيثيين كانوا لا يزالون بعيدين فى أرض خالب
(حلب) الى الشمال من تونب وقد اندفع رمسيس وحرسه مضلين بهذه
المعلومات على رأس بقية الجيش وبدأوا فى إقامة معسكر الى شمال عربى
قلعة المدينة على بعد ستة أو سبعة أميال من المخاضة . ومن الواضح ان
الحكمة كانت تقتضى انتظار وصول بقية الجيش الى الضفة اليسرى حتى
تتقدم كل القوات معا ، ولكن رمسيس بدلا من أن يفعل ذلك ترك مسافة
بضعة أميال بينه وبين جيش برع ، بينما كل جيش بتاح لا يزال متأخرا

كثيرا ، وأما جيش سونج فكان بعيدا جدا بحيث لا يستطيع أن يقوم بدور في المعركة ومن ثم لم يسمع عنه بعد ذلك ، ولم تتكشف حقيقة الأمور للملك حتى جلس على عرشه الذهبي في مكان معسكره النهائي حيث قبض على حيثيين من فرق الاستطلاع كشفوا له عن أن كل جيش الحلفاء الآسيويين مختبئ إلى شرق قادش وهو كامل العدد معد للمعركة . والواقع أن جهاز المخابرات المصري كان قد وقع في خطأ شنيع ، ولم يكن لدى رمسيس وقت تقريبا ليؤنب ضباطه : إذ سرعان ما سقط عليه العدو الذي كان قد دار حول المدينة من ناحية الجنوب ثم خاض النهر وقطع عليهم طريق الاتصال بجيش رع وعندئذ أرسل رمسيس وزيره ليستعجل وصول جيش بناح الذي لم يكن قد خلس بعد من الخروج من غابة روبادي، وأرسلت رسالة إلى الأطفال الملكيين ليهربوا خلف سياج الدروع التي كانت لا تزال تحيط بالمعسكر الذي لم يكن قد تم إعداده بعد وليبعدوا عن المعركة بمسافة كافية . عند هذه النقطة من الروايتين نرى أن رغبة رمسيس في التمجيد الذاتي تصبح لها الكفة العليا ، ويبدو الإصرار على إبراز شجاعته الشخصية في إفاضة كثيرة فهو يصف نفسه كأنما هجره الجيش كله وكأنما أحيط بحشد ضخم من الحيثيين الذين جمع ملوكهم الأعوان من بعيد - من الغرب عند الشاطئ الإيوني وكذلك من المناطق المجاورة الرئيسية في آسيا الصغرى ، ولعل ترجمة جانب من « القصيدة » تكشف عن الأسلوب الذي يقدم به رمسيس مناجزته الشخصية (١) :

عندئذ قام جلالته مثل أبيه مونت وأخذ عدة القتال وتمنطق بدرعه
 ٠٠٠ كان كبعل ساعته ٠٠٠ وكان زوج الخيل الذي يحمل جلالته من
 الأسطبل العظيم لـ « اوسى ماعرع » ستب انرع المحبوب من أمون يسميان
 « النصر - في - طيبة » عندئذ انطلق جلالته عدوا وتغلغل في حشد الأدياء
 من خاتى ٠٠٠ كان وحيدا بنفسه ولم يكن معه سواه . وتطلع جلالته ناظرا
 من حوله ووجد أنه يحيط من جانبه ٢٥٠٠ زوج من الخيل بكل الأبطال
 من أدياء خاتى والبلاد الكثيرة التي كانت معها من أرزاوا وماسا وببداسا
 وكشكش وأرون وكيزووادنا وخالب وأوجاريت وفادش ولوكا (٢)

(١) Kuentz. pp. 237 ff.

(٢) الأسماء الثلاثة الأولى لبلاد تقع جنوب غربي خاتى وكذا الأخيرة (لوكا المليكيون) أما
 ال كشكش فهم الجاشجاش في اللوحات المسماة من أهالي الشمال الشرقي . أما أرون
 فلا يمكن تحديدها - وكيزووادنا فانها تعنى كيليكيا تقريبا ، وخالب هي حلب ، أما بالنسبة =

كان كل ثلاثة رجال على زوج من الخيل ، بينما لم يكن معى قائد أو سائق عربية أو جندى جيش أو حامل درع ٠٠٠ كانت مشاتى ورجال عربانى قد ذابوا أمامهم ولم يثبت واحد منهم ليحاربهم عندئذ قال جلالته : « ماذا يؤملك يا أبى ؟ أمن دور الأب أن يتجاهل ابنه ؟ أقمت بعمل شئ بدونك ؟ ألسنت أسير وأتوقف بأمرك ؟ اننى لم اخائف أمرا أصدرته لى ٠٠٠ كم تكون كبيرة أن يسمح المولى العظيم فى مصر للأجانب أن يقتربوا من طريقه ! ماذا يضنى فؤادك أى أمون ؟ الآن هؤلاء الآسيويين أدنياء يجهلون الإله ؟ ألم أقم لك آثارا كثيرة وملأت معبدى بجزاى وشيدت لك « قصر للملايين السنين » وقدمت لك كل ثروتى كممتلكات دائمة واهديتك الأراضى جميعا لتزيد من ثراء تقدماتك وأمرت بأن يضحى لك بعشرات الألوف من الماشية وبأن تقدم لك كل أنواع الاعشاب ذات الرائحة الزكية ؟ اننى لم اترك عملا طيبا لم أقم بأدائه فى معبدك فبنيت لك الصروح العظيمة ورفعت فيها ساريات الأعلام بنفسى ، وجئتكم بالمسلات من الفنتين ، بل كنت أحمل الحجر بنفسى ، وقدت لك السفن على الأخضر العظيم لتحمل لك منتجات البلاد الاجنبية ٠٠٠ ماذا سيقول الناس ان حدث شئ ولو ضئيل لمن يستمع لمشورتك ؟ .

وهناك أكثر من ذلك فيما يتصل بهذا الجهد قبل ان يحدثنا كيف أن جلالته دحر الأعداء مفردا وطوح بهم الى الأورونت فماذا حدث فعلا ؟ انه مما لا يحتمل الشك ، أن الملك المصرى أبدى شجاعة كبيرة فى تلك اللحظة الحرجة ، ولكن كلا من « التقرير » والمناظر المنحوتة توحي بأن ما انقذ الملك هو وصول الجيوش الفتية التى ذكرنا من قبل أنها كانت معسكرة فى أرض أمور وذلك فى وقت الحاجة اليها ، ولنا أن نطن انها قدمت من مجاورات طرابلس على الطريق الذى يعترضه مجرى اليوثيروس ، ومهما يكن من أمر فانهم هاجموا مؤخرة الحيثيين واكملوا عملية دحرهم ، وتسمى المصادر المصرية عددا من الحيثيين البارزين التى تشير الى انهم غرقوا فى النهر أو وطئتهم أقدام خيول رمسيس ومن بينهم شقيق الملك الحيثى الذى يوصف كذلك بأنه لم يسهم فى القتال ولكنه توارى فى مكان ما فى المؤخرة ، وأخيرا نجد « القصيدة » تشير الى وصول خطاب يمتدح فيه الحاكم الحيثى شجاعة فرعون فى أسلوب مبالغ فيه وينهى بقوله : « ان

= ل «اوجاريت» فانظر صفحة ٢٢٣ أما الدردانى المذكورون فى مكان آخر فى (القصيدة) فهم من غير شك الدردانيون لدى هومر ولتفصيلات أكثر ارجع الى Onom. I, 123 وانظر كذلك خريطة Gurney, pl., XVI .

السلام خير من الحرب » ٠٠٠ امنحنا نسمة « الحياة » (١) ، ولكن ألواح بوغاز كوى تروى لسوء الخط رواية تختلف عن هذه الرواية تماما (٢) فعلى أحدها يتذكر خاتوسيلاس ، شقيق موتالليس وخلفه ، أحداث السنين السابقة ويروى كيف هزم رمسيس وتراجع الى أرض آبا (٣) بالقرب من دمشق تاركا في مكانه نائبا له ، وهناك لوح آخر ينبئنا بأن أمور التي ربما كانت خاضعة لسلطان مصر منذ أيام سيتوس سقطت في يد موتالليس الذي عين في مكان ملكها آخر اختاره لها ، ومهما يكن من أمر فاننسا لو صدقنا ما جاء بالنقوش المصرية فان رمسيس استطاع ان يحرز العديد من النجاح الحربي بعد قادش ٠٠ ففي العام الثامن قهر مجموعة كاملة من القلاع الفلسطينية بما فيها دابور في أرض أمور (٤) ، ورأى من الضروري كذلك المعصف بأشقلون التي لا تبعد كثيرا عن الحدود المصرية (٥) ، وان كان هناك ما يشير كذلك الى انه حدث ذات مرة حين كان يهاجم مدينة حيثية في اقليم تونب انه لم يعن حتى بلبس درعه (٦) ، ومهما يكن مدى صدق كل هذه الأعمال الحربية فان كل شيء يشير الى ضرورة انتهاء الصراع الذي لم يكن في مصلحة احد من الطرفين وسنرى ان هذه الضرورة تحققت تماما بعد ذلك ببضع سنوات .

ومن أعظم الروايات التي وصلت اليينا عن الشرق الأدنى الكشف عن المعاهدة التي أبرمت في العام الحادى والعشرين من حكم رمسيس الثانى بينه وبين خاتوسيليس والتي وصلت اليينا من عدة نسخ منفصلة عثر عليها في العاصمة المصرية طيبة وفي العاصمة الحيثية بوغازكوى المدينتين اللتين تبعد الواحدة منهما عن الأخرى بمسافة ألف ميل على ناحيتين متقابلتين من البحر المتوسط . (٧) والنص المصرى مكتوب بالهيروغليفية وتستطاع مطالعته على لوحة مثبتة أمام جدار في معبد الكرنك ، أما النص الحيثى فهو أقل كمالا وقد عثر عليه منقوشا على لوحين من الطين مكتوبا بالبابلية الاسفينية وهو ليس نسخة طبق الأصل

(١) Kuentz, p. 319

(٢) للمصادر - راجع نهاية الفصل

(٣) Ube هي (أوبا) في ألواح العمارة ، انظر Onom., I., 152*, 181*

(٤) B.A.R., III, No. 365 ff; Wreszinski, II, Pls. 90-91, 107-8

(٥) Op. cit., II, pl. 58

(٦) B.A.R., III, 365; Z.A.S., XLIV, 36 ff.

(٧) J.E.A., VI, 179 ff.

٥; P.M., II, 49. 2

ولكنه يتضمن الى حد كبير عبارات وتعبيرات متماثلة وهو أمر هام ؛ لأنه يؤكد دقة عمل اللغويين في حقلين متباعدين من الدراسة ، والنصان يشيران الى قيام حلف هجومي دفاعي بين الحاكمين ويثبت وجود نظير له في عهد سوبيلوليوماس كما يؤكد بقاء المحالفة في حالة موت أحد المتحالفين فلا يغير الواحد على أملاك الآخر كما ان على الواحد منهما أن يكفل مد يد العون في حالة المهاجمة من طرف ثالث وهناك اشارة الى تسليم اللاجئين الى أي من الناحيتين على ألا يعاملوا كمجرمين عند عودتهم وتختلف الوثيقة المصرية عن الوثيقة الحيثية من ناحية ذكر الشهود بين آلهة كثيرين في البلدين وكذلك من ناحية وصف الألواح الفضية التي يتم تبادلها وليس من شك في أننا كنا نلتقي بهذه الخاتمة في الألواح الحيثية لو انها حفظت كاملة .

ولقد وجد من حسن السياسة ان تدعم الصداقة بين القوتين الكبيرتين اذ ذاك بوسائل أخرى كذلك ، وهناك رسائل مليئة بالحيوية تم تبادلها بين البلاطين ، وتحوى جزازات بوغازكوى تهاني لمناسبة قيام معاهدة السلام موجهة الى خاتوسيلاس من زوجة رمسيس الرئيسية نوفريتاري ومن أمه تويا ومن ابنه ستخي خوبشى اف وهناك على الأقل ثمانية عشر خطابا من رمسيس نفسه ، وان كان معظمهما في حالة ميؤوس منها ، ولعل من الأمور البالغة الغرابة والتي تدعو الى الاهتمام كذلك خطابات تكاد تكون متماثلة (طبق الاصل) أرسلت لا الى خاتوسيلاس وحده بل كذلك الى الملكة بودوخيبيسا زوجته ، ومن الواضح أن الملكة الحيثية كانت تلعب دورا أهم من الناحية السياسية من الدور الذي كان لملكة مصر وأن كان للأخيرة كذلك نفوذها ومركزها البارزان من جميع النواحي ، وكثير مما جاء بالخطابات بين الحاكمين يتناول امور الزواج الذي كانت تعد ترتيباته بين رمسيس وابنة خاتوسيلاس ، وقد تم هذا الارتباط فعلا في السنة الرابعة والثلاثين حين جرى بالأميرة الى مصر ومنحت لقب ماحور نفر ورع أو مانفرورع * وقد رويت القصة في نصوص كثيرة عرضت نسخ منها لأنظار الجماهير في الكرنك والفنتين و « أبو سمبل » وعمارة وربما كذلك في معابد أخرى (١) ، وافه لمن العسير أن نتخيل وسيلة أقل من هذه لعرض تعبيرات المجاملة بالنسبة لملك أجنبي صديق ويلاحظ أن أكثر من نصف النص الهيروغليفي يكرس لتقريظ كامل لفرعون ، وحين يصل المؤلف المتذلل الى رواية الواقع نجد أن

(١) Ann. Serv. XXV. ٢8١ ff. ونص مختصر في Ann. Serv., XXV. 34 ff.

مضمون ما تقدمه بردية يجيء فيه : كان من عادة الأمراء السوريين أن يرسلوا سنويا جزية للملك المصرى بما فى ذلك أطفالهم ، أما خاتى وحدها فقد ظلت متعالية ومن أجل هذا وجد رمسيس نفسه مضطرا لاستخدام السلاح حتى يتم الاذعان وقد تبعت ذلك سنون من الفحط قاست خاتى من جرائها حتى قرر ملكها أن يتفاوض مع عدوه المنتصر .

عندئذ كتب ملك خاتى العظيم ساسيا وراء استعطاف جلالته عاما بعد عام ، ولكنه لم يعره التفاتا ، وحين رأوا بلادهم فى حالة من الدمار بسبب القوة العظمى لسيد الأرضين تحدث ملك خاتى العظيم الى حنده ونبلاته قائلا : ماذا يعنى هذا اذا كانت بلادنا معزولة وربنا سونج غاضب علينا والسماء لا تمنحنا الماء الذى نحن بحاجة اليه ؟ لعله يكون من الحكمة أن نجرد من كل أملاكنا ، وابنتى الكبرى على رأسها ، ونقدم الهدايا التى تدم عن الخضوع للاله الطيب لعله يمنحنا السلام حتى نعيش .

وأما تنفيذ هذا القرار فيوصف بتفصيل أكثر من هذا ويبدو الضغط واصلحا على صعوبات الرحلة وعن الجبال الكثيرة والممرات الضيقة التى كان يجب على المسافرين أن يخترقوها ، وحين أدرك فرعون من جانبه ضرورة ارسال جيوش للترحيب بالأميرة ، وحاشيتها خشى المطر والثلج المعتاد فى فلسطين وسورية فى فصل الشتاء ومن أجل ذلك أقام مأدنة كبيرة لأبيه سوتخ ملتسما منه أن يتعطف بطقس معتدل - وهى معجزة تمت فعلا - وكان الوصول الى مصر مناسبة لبدء الفرح الكبير ، ويرى ممثلو الأمتين يأكلون ويشربون معا وكانوا قلبا واحدا كأخوة ولم تكن هناك ضغينة أو سخيمة من الواحد قبل الآخر . ومن حسن الحظ لقى جمال الفتاة الحيشية قبولا فى عين رمسيس وسرعان ما رفعت الى مركز زوجة الملك العظمى ، ولئن كان التمثال العجيب لزوجها الملك فى متخفطورين (لوحة ١٧) يروى الحقيقة فانهما كانا زوجين متآلفين ، ومن الصدفة العجيبة أن لدينا دليلا على أن هذه الزوجة الاجنبية كانت تؤخذ أحيانا الى الحريم الذى يحتفظ به الملك فى مى - ور وهى مدينة عند مدخل الفيوم ، وقد عثر بىترى على قطعة من بردية بها قائمة بالملابس والكتان الخاصة بخزانة ثيابها (١) .

ورغم أن هذا الارتباط الأجنبى كان كما رأينا فريدا فى التاريخ المصرى وربما تكرر فيما بعد فى نفس العهد (٢) الا أنه ظل فى الذاكرة

(١) R.A.D., 23, 23a

(٢) B.A.R., III, No. 427-8

طويلا ويرجع ذلك من غير شك الى أهميته البارزة في ارتباط الفريقين ، وهناك لوحة جميلة في اللوفر كانت يقصد بها من قبل أن تروى تذييلا لما يعرف الآن بقصة خيالية متأخرة ، هدفها الاعلاء من شأن الاله الطبيعى حونس (١) . وهى تروى كيف ان الأخت الصغرى لزوجة رمسيس الثانى الحيثية ، وتذكر هنا على أية حال كأنما هى ابنة ملك لبلاد بعيدة ندعى بختان . . كانت تمتلكها روح شريرة وكيف أن رسولا أوفد الى مصر ليسعى وراء المعونة الطبية . وحين فشل الطبيب الماهر دحوثى أم حب فى شفائها أرسل تمثال الاله حونس نفسه وسرعان ما طرد الروح الشريرة وسواء أكانت هذه القصة غير التاريخية من إنتاج العصر البطلمى أم ما قبله فإن مادنها مصرية حقيقية فى طبيعتها وتعيد الى ذاكرتنا أمر ارسال عشتار نينوى لشفاء أمنوفيس الثالث .

• ولقد كان رمسيس الثانى فخورا بذريته الضخمة حتى لبرى أنه من الخطأ أن نغفل الإشارة الى الاحصاء الطويل لأبنائه وبناته المنقوش على جدران معابده (٢) ففي وادى السبوع فى النوبة السفلى يذكر أكثر من مائة أمير وأميرة ولكن الفجوات الكثيرة تجعل من المستحيل أن تقدر الرقم الفعلى . ويبدو واضحا من العديد من المعابد أن الابن الأكبر كان « امنحى ون ام اف » ولكن أمه مجهولة وقد مات فى سن مبكرة . وعلينا أن نتذكر أن سيتوس الأول أمد شريكه الشاب بعدد كبير من المحظيات وهؤلاء مسئولات عن هذا العدد الضخم من الأطفال الذين لا نعرف شيئا أكثر من ذلك عنهم ، أما أكثرهم تمجيذا فهم بطبيعة الحال المولودون لرمسيس الثانى من زوجاته الملكيات العظيمات على التوالى وكانت « ايسينوفرة » أما لأربعة يرسمون معها ومع زوجها (٣) - وكان فى مقدمتهم « رعمنة » الذى كان فى وقت ما ولى عهد ، ولكن أخاه الأصغر « مرتبتاح » وهو الثالث عشر فى قائمة الرمسيوم هو الذى عاش ليخلف والده . وكان هناك ابن آخر ربما لم يزعم حقا فى العرش وهو « خع أم ويسة » الكاهن الأكبر (ستم) نبتاح فى منف . وقد كانت له شهرة ضخمة كعالم وكساحر وظلت ذكراه قائمة حتى العصور اليونانية الرومانية (٤) ولا بد أنه بهذه الصفة عهد اليه بتنظيم أوائل أعياد سد الحاصة بأبيه ابتداء من

(١) Lefebvre, Romans, pp. 221 ff.

(٢) Petrie, History, III, 35 ff. 82 ff.

(٣) Lep. Denkm. III, 174c, 175h

(٤) انظر المراجع فى آخر الفصل وكذا Gauthier, L.R. III, 84 ff.

الأول في العام الثلاثين حتى الخامس في العام الثاني والأربعين وقد عاش رمسيس الثاني ليحتفل بهذا العيد اثنى عشرة بل ثلاث عشرة مرة . وكانت هناك ابنة « ايسينوفرة » تحمل لقباً سوريا هو « بنت عنات » (١) التي تهمنا لسبب معين : ذلك أنها كانت تحمل لقب زوجة الملك العظمى خلال حياة أبيها ولسنا نستطيع أن نتغاضى عن احتمال تزويجها منه ولو بصفه مؤقتة ، وهناك اشارات تتردد أكثر من ذلك خاصة بالملكة « نوفريتارى مرى ان موت » (٢) وهى المعروفة فى خطاب بوغازكوى باسم « نابتيرا » ويعرفها علماء المصريات بكونها صاحبة تلك المقبرة الرائعة فى الضفة الغربية من طيبة (٣) حيث بدى منذ هذه المرحلة دفن نساء أسرة الرعامسة الملكيات هنا . وكان لرمسيس الثانى نفسه مقبرة فى وادى الملوك كانت فى يوم من الأيام فى مثل اتساع وجمال مقبرة سيتى الأول ولكنها مغلقة الآن بسبب خطورة حالتها ، أما مؤمياء الملك العظيم فلقد لقيت مصيراً مشابهاً لمصائر الكثيرين من أسلافه ثم وجدت مستقرها فى نهاية الأمر فى خبيثة الدير البحرى (٤) حتى نقلت الى القاهرة مع غيرها من الجثث حيث يمكن أن تشاهد وهى تمثل رجلاً مسناً متغضناً ذا وجه ضيق وفك ضخم وأنف بارز ، ولكن تبدو أسنانه المتكاملة فى حالة تدعو للاعجاب .

• أما بالنسبة لمصر نفسها فقد كان عهد رمسيس الثانى يمثل فترة تقدم كبير لا شك فيه فآثار هذه المرحلة مؤرخة أو بدون تأريخ عديدة جداً (٥) . ولكنها فى أغلب الأمر صنعت لتخليد أفراد ومن ثم فهى تلقى ضوءاً قليلاً أو هى لا تلقى ضوءاً إطلاقاً على حالة البلاد ككل ، واما قيمة المحاولات الحديثة لعمل صورة متلائمة عن طريق الألقاب التى كان يحملها مثل هؤلاء الأفراد فأمر لا ينكر ، ولكن النتيجة التى يمكن الحصول عليها من وراء ذلك نظرية بحيث لا تستحق أكثر من لمحة عابرة فى هذا المؤلف ولئن ذكرنا هنا فقط أكبر الموظفين الإداريين ، وهيئة الكهانة على التوالى فانه يجب ملاحظة أن الوزارات كانت عادة فى أيدي أحد المعظماء

(١) Op. cit., III, 102-3

(٢) Op. cit., III, 15-7

(٣) P.M., I, 45, No. 66.

(٤) P.M., I, 175, No. 17

(٥) Petrie, History, III, 898 ff.

وحده وان كان هناك فى البدء وزير لمصر العليا وآخر لمصر السفلى (١) . وكان كبير كهنة آمون رع فى طيبة يحتفظ من غير شك بالسيادة فى محيطه الخاص ولكن وظيفته لم تعد بعد وراثية . وليس هناك تحت أيدينا ما يجعلنا نعرف الى أى مدى ازدادت أملاك الاله أو انقصت منذ الثورة الدينية (٢) - وهناك اثنان من هؤلاء الأخبار العظام (٣) يبدو ههما فى تسجيل الخطى التى اتبعها والسن التى وصلا اليها وهما يتسلقان الى قمة السلم الكهنوتى ، وهناك استثناء لمثل هذه المعلومات التافهة نلتقى به على جدران مقبرة فى سقارة لوأحد كان يشغل منصب كاتب خزانة معبد منف لبناح وقد سجلت هنا بالتطويل اجراءات محاكمة كان موضوعها ملكية رقعة من الأرض فى مجاورات منف - وكان الشاكى يدعى موسى (٤) وقد زعم أن قطعة الأرض منحها الملك أموزس مكافأة لسلفه نشى قائد سفينة ، وقد قامت منازعات كثيرة بشأنها فى الأجيال اللاحقة ، وفى عهد حر محب أرسل مجلس القضاء الأعلى المنعقد فى هليوبوليس والذي كان يرأسه الوزير ، أرسل مندوبا الى الاقليم الذى تقع به قطعة الأرض حيث كانت هناك سيدة تدعى ورنيرو معينة لزراعة الأرض كوكيلة لاختوتها وأخواتها وقد اعترضت على هذا الترتيب أخت لها تدعى تاخارو ومن أجل ذلك حدث تقسيم جديد للضيعة التى لم تكن مقسمة من قبل ووزعت بين ستة من الورثة ، وقدم حوى والد موسى التماسا ضد هذا القرار وشاركته فيه أمه ورنيرو ولكن حوى مات عند هذه المرحلة ولما أقدمت أرملته نوب نوفره على زراعة الأرض المورثة لزوجها تعرض لها بالقوة رجل يدعى خاعى وكننتيجة لذلك رفعت نوب نوفرة قضية ضد خاعى أمام المحكمة العليا نفسها ولكن الحكم صدر ضدها مؤرخا بالعام الثامن عشر لرمسيس الثانى . ولما وصل موسى لمرحلة الرجولة التمس تعديل الحكم وتبعته شهادته على الفور شهادة المدعى خاعى ومن قضيتهما المشتركة نستطيع أن ندرك ما تم ، ذلك أنه عندما فحص الوزير عقود التملك أدرك أن هناك تزويرا وعندئذ اقترحت نوب نوفرة ارسال مندوب مع خاعى لمراجعة السجلات الرسمية لخزانة فرعون وللشونة فى العاصمة الشمالية بى رعمنة ولكن الخيبة أصابتها حين لم يوجد اسم

(١) Von Beckerath, Tanis, pp. 59 ff.

(٢) Lefbvre, Grands Prêtres, pp. 157 ff.

(٣) Bekenkhons, op. cit., p. 132 ff. Roma., Roy. pp. 139 ff.

(٤) لقب موسى هنا يحل محل مس المستعمل من قبل (انظر نهاية الفصل)

زوجها في السجلات التي جاء بها الاثنان - متواطئين معا - وتبعاً لذلك أصدر الوزير الحكم - بعد تحريات أكثر لصالح حامي الذي تسلم نتيجة لذلك ١٣ اورورا من الأرض ، وأما بالنسبة لموسى الذي أصر على استعادة حقوقه فإنه لم يكن هناك من وسيلة لديه سوى ان يقيم الدليل عن طريق شهود الحلف بأنه من نسل نشى وبأن أباه كان يقوم بزراعة الأرض عام بعد عام وأنه كان يؤدي الضرائب عنها ، وكانت الشهادة التي قدمها الرجال والنساء الذين ذكرهم بالاضافة الى الدليل المكتوب السابق تقديمه مما لم يدع بعد مجالا للالتباس بالنسبة لصحة دعواه ورغم أن نهاية النص الهيروغليفي قد ضاعت فاننا لا نشك في أن المحكمة العليا مع المحكمة الأقل شأنًا في منف أصدرت حكمها النهائي بإعادة ميراث موسى اليه والقصة الواضحة المليئة بالحياة التي قدمناها هنا تتناول حقا ضيعة صغيرة ودعاوى ليست ذات أهمية ومع ذلك فإن فيها من التدبير ما يجعل دراستها بكثير من العناية أمرا غير ممكن ، ومع ذلك فهناك نقطة هامة تبرز أمامنا هي مساواة الرجال والنساء بالنسبة للملكية ومن ناحية الأهلية أمام مجلس القضاء .

ويبدو أن النصف الثاني من عهد رمسيس الثاني خلا من الحروب الكبرى ذلك أن بودهالياس الرابع ابن وخليفة خاتوسيلاس كان مشغولا بحدوده الغربية وبواجباته الدينية عن أى اتجاه لأهداف عدوانية والواقع أن الامبراطورية الحيثية التي بلغت من القوة مداها أخذت طريقها الى الانحدار ، وعلى أية حال فإن مصر بحفاظها على السلام مع خاتى كانت في الواقع تستبدل بخصمها آخر أشد مراسا ولم يعد الأمر أمر احتفاظ مصر بسيادتها على أقاليم نائية لأن حدودها كانت مهددة فعلا وليس من الضروري أن نفترض أن التحام سسيتوس الأول بالتحنو الذي برزت رسومه بالكرنك فعلا كان حملة حربية كبيرة ، وإن حجب المتاعب المتوقعة من هذا الركن قبل مرور زمن طويل * وهناك دليل مكتوب بأن الركن الشمالى الغربى للدلتا كانت تحميه من الغزو الليبي سلسلة من القلاع الممتدة على طول شاطئ البحر المتوسط (١) وقد عثر على عدد من اللوحات من عصر رمسيس الثاني بالقرب من العلمين بل في أماكن أخرى أبعد من ذلك الى الغرب (٢) . وهناك نص من السبوع فى نوبيا السفلى من السنة الرابعة والأربعين يشير الى أسرى التحنو المستخدمين فى بناء المعبد

(١) B.A.R., III No. 580-586

(٢) P.M. VII, 368-9

هناك (١) . وقد تجسم الخطر في السنة الخامسة من حكم مرنبتاح وكان زعيم العصاة ماراي بن ديد ملك قبيلة الليبو (الليبيين) التي تظهر للمرة الأولى ، وكان من بين الحلفاء من جنسه قحق ومشوش السابق ذكرهما ، ولكنه كان قد استدعى لعونه كذلك خمسة « شعوب من البحر » (٢) . وهم طلائع الهجرة الكبرى التي سيقدر لها أن تنزل على مصر وفلسطين من الشمال والغرب ، وأسماء هؤلاء المتحالفين باللغة الأهمية ذلك لأنهم - شأنهم في ذلك شأن الدروانيين ولوكا (الليكيين) الذين ساندوا الحيثيين في موقعة قادش - يقدمون ، أو يبدو أنهم يقدمون لنا مجاميع بشرية نعرفها من بواكير العالم الهليني ، فالاتاواشا الذين يرد ذكرهم هنا ، والذين لن نتصل بهم بعد ذلك يمكن كقاعدة أن نعددهم مساوين بلا تردد للآخيين في اليونان المسيينية ولكن الكتابة لا تتناسب وكتابة أهياوا على الألواح الحيثية التي طال الجدل حولها والذين اصطنعوا كذلك دعوى مساوية لهم . أما لوكا فيبدو أنهم لم يلعبوا سوى دور صغير ولم يرد ذكرهم سوى مرة أخرى في الوثائق المصرية ضمن لقب أحد العبيد (٣) ، وأما ربط « تورشا » بال تيرسينوى الذين طالما تناول التأكيد اعتبارهم أسلافا للأترسكيين فأمر لا يستطيع التخلي عنه في يسر ، شأنهم في هذا شأن « شكرش » أو « شكلش » الذين يذكروننا في اصرار بالسيكلوى أو الصقليين ، والواقع أن افتراض أن بعض التورشا والشكلش حاربوا في صفوف المصريين يرجع من غير شك الى ترجمة خاطئة ، ومن سوء الحظ لا نلتقي بنقوش تصور مظهر أعداء مرنبتاح هؤلاء ، والمفتاح الوحيد للتحقق من شخصيتهم فيما عدا أسمائهم هو تلك الدلالة التي نشهدها من ناحية أن الليبيين كانوا لا يختننون ومن ثم فإنهم كانوا يتعرضون للهوان بأن تقطع الأعضاء التناسلية لمن يذبح منهم وتجمع في كومات لتقدم للملك ، أما الشردين والشكلش والاتاواشا والتورشا فكانوا يختننون كما يختنن المصريون منذ عهود باللغة القدم ومن ثم لا ينالهم من الهوان ما ينال أولئك فيكتفى بقطع أيديهم وتقديمها بدلا من أعضائهم التناسلية ، وعلى أية حال فإن هذه الدلالة تعقد المشكلة أكثر مما تقدم حلا لها ، وقد نستطيع أن نجعل الاحتمالات فيما يتصل بـ « شعوب البحر » هذه بالقول بأنه ما دامت لأسمائهم هذه المشابهة في العالم الهليني فإن بعض المقاربة المقترحة تبدو سليمة رغم أنه ليس هناك

Bull. Soc., Fr. d'Eg., No. 6 (1951) pl. 1 (١)

Omom. I, 196 (٢)

Omom., I, 128 (٣)

ما يؤكد أن القبائل موضوع المناقشة كانت تستقر من قبل حيث رسا بها المطاف في نهاية الأمر .

وأما تفصيلات النصر الكبير لمربتاح على الغزاة فقد جاءت روايته في نص طويل منقوش على حائط معبد الكرنك (١) ، ولكن الكتل العلوية لأعمدة الكتابة الهيروغليفية الراسية اختفت ولم تعد هناك بقايا تكفي لإطفاء رغبتنا كما أن الموقف لا يمكن معالجته بروايات أخرى من النوع نفسه نلتقى بها مبتورة في مكان آخر (٢) ومع ذلك فإن ما نستطيع أن نلتقطه مشوق للغاية على أية حال ، فالمحاولة لم تكن مجرد غارة سعيًا وراء النهب بل رغبة في الاستقرار في وطن جديد ، ولقد جاء « ماراي » وحلفاؤه بنسائهم وأطفالهم معهم كما جاءوا بالماشية وثروة من الأسلحة والأدوات التي تم الاستيلاء عليها فيما بعد . ومع ذلك فإن الحاجة هي التي دفعت بهم إلى هذه المغامرة . . . وهاك الكلمات التي جاءت بنصر الكرنك .

انهم قضوا اليوم يجوبون في الأرض ويحاربون ليملاؤا بطونهم كل يوم ، انهم جاءوا إلى أرض مصر سعيًا وراء الطعام الذي يسدون به أفواههم .

كانت هذه هي طبيعة الليبيين كما بدت لمربتاح حين سمع عن الغزوة المؤسسية التي جابهته ، ولا بد أن الهجوم جاءه من مكان بعيد في الغرب ، من برقة وربما من ورائها ما دام التحرك الأول « ماراي » كان يستهدف النزول على أرض تحنو واحتلالها ولم يمض وقت طويل حتى غزوا القلاع الأمامية بل إن بعضهم شق طريقة إلى واحة الفرافرة ومع ذلك فإن النهر الكبير أو الفرع الكانوبي للنيل جعل حداً لتقدمهم ويبدو أن المعركة الحاسمة - حين حلت ساعتها - تمت في إقليم غير محدد يدعى « بي ير » يقع في داخل الدلتا من غير شك ، ومن الواضح أن مربتاح لم يسهم بشخصه في القتال ولا بد أنه كان طاعنا في السن حين ولى العرش ومع ذلك فالنصر نسب إليه بعد أن شهد في الحلم صورة عظيمة للاله بتاح الذي سلمه سيفاً وقال له : « استمسك به هنا وتخل عن قلبك الخائر » وكانت ست ساعات من القتال كافية لهزيمة العدو واستطاع التعس ماراي أن ينجو من الأسر بالهرب إلى بلاده في صميم الليل ، وقد بلغ عدد القتلى من الليبيين أكثر من ستة آلاف بخلاف المئات

(١) P.M., II, 49 (6); B.A.R., III, No. 569 ff.
(٢) A.O.N. Serv., XXVII, 19 ff. Z.A.S., XIX, 118

من الخلفاء ، أما الأسرى فكانوا أكثر من تسعة آلاف ٠٠ وهذه على الأقل هي الأرقام التى نستطيع أن نطالعها في المصادر المشوهة التى تحت أيدينا ، وعلينا من غير شك أن نضع في الاعتبار المبالغة المعتادة .

ونستطيع أن نطالع نشيدا ذا فحوى أكثر وجدانية يتناول نصر مرتبناح على لوحة كبيرة من الجرانيت كان قد اغتصبها من أمنوفيس الثالث وأمر بإقامتها في معبد الجنائزى على الضفة الغربية من طيبة (١) ولئن كان هذا الأثر في حالته الرائعة من الحفظ لا يضيف سوى القليل الى معلوماتنا عن الحقائق المادية الا أنه يحمل الدليل على الخلاص الذى استشعرته مصر عند رد مثل هذا الخطر الفظيع ، وانا لنجد صدى ذلك في التعبيرات التى تنم عن العرفان بالجميل في النعوت التى تنسب للملك .

الشمس التى أزاحت الغمام العاصف من فوق مصر والتى جعلت «نوميرى» ترى أشعة القرص نزيح جبال النحاس عن رقاب أبناء البيوتات ومانح الأنفاس للعامة الذين كادوا يختنقون ، محرر قلب حيكوشتاح (منف) من أعدائها .

وهاك بعض الرذاذ الذى علق بـ « ماري » سيىء الطالع .

الرئيس الحسيمس لليبو الذى فر نجت جنح الليل وحيدا بغير رشة فوق رأسه وقدماء حافيتان وزوجاته مقبوض عليهن أمام ناظريه ، أخذت منه وجبة طعامه ولم يكن هناك فى سقائه ما يحفظ عليه حياته . وجوه أخوته متوحشة للبطش به وقواده يحارب الواحد منهم الآخر ، أما معسكرهم فقد أحرق وتحول الى رماد .

ويقارن ذلك بحالة مصر التى تنسم بالهناء :

حل فرح عظيم بمصر ٠٠ وشاع التهلل فى قرى توميرى ٠٠ انهم يتحدثون عن الانتصارات التى تمت لـ مرتبناح حوتبى ماعه فى أرض تحنو . ما أحب ذلك الحاكم المنتصر ، وكم هو ممجد ذلك الملك بين الآلهة ٠٠ ما أسعد السيد القائد ٠٠ كم هو سار ان يجلس المرء ليطلق لسانه العنان ٠٠ ان المرء يستطيع أن يسير حرا على الطريق دون أن يحل الخوف بقلوب الرجال .

وانه ليس من اللازم أن تتابع الترجمة فى نص يجرى دواما على هذا النسق ، ومع ذلك فان هناك قرب نهايته فقرة مشهورة جاء فيها :

(١) P.M., II, 159 وآخر ترجمة لها فى A.N.E.T., pp. 376-8

الأمراء منبطحون يصرخون طالبين الرحمة وليس بين الأقواس التسعة من يرفع رأسه ، لقد دمرت أرض تحنو ، خاتى هادئة ، كنعان قد استلبت فى قسوة ، عسقلون تم الاستيلاء عليها ، و «جازر» قد أخذت ، ينوعام أصبحت كأن لم تكن ، اسرائيل أقفرت وليس بها بذرة ٠٠ (١) حور عدت أرملة (٢) ل توميرى ٠

ويعد ذكر اسرائيل هنا فريدا فى الكتابة المصرية وهو أمر أقلق الباحثين عند الكشف عام ١٨٩٦ حتى اعتقد معظمهم ان مرنبتاح هو فرعون الخروج (٣) ، وأما الشروح التى تقدم اليوم فيالغة التباين ، فالواقع ان الاسم لا يرد مرة أخرى فى غير مصادر التوراة حتى بعد منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حين ذكر ان ميشع ملك مؤاب حارب اسرائيل (٤) وأما مرنبتاح فقد مارس فعلا بعض النشاط الحربى فى فلسطين فيؤكدده نعت « قاهر جازر » الذى نلتقى به فى نقش فى عمدا (٥) ، وفيما عدا ذلك فان سير الامور فى الجبهة الشمالية الشرقية يبدو أنه ظل سليما وعاديا وهناك مقتطفات من يوميات ضابط على الحدود ارخت بالعام الثالث من حكم مرنبتاح تحصى توالى ارسال الرسائل الهامة الى مختلف قواد الحاميات وغيرهم من الشخصيات ومن بينهم أمير صور (٦) ، وقد عثر على هذه المقتطفات الهامة فى واحد من هذه المجاميع للكتابات المتنوعة التى بقى لدينا عدد منها ٠ ومن الواضح انها كانت بمثابة تمرينات على الكتابة بالمدارس ورغم أنه من التعتن وصفها بأنها وثائق تاريخية الا أنها تلقى ضوءا على كثير من جوانب الحياة المصرية فى ذلك العصر ، ومن بين الفقرات الأخرى من مصدر مماثل وصفت - ان صوابا أو خطأ - بأنها تشير الى اقامة الاسرائيليين فى مصر تقرير لموظف آخر جاء فيه (٧) :

انتهينا من السماح لقبائل ال « شوسو » (البدو) الأدومية بتخطى قلعة مرنبتاح التى فى زيكو حتى بحيرات بى توم مرنبتاح التى فى زيكو

(١) فلسطين وسورية ، انظر P. 226, No. 1

(٢) لعب بالانفاظ لكلمة خور

(٣) انظر من قبل صفحة ١٧٦ هامش رقم ١ ٠

(٤) A.N.E.T., p. 320 يؤكد ما جاء فى لوك الثانى ٣ : ٤ وما بعدها

(٥) Rec. Trav. XVIII, 159

(٦) Caminos, Misc. pp. 108 ff.

(٧) Op. cit., 293

ليظلوا هم وقطعانهم أحياء بفضل احسان فرعون الشمس المشرقة على كل أرض ٠٠ العام الثامن ، اليوم الثالث من أيام النسيء ، يوم مولد ست .

وأما بى توم المذكورة هنا فمن الواضح أنها بيثوم التى وردت فى سفر الخروج ١ : ٢ ومهما يكن موقعها الحقيقى فمن المؤكد انها فى وادى طميلات المنخفض الخصب ، فى الصحراء التى تفصل الدلتا عن الاسماعيلية ، وأما القول بأن زيكو هى سكوت الخروج فأمر يحتمل الكثير من الشك وأن تقبله الكثيرون .

وهناك بردية أدبية ربما كتبت فى عهد مرنبتاح تحوى لونا من الانشاء له صنعتته التعليمية كما أنه مسل (١) . وفجواه رد كاتب يدعى حورى على خطاب كان تسلمه من صديق له هو الكاتب امنموبى ٠٠٠ وبعد تحيات ومجاملات مكررة مستفيضة نجد حورى يبدى خيبة أمله ثم يستطرد فى مقال تهكمى ينال فيه من كفاية أمنموبى ، فالمعاونون الذين استدعاهم لمساعدته لم يعملوا لتحسين الأمور ، وتقدم عدة مواقف للتدليل على مثار النقد فامنموبى فشل فى مهمته لتزويد الجيوش بالمؤن وفى بناء منحدر وفى تشييد تمثال عملاق وهكذا . ولكن أكثر ما يلام عليه هو جهله لسورية الشمالية ، وتذكر بهذه المناسبة أسماء لأماكن كثيرة لم يقم بزيارتها هذا الطالب بمنصب « ماهر » Maher أو أماكن حلت به فيها بعض المتاعب ، ويشير الى أنه لم يصل مطلقا الى بيسان أو يعبر الأرض ، وأنه لا يعرف شيئا عن ببلوس أو صور ، وأن حصانه جمع وعربته تحطمت بل انه لا يعرف حتى المدن القريبة مثل رفح وغزة ، ولسنا بحاجة الى القول بأن الأهداف الرئيسية لتسطير مثل تلك الأمور استعراض من كاتبها لمعلوماته التى يزهى بها ، أما من الناحية التاريخية فإن النص يثيرنا من ناحية وجود طبقة من الكتاب الاكفاء الذين كانت لهم دراية وثيقة بفلسطين وسورية والذين اعتادوا السفر الى هناك دون أن يصيبهم ضرر .

وهناك من أخريات عهد رمسيس الثانى مصدر متباين تماما يمدنا بمعلومات ثقافية وتاريخية له أهمية بارزة تبدأ فى الظهور ، فسواء كان الفرعون يعيش فى هذه المدينة من مدن الدلتا أو تلك ، أو لا ، ويدير الحكم من أى من عواصمها فإنه كان يحرص دائما على أن يدفن فى جبانة

(١) أحدث التراجم فى A.N.E.T., pp. 475-9

أسلافه في طيبة ، ومنذ بداية حكمه نشهد عددا ضخما من العمال المهجرة يشتغلون باستمرار بحفر وزخرفة قبره في بيبان الملوك ، وقد كون هؤلاء الرجال وعائلاتهم جماعة تسكن في قرية دير المدينة في مكان عال في الصحراء فوق المعبد الجنائزى لأمونفيس الثالث وقد كشفت عن جميع مظاهر حياتهم وهواياتهم كتابات عثر عليها هنا أو في مكان العمل اليومى ولما كانت أوراق البردى نادرة نسبيا ولأنها تتكلف الكثير وتلف كان معظم ما وصلنا منقوشا على شظايا من الحجر الجيري ولخاف مما نلقاه مهملا فوق الأرض وهو ما يطلق عليه اليوم علماء الدراسات المصرية اسما غير مناسب هو « أوستراكا » وقد نشرت محتويات آلاف القطع ولا تزال الآلاف الأخرى تنتظر دورها في النشر مودعة في متاحفنا أو في المجموعات الخاصة ، وهناك الى جانب الجزأيات التى تتضمن موضوعات أدبية ودينية وسحرية قطع أخرى تسجل عمليات مقايضة أو دفع الأجور حبوبا أو نحاسا أو تأجير حير للأغراض الزراعية أو قضايا أو حضورا للعمل أو انقطاعا عنه أو زيارة بعض كبار الموظفين أو خطابات نموذجية .
وعلى ٠٠ أو مذكرات من كل نوع فى الواقع ، ولسنا نحاول هنا التوفيق بينها ، ولكننا رأينا من الضروري ان نشير الى مادة ضخمة يستطاع بوساطتها أن توضع تحت أنظار القارئ الحديث صورة معينة وان لم تكن غير هامة عن الحياة فى عهد الرعامسة .

كان مرتبناح طاعنا فى السن حين مات وكان أصلح ممثلى الجسم ، ويبدو أن نهايته كانت متوقعة منذ العام الثامن حين كانت الاستعدادات لجنازته قائمة على قدم وساق ومع ذلك فإن هذا الأمر لم يتم الا بعد عامين (١) . ولا شك فى ان دفن فى التابوت الجرانيتى الذى لا يزال غطاؤه الجميل فى مقبرته فى بيبان الملوك . وقد نقلت مومياؤه فى فترة لاحقة الى مقبرة امنوفيس الثانى حيث وجدها لوريه عام ١٨٩٨ . وبموته تنتقل الى فترة تعاقب فيها عدد من الملوك لم يحكموا سوى مدد قصيرة ، وتناول أمر تتابعهم جدل كثير ، وكانت هذه المشكلة من نوع قاسى منه الكثيرون من دارسى الآثار المصرية ، ويبرز هنا من جديد مسألة الخراطيش المستبدلة فنحن نجد اسما ملكيا بحل محل اسم يمحي ، والنقاش حول هذه العملية غير ثابت كما سلفت الاشارة من قبل . ولئن نحينا جانبا مشكلة تقرير أى الأسماء هو أعلاها . فإن هناك احتمالا يبقى دائما أمامنا هو امكان القول بأن هذا الاسم لأقدم الملكين وأنه أعيد وضعه نتيجة

لولاء أو عدااء لا نستطيع تقدير مدهما ، وعلى القارىء هنا أن يقنع برواية
وتقرير مبسطين كما يبدو أكثر احتمالا بالنسبة لمجرى الأحداث : هناك
شك قليل فى أن خليفة مرتبناح كان ابنه ستى مرتبناح المعروف فى أغلب
الأمر بـ «سيتوس الثانى» ، وهناك اشارة على أوستراكا تذكر تاريخ اعتلائه
العرش وموته الذى يشار اليه بأنه حدث فى العام السادس من حكمه
وهناك فى الوقت نفسه رجل يدعى نفرحوتب كان رئيس عمال
الجبانة الذى حل محله آخر يدعى بنيب وجه ضده الاتهام فى الكثير من
الجرائم شقيق ل نفرحوتب يدعى أمن نخته أشار اليها فى تهمة بالفاظ
عنيفة لا تزال البردية التى تتناولها محفوظة بالمتحف البريطانى (١)
ولئن صدقنا أمن نخته فان بنيب كان قد سرق حجرا لتزيين مقبرته من مقبرة
سيتوس الثانى التى كان لا يزال العمل جاريا فيها . هذا بالإضافة الى
اختلاس أو اتلاف متاع آخر يخص الملك نفسه . كما انه حاول كذلك
أن يقتل نفرحوتب رغم انه هو الذى كان قد علمه ، وبعد أن قتل رئيس
العمال بوساطة « العدو » قدم رشوة للوزير برع أم حب ليغتصب
مكانه . ومهما يكن مدى صدق هذه الاتهامات فانه من الواضح ان طيبة
كانت تمر بفترة عصيبة وهناك اشارات فى أماكن أخرى الى « حرب »
حدثت خلال تلك السنوات ، ولكن معنى هذه الكلمة غامض وربما لا تعنى
سوى اضطرابات داخلية وعدم رضا ، وكان نفرحوتب قد شكى من التهجم
عليه الى الوزير أمن موزه سلف برع أم حب وكان من نتيجة ذلك أن
أنزل أمن موزه العقاب بـ « بنيب » . فقدم هذا المشاغب مظلمة أمام
« موزه » الذى خلع الوزير من وظيفته ومن الواضح أن موزه هذا كان
شخصية هامة ويبدو أنه لا مفر أن تقرنه بالملك امنمسه الذى لم يعمر فوق
العرش طويلا ، والذى جاء حكمه القصير أما قبل أو خلال حكم سيتوس
الثانى . وهناك مقبرة ل امنمسه فى ببيان الملوك (٢) ، ولكنها مقبرة
ضئيلة الشأن محيت معظم نقوشها وان بقى منها ما استطاع أن يعرفنا
باسم أمه تاخاعه التى ربما كانت ابنة لرمسيس الثانى ، وآثار سيتوس
الثانى قليلة ولعل أهمها معبد صغير فى حوش الكرنك ، أما أحداث حكمه
فلا نعرف عنها شيئا ، وقد محيت من مقبرته الخراطيش التى تحمل
اسمه وأحل غيرها فى مكانها ، وربما كان المحو من عمل امنمسه ، وقد
فحص البيوت سميث مومياءه التى عثر عليها فى مقبرة امنوفيس الثانى
وذكر عنه انه كان صغيرا أو فى أواسط العمر .

P. Salt 124, Sec J.E.A., XV, 243 ff. (١)

P.M., I, 12, No. 10

(٢)

وكان خلفه المباشر ابن أعطى فى أول الأمر لقب رعمسة سبتاح ثم غيره لسبب خفى الى مرتباحت سبتاح قبل العام الثالث من الحكم (١) وهو يرتبط ارتباطا قريبا فى معظم نقوشه القليلة بموظف هام دعى «باى» الذى يفاخر بأنه كان «الخازن» الأكبر للبلاد جميعها « وهناك ما يدعو الى ترجيح القول بأن «باى» هذا كان سورى المولد وربما كان أحد موظفى البلاط الذين كثيرا ما كانوا يستطيعون فى ذلك العصر أن يصلوا الى السلطان والنفوذ عن طريق العطف الملكى عليهم ، وانا لنراه فى كتابتين يحمل صفة باللغة الأهمية هى « من أحل الملك على عرش أبيه » . ويكاد يكون من المؤكد انه كان فى الواقع « صانع الملك » والصفة المذكورة تشير الى أن سبتاح كان ابنا لـ «سيتوس الثانى» . ولكننا لا نعرف من كانت أمه وربما لم يكن هو سوى صبي حين اعتلى العرش ما دام لا يزال يبدو صغيرا حين مات بعد حكم ربما لم يزد عن ست سنوات وعندئذ تبدو على مسرح الأحداث امرأة هامة تحمل لقب « توسرة » وقد عثر نيودور ديفس فى خبيثة فى بيبان الملوك على حلى تشير اليها بوصفها الزوجة الرئيسية لـ سيتوس الثانى وهناك سوار صورت عليه واقفة أمام زوجها وهى تصب النبذ فى كأسه الممدودة اليها . وانه لمن العجب - كما انه أمر ليست له نظائر من قبل - ان ثلاثة متعاصرين تكون لهم مقابر فى وادى قبور الملوك ، أما مقبرة باى فهى صغيرة وغير مزينة ولكن مكانها ينهض دليلا على السلطان الذى كان يمارسه ، وأما مقبرة سبتاح التى كانت موميأؤه بها حتى نقلت الى مقبرة امنوفيس الثانى فتبدو أكثر أهمية ولكن الخراطيش محيت من مكانها على الجدران ثم أعيد وضعها فيما بعد كما هى الحال فى مقبرة سيتوس الثانى وأما مقبرة توسرة فهى أكثر بعثا للحيرة فهى تحمل هنا لقب زوجة الملك العظمى بسبب زواجها من سيتوس الثانى ، ولكن هناك منظرا منعزلا تبدو فيه واقفة خلف سبتاح الذى يقوم بتقديم القرابين لاله الأرض وقد محى اسم سبتاح ووضع اسم سيتوس الثانى فى مكانه وما دام لدينا من الأسباب ما يدعونا الى أن نرجح أن سيتوس كان أسبق الملكين فى الجلوس على العرش فان احلال الاسم بهذه الصورة راجع من غير شك الى « توسرة » التى يبدو انها فضلت فيما بعد أن تصور مع الملك الذى كان زوجها حقيقيا لها .

وقد تلا ذلك ان أخذ العرش ست نخته مؤسس الأسرة العشرين.

(١) أنظر J.E.A., XLIV, 12 ff. لكل مايل .

وربما حطم مومياء توسرة بعد ان نقلت حليها الى المكان الأمين الذى ذكرناه من قبل ، والافتراض الوحيد الذى يبدو انه يضىء الطريق أمام هذه الحقائق المعقدة هو أن « باى » أكره الشاب سبتاح على قبول العرش وان توسرة اضطرت لقبول هذا الوضع وان ظلت تحتفظ بسلطة كافية جعلتها تصر على أن يكون لها قبرها فى الوادى وهو شرف نالته من قبلها أنثى ملكية واحدة هى حاشبسوہ عمه توثموزيس الثالث . وقد حملت توسرة شأنها فى ذلك شأن حاشبسوہ القاب فرعون تبعاً لذلك وربما حكمت منفردة ، بضع سنوات ، وقد أمر سبتاح بأن يبنى له معبد جنزى صغير الى الشمال من الرمسيوم فى طيبة (١) . وهناك يبدو اسم باى مع اسمه على ودائع الأساس وهى حقيقة واضحة تفسر الأوضاع التى سبق ذكرها ولم يوجد هناك من توسرة سوى جعل متطفل شارد ، وربما بدىء فى معبد توسرة الجنزى الواقع الى جنوب الرمسيوم (٢) فى الوقت نفسه أو فى فترة بعد ذلك بقليل . وقد انتحلت هنا خرطوشا آخر عشر عليه كذلك مرتبطاً بالخرطوش الأول على لوحة قيل انها وجدت فى قنطير فى الدلتا . وهناك كذلك آثار أخرى قليلة من حكمها فى الشمال بل وفى مناجم الفيروز فى سينا (٣) . وينهى مانيتو الاسرة التاسعة عشرة بملك هو ثووريس يذكر انه حكم سبع سنوات ، وهناك شك قليل فى ان هذا الاسم المحرف ، والجنس الخطأ ، قد يؤدى الى القول بوجود امرأة ثالثة فى التاريخ المصرى بلغت من القدرة وما جعلها تستولى على التاج المزدوج وان لم يكن لها من السلطان ما يجعلها تؤمن لنفسها استمرار خط الاسرة .

(١) P.M., II, 149

(٢) Op. cit., II, 159

(٣) I.E.A., XLIV, 20

مراجع مختارة

النقش التكريسي لرمسيس الثاني في معبد سيتوس الاول بابيدوس :
H. Gauthier, La grande inscription dédicatoire d'Abydos Cairo, 1912 ;
id., ترجمة ZAS, XLVIII. 52 ff.

حرب رمسيس الثاني الهيئية :
J. H. Breasted, The Battle of Kadesh, Chicago, 1903
CH. Kuentz, La Bataille de Qadech, Cairo, 1928 : النصوص
A. H. Gardiner, The Kadesh Inscriptions of Ramses II, Oxford, 1960
A. Götze, OLZ XXXII (1929), 832-8 : اللوحات المسماة ترجمها :
وكان ANET p. 319 وانظر كذلك :
E. Edel in Zeitschrift für Assyriologie XLIX, 195 ff.

معاهدة السنة الحادية والعشرين :
J. A. Wilson, in ANET, pp. 199-201 : أحدث التراجم عن المصرية :
A. Götze, ibia, pp. 201-3 : وعن الحيثية :

رسائل رمسيس وافراد أسرته الى خاتوسيليس وملكته :
E. Edel in Zeitschrift für Indogermanische Forschungen LX. 72 ff.

رسائل بخصوص الزواج الهيئي :
E. Edel in Jahrbuch für Kleinasiatische Forschung, II. 262 ff.
Ge schichte und Altes Testament pp. 29 ff. وكذلك في

الأمير خع ام ويسة :
F. LL. Griffith, Stories of the High Priests of Memphis, Oxford, 1900,
pp. 2-5 studies presented to F. LL. Griffith, London, 1932, pp. 128-34

أعياد «سبد» لرمسيس الثاني :
R. Mond and O.H. Myers, Temples of Armant, London, 1940, pp. 143-4

كبار كهنة آمون :

G. Lefebvre, Histoire des grand prêtres d'Amon de Karnak, Paris, 1929

قضية موزى (موسى) :

A. H. Gardiner, The Inscription of Mes, in Untersuchungen zur Geschichte und Altertums Kunde Agyptens, ed. K. Sethe vol. IV, Leipzig, 1905

Mitt. Kairo. IX. 93 ff.

R. Anthes : وانظر كذلك

W. Hölscher, Libyen und Agypter, Glückstadt, 1937 الليبيون :

G. A. Wainwright in J.E.A. XXV, 148-53. شعوب البحر :

اللخاف الطيبي ، المنشورات الرئيسية ل :

J. Cerny, G. Posener, A. H. Gardiner

Chronique d'Egypte, No. 12 (1931) 212 ff. فى J. Cerny : موجز عام ل

معبد سيتوس الثاني فى الكرنك :

H. Chevrier, Le Temple reposoir de Sêti II, Cairo, 1940

نهاية الأسرة التاسعة عشرة :

A. H. Gardiner, Only one king Siprah and Twoosre
not his wife, in JEA XLIV, 14 ff.

٢- الأسرة العشرون

ليس لدى مانيتو ما يرويه لنا عن الأسرة العشرين أكثر من أنها كانت تضم اثني عشر ملكا من ديوسبوليس (طيبة) حكموا ١٣٥ عاما طبقا لأفريكانوس، ١٧٨ عاما طبقا ليوسيبوس، ومع ذلك فإنها كانت فترة أحداث مثيرة ظهر بها على الأقل فرعون واحد قوى ، وقد بقى لنا من هذه المرحلة عدد من الكتابات التى زودتنا بمعلومات مطولة وهامة تتطلب مناقشتها حيزا لا بأس به . وكان اعداء مصر فى الوقت نفسه يقتربون منها ويتربصون بها وكأنها هم نذر الذلة حتى نرى مركزها يعد أقل من قرن من الزمان ينحط الى لاشئ تقريبا ، وعلى أية حال فإنه كان يبدو فى أول الأمر ان هناك عصرا من الازدهار غير العادى على وشك البروز ، وان رجعة تأمل الى الماضى تضع هذا فى المقارنة الى جانب فترة خيالية كبيرة من الازدهار السابقة كقيلة بأن تروى . ولو على سبيل المثال ، تقليدا ظل قائما للكتابة التاريخية الفرعونية (١) :

اضطربت أمور أرض مصر وأصبح كل رجل يضع لنفسه قانونه ولم يكن هناك قائد مدى بضع سنوات سابقة حتى كانت مصر فى أوقات أخرى تضم أمراء ورؤساء قرى ، والرجل يذبح صاحبه سواء أكان من الطبقة العليا أم الدنيا ، ثم جاء وقت بعد سنين فارغة حين أصبح ارسو السورى أميرا معهم وجعل البلاد جميعا تحت سلطانه .

ويتابع النص الحديث عن سفك الدماء الذى تبع ذلك وعن الاهمال الذى لقيه الآلهة حتى اعادوا السلام بتعيين ست نخته ملكا . وانا لنجد فى هذه الفقرة الغريبة ان الأعمال الرائعة التى تمت فى الأسرتين : الثامنة عشرة والتاسعة عشرة تجوهلت تماما حتى لينتقل الأمر بنا الى سير الأمور الى ما قبل عصر الهكسوس ، ولعل الحقيقة المحددة الوحيدة التى تسجل هنا هى بروز سورى استطاع ان يصل الى مركز السيادة على

الأرض قاطبة ، وقد دار نقاش طويل حول شخصية هذا الأجنبي . ولعل اطرف اقتراح هو ما يراه شيرنى من انه تبدو هنا اشارة محجبة ل « صانع الملك » باى الذى سلفت الاشارة اليه فى الفصل السابق ، ومع ذلك فان الهدف الوحيد للكاتب هنا هو ان يتناول بالتقريب الحاكم الجديد لمصر . ولسنا نعرف سوى القليل عن ست نخته فهو أب رمسيس الثالث ، وكانت زوجته تدعى تيبى من ايزه ، ولدينا ما يدعو الى الظن بأن الفترة بين نهاية الأسرة التاسعة عشرة وولايته العرش كانت قصيرة وربما لم تزيد على عشر سنوات وربما حكم أقل من عامين ، وقد اغتصب مقبرة توسره ودفن فيها من غير شك ، وقد عثر على تابوته فى مقبرة أمتوفيس الثانى (١) ولكن لم يعثر على موميائه .

ومهما يكن ادعاء صاحب فكرة الرجوع الى الماضى فان رمسيس الثالث نفسه كان يقدر عظمة اسلافه الكبار المشهورين فى الأسرة التاسعة عشرة لأنه حاكى فى لقبه وكنيته واسمه سلفه العظيم رمسيس الثانى ، وقد أفعمت سنيه الأولى بالأخطار الفظيعة حقا ان الجنوب لم يكن به ما يخيفه ذلك لأن النوبة كانت قد تحولت الى افليم مصرى ، واما المناظر التى تمثل معركة فى هذه الناحية فيبدو انها تقليد استعير من النقوش السابقة (٢) ، واما الصراع الحقيقى الخطر الذى كان على رمسيس الثالث أن يجابهه فان معلوماتنا عنه مستقاة من كتابات ونقوش على جدران معبد الكبير فى مدينة هابو وهو المعبد الجنزى الوحيد الذى يعد خير وأهم ما بقى لنا من نوعه على الضفة الغربية من طيبة . ويقع هذا الأثر الفخم بصروحه الضخمة وابهاء أعمدته الرائعة داخل أحواش داخلية وخارجية تقيم الى جانب المصلى الرئيسى نفسه مدينة كاملة من مساكن الكهنة واتباعهم وكذا حديقة وبحيرة . أما حائط السور الخارجى من اللبن فكانت توصل اليه قناة تخرج من النيل ، وكان ارتفاعه ٥٩ قدما وسمكه ٢٥ قدما ويزيد طوله من المقدمة الى الخلفية على ٢٠٠ ياردة . وفى وسط الجانب الشرقى مظهر فريد على هيئة بوابة عالية بنيت لتمثل احدى القلاع السورية التى طالما شهدتها الجيوش المصرية فى حملاتها الآسيوية ، ولكن الغرض لم يكن هنا حربيا فالطبقات العليا كانت مخصصة لسكنى فرعون مع نساء حريمه ، واما القصر الحقيقى فكان متاخما للجانب الجنوبى من البهو الأول للمعبد وكانت له شرفة .

P.M., I, 29, No. 35 (١)

Säve Söderbergh, pp. 173 ff. (٢) .

يستطيع ان يخرج الملك اليها ليوزع هداياه على من يود ان يمنحه الشرف من نبلائه ، وليست هناك جدران معبد آخر عليها مثل هذه النقوش البالغة الأهمية ، والنقوش الدينية هي الغالبة طبعاً ولكن مناظر الحروب كثيرة كذلك وهي تكمل الروايات المكتوبة في صورة قيمة جداً ، ولعل أهميتها تبرز ما دامت هذه تزداد تضخماً ، بينما تكاد تختفي الفقرات الروائية وسط هذه التخمّة من البلاغة التي تتسم بالمداهنة والرياء .

وتتحدث النقوش الطويلة للسنة الخامسة في أول الأمر عن حملة ضد الجيران الغربيين لمصر المعروفين بالتحنو (١) ، وقد استثير هؤلاء الاقوام بسبب فرض حاكم جديد اختاره فرعون ويبدو أن حكمة الملك التي تردد الثناء عليها في النصوص الهيروغليفية لم تقدر حق قدرها ، وتبين الألوان على بعض النقوش أسرى لهم لحمى حمراء وخصلات شعر جانبية وأثواب طويلة مزينة وقد ذكرت ثلاث من القبائل هم الليبيون أو الليبيون ، الذين لا يزالون خالدين في الاسم الذي يطلق اليوم على كل الركن الشمالي الشرقي لأفريقيا خارج مصر ثم ال « سبد » الذين لانعرف عنهم شيئاً ، وأخيراً ال « مشوش » الذين جاء ذكرهم للمرة الأولى في عهد امنوفيس الثالث (٢) والذين يلعبون منذ هذه اللحظة دوراً يزداد أهمية في وثائقنا التاريخية ويظن عادة انهم هم ال « ماكسييس » الذين يحدد هرودوت (٤ : ١٩١) مناطقهم بجوار تونس (٣) وأما التهديد التالي لمصر فكان أشد عنفاً ولم يكن سوى محاولة من أحلاف تكونت من مجموعات من الشماليين الذي اعتادوا التجول في البحر للاستقرار في أراضي المراعى الغنية لا في الدلتا وحدها بل كذلك في سورية وفلسطين ، وكان الاستقرار الدائم هو هدفهم وقد جاءوا معهم بنسائهم وأطفالهم في عربات ذات عجلات تجرها ثيران ذات سنام (٤) . ولقد شهدنا من قبل هجمة من هذا النوع اشتركت فيها شعوب البحر والليبيون متحالفين وقد طردهم مرتبناح ، وتوصف حرب البحر المتوسط الآن - وان كانت معاصرة للحرب الليبية في العامين : الخامس والحادى عشر - كمحادث منفصل ولكنها لم تكن أقل خطراً ، وقد أدى العدوان الرئيسى المؤرخ بالعام الثامن الى نزولهم برا وبحرا في

(١) Hist. Rec., pp. 19 ff.

(٢) Onom., I, 119* ff.

(٣) J.N.E.S., X. 91

(٤) Med. Habu (I), pl. 34

الوقت نفسه ، وكان ال « شردن » مرة أخرى بين القوات المعادية ونشهد للمرة الثانية من جديد جنودا محاربين من هذا الجنس يمثلون وهم يحاربون في صفوف المصريين أو ضدهم - اما الامبراطورية الحيثية التي كانت تحتضر منذ زمن طويل فقد تم اجتياحها ولم يبق المصير نفسه أعوانها الأناضوليون الذين أسهموا في معركة قادش ؛ ومن بين الاعداء الذين وقفوا أمام مرئيتهم كان لا يزال الشكلكش يلعبون دورا في أغلب الأمر ، اما ذكر قبيلة جديدة تدعى « وشش » فربما لم يكن سوى اسم من أسماء الأعلام (١) ولعل مما يثير انتباه دارسي الحضارة الاغريقية والمستشرقين ثلاثة شعوب جديدة تبرز هنسا للمرة الاولى وان كان من الممكن أن يكون دانو أو دانونا - وهم الداناوي في الاليادة - هم الذين ورد ذكرهم مرة في خطابات العمارنة (٢) . وأكثر أهمية من هؤلاء على أية حال ال « بليست » وال « زكار » لأن دخول هذه القبائل الى فلسطين نجح الى حد ما واتخذ صفة الاستمرار والاستقرار . وهناك رواية ترجع الى ما بعد ذلك بقرن تقريبا تصف الزكار (٣) كأنما هم قراصنة بحريون يحتلون ميناء دور ولكننا لانعرف عنهم أكثر من ذلك أو أكثر من الاسم الذي يحملونه ، أما البليست (٤) فهم الفلسطينيون الذين نعرف عنهم فيما بعد صراعهم مع الاسرائيليين وهزيمتهم على ايديهم أو هزيمتهم لهم وهم من منحوا اسمهم لفلسطين والذين تتناولهم أحاديثنا اليوم بطريقة تدعو الى الانتقاص من قدرهم بغير حق ، ومن المتواتر أنهم جاءوا من كفتور أو كريت ولكن ربما كانت هذه مرحلة فقط من مراحل تجوالهم في هجراتهم . وهم يبدوون في نقوش مدينة حابو مع الزكار وهم يضعون ريشا في غطاء رموسهم ويحملون دروعا مستديرة .

وقد وصفت هذه الشعوب المعادية لمصر وصفا رائعا في النقوش المصرية ، ونخص بالذكر الصور التي سجلت المعركة البحرية الفريدة في نوعها وقد امتزجت النصوص المكتوبة بحديث مليء بالزهو موجه من رمسيس الثالث الى ابنائه ورجال بلاطه والمقتطفات التالية حذفت منها جمل لا نستطيع أن نخلص منها بحقائق تاريخية (٥) .

(١) J.E.A., XXV, 148 ff.

(٢) Onom. I, 124* ff. ولكن انظر كذلك Gurney, pp. 42-43

(٣) Onom, I, 199* f.

(٤) Op. cit., I, 200* ff.

(٥) Hist. Rec. pp. 53 ff.

قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة في جزرهم ، وقد زعزعت المعركة ، وبعثرت البلاد كلها في وقت واحد ، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم ، وقد ابتدوا بخاني وقودي وقرقيش وارزاوا وألأسيا ٠٠٠ اقيم معسكر في مكان في أمور وقضوا على شعبها وأرضها فأصبحوا كان لم يكن لهم وجود من قبل ٠٠ ثم جاءوا ، واللهب معد أمامهم متقدمين نحو مصر وكان حلفهم مكونا من بلست وزكار وشكلش ودانو ووشش متحدين جميعا ووضعوا أيديهم على البلاد جميعا الى محيط الأرض كلها وقلوبهم تردد في ثقة « لقد نفذنا خطتنا » ولكن قلب هذا الاله ، سيد الآلهة ، كان مستعدا ومجهزا لاقتناصهم كالطيور ، لقد دعمت حدودي في زاهي (١) وأعددت أمامهم الأمراء المحليين وقواد الحاميات والماريانو (٢) وأمرت بأن يجهز مصب النهر ، كسور قوى بالسفن الحربية والغلايين والزوارق التي كانت معدة اعدادا تاما من قبل ومن بعد بالشجعان من الرجال الذين يحملون أسلحتهم ومن المشاة من خيرة المصريين الذين كانوا كالأسود المزمجرة فوق الجبال ، أما العربات فكان بها المحاربون الأكفاء وكل الضباط الممتازين ذوي الأيدي القادرة وكانت خيولهم ترتعد كل مفاصلها مستعدة لسحق البلاد الأجنبية تحت حوافرها .

ثم يقارن رمسيس نفسه بعد ذلك بموت اله الحرب ويعلن ثقته في قدرته على انقاذ جيشه .

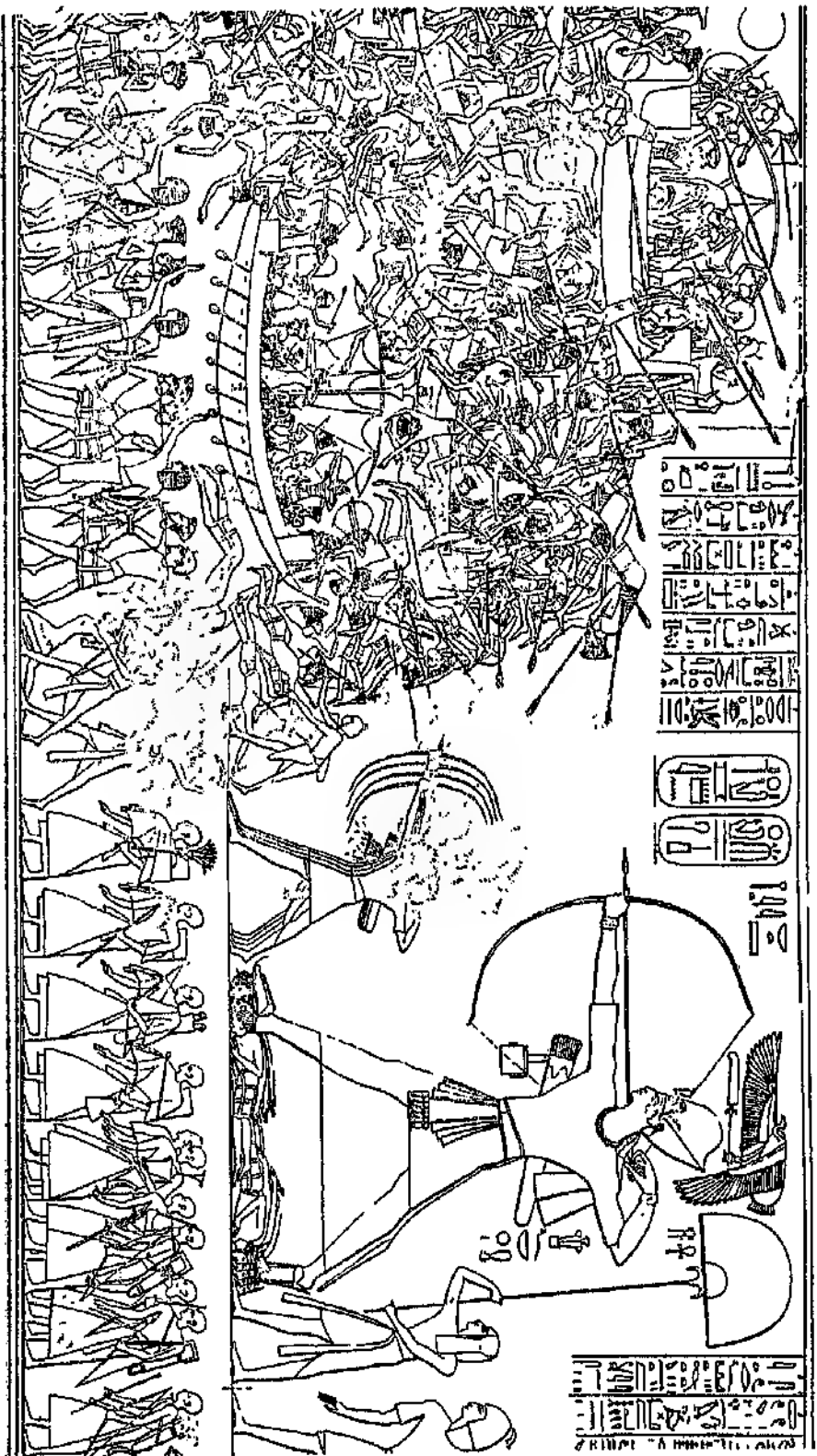
أما عن أولئك الذين وصلوا الى حدودي فليست فيهم بذرتهم ٠٠ قلوبهم وأرواحهم انتهت الى الأبد ٠٠ أولئك الذين تقدموا من ناحية البحر ٠٠ كان اللهب الكامل أمامهم عند مصاب النهر وكان سياج من الحراب يحيط بهم على الشاطئ .

أما عن تفصيلات الهزيمة البحرية فمن الأفضل أن نلجأ الى النقوش أكثر مما نعتمد على الوصف اللفظي وان كانت النتيجة قد وضعت في الأخيرة بهذه الكلمات الدقيقة (٣) :

(١) Palestine and Syria, see Onom, I, 145*

(٢) انظر من قبل صفحة ٢٢٦ .

(٣) Hist. Rec. p. 42



شكل ١١ - الحركة ضد شموي النبي (صورة خيالية)

« جهزت لهم شبكة لاقتناصهم فكان من دخل منهم الى مصساب النهر يحصر ويسقط في داخلها ثم يقيدون في أماكنهم ويدبحون ثم تقطع جثثهم » وقد عمل الفنان على المزج في صورة واحدة (١) بين مختلف وجوه العملية فنحن نرى الجند المصريين في أول الأمر يهاجمون في غير انزعاج من فوق سفنهم ويرى في مواجهتهم قارب يحمل جند الأعداء في أقصى حالات الاضطراب وهم مقبلون عليهم بقيود حديدية وقد سقط اثنان منهم في الماء ، بينما يتطلع واحد الى الشاطئ يلتمس الرحمة من الفرعون ، وهناك قارب آخر من قواربهم يظهر فيه وقد انهالت عليهم السهام من ناحية البحر كالطر ثم يستدير الأسطول المصرى عائدا الى الوطن وهو يحمل العديد من الأسرى المقيدين بغير حول ، وأحدهم يسعى للهرب فيقبض عليه جندي على الشاطئ ؛ وفي الطريق الى الجنوب نشهد قارباً مقلوبا وقد طرح برجاله جميعا الى الماء وكانت هزيمة الغزاة كاملة وكانت تسع من السفن وحدها كافية لتقص القصة ، ولم يبق الا تصوير تقديم الأسرى الى أمون رع ثم بقية تفاصيل النصر .

ومع ذلك فان متاعب مصر الخارجية لم تكن قد انتهت بعد ؛ ذلك انه في العام الحادى عشر تجدد الخطر الليبي ويحدد العدو هنا بأنه ال « مشوش » وملتقى بتقرير (٢) عما قام به رمسيس بالنسبة لهذه الشعوب ، فى الجزء الختامى من البردية الكبرى التى نقلنا عنها فى بداية هذا الفصل الجزء المتصل بالعودة الى القديم والتى سنقتطف بعض ما جاء بها فيما يلى :

« كان الليبيو والمشوش مستقرين فى مصر وكانوا قد استولوا على كل الرقعة الواقعة غرب حيكويتاح (منف) حتى قيروبن (٣) ووصلوا الى النهر الكبير (٤) من كل جوانبه ، وكانوا هم أولئك الذين خربوا مدن اقليم اكسويس (٥) مدى بضع سنوات حين كانوا بمصر ٠٠٠ هاك اننى قد قضيت عليهم وذبحتهم بضربة واحدة ، ولقد أذلت المشوش وليبو واسبات - وقيقاش وشايتب وهاسا وبقن وجعلتهم غارقين فى دمائهم

(١) Nelson in J.N.E.S., II, 40 ff. وجزء منه هنا فى شكل ١١

(٢) B.A.R., IV, §§ 405

(٣) يظن انها قرب « أبو قير » .

(٤) الفرع الكاتوبى لليل ، أبعد الفروع غربا .

(٥) سخا الحالية على الفرع الكاتوبى

مكومين بعضهم فوق بعض ، لقد جعلتهم يرتدون عن وطء حدود مصر ، ومن بين ما استنقذهم سيفى أخذت اسرى وربطتهم كالطيور أمام خيلى ، وكان هناك عشرات الآلاف من نسائهم وأطفالهم ، وكانت تعد مواشيهم بعشرات الآلاف ، واحللت قاداتهم فى معازل تحمل اسمى ، وعينت عليهم قواد جيش ورؤساء قبائل ثم دفعتهم محولا اياهم الى عبيد موسومين باسمى وقد عوملت نساؤهم وأطفالهم بنفس المعاملة ، أما ماشيتهم فقد حملتها الى بيت أمون وجعلتها قطعانا أبدية له .

وهناك نضان كبيران فى مدينة هابو أرخا بالسنة الحادية عشرة (١) يتناولان فى افاضة المعركة نفسها ، ولكن لغتهما انفياضة التى تضم الكثير من الكلمات الأجنبية غير المعروفة لاتقدم معلومات تعدل المعلومات التى نلتقى بها فى الفقرة السابقة . ومع ذلك فهناك شئ واحد أضيف ، ذلك أننا نعلم أن « مشر » رئيس ال « مشوش » أخذ اسيرا وان أباه « كبر » التمس الرحمة بغير طائل وقد وصف ذلك الأمر كذلك فى منظر أخاذ (٢) حيث تحصى ايدى المذبوحين وأعضاؤهم التناسلية وكذا الأسرى والأسلحة التى أخذت كغنيمة والماشية التى ضمت قطعان اله طيبة وتلك التى تم التصرف فيها ، والارقام المسجلة ليست بعيدة التصديق تماما وان كانت ضخمة ، وهناك صورة أخرى (٣) تمثل المصريين يحاربون من قلعتين وهى دلالة واضحة على أنهم كانوا فى حالة دفاع .

وهناك فى مدينة هابو مناظر متعددة لحملات فى آسيا لاتزال تستحق النظر اليها بعين الاهتمام . فعلى أحد الجدران نرى رسميس الثالث وهو يهاجم مدينتين حيشيتين عينت احدهما بأنها « مدينة ارزاوا (٤) » وفى منظر آخر نرى مدينة تونب يعصف بها (٥) ونرى مدينة ثالثة فى أمور على وشك الاستسلام (٦) ، ومن الواضح أن كل هذه الصور يبدو فيها الخطأ فى تسلسل الاحداث ولا بد أنها نسخت

(١) Hist. Rec., pp. 74, ff; 87 ff.

(٢) Med., Habau (II), pl. 75

(٣) Op. cit., (II) pl. 70

(٤) Op. cit., (II) pl. 87

(٥) Op. cit., (II) pl. 88

(٦) Op. cit., (II) pl. 94

عن أصول ترجع الى عهد رمسيس الثانى وهناك دليل واضح على ان الرسامين فى مدينة هابو استعاروا الكثير مما صوره من معبد الرمسيوم المجاور ، وانا لنتقى بما يؤكد ذلك فى البردية السالفة الذكر اذ انه ليس بها ذكر ما لحمة سورية وبالتالى ليس هناك ذكر لحمة ضد الحيثيين ، وكل ماورد بها يشير الى ان رمسيس الثالث « قضى على « السعيريين » ، من قبائل شوسو (١) والشوسو هم من ذكرنا من قبل انهم بدو الصحراء المتاخمين لجنوب فلسطين ، كما ان « جبل سعير » الذى ورد ذكره على مسلة من عهد رمسيس الثانى (٢) هو الجبل الأدومى المشار اليه عدة مرات فى التوراة ، ويبدو ان هزيمة ساكنى الحيام هؤلاء العديمى الأهمية نسبيا ، كانت أقصى ما قام به رمسيس الثالث بعد صراعه ضد جمحافل البحر المتوسط وتنهى هذه الاشارة لأكثر من قرنين تالين قصة محاولة مصر لتحقيق امبراطورية اسيوية .

ورغم ان رمسيس الثالث حكم واحدا وثلاثين عاما (٣) وربما احتفل بعيد سد فى بداية عامه الثلاثين الا أن هناك ما يشير الى حدوث بعض الاضطرابات الداخلية وبخاصة قرب نهاية حياته ، وقد تأخرت روايت التمرين الشهرية المستحقة لعمال الجبانة الملكية بصورة تدعو للأسف وأدى هذا الى اضراب لم ينته الا بتدخل الوزير « تو » الذى لم يستطع على أية حال ان يقدم أكثر من نصف المستحق فعلا (٤) ، ولكن الأمر الأشد خطورة هو حدوث مؤامرة هددت حياة الملك نفسه (٥) . ولقد كانت هناك دلائل منذ بداية الحكم على ان المتاعب ستثار حول ولاية العرش ولئن كان حكمنا مستقى من آخر ما سجل من تاريخ فى مدينة هابو فان هذا يعنى ان المعبد استكمل فى العام الثانى عشر ، وانه لمن العجيب أنه رغم أن أبناء الملك صوروا هناك — كما هي الحال فى الرمسيوم — كما صورت الملكة فى مناسبات قليلة فان خانات الأسماء لم تستكمل وتركت أماكنها شاغرة . ومع ذلك فانه من المؤكد ان الابن الذى خلفه وهو رمسيس الرابع كان يعيش فى هذه المرحلة لأن مومياءه

(١) B.A.R., IV, §§ 404

(٢) Kêmi, V; pl. 3

(٣) J.N.E.S., X, 137 ff; R.A.D., pp. 49 ff.

(٤) B.A.R., VI, 416 ff. أنظر المراجع فى آخر الفصل وكذا

(٥) B.A.R., IV, No. 454-6

الى كشف عنها في مقبرة آمنوفيس الثانى تشير الى انه كان رجلا
فى « الخمسين من عمره على الأقل وربما أكثر من ذلك » ولنتقل دون
امعان النظر فى هذا الأمر ، وفى أدلة أخرى أكثر إبانة من النوع نفسه
تؤدى الى تعقيد تاريخ العهود التالية ، الى القصة المفصلة التى تتردد
فى عدة برديات لعل أهمها هى المحفوظة فى متحف برلين . وقد كتبت
هذه الوثيقة الرائعة بحروف هيراطيفية كبيرة تنفق ووثيقة من وثائق
الدولة البالغة الخطورة والأرجح انها كانت مودعة فى مكتبة المعبد فى
مدينة هابو ، وبعد اسبوع مؤقت للمقدمة الطويلة التى ضاع الكثير
منها والتى تسبق القصة الرئيسية ننتقل الى المدخل الأول :

« العدو الأكبر باى بكامون الذى كان كبيرا للأمناء . . . استدعى
بسبب اتصاله بـ « تيبى » ونساء الحريم ولقد تأمر معهن ثم تابع ذلك
بأن نقل كلماهن الى امهاتهن وابنائهن واخواتهن الذين كانوا هناك
قائلا : « اجمعوا الشعب وأثيروا الخصومات » حتى يلعنوا العصيان ضد
مولاهم ، وقد جرى به فى حضرة كبار موظفى القصر للتحقيق وفحصت
جرائمه وثبتت ادائته واحاطت جرائمه بعنقه وأمر الموظفون الذين
قاموا بالتحقيق بادائته وان تلصق به عقوبته » وقد عومل تسعة
وعشرون من المجرمين المقسمين الى خمسة مجاميع بنفس الطريقة ، الى
جانب ست من الزوجات لم يحددن تفصيلا ، وهناك أمر يدعو للغرابة
ذلك ان عددا من اسماء الرجال اخفى عمدا ومن الواضح ان ذلك يرجع
الى وجود لفظ ينم عن الطالع فى تركيب أسمائهم ، وهكذا فان أحد
السقاة - وكان هناك الكثيرون من موظفى البلاط يعملون سقاة فى
عهود الرعامسة - لم يكن يحمل لقب « مسدسورع » الذى ينسب
اياه ، ذلك ان « مسد » تعنى « يكره » ولا بد ان الاسم الحقيقى كان
« مرسورع » أى « رع يحبه » واما الحريم الذى دبر المؤامرة فقد اطلق
عليه اصطلاح « الحريم المرافق » والمحتمل انه حريم لا يستقر فى مكان
معين مثل الحريم المقيم فى منف أو « مى ور » فى الفيوم بل هو حريم
يصاحب الملك فى رحلاته ، وقد اشترك فى المؤامرة عدد من حريم الموظفين
واناظر (للخاصة) أو نائب الناظر وكاتبان وستة من المفتشين الى
جانب زوجات حراس الباب ، وخطر من معظم من تم القبض عليهم
قائد جيش كوش الذى كانت اخته قد حرضته ، وهى واحدة من نساء
الحريم ولئن كانت خططها قد نجحت فان نتيجة ذلك كانت نشوب
الثورة فى النوبة وبخاصة ان لقيت العون من « باييس » . ولعل مما
يميز العصر انه كان من بين المتهمين والقضاة على السواء عدد كبير من

الأجانب : ف « بعل مهر » كان ساميا ، ووصف « انينى » بأنه ليبي
واما اسم « بلوكا » فيشير الى ان صاحبه ليكي ، وقد سمح لابرز
الشخصيات ، بين من ثبتت ادانتهم أن ينتحروا ، أما الآخرون الذين
تركوا بغير ان ينالهم ضرر فقد ماتوا طواعية وربما كان ذلك يعنى الموت
جوعا ، وكانت عقوبة جدد الانف وصلب الاذنين من نصيب أربعة من
الموظفين الذين - رغم التعليمات المحددة التى أعطيت لهم - نادموا نساء
الحريم وبابيس . وهناك رجل واحد هو حامل العلم اطلق سراحه بعد
توجيه لوم عنيف له وكان واحدا مع آخرين من بين الأربعة السالفي
الذكر ممن كانوا بين القضاة الذين عينوا للتحري فى أول الأمر ، ومن
العجيب الا نعلم سوى القليل عن « تيبى » السيدة التى كانت محور
المؤامرة وكذا عن ابنها « بنتساوبره » وهو الصبي الذى كان يجمع
المتآمرين ان يضعوه على العرش والذي لا يذكر سوى عرضا عند سرد
أسماء من « ماتوا طواعية » .

وهناك أضواء أخرى تلقىها على تدبيرات المتآمرين جزازات من
برديات أخرى تشير الى القضية (١) ، فهناك ناظر سابق للماشية دفع
أحد الكتاب العلماء الى كتابة صيغ سحرية وان تماثيل شمعية قد
صنعت وهربت الى الحريم ، ولكنه يذكر صراحة ان الخدعة لم تنجح وان
المحرمين لقوا المصير الذى يستحقونه .

وبقى لنا أن نناقش طبيعة هذه الوثائق العجيبة وقد اتخذ برستد
الخطوة الأولى فى الاتجاه الصحيح حيث لاحظ انه حيثما ذكر رمسيس
الثالث كان يسبق اسمه النعت « الآله العظيم » الذى ينعت به الملوك
المتوفون وانتهى من ذلك الى القول بأنه رغم ان رمسيس قد أمر باجراء
المحاكمة الا أن الجراح التى أصيب بها بلغت من الخطورة حدا أودى
بحياته قبل أن يقدم المجرمون للمحاكمة ، ومن سوء الحظ أن معلوماتنا
عن قواعد اللغة المصرية فى العصر المتأخر لم تكن فى زمن برستد بحيث
تكفى لتمكنه من ترجمة المقدمة - التى ضاع الكثير منها فى بردية تورين
- ترجمة صحيحة ، وقد استطعنا بفضل جهود دى بك (٢) ان نقرر أن
الملك بدلا من ان يعطى هناك الأمر فى صيغة المضارع تبدو رواية النص
كله احداثا فى الماضى فى صورة مصطنعة على لسان الملك المتوفى وبعد

(١) B.A.R., IV, §§454-6

(٢) J.E.A., XXIII 152 ff.

احصاء القضاة الذين عينهم وذكر الكلمات التي أوصاهم بها يتابع الحديث بقوله :-

وذهبوا اليهم وفحصوهم وأمروا بأن يقتل بأيديهم كل من كان سببا في موتهم وان كنت لا أعرف من هم . . ثم عاقبوا الآخرين كذلك، وان كنت لا أعرف من هم ولكنني أوصيتهم مشددا بقولي « حاذروا من ان توقع العقوبة على واحد بغير حق من موظف لا يرأسه » هكذا قلت لهم (للقضاة) وكررت القول مرارا « . واما ما تم فانهم هم الذين قاموا به ، ليقع عبء ما قاموا به على رؤسهم فاني معفى ومحمى الى أبد الآبدين بوصفى واحدا من الملوك العدول في حضرة أمون رع ملك الآلهة وفي حضرة أوزوريس حاكم الأبدية .

وتبدو هذه الفقرة كأنها هي اعتذار من جانب رمسيس الثالث عن العقوبة البالغة الشدة أو ناحية من نواحي الظلم التي حاقت بالمتهمين ، ولابد ان الرواية التي تقدم لنا تمت صياغتها بأمر من رمسيس الرابع ، وسنرى على الفور كيف ان الابن كان مشوقا ليبرر عهد ابيه الراحل كعصر من الرخاء لم تشبهه سحابة . وليس هناك ما يدعو الى الشك في ان رمسيس الثالث هو الذي أمر بالمحاكمة ولكن ربما كان التبرير الذاتي الذي وضع هنا على لسانه من صنع خلفه ، وليس هناك اساس وطيد لافتراض ان المؤامرة نجحت تماما أو نجحت نصف نجاح فمومياء رمسيس الثالث التي عثر عليها في خبيثة الدير البحري (١) تشير كما يرى ماسبيرو الى انها لرجل بلغ حوالى الخامسة والستين وليس بها ما يدل على وجود جراح ، بل ليس هناك ما يدعو الى تأريخ المؤامرة بقرب نهاية الحكم فربما حدثت قبل ذلك بكثير اذ انه لا يرد لها ذكر في الوثيقة العظيمة التي سنتناولها الآن بالوصف .

تعد بردية هاريس رقم (١) بالمتحف البريطاني واحدة من أروع محفوظات الدولة المصرية (٢) وهي وثيقة يبلغ طولها ١٣٣ قدما وعرضها ١٦ر٥ بوصة وتضم ١١٧ نهرا من الكتابة الهيراطيقية فى افاضة لا تتوافر الا لنسخة اصلية بالغة الاهمية .

أما المعلومات المبهمة نوعا والتي وصلت اليها فيما يتصل بالكشف عنها فانها تشير الى انها كانت - شأنها فى ذلك شأن بردية المؤامرة -

(١) P.M., I, 175-6

(٢) الترجمة الكاملة والتحليل فى B.A.R., IV, §§ 151-412

واحدة من وثائق المعبد الكبير في مدينة هابو . وتلخص المقدمة النعم
التي اضعها رمسيس الثالث على مختلف المعبودات في الأرض كلها .
وهو يمثل هنا من جديد في وصوح كملك متوفى يتحدث بضمير المتكلم ،
وتلى ذلك صورة بديعة التلوين تمثل الملك وهو يتعبد أمام أمون رع
وموت وخونس المعبودات الرئيسية الثلاث في عاصمته طيبة ثم يصف
بعد ذلك في رواية طويلة بأسلوب بليغ مليء بالزهو كل المنشآت ومعدات
المعبد والأراضي والسفن وغيرها مما منحه للمدينة . ثم يلي هذا قسم
احصائي مطول يقدم ارقاما محددة عن الهبات التي ترد من مختلف
المصادر في كل البلاد طوال مدة حكمه . وبدأ بالموظفين ثم المساشية
والكروم والحقول والسفن والمدن في مصر وسورية التي قدمها الملك
بنفسه من السنة الأولى حتى الحادية والثلاثين ثم مقدار ما حصل عليه
من ضرائب وأخيرا مقدرات ما تلقاه بمختلف الوسائل وللأغراض
الأخرى . ويختتم هذا الجزء من الكتاب بدعاء من رمسيس الثالث يتوسل
كمكافأة له ان تضيفي النعم والبركات على ابنه المحبوب رمسيس الرابع .
ثم يلي ذلك - مكتوبا بخط آخر ، بإيحاء من كهانة اتوم في الشمال من
غير شك - قسم هليوبوليتاني مكون من عدد السطور نفسها وينتهي
بنفس الطريقة تماما . ثم يلي ذلك القسم المسمى الموجه الى بتاح والى
المعبودات المتصلة بالعاصمة الثالثة الكبرى ، واما بقية المعبودات المحلية
فقد تناولها الحديث في قسم اقصر تبدو أهميته الخاصة في أنه يبين أى
المدائن كانت موضع رعاية خاصة من رمسيس الثالث وعلى ذلك فان
هذه المقارنة لاتضم اسما لأى مكان يقع الى جنوبى فقط . ثم يلي ذلك
ملخص أضيفت اليه - وان شأبه بعض الأخطاء - كل الأرقام السابقة
ومنه يتضح لنا أن ضيعة أمون رع في الكرنك كان لها نصيب الأسد .
وحتى اذا كان الفرعون يقيم في أغلب الأمر في مصر السفلى فان طيبة
ظلت المركز الروحي للمملكة وكانت ثروتها ضخمة .

وتنتهى اللفافة الرائعة باللمامة للأحداث الماضية والحاضرة التي
أوردنا بعض فقرات منها من قبل (١) . وليس من شك أنها ترجع الى
مرحلة السلم التي أعقبت الحروب التي نشبت في أول الحكم ثم رحلات
وصفت بالتفصيل ، واحدة الى بوينى (٢) حيث عادت من هناك سفن
محملة بالمر قدمها الى فرعون بشخصه في عاصمته السفلى أبناء رؤساء

(١) انظر الصفحات من بداية هذا الفصل .

(٢) B.A.R., IV, § 407

هذه البلاد البعيدة ثم رحلات للحصول على النحاس (١) من بعض مناجس لا يمكن تحديدها وعلى الفيروز من المواقع المعروفة بـ سراييط الخادم (٢) في شبه جزيرة سيناء - وقد أشرنا من قبل ان رمسيس الثالث كان يفاخر بأنه امتنع عن ان يأخذ من المعابد رجلا من كل عشرة رجال ليخدم في الجيش كما كانت الحال من قبل في عهود الملوك الاسبقين (٣) ، وهو الآن يحاول ان يدخل في روعنا أمر الهدوء الشامل الذي ساد البلاد جميعا (٤) .

جعلت نساء مصر يسرن في حرية حيثما اردن فلا يضايقهن أحد في الطريق - كان الجند ورجال العربات يجلسون متكاسلين في استرخاء في عهدي وكان الشردين والقحق ينسامون الليل في قراهم دون أى خوف .

ولابد انه حدثت مع ذلك اضطرابات داخلية الى جانب المؤامرة الكبرى التى أشرنا اليها من قبل ، فقد حدثت بعض المتاعب فى اتريب بسبب وزير اقبل من وظيفته وربما كانت هذه هي المناسبة التى منح فيها « تو » وزارة الارضين (٥) وهو أمر يخالف ما كان معهودا من قبل - اما ضرورة الالتفات الى الماضى فقد وجهت الى كافة الضباط والرجال الحربيين فى الأرض قاطبة (٦) ، وكانت خاتمة للنص تحرضهم على اظهار الولاء للملك الجديد رمسيس الرابع . . وربما كان هذا هو الهدف الحقيقى من هذا النص الطويل .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ما قام به رمسيس الثالث من منشآت فى فواح أخرى ، فهناك معبد صغير فى الكرنك فى حالة طيبة من الحفظ ، واما مقبرته الضخمة فى ببيان الملوك فتختلف عن باقى مقابر العصر بظهور بعض المناظر الدينيوية بها مثل المطبخ الملكى وهناك كذلك صورة مشهورة هي صورة العازف على الجناك .

(١) Op. cit., § 408

(٢) Op. cit., §§ 409

(٣) Op. cit., §§354

(٤) Op. cit., § 410

(٥) Op. cit., 361; O. Berlin 10633

(٦) B.A.R., §§ 397 ff.

وقد تبع هذا الأخير من الفراعين العظام ثمانية ملوك (١) كان يجعل كل منهم اللقب اللامع « رمسيس » الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة العظمة الفرعونية حتى انه بينما كان بعض خلفائه قد كفوا عن أى دعوى للعرش ظل بعض الموظفين يفخرون بالانتساب الى لقب « ابن الملك رمسيس (٢) » واما ان رمسيس الرابع هو ابن رمسيس الثالث فواضح بالنسبة لكليهما من بردية هاريس ومن شواهد أخرى ولكن الإصرار على أن يضع فى اسمه ولقبه ربة الحق ، بينما هو يشير الى انه قضى على الجور يثير الشبهة فى أن دعواه لم يتم تحقيقها الا ببعض الصعوبة وهناك اثنان من خلفائه على الأقل يبدو انهما كانا اخوين له . وكانت مدد حكم الملوك الثمانية فيما عدا رمسيس التاسع والحادى عشر قصيرة ومن ثم فان مجموع مدة الحكم للأسرة يبدو أقل من الرقم الذى يقدمه مانيتو وقد استمرت عادة البدء بحفر مقبرة فى بيان الملوك عند بداية كل حكم ، وان لم يستطع كل هؤلاء الرعامسة المتأخرين أن يوفقوا الى الدفن فى الأماكن التى أملوا ان يدفنوا بها بل انه فى حالات ثلاثة نجد ان الموميات نقلت من أجل الحفاظ عليها الى مقبرة امنوفيس الثانى (٣) ، والاتجاه العام للمرحلة التالية من التاريخ يشير الى ان المقرر الفعلى لهؤلاء الملوك الضئيل الشأن كان يبدو أكثر رغبة فى الاستقرار فى الدلتا نتيجة لازدياد أهمية وثراء الكاهن الأكبر لأمون رع فى طيبة . وقد أخذت مشروعات المنشآت التذكارية تتضاءل بشكل محسوس ، أما المغامرات الاسيوية فقد انقضى عهدا ولعل آخر مستند فى سيناء يرجع الى عهد رمسيس السادس ، ومن جهة أخرى فان الإدارة فى النوبة ظلت تسير على نسق ما كان متبعا منذ القدم وان كان ما يصل اليها من أنباء عنها أقل ، ورغم كل هذا الانهيار التدريجى فان حوليات القرن الثانى عشر قبل الميلاد ليست خاوية تماما ، فهناك عدد من النقوش البالغة الأهمية بقيت لنا كما بقيت بضع برديات ولكنها تتصل بموضوعات لا رباط بينها من الناحية المادية والمكانية ، شأنها فى ذلك شأن الفقرات التى ترد فى جرائدنا اليومية ، ومهما يكن من أمر فأننا نرى لزما علينا ان نتناولها بالتعليق هنا .

(١) انظر جدول الملوك فى نهاية الكتاب .

(٢) انظر المراجع فى آخر الفصل .

(٣) Elliot Smith, R.M., Index, The Coffins, P.M., I, 29 No. 35

لم يستغرق حكم رمسيس الرابع أكثر من ست سنوات وبالنسبة
لقصر المدة فإن قصة نشاطه فى البناء ليست مما لا يعتد به فحيث لم
يقم بالتشيد الفعلى نراه يخلد وجوده على الأقل بتكريسات
بالحيروغليفية ، وقد عثر مارييت على لوحتين كبيرتين فى أبيدوس نبتان
عن تقواه غير العادية وعن ولائه للآلهة ، ويلاحظ أن ألفاظهما وتعبيراتهما غير
عادية وقد تشيران الى مؤلفهما الملكى ، وهناك نص طويل من السنة الثالثة
فى وادى الحمامات يسجل استحضار حجر فاخر من معجزة المشهور
على يد ثمانية آلاف اشتركوا فى هذا العمل ، وكان قد طلب قبل ذلك
فى العام الأول من كبير كهنة (١) مونت أن يزور الموقع (٢) ثم أرسل
فى العام الثانى موظفين أكفاء وكتابا ليتحرروا امكانيات اتمام هذا الأمر
وتشير نقوش العام الثالث الى مشروع على نطاق أوسع (٣) ولم يكن
المتخصصون من عمال المحاجر والنحاتين سوى قلة من العدد الكلى . وليس
من شك فى أن خمسة الآلاف جندى لم تقم الحاجة اليهم من أجل غرض
حربى بل ربما فكر فى استخدامهم لجر هذه الكتل الضخمة عبر طرق
الصحراء الشاقة ، والمشكلة الحقيقية فى هذا النقش الذى يدعو الى
الحيرة هى اشارته الى حضور عدد ضخم من أشهر أعلام الأرض الى هذه
المنطقة النائية من وادى النيل وعلى رأسهم رعمنة نخته كبير كهنة آمون
رع وأما بالنسبة له فنحن نلتبس جانبا من العذر فى أنه شارك بصفته
الدينية ثم الادارية كمشرف على الأشغال أو انه كان مسئولا فى الواقع
عن المعابد والتماثيل التى كان يهبها الفرعون للآلهة المحلية . ولكن
كيف يفسر اصطحاب اثنين من سقاة الملك وكذا المشرف على الخزينة
وفوق هؤلاء جميعا رئيسى رجال الضرائب وكل الشخصيات البارزة التى
ذكرت بأسمائها ؟ وهنا على كل حال - كما هى الحال غالبا مع الوثائق
المصرية - نلتقى بالمعلومات الثمينة التى نقدرها حق قدرها مختلطة
بأحاج يجب أن تظل بغير حل .

وعلىنا فيما يتصل بوثيقة أخرى هامة من هذا العصر أن نحول
أنظارنا بعيدا الى الجنوب الى الفنتين . فهناك بردية مكتوبة كتابة رديئة
ولكنها محفوظة حفظا لا بأس به نسبيا فى متحف تورين تذكرنا - فى

(١) حرفيا : «الخادم الأول للاله» وترجم عادة بـ «الكاهن الأول» راجع صفحة ١٠٤

هامش (٢)

P.M., VII, 333 (٢)

Bull. Inst. fr. XLIII; 1 ff. (٣)

لغة تشبهها وليست أقل ضعفا من بردية سولت بالاتهامات الموجهة ضد عدد من الأشخاص من أبرزهم كاهن فى المعبد الذى يعزى اليه الكثير من السرقات والرشوة وانتهاك حرمة المعابد بالاضافة الى أنه عزى اليه بصورة غير واضحة أمر مجامعة نساء متزوجات ، ومن الاتهامات الشائنة ضد الدين كانت اختلاس وبيع عجول منيفس المقدسة ثم اسهامه فى حمل تمثال الاله ، بينما كانت هنالك لا يزال ثلاثة أيام باقية من الأيام العشرة للتطهير بالنظرون ، وكذا منحه الكثير من الهبات والهدايا لتابع الوزير حتى يدفع الى القبض على ذلك الذى اتهمه من هيئة الكهانة ، بينما كان لا يزال هذا الأخير فى منتصف شهره المخصص له للخدمة الطقسية . ومن بين الحقائق التى لها دلالتها هنا اننا نعلم انه كان من سلطة الوزير أن يعين الكهنة المحليين كما نعلم عن تدخل فرعون نفسه وحقه فى ارسال الخازن الأول لتحري أمر اختلاس الملابس من حزانة المعبد ، وأخطر من هذا كله هو سرقة الحبوب ، الأمر الذى أثر على كهانة خنوم ، وترجع هذه الخطورة الى أن هذا الأمر تضمن من غير شك عدة أشخاص فى قبول الرشوة ؛ ذلك أنه كان يجب أن تسلم سبعمائة غرارة سنويا من ضياع الدلتا المملوكة للمعبد . وقد بدأ قائد سفينة تولى أمرها خلفا لقائدها المتوفى فى العام ٢٨ من حكم رمسيس الثالث عملية الاختلاس فى السنة الأولى من حكم رمسيس الرابع وفى مدى تسع سنوات تالية حتى « السنة الثالثة للفرعون » أى من عهد رمسيس الخامس كانت جملة ما سرقه أكثر من خمسة آلاف غرارة .

وتعسد بردية ويلبور العظيمة الموجودة فى متحف بروكلين (١) والمؤرخة بالعام الرابع من حكم رمسيس الخامس وثيقة رسمية أصيلة ذات أهمية مفردة ويسجل نصها الرئيسى فى أربع مجموعات متتالية تشغل المجموعة منها عدة أنهر ، رصدت بها مقاييس وضرائب الحقول الممتدة قريبا من كروكوديلونبوليس (مدينة الفيوم) الى الجنوب على بعد قليل من مدينة المنيا الحالية أى مسافة تبلغ ٩٠ ميلا تقريبا ، وقد رتبت الحقول التى حددت أماكنها ومساحتها فى كل حالة تحت عناوين تحمل أسماء الهيئات المالكة المختلفة وهى المعابد الكبرى فى طيبة وهليوبوليس ومنف ويديها عدد من المعابد الأصغر شأنا وبخاصة فى مجاورات قطع الأراضى التى تملكها ثم بجىء أخيرا ذكر الهيئات المشتركة وهى متباينة ومعقدة بصورة لا تسمح للمسجل هنا أن يذكرها ويحسب الاتاوات

(١) انظر المراجع فى آخر الفصل .

حيوباً وهي يشار إليها صراحة كضرائب وهي تقدم في مجموعتين مميزتين طبقاً لمسئولية الهيئات المالكة نفسها أو تبعاً لمسئولية المشتغلين الحقيقيين أو الزراع للأرض ، والشطر الأخير من الفقرة أكثر أهمية لأنه يذكر جمهوراً من مختلف الملاك أو المستأجرين متضمناً عائلات بأكملها ورجالا من جنس « شردن » وبعض العبيد أحيانا ، وفي فقرة واحدة مثلاً نجد جنبا إلى جنب مع الأرض التابعة لمعبد سبك رع في « أناشسا » بالقرب من مكان يدعى « كيما ن روما » قطعا من الأرض مساحة كل منها عشرة أورورا تخصص ناظر الخزانة المعروف خعمتير وكذا كاهنا معيناً وكاتب معبد وكاتب آخر ثم ثلاثة من الجنود كلا على حدة ثم سيدة وأخيرا حامل لواء وهناك نص آخر على الوجه الآخر من نفس اللفافة خاص بأكملها بنوع من الأراضي يعرف باسم أرض « خاتو » الخاصة بفرعون ولم تكن مساحة الأراضي المعينة محددة دائما ونحن نستطيع أن نميز فيها ملكيات أعيدت لغير ما سبب محدد إلى املاك فرعون وترك له حق التصرف فيها من جديد ، ورغم الجهود الكبيرة التي كرست لدراسة هذه البردية البالغة الأهمية إلا أن الأسلوب المختصر الذي كتبت به بالإضافة إلى أن الكتاب لم يكونوا مختصين بتقديم التفسيرات للأجيال التالية جعل من مشاكلها الرئيسية لغزا لم يتوصل أحد بعد إلى حله (١) فلمن كانت تدفع الضرائب ؟ وكيف يستطيع اخفاء التنظيم الذي يوصف هنا بهذا العوز والاعسار الفرعوني الذي طالما شهدناه يترك عمال المقبرة الملكية دون الوفاء بالرواتب المستحقة لهم ؟ - ان هذه المسائل وغيرها من الأمور المشابهة المتصلة بها لا تزال تتطلب الاجابة ، ولكن لدينا ما يدفعنا للظن بأن المعبد الكبير - الكرنك وعلى رأسه كبير كهنة آمون رع - كان المنتفع الرئيسي وليس الفرعون ، ومن الواضح على الأقل أن رئيس جامعي الضرائب « وسرماع رع نخته » كان ابنا للكهنة الأكبر الحاكم اذ ذاك رعمسه نخته ، ونستطيع أن نذكر كتذييل قيم لبردية ويلبور خطابا حفظ لنا في حالة جيدة يرجع إلى عهد رمسيس الحادي عشر بعد حوالي خمسين عاما ، ونرى عمدة الفنتين يشكو في هذا الخطاب (٢) إلى رئيس جامعي الضرائب في عصره من أن الضرائب استلبت منه بما يتنافى مع العدالة بالنسبة لرقعتين من الأرض وأنه يتنازل من أجل ذلك عن كل مسئولياته .

(١) عن المناقشات راجع J.A.O.S. LXX, 299 ff., Bibl. Or. XVI 220 f.

(٢) Rev. d'Ég., VI, 115-24

ومقبرة رمسيس الرابع لها أهمية خاصة حيث وجد تصميم يقدم أبعادها الصحيحة على بردية في متحف نورين (١) * وقد عثر على مومياء رمسيس الخامس في مقبرة أمنوفيس الثانى وهى تشير الى أنه مات بالجدري (٢) ، وربما حكم أكثر بقليل من أربع سنوات ونعد سنته الرابعة أعلى تاريخ معروف له وقد العقت مقبرته ، التى لم تكن قد استكملت فى ببيان الملوك (٣) ، بمقبرة رمسيس السادس الذى أكمل زخرفتها ، وأما عن هذا الملك الأخير فإن آثاره الباقية لا تكشف عن أبعد من السنة السابعة للحكم وهناك ما يدل على أية حال انه ، ولو أن مقره المعتاد كان فى الدلتا الا انه كان يستطيع كذلك أن يتطلب الولاء من النوبة * وكان الحاكم هناك لا يزال يحمل لقب ابن الملك فى كوش وقد ذكر شاغل هذه الوظيفة « سيبس » مع مولاه فى منطقة عماره بين الجندين : الثانى والثالث (٤) وكانت النوبة قد قسمت منذ بعيد لأهداف إدارية الى اقليمين هما « واوى » أو النوبة السفلى ثم كوش من بعدها جنوبا وكان نائب الحاكم فى عهد رمسيس السادس فى واوى هو « بنى » الذى كان كذلك عمدة على مدينة عنيبة الهامة (٥) وهو يقدم فى مقبرته وصفا لتمثال للملك ، أمر بصنعه هناك ثم يشير فى قائمة مفصلة الى الحقل المخصصة لرعايته ، وقد كوفىء من أجل هذه الخدمات التى أضاف إليها قبضه على بعض الثوار فى اقليم « اكاتى » لتعدين الذهب باناءبن من الفضة للدهون ، وقد زاره فى عنيبة لتقديمها له ابن الملك فى كرش شخصيا بصحبة ناظر الخزانة *.

وفى خلال ذلك كانت وظيفة كبير كهنة أمون رع فى الكرنك قد أصبحت وراثية وبعد أن كان يتقلدها نسامون بن رعسمه نخته أنتقلت الى الأبدى القوية لابن آخر هو امنحتبه ، وليس لدينا ما يحدد تاريخ وصول امنحتبه الى هذا المركز المرموق ولكننا نراه فى السنة العاشرة من حكم رمسيس التاسع ينتحل لنفسه سلطانا لم يستطيع من قبل أحد رعايا فرعون أن يتناول اليه أو يستمتع به * أما أن تنقش صورة أحد الأشراف الكبار فى معبد ، فأمر له سوابقه فى عهد سيتوس الثانى أمر

J.E.A., IV, 130 ff. (١)

Elliet Smith, R.M.; p. 91 (٢)

P.M., I, 9-12, No. ٥ (٣)

J.E.A., XXV, 143 (٤)

P.M., VII, 76; B.A.R., IV, No. 474 ff. (٥)

الكاهن الأكبر « روما » المعروف كذلك بـ « روى » أن يرسم في الكرنك وهو يلتمس من الاله آمون رع العمر الطويل والسلطان وأن يورث وظيفته لسلالته . . ولكن أمنتحبة تجاوز هذا بخطوة أبعد ؛ ذلك أن الفن المصرى حرص دائما على وضع حد للتناسب فى حجم الصورة البشرية تبعا لوظيفة وأهمية الأشخاص المراد تصويرهم ، ولكننا نجد هنا - للمرة الأولى - أمنتحبة يرسم بارتفاع قامة فرعون نفسها وهو يقف أمامه وجها لوجه بل انه يرى وهو يتقبل المكافآت فى أبرز مظاهر التكريم وهكذا يبدو واضحا ، لا نخطئه العين ، الادعاء بما يقارب المركز المتساوى . هذا الى أن هذا الادعاء يتفق وما يسندنه من حقائق ، فيما يلى ذلك من أحداث تاريخية . فربما كان الملك حاكما لا نزاع فى سلطانه فى الشمال ، أما فى الجنوب فان الحبر الأعظم فى الكرنك كان يتمتع بسلطان أكثر منه .

وانه لمن الصدف غير المتكافئة فى الآثار ان أكثر الشواهد المكتوبة تنبثق من أخريات عهود ملوك الأسرة العشرين أكثر منها فى أى عهد آخر من عهود التاريخ المصرى ، وأما مصدرها فالضفة الغربية من طيبة وبخاصة مدينة هابو وقرية دير المدينة المجاورة لها . وقد عثر هناك على كميات وفيرة من البردى ، معظمها قطع متكاملة كشف عنها فى أوائل القرن التاسع عشر وهى مبعثرة اليوم بين المجموعات الكبرى فى أوروبا ، وقد استطاع متحف تورين أن يستحوذ على نصيب الأسد من الحفائر التى قام بها دروفتى القنصل الفرنسى فى مصر ، والصورة التى تكشف عنها يوميات العمل فى الجبانة تدعو الى القلق الشديد ؛ ذلك أنه كانت تدر فترات طويلة بالعمال فى المقابر الملكية وهم كسالى لا يعملون . وهناك اشارات واضحة (١) أرخ الكثير منها بأخريات سننى حكم رمسيس التاسع تنذر بوصول أجنب الى طيبة أو ليبين أو مشوش وان كنا لا نعرف كيف يجب أن نفهم على وجه التحقيق ، أكانوا غزاة حقيقيين أم هم كانوا سلاله الأسرى الذين أسهموا مع الجيش المصرى والذين استشعروا الآن القسوة التى تمكنهم من رفع راية العصيان أو خلق اضطرابات خطيرة على أية حال ؟ ان هذه الأسئلة ستظل بغير جواب مادام يعوزنا الدليل ولكن من الواضح على الأقل ان أثر ذلك على المواطنين كان مبعث كوارث فقد حدث أكثر من مرة أن رواتب العمال تأخرت شهرين وقد أدى العوز والطمع معا الى الجريمة ، وكان أعضاء الأسرة المالكة

J.E.A., XII, 275-8 ; XIV, 68 (١)

والنبلاء من العهود القديمة قد وسدوا فى مدافنهم ومعهم أعلى مقتنياتهم وكان الاغراء بالنسبة للاحياء لسلب الموتى شديدا ، ولقد كانت سرقة المقابر عادة شائعة منذ أقدم العصور ، ولكن يبدو الآن ان هذه الوسيلة لمنع غائلة الفقر التى انتشرت بحيث أصبح من الضرورى اتخاذ خطى حاسمة لتقديم اللصوص للعدالة ، ومن حسن الحظ أمكن العثور على مجموعة كاملة من البردى محفوظة فى حالة جيدة (١) تلقى ضوءا على القبض والمحاكمات التى بدأت فى العام السادس عشر من حكم رمسيس التاسع واستمرت جيلا كاملا بعد ذلك وربما تخللت هذه الفترة مرحلة سكون ، ولقد قدمنا من قبل وثيقتين من هذه الوثائق البالغة الشهرة وهما برديتا أبوت وأمهريست (٢) وكلتاهما تروى القصة فى أسلوب مميز يدعو للأسى حتى ليبدو للمرء انه يطالع فصول رواية أكثر مما يقرأ مقتطفات تتسم بالوقار من وثائق ادارية رسمية واننا لنلتقى فى القسم الأخير من برديه « ماير أ » بأكمل مثال يوضح لنا الاجراءات الفعلية التى تلت الملخص القضائى للشهود وهاك مثالا لذلك :

جىء بكاتب الجيش عنخ اف ان أمون بن بتاح أم حب وأختبر بالضرب بالعصا ووضعت النقيود فى قدميه ويديه واستحلف ألا يقول الا صدقا والا حل به التشويه وقيل له : « اذكر الطريقة التى ذهبت بها الى هذه الأماكن مع أخيك » فقال : « ليؤت بشاهد يقيم الاتهام ضدى » فأعيد اختباره فقال « لم أر شيئا » وعندئذ احتجز حتى يعاد اختباره من جديد وحتى هؤلاء الشهود الذين كانت تنضح براءتهم فيما بعد ويطلق سراحهم كانوا يمرون بهذه المحنة من الجلد على الأقدام *

ولقد كانت هذه محاكمات هامة فى الدولة وكان القضاة يختارون بخاصة لاجرائها من بين أكفأ الموظفين واعلاهم درجة وهم فى عهد رمسيس التاسع الوزير خع أم ويسه الكاهن الأكبر لامون رع فى الكرنك وكاهن « ستم » لمعبد فرعون الجنزى ثم اثنان من السقاة الملكيين الهامين والقائد المشرف على العربات وحامل لواء الاسطول وأخيرا عمدة طيبة بسيومور ، العدو اللدود لـ « بويرو » عمدة الضفة الغربية الذى كان قد قام بمحاكمته ولم يوفق كثيرا ليحمله مسئولية السرقات فى المقابر الملكية ، وكانت الهيئة التى تشرف على المحاكمة التالية مكونة تكويننا

(١) انظر من قبل صفحات ١٣٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٢ .

(٢) الهامش السابق نفسه .

مشابها وان افتقدت الكاهن الأكبر وربما لأنه كان مشغولا بما هو أهم من ذلك من أمور ، وقد تغيرت هنا أسماء الفضاة جميعا وهذا يشير الى انقضاء فترة بين مجموعتي الأحداث ، ورغم أن الفرعون كان بعيدا عن طيبة الا أنه لم يكن قليل الاهتمام بالجرائم التي ارتكبت ضد كنوز من دفنوا من أسلافه وقد صدر أمر المحاكمة باسمه وفي حالة واحدة على الأقل نرى المحكوم عليهم يسجنون حتى يقرر الملك العقوبة التي توضع عليهم .

وأما أهمية هذه الأحداث الطيبية بمعنى تاريخي أوسع فمتضمنة في نطاق الظروف السياسية الكبرى التي أغفلها الشهود عند ادلائهم باعتراقاتهم وهي تتردد في برديات تلك الأيام . وبعد أن حكم رمسيس التاسع مدى سبعة عشر عاما أو أكثر خلفه عاشر من يحمل اللقب الذي كان أعلى تاريخ له هو عامه الثالث ، وقد انتهى خط ملوك الرعامسة الطويل برمسيس الحادي عشر الذي كان اسمه « ماع رع ستب ان بتساح » الذي يعيد لذاكرتنا الحاكم العظيم سيتوس الأول من قرنين سلفا . ولم تخلف سنواته الاحدى عشرة الأولى وثائق مؤرخة معاصرة ولكن بعض المعلومات التي سجلت بعد ذلك بعشر سنوات لا تدع مجالا للشك في حالة الاضطراب التي سادت البلاد ، ومن المحتمل أن ترجع الى السنوات الأولى من الحكم حادثة خطيرة الشأن نعرفها عن طريق شهادة حاجب يدعى « حوتنوفه » : -

« جاء المتبر برون واستولوا على « تحو » (معبد مدينة هابو) بينما كنت أحرس بعض حمير أبى وقد قبض على واحد منهم يدعى بهتى وأخذنى الى ابب بحجة انى آذيت امنحتبه الذى كان من قبل كاهنا أكبر لآمون مدى ستة شهور وقد عدت بعد أن انقضت تسعة شهور كاملة على انزال الأذى بامنحتبه وذلك بعد أن اختلس هذا الصندوق الذى يحمل وأشعلت فيه النيران » .

وهناك ذكر فى مكان آخر الى «حرب الكاهن الأكبر» وهو أمر يشير من غير شك الى الحادثة نفسها وهكذا نرى هذا الكاهن الطامع الذى كان بالغ القوة فى عهد رمسيس التاسع يلقى هنا الانتقام الالهى (١) . والحق ان الظروف التاريخية تجعل من المستحيل علينا أن نربط بين هذا الصراع وبين ثورة قامت على يد من يدعى « بنحاسى » ، وفى بردية «مايرأ» وهى

J.E.A., XII, 254 ff. (١)

وثيقة ترجع الى أخريات عهد رمسيس الحادى عشر نجد بعض اللصوص ثبت بأنهم « قد تم قتلهم على يد بنحاسى » بينما أهلك آخرين فى « حرب المقاطعة الشمالية » ونقرأ كذلك عن لحظة « عصف فيها بنحاسى ب حار داي وهى المدينة التى أطلق عليها اليونان اسم سنيونبوليس عاصمة الاقليم السابع عشر من أقاليم مصر العليا ، ويكتب اسم بنحاسى بطريقة تجعل من المؤكد الجزم بأنه كان عدوا للموالين لطيبة ، ويشير عدم ارداف أى لقب لاسمه الى أنه كان شخصية مشهورة جدا وأغلب الامر انه لم يكن سوى ابن الملك فى كوش والذى كان مسئولا عن جمع الضرائب فى المدن الواقعة الى جنوب طيبة فى العام الثانى عشر والذى أرسل اليه الملك فى العام السابع عشر أمرا قاطعا يطلب اليه فيه أن يتعاون مع الساقى الملكى ينس لصناعة قطعة من الأثاث يحتاج اليها معبد ربة معينة وفى احضار عدد من الاحجار شبه الثمينة تتطلبها المصانع فى العاصمة ، ومن ثم فانه يبدو تبعا لذلك أن نورتته حدثت بعد العام السابع عشر . وهناك اشارة قد تنسب اليه فى خطاب من عصر متأخر نسبيا يظهر فيها انه انسحب الى النوبة وتابع مقاومته وعصيانه هناك . . . وأما فيما خلا هذا فلسنا نعرف عنه شيئا كما لا نستطيع أن يمتد بنا الحدس الى أكثر من أنه كان من قبل من أهالى عنيبة فى نوبيا حيث عثر له هناك على مقبرة كان قد أعدها لنفسه .

وبعد هزيمة بنحاسى انتقل لقب ابن الملك فى كوش وكذا مختلف الوظائف المتصلة به الى شخصية أكبر شأنًا . وأما المراحل الأولى لحياة حريحور فيلحقها الغموض : فوالده مجهولان ، لانه لم يتعرض مطلقا لذكر اسميهما ، ومن المؤكد أن سلطانه الشامل قام على شغله لوظيفة الكاهن الاكبر للكرنك مادام يسبق لقبه النعت المعروف «الكاهن الاول لأمون رع» ملك الآلهة . وسنراه عن قريب وهو يمارس هذه المهنة ، وليس من المحتمل أن مثل هذه الوظيفة الخطيرة التى يتصرف صاحبها فيما جمع من ثروات عبر القرون تظل شاغرة أمدا طويلا ، ومن الطبيعى أن نفترض أن « حريحور » كان الحلف المباشر لأممحتبة ، ومع ذلك فليس هناك من دليل على أنه تنقل فى مختلف مراتب الكهانة التى كانت تنتهى بمنصب الكاهن الاكبر ولذلك فلعله من الخير أن نفترض انه كان أصلا ضابطا فى الجيش ، شأنه فى ذلك شأن الملك حرمحب من قبل . حقا انه اعتاد أن يستخدم - كما استخدم من بعده ابنه وحفيده اللذان خلفاه على التوالى - لقب قائد الجيش أو «القائد الاكبر لجيش مصر العليا والسفلى» ولكن هذه الوظائف ربما أملتتها ضرورات العصر وحدها ؛ اذ أن الباعث لها كان

استيلاؤه على ألقاب الشريف التي كانت لبنحاسي وان كان من غير المحتمل إطلاقا انه مارس سلطان الحكم في النوبة وفي وقت لا يستطيع تحديده . كذلك نراه ينتحل لقب وزير وان كان تحت أيدينا ما يدفعنا الى الظن بأن غيره كان يشغل هذه الوظيفة في الواقع ، وهناك منفذ دقيق ربما كان هو ما مهد لاختيار رمسيس الحادى عشر اياه ليصبح كاهنا أكبر ؛ ذلك أن زوجته « نوزمه » التي تحمل بالتبعية كنتيجة زواجه منها لقب ووظيفة كبيرة محظيات أمون رع كانت ابنة لسيدة تدعى « حريرة » كانت تحمل اللقب نفسه وتبعاً لذلك فأغلب الأمر انها كانت أرملة أممختبة ، فإذا كان الأمر كذلك فان حريحور يكون قد وصل الى مركزه عن طريق الزواج وان كان لشخصيته القوية دور هام فى تعيينه .

ولعلنا نستطيع أن نطالع تطور اطماع هذا الجبر العظيم فى جلاء فى جانب من معبد الكرنك كان قد بدأ فى تشييده رمسيس الثالث نكريما لحونس أصغر أعضاء الثالث الطيبى (١) . ولم ينجح المؤسس الاصلى وابنه رمسيس الرابع الذى خلفه فى أن يكمل أكثر من المصلى وما يحيط به من غرف داخلية وقد توقف البناء حتى عهد رمسيس الحادى عشر حين بدىء ببناء بهو الأعمدة الى الجنوب ، ويرى رمسيس فى مناظر هذا البهو وهو يقدم القرابين للآلهة المحلية بالطريقة التقليدية . ولكننا نشهد حريحور فى مناظر أخرى يصل الى مكانة من الاستعلاء لم يحدث من قبل أن شهدناها فى مثل هذه الامور ، انه ليس من غير الطبيعى تماما أن يمثل الكاهن الاكبر لامون رع وهو يمارس طقوس البخور أمام نارب المعبود حين تحرّكه أو وصوله خاصة وأن رمسيس يذكر فى الكلمات التى يبدى فيها أمون شكرانه من أجل الأثر الفاخر الذى أقامه الملك فى المدينة ومع ذلك فاننا نشهد على أربعة من بين الأعمدة الثمانية التى تشغل وسط البهو وحريحور فى وقاحة غير معهودة يمثل وهو يمارس طقوسا أمام أفراد الثالث ، بل نطالع فى النقوش التكريسية فى أسفل الجدران اسم حريحور وحده بوصفه الواهب وأما شخص الملك فيغفل تماما ، ولما قام حريحور باضافة بهو خارجى مكشوف الى ناحية الجنوب ، ربما بعد ذلك بعام أو عامين ، نراه يضع الصل الملكى على جبهته بل يضع التاج المزدوج فوق رأسه وان ظل يرتدى زى الكاهن الاكبر بل أكثر دلالة من ذلك ، أنه بعد أن أغفل أى اشارة لرمسيس انتحل الألقاب الكاملة لفرعون بما فى ذلك لقب حورس الخاص به ثم خرطوشين لاسمه ولقبه

حورس الثور القوي - ابن أمون - ملك مصر العليا والسفلى سيد الأرضين
الكاهن الأكبر لأمون ، الابن الجسدى لرع . ابن أمون ، حريحور .

ومن هذه الأدلة الواضحة أصبح من المفهوم لدى قدامى دزسى
المصريات ادراك ولاية حريحور للعرش ، كإنتصار نهائى لكهانة أمون
وانه لم يزعم العرش لنفسه حتى استطاع موت طبيعى أو غير طبيعى أن
يزيح من طريقه آخر الفراعين الشرعيين ، ومع ذلك فإن شواهد جديدة
أخذت تلقى أضواء تدريجية تدفعنا الى أن نعيد بناء الحقائق فى صورة
مغايرة ، ذلك أنه بدلا من التواريخ التى ظلت تسجل كالمعتاد طبقا لسنى
حكم الملك تبرز أمامنا حقيقة جديدة خفية يطلق عليها « إعادة الولادات »
وان نحن تذكرنا ان المقتصب أمنمس الاول انتحل تعبير « وحى مسوى »
أى معبد الولادات كاسم حوريسى له وان ستيوس الاول مؤسس
الأسرة التاسعة عشرة تقريبا أردف الكلمات نفسها للتاريخ بعاميه : الأول
والثانى (صفحة ٢٧٥) فانه من الواضح ان لونا من ألوان النهضة يميزه
هذا التعريف ، ومن حسن الحظ اننا نستطيع أن نحدد تاريخ الحكم
الصحيح هنا فبردية « ما يرا » المحفوظة فى متحف ليفربول تبدأ بذكر
« السنة الأولى من إعادة الولادات » وتحصى بالتحديد نفس اللصوص الذين
وردوا على القائمة فى خلفية بردية أبوت التى نوقشت كثيرا والتى اרכת
ب « السنة الأولى ، الشهر الأول من فصل الفيضان ، اليوم الثانى الذى
يقابل العام التاسع عشر » وقد ثبت بعد تردد ونقاش ان العام التاسع عشر
لا يمكن أن ينسب الا الى عهد رمسيس الحادى عشر الذى عرف عنه على
أية حال عن طريق لوحة عثر عليها فى ابيدوس أنه عاش حتى عامه
السابع والعشرين من الحكم ، وانه لمن العسير أن يتناولنا الشك فى ان
النهضة المقصودة تشير الى حدث خطير أو اجراء حاسم فى مهام حريحور ،
ومن أجل ذلك فإن هذا قد حدث بالضرورة خلال عهد آخر الرعامسة بعد
أن انقضى ثلثاه ، وقد أثبت هذا الامر اكتشاف حديث نسبيا (١) . فهناك
منظر ونص منقوشان على جدران معبد الكرنك يصوران وحيا من النوع
الذى أخذ يزداد منذ ذلك العصر ، فقد كان مطلوبا تعيين كاتب المخزن
فى الكرنك وقدم اسم من يدعى نسامون وتمت موافقة الآله عن طريق
« الايماء الكبرى » أو انحناء قارب أمون رع حين كان يحمل فى الموكب
على أكتاف الكهنة ، وأما أهمية هذا الحدث فتقع فى شخصية الكاهن
الأكبر الذى وضع السؤال وكذا فى تاريخ بداية النص . والتاريخ

Nims, in J.N.E.S., VII, 157 ff. (١)

المسجل هو « العام السابع من اعادة الولادات » ٠٠ في عهد رمسيس الحادى عشر ، أى تبعا لذلك فى العام الخامس والعشرين من حكم ذلك الملك وقد صحبت رقم الكاهن الاكبر الكلمات « حامل المروحة الى يمين الملك ، ابن الملك فى كوش ، الكاهن الاول لامون رع ملك الآلهة ، قائد الجيش الأمير باى عونخ » وكان باى عونخ هذا هو الابن الاكبر لحريحور ، وما دام نيس من المعقول أن يكون حريحور تنحى عن رئاسة الكهانة خلال حياته فان معنى ذلك انه مات قبل السنة السابعة من النهضة أو قبل أن يموت مولاه بأكثر من عام على أية حال .

وعلى ضوء هذه الملاحظات نجد ان الكهانة الطيبية التى أسسها حريحور تنتحل مظهرا مختلفا الى حد ما ، ومن الواضح أنه وحد كل قوى الدولة فى شخصه ثم سلمها الى سلالته كما تشير الى ذلك ألقابه الحربية والقضائية والادارية والكهنوتية التى حملها كما حملوها ، وأما انتحال التاج مزدوج فعلا فأمر ننكره عليه ، ذلك انه طيلة حياة رمسيس الحادى عشر كان يشار اليه بوصفه الفرعون ، وربما فاخر حريحور داخل أسوار معبد الكرنك الكبير بالألقاب الملكية رغم انه كان له هناك لقب ليس أقل هيبة هو لقب « الكاهن الاكبر لأمون » وفى الحالات القليلة التى نلتقى فيها باسمه خارج الكرنك لا نجد الاسم متضمنا فى خرطوش بل هو لم يجرؤ على استخدام سنى حكم تنسب (١) اليه وربما يشير التاريخ بالسنين الى « اعادة الولادات » والى تحسين ملحوظ فى ظروف البلاد ، ولكن هذا لم يعد رمسيس الى طيبة حيث بقيت مقبرته ناقصة لم تكتمل ، واما فيما يتصل بمقبرة حريحور فان وثائقنا تصمت عن ذكرها ، ولم تكشف الحفائر عن أثر لها فى ببيان الملوك ، ويبدو أن زوجته « نوزمه » التى رزقت منه بتسعة عشر ابنا وخمس بنات عاشت بعده وسنسمع عنها بعد ذلك ، وهناك نص طويل فى الكرنك قد يلقي ضوءا على حياة حريحور ، ولكن صاعته منه أجزاء كثيرة بحيث لا نستطيع أن نخرج منه بمعلومات أكثر فائدة وتحمل تواريخ سيتوس الأول ورمسيس الثانى التى عثر عليها فى خبيثة الدير البحرى بطاقات تشير الى انه فى السنة السادسة (من النهضة من غير شك) أمر حريحور بأن يعاد دفن هؤلاء الملوك من جديد . ومن الواضح أن ذلك لم يكن فى مقرهم الأخير الذى اختاروه لأنفسهم ، وهناك تمثال بالقاهرة ولوحة بمتحف لايدن تعتبران الوثيقتان الباقيتان اللتان لهما بعض الاهمية وذلك بالاضافة الى بردية تقدم صورة عريضة مقنعة عن

Gauthier, L.R., III, 232 ff. (١)

المسألة التي طال النقاش حولها ، وهل هي تاريخ حقيقي أم أسطورة قامت على أساس من الواقع ؟ والتي جعلت منها هذه المناقشة موضوعا أكاديميا ضخما ، وربما رضى معظم الدارسين بقرار ليفغر من أن « هذه قصة تاريخية » وقد اشترى هذه الوثيقة الهامة جولنشف عام ١٨٩١ من القاهرة كما اشترى معها كذلك برديتين اثنتين يبدو ان كاتب احدهما علي الأقل هو كاتب الوثيقة المذكورة وهي تروى قصة نكبات ونامون ، وهو طبيب أرسل في مهمة الى سورية عند نهاية الاسرة العشرين وقد أرخت القصة بالعام الخامس الذي يتصل - على ضوء ما قدمنا - بالنهضة ، وكان حريحور كاهنا أكبر في الكرنك ، بينما كان يحكم تانيس نس بانبدد الذي أصبح فيما بعد أول ملك للأسرة الحادية والعشرين طبقا لما نيتو ، وكان الرجلان على علاقة طيبة ولم يكن أحدهما قد انتحل بعد الملكية ؛ وقد ورد ذكر الفرعون الحقيقي - أي رمسيس الحادي عشر - مرة واحدة فقط في سياق مبهم - وكانت مصر في هذه الظروف أضعف من أن تتطلب الاحترام في الخارج وتتكشف المحادثات التي قام بها ونامون مع الأمراء الذين قابلهم ، عن أمور في العالم المعاصر لا نظير لها في كل الآداب التي وصلت إلينا من الشرق الأدنى ، ومن أجل ذلك فانه - خروجا على ما درجنا عليه - سنقدم في الصفحات التالية ترجمة كاملة للنص :

العام الخامس ، الشهر الرابع من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر ، في اليوم الذي ارتحل « ون أمون » كبير المشرفين على ضيعة أمون سيد عروش الارضين ليحضر الحشب للسفينة الكبرى لامون رع ملك الآلهة وهي التي على النهر وتسمى «أمون وسرحي» . وفي يوم وصولي الى تانيس مقر « نس بانبدد » و « تننت أمون » أعطيتهما رسائل أمون رع ملك الآلهة وقد قرئت في حضرتيهما وقالوا : « حقا اذا ستفعل كما قال ملك الآلهة أمون رع » .

وقد مكثت حتى الشهر الرابع من الصيف في تانيس (١) ، ثم أرسلني «نس بانبدد» و «تننت أمون» مع قائد السفينة «منجببيت» وفي الشهر الاول من فصل الصيف نزلت في بحر سورية العظيم ووصلت الى «دور» مدينة «الزكار» (٢) وأمر أميرها «بدير» بأن يؤتى لي بخمسين رغيفا وجرة نبيذ وفخذ ثور ، وهرب أحد رجال سفينتي بعد أن سرق اناء من

(١) التواريخ المكتوبة في الاصل يتناولها الشك .

(٢) انظر صفحة ٢٨٨ .

الذهب يساوى « ٥ دبنات » وأربعة أوان من الفضة قيمتها عشرون دبنا وكيسا به فضة تعدل ١١ دبنا وكان مجموع ما سرقه ٥ دبنات من الذهب، ٣١ دبنا من الفضة وقمت فى الصباح واتجهت الى حيث الأمير وقلت له :

لقد سرقت فى مينائك وأنت أمير هذه البلاد وضابط أمورها فأبحث لى عن مالى ؛ لأنه مال أمون رع ملك الآلهة وسيد البلاد حقا وهو مال «نس نائب دد» وهو يخص مولاي «حريحور» وكذا عظماء مصر الآخرين . . انه مالك كذلك ، وانه مال «وارت» انه مال «ميكامار» انه مال «زكاربعل» أمير جبيل . . فقال لى : « أنت صادق أم مدع ؟ لأننى لا أعرف شيئا عن هذه الرواية التى تذكرها لى . . لئن كان لصا من بلادى ذلك الذى انجبه الى سفينتك وسرق مالك فانى أعوضك اياه من مخازنى حتى يعثر على اللص مهما يكن ولكن الواقع أن الذى سرقك . . هو رجلك وهو يخص سفينتك . . فاقض معى هنا بضعة أيام حتى ابحت عنه . . ومكثت تسعة أيام راسيا فى الميناء ثم اتجهت اليه وقلت له «هاك انك لم تجد مالى» .

وتلى ذلك فقرات مشوهة يفهم منها أن «ون أمون» يرغب فى الرحيل مع بعض أصحاب المراكب الذين يزعمون ذلك ولكن الأمير يعرضه على البقاء موهما اياه انه سيستولى على بضائع المشبهوهين حتى يعثر على اللص .

ولكن « ون أمون » فضل متابعة رحلته ، وبعد أن وصل الى صور غادرها عند الفجر وسرعان ما وصل الى جبيل حيث أميرها « زكار بعل » ووجد هناك سفينة بها ٣٠ دبنا من الفضة وقال ان هذا المال سيبقى معه حتى يقبض من لجأ اليهم على اللص .

وارتحلوا وبقيت فى خيمة على الشاطئ فى ميناء جبيل واستطعت أن أصل الى مكان أخبىء ، فيه « آمون - الطريق » (١) ، ووضعت مقتنياته فيه . . . وأرسل الى أمير جبيل قائلا : « غادر مينائى » فأرسلت أقول له : « الى أين أذهب ؟ ان وجدت سفينة تحملنى فليعودوا بى الى مصر » وقضيت تسعة وعشرين يوما فى مينائه وكان يرسل الى كل يوم يقول : « اترك مينائى ! » .

(١) كان هذا تمثالا للاله كان يظن انه يستطيع أن يضمن نجاح مهمة ونامون . . . ويمكن الرجوع الى صفحة ٢٣٧ وذلك عن مناسبات أخرى تردد فيها ذكر التماثيل المسافرة .

وبينما كان يقدم العرايين لالهه أمسك الاله بشباب من رجاله وأصابه بالحبل فقال له : « احضر الاله هنا واحضر الرسول الذى يحمله . انه أمون الذى ارسله ، انه هو الذى جاء به » وظل المخبول طيلة الليل فى خبله ، فى حين وجدت سفينة متجهة الى مصر وضعت فوقها كل متاعى وكنت أنرقب الظلام قائلا : « حين يحل ، سيأتى بالاله اليها وسوف لا تراه عين أخرى . وجاء رئيس الميناء الى قائلا : « انتظر للغد . هذه هى رغبة الأمير » فقلت له : « ألسنت أنت الذى كنت تكرر لى كل يوم قولك » اترك مينائى ؟ أولا تقول ابق هنا الليلة حتى تدع السفينة التى أراها مرتحلة ترتحل وعندئذ ستأتى الى مرة أخرى ونطلب الى الرحيل ؟ » وذهب الى الأمير ورد قولى فأرسل الى الأمير قائد السفينة يقول : « انتظر الى الغد هذه هى رغبة الامير » .

ولما جاء الغد أرسل فى طلبى ، وكان الاله يستريح فى الخيمة التى على شاطئ البحر . ووجدته جالسا فى غرفته العلوية وظهره الى النافذة وأمواج البحر السورى العظيم تتلاطم خلف رأسه . قلت له : « ليكن أمون رحيمًا ؟ » وقال لى : « ما المدة حتى الآن » وقال لى : « لنفترض إنك صادق فأين هى رسالة أمون التى فى حوزتك وأين خطاب الكاهن الاول لأمون الذى فى يدك ؟ » فقلت له : « لقد أعطيتها الى « نس بانبدد » و « تننت أمون » فاجتاحه الغضب وقال لى : « والآن : انك لا تحمل رسالة أو خطابا ، ولكن أين سفينة الصنوبر التى أعطاك اياها « نس بانبدد » وأين بحارتها السوريون ؟ ألم يسلمك لربان هذه السفينة البربرى ليذبحك ويلقى بك فى الماء ؟ فمن أين اذن أتوا بالآلهة ، وأنت كذلك نبثنى من أين أتوا بك ؟ » هكذا قال لى فأجبته : « أليست سفينة مصرية وبحارة مصريون الذين يحملون « نس بانبدد » ؟ انه ليس لديه بحارة سوريون فقال لى : أليس هناك عشرون قاربًا فى مينائى تتسجر مع نس بانبدد وكذا فى صيدا ، ذلك المكان الآخر الذى مررت به ، أليس هناك كذلك خمسون سفينة أخرى تتسجر مع « وارا كثير » وتعمل من أجل بيته ؟

فحرت صمتا فى هذه اللحظة الرهيبة :

وتابع هو حديثه قائلا لى : « فى أية مهمة قدمت ؟ » فقلت له : « جئت سعيا وراء الحشب من أجل السفينة العظيمة لأمون رع ملك الآلهة . ان مافعله أبوك وجدك ستفعله أنت ! » هكذا قلت له فأجابنى قائلا : « حقا لقد فعلا ذلك ، وأنت ان دفعت لى الثمن سأفعل ! وفى الحق ان قومي قد انجزوا هذا الامر ولكن بعد أن أمر فرعون بإرسال ست سفن محملة

بالبضائع المصرية أفرغوها فى مخازنهم ٠٠ وأنت بم جئت لى شخصيا ؟ ، وأمر أن يؤتى بسجلات آبائه وأن تقرأ محتوياتها أمامى ٠٠ وقد وجد بها أنه دفع ألف دين من الفضة وسلعا من كل نوع فقال لى : اذا كان حاكم مصر سيد أملاكى وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة أو ذهباً حين يقول : نفذ أمر أمون ! على أنها ليست هدية ملك التى أعطوها لوالدى ٠٠ وأنا كذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك وأنا ان أرسلت صرختى الى لبنان(١) فان السماء تفتتح وترى الأخشاب ملقاة على شاطئ البحر ٠٠ أعطنى الاشرعة التى جئت بها لتقلع بسفينتك التى تحمل أخشابك الى مصر ٠٠ اعطنى الجبال التى أحضرتها لتربط بأحكام أخشاب الأرز التى سأقطعها حتى لا تنكسر قاريات الاشرعة فتتخطم وتهلك فى وسط البحر ٠٠ هاك : ان «أمون» يرعد فى السماء وهو الى جانب «ستخ»(٢) . حقا ان أمون أسدى الخير لكل البلاد كما لمصر التى أتيت منها حين اسداه اليها قبل غيرها ٠٠ لأن دقة الحرف فيها قد وصلت الى مقرى ، والعلم جاء منها الى حيث أقيم ٠٠ فما هذه السياحات الزائفة التى دفعت الى القيام بها ! فقلت له : زائفة ؟ ان رحلاتى ليست زائفة ! ليست هناك سفن على النهر لا تخص أمون ! وان البحر له ولبنان التى تزعم أنها بلادك ٠٠ له أيضا ! انها مزرعة لـ «أمون-اوسرحى» سيدة السفائن قاطبة ! حقا انه أمون رع ملك الآلهة ذلك الذى قال لمولاي حريحور «ابعث به» وهو الذى جعلنى أحضر بهذا الاله العظيم ٠٠ ولكن انظر الآن ٠٠ لقد جعلت هذا الاله العظيم يقضى تسعة وعشرين يوما راسيا فى مينائك دون علمك ! أليس هو هنا ؟ أليس هو ما كان ؟ وأنت تقف مساوما على لبنان مع ربها أمون ! وأما ما تقوله بصدد الملوك السابقين الذين طلبوا الفضة والذهب ليؤتى بها اليهم فانهم لو رزقوا الحياة والصحة لما جعلوا السلع يؤتى بها ! انهم بدلا من الحياة والصحة جعلوا هذه الأشياء ترسل الى آبائك ٠٠ أما أمون رع ملك الآلهة فهو سيد هذه الحياة والصحة وهو كان سييدا لآبائك ٠٠ لقد قضوا حياتهم يقدمون القرابين لأمون ، وأنت كذلك خادم لأمون ٠٠ ان قلت « نعم سأفعل ذلك لأمون ٠٠

(١) يزعم زكار بعل انه ما عليه الا أن يفتح فيه فتمطر كتلا من الأخشاب .

(٢) سوتخ هنا هو اله الرعد ويبدو أن حجة الأمير غير واضحة تماما ، وهى ان ونامون جاء غير مستعد تماما مما قد يعرضه للفرق فلا يملك أمون اذن الا ان يرعد - ويسلم زكار بعل بعد ذلك بان أمون وهو الذى برز فى بلاده فى عالم الفن والعلوم وانها انشرت من هناك الى البلاد الأخرى ولكن أمون بعد أن أعطى ما أعطى ليس له هنا من جوى .

وتتم هذه المهمة فانك ستعيش وستكون موفقا وستحيا في عافية وستكون خيرا لكل بلادك وشعبك .. ولكن لاتستول شرها على متعلقات أمون رع ملك الآلهة . حقا ان الأسد يحب مقتنياته .. مر كاتبك ان يأتى الى حتى ارسله الى « نس بانب دد » و « ننت أمون » الحكام الذين منحهم أمون شمال الأرض ، وسيرسلان لك كل ما تحتاج اليه وسأرسل لهم قائلا : « أرسلوها حتى أصل الى الجنوب وسأطلب ارسال كل ما أنا مدين به » .. هكذا تحدثت اليه .

ووضع خطابي في يد رسوله ثم وضعوا الخشب في قاع المراكب والمقدمة والمؤخرة كذا أربع قطع أخرى .. ومجموعها سبع قطع وأمر بارسالها الى مصر . وذهب رسوله الى مصر وعاد الى في سورية في الشهر الأول من فصل الشتاء ، وأرسل معه « نس بانب دد » و « ننت أمون » أربع جرار من الذهب وانا « كاكمن » من الذهب كذلك ثم خمس جرار من الفضة وملابس من الكتان الملكي عدتها عشر قطع ، وعشر قطع نسيج من كتان الصعيد الرقيق ، وخمسمائة حصير ، وخمسمائة قطعة من جلود الثيران ، وخمسمائة حبل وعشرين زكبية من العدس وثلاثين سلة من السمك ، كما أرسلت (١) الى خمسة أغطية من كتان الصعيد الرقيق وزكبية عدس وخمس سلال سمك .. وفرح الأمير وخصص ثلاثمائة رجل وثلاثمائة نور وعلى رأسهم مشرفون لقطع الأخشاب وقطعوها وبقيت ملقاة طيلة الشتاء . وفي الشهر الثالث من الصيف سحبت الى شاطئ البحر وجاء الأمير وشهدها وارسل في استدعائي وحين جرى بي في حضرته سقط ظل مروحة اللوتس الخاصة به على ، ولكن « بن أمون » ساقيه اقترب مني قائلا : « ان ظل فرعون ربك قد سقط عليك » (٢) وغضب منه الأمير وقال دعه وشأنه . وجرى بي في حضرته وقال لي هاك ان المهمة التي أداها آبائي من قبل أديتها أنا كذلك ولكنك لم تقل لي شخصا ما فعله آباؤك ؟ .. هاك ان آخر كتلة من الخشب قد جرى بها الآن وهي في مكانها .. نفذ رغبتى لشحنها فانها لك حقا .. ولكن لا تأت لنشاهد أهوال البحر فان كان لك أن تشاهد أهوال البحر فلتشاهد أهوال كذلك .. حقا اننى لم أفعل بك ما فعل برسل « خع أم واسة » حين قضوا سبعة عشر عاما في هذه الأرض وماتوا فيها . وقال لساقيه : « خذ

(١) ننت أمون من غير شك .

(٢) تعبير يتم عن الامانة من غير شك يعنى ان ونامون وفرعون كانا على السواء «تحت

سحابة » .

ليشهد قبورهم ! » ولكننى قلت له : لاندعنى أشهدا وأما بالنسبة لـ « خع أم واسة » (١) فإن من أرسلهم لك كانوا رجالا ، وهو نفسه كان رجلا ٠٠ وأنت ليس لديك الآن واحد من مبعوثيه حين تقول اذهب واشهد رفاقك ! ألا تسعد حين تفكر فى أن تصنع لك لوحة يسجل فيها : أمون رع ، ملك الآلهة ، أرسل الى مبعوثه أمون الطريق مع مبعوثه البشرى « ون أمون » سعيا وراء الأخشاب لأجل القارب العظيم أمون رع سيد الآلهة ، وقد قطعها وحملتها وزودتها بسفنى وبحارتى وجعلتها تصل الى مصر تلتمس الى من أمون خمسين عاما من الحياة فوق أجلى المحدود ! وسيحدث حين يأتى مبعوث من مصر ملم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية فانك ستتلقى ماء فى الغرب مثل الآلهة الذين هناك ! وقال لى هذا حديث شهادة ما ذكرته لى فقلت له : أما من جهة الأشياء العديدة التى قلتها لى فاننى اذا وصلت الى مقر كاهن أمون الأكبر وشهدت ما قمت به فان ذلك سيعود عليك بالفائدة .

وذهبت الى شاطئ البحر حيث الأخشاب وشهدت احدى عشرة سفينة قادمة وتتنسب الى زآكار وهم يقولون « اسجنوه ولا تدعوا سفينته تتجه الى أرض مصر » فجلست وبكيت وجاءنى كاتب الخطاب لدى الأمير وقال لى : « ماذا يحزنك ؟ » فقلت له : ألسنت تشهد الطيور المهاجرة مرتين الى مصر : انظر اليها كيف تأتى الى المياه الباردة ! حتام أترك هنا ؟ أو لست ترى من جاءوا ليقبضوا على مرة أخرى ؟ ٠٠ وذهب وأنهى نبأ ذلك للأمير مما قيل له ٠٠ وكان اليما ٠٠ وأرسل لى كاتب خطاباته بقده حين من النبىذ ونعجة وجاءنى هذا كذلك بـ « تنننة » وهى مغنية مصرية قال لها : غنى له ولا تدعى قلبه يمتلىء شجنا . وأرسل الى يقول : كل وأشرب ولا تقلق وستسمع غدا كل ما أقول لك . وفى الصباح استدعى مجلسه ووقف فيه وقال للزكاريين : مامعنى رحلتكم هذه ؟ فأجابوه قائلين « جئنا ساعين وراء سفن الحرب التى جهزتها لمصر مع خصومنا فقال لهم « أنا لا أستطيع أن أسجن مبعوث أمون فى ارضى ٠٠ فلاطلقه ثم تسعون وراءه لسجنه » وأطلقنى الى ميناء البحر وساقتنى الريح الى أرض الأشياء (٢) ، وجاء الى القوم هناك ليقتلونى ولكننى استطعت أن

(١) ربما رمسيس التاسع ، ومن المؤكد ملك ، وكان رد ونامون على هذه الحجة أنه حتى الملوك أنفسهم بشر ، أما هو ففى خدمة الاله .

(٢) تعرف عادة بانها قبرص ، انظر كذلك Onom, I, 131* وكذا A.N.E.T., 356 No. 3

أشق طريقى فى وسطهم نحو « حاتيبا ، أميرة المدينة ولقيتها خارجة من
أحدى دورها الى دار أخرى وحييتها وقلت للواقفين من حولها : أليس
بينكم من يفهم لغة مصر ؟ وقال أحدهم : أنا أفهمها . فقلت له : قل
لسيدتك حتى « نى » (١) ٠٠ والى حيث مقر أمون اعتدت أن أسمع أن الظلم
كائن فى كل مدينة ولكن العدالة تقوم فى أرض الأششيا ، افهناك ظلم
يحيق هنا كل يوم ؟ فقالت ماذا تعنى بذلك ؟ فقلت لها : ان غضب البحر
وساقتنى الريح الى أرضك افتمسليتنى لأقتل رغم اننى مبعوث أمون ؟
اما بالنسبة لى فسيبحثون عني حتى نهاية الزمان . واما بالنسبة لبحارة
أمير جبيل الذين يسعون وراء قتلهم ، أفسوف لا يجد مولاهم عشرة من
ملاحيكم ويقتلهم مقابل ذلك ! وأمرت باستدعاء القوم وأصغوا اليها وقالت
لى : اقض الليل ٠٠

وأما البقية فمفقودة ولا بد أن ونامون نجح فى العودة الى الوطن والا
فانه لم يكن يقدر لتقريره أن يكتب ٠٠ ونحن نقف الآن على عتاب مصر
كدولة تختلف تماما عما عهدناه من قبل ، ولكن علينا قبل الانتقال الى
الأسرة الحادية والعشرين ان نشير الى مجموعة من الخطابات الهامة التى
كشف عنها فى أوائل القرن التاسع عشر والتى توجد اليوم مبعثرة بين
المتاحف المختلفة والمجموعات الخاصة . ولعل أجود ما نشر لها نم على
يد ج . تشيرنى ، وتشير جميعها الى أنها تتصل بحياة وأعمال كاتب
المقبرة الملكية فى طيبة ويدعى « دحوتموزة » وابنه « بوته أمون » وأقاربهما
وأصدقائهما ، وبعض المحتويات تتناول الشئون المنزلية وان كان بها
اشارات كثيرة الى الأحداث التاريخية الجارية ، كان ابن حريحور ومخلفه
باى عونخ قد أصبح كاهنا أكبر لأمون رع ومن المؤكد انه لم يزعم لنفسه
ولاية العرش ، وقلما تشير اليه المراسلات باسمه ولكن من غير شك
انه المقصود بلقب « قائد الجيش » واما صلة القرابة الوطيدة بين هذه
الشخصية المرموقة وبين دحوتموزة فترجع الى أن الأخير كان يعمل كوكيل
له فى طيبة فى الوقت الذى كان باى عونخ مشغولا بحملة فى الجنوب ،
من الواضح انها كانت موجهة ضد ابن الملك السابق فى كوش المدعو
بنحاسى (انظر صفحة ٣٣٠) ويعبر أقرباء دحوتموزة عن قلقهم
الشديد على سلامته فى رحلاته لاحتضار السلاح ومواد التموين لرئيسه ،
وهناك حوالى ١٢ خطابا صادرة من باى عونخ نفسه كتبها سكرتيره فى

(١) اختصار من « لى ريسه » أى المدينة الجنوبية ، يعنى طيبة ، وهى التى تنطق

خطا فى التوراه « نو » .

اسلوب قاطع ، وفى ثلاثة خطابات تكاد تكون متشابهة وجهت الى أمه
نوزمة والى دحوتموزة والى موظف آخر نرى القائد ينهى اليهم تعليماته بأن
يخرسوا أفواه رجلى شرطة من المازوى تهورا فى الحديث ، وذلك بأن يقتلا
ويلقى بجثتيهما فى النهر ليلا ؛ وانه ليبدر من المشوق أن نعرف السبب
الرئيسى لمثل هذا الأمر المشئوم ، ولكنه يشير على الأقل الى الحالة السيئة
التي كانت تمر بها البلاد فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ مصر ، وقد
أضيفت الى خطاب دحوتموزة بعض كلمات لا يمكن أن يفهم منها الا أنها
تشير الى غياب رمسيس الحادى عشر اذ جاء فيها : -

« أما عن فرعون فكيف سيصل الى هذه الأرض ؟ رئيس من فرعون
حتى الآن » ؟

مراجع مختارة

معبد مدينة هابو :

يكاد ينتهى معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو من اتمام نشر كامل لهذا المعبد ومن بين المجلدات التسعة التى تم اصدارها حتى الآن نرى ان المجلدين الأول والثاني (١٩٣٠ ، ١٩٣٢) يشغلان بالمناظر التاريخية والنصوص وقد قام بالترجمة

W. F. Edgerton

J.A. Wilson فى 1936 Historical Records of Ramses III, Chicago,

U. Hölscher أما المجلدات الخاصة بالعمارة والاعمال البنائية فقد عهد بها الى

مؤامرة الحريم :

الى جانب بردية تورين بردية « لى ، رولن » التى ترجمها « برستد » و « دى برك » (فى BAR IV, §§ 416 ff. وفى JEA XXIII, 152 ff.) نلتقى بقطعة لدى Varzy (RAD, p. XVIII) وبعض مقتطفات غريبة فى مقال قديم كتب Rifaud فى Bull. Inst. fr. L. 107 ff. كذلك J.E.A. XLII. 8,9

بردية هاريس الكبرى :

H.D. Schaedel, Die Listen des grossn Papyrus Harris, Glückstadt, 1936

خلفاء رمسيس الثالث :

Seele in O. Firchow, Agyptologische Studien, Berlin, 1955, pp. 296 ff.

Nims in Bibl. Or. XIV. 137-8

Cerny in JEA, XLIV, 36 f.

لقب « الابن الملكى » لـ « رمسيس » :

Petrie, Hist. III, 242

Pavly-Wissowa, Real-Encycl. فى Roeder وهناك اضافات لـ

تحت عنوان « رمسيس » ، عمود ٢٢٥

آثار رمسيس الرابع :

L.-A. Christophe in Cahiers d'histoire égyptienne, III (1950), 47 ff.

W. Helek in ZAS LXXXII, 98 ff. The great Abydos stelae

(1) BAR IV, §§ 469-71 (2) Bull. Inst. fr. XLV. 155 ff.

فصیحة الفنتين :

النص فی RAD pp. 73 ff والترجمة قام بها T. E. Peet فی J. E. A. X 116 ff
وانظر كذلك ماكتبه S. Savneron Rev. d'Eg. VII. 53 ff

بردية ويلبور :

نشرها A. H. Gardiner فی اربع مجلدات Oxford, 1941, 1948-52

امنتحية ، كبير كهنة امون رع :

G. Lefebvre, Grands prêtres pp. 185 ff., 267 ff.

وكذا لنفس المؤلف :

Inscriptions concernant les grands prêtres d'Amon Romê-Roy et Amen-hotep, Paris, 1929.

سرقات المقابر :

T. E. Peet, The Great Tomb-robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, 2 vols., Oxford, 1930

والكتاب يضم بردية امهرست فی مرحلتها الأخيرة حين استكملت ببقية لها عشر عليها فی مرحلة تالية (انظر هامش صفحة ١٦٢) فاصبحت تعرف باسم بردية ليوبولد الثاني التي نشرها J. Capart A. H. Gardiner فی بروكسل عام ١٩٣٩ ، وارجع كذلك الى J. E. A. XXII, 169 ff. وأهم آخر فئة من هذه البرديات هي التي نشرها T. E. Peet تحت اسم « برديات ماير » ا ، ب ، ب ، لندن ١٩٢٠ ،

بنحاسي ، والى الثوبة :

Rec. trav. XXXIX. 219-20

Peet, Tomb-Robberies, p. 124

كمتمرد :

Cerny, Late Ramesside Letters, Brussels, 1939, pp. 7-8

فيما بعد بالثوبة

PM VII. 79

مقبرة فی عنيبة :

حريحور :

Lefebvre, Grands prêtres pp. 205 ff., 272 ff.

PM. II 79-81 فی معبد خونس

Gauthier LR III. 236 ff. الزوجة نوزمة والاسرة

النهضة :

Cerny in J.E.A. XV. 194 ff. ; ZAS LXV 129-30

وتامون :

آخر ترجمة قام بها J.A. Wilson فى ANET, pp. 25-29

واما النص ففى A.H. Gardiner, Late Egyptian Stories pp. 61-76

عن مراسلات الكتاب وحتموزة وبوئيهامون ، انظر كتاب « شيرنى » عن بنحاسى
(المشار اليه اعلاه) وارجع كذلك الى كتاب A. H. Gardiner :

A Political Crime in Ancient Egypt in Journal of Manchester University
Egyptian and Oriental Society, 1912-13, pp. 57-64

وجد الازدواج المميز لأرض الفراعنة ، خلال القرن الحادى عشر قبل الميلاد وما تلاه ، تعبيرا جديدا غير متوقع ، وليست تستطيع المرحلة الرئيسية أن توصف بخير مما شهدناه قد حدث للمعبود سبيى الطالع « ونامون » . . . لقد أصبحت مصر الآن تحكم من عاصمتين منفصلتين طيبة فى الجنوب ، وتانيس فى الشمال ، ومن العجيب أن نقر أن العلاقات بين شقى الوادى كانت ودية تعاونية وكانت الدولة لفترة ما قد تعطلت أمورها ، ويعبر ونامون بالقول فى كل مكان لا فى مصر وحدها بأن السيادة للاله الطيبى أمون . وأن الحكام الأرضيين ليسوا سوى بشر ، وعلينا الآن أن نبين كيف تطور الموقف ، فأمر عدم وجود فرعون لم يعد من الممكن أن يظل محتملا لفترة طويلة ، ومن ثم نرى نسبانبدد ويسارع بتأكيد دعواه ، ويعنى اسمه « ذلك الذى يمت الى كبش دجد » و « دجد » هى المدينة الهامة فى وسط الدلتا المعروفة لدى اليونانيين باسم مندس ويبدأ مانيتو أسرته الحادية والعشرين التى تضم سبعة من الملوك الثانيسيين بالملك « سمندس » وهذه هى الطريقة التى ينطق بها اسم نسبانبدد ، والتى لا تبعد كثيرا من غير شك عنها ، ولم يكن ل « سمندس » بوصفه مواطنا فى « دجد » حق شخصى فى العرش وانه ليبدا من الواضح أنه بصرف النظر عن خلقه القوى ، يدين بالملكية الى تنثامون ولعل هذا الاسم يروى قصة هذه السيدة التى يبرزها ونامون على الدوام شريكه ل « سمندس » اذ من الواضح أنها كانت حلقة الاتصال التى تربط طيبة بتانيس ، ومع ذلك فانه يبدو غريبا أن تتقبل طيبة سيادة تانيس بهذا الخضوع ، والمستند الوحيد الباقي من عهد سمندس نص منقوش على عمود فى محجر بين جبلين (١) مهشم فى معظمه وفيه بروى كيف أن سمندس جلس فى قصره فى منف وهو يفكر فى عمل يشير الى تقواه حتى يناله التمجيد ، وانه حين ينهى اليه الامر بأن بهو الاعمدة الذى شيده توتموزيس الثالث فى الأقصر أغرقه الفيضان حتى السقف ، أرسل ثلاثة آلاف عامل لقطع الحجر الرملى اللازم للترميم ، وهكذا فان سمندس لم ينقل عاصمته الرسمية الى أقصى شمال

الدلتا فحسب بل انه وجد نفسه طليقا لبيباشر عمليات البناء بعيدا فى الجنوب حتى طيبة ولسنا نجد شيئا من هذا يصدق على خلفائه الذين لا يعدو ذكر آثارهم فى مصر العليا أو الوسطى معبدا صغيرا لايزيس عند سفح الهرم الاكبر (١) ومصلى ل « سيامون » فى منف (٢) ثم بعض الأشياء غير الهامة عثر عليها فى ابيدوس (٣) ومع ذلك فانه من المؤكد أنهم كان ينظر اليهم بوصفهم الفراعين الشرعيين الوحيدين ، لا من وجهة نظرهم الشخصية فحسب ، بل كذلك من وجهة نظر من جاءوا بعدهم ، ولسنا نرى مايتو فى تعدادة للأسرات بعد ذلك يشير من جديد الى طيبة وبظهر أن كل التواريخ تقريبا التى وجدت فى النصوص هناك تسير عهود الحكم الثانيسى ، ولم يعد الدفن فى بيبان الملوك مما يتلطف عليه الملوك ، وقد كشفت حفائر مونتية فى تانيس عن مقابر بسوسنس الأول وامموبى وهما ثانى وثالث ملوك الأسرة ان غرضنا النظر عن نفر كارع (صفحة ٦٥) الذى لم يعمر طويلا ، وعلى أية حال فان هذه الأضرحة عبارة عن مباني فقيرة قليلة الأهمية أن قورنت بالمقابر ذات الممرات الهائلة فى غرب طيبة أو بالاهرام الرائعة فى أقدم العصور ، واما التحجبات التى يغطى انحطاط النظام الجديد فريقي يحاول أن يغطيه بحلى فاخرة كانت ثمة صبر طويل قضاه مونتية فى الحفر .

أما فى طيبة فان نظام الحكومة الذى خلفه حريجور لأعقابه قد ظل مستمرا مع قليل من التغيير ، وقد تولى منصب كبير الكهنة على التوالى باى عونخ ثم بى نوزم الأول ثم ماساهرتا ثم من خبر رع وأخيرا بى نوزم الثانى ، وانتقل من الأب الى الابن فيما عدا من خبررع الذى كان أخوه سلفا له - وقد انتحل كل هؤلاء الأحبار الى جانب نعتهم الكهنوتى لقب « القائد الكبير للجيش » أو « القائد الأعلى للجيش فى البلاد جميعا » مما يشير بوضوح الى حالة استقرار البلاد ، وأما أن تضاف أحيانا القاب « وزير » أو « ابن الملك فى كوش » فليس يعنى ذلك سوى متابعة تقليد من التقاليد ، وليس من شك أنه كانت هناك روابط زواج وصداقة بين العاصمتين جعلت من وجودها المشترك أمرا طبيعيا - وربما ضروريا كذلك - ولئن كان قد اعترف بالاله أمون فى تانيس فانه ربما من الخطأ أن نستنتج من وراء ذلك مولدا طبييا لأسماء الفرعونين الشماليين امموبى

(١) P.M., III, 5

(٢) Op. cit., III, 225

(٣) Op. cit., V, 78, 80

وسيامون ولكن كلمة بسوسنس غير المعتادة التي تعنى « النجم الذى تألق فى طيبة » لا يمكن أن ننكر دلالتها . وكان بى نوزم الاول وحده من بين كبار كهنة آمون المعاصرين هو الذى أكد تأكيدا قاطعا حقه فى أن يعتبر فرعونا فانتحل لنفسه لقبا واتخذ اسما ومع ذلك كان الوثائق التى تحمل اسمه تسجله فى أغلب الأحيان بغير خرطوش ، ومما يثير أشد العجب أن بسوسنس الاول يستخدم فى تانيس نعت « كبير كهنة آمون رع (١) » بل انه فى لقب كامل يصف نفسه بكونه « العظيم فى ابيت ايسوه » أى الكرنك (٢) .

كان الدور الذى لعبته المرأة فى مصر القديمة دائما دورا كبيرا ، ولكن دورها هنا كان أكبر منه فى أى مرحلة مرت بنا من قبل ، فالنصوص تستخدم بطريقة غير عادية نعوتا مثل « ابنة الملك » أو « زوجة الملك العظمى » ولكن محاولة تقديم سلسلة أنساب سليمة أثبتت حتى الآن أنها عمل غير موفق ويجب أن نسلم أن الأبحاث فى هذه النقطة لا تزال فى مهدها ، ولعل المظهر الذى يدعو للارتباك فى هذه المشكلة هو أن اسم الانثى نفسه كانت تحمله عدة اناث مختلفات - وقد اكتسب لقب « زوجة الاله آمون » الذى يرجع شطره الأول من زمن بعيد ، اكتسب أهمية سياسية ملحوظة . وان كان ما يعنيه بالضبط لا يزال مبهما . وفى عهد بى نوزم الاول نجد أن ماع كارع التى تحمل هذا اللقب توصف بأنها مجرد طفلة (٣) وان نسب إليها فى أغلب الأحيان أنها كانت زوجته وأغلب الأمر أنها كانت ابنة ل بسوسنس الاول وهى ليست من غير شك ماع كارع ابنة الملك الثانيسى بسوسنس الثانى (٤) التى سجلت حقوقها كوريثة للعرش على نقش طويل فى معبد الكرنك (٥) . وليس هذا سوى مثال للصعوبات التى تقوم حول أسماء أميرات مثل خنوتردى ، وايسيمخب وغيرهما . وعلينا أن نشير هنا كذلك الى أن بعض هؤلاء السيدات الملكيات كن ذوات ثروات ليست بالقليلة استطعن أن يستحوزن عليها نتيجة أشغلهن وظائف الكهانة ف « نس خونس » مثلا وهى زوجة « بى نوزم الثانى » الشهيرة توصف على التابوت الذى يحمل اسمها (٦) بأنها :

(١) Psus, pp. 16-17

(٢) Op. cit., p. 136, fig. 51

(٣) Rec. trav. XIV, 32

(٤) B.A.R., IV, No. 738-40

(٥) P.M., II, 62

(٦) Daressy, cerc. p. 112

« الرئيسية الأولى لمحضيات أمون رع ، ملك الآلهة ، المشرفة على بيت موت العظمى ، سيدة أشرو ، كاهنة أنحور - شو ابن رع (١) ، كاهنة من ، حورس ، وايزيس فى ايبو (٢) كاهنة حورس سيد زو اف (٣) الأم الالهة لـ « خونس الطفل ، الأولى لدى أمون رع ، ملك الآلهة ، رئيسة النبيلات » .

هذا بالاضافة الى ما يشير اليه صف آخر من النقش من أربع كهانات محلية أخرى ومن سوء الحظ أن اسم نس خونس نقش فوق اسم ايسيمخب التى تعد من غير شك صاحبة هذه الألقاب . من أجل ذلك ، ولئن أخذنا الأقاليم المذكورة هنا بنظرة جدية فإن هذا يعنى أن النفوذ الطيبى امتد شمالا حتى مصر الوسطى وهو أمر يؤكد ما جاء فى الحبيبة (٤) على قوالب من اللبن تحمل اسم كبرى الكهنة بى نوزم الأول ومن خبر رع ، وسيرد ذكر الحبيبة مرة أخرى فيما يتصل بالأسرة الثانية والعشرين ، وتعد هذه التعقيدات مميزة للصعوبات التى صاحبت تفسير مشاكل الأسرة الحادية والعشرين ، ويجب أن تترك محاولات تفسير هذه الأمور الى المستقبل ، فالمادة كثيرة ولكنها مبهمة فى أغلب الأمر ويجب أن نقنع هنا بأن نقدم بيانا عن اكتشافين كبيرين استطاعا أن يغيرا وجهة نظر المؤرخين .

وجدت بعض الآثار التى عثر عليها وترجع الى عهد الأسرة الحادية والعشرين طريقها فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى تجار العاديات وكانت من الكثرة والأهمية بحيث أصبح من الواضح أن بعض أهالى القرنة توصلوا الى مقبرة أو خبيثة من نوع غير معتاد (٥) ، ولم يكن من الممكن فى عام ١٨٨١ - أن تقوم تحريات رسمية ، وكان مدير مصلحة الآثار اذ ذاك ج . ماسيرو الذى اهتم بالأمر اهتماما بالغاً ، وسرعان ما أحاطت الشبهات وضاق خناقها حول عائلة عبد الرسول ، وقد فشلت كل المحاولات لجعل من وجدوا هذه الآثار يفشون سرها حتى أدرك أكبرهم أن بعض اخوته على وشك فضح الأمر فعول على أن يسبقهم الى ذلك ومن هنا كان الكشف عن ذلك المخبأ العجيب الذى ضم العديد من الموميات

(١) فى ثنيس .

(٢) اخميم

(٣) مدينة تقع على بعد قليل من شمال اسيوط .

(٤) P.M., IV, 124

(٥) Op. cit., I, 173, ff.

الملكية التي وصفنا بعضها أو أشرنا اليه في الصفحات السابقة من هذا الكتاب (١) . كانت هناك بئر عميقة الى جنوب وادى الدير البحرى تؤدي الى ممر طويل ينتهى بحجرة دفن كانت تشغلها من قبل ملكة نصف منسية هي « انحعبى » وقد عثر على توابيت وموميات وأثاث جئزى مكومة بعضها فوق بعض فى غرفة الدفن هذه التى يتعذر تبين معالمها وقد جئء بها الى ذلك المكان بعد جولات كثيرة قام بها خلفاء حريحور . ونكاد نقرر انه كان يحدث فى أغلب الأمر أن تتعرض أماكن الدفن للملوك المعظم من الأسرات السابعة عشرة الى العشرين للاغتصاب والسرقة بمجرد دفنهم وكان يقوم بهذا العمل الأهالى الجشعون فى الجبانة الطيبة ولم يتوقف هذا الانتهاك لحرمة المقابر حتى تدخل كبار كهنة الأسرة الحادية والعشرين وبذل آخر مجهود متحمس من جانبهم . وقد استطاعوا أن يفعلوا ذلك الأمر بثقة أكبر وذلك لأن الحلى الذهبية والمقتنيات الأخرى الثمينة كانت قد اختفت منذ زمن بعيد ولم يكن باقيا ليستنفذ سوى التوابيت والجثث . . . ومع ذلك فان استعادة بقايا الكثيرين من هؤلاء انقراض العظام كان بالنسبة لعصرنا الحديث أمرا يدعو للأنارة بصورة لا نظير لها فى دراسات علم الآثار . . . وكانت القدرة على تأمل السحنة الحقيقية لهؤلاء المحاربين المشهورين أمثال توثموزيس الثالث وسيتوس الثانى ميزة سمح بها بالطريق الشرعى للمؤرخ الجاد . وإن كانت لا يرضاها اليوم تماما لمن يحاول ذلك لمجرد الفضول . وكان هناك الى جانب الملوك التسعة الذين وجدوا عددا من زوجاتهم الملكات وكذا بعض الأمراء وذور الشخصيات الأقل شأننا . قد بينت بعض البطاقات المكتوبة بالهيراظيقية على توابيت أو لفائف موميات معينة تواريخ إعادة الدفن والسلطات التى قامت بهذا الأمر .

ولعل أكثر أهمية من وجهة النظر التاريخية البحتة تلك التوابيت السليمة لكبار كهنة الأسرة الحادية والعشرين ونسائهم، وقد زودتنا الكتابة الهيروغليفية بجانب ليس بقليل من المادة التى كانت مثار منافسة والتى وردت فى المقال الوحيد الرئيسى الذى كتبه ماسبرو عن هذا الكشف ، وكان من أواخر الدفنات التى تمت هناك دفن بى نوزم الثانى وزوجته نس خونس التى سلفت الاشارة اليها . وقد غلقت الخبيثة بعد دفنها بالاختام وكان ذلك فى العام العاشر من حكم الملك الثانيسى سيامون (٢) ، ولكن

(١) انظر صفحة ١٨٢ وما بعدها .

(٢) J.E.A., XXXII, 24 ff

أعيد فتحها من جديد في عهد الملك شوشنق الأول ليدفن هناك كاهن أمون المدعو جد بتاح أف عونخ (١) .

وفي عام ١٨٩١ أى بعد الكشف السالف الذكر بعشر سنوات تقدم الشخص نفسه الذى كشف سر الموميات الملكية ، وهو من مواطنى القرنة ، الى جريبو الذى خلف ماسيرو مديرا لمصلحة الآثار لينهى اليه وجود بقعة فى شمال معبد الدير البحرى حيث توجد مقبرة ذات أهمية غير عادية وقد استطاعت بضع ضربات من المعاول أن تكشف عن بئر تؤدى الى سرداب يبلغ طوله قرابة ٨٠ ياردة يليه آخر الى ناحية الشمال أقصر منه فى مستوى أدنى نسبيا - وقد عين دارسى ليشراف على عملية الحفر ووجد هناك ١٥٣ تابوتا من بينها ١٠١ مزدوجة و ٥٢ مفردة ومعها عدد كبير من الصناديق التى تحوى تماثيل الاوشبتي والتماثيل الاوزيرية الصغيرة كان جانب منها يحوى برديات وأشياء أخرى أقل أهمية ، ولم تكن التوابيت قرب المدخل مرتبة ولكنها وضعت بعد ذلك فى الداخل مرصوصة الى جوار الجدران فى صفوف متقابلة مع ترك ممر فى وسطها وكانت هناك حجرة فى أقصى الداخل خصصت للأميرة الكاهن الأكبر من خبر رع ولكن السراذيب استخدمت بعد ذلك بغير تمييز لأعضاء كهانة أمون رع . وكانت صناديق الموميات عادة على هيئة آدمية تغطيها مناظر دينية متعددة الألوان ونصوص كسيت بطلاء أصفر - وهى من وجهة نظر المؤرخ قليلة القيمة الا فيما يتصل بذكرها لأسماء وألقاب أصحابها الذين كان من بينهم عدد لا بأس به من النساء وبخاصة موسيقيات المعبد . ومع ذلك فقد كانت هناك أهمية من ناحية أخرى للأربطة الجلدية والصدريات فوق الموميات وذلك لأنها تصور غالبا الكاهن الأكبر المعاصر أو الأسبق واقفا أمام أمون أو معبود آخر ، وربما كان أكثر أهمية من تلك النصوص التى كتبت غالبا على قماش الموميات ؛ لأنها تسجل تاريخ صنعها . وهكذا فان لدينا هنا مصدرا أوليا لالقاء ضوء على هذه الأسرة المعقدة . كانت الاستعانة بقرارات الوحي فى كل المناسبات هى الميزة البارزة للإدارة الطبية ابتداء من نهاية الأسرة العشرين ، ولقد رأينا كيف أن تعيينا بالمعبد تم بهذه الطريقة فى عهد كبير الكهنة باى عونخ اذ أوقف الاله الكبير أمون رع قارب موكبه ليومئذ بالموافقة حين قدم اليه الاسم الصحيح . وقد حدث فيما بعد حين كانت وراثة الاميرة مارع كارع موضوع جدل (٢)

(١) Gauthier, L.R., II, 307

(٢) انظر صفحة ٣٣٢ - ٣٣٣ .

أن كان أمون رع وبصحبه عضوى ثالثه الآخرين الالهة موت والاله الطفل خونس هم من أصدروا القرار ، ومرة أخرى كان أول عمل لـ « من خبر رع » حين أصبح كاهنا أكبر أن يسأل الاله الاعظم ان كان من الممكن أن يصدر العفو عن بعض الأشخاص الذين كان قد تم نفيهم الى الواحات وأن يسمح لهم بالعودة الى طيبة (١) ، ولئن كان الحجم معيارا للأمور فإننا نستطيع أن نقدر ان النص الضخم (٢) المحفور على أحد جدران الكرنك ويتناول محاكمة أحد الموظفين لخيانة كان قد أحيط بأمرها بى نوزم الثانى يشير بالضرورة الى أن للمسألة أهمية غير عادية ونشهد خلال هذه المحاكمة سلسلة كاملة من الأسئلة توجه الى المعبود الذى يبدو أنه كان عازفا عن التقدم فى موكبه السنوى لزيارة الأقصر حتى ينتهى الأمر الى قرار - وكانت الخطوة الأولى تتضمن وضع لوحين أمامه الواحدة للاثبات والأخرى للنفى ، ان كانت هناك قضية للتحقيق . . وباختصار - بقدر مايسع مادتنا المحدودة أن تقدم - لم يكن هناك موضوع يتطلب تدخل الكاهن الأكبر الشخصى دون أن يحسم بوساطة اجابة من الوحي . وهناك بردية طويلة عشر عليها فى خبيثة الدير البحرى (٣) تبين أنه حتى الموتى أنفسهم يمكن محاكمتهم بالوسيلة نفسها ، وهاك قطعتين مختصرتين نوردتهما كمثال لما فى هذه البردية :

قال أمون رع ، ملك الآلهة ، الاله العظيم القوى ، الذى كان أول من جاء الى الوجود : سأؤله نس خونس ابنة تحن دحوت فى الغرب ، سأؤلها فى الجبانة سأجعلها تتلقى ماء فى الغرب . . سأجعلها تتلقى تقدمات فى الجبانة .

ثم بعد ذلك بقليل :

سأحول قلب نس خونس ابنة تحن دحوت ، وسوف لا تفعل شرا ضد بى نوزم بن ايسيمخب ، سأحول قلبها وسوف لا أسمح لها أن تبتز حياتها . . سأحول قلبها وسوف لا أسمح لها أن تكون سببا فى أن يحدث له أى شئ يؤذى قلب الحى .

وهذه العبارة الأخيرة هى أكثر ما جاء هنا أهمية ؛ لأنها تلقى بعض الضوء على العلاقات الزوجية بين الأميرة المعروفة لنا الآن «نس خونس» وبين

(١) B.A.R., IV, 625-8

(٢) أنظر المراجع فى نهاية الفصل وكذلك P.M., II, 61 (58)

(٣) J.E.A., XLI, 83 ff.

زوجها الكاهن الأكبر بى نوزم ، ولكن هناك شيئا أكثر أهمية هو استهلال نفس البردية الذى يبين مدى التغير الضخم الذى تم بالنسبة للعقيدة فى المعبود أكثر مما تذييعه ، وقد استبعدت المسحة الميثولوجية بعنف ، ولئن كانت الطبيعة الشخصية لا تزال واضحة فى اسمه الممجّد من زمن طويل فإن ما كان يضغط عليه الآن هو « ذلك الذى يجعل البشر يعيشون ويعبر السماء دون اجهاد » وانه - رغم شيخوخته - يبدأ الصباح كشاب » وبعد ذلك بقليل يقال فى تناقض تام ان « عينه اليمنى وعينه اليسرى هما الشمس والقمر » وقد ضغط كثيرا على جوهره بوصفه الاله البدائى الذى انبثق منه كيان كل اله ، وقد أكد تفردّه وطبيعته الغامضة تأكيدا شديدا ، واستخدمت فى ذلك التورية والجناس بين اسمه وبين فعل « أمن » بمعنى « مخبوء » واما وجود الآلهة الأخرى فكان متجاهلا أكثر منه منكرا ولم يضطهدوا كما حدث فى عهد أتون ، والواقع - كما لاحظنا من قبل - ان زوجته موت والاله سمرى الشاب خونس كانا مسنقرين فى منطقة الكرنك غير منفصلين عنه فى الاحتفالات المدينية ولهما قارباهما الخاصان بهما يتبعان قاربه فى مواعيد الأعياد ، وسندرك أنه رغم أن الكهنة الطيبية فى هذا المعتقد فى أمون رع المتطور حديثا اقتربت كثيرا من عبادة التوحيد الا أن هذا التوحيد كان ذا طابع يختلف تماما عن التوحيد الذى أعلنه الملك المهرطق اخناتن وانه ل يبدو من الاهمية لو استطعنا أن نشخص فى أمانة وثقة البواعث لهذا الاطراء الزائد عن الحد للاله الطيبى القوى أكانت الظروف المضطربة للعصر سببا لهذا الاصطحاب غير العادى فى التدين ؟ أم كان الكهنة تواقين لأن يرفعوا عن كواهلهم كل مسئولية عما قد يؤدى بهم الى متاعب ؟ ومهما يكن من أمر فإن المركز الضخم للاله استغل كسلاح نافع فى يد الملكية التانيسية التى أصبحت سيادتها الواقعية بهذه الصفة مقبولة دون خنوع أكثر من اللازم .

ومع أن التتابع والعلاقات المشتركة بين كبار الكهنة الطيبين قامت على دعائم وطيدة الا ان مثل هذا لا يصدق على الحكام التانيسيين ، واما عن الأربعة الأولين فقد نستطيع أن نتقبل ترتيبهم طبقا لما نيتو على الوجه الآتى :

سمندس . بسوسنس - نفر كيرس ثم امنوفثس . واما عن أوسوخور الذى يضعه خامس الأسماء فلنا أن نشك فى أنه يمت للأسرة الثانية والعشرين ، واما عن بسيناخس الذى يليه فليس لدينا ما يقابل هذا الاسم بالهيريوغليفية - ويجب أن يوضع هنا على أية حال سيامون الذى أغلق خبيثة الدير البحرى بالأختام والذى عرف عنه أنه حكم حتى

عامه السابع عشر (١) . ويذكر مانيتو فى نهاية الأسرة بسوسنس آخر سنرى الآثار تؤكد وجوده ، وقد ظن فى وقت ما على أية حال أنه هناك بسوسنس ثالث يمكن تمييزه عن بسوسنس الثانى . وتاريخ الأسرة الحادية والعشرين تناولته الكثير من النقاش أكثر مما تناول ترتيب ملوكها ، فافريكانوس يرى أن سمندس حكم ٢٦ سنة كما حكم بسوسنس الأول حتى عامه السادس والأربعين ، وهو يقدم ١٤ سنة لـ «بسوسنس» الثانى ومددا أقصر للباقيين . ولكن المصادر السابقة له لا تتناول بالذكر مدد الحكم الثلاث ، ومن ناحية أخرى نرى قطعة من الكتان وضعت فى غير مكانها تسجل ، كما يشير الى ذلك «دارسى» (٢) ، العام التاسع والأربعين لامنوبى ولكن هذا بعيد الاحتمال جدا لأن مقبرته فى تانيس التى كانت تضم موميات أصلا من أحقر المقابر ولا يمكن مقارنتها بحال بمقبرة بسوسنس الأول المجاورة لها مباشرة (٣) . وليس لدينا فى هذه المرحلة من الزمن أشياء معاصرة تمد لنا يد العون ، ولكن المجموع الذى يقدمه مانيتو وقدره ١٣٠ سنة لا يمكن تخفيضه الا بصعوبة ؛ لأن ذلك يؤدى الى تشويه الصورة التاريخية العامة التى رسمها المتخصصون فى هذه الناحية وأما أننا قلما نسمع بعلاقات مصر بفلسطين والبلاد الواقعة وراءها فى هذه المرحلة ، فإن هذه نتيجة طبيعية لانقسامها الداخلى . وكانت اشور كذلك مشغولة تماما بمتاعبها الداخلية واستطاعت فلسطين وسورية أن تنقسم الى ممالك صغيرة ، ناجحة مع ذلك ، مثل فينيقيا وفلسطين واسرائيل ومؤاب وأدوم ولم يكن أمام الواحدة منها خصوم أقوى سوى جيرانها المتاخمين لها ، وقد استمرت التجارة والروابط الثقافية مع القوى الكبرى فى الليل والفرات وكان الأمر يتطلب تجنب الاحتكاك السياسى أو العمليات الحربية باصرار . وأما القليل الذى نسمعه من هذا النوع فمصدره التوراة ، كما سنرى فورا .

انتقل الحكم الفرعونى بعد عام ٩٥٠ ق.م بقليل الى يد أسرة من جنس أجنبى - وقد ميز حكمهم الأولون أنفسهم بلقب « رؤساء المشوش » التى تختصر غالبا الى « رؤساء ال ما (٤) » وإن حللت أحيانا الى « رؤساء الأجانب » ومن الواضح أنهم كانوا أقرباء لأولئك الليبيين

(١) Rec. trav. XXX, 87

(٢) Gauthier, L.R., III, 293

(٣) Psus. pp. 173-5

(٤) Nonm., I, 120*

الذين طردهم مربينتاج ورمسيس الثالث بصعوبة ، ومع ذلك فانهم لا يعتبرون غزاة جددا ، ولعل أكثر النظريات تقبلا هو أنهم من نسل الاسرى أو المتطوعين الذين - شأنهم فى هذا شأن شردن - استقروا بالبلاد ومنحت لهم أراضى مشروطة بالتزام الخدمة العسكرية . فاذا كان الأمر كذلك ، فانهم تكاثروا وأصبح لهم من الأهمية ما يمكنهم من الوصول الى الحكم بأقل احتكاك ممكن ، وقد فعلوا ما فعله الهكسوس من قبل من ناحية محاولة اظهار أنفسهم كمصريين بالمولد وان احتفظوا فوق رؤوسهم بالريشة التى كانت تميز مظهرهم ، ومع ذلك فان عنصرهم الأجنبى كشف عن نفسه بالأسماء البربرية التى انتحلوها مثل شوشنق وأوسوركون وتاكلوت وقد قدم مانيتو هذه الأسماء الثلاثة كأعضاء لأسرته الثانية والعشرين التى تضم ستة ملوك آخرين لم تذكر أسماؤهم كما يقدم افريكانوس مجموع مدة الحكم ١٢٠ سنة ، وقد استطاع دارسو المصريات أن يميزوا خمسة يحملون اسم شوشنق وأربعة يحملون اسم أوسوركون وثلاثة يحملون اسم تاكلوت . والفترة كلها يلفها الغموض ويجب أن نقنع هنا - كما هى الحال فى مواضيع أخرى - باختيار ووصف أبرز الشخصيات والقصص والأحداث الهامة . وأما من الناحية العامة فإنه يمكن أن يقال أن مظهر هذه الأسرة الأخيرة ظل شبيها مشابها قوية بمظهر الأسرة الحادية والعشرين ، وكانت العاصمة الرئيسية فى الشمال اما تانيس أو بوباستس ، وكان كبار الكهنة فى طيبة لا يزالون يمارسون سلطانا دينيا لا ينازع ، أما العلاقات بين شطرى الوادى فظلت تتأرجح بين الود والعداء وكان العصر يتسم بالثورات والاضطرابات التى ليس لدى المؤرخ عن تفصيلاتها سوى مصادر ضئيلة رغم المادة القيمة التى وصلت الينا عن طريق اكتشاف هائل سنتناوله بالوصف .

كان أوجست مارييت فى عام ١٨٥٠ شابا لا يزال مستقبله كدارس للآثار المصرية غير واضح ، ولكنه سرعان ما وجد الفرصة مواتية فى مهمة الى القاهرة لشراء مخطوطات قبطية للحكومة الفرنسية ، وقد لقى عند وصوله عقبات أخرى تحول دون تحقيق هدفه وأن عوضته عن ذلك رحلة سريعة قام بها الى أهرام ومقابر سقارة وقد شهد هناك رأسا من الحجر الجيرى تبرز فوق رمال الصحراء لم تذكره ببعض تماثيل أبى الهول التى كان قد رآها بالاسكندرية فحسب بل كذلك فقرة من سترابو (١٧ : ٣٢-١) تتحدث عن تماثيل أبى الهول التى تغطيها الرمال والتى تؤدى الى معبد أبيس - وقد تحقق لديه أنه على الطريق الى السرابيوم المسمى المشهور فأقنع مارييت نفسه تماما بضرورة نسيان كل ما يتصل بمهمة

مخطوطاته القبطية واستأجر ثلاثين من العمال الوطنيين وبدأ فى الكشف عن الطريق الذى تغطيه بعض الأكوام العالية - وقد كان الشارع بالغ الطول ومرت شهور عدة قبل أن يجد نفسه أمام معبد صغير بناه الفرعون نخت حارحية (نكتانبوس الثانى) ولم يكن هذا من غير شك الهدف الذى يرنو اليه ، ولكن الحماسة التى أثارها مشروع مارييت دفع الى منحه اعتسادا جديدا . وفى نوفمبر سنة ١٨٥١ م - أى بعد مرور أكثر من عام بعد تركه فرنسا - استطاع مارييت أن يدخل الى السرداب السفلى الذى كانت عجول أبيس مدفونة فيه ؛ وكانت هناك توابيت ضخمة تضم موميات ما لا يقل عن أربعة وستين ثورا . يرجع أقدمها الى عهد امنوفيس الثالث وأما آخرها فيلحق بأعتاب العصر المسيحى . وكانت هناك آلاف اللوحات والأشياء الأخرى التى تنهض دليلا على تقديس الكهنة والمعبدين الآخرين ، ولما كانت هذه الكتابات مؤرخة فإن هذا الكشف العظيم استطاع تبعا لذلك أن يؤكد أهميته التاريخية التى لا تقدر . ولقد كان العجل أبيس خلال حياته انبثاقا للاله الممفى بتاح ولكن كانت له كذلك علاقات وارتباطات بأوزيريس والاله الباشق حارختى وعند موته واحلال حيوان حى آخر مكانه كان يدفن فى عظمة ك أوزيريس أبيس وهو اسم يساوى اسم سراجيس الذى اعتمده البطالمة معبودا رئيسيا لهم ، ولكن أهمية الكشف وعظمته حجبته لسوء الحظ عدم جدواه ، فالسرعة التى تم بها نقل المكتشفات وشحنها الى فرنسا حالت دون الفحص الصحيح ودون النسخ ، ولم تجد الخبرة أو المال فى تحقيق نشر المكتشفات ؛ الأمر الذى طالما راود مارييت فى أحلامه ولكنه لم يستطع تحقيقه . ويرجع الى . ماسبرو ، وشاسينا فضل عمل الكثير لمعالجة هذا الموقف (١) . وقد عمل كل منهما من ناحيته وبطريقته الخاصة ليمهد للدارسين الطريق الى المجموعة الضخمة التى لا تزال تضمها جدران اللوفر ومع ذلك فلسنا نستطيع أن ننكر أن جزءا كبيرا من القيمة العلمية لاكتشاف مارييت العجيب ضاع بصورة لا تستطاع معالجتها .

ومن العجيب أنه لم يوجد بالسراجيوم نص واحد يرجع الى الأسرة الواحدة والعشرين ولكن ما وجد من عهد الأسرة الثانية والعشرين وما تلاها كثير ، ومن أبرز ما وجد لوحة لشخص يدعى حاربسون (٢) الذى يرجع بنسبه خلال ستة عشر جيلا الى سلف ليبي من تاريخ غير معروف يدعى

(١) P.M., III, 205-15

(٢) Op. cit., IV, 209, B.A.R., IV, No. 785

بويوواوا ، وكان حاربسون لا يزال على قيد الحياة ويتمتع بنفوذ حتى نهاية حكم شوشنق الرابع الطويل ، ورغم أنه يزعم هو شخصيا أنه ليس أكثر من كاهن من كهنة نيث فإنه يعد من بين أسلافه أربعة من الملوك المتتابعين ذكر عن الواحد منهم أنه ابن لسلفه ، وأقدمهم هو شوشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين وهو أهم شخصية فى قبيلته ، ونحن نسمع عنه للمرة الأولى فى نص طويل عثر عليه فى أبيدوس (١) حين لم يكن أكثر من « الرئيس العظيم للمشوش ، أمير الأمراء » ومات أبوه نمرات ابن السيدة « محت أم وسخه » وقد جاء ذكر كليهما فى لوحة حاربسون ، فالتمس شوشنق من الملك الحاكم أن يأذن بتشديد مبنى فى أبيدوس لعبادة جنازية كبرى لتمجيده . وقد أجاب بالموافقة كل من الملك و «الاله العظيم» (أمون من غير شك) ولسنانشك كثيرا فى أن الملك المعنى هنا هو آخر بسوسنس ذلك لأنه من المعروف أن ابن شوشنق وخلفه أو سركون الأول اتخذ من ابنة هذا الحاكم وتدعى ماع كارع (٢) زوجة . وهكذا فإن هناك احتمالا شديدا بأن الانتقال من الأسرة الحادية والعشرين الى الثانية والعشرين مر فى سلام وإن كانت هناك لوحة من واحة الداخلة (٣) مؤرخة بالعام الخامس من حكم شوشنق تتحدث عن حروب واضطراب فى هذا الاقليم النائي . ونحن نعرف للحاكم الجديد عدة أبناء ويبدو أنه منحهم من المراكز ما يؤمن له استمرار العهد ، وتقدم لوحة حاربسون السيدة «كارعومع» زوجة لشوشنق وأما لأوسركون الأول ولكننا نراها توصف فى مكان آخر بأنها « متعبدة الاله » وهو لقب يمنع قيام أى علاقة زوجية ، ومهما يكن من أمر فإن أوسركون الأول كان ابنا لسلفه ، وهناك نص طويل كشف عنه فى اهناسية المدينة (٤) ، وهى هرقليوبوليس التى برز اسمها فى العهد الوسيط الأول ، يهمننا من عدة نواح : فهو بالاضافة الى نصفين آخرين يقدم لنا « نمرات » آخر لم يكن رئيس الجيش كله » و « الرئيس الأكبر للأجانب » (٥) فحسب بل كان كذلك واحدا من الأمراء الذين كان يحلو لهم أن يزعموا أنهم من نسل الرعامسة ، وكانت أمه « بن رش ناس » نفسها ابنة ل « الرئيس العظيم

J.E.A., XXVII, 83 ff. (١)

B.A.R., IV, No. 738 ff. (٢)

J.E.A., XIX, 19 ff. (٣)

(٤) انظر المراجع فى آخر الفصل

(٥) أى للمشوش الليبيين

للبلاد الأجنبية (١) ، وقد جاء نمرات هذا لأبيه شوشنق وأنهى اليه أن معبد أرسافس الاله الهرقليوبوليتانى قد جرد من موارده المعتادة من الثيران اللازمة للأضاحى الكثيرة التى تذبح فى كل شهور السنة وقال انه مستعد شخصيا لأن يسهم فى هذا العمل بستين ثورا على الأقل ، ولكن على المدن والقرى وموظفى الحكومة أن يقدموا الباقي . وقد أرفقت بذلك قائمة طويلة فأصدر الملك مرسوما يقضى بتنفيذ ذلك الأمر ويهنيء بهذه المناسبة نمرات على أريحتة وكرمه ، ولكن ما سبب هذا العطف الخاص الذى أسبغ على هرقليوبوليس ؟ اننا لا نستطيع أن نقدم اجابة مؤكدة ، ولكن من الواضح أن معظم أسلاف حاربسون ذكورا واناثا كانوا فى كهانة هذه المدينة كما أن حكام طيبايد (٢) ظلوا قرابة ثلاثمائة عام يختارون من بين سكانها . وهناك نمرات ثالث (٣) كان ابنا لاوسركون يحمل لقب « قائد جيش حانسو » (هرقليوبوليس) وكان يحمل اللقب نفسه « بكن بتاح » وهو أخ للكهنة الأكبر أوسركون فى عهد شوشنق الثالث (٤) . أمن الممكن أن يكون المشوش الذين وصلوا الآن الى السلطان الملكى كانوا يستقرون من قبل فى هذه النواحي على الطريق المباشر عبر الواحات من موطنهم الليبى الاصلى ؟ ان مانيتو يتحدث عن الأسرة الثانية والعشرين بوصفها بوباستيه وعن الأسرة الثالثة والعشرين بوصفها تانيسية . وهناك أدلة تشير الى علاقة هؤلاء الملوك بتلك المدن الزاهرة فى شرق الدلتا . ومع ذلك فان الافتراض السابق يستحق معاودة التفكير الدقيق . كان هناك ابن ثالث لشوشنق الأول هو أيوبوت عينه كبيرا لكهنة أمون رع فى الكرنك وكسر بذلك تقليد الوراثة المتعارف عليها من قبل بالنسبة لهذا المركز ، وكانت هذه من غير شك حركة حكيمة إذ أن من نتائجها الاشراف المباشر من قبل الملك على هذه الوظيفة البالغة الأهمية . ويبدو أن نفس السياسة اتبعت لعدة أجيال قادمة . واما أن المركز مشحون بالمخاطر فان ذلك يتضح من اللقب « القائد الأعلى للجيش » فكبار الكهنة لم يكونوا مجرد كهنة بل كانوا كذلك رجالا حربيين . وكان أهم ما قام به أيوبوت - أو بالأحرى أبوه - تشييد مدخل الى رحبه المعبد الرئيسى فى الكرنك مستمر الى غرب الجدار الجنوبى لبهو الأعمدة الكبير

(١) Ann. Serv. XVIII, 246-9

(٢) الاسم الذى كان يطلق فى العصور الكلاسيكية على الاقليم الجنوبى من مصر العليا (المترجم)

(٣) Gauthier, L.R., III, 345

(٤) انظر فيما بعد صفحة ٣٦١ .

وهكذا حصرت البوابة البوباستية - كما تسمى عادة - بين الصرح الثانى ومعبد لرمسيس الثالث فى طريق البهو الأول الضخم الذى كان شوشنق قد صممه من غير شك منذ البداية والذى لم يقدر له أن يعيش ليتمه • وهناك نص على الصخور فى غرب سلسلة (١) يسجل افتتاح محجر جسيدي لاحتضار الحجر الرملى لهذا الفناء المقترح وللصرح وقد أرخ النص بالعام الحادى والعشرين من حكم شوشنق وهو آخر عام يسجله له مانيتو ، ولكن من العسير أن نصدق أن الحوة الأولى ، أى بناء البوابة ، لم تتخذ من زمن بعيد • وتصور نقوش جدرانها الحادث الذى يدين له شوشنق الأول - شيشق التوراة - بشهرته الفريدة له •

كان يؤاب - قائد قوات الملك داود - قد اجتاح أدوم قبل ذلك بنصف قرن • وقتل كل ذكورها بالسيف واستطاع هدد ، وهو طفل أدومى من الأسرة المالكة - أن يهرب الى مصر وحين اشتد ساعده وجد رضا فى عين فرعون الذى زوجه من تحينيس (تحفيس) أخت زوجته الملكة • وعاد هدد الى بلاده بغير موافقة فرعون وأصبح العدو للدود مدى الحياة ل سليمان (ملوك الأول ١١ : ١٤) وقد حدث أمر مماثل لذلك بعد موت سليمان اذ هرب يربعام - وهو مدع للعرش - الى مصر فى عصر شيشق (الأول ملوك ١١ : ٤٠) ليعود فيما بعد ويصبح ملكا على الأسباط العشرة ، بينما كان على رحبعام بن سليمان أن يقتنع بالملكية على يهوذا - وفى الوقت نفسه كانت العلاقات بين مصر والبيت المالك الاسرائيلى قد أصبحت أكثر تقارباً • ويشير الى ذلك النص الحرفى لصاحب الحوليات العبرانى بقوله : « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها الى مدينة داود (ملوك الأول ٣ : ١) و « صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة ، وأعطاهم مهرا لابنته امرأة سليمان (ملوك الأول ٩ : ١٦) وتطالع هذه الأمور كأنما هى تاريخ حقيقى ، ولكننا لا نلتقى بما يؤكدنا من الجانب المصرى ، وأما الشك من الناحية التاريخية فانه - وإن حصر فى حدود ضيقة نسبياً - الا أنه يكفى للتشكيك فى أى الفراعين هو المقصود هنا - هذا الى أن اسم تحينيس لا تستطاع مطابقتها على نظير له بالهيريوغليفية ومع ذلك فعلينا ألا ننتظر كثيراً حتى نلتقى بتوافق أصيل فى الأحداث « وفى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر الى اورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل

شيء » (ملوك الأول ١٤ : ٢٥ - ٢٦) والتاريخ الأكثر ترجيحاً هو حوالى عام ٩٣١ ق م . ومن الواضح أن الكاتب لم يفزعهُ تدنيس المدينة المقدسة بقدر ما ضايقه ضياع دروع الذهب التى صنعها سليمان والتي استبدلت بمثلها من نحاس . وليس هناك ذكر لـ جازر أو أورشليم بين الأسماء الباقية التى تصحب المنظر الكبير فى البوابة البوباستية ، وهى الأسماء التى تقدم بالصورة التقليدية والتى اعتدناها فيما يتصل بحروب توئوزيس الثالث بمعنى أنها توضع على صدور أسرى يقدمهم فرعون فى صورته العملاقة لأبيه آمون رع ، وأما الحصر العمدى فمدعاة لليأس ذلك أنه من بين أكثر من ١٥٠ مكاناً ذكرت لا نلتقى الا بالقليل محفوظاً ليمهد لنا تحديد طرق تدور فى النواحي حول المنطقة الجبلية للسامرة دون الوصول الى مركز المملكة الاسرائيلية بل انه ليست هناك أية اشارة الى أنهم اقتربوا من اليهودية اطلاقاً ، ومع ذلك فهناك ما يشير الى غارة على الاقليم الادومى . وأما الفكرة التى ظلت قائمة طويلاً عن أنه يمكن قراءة « حقل ابراهيم » فى القائمة فقد صرف النظر عنها نهائياً اليوم وعلى أية حال فإن الكشف فى مجدو (١) عن قطعة جاء بها ذكر لـ شوشنق لا يدع مجالاً للشك فى صحة الحملة وان ظل الأمر غامضاً تماماً فيما اذا كانت هذه محاولة لاهياء الأمجاد القديمة أو هى كانت خطة لتدعيم مركز برعام أو هى غارة سلب ونهب وليست أكثر من ذلك ، ولقد جدد كل من شوشنق وأوسركون الأول علاقات الصداقة بين مصر وأمراء ببلوس ويؤكد ذلك الأمر وجود تمائيل لهما هناك (٢) ربما كانت هدايا أرسلها هذان الفرعونان .

ولسنا نعرف سوى القليل عن أول أوسركون وعن خلفه أول تاكلوث فيما عدا ان الأول حكم ستاً وثلاثين سنة على الأقل وأن الآخر ربما حكم قرابة ثلاثة وعشرين عاماً ، وان الظلمات حول أحداث التاريخ المصرى لتتكاثف فى هذه المرحلة حتى لا نستطيع أن نلمح قبساً من الضوء يكشف لنا عن تتابعها ، وعلة ذلك أن مركز النشاط قد تحرك الى الدلتا فى الأرض الرطبة التى لم يمكن استنقاذ سوى القليل من آثارها . أما طيبة فانه رغم احتفاظها بكامل أهميتها الا أنها أصبحت متخلفة من الناحية السياسية . ولسنا نستطيع أن نلتقى فى الكتابات المليئة باللغو على تمائيل كبار الطبيبين التى عثر عليها فى الكشف الكبير بالكركك الذى أشير اليه فى صفحة ٧٢ الا بالقليل جداً الى جانب الملحق الذاتى وسلاسل الأنساب العقيمة .

P.M., VII, 381 (١)

Op cit., VII, 388 (٢)

أما بالنسبة لسنى حكم ملوك الأسرتين : الثانية والعشرين والثالثة والعشرين ، فإن مقاييس النيل المسجلة على الرصيف في واجهة المعبد (١) ذات أهمية يعتد بها . وقد قامت في مصر الوسطى على مسافة ليست بعيدة الى شمال أوكسرينكوس قلعة بها معبد أسهم في بنائها شوشنق الأول وأوسركون الأول ويبدو أن الهدف منها كان إقامة نوع من الحدود أو حاجز بين الشمال والجنوب . وكان لهذا المكان الذى ذكرناه من قبل كموقع لدحيبة معبودة برأس الكبش « أمون القنة » وهو يوصف كذلك بالنعى الطريف « أمون العظيم فى زئيره » ولسنا نلتقى ببعض التوضيحات حتى فصل الى عهد أوسركون الثانى حين نلمح فى الظلام بعض الأضواء ، ولسنا نحاول هنا أن نناقش تتابع كبار الكهنة الذين نراهم يكافحون ليؤكدوا استقلالهم عن مواليتهم فى تانيس ، وقد كشف مونتيه فى تانيس عن مقبرة أوسركون الثانى وقد نهب للصوص ثرواتها . وكان الى جانب المقبرة مباشرة تابوت الكاهن الأكبر لأمون رع حارنختى الذى يظهر أنه كان ابنا له . وكان نافيل قد كشف قبل ذلك بخمسين عاما عن بوابة كبيرة من الجرانيت بها نقوش كبيرة القيمة تتناول بالوصف الأحداث الهامة لأعياد « سد » الملكية التى لا تزال معضلة ضخمة حتى اليوم ، وقد احتفل بهذا العيد فى العام الثانى والعشرين من حكم أوسركون الثانى حين انتهز الفرصة لاصدار مرسوم الاعفاء من كل أنواع الخدمة بالنسبة لنساء حريم معبد أمون رع وكذا المعابد الأخرى فى مدينته ، وينتهى النص (٢) الموجز، الهام مع ذلك ، بقوله : -

هاك ان جلالتة جد فى عمل خير عظيم لأبيه أمون رع حين أعلن عيد سد الأول لابنه الذى يستقر فوق عرشه فسمح أن يذيع عنه أعمالا كثيرة عظيمة فى طيبة سيدة الأقواس التسعة . قال الملك أمام أبيه أمون : « لقد أعفيت طيبه فى ارتفاعها وعرضها بوصفها متطهرة ومزينة لسيدتها بحيث لا يكون هناك تدخل فى شئونها من قبل مفتشى بيت الملك كما يعفى أهلوها الى الأبد من أجل الاسم العظيم لئله العظيم الكبير (٣) » .

ولا يمكن أن يفهم هذا بغير كونه تصريحاً باستقلال طيبة ، اما اعترافا بالأمر الواقع أو لأن أوسركون وجد من حسن السياسة أن يقوم بهذا الأمر .

(١) Z.A.S., XXXIV, III, ff.

(٢) Festival Hall, pl. 6

(٣) « الاله الكبير » هو أوسركون نفسه .

ولم يسهم الملوك الاربعة التالون لشوشنق الرابع سوى بالقليل في زخرفة البوابة البوباستية في الكرنك ، ولم يكن الكاهن الأكبر أوسركون ابن تاكلوث الثانى بالرجل الذى يترك جدراناً خالية تغرى الطامعين بشغلها ، ومن أجل ذلك نراه يسجل أعماله وسياسته فى حوالى سبعة وسبعين نهراً بالغ الطول من الكتابة الهيروغليفية فى نصين منفصلين ٠٠٠ وقد جهد كامينوس فى دراسة النسخ التى حصل عليها من المعهد الشرقى لجامعة شيكاغو واستطاع أن يستخلص منها فحواها التاريخية بقدر ما تستطيع الطاقة البشرية رغم الفجوات الموجودة بالنص التى ليست بأقل - كذلك - من الفجوات فى معلوماتنا اللغوية . وتبدأ قصة أوسركون فى العام الحادى عشر من حكم أبيه وكان يعيش اذ ذاك فى الحية . وكان - كما يقول - بعيداً عن أية مطامع شخصية ، وسرعان ما استدعى بوصفه حاكماً لمصر العليا ليخمد ثورة كانت قد نشبت فى طيبة، وتوقف فى طريقه إليها عند خمون (هرموبوليس ماجنا) وقدم الولاء لالهها تحوت ، وعمل على ترميم بعض الهياكل المخربة . وعندما وصل الى العاصمة الجنوبية رحبت به فرحة المدينة كلها ، وبخاصة هيئة الكهانة ، وسرعان ما أقر النظام هناك وأشعل النيران فى المجرمين الذين سيقوا اليه وأعيد أبناء العظماء الى مراكز آبائهم وأصدرت خمسة مراسيم لصالح معابد الكرنك الخمسة بطرق مختلفة ، وقد تبدو بعض هذه الأعمال الطيبية التى يتحدث عنها أوسركون بالغة التفاهة من وجهة نظر القارئ الحديث مثل منحه زيتاً للسراج العظيم حتى يحترق فى معبد آمون رع ، ومثل تقديم أوزة كل يوم لكل من معبدين آخرين هما معبد مونت ومعبد أمنوبى وجملتها ٧٣٠ أوزة على مدار السنة ٠٠٠ وكل ذلك قد تم « من أجل حياة وتقديم وصحة » أبيه تاكلوث ٠٠٠ وفى بيان من السنة الثانية عشرة نرى أوسركون يبرز نفسه فى فيض من الحديث المزوق حين يشير الى جر كل المعبودات الرئيسية من هيكل مجمع الآلهة حتى يكشف عن حكمته وفضيلته وربما كانت هناك فترة هدوء مؤقت للخصومة بين الشمال والجنوب ويقال ان أوسركون زار طيبة ثلاث مرات فى عام واحد وانه جاء معه بسفن محملة بتقدمات الأعياد ، ولكن ثارت فى العام الخامس عشر انتفاضات جديدة « لم يصبه الأعياء من خوض غمارها فحارب فى وسطهم مثل حورس متتبعا خطى أبيه ومرت سنون كان كل امرئ يفترس صاحبه دون أن يعوقه شيء » وأخيراً أقر بأنه لم يعرف طريقة لمعالجة الأمور فى الأرض الا عن طريق التوفيق . وقد وافق أتباعه فرحين على وجهة نظره هذه وجهازت بعثة كبيرة فى طيبة فى عدد لا يحصى من السفن تحمل

التقدمات من كل الأنواع إلى آمون رع ، ويظهر حديث أوسركون إلى الإله وهو يتضمن العتاب لأنه جامل الثوار بغير ما ضرورة ولكن هذا لم ينظر إليه كأنما هو في غير موضعه وأمكن بعد ذلك الوصول إلى اتفاق بسهولة . وتلى ذلك إشارة موجزة إلى متاعب أخرى حين وجد أوسركون نفسه بغير صديق وقد أمكن التغلب على هذا الأمر بتقديمات جديدة للمعبود ولم يتسع جدار البوابة البوباستية الذي يحوى الرواية السابقة لبقية أعمال أوسركون وقد فضل أن يكرس المساحة المحددة الباقية ليحصى فيها الهبات التي قدمها للملك شوشنق الثالث في عامه التاسع والعشرين ، ولم يكن هذا هو آخر العهد به ، فهناك نص (١) يشير إليه بوصفه الكاهن الأكبر يزور طيبة مع أخيه « بكن بتاح » بعد أن تغلبا على أعدائهما الذين اعترضوا طريقهما ولا بد أنه كان إذ ذاك في العقد الثامن من عمره .

وأهمية النص البالغ الطول الذي يروى قصة حياة أوسركون على لسانه أقل في تعبيرها عن الشخصية الرئيسية التي يدور حولها النص منها في الإبانة عن حالة مصر والصورة التي تقدمها عن مدى الخلاف الذي يمزقها والسعي وراء الاستمساك بسيادة الحكام في الشمال ، وربما استمرت هذه الحالة حتى نهاية الأسرة وأنه لمن اللازم أن نشير إلى أن القصة يرويها أوسركون من وجهة نظر واحدة وهو يقدم نفسه عادة بوصفه كبيرا كهنة آمون رع ، ولكن ما هي الحقيقة التي يمكن أن تلحق بمثل هذا اللقب حين يحمله أمير كان مقره في أغلب الأوقات في الحبيبة ولا يزور طيبة إلا في أوقات متقطعة ؟ . وفي الوقت نفسه كان لا بد للطقوس اليومية في الكرنك أن تمارس وأنه ليبدو بعيد الاحتمال أنه لم يكن هناك دائما كاهن أكبر في العاصمة حتى وإن كان عليه أن ينسحب حين تجابهه مطامع قوية أو قوة أكبر ، وأنا لنقدر أن هذا حدث فعلا بالنسبة لـ حارسي الذي كان يشغل الوظيفة في عهد شوشنق الثالث شأنه في هذا شأن صاحبنا أوسركون (٢) ، ولكن كان هناك إذ ذاك كذلك كاهن أكبر آخر هو حارسي الذي خلف في هذا المنصب أباه شوشنق بن أوسركون الأول (٣) . وهنا نلتقي بواحدة من الصعوبات الرئيسية التي تجابهنا عند دراسة هذه الفترة وتلك هي تردد الأسماء نفسها وتكرارها في جزء البلاد وينطبق هذا حتى على الأسماء الملكية فهناك ثمانية من الملوك على الأقل يستخدمون اللقب نفسه الذي انتحله

(١) Rec. Trav., XXII, 55, . XXXI, . XXXV, 138

Vandier, pp. 567 f. (٢)

Op. cit., pp. 528, 560 (٣)

رسميس الرابع وهو « وسيمارغ ستب أن أمن (١) » والمشاكل تبعث على الحيرة الشديدة وهي مع ذلك لا يمكن أن تحل أو تعالج حتى يعاد من جديد جمع النصوص المبعثرة والمجزأة ثم نسخها بدقة ونشرها نشرًا صحيحًا وحتى ٠٠٠ عندئذ ٠٠٠ من المشكوك فيه كثيرًا أن نخرج من وراء ذلك بصورة متكاملة ، ومثال ذلك ما عثر عليه مونتيه في تانيس من بقايا تاكلوث الثاني في تابوت اغتصب من عهد الدولة الوسطى مصحوبا بأوانيه الكانوبية وتماثيل الأوشبتي الخاصة به - وانا لنشهد قرابة نهاية الأسرة أن المادة التي وجدت بالسرابيوم ذات عون حقيقي فالتقوش تشير الى تواريخ مولد وموت كثير من ثيران أبيس مع تسجيل أعمارها . وقد أمكن أن نستنتج من وراء ذلك مثلا أن شوشنق الثالث حكم ٥٢ سنة على الأقل وأن خلفه كان يدعى بماى (القط) (٢) ومن الملاحظ أن مدد الحكم خلال عهد الأسرة طويلة وهي حقيقة تبدو أنها تتعارض مع تعميمنا من قبل من أن طول مدة الحكم في مصر يعنى مراحل من التقدم الذى يسود البلاد ، ويقدم مانيتو للأسرة الثانية والعشرين ١٢٠ سنة فقط ، ولكن التاريخ المقبول يجد نفسه مضطرا لأن يسجل قرنين كاملين أى من ٩٥٠ الى ٧٣٠ ق . م .

وتضم الأسرة الثالثة والعشرون لدى مانيتو أربعة ملوك فقط لا يمكن التحقق من ثالثهم (بساموس) أما رابعهم « زت » فناصر على أفريكانوس ، وربما كان خطأ . وتبدأ الأسرة ب « بتوباستس » الذى يقال انه حكم أربعين عاما ، طبقا لأفريكانوس أو ٢٥ عاما فقط طبقا ليوسيبوس ، وقد ورد اسمه على عدد من الكتابات المنقوشة على الرصيف عند الكرنك ويسجل أحداها عامه الثالث والعشرين ، وهناك أسباب جوهرية تدعو الى اعتبار الأسرة الثالثة والعشرين معاصرة للأسرة الثانية والعشرين ، والواقع ان ثانى الأسماء يعرف لدينا ب أوسرخو أو أوسرثون ، والأمر معقد بالنسبة كذلك لوجود بتوباستس آخر له اسم مغاير (٣) ، وربما نتعرف عليه فى بطل الأسطورة الديموطيقية المتأخرة والتي تحت يدنا عدة نصوص منها . ويبقى لدينا أن نذكر أن هناك ملوكا آخرين مبهمين يحتمل أنهم يمتون الى هذه الفترة . ولكننا لا نعرف أين

(١) Gauthier, L.R., III, 430-1.

(٢) B.A.R., IV, No. 771 ff., 778 ff.

(٣) Gauthier, L.R., III, 397-8.

مكانهم . وربما يرجع ذلك الى ازدياد انقسام البلاد ، وهو أمر سنتناوله بالتفصيل عند وصفنا فورا للمظهر الجديد للتاريخ المصرى .

أما ما دونه مانيتو بعد ذلك كما نقله أفريكانوس فقد بلغ من الإيجاز والأهمية بحيث نرى أن نقله حرفيا « الأسرة الرابعة والعشرون . بوخورس من سايس ٦ سنوات (١٤٤) (١) » . نطق حمل في عصره . . . ٩٩٠ سنة . الأسرة الخامسة والعشرون من ثلاثة ملوك أثيوبيين .

(أ) سبكون ، الذى أخذ بوخورس أسيرا وحرقه حيا وحكم ثمانى سنوات (١٢) .

(ب) سبيخوس ابنه ١٤ سنة (١٢) .

(ج) تركوس ١٨ سنة (٢٠) ، الجملة ٤٠ سنة .

ونحن هنا يشد من عزيمتنا أخيرا بعض المشابهة بالتاريخ الرسمى الموثوق به وان كان علينا بالطبع أن نفرض النظر عما جاء فى رواية مانيتو بالنسبة للحمل الذى تنبأ بصوت آدمى والذى تشير اليه بردية ديوطيقية بأنه تنبأ بغزو مصر واستعبادها على يد الأشوريين . ومن العجيب على أية حال أن مانيتو لا يورد ذكرا للمحارب السودانى أو الكوشى « بى عنخى » الذى استطاع حوالى عام ٧٣٠ ق . م . أن يغير فجأة مظهر الشمنون المصرية جميعا . وقد كان ابنا لرئيس أو ملك يدعى كشتا (٢) ، كما يبدو أنه كان أخا لشبكوا الذى يقدمه مانيتو تحت اسم « سبكون » ولكن لكى نحصل على فكرة عامة للترتيب الجديد للأمور علينا أن نرجع الى الورا ٧٠٠ سنة : كانت هناك مدينة أو مستعمرة مصرية قد ازدهرت فى عهد التحامسة بالقرب من الصخرة الضخمة المعروفة باسم « جبل البرقل » وهى ليست شديدة الارتفاع ولكنها تلفت النظر بتفردها فى وسط السهل على مبعده ميل من النهر (٣) ، وكانت نبتة العاصمة الاقليمية تقع على مسافة قصيرة الى شمال الجندل الرابع عند سفح « الجبل المقدس » كما كان يسميه المصريون وكانت من البعد بحيث تستطيع أن تتطور دون أن تتعرض للأخطار . وكانت فى عهد توت عنخ آمون حد ولاية نائب الملك (٤) وملتقى فى عهد الرعامسة بمخلفات فى

(١) الأرقام بين الأقواس هى التى يقدمها يوسيبوس .

(٢) J.E.A., XXXV, 149.

(٣) انظر الرسوم الجميلة فى J.E.A. XXXII, pl. II

(٤) B.A.R., II, No. 1022

هذه المنطقة واشتارات كثيرة في النصوص التي تختفى تماما في عهد الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين ، ومع ذلك فلنا أن نؤكد أن الثقافة المصرية ظلت قائمة هناك في حالة ركود مصحوبة بالعاطفة المتأججة نحو آمون رع رب طيبة المدينة الأم . وربما كان هذا الولاء هو الذى دفع الى دخول « بى عنخى » المظاجىء الى بلاد خصومه الليبيين التي يسودها الاضطراب . وقد استطاع مارييت (١) أن يستنقذ من الحرائب لوحة كبيرة تعد وثيقة من أهم الوثائق في التاريخ المصرى تشيع فيها حيوية العقل والشعور والتعبير بصورة لا يستطيع أن يقدمها سوى مواطن عن بلده ويكشف المنظر العلوى عن المركز الذى أمكن الوصول اليه فى نهاية الحملة اذ يشغل آمون رع وبصحبته الالهة موت وسط المنظر وأمام صورة الاله الجالس يقف بى عنخى . وهناك الى اليمين امرأة تمثل زوجات الملك تتقدم ومن خلفها ملك يدعى نمرات يقود حصانا ويمسك بالصلاصل ، وفى مقدمة الأرضية الى أسفل يقبل الأرض أمام الغازى ومعبوده الملوك أوسركون ، ويووابت ، بف توعابست ، ومن وراء المعبود خمسة من العظماء يظهرون خشوعهم ومن بينهم اثنان من عمد المدن والى جانبهم اثنان من « الأمراء العظام لد » « ما » يقدمون الخضوع فى مظاهر التذلل نفسها ويبين النص فى اللوحة أن كل الدلتا وجزءا كبيرا من مصر الوسطى كان قد تمزق الى أقاليم منفصلة ولئن وصف حكام أربعة منهم بأنهم ملوك فما ذلك الا لأنهم - كما تشير الى ذلك أسماؤهم - ينتسبون الى الأسرة الثانية والعشرين ، وان كانت الرابطة أبعد من أن تكون واضحة - وتبدأ رواية « بى عنخى » المؤرخة بعامه الحادى والعشرين بقوله كيف أن أميراً مقامراً من الدلتا يدعى « تف نخته » استولى على الغرب جميعا حتى اللشت جنوبا وانه أبحر الى الجنوب على رأس جيش كبير وعند اقترابه فتح رؤساء المدن والقرى بواباتهم وجاءوا أذلاء فى أعقابهم كالكلاب ، ثم اتجه شرقا ، وبعد أن استولى على المدن الرئيسية على الضفة اليمنى حاصر هرقليوبوليس التي أحاط بها من كل جانب حتى يمنع أى واحد من دخولها أو الخروج منها ورغم سوء الأنباء على هذه الصورة فانها لم تزعج بى عنخى الذى يقال فى اللوحة انه « كان شجاعا وضحك وكان قلبه فرحا » ولكن ضباط جيشه فى مصر لم يستطيعوا أن يأخذوا الأمر بمثل البساطة التي نظر بها وسألوه : « أستصمت بحيث تنسى مصر العليا بينما يضغط تفنخته متقدما دون أن يعوقه عائق » . . . ثم أخطروه بعد ذلك بأن نمرات فى حوير ، بالقرب من هيرموبوليس

(١) P.M., VII, 217; B.A.R., IV, No. 796 ff.

ماجنا ، كان قد هدم أسوار مدينة نفروزي المجاورة وأنه تمرد على مولاه وأن تف نخته كافاه بكل ما وجده تحت يديه ٠٠٠ وكان هذا أكثر مما يطيق بى عنخى فكتب الى قواده فى مصر يأمرهم بأن يحاصروا كل اقليم الأرنب ، وأعطى فى الوقت نفسه تعليمات مشددة بالنسبة للخطة التى يجب عليهم أن (١) يتبعوها بأن يتركوا للعدو أن يختار أرض المعركة مؤمنين بأن أمون هو الذى أرسلهم ولكن عليهم كذلك حين يصلون الى طيبة أن يطهروا أنفسهم فى النهر وأن يرتدوا كتانا نظيفا وأن يريحوا القوس ويفكوا السهام وألا يفخروا بقوتهم « لأنه بدونه لا تكون للشجاعة جسارته ، انه يقوى الضعيف ، وهكذا تهرب الكثرة أمام القلة ، ويغلب رجل واحد ألف رجل » .

وقد ألهمت هذه المشاعر السامية حماسة الفرقة النوبية فانطلقت الى طيبة حيث نفذت كل ما أمرت به وتعرض لهم جحفل ضخم كان يبحر جنوبا ليدخل المعركة ضدهم فهزموه وذبحوا الكثيرين واستولوا على الكثير من السفن والرجال وأرسلوا الى نبتة - حيث كان جلالته - بالعديد من الأسرى ، وعلى أية حال فانه كان يجب أن تسترجع هرقليوبوليس ، وهنا تقدم الملوحة قائمة طويلة تضم حلفاء تف نخته مع ذكر أسماء المدن التى كانوا حكاما عليها . وكان الملك أوسركون - كما نتوقع - حاكما على بوباستس - أما تف نخته فانه يوصف بأنه « كاهن نيث ، سيدة سايس وكاهن ستم للاله بتاح » أى أنه كان الكاهن الرئيسى فى كل من سايس ومنف ٠٠٠ وتلت ذلك مرة أخرى مذبحة كبيرة طورد من هربوا منها وذبحوا فى مجاورات بى بك . ولكن الملك نمرات أبحر جنوبا الى اقليم الأرنب وهو يظن أن عاصمته هرموبوليس ماجنا تصارع قوات جلالته فى الوقت الذى كان الاقليم كله يحدق به من جوانبه الأربعة ومع ذلك فان أنباء الانتصارات الصغيرة التى وصلت الى بى عنخى لم ترضه تماما .

« وعندئذ اجتاح الغضب جلالته كفهده وقال : « هل سمحوا بأن يظل هناك أحياء من جيوش مصر السفلى ويتركوا لهارب يهرب ليروى قصة حملته ولا يقتلوه حتى آخر رجل منهم ؟ اننى أقسمت ما دمت حيا وما دام رع يحبنى وما دام أبى أمون يرعانى أن أبحر شمالا بنفسى وأن أدمر كل ما فعل وأن أجعله يكف عن القتال الى الأبد » .

ويتابع بى عنخى القول بأنه سيشارك فى احتفالات العام الجديد فى

J.E.A. XXI, 219 ff. (١)

الكرنك وكذا فى احتفالات عيد فاء وفى حين يذهب امون فى مركبه الوقور الى الأقصر ويعد قائلا انه فى اليوم نفسه الذى يقود فيه الاله الى قصره :

« سأجعل مصر السفلى تتذوق طعم أصابعى » .

وفى الوقت نفسه أحاطت الجيوش المتقدمة ب أوكرنيكوس « كفيضان الماء » وشقت طريقها الى الحبيبة عن طريق سلم ، ثم عصفت بمدينة حيويينو ولكن هذا النجاح لم يرض به قلب بى عنخى الذى نفذ صبره - وكان عليه على أية حال أن ينفذ قسمه الخاص بالمشاركة فى الأعياد الطيبية قبل أن يأخذ سفينته الى هرموبوليس . وحين وصل الى هناك ركب عربته ثم أقام خيمته فى جنوب غربى المدينة ثم وجه الى جنده توييخا عنيقا بسبب نراخيهم ، وذلك قبل أن يبدأ فى الحصار ثم . . « أقام منحدرًا ليغطى الأسوار وآلة تعملو بضاربى السهام حين يقذفون سهامهم ، وكذا مقاليح لقذف الأحجار حتى تقتل العديد من الناس منهم كل يوم » .

وسرعان ما بدأت هرموبوليس تفوح رائحتها الكريهة وأخذ أهلوها يلقون بأنفسهم ملتهمسين الرحمة من الملك وراح الرسل يدخلون ويخرجون يحملون الهدايا من ذهب وصناديق ملأى بالملابس ، بينما كان التاج على رأس بى عنخى والصل على جبهته يوحيان بغضب دائم ، وعندئذ جاءت زوجة نمرات متوسلة الى زوجات الملك ونساء حريم الملك وبنات الملك وأخوات الملك « راجية اياهن أن يتشفعن لدى حورس رب القصر العظيم فى قوته والحاسم فى نصره » ثم يظهر بى عنخى بعد ذلك وهو يؤنب نمرات على عمله العدائى ولم يسع هذا العدو المتذلل الا أن يرد على ذلك باحضار حصان للملك وصلاصل للملكة رسمت فى المنظر فى أعلى اللوحة ، وكان أول عمل يبرز تقوى الملك هو تقديم الأضاحى ل ثوث وبقيّة الآلهة المحلية ثم قام بعد ذلك بجولة تفتيشية على قصر ثمرات والمخازن وأمر بأن تعرض أمامه نساؤه اللواتى لم يجد فيهن من تروقه، ولكن سرعان ما اجتاحه الغضب حين وجد الخيول فى اصطبلات نمرات تكاد تهلك جوعا فأنبه فى قسوة من أجل ذلك ، وتستمر الرواية بالأسلوب والصورة نفسيهما فيما يتصل باستسلام « بف توغابست » صاحب هرقليوبوليس مصحوبا بحديث تبدو فيه الفصاحة ، وكانت اللاهون عند مدخل الفيوم هى الاقليم الذى سقط فى يده بعد ذلك بعد أن حذر بى عنخى أهلها من أن يختاروا لأنفسهم الموت بدلا من الحياة ، وكان ابن تف نخته ممن سمح لهم أن يهربوا دون أن ينالهم العقاب ، وتبع ذلك سقوط ميدوم واللشت

ولكن منف تطلبت جهدا أشق غير مكتسبة بما أغرى به بى عنخى من ان كل ما يرغب فى عمله هو أن يقدم التقدمة لالهها بتناح ومن تأكيده من أنه سوف لا يقتل سوى الثوار الذين خرجوا على الاله ، وأعطى الليل فرصة ل «تف نخته» للتدخل مع ثمانية آلاف من خيرة المحاربين ، ولكنه رحل فى سرعة ممتطيا حصانه ليلىم شعث أمراء الدلتا الذين ظن أنه يستطيع أن يضمهم الى صفه بأن يعدهم بالثروات الموجودة فى المدينة ، ولما وصل بى عنخى الى منف فى الصباح وجد الماء يصل الى أسوارها فتحميها كما تحميها التحصينات التى أقيمت بها من جديد ، وقد قامت مناقشات ضخمة حول خير الطرق لمواجهة هذا الموقف ولكن بى عنخى أقسم بأن عون أمون سيكون سببا فى انتصاره وهو ما حدث فعلا ، ولم ينس الملك واجباته الدينية فطهر نفسه وطهر المكان جميعا بالنظرون والبخور ثم قام بكل الطقوس التى يطلب من الحاكم أدائها - أما أهالى القرى المحيطة فهربوا الى حيث لا يعلم أحد - وجاء ايوبوت وأمراء آخرون بهدايا ، ليشهدوا طلعة جلالته البهية .

وأنا لنحتاج الى حيز أكبر لنحلل بقية أحداث الحملة التى جاء وصفها فى افاضة وفى تنوع كثير ، ولكننا يجب أن نمسك عن التمداد فى ذلك ولا نروى الا اشارة عابرة عن أعمال بى عنخى فى هليوبوليس أقدم مدائن مصر قاطبة والى الموائيق التى قدمها له بتيظه صاحب اقريب ، بأنه سوف لا يخفى هو أو واحد من الأمراء الآخرين الأشياء التى يطمع فيها وبخاصة الخيول . وفى نهاية الأمر قدم تف نخته خضوعا تاما قائلا :

« سوف لا أعصى أوامر الملك ، سوف لا أرد ما يقوله جلالته ، سوف لا أسىء الى أى أمير الا بعلمك . سأفعل كل مايقوله الملك » ويجب ألا تحذف فقرة أخيرا مادامت تؤكد الأمر الذى يرويه هيرودوت (٢ - ٣٧) وغيره من الكتاب الكلاسيكيين وان كانت المصادر الوطنية لا تؤكد ، ذلك أنه حين جاء أميران من الشمال وآخران من الجنوب كممثلين للبلاد جميعا ليقدموا الولاء ل «بى عنخى» لم يسمح لغير نمرات بدخول القصر لأن الآخرين كانوا قد أكلوا سمكا ومن ثم فهم غير طاهرين ، وان تفصيلا بسيطا مثل هذا ليزكرنا بأننا نتناول هنا جوا خلقيا وعقليا يختلف تمام الاختلاف عن جونا . وأن الكثير مما يرويه ديودور عن الحياة المحددة المنظمة للفرعون قد يكون صحيحا كذلك وان كانت ليست لدينا الوسائل للتأكد من ذلك ، ولعله يبدو من الطريف أن نعرف المؤلف الحقيقى لهذه القصة الحية التى تروىها لوحة بى عنخى الكبرى ، فمن الواضح أنه كان متضلعا



جدا في أسلوب الدولة الوسطى الذي يمكن ملاحظة الكثير مما اقتبس منه ، ولكن وراء التعبير الحرفي لا نلبث أن نستشف المزاج الناري للحاكم النوبي وهو مزاج تدخل في جوهره كذلك التقوى المتعصبة والكرم الحقيقي ، أما أسلافه فمجهولون لدينا ، ولا تقوم وجهة النظر التي تشير الى أنه من الجنس الليبي على أساس قوى بل ان النشاط والاقدام والشخصية التي يشترك فيها هو وخلفاؤه تجعل من المحتمل على أية حال كذلك القول بأنهم مجرد سلالات من الكهنة الطيبين المهاجرين كما يقترح البعض ، أما أسماؤهم فغريبة وليست مصرية ولا بد أن دما جديدا تدفق الى عروقهم من مكان ما ليعطيهم مثل هذا النشاط ، ومن العجيب أنه بعد هزيمة تف نخته يظهر بى عنخى كأنما ينسحب الى بلاده فى نبتة ولا يكاد يخلف لنفسه أثرا فى مصر - وقد دفن فى « كرو » (١) فى أول هرم حقيقى من سلسلة المقابر التي ترجع لستة أجيال سلفت .

وأما تف نخته فيبدو أنه ترك لياشر مكائده . وهناك لوحة فريدة فى متحف أثينا تمثله كملك يقدم هبة من الأرض الى نيت ربة سايس فى العام الثامن من حكمه ، ولا يشير مانيتو اليه ولكن ديودور وبلوتارك يذكران اسم تنيفاختوس كاب ل بوخوريس وكنصير ومدافع عن الحياة البسيطة ، ولقد رأينا من قبل ما ذكره مانيتو عن بوخوريس الذى كان يرى فيه كتاب يونانيون قاضيا ومشرا مثاليا . وهو يظهر تحت اسم باكرنف على لوحة من السرابيوم تسجل دفن أحد عجول أبيس فى عامه السادس (٢) ، ولئن صدقنا ماجاء فى مانيتو فان هذا يكون عامه الأخير .

ولقد ظهر فى الشرق فى هذا الوقت عدو جديد . . كانت الممالك الصغيرة فى سورية وفلسطين مدى قرنين قبل ذلك قادرة على حفظ كيائها دون تدخل من الخارج تقريبا ، اما الآن فانها وجدت نفسها أمام آشور المتجددة الطامعة الطاغية . وقد اجتاحت تجلات بليسر (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م) فى عدة حملات الى الغرب دمشق وسبى الى آشور عددا كبيرا من سكانها (٣) ، وفعل مثل ذلك بالنسبة لاسرائيل فخلع ملكها فصح وأحل محله هوشع (٤) (٧٣٢ ق م) ومصادرنا عن هذه الأحداث وعن

(١) P.M., VII, 197.

(٢) Op. cit., III, 209

(٣) ملوك الثانى ١٦ : ٩ وكذا A.N.E.T., p. 283

(٤) ملوك الثانى ١٥ : ٢٩ - ٣٠ وكذا A.N.E.T., p. 284

غيرها من الأحداث التي تقع في نصف القرن التالي مستقاة من التوراة ومن الكتابات المسمارية (الاسفينية) ولا تشير النصوص المصرية الى آشور وان تعرضت في النهاية طيبة نفسها لتصبح فريسة مؤقتة لتلك القوة الآسيوية البعيدة .

ومع ذلك فانه كان من الواضح بالنسبة لمصر أن الحكام الصغار في فلسطين كانوا يلتزمون العون ضد الغزاه الشماليين وفي عهد شلمنصر الخامس وهو ابن تجلات بليسر الذي لم يعيش طويلا أعلن هوشع العصيان والثورة (١) وكانت النتيجة المؤسفة لذلك أن تم الاستيلاء على السامرة وتدميرها رغم مقاومتها ثلاث سنوات فلم تسقط الا في عام ٧٢١ ق.م حين جاء سرجون الثاني خليفة شلمنصر و « حمل اسرائيل بعيدا الى آشور » وحبس هوشع وقيده في السجن . وتشير التوراة الى أن « هوشع » كان قد أرسل رسلا الى «سو» ملك مصر ولم يقدم هدية الى ملك آشور كما كان يفعل من قبل كل سنة . ويميل الباحثون الى أن يقرنوا هذا ال « سو » ب « سيبه » تورتان مصر الذي تشير اليه حوليات سرجون بأنه خرج من ربيعحو (رفع على حدود فلسطين) مع هنو ملك غزة لكي يقوم بمعركة حاسمة . وكان هنو هذا قد هرب في عهد تجلات بليسر أمام جيشه « متجها الى مصر » (٢) ثم يحدثنا سرجون عن سيبه بقوله انه اصبح « كراع سرق منه قطيعه فهرب وحيدا واختفى ، اما هنو فقد قبضت عليه وجيء به مقبدا الى مدينتي آشور ثم دمرت ربيعحو وحولتها الى أنقاض وحرقتها » (٣) وليس من الممكن أن يكون سو أو سيبه من الناحيتين اللغوية والتاريخية الملك الأثيوبي شبكو ومن ثم فهذه أسماء قواد في أغلب الأمر ، وهذا يبدو أكثر احتمالا ما دام النص الاشوري يشير بعد ذلك الى قوله « تلقيت الجزية من ييرو صاحب موسرو » (٤) التي لا يمكن أن تعنى شيئا سوى « من فرعون صاحب مصر » .

ولسنا ندرى على وجه التحقيق ان كان « سبكون » (شبكو) قد اخذ بوخوريس أسيرا وحرقه حيا كما يريد مانيتو أن يدخل في روعنا فليس لدينا الوسيلة للتأكد من ذلك الأمر ، ولكن من المؤكد أن هذا

(١) ملوك الثاني ١٧ : ٣ وما بعدها .

(٢) A.N.E.T., p. 283

(٣) Op. cit., p. 285

(٤) Op. cit., p. 286

الأخ الأصغر لـ «بى عنخى» فتح مصر كلها وجعل من نفسه فرعوناً مصرياً حقيقياً عليها ، وتشير نصوص سرجون الى عام (٧١١ ق م) كتاريخ محتمل (١) وقد حكم شبكو مدى أربعة عشر عاماً على الأقل ثم خلفه شبكتو (سبيخوس لدى مانيتو) الذى علينا أن نصدق أنه ظل على العرش حتى ولاية تهرقا (تركوس) عام ٦٨٩ ق م . وهو التاريخ الذى تحدده لوحة لأبيس ، ولئن وضعنا موضع التدبر أمر طول هذين الحكيمين فإنه من العجيب أننا قلما نلتقى باسم شبكو و شبكتو فى الآثار ، ولا يكاد يوجد بموطنهما النوبى سوى هرمين فى الكرو (٢) تم دفنها فيهما وكذا مقبرة للخيل فى نفس المكان ، وهناك ما يشير الى أن شبكو جعل منف عاصمة له (٣) ، ولكن طيبة تشهد كذلك بنشاطه فى البناء ، فهناك فى الكرنك فى مدينة هابو مصليات شادها هذا الملك نفسه (٤) ، ولم تكن هناك حاجة تقريباً لهؤلاء الحكام الأثيوبيين لحراسة معبد الههم الذى يوقرونه ، أمون رع مادامت سلطتهم السياسية فى العاصمة الجنوبية كانت ممثلة بصورة أخرى . وهناك مظهر هام فى التاريخ المصرى المتأخر وهو الأهمية التى اكتسبتها الأميرات الملكيات اللواتى حملن القاب « زوجة الاله أمون » و « عابدة الاله » و « يد الاله » وكان اللقب الأول « زوجة الاله » فى العصور السابقة مقصوراً على زوجات الفراعين وكان يتضمن من غير شك دلالة دينية لاتزال غير محددة ، ومنذ الأسرة الحادية والعشرين على أية حال نجد أن هذا النعت ينتقل الى ابنة الملك التى أصبحت الزوجة المكرسة للاله الطيبى ، ولم يكن من المسموح به اطلاقاً ، بل كان من المحرم عليها أن يتصل بها امرؤ اتصالاً جنسياً ، ولدينا مثل لهن ماع كارع التى يظن أنها كانت ابنة للملك الثانيسى بسوسنس الأول وقد عثر على موميائها فى خبيثة الدير البحرى ومعها مومياء وليد مما يرجح أنها ماتت أثناء الوضع بعد أن خرجت على قاعدة العذرية المفروضة عليها ، وعلى أية حال فإنه ببداية السيادة الأثيوبية أصبح تعيين زوجة الاله أداة استغللتها الظروف السياسية ، ومن هنا جاءت فكرة التبني لتلعب دورها . وهكذا نرى كاشتا الذى جعل من نفسه قبل بى عنخى سيداً على طيبائيس يفرض على شبن وييه الأولى ابنة آخر أوسركون أن تتبنى ابنته أومونورتايس الأولى

(١) هناك رأى آخر يشير الى عام ٧١٥ ق م انظر Bull. Inst. fr. LI, 27

(٢) P.M., VII, 196-7

(٣) Op. cit., III, 220, 226

(٤) Op. cit., II, Index, p. 201

ثم أصبحت أمونورتايس هذه أما تتبنى بدورها شبن وبه أخرى هي ابنة الملك بى عنخى (١) . وكانت زوجة الاله هذه تمارس سلطانا ضخما وكانت تساوى الملك أباهما فى كل الأهداف والمقاصد فلم تكن تمتلك الضياع الضخمة وتشرف على موظفين خاصين بها فحسب ولكنها كانت لها السلطة التى تخول لها كذلك حق تقديم القرابين للآلهة وهو حق ظل فى الأماكن الأخرى من حصائص الفرعون وحده ، وربما كانت الحدود الوحيدة لنفوذها هو حصرها داخل نطاق طيبة حيث تقضى حياتها وتموت ثم يخصص لها مدفن بالقرب من معبد دير المدينة .

وليس غياب اسمى شيكو وشبتكو من الوثائق الآشورية والعبرانية بأقل حدوثا عن ندرته فى آثارهما بالبلاد التى كانا يحكماها ، وانه لمن الطريف أن نجد هيروودرت يشير الى شيكوس (١٣٧:٢) كاثيوبى استطاع جيشه أن يسوق فرعون منافسا له الى مستنقعات الدلتا . وهذا يحدد النقطة التى بدأ المؤرخ اليونانى عندها يظهر بعض الادراك للتسلسل الحقيقى للأحداث وان لم تستطع بياناته أن تتحرر من المظهر الخيالى القصصى الذى كان بالنسبة له - كما هو بالنسبة لنا - مصدر متعة كبيرة .

وتزداد وثائقنا وفرة بولاية تهرقا للعرش ، وهو أخ وخليفة شبتكو، وقد كشفت حفائر جرفت فى « كوة » وهى تقع بين الجندلين الثالث والرابع عن خمس لوحات كبيرة معظمها فى حالة جيدة تروى أحداث سننى حكمه الأولى والهبات التى قدمها الى المعبد الذى وجدت به . وقد عثر على أجزاء من لوحات هى صورة طبق الأصل من أهم اللوحات فى المطاعنة وقفط وتانىس مما يشير الى أن تهرقا لم ينفر من أن يذيع ثراءه وأعماله . ومن هذه اللوحات نعلم أنه أرسل مع آخرين من أخوة الملك وهو فى سن العشرين من النوبة ليلحق بـ شبتكو فى طيبة حيث نال الرضى والعطف الخاص من هذا الأخير . وانه توج فى منف بعد موت شبتكو وأن أول ما أتاه من أعمال هو تذكره للحالة المحزنة التى كان عليها معبد كوة كما شهده وهو فى طريقه الى مصر ، وكان ترميمه له والهدايا العديدة التى أهالها على الاله المحلى أمون رع مما يشهد بالولاء الذى يستشعره نحو البلد الذى ولد فيه ، ولعله من الطريف بصفة خاصة ما جاء من ذكر

« زوجات أمراء مصر الوسطى » و « أبناء أمراء تحنو » (١) الذين نقلهم الى هناك ليعملوا كخدم في المعبد ذلك لأن هذا يتضمن الاشارة الى انتصاراته على منافسيه الأصليين من الأمراء الليبيين في الدلتا . وكان عامه السادس من الحكم سنة خير وفير فالنيل ارتفع ارتفاعا عاليا في مصر نفسها ، كما سقطت أمطار غزيرة في النوبة وكان من أثر ذلك زيادة ضخمة في المحصولات ورخاء كبير ، وفي السنة نفسها استقبل في منف أمه « ابر » التي لم يكن رآها منذ ارتحاله من النوبة ، وليس من شك في أن كل هذه الذكريات التي كتبت بالهيروغليفية تطبع في أذهاننا صورة جميلة ، ولكن ليست هناك اشارة الى الكوارث التي كان على تهرقا أن يجابهها فعلا ، وتقوم المباني التي كرسها في الكرنك ومدينة هابو شاهدا على أنه على طول الوادي كانت الاعمال السلمية تسير قدما حتى خلال المرحلة التي كانت نذر الخطر الحيوى تهدد البلاد من ناحية الشمال الشرقي .

ولقد تجددت مشاعر العداء الكامنة بين القوتين الكبيرتين في عهد سناخريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) الذي بدأت حملته الثالثة باخضاع مدن الشاطئ الفينيقي . وكانت الثورة قد بدأت تشب على أية حال بعيدا في الجنوب فقد طرد سكان المدينة الفلسطينية عقرون ملكهم « بادى » بسبب ولائه لآشور ، أما حزقيا صاحب يهوذا الذي استقبله وسجنه فقد أصبح خائفا وألتمس العون من مصر (٢) وقد هزمت القوات الاثيوبية والمصرية في التكة وأعيد عرش بادى اليه ، واجتاحت الكثير من مدن يهوذا وان لم تؤخذ أورشليم ، وقد اضطر حزقيا لدفع ضريبة ثقيلة حتى يتجنب ذلك الأمر ، ولقد طال الجدل حول الرأي القائل بأن هذه هي المرة الوحيدة التي اصطدم فيها سناخريب بمصر ، ولكن قراءة النص الوارد في ملوك الثانى ١٩ : ٨ - ٢٥ تشير الى اصطدام آخر اذ جاء هناك ان « ترهاقا » ملك اثيوبيا « خرج ليحارب الاشوريين وأن ملاك الرب ضرب العديد منهم في الليل ولما بكروا صباحا اذا هم جميعا جثث ميتة » وتشير الفقرتان التاليتان الى ارتداد سناخريب الى نينوى وبقائه هناك حتى ذبح ، وفي اشارة هيروودوت (٢ : ١٤١) العجيبة ، الطريفة مع ذلك ، الى هذا الهجوم العقيم على مصر نراه يشير الى أن انسحاب الاشوريين بعد وصولهم

(١) Bull. Inst. fr. LI, 28

(٢) A.N.E.T., pp. 287, f.

الى بلوزيوم لم يكن بسبب وباء كما تقرر التوراة بل الى وجود جحافل من الفيران أكلت قسى الغزاة وجعابهم ، وما دام تهرقا لم يخلف شبتكو الا فى عام ٦٨٩ ق.م فانه لا يمكن أن يكون هو العدو الذى هزمه سناخريب فى التكه وما دام ليس تحت يدنا ما يجعلنا نعارض فى دقة رواية التوراة فان علينا أن نفترض أنه استهدف متابعة النصر بضربة تالية منعها الظروف على أية حال . . ولم يقدر للخصمين أن يلتقيا .

ولقد كان من الواضح منذ زمن بعيد أنه يجب الوصول الى ما يحسم الأمور بين العاهلين : الأشورى والآثيوبى اللذين يتساويان فى العناد . ولكن الواقع أنه كان هناك فريق ثالث فى النزاع وكان من المقدر للنصر النهائى أن يعقد له ؛ وكما كانت الحال فى عهد بى عنخى كانت مصر السفلى وجانب من مصر الوسطى مقسمتين الى عدد من الامارات الصغيرة التى كانت مستعدة للانضمام الى أى من القوتين الكبيرتين التى تستطيع أن تترك لها استقلالها . وقد تابع أسارحدون (٦٨٠-٦٦٩ ق.م) وهو ابن سناخريب سياسة أبيه العدوانية بنجاح كبير - ولا تشير المصادر المصرية الى شىء من ذلك - أما اللوحات والألواح المنقوشة بالمسمارية فتقدم بيانات تفصيلية عن الحملات حيث تشير الى أنه بعد أن تم اخضاع سورية طارد تهرقا الذى تراجع مترنحا نحو الجنوب ، وهاك واحدة من المقتطفات الموجزة من خيرة النقوش المحفوظة (١) .

« من مدينة ايشوبرى حتى منف ، مسيرة خمسة عشر يوما ، حاربت كل يوم فى معارك دموية ضد تارقو ملك مصر وآثيوبيا الملعون من كافة الآلهة العظام ، وقد ضربته خمس مرات بسنان سهامى وسببت له جراحا ثم حاصرت « منف » مقره الملكى ودمرتها وهدمت أسوارها وأحرقتها ، .

وبعد أن يذكر الجزية التى حملها معه الى أشور يتابع قوله :

« نفيت كل الآثيوبيين من مصر غير تارك واحدا منهم ليقدم الى الخضوع وعينت فى مصر فى كل مكان ملوكا جددًا وحكاما وضباطا ورؤساء موانئ وموظفين رسميين والهيئات الادارية » .

وحالما خرج أسارحدون لبدء حملة جديدة أصابه المرض فى حران ومات وكان هذا مما مكن تهرقا من أن يستعيد منف ويحتلها حتى طرده منها من جديد اشوربانيبال فى حملته الأولى (٦٦٧ ق.م) وقد وجد الملك

A.N.E.T., p. 293 (١)

الاشورى الجديد ان «الملوك والحكام والبركلاء» الذين عينهم أبوه من قبل كانوا قد هربوا وان الامر يحتاج الى اعادة تعيينهم . ويقدم الرقم الاسطوانى المشهور والمعروف باسم « رسام » قائمة لا تقدر بأسماء هؤلاء الامراء الصغار (١) . وتتناول كل مدن الدلتا الهامة الى جانب مدن أخرى فى الجنوب مثل هرقلوبوليس وهرموبوليس وأسيوط ، وقد تم احتلال طيبة (نبي) للمرة الاولى ولو أن استسلامها كان مؤقنا (٢) .

« تغلب رعب السلاح المقدس لاشور ، ربى ، على تارقو حيث كان قد اتخذ ملجأ ولم يسمع عنه بعد ذلك ثم جلس على عرش مملكته أورد أمانى ابن شبكو وجعل من طيبة واهليوبوليس قلاعاه وجمع قواه المسلحة » .

وتتابع القصة القول بأن اوردامانى ، وهو الاسم الذى أطلقه الاشوريون على الملك الاثيوبى تانواتامون ، أعاد احتلال منف وظل بها حتى عاد اشوربانيبال من نينوى وبدأ حملته الثالثة وعندئذ انسحب الاثيوبى أولا من منف ثم من طيبة و « فر الى كيكيبى » وكان هذا آخر ما نسمع عنه فيما يصل بالنصوص السامرية ، ويزعم اشوربانيبال أنه « غزا طيبة غزوا شاملا وانه حمل معه الى نينوى جزية ضخمة ومع ذلك فانه يبدو أن هذه كانت آخر مرة يظهر فيها فى مصر (٦٦٣ ق م) وقبل أن نتناول بالوصف الترتيبات التى قام بها لانزال الدلتا الى مرتبة العبودية نرى لزاما علينا أن نتابع مصير تانواتامون بقدر ما تسطيع النصوص المصرية أن تلقى ضوءا » .

فى الوقت الذى عثر فى جبل برقل على النص الكبير ل بى عنخى عشر كذلك على نص من عهد تانواتامون يعرف باسم لوحنة الحلم (٣) والاحداث المسجلة بها هى الاحداث نفسها التى سجلتها الرقم الاسطوانية السامرية التى سلفت الاشارة اليها ، ولكننا نجد أنه من الصعب أن نلتقى بتناقض أشد مما نلتقى به عند عرض الاثنتين . فكلتااهما تتحدث عن قصة النصر ولكن المنتصر فى الواحدة اشوربانيبال وفى الاخرى تانواتامون ، ويروى الاثيوبى كيف أنه فى السنة الاولى من حكمه رأى فى الحلم شعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وقد فسر له الحلم على الوجه الآتى :

Op. cit., p. 294 (١)

Op. cit. p. 295 (٢)

B.A.R., IV, No. 919 ff. (٣)

« مصر العليا تخصصك فخذ لنفسك مصر السفلى ، ربنا الصل والعقاب
ظهرتا على رأسك ، اعطيت لك الارض طولا وعرضا وسوف لا يشترك معك
أحد فيها » .

وعندئذ «اعتلى تانواتامون عرش حورس فى هذه السنة وخرج من
المكان نفسه كخروج حورس من خميس (١) ، وتقاسم الى نبتة دون أن
يعترضه أحد وأقام هناك عيدا كبيرا لامون رع ثم قدم ولاء مماثلا لخنوم
فى الفنتين ولأمون رع فى طيبة وقوبل بالترحاب فى كل مكان فى طريقه
الى منف بفرح كبير وكذا عند وصوله الى العاصمة الشمالية .

« وجاء أبناء التمرد والعصيان ليحاربوا جلالته وقام جلالته بمذبحة
كبيرة بينهم وأما أعدادهم فليست معروفة » .

وهكذا عاد تانواتامون الى منف ليتدبر أمر الخطوة التالية ، وعندئذ
جاءته رسالة أن الامراء مستعدون أن يقوموا على خدمته ، وحين سأل أن
كانوا يريدون أن يحاربوا أو هم يرغبون فى أن يكونوا خدما له وافقوا
على الأمر الأخير . وعندئذ سمح لهم أن يدخلوا القصر حيث أنبأهم الملك
أن أمون نبتة كان قد وعده بالنصر . وكان يتحدث عنهم فى الاجابة عليه
أمير بى سوبد وتعهد الجميع أن يخدموه باخلاص ، وبعد أن دعاهم الى
مائدته سمح لهم أن يعودوا الى مدنهم ليمارسوا أعمالهم الزراعية وعندئذ
تفرقوا . . ثم ينقطع النص فجأة .

وربما كان هناك كثير من الصدق فى النصين : الاثيوبي والاشورى
ولكن الطريقة التى يتشابهان بها لا تبدو واضحة تماما ، وقد ذكر تهرقا
وتانواتامون معا على أحد المباني فى طيبة ، ولكن ليس هناك ما يدعو مع
ذلك الى القول بقيام فترة اشتراك فى الحكم ، واما عن نهاية تهرقا فكل
ما نعرفه أنه عاد الى نبتة ودفن فى نوري (٢) وهى على مسافة قليلة الى
الجنوب والأرجح أن احتلال تانواتامون لمنف الذى تم بنجاح ، ثم مهادنته
لامراء الدلتا سبقت اندفاع اشوربانيبال جنوبا الى طيبة ولكن لم تكن هذه
هى النهاية بالنسبة له ، وكان هناك فى طيبة خلال هذه الأيام المليئة
بالمناعب رجل محنك عمل على الاحتفاظ بالقوة الفعلية الى جانب زوجة
الاله شبن وبية الثانية اخت تهرقا ، وقد ذكر «منتمة» للمرة الأولى فى

(١) المكان فى وسط مستنقعات الدلتا حيث امضى الاله حورس طفولته .

(٢) P.M., VII, 223

استطوانه «رسام» من عهد اشوربانيبال حيث يظهر كـ «ملك طيبة» ، وواقع الأمر انه لم يكن سوى «الكاهن الرابع لأمون» وانه كان من سلالة أسرة من كبار أسرات الكهنة ، ومن المؤكد ان نفوذه حجب نفوذ «الكاهن الأكبر» وكان جده يحمل لقب «وزير» أما أبوه نس بتاح فلم يكن سوى «عمدة نى» (طيبة (١)) وله آثار عديدة معظمها فى طيبة بطبيعة الحال ولكن هناك نقشين قصيرين من أبيدوس (٢) يشيران الى أن سلطانه ربما امتد شمالا حتى هذه المدينة ومن أكثر ما نلقاه طرافة نص هيروغليفى طويل - وان كان مشوها تشويها كبيرا لسوء الحظ - يشغل الحوائط الجانبية لغرفة صغيرة فى معبد موت بالكرنك (٣) ، ويرى فى الحائط الخلفى منظر تهرقا وهو يتعبد للآلهة ويتبعه منتمحيه مع أبيه وابنه وهذا يؤكد ان منتمحيه بكل قوته لم يكن يعد نفسه أكثر من واحد من الرعايا الأمناء للملك الأثيوبى ويشيد النص مع ذلك بالمنشآت العديدة المتنوعة والاصلاحات التى تمت ، وهى أمور كانت تنسب فى غير ذلك الزمان الى الفرعون ، أما الملك هنا فيشار إليه اشارة غير مباشرة وينسب منتمحيه لنفسه كل الفضل ، وله الحق فى ذلك من غير شك ، أما الاشارات الى حالة البلاد المقلوبة رأسا على عقب فقليلة ومبهمة وليست هناك من غير شك أية اشارة لاحتلال الاشوريين القصير للعاصمة الجنوبية .

وقد ثبتت ناتواتامون على الادعاء بأنه الفرعون الحقيقى لبضخ سنوات بعد غارة اشوربانيبال الخاطفة على طيبة ، وقد وجدت له عدة نقوش هناك وأحدها يسجل بيع قطعة أرض فى العام الثامن من حكمه (٤) ولا بد أنه كان قد انسحب الى نبتة قبل ذلك بزمان طويل حيث مات هناك بعد ذلك ودفن فى كرو (٥) ٠٠ وهكذا فان المغامرة الاسيوية انتهت بعد أقل من سبعين عاما ومن الواضح أن كل اتصال مباشر بين المملكتين توقف الآن وان بقيت العلاقات التجارية ، وربما كان الحد الشمالى لمملكة نبتة عند بنوبس جنوبى الجندل الثالث وربما كانت الارض بينها وبين أسوان مشاعا تسكنها قبائل متوحشة ، وقد أخذ الاثيوبيون منذ هذه المرحلة يوجهون أنظارهم نحو الجنوب بدلا من الشمال فأسسوا عاصمة جديدة

(١) مقالات كتبها لجران فى Rec. trav., XXXIII, ff.

(٢) P.M., V, 78

(٣) P.M., II, 92 ; B.A.R., IV, 901, ff.

(٤) Ann Serv., VII, 226

(٥) P.M., VII, 196

فى مروى قرب التقاء النيل بالعطبرة حيث ىمكن تربية الماشية وانماء المحصولات وحيث توجد موارد الحديد الوفيرة كذلك ، ولئن كانت العلاقات قد بترت بهذه الصورة بين مصر وأثيوبيا من الناحية السياسية الا أن الثقافة الفرعونية القديمة لم تمت فى الأخيرة الا ببطء شديد فظلت المعابد تمثل على جدرانها المناظر المنقوشة نفسها ، كما صنعت المقابر الملكية على شكل الاهرام وقد عثر على عدد من اللوحات الجميلة مكتوبة بلهجة الدولة الوسطى المصرية مع لوحة بى عنخى فى جبل البرقل وهى تتحدث عن ملك يدعى أسبلتا تقدم وصفا تفصيليا لانتخابه ملكا(١) . وبعد بضعة أجيال نجد نقوشا هيروغليفية مشابهة ولكنها متبربرة الى حد يصعب معه فهمها رغم أنهم كانوا لا يزالون يستخدمون اللغة المصرية وفى الوقت نفسه كانت قسد تطورت من الهيروغليفية المصرية كتابة ذات حروف لتسجيل اللغة الوطنية ، وتطور مع هذا جنبا الى جنب طراز من الكتابة الخطية تتمشى مع الهيروغليفية الوطنية علامة بعلامة ، وقد لعب جرفت أكبر دور لحل رموز هاتين الكتابتين المعروفتين بالمروية ، معا ؛ وليس من مهامنا هنا أن نروى قصة هذا الانهيار التدريجى الذى وصل الى ذروته بتدمير مروى على يد ايزانس الاكسومى حوالى عام ٣٥٠ بعد الميلاد .

مراجع مختارة

الخبينة الكبرى بالدير البحرى

دام بالكشف وقدم فكرة عامة عنه

G. Maspero, Les Momies royales de Deir el-Bahari, Cairo, 1889

G. Elliot Smith, The Royal Mummies, Cairo, 1912 : المومياءات الحقيقية :

G. Daressy, Cercueils des cachettes royales, Cairo, 1909 : التوابيت

J. Cerny, in J.E.A. XXXII, 24-30 : مقبرة النجمى

P.M. I. 198 : مقبرة كهنة وكاهنات آمون ، تعريف بها ،

Ann. Serv. VIII, 3 ff. قائمة كاملة بالتوابيت وأصحابها ومحتوياتها

خصائص الاسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين :

Ed. Meyer, Gottesstaat Militärherrschaft und Ständewesen

in Sitzungsberichte of Berlin Academy, 1928

محاكمة موظف عن طريق الرضى :

E. Naville, Inscription historique de Pinodjem III, Paris, 1883

لقبا « زوجة الاله » و « عابد الاله » :

M. F. Laming Macadam, The Temples of Kawa, Oxford, 1949, I. 119 ff.

تانيس :

P. Montet, Le Néeopole royale de Tanis

1 — Les Construction et le tombeau d'Osorkon II, Paris, 1947

2 — Les Constructions et le tombeau de Psovsennes, Paris, 1951

مختصر وجيز ، قدمه Vandier فى Clio, pp. 534-7

الأسرة الثانية والعشرون :

Reliefs and Inscriptions at Karnak III, Chicago 1954 : البوابة الموباستية

ترجمة وتعليق قام بها :

R. Caminos, The Chronicle of Prince Osorkon, Rome, 1958

E. Naville, The Festival Hall of Osorkon II in the Great Temple of Bubastis, London, 1892

أهمية هرقلوبوليس :

F. LL. Griffith, Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Library, Manchester, 1909, III. 71 ff.

لوحة نترات ، ابن شوشنق الأول :

P. Tresson in Mélanges Maspero, Cairo, 1935-8 II, p. 817 ff.

سرايوم ممفيس : PM. III 205-15

مصر وفلسطين :

T. E. Peet, Egypt and the Old Testament, Liverpool, 1922

حملة شوشنق الأول :

D. M. Noth, Die Shoschenklste in ZDPV LX 277-304

العصر الآثيوبي :

H. von Zeissl, Aethiopen und Assyrer in Aegypten, Gluckstadt, 1955

حفائر قام بها Dows Dunham, G. Reisner في كردو P. M. VII 195 ff.

وفي نوري op. cit. VII. 223 ff. وفي جيل برقل op. cit. VII 203 ff.

حفائر قام بها F. LL. Griffith في كادا op. cit. VII. 180 ff.

وقدم Dows Dunham ملخصا وافيا طيبا عن انجازات الامريكيين عنوانه :

The Egyptian Department and its Excavations, Boston, 1958, pp. 100 ff.

السيجلات الاشورية :

ANET, pp. 282 ff.

Documents from Old Testament Times ed. D. Winton Thomas, London 1958

مردى :

PM VII 235 ff.

Dows Dunham, op. cit. pp. 119 ff.

١٣ التأكيدات الأخيرة للاستقلال

كان سلطان آشور قرابة نهاية حملة آشوربانيبال المصرية فى أقوى مظهره ، وكان قد هزم أعداءه فى كل الجهات ، ولكنهم كانوا أشد استمساكا باستقلالهم من أن يسمحوا له بأكثر من حيز ضيق للتنفس . وبدأ نذر المتاعب أول ما بدت فى عيلاام عدوته التقليدية الى الشرق ، ولم يكذ يتغلب على هذا الخطر حتى قام حلف جديد أوسع مدى أسهم فى جانب منه أخوه الخائن شمش شوموكين الحاكم شبه المستقل لبابل . وكان من الواضح أن آشوربانيبال لا يستطيع أن يستعيد سلطانه على الدلتا الا عن طريق ولاء من عينهم نوابا له هناك ، وكان فى استطاعته أن يترك هناك عددا قليلا من الجند الآشوريين ، وقد اتبع أسارحدون سياسة احلال هؤلاء الأمراء الذين لم يكن يثق فيهم بغيرهم ممن وقع عليهم اختيياره الشخصى وكان من بين هؤلاء الاخيرين نكو من سايس الذى لايبعد أن يكون من سلالة خصم بى عنخى المدعو تف نخته ، ولكن سرعان ما أعلن نكو هذا الثورة وأخذ مع غيره أسرى الى فينوى (١) . وقد أدرك آشوربانيبال حين رآه أنه رجل ذو قدرة واقدام فأظهر العطف عليه وأعادته محملا بالثياب والحلى وأشياء أخرى ثمينة .

« وأعدت له سايس كمقر وعاصمة كان قد عينه أبى عليها ملكا وعينت ابنه نابوشزيبانى على اتريب ، وأظهرت نحوه من الود والصداقة أكثر مما فعل أبى » .

ويجعل مانيتو من نكو الأول هذا الملك الثالث لأسرته السادسة والعشرين ، ويسبق اسمه باسمين غير محققين هما ستيفناتس ونكبسوس اللذان يعدان مشكلة كذلك ، وهناك أسباب تاريخية قوية تدعو على أية حال لاعتبار رابع الأسماء التى يقدمها مانيتو وهو بساميتكوس الأول المؤسس الحقيقى للأسرة ، والاسم كما يبدو من مظهره يشير الى أنه مصرى ومعناه «بائع المزيج» (٢) وفى الاسم اشارة واضحة الى ما يرتبط

(١) A.N.E.T., p. 295

(٢) المزيج هنا هو المزيج المعروف باسم Negus وهو مزيج من خمر وماء وسكر وجوز الطيب وعصير الليمون (المترجم) .

بقصة هيرودوت (٢ : ١٥١) التي تشير الى استخدامه لحوذته (١) كإناء سكيبة وانا لنراء على لوحة أبيس يأتي عقب، تهرقا مباشرة دون أن يرد ذكر ل «اتانوتامون» (٢) . وهكذا فإن مصر في معظمها أصبحت الآن في أيدي أمراء مستقلين كان مهم أن يتحدوا ضد الأجنبي أكثر من أن ينغمسوا في صراع داخلي ، وهكذا نشأ تحت قيادة بسامتكوس ما يعرف بحكم الاثنى عشر الذي يصفه هيرودوت (٢ : ١٤٧) بأسلوبه الروائي المعتاد، وأما ما يذكره المؤرخ اليوناني (٢ : ١٥٢) من أن بسامتكوس ذهب الى سورية هاربا من سبكوس الذي كان قد قتل أباه نكو فمستحيل من ناحية تتابع الأحداث الزمنية ، وأما أين ومتى مات نكو (٣) فغير معروف ، وربما كان بسامتكوس هو الابن الذي أطلق عليه الاسم الاشوري نابوشزيباني ، وعلى أية حال فإن تقرير الحملة الثالثة لأشوربانيبال كما يظهر في اسطوانة (رسم) يشير الى اسم يختلف تماما عن هذا الاسم وعن الاسم في صورته المصرية ، وقد وردت على الاسطوانة تفصيلات الظروف التي مكنت بسامتكوس من تحرير نفسه من السيطرة الاشورية بصورة تستحق الرعاية والتصديق تماما (٤) ، اذ جاء بها أنه حين هاجمت جيحس ملك ليديا جحافل الكميريين المتوحشة استطاع أن يصددهم بفضل معونة آشوربانيبال ، عندئذ كما يقول آشوربانيبال : -

توقف حضور رسوله الذي ظل يرسله لابلاغي تحياته - لأنه لم يكثر بكلمة آشور الاله الذي خلقتني ، ولكنه واثق في قوته وقسى قلبه .

وكانت النتيجة أن غزا الكميريون البلاد جميعا ، وتسلطوا عليها وتشير الفقرة نفسها أن جيحس « أرسل قواته الى توشاملكي ، ملك مصر الذي رفع عن عنقه نير سيادتي » .

ونستطيع أن نلتقي بإشارة مشوهة عن القوات التي أرسلها جيحس الى مصر عن طريق الأثيوبيين والكاريين الذين يرتدون دروع البرونز

(١) F. L.L. Griffith, Rylands Papvri III, 44, 201

(٢) B.A.R., IV, No. 959, 62

(٣) هي كذلك بالهروغليفية وهي بالاشورية لبكو ، أما نحاو التي يوردها مانو فغير دقيقة .

(٤) D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria, II, No. 784-5

والذين - طبقا لما ذكره هيرودوت (٢ : ١٥٢) - عاونوا بسامتكوس على أن يصبح سيد أمراء الدلتا الآخرين وربما كان هذا هو شغله الشاغل خلال السنوات الأولى من حكمه إذ نحن لا نلتقي بأثر مؤرخ قبل العام التاسع - وقد نجح في العمام المذكور في بسط سلطانه على ال « طيبانيد » بالطريقة نفسها التي اتبعها من قبل الفراعين الآخرين . وهناك لوحة كبيرة عن عليها في الكرنك (١) . تقص كيف أنه أرسل ابنته الكبرى نيتوكريس لتصبح « زوجة الهية » لامون خلفا ل « شبن وبه الثانية » أخت تهرقا وقد وصفت أحداث الرحلة الى طيبة تفصيلا ، وكان سيد تسيير السفن المدعو سمثووي تفتنختة مشرفا على السفن وكان يشغل في البرقت نفسه منصب عمدة هرقليوبوليس ، وهناك ما يدل كذلك على أن أعضاء آخرين من أسرته كذلك استمتعوا بهذا الامتياز الذي جعل لهم اشرافا على كل الملاحة في النهر الى الجنوب ، وقد رأينا من قبل أنه كانت لهرقليوبوليس أهمية خاصة في العهد الليبي ، وقد استقلت نيتوكريس لدى وصولها الى طيبة بحفاوة كبيرة أسهمت فيها زوجة الاله القائمة ، وربما كانت أكثر أهمية على أية حال من الوليمة المتأخرة التي أقيمت لها بهذه المناسبة تلك العطايا والثروات التي انهالت عليها ومن بينها على الأقل ١٨٠٠ أرورا من الأرض من سبعة من أقاليم الصعيد بالإضافة الى أكثر من ١٤٠٠ من أربع من مقاطعات الدلتا ومعنى هذا أنها أصبحت مالكة لحوالي الفين من الفدادين . ولم يكن هذا هو كل شيء ؛ ذلك لأن أهم رجال الكهنة لامون وعلى رأسهم منتمحية الدين العريكة زودها بمواد تموين وفيرة أضيفت اليها كميات ضخمة من الخبز أسهمت في تقديمها معابد المدن الرئيسية ، ولسنا بحاجة الى القول بأنه أصبح من الضروري تعيين وكيل كفء لإدارة هذه الثروة وربما كان « ببس » أصبح غير مستحق ليطلق عليه أنه من البشر ، ان هو أحجم عن اغتنام هذه الفرصة وعلى أية حال فإن مقبرته في القرنة (٢) وكذا مقبرة ايبا (٣) وهو وكيل آخر رئيسي في هذه المرحلة من الحكم الطويل يعتبران أقل عجرفة من غيرهما من المقابر العديدة التي ترجع للعصر نفسه والتي تقلد أصحابها الوظيفة نفسها .

(١) B.A.R., IV, No. 933 ff.

(٢) P.M., I, 165, No. 279

(٣) Ann., Serv V, 94-96 ; Op. cit., I, 69, No. 36

وبعد ستين عاما حين أصبحت نيتوكريس عجوزا تجددت العملية نفسها واضطرت أن تتقبل كخليفة لها في المستقبل « عنخنس نفرابرع » ابنة بسامتكوس الثانى وصاحبة أفخم تابوت بالمتحف البريطانى اليوم ، وقد وصلت الى طيبة واستقبلتها هناك أمها التى تبنتها فى العام الأول من حكم أبيها ويبدو أنها منحتها فى الوقت نفسه لقب « الكاهن الأول لأمون » وهى وظيفة لم تحصل عليها من قبل أية « زوجة اله » ومع ذلك فإنها لم تصل الى المرتبة الأخيرة التى هى أكثر أهمية حتى ماتت نيتوكريس فى العام الرابع من حكم ابريس وتروى هذه الأحداث جميعا لوحة موجودة الآن فى متحف القاهرة (١) التى تشير الى استقرارها فى الكرنك وإلى خدمة الكهنة لها ولكنها لا تشير الى الهبات التى برزت بصورة ضخمة واضحة بالنسبة لنيوتوكريس *

وتاريخ مصر فى هذه المرحلة يزداد امتزاجا بتاريخ الشرق الأوسط واليونان ومصادرنا الى جانب هيروdotus هى الوثائق بالكتابة بالمسمارية الاسفينية ثم المؤرخ اليهودى جوزيفوس والتوراة ، وليس من مجال هذه المقدمة أن تتناول الأحداث الرئيسية الا بصورة عامة ، وسنركز على مدى ما تسهم به الهيروغليفية فى هذا المضمار بالنسبة للمصور العامة ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نتجنب رسم تخطيطى للاتجاهات العريضة للتطور ، وربما نمر بسرعة على النصوص التقليدية مثل نص حور (٢) القائد الحربى فى هرقلوبوليس فى المعبد الذى قام فيه بعدد من المنشآت ، ولسنا بحاجة كذلك الى أن نطيل الوقوف عند تمثال نسنيمو (٣) كاهن حورس فى أذفو الذى دفع به بسامتكوس الأول الى الترقى تباعا ليصبح عمدة لثمانى مدن مختلفة ، بعضها فى الدلتا والبعض الآخر فى مصر العليا وإن كانت دلالة هذا العمل الهام تحتاج الى إيضاح وهذا هو على أية حال المجال للأفاضة فى حقيقتين قريبتين بعضهما من بعض ، هما ازدياد تردد دخول الأجانب الى البلاد ، ودرجة ملحوظة من الرجوع الى القديم تبدو فى الفن وفى النصوص الدينية للعصر ، ويبدو أنه كلما امتزج الدم فى المواطنين زاد الحنين للدولة القديمة حين كان القراعين مصريين خلصا ، وتبدو آثارهم فى ضخامة يزيد من إبرازها الاضمحلال الذى يعانونه ويمرون به ، وقد تم فى العهد السائى احياء

Ann. Serv., V, 84 ff. (١)

B.A.R., IV, 967 (٢)

Z.A.S., XLIV, 42, ff. (٣)

ألقاب الشرف القديمة وأخذ النحاتون والنقاشون ينسخون في حرية نقوش الدولة القديمة ربدىء في نقش المقابر بمقتطفات نقلت عن متون الأهرام ، ومنذ تلك الفترة نلاحظ ازديادا واضحا في التدين المصرى ، وكانت عبادة الحيوان قد امتدت جذورها حثيثا وكانت الأقاليم المتجاورة تحارب بعضها بعضا دفاعا عن حيوانها المفضل المرموق ، وقد ازداد بذل منح الأراضي للمعابد وتقبل الملك عن رضا مثل هذه التضحيات من جانب الملوك بقصد اسنرضاء الكهانة الوراثية وليس من شك فى أن الاعتبار السياسي لعبت دورا فى هذا كله لأن بسامتكوس كان بعد هذا كله نصف لىبى واستطاعت العصبية الوطنية الشديدة لدى المواطنين المصريين أن تجد متنفسا عن هذا الطريق ، وانا لنرى - أبعد من هذا - أن السوريين واليهود يتدفقون الى البلاد وأن الأخيرين ينشئون لأنفسهم مستعمرة فى الفنتين حيث سمح لهم كذلك أن يقيموا بها معبدا لالههم ياهو ، وهو يهوه فى نصوص التوراة (١) ، ويجب أن نشير هنا كذلك الى مختلف طبقات السكان المتوارثة التى يضغط عليها هيودوت وضغطا واضحا (٢ : ١٦٤ - ١٦٨) فمنذ عصر الرعامسة أسهم الليبيون وغيرهم من شعوب البحر المتوسط فى القيام بدور هام بالنسبة للجيش التى كان يعتمد عليها الحكام المصريون ، وقد منحت لهم أراضى مقابل خدماتهم . وليس من عجب أن نشهد جهودهم توجه الآن للزراعة أكثر ما توجه لشئون الحرب وربما كان هناك جانب كبير من المبالغة والتحريف فيما يذكره هيودوت بصدد جانب من الأهلى كانوا يعرفون لدى اليونان باسم « ماخيموى » أى « محاربون » وطبقا لما يرويه نجد أن هناك جماعة كانت تدرب من أجل الحرب وحدها ويحرم عليها تعلم أية حرفة أخرى وكانت هذه الجماعة تستقر فى أقاليم مختلفة من الدلتا ومن بينهم الهيروموتيبىون والكلاسيرون وهما شعبتان منفصلتان ، وأما التسمية الأولى فلا نلتقى لها بما يماثلها فى الهيروغليفية ، وأما الثانية فنجدها عدة مرات فى بعض أسماء الأعلام التى تمثل كلمة « شيرى » النصف الثانى منها وتعنى « صغير » ولئن كان هناك مع ذلك قسم خاص من السكان مكرس للحرب تماما ، فما لا نزاع فيه كذلك أن اليونانيين الذين تعمد بسامتكوس تشجيعهم لعبوا دورا هاما فى الموقف المقفم بالأخطار الخارجية والداخلية ، وقد جاء فى أثر الجيوش التى وجهها جيحس تجار ايونيون أسعدهم كثيرا أن يحلوا فى أرض يمثل هذا

(١) Bibliography, Kienitz, p. 39, No. 2 وانظر كذلك المراجع المختارة

فى آخر الفصل .

الحصص والشراء ، وقد رضى بسامتكوس من جانبه أن يحصل على قوات جديدة أتيتمت بأسها لتتم الموازنة مع ال « ماخيموى » الذين كانوا تحت النفوذ المباشر للأمراء المحليين فى أقاليمهم الخاصة ، وقد بدت منهم للملك الساموى بخاصة ميزة هامة هى مهارة المستعمرين اليونانيين كتجار ، وكانت سفنهم تحمل القمح المصرى الى بلادهم ويدفعون مقابله فضة وقد تطلب الأمر قيام حاميات على الجبهة الغربية والجنوبية وذلك الى جانب المجهود الحربى الذى نرى أنه أصبح ضروريا على الحدود الشمالية الشرقية ، ويشير هيرودوت (٢ : ٣٠) الى مثل هذه الحاميات فى دافنى عند بلوزيوم ، وأخرى فى ناحية ليبيا عند « ماريا » وثالثة فى الفنتين ، وهو يتابع القول بأن الأخيرة حين لم تصلها الامدادات مدى ثلاث سنوات ثارت وارتحلت الى أثيوبيا التى كانت تستمتع اذ ذاك بشهرة مظهر من مظاهر «الالدرادو» (١) وهو يشير الى أن بسامتكوس لاحقهم وأن لم ينجح فى اقناعهم بالعودة ، ولدينا مصدر بالهيروغليفية عن ثورة مماثلة وارتحال فى عهد ابريس (٢) ولكن « نس حور » المشرف على الحدود الجنوبية استطاع فى هذه المناسبة أن يعمل على اقناع الهاربين بالعودة .

وتثبت لوحة لابييس أن بسامتكوس مات بعد أن حكم اربعة وخمسين عاما وان خلفه هو ابنه نكو الثانى فى عام ٦١٠ ق م . وكان الملك الجديد لا يكاد يقل عن أبيه اقدا ، ومع ذلك فانه كان أقل منه حظا وليست آثاره الوطنية متعددة جدا - كما أنها لا تكشف عن أية بيانات يمكن أن نستقى شيئا من ورائها ، ويعد هيرودوت مصدرنا الرئيسى مرة أخرى عن مشروعاته التى أنجزها فى البلاد ، وقد اضطر الى التخلي عن محاولة جريئة لربط النيل بالبحر الأحمر عن طريق قناة ، ولكن يكاد يكون من المؤكد أن السفن الفينيقية التى أرسلها لتقوم بدورة ملاحية حول أفريقيا قد نجحت فى هذه المهمة . وأنها عادت عن طريق أعمدة هرقل فى العام الثالث من حكمه ويجب علينا - كى نتفهم المشروعات الحربية التى وجد بسامتكوس ونكو نفسيهما منغمسين فيها فى الجبهة الشمالية ، أن نقدم فكرة عامة عن الأحداث هناك منذ ولاية أولهما للعرش ، ذلك أنه حين سحب آشوربانيبال المنتصر جيشه من مصر لم يكن من المتوقع الأخذ بالثأر بصورة جدية فى تلك الناحية ، ومع ذلك فانه يبدو أن الجيوش المصرية طاردت الأشوريين المنسحبين الى

(١) اصطلاح يعنى الخير العميم والشراء (مروج الذهب)

B.A.R., IV, No. 989-95 (٢)

فلسطين كما حدث قبل ذلك بتسعمائة عام عقب طرد الهكسوس ولسنا نستطيع أن نصدق ما يرويه هيرودوت (٢ : ١٥٧) من محاصرة «أشدود» مدى تسعة وعشرين عاما ، وهي أطول مدة حصار في التاريخ فالرواية لا تكاد تقف على قدميها ، ولكن الخطر بالنسبة لأشور كان يقوم من ناحية الاسكيذيين الذين اكتسحوا البلاد ، ولم يتوقفوا عند الحدود المصرية - كما يروي الكاتب اليوناني (١ : ١٠٥) الا بسبب ما قدم لهم بسامتكوس من عطايا وتوسلات ، وعلى أية حال فان الأمر الذي كان أشد بعثا للخوف هو ظهور امبراطورية كبيرة جديدة في الشمال الغربي من ايران على يد فاروارتس وابنه سياكساريس وقد مات آشوربانيبال في عام ٦٢٧ ق . م وحدث بعد عام أن « جلس نابوبولا سر على العرش في بابل » بعد أن هزم الجيش الاشوري هزيمة ساحقة على يد البابليين الذين كانوا يسعون دوما لتأكيد استقلالهم وفشلت كافة المحاولات من جانب الاشوريين لاستعادة الأرض التي فقدوها ، وفي عام ٦١٦ ق . م أصبح من الواضح أمام بسامتكوس أن قيام تحالف بين الميديين والبابليين يهدد أشد خطرا من أى خطر سابق من ناحية الاشوريين ولذلك قرر أن ينحاز الى أعدائه السابقين ، ولكن القرار كان قرارا تعسا لأنه حدث في عام ٦١٢ ق . م أن سقطت نينوى وتم اجتياحها ونهبها في صورة كاملة . . . وجهد الملك الأشوري « آشور أوبلط » أن يتابع الصراع من حران الواقعة بعيدا الى الغرب ولكن نتيجته ظلت معلقة لبضع سنوات ، ولسنا نلتقي منذ عام ٦٠٩ ق . م بذكر لهذا الملك الأخير من ملوك آشور ، وقد حل محله الآن نكو كخصم رئيسي ل نابوبولاسر و « حين صعد فرعون نخو ملك مصر ضد البابليين » كما تشير الى ذلك التوراة . . . ذهب الجميع معه في أول الأمر وقد أخطأ يوشيا ملك يهوذا في التدخل عند هذه المرحلة الحرجة فقتله نكو في مجده (ملوك ثاني ٣٣ : ٢٩ - ٣٠) وهناك بقية من نص كتب بالهروغليفية عثر عليه في صيدا (١) يشير الى سيطرة الأخير على الساحل الفينيقي وقد يسر له ذلك الأمر امتلاكه لأسطول في البحر المتوسط . وفي عام ٦٠٦ - ٦٠٥ ق . م استولى المصريون على معقل كيموخو وهزموا البابليين في قوراماتي وهما موقعان على الفرات الى جنوب قرقيش (٢) ، وهناك

(١) P.M., VII, 384

(٢) Wiseman, Chronicles, pp. 23, 67

واظر كذلك المراجع المختارة في آخر الفصل

كما جاء فى الأخبار البابلية نرى نبوخذ زر ابن نابوبولاسر « يعبر النهر ليحارب الجيش المصرى الذى كان فى قرقيش . . . » وقد تحارب الجيشان وانسحب الجيش المصرى أمامه . وقد أوقع بهم هزيمة كاملة وضربهم حتى أفناهم . . . وأما بقية الجيش المصرى الذى استطاع أن يفر من الهزيمة ولم تصله امدادات من الأسلحة فإن الجيونس البابلية أحذقت بهم وهزمتهم فى ناحية حماة وبهذا لم يستطع رجل واحد أن يهرب الى بلاد . . . فى ذلك الوقت استطاع نبوخذزر أن يغزو كل اقليم أرض خاتى » (١) .

أو كما جاء فى الملوك الثانى ٢٤ : ٧

« لم يعد ملك مصر يخرج بعد ذلك من بلاده ، لأن ملك بابل كان قد أخذ - من نهر مصر الى نهر الفرات - كل ما كان لملك مصر » . وقد حدثت موقعة قرقيش الكبرى فى عام ٦٠٥ ق . م ومات نابوبولاسر بعد ذلك بشهر أو اثنين . وبعد عودة نبوخذزر السريعة الى بابل ليمارس سلطانه كملك أخذ طريق الرجوع الى سورية ليقوم بحملة على تلك البلاد . وفى عام ٦٠٤ ق . م هاجم البابليون عسقلون ونهبوها . وهو أمر ربما دعا الى الاستعانة بفرعون لم يد المساعدة الى مدينة من مدن الساحل (٢) ، ولكن لدينا ما بدعونا الى تصديق مصدر التوراة فى هذا الصدد مما يجعلنا نعتقد أن الالتماس ظل بغير جواب ، ويبدو أن نبوخذزر لم يتخل مطلقا عن الأمل فى الوصول الى الحدود المصرية ذلك أنه فى عام ٦٠١ ق . م اتجه الى مصر ولكنه رد عنها بعد أن تكبد الكثير من الخسائر فانسحب الى بلاده ، كما يشير الى ذلك الأخبار البابلية ، وقد أنهى ذلك العداوات المباشرة بين البدين لبضع سنوات تالية ، وربما كانت هزيمة البابليين سبب ارتداد يهو ياقيم ، ثم تحالفه مع مصر رغم تحذيرات النبى ارميا (٤٦ : ١٤ وما يليها) .

وقد خلف نكو الثانى بعد موته عام ٥٩٥ ق . م ابنه بسامتكوس الثانى وقد كان حكمه قصيرا نسبيا لم يزد عن ست سنوات ولم يقدر حق قدره فى أغلب الأحيان ، والواقع أن عدد الآثار التى تحمل اسمه أو أسماء موظفيه أكثر نسبيا من عدد آثار سلفيه ، وهناك حملة الى النسبة طال الجدل حولها وتجعل لهذا العهد أهمية خاصة ، وأما

(١) المرجع السابق الذكر pp. 25, 67-68 وكان الاصطلاح الجغرافى «خاتى» فى

هذه الفترة بمعنى كل سورية وفلسطين . انظر صفحة ٢٥٥ .

(٢) Wiseman, p. 28, No. 5

معلوماتنا عن هذه الحملة فمستقاة أصلا من أطول مجموعة للنصوص
اليونانية المنقوشة على أحد التماثيل الضخمة لرمسيس الثاني في
« أبو سمبل » (١) والتي يمكن أن تترجم كما يلي :

« حين جاء بسامتكوس الى الفنتين سجل ذلك أولئك الذين أبجروا
مع بسامتكوس بن ثيوكليز ، وقد وصلوا الى هاوراء كركيس بقدر
ما يسمح النهر ، وكان يقود أولئك الذين يتكلمون بلسان أجنبي
بوتاسمتو ، أما المصريون فكان يقودهم اماسيس » ومن المعروف أن كلا من
بوتاسمتو واماسيس كانا يعيشان في عهد بسامتكوس الثاني ويشغلان
مراكز حربية ذات شأن وقد سجلت الحملة النوبية كذلك على لوحتين
نالهما كذلك تشويه كبير عثر عليهما في تانيس والكرنك (٢) ، وأما
الأولى فمؤرخة بالسنة الثالثة وتشير الى حاكم وطنى ذبحت قواته وأما
الثانية فتشير الى الوصول الى بنوبس . ولكن ان كان مؤكدا بهذه
الصورة أن الحملة (أو كانت مجرد غارة ؟) قد استطاعت الوصول الى
أبعد مما كان يفترض من قبل فانه ليس من المستبعد - كما يقترح البعض -
أن هذه كانت اجابة بسامتكوس على المحاولة الأثيوبية لاستعادة سلطاتها
على مصر ذلك السلطان الذي كان قد ضاع غيب فرار تانواتامون من طيبة ،
ومهما يكن من أمر فان عهده يميزه عداء ملحوظ ضد الأثيوبيين من جانب
الساوئين ، وقد محيت أسماء تهرقا وأسلافه من آثارهم بصورة
منتظمة ، وهناك حدث آخر يمثل مشكلة مشابهة هي التي تشير الى حملة
على فينيقيا في بردية ديموطيقية متأخرة ويبدو أن هذا كان عملا سلميا
مادام قد استدعى كهنة كثير من المعابد ليسهموا فيه (٣) .

كان الموقف في الشمال الشرقي يزداد تعقيدا في الوقت نفسه ،
ففي عام ٥٩٠ ق . م نشهد الملك الباغي الميدي سياكسارس يشغل في
حرب قاسية ضد مملكة ليديا المتناخمة وهي حرب تنتهي بعد خمس
سنوات بزواج سياسى بين الأسرتين (٤) . ومن الواضح أن نبوخذنصر
لم يكن يتطلع الى أى عون من حليفه القوى ، ومع ذلك فانه يبدو أنه
كان من المستحيل عليه أن يظل خاملا حين ثار عليه صدقيا ملك يهوذا

Kienitz, pp. 41-42 (١)

Bull. Inst. fr., L. 157, f. (٢)

Kienitz, p. 25 (٣)

Op. cit., p. 26 (٤)

فى عام ٥٨٩ ق.م فسارح فى بداية العام التالى للاحداد بالمدينة المقدسة ، ومات بسامتكوس الثانى فى عام ٥٨٩ ق.م فخلفه ابنه ايريس وهو الفرعون حفرع فى الثورة (ارميا ٤٤ : ٣٠) الذى بدأ على الفور اتخاذ سياسة تخالف سياسة المسالمة والدفاع التى اتبعها أسلافه ، ويعتبر النبيان ارميا وحزقيا أهم مصادرنا الرئيسية فيما يتصل بتدخله فى سورية ، ولقد أنهى نبوخذرز هذا الحصار (١) لمجابهة هذه المحاولة لتخليص أورشليم . ولكن الحصار تجدد بعد ذلك ، وفى عام ٥٨٧ ق.م سقطت المدينة ودمرت نهائيا وأخذ صدقيا أسيرا الى أريحا ثم سبى الجانب الأكبر من السكان اليهود الى بابل وهرب بعض بقاياهم فيما بعد الى مصر حين أحسوا أن الموقف فى يهوذا أصبح غير محتمل وأخذوا معهم النبي ارميا (ارميا ٤٣ : ٦) وأما الدور الذى لعبه ايريس فى هذه العملية كلها فغامض فالوثائق المصرية صامتة صمتا كاملا فى هذا الصدد ، ويبدو أنه أرسل فى بداية عهده بالحكم جيوشا الى فلسطين لمساعدة اليهود ثم عاد فسحبها ، ويشار كذلك الى هجوم جيشه على صيدا وهجوم أسطوله على صور ولكن النصف الأول من هذه الاشارة لا يتمشى مع بقية الدليل المقدم ، بل ربما النصف الثانى كذلك مادام الكاهن المنفى حزقيال (٢٦ : ١ ، وما بعدها ٢٩ : ١٧ وما بعدها) يشهد بحصار نبوخذرز لصور ويشير الى أنه ظل قائما مدى ثلاثة عشر عاما دون أن يتمكن من الاستيلاء على هذه الولاية الجزيرة (٢) .

وفى عام ٥٧٠ ق.م أنغمس ايريس فى مغامرة جديدة تعسة مزعجة ، والرواية هنا لهيودوت الذى يقص علينا أن اليونانيين أنشئوا فى برقة على الشاطئ الشمالى البعيد لأفريقيا مستعمرة كبيرة ناجحة وهو أمر لم يرتح له المواطنون الليبيون ولجا أحد رؤساء الليبيين ويدعى اديكرات الى ايريس يلتمس حمايته (٣) . ولكن الجيش المصرى الذى وجه الى هذه الناحية لقى هزيمة ساحقة كان ثمنها بالنسبة لـ «ايريس» توجيه اللوم له عن حق ثم فقدانه لعرشه ؛ وأثار عهده الذى يبلغ تسعة عشر عاما من الحكم كثيرة نسبيا ، ولكن أهميته كفرعون ضاعت فى غمار الأهمية التى اكتسبها من اغتصب العرش منه .

(١) Op. cit., p. 28

(٢) Kienitz, p. 29, No. 1

(٣) Hdt., IV, 159

ولئن جردنا رواية هيروودوت عن أماسيس (١) (٥٧٠ - ٥٢٦ : ق.م) من كل الحديث الذي تسرى الحيوية والبهجة في ثناياه فإن مابقى يصلح ليكون تاريخاً معقولاً ، ولقد كان رجلاً من الشعب أُلقت إليه المقادير بالتاج المزدوج بفضل انتهاز الفرصة وسخط أبناء جلدته . وكان المواطنون المصريون متفقين جميعاً على تدعيم مركزه ، بينما كانت الجيوش الموالية لـ إبريس يونانية في أغلب الأمر وهو أمر تبدو فيه بعض الغرابة لأنه كان إلى عهد قريب يشهر الحرب على مستعمرة يونانية ولا يمكن أن تكون الحرب الأهلية التي أعقبت ذلك قد استغرقت أكثر من بضعة شهور وكانت مقصورة على شمال غرب الدلتا ، ويحدد هيروودوت (٢ : ١٦٩) موقع المعركة الحاسمة في مومفيس وتشير لوحة كبرى من الجرانيت الأحمر تروى قصة نصر أماسيس إلى أنها هي سحت مافكا بالقرب من الطرانة على الفرع الكانوبي ، ومن أسف أن هذه اللوحة (٢) الهامة لا تستطاع قراءتها تقريباً إذ استعملت حجراً في بوابة أحد القصور في القاهرة ، وقد أخذ إبريس حياً إلى سايس التي كانت عاصمة له وأصبحت من بعد ، عاصمة لأماسيس ، ويشار إلى أن المنتصر عامل أسيره الملكي في أول الأمر برفق ولكن أسلمه فيما بعد إلى غضبة الشعب ، وتؤكد اللوحة إلى أنه قام بدفنه بكل التوقير الواجب نحو فرعون .

وهناك نص بالمسمارية في المتحف البريطاني يشير إلى أنه حدث في العام نفسه وهو العام السابع والثلاثون من حكم نبوخدزر (٥٦٨ - ٥٦٧ ق.م) بعض العمليات الحربية ضد أماسيس (٣) ، ولكن ليس يبدو من المحتمل أن القوتين دخلتا في صراع مع بعضهما البعض في هذه المرحلة أو بعدها حين خلف العاهل البابلي ثلاثة من الملوك الضعاف ثم رابع هو نابونيدس (٥٥٥ - ٥٣٩ : م) الذي ساقته المتاعب التي حلت به إلى بقة لا تقع أقرب إلى مصر منها إلى شمال سورية وأدوم ولقد استطاع أماسيس أن يثبت بوصفه حاكماً أنه رجل سلام فقد عقد في الغرب حلفاً مع بركة ، ولئن كان قد استطاع أن يخضع بعض المدن في جزيرة قبرص فإن هذه هي غزوته المفردة ، وليس من شك في أن

(١) يكتبه هانتير « امورس » كاسم أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وهو بالمصرية أصلاً الاسم نفسه في الحاليين .

(٢) Rec. trav., XXII, I, ff.

(٣) Wiseman, pp. 94-95

اعتماده على نشاط اليونانيين وجهودهم أخذ يزداد بحيث كان يراه هو ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها . ولقد أكسبته طبيعته التي تنسم بالفطنة والمسألة شعبية كبيرة بين الفريقين بحيث استطاع أن يحمل عن جدارة لقب « فل هليلين » (محب اليونان) (هيرودوت ٢ : ١٧٨) . وكان من مظاهر هذه العلاقات الطيبة زواجه من « لاديكه » وهي سيدة من بركة ، وكذلك إسهامه في إعادة بناء معبد دلفي الذي كان قد تهدم ، ومنحه السخية للعديد من المعابد اليونانية ، وأما صداقته ب « بوليكراتس » طاغية ساموس الموفق ، المخادع مع ذلك ، فهي موضوع القصة المشهورة عن الخاتم وهي القصة التي يرددها هيرودوت (٣ : ٤١ - ٤٣) ومع ذلك فإن شيئا ما كان يجب أن يتم للتخفيف من تحاسد المصريين الوطنيين الذين كان دينه لهم ضخما على أية حال ، ولما كان قد سمح للتجار بالاستقرار في الدلتا فإن اليونانيين أصبحوا قوة يعتمد بها تبعاً لذلك ومن ثم أوقف أماسيس هذا التطور بأن أمر بأن يقصر نشاطهم على المدينة الكبيرة نوقراطيس (١) . وهي المدينة التي كشف عنها بيسرى على مسافة قليلة إلى الشمال الغربي من سايس وكان سكانها جميعاً من اليونانيين وقد شيدت بها مختلف جماعات المستعمرين المعابد الكبرى فسبقت نوقراطيس بذلك الاسكندرية ولم تقل عنها أهمية في عصرها . وكان المصريون واليونانيون راضين على السواء ، وكان هذا التصرف من جانب أماسيس عملية بالغة التوفيق من الناحية السياسية وليس من شك في أنه كان من نتيجة حكمته - ان نحن صدقنا هيرودوت - مقرونة بطبيعته المرحّة وخفة روحه ان استطاع أن يحتفظ بالعرش مدى أربعة وأربعين عاماً وأفنت بالكاد من الكارثة التي حاقت بعد عام واحد (٥٢٥ ق.م .) ببلده .

كان توحيد العالم الذي مرزقته الحروب المتعاقبة أمراً يجب أن يتم منذ زمن بعيد ، وقد قامت المحاولة في هذه المرحلة على نطاق كبير ، وقد جاء الحافز من بقعة بعيدة غير متوقعة اطلاقاً . وفارس - بمعنى الاسم الاصل - هي البلاد الواقعة على طول الجانب الشرقي للخليج الفارسي (٢) وتمتد امتداداً كبيراً إلى الداخل بعاصمتيها برسوبوليس وباسارجاداي . وقد انبثقت من هذا الاقليم الجبلي الشحيح أسرة

(١) P.M., IV, 50

(٢) الخليج العربي

(المترجم)

الآخمينيين الآرية حتى برز فيها كيروش الثانى (حوالى ٥٥٨ - ٥٢٩ ق.م) وكانت أول الممالك التى تم اجتياحها هى ميديا التى لم يستطع ملكها استياجس بن سياكسارس الا مقاومة طفيفة قبل أن يتم إبعاده عن عاصمته إكبتانا التى تقع فى منتصف الطريق بين سوسة وبحر قزوين ، وأعقب ذلك دور ليديا التى قدر ملكها كرويسوس عاقبة الأمر فسعى وراء التحالف مع مصر وبابل ولاكديمون ، ولكن الاستيلاء على سارديس (٥٤٦ ق.م) تم قبل أن يصل المدد المطلوب فلم تعد ليديا بعد مملكة منفصلة (هيرودوت ١ : ٧٩ وما بعدها) وهكذا أصبحت مدن الشاطئ الايونى تحت رحمة الحاكم الفارسى وتركها لتصرف قواده وانطلق كيروش ليوجه جهوده فى ناحية أخرى وكان من الطبيعى أن تصبح بابل هدفه التالى ، ولكنه لم يكن فى عجلة من أمره لمحاربتها ، وكان يحكمها الملك المثقف المولع بالآثار نبونيدس بعد أن قضى عشر سنوات فى المنفى فى تيمنا ببلاد العرب والتى عاد منها فى عام ٥٤٦ ق.م عندما دعاه رعاياه الذين كان قد طال من قبل خلافهم معه ، وقد تم احتلال بابل فى عام ٥٣٩ ق.م. وقد أوحى حكمة كيروش المميّزة له بأن يحفظ على الملك حياته وأن يبعده الى منطقة نائية هى كرمانيا ليصبح حاكما عليها أو لتكون منفى له ، ولا بد أن امبراطورية اتسعت أطرافها بهذه الصورة كانت تتطلب دعما أكبر ولذا فإنه قلما نسمع عن نشاط حربى جديد لكىروش خلال السنوات القليلة التالية ، وكان يدرك على أية حال أن غزو مصر ضرورة فعهد بهذا العمل الى ابنه قمبيزس ، واما هو فقد قضى فى عام ٥٢٩ ق.م. حين كان يهاجم جحافل الطورانيين على حدوده الشمالية وقد استطاع خلال ثلاثين عاما أن يرتفع من بداية وضيعة لكى يصبح أقوى حاكم عرفه العالم حتى هذه المرحلة .

وقد شغلت المشاكل المتعلقة بوراثة العرش قمبيزس مدى الثلاث السنوات التالية، وقد أطلق مقتل أخيه سمرديس يديه لىتابع تنفيذ المشروع الذى كان عهد به اليه أبوه من قبل ، وقد خضعت فينيقيا طواعية وأمدته بأسطول كانت له أهمية كبرى فى عملياته التالية ، وتخلت قبرص عن حلفها مع أماسيس الذى مات فى عام ٥٢٦ ق.م. وهكذا أفلت من الضربة القاصمة التى حلت بابنه بسامتكوس الثالث قبل أن تقع ببضعة شهور . وقد دارت معركة بلوزيوم (٥٢٥ ق.م) فى ضراوة وعناد شديدين ولكنها انتهت بهرب المصريين فى غير نظام الى منف التى استسلمت بعد حصار استغرق بعض الوقت (هيرودوت ٣ : ١٣) وهكذا

انتقلت مصر الى أيدي الفرس الذين يمثلون الأسرة السابعة والعشرين
لدى مانيتو .

ولم يستغرق حكم قمبيزس أكثر من ثلاث سنوات أخرى ولم
يوفق في أية حملات أخرى فكر في القيام بها ، فالحملة ضد القرطاجيين
انتهت الى غير نتيجة لأن الفينيقيين أبوا أن يحاربوا ضد أبناء جلدتهم ،
أما الحملة التي حفزت اليها مطامع أكبر ضد الاثيوبيين والتي أسهم
فيها قمبيز بشخصه فأثبتت فشلا ذريعا بسبب الإهمال في إعدادها ،
وأما القسوات التي أرسلت عبر الصحراء الى الواحة التي استشار فيها
الاسكندر الأكبر بعد ذلك بقرنين وحى أمون (واحة سيوة) فقد اغرقها
طوفان عاصفة رملية فلم يظهر لها أثر ، وقد بلغ غضب قمبيزس من
هذا الفشل المتتابع مداه ويقال انه أدى به الى الجنون ومع ذلك فانه استطاع
أن يستحوذ على مصر كلها ، ويشير هيرودوت الى أن قمبيز كان وحشا
يتسم بالقسوة وعدم التقوى وان جنونه وصل به الى ذروته بقتل العجل
المقدس أبيس ومع ذلك فان هذا الأمر بعيد الاحتمال كنتيجة لدليل
مستقى من السرايوم فهناك عجلاان مقدسان سجل موتهما في عهده
وسجل على نقوش أحد توأبتيهما أن الذي كرسهما لهذا الأمر هو
الملك الفارسي نفسه (١) ، والواقع أن الوثيقة اليهودية (٢) المؤرخة بعام
٤٠٧ ق م تتحدث عن « تدمير كل معابد آلهة مصر في عهد قمبيزس »
ولكن علينا أن ندرك أن السمعة السيئة لهذا الملك كانت قد بلغت اذ ذاك
مداها من الانتشار ، وقد يعزى ماتم من خسارة في هذه الناحية
الى الكف عن تقديم المنح الرسمية المادية التي كانت سارية من قبل ،
وسنرى أن موظفا كبيرا يقدم وجهة نظر أقل قسوة بالنسبة لهذا
الغازي وقد حرص هذا الموظف على أن يسجل احتفاظه بما اسدى
اليه من معروف ببقائه في منصبه الهام خلال الحكم التالى ، وقد تركت
مصر عند عودة قمبيزس الى آسيا فى عام ٥٢٢ ق م تحت امرة والى
« ستراب » هو اريانوس الذى اتهم فيما بعد بالخيانة وعدم الولاء
فأعلم .

وفى الوقت نفسه ادعى « جاوماتا » الماچى أنه سمردس الحقيقى
وكسب أعوانا كثيرين فى أنحاء الاقاليم الفارسية . والروايات متباينة

فيما يتصل بموت قمبيزس الذي ربما حدث عند عودته الى بلاده ليحارب المدعى . وقد انتقل العرش الى دريوس الأول بن هستاسبس وهو أحد أفراد أسرة كيروش وتم تنظيم الامبراطورية الفارسية خلال حكمه الطويل الذي بلغ ستا وثلاثين سنة (٥٢١ - ٤٨٦ ق م) بإدارة بالغة الكمال ومع ذلك فانه قلما نعرف شيئا عن الاحداث في مصر خلال هذه المرحلة ، وقد شغلت سنى حكمه الأول بقمع مشوب بالقسوة للثورات والاضطرابات التي نشبت في أعقاب ذبحه لعدوه جاوماتا ولم يكن في استطاعته أن يقسوم بزيارة لمصر الا حين حل عام ٥١٧ ق م أو حول ذلك ، ولعل مما له أهمية على أية حال من ناحية الإشارة الى اهتمامه بالحضارة القديمة للبلد الذي أصبح واقعا تحت حكمه انه أرسل الى ال « ستراب » في عامه الثالث يأمره بأن يجمع أعقل الرجال من بين جند بلاده وكهنتها وكتابها ثم كلفوا بكتابة القانون الكامل لمصر حتى عام ٤٤٤ من حكم أماسيس وهو عمل ظلوا مشغولين به حتى عامه التاسع عشر (١) ، وليس هناك ما يدعو للشك في صحة هذا الأمر الملكي وان كنا لانعرفه الا من نسخة متأخرة جدا على خلفية بردية ديموطيقية تحوى متنوعات ، والواقع أنها تؤكد ما يرويه ديودور (١ : ٩٥) عن دريوس من أنه يعد من بين أكبر من شرعوا القانون في مصر ، ويعدل هذا الأمر في الأهمية تلك المعلومات التي نستقيها من عدد ضخيم من اللوحات (٢) تؤكد كذلك ما يرويه هيرودوت (٢ : ١٥٨ ، ٤ : ٣٩) عن اتمام دريوس للقناة التي توصل النيل بالبحر الأحمر ، وكان نكو قد اضطر للتخلي عن المشروع ولكن دريوس لم يقم باصلاح القناة كلها فحسب بل استطاع كذلك ان يوجه فيها أربعة وعشرين سفينة محملة بالجزية الى فارس ، وقد أقيمت اللوحات التي تخلد ذلك الأمر على مراحل على طول ضفتي القناة مكتوبة بالهيروغليفية وبالمسمارية وان كانت في حالة تدعو للأسى ولكنها تروى القصة بصورة لا يمكن أن تخطئها ، وهناك أكثر من دليل يشير الى أن دريوس اتبع في حكمه لمصر مبدأ اصطناع شرعيته كفرعون يتابع تنفيذ مشروعات أسلافه الساويين وهو وحده من بين ملوك الفرس من تابع أعمال التشييد في معابد الآلهة المصريين ، فاقامة المعبد الضخم المحفوظ جيدا حتى الآن وهو معبد آمون في واحة الخارجة (٣) ترجع إليه وحده تقريبا ، وهو

(١) انظر قائمه المراجع في آخر الفصل

(٢) Posener, pp. 48 ff.

(٣) P.M., VII, 277 ff.

يصطنع هنا - كما فعل قمبيزس من قبل - الالقاب الفرعونية الكاملة، وهناك قائد كانت مهمته أن يستدعى عمه البلاد ليحضروا الهدايا لتحنيط العجل أبيس وكان يحمل نفس اسم الملك اماسيس مسجلة فى خرطوش وان كانت اللوحة تشير الى الغزو (١) ، وهناك كذلك خنم ايبرع المشرف على الاعمال فى الأرض قاطبة كان لقبه ممائلا لنفس اسم الملك (٢) ، وتتابع نقوشه الصخرية الكثيرة فى وادى الحمامات من آخر سنى حكم اماسيس حتى العام الثلاثين من حكم دريوس ، ولكن التخليد الوحيد بالهيروغليفية عن كل العصر الفارسى ، هو ما نجده فى سيرة حياة أحد الأفراد وهو نقش على تمثال جميل فى الفاتيكان (٣) كان يصاحبه ودجاحارسنه قائدا للسفن التى ترتحل فى البحر فى عهدى اماسيس وبسامتكوس الثالث ولكن رواية عمله التالى تبدأ بوصول الفرس الى بلاده .

« وجاء الى مصر الرئيس الكبير لكل بلد أجنبية ، قمبيزس ، وكان معه الأجانب من كل البلاد وحين تملك الأرض كلها - استقروا هناك حتى يصبح الحاكم العظيم لمصر والرئيس العظيم لكل بلد أجنبى وأمرنى بجلالته أن أكون كبير الأطباء وعيننى الى جانبه كرفيق ومدير للقصر وجعلت كنيته فى لقبه كملك لمصر العليا والسفلى مسوتى رع وجعلته يعرف عظمة سايس التى هى مقر نيث العظمى الام التى ولدت رع والتى كانت أول من بدأت الولادة بعد أن لم تكن هناك ولادة » .

والفكرة التى تضمنتها الكلمات الأخيرة ، تتوسع بسبب ذكر المعبد الفعلى ل نيث وكذا مصليات أخرى فيما كانت تعرف بالعاصمة الساوية ، ثم يتابع المتحدث قوله فى ناحية أخرى من التمثال :

« قدمت ملتمسا الى جلالة ملك مصر العليا والسفلى قمبيزس يتصل بأولئك الأجانب الذين استقروا فى معبد نيث وأمر بجلالته أن يبعدوا عنه وان يغدو معبد نيث كما كان من قبل فى كل جلاله وبهائه ، وأمر بجلالته ان يطرد من معبد نيث كل الأجانب المستقرين وان تهضم بيوتهم الموجودة فى أحواشه وأن يلقى بمتاعهم خارج أسواره وأمر بجلالته بأن ينظف معبد نيث وان يحل به ناسه مع كهانة المعبد وأمر

(١) Posener, pp. 41 ff.

(٢) Op. cit., pp. 88 ff.

(٣) Op. cit., pp. 1 ff.

جلالته ان تمنح الايرادات الى نيث العظمى أم الاله وكذا للآلهة العظام الذين فى سايس كما كانت الحال من قبل وأمر جلالته ان تقام الاعياد والاحتفالات والمواكب التى كانت تقام من قبل . وفعل جلالته هذا كله لأننى جعلت جلالته يقدر عظمة سايس ، انها مدينة كل الآلهة وهم يستقرون فوق عروشهم فيها الى الأبد » .

ومن الطبيعى ان «اودجاحاررسنة» اهتم فقط بأن يباهى بنفوذه على مولاه الجديد ولكن ليس هناك ما يدعونا للشك فى أن قمميسزس رغب - حين راقه الأمر - أن يمجّد آلهة مصر ويشير النص الى أنه تقدم الى الربّة وأظهر اتضاعه أمامها كما كان يفعل كل ملك من قبل ثم أقام لها وليمة بعد ذلك - ومن الواضح أنه رغم التحيز البين فى هذه الفقرات فانها يجب أن توضع مقابل اللعنات والشتمات التى يعد هيرودوت مسئولاً عنها ، وانا لنرى اودجاحاررسنة يمس مسا خفياً أمر « الاضطراب الشديد الذى حل بكل أرض مصر » ولكن هناك ما هو ادعى لاثارة الانتباه فى هذا النص الفريد وأن كان يكفى هنا أن نشير اشارة موجزة الى بيت الحياة أو الـ « سكربتوريا » التى أرسل دريوس - وهو فى عيال - اودجاحاررسنة ليعيد تأسيسه فى مصر وقد أمر ان يمون بالموظفين « من اصحاب المراكز على الا يكون من بينهم رجل فقير » ومن الواضح ان اودجاحاررسنة كانت صلته بالادارات المتصلة بالطب فهو لم يكن كبير الأطباء فحسب بل ان النص يشير الى هدف الـ « سكربتوريا » الذى كان عليه تأسيسه بأنه « لاهياء كل ما هو معتل » وعلى أية حال فان هذه الجمل تكشف من جديد عن الطريقة المستنيرة التى مارس بها دريوس واجباته كملك على مصر فهو لم يكن مجرد طاغية تواق للسلطان يرضى بأن يترك شئون ولاياته فى أيدي ولاته .

وهناك بردية ديموطيقية كبيرة عثر عليها فى الحية استطاع جريفث أن يفك رموزها بصورة تدعو للاعجاب وهى تعدل النص السابق أهمية من ناحية تاريخ تلك المرحلة ، وان كانت من طبيعة تختلف تماماً عنه ، والبردية عبارة عن شكاية ربما كتبها فى العام التاسع من حكم دريوس كاتب متقدم فى السن من أحد المعابد يدعى بتيزه ، وهو يشكو من أضرار حاقت به وبأسرته فيما يتصل بكهانة أمون فى موطنه تويد زوى (الحية) وكذا فيما يتصل بكهانة آلهة آخرين حملوا معهم الموارد الرئيسية . والقصة التى يرويها بتيزه بالغة التعقيد والارتباك كما أن الأحداث التى يرويها ترجع الى ما قبل ذلك بمائة وخمسين سنة

الى السنة الرابعة من عهد بسامتكوس الاول ، وكان سلفه من ذلك الاسم يحمل اسمه نفسه قد رمم المعبد المهدم لأمون بالانابة عن ابن عمه وهو بتييزة آخر كان رئيس الأسطول يقيم فى هرقليوبوليس ماجنا وكان الحاكم الفعلى لمصر العليا وقد اسندت الى بتييزة الاول كل الكهانات المذكورة مكافاة له على هذه الخدمات ، ولكن خلفا له بعد أربعة أجيال كانت له قضية قائمة تتصل بجريمة قتل وسجن وكان له العديد من الاعداء من ذوى الشخصيات نجحوا من وقت لآخر بمعونة السلطات العليا القائمة فى أن يحرموا أسرة بتييزة من حقوقها وقد عاونهم فى ذلك آخرون وصفوا عادة بأنهم « الكهنة » ولسنا نستطيع هنا أن نقوم بمحاولة لتقييم الدقة التاريخية لهذا كله ولكن مما ليس يحتمل الجدل أن العالم الذى تتناوله البردية كان عالم اختلاس وابتزاز وفساد . وهناك اشارة تتصل بمصدر آخر تذكر رئيس الأسطول نفسه التقينا بها من قبل (صفحة ٣٨٤) عند الحديث عن الترتيبات لرحلة زوجة الاله « نيتوكريس » الى طيبة ، وبقدر ما كان حكم دريوس يتسم بالتعقل والاستنارة فان امبراطوريته بلغت من الاتساع حدا لا يسمح بأن تظهر عليها على الفور علامات القابلية للانكسار . وقد ثارت المدن الايونية فى عام ٤٩٩ ق.م. وأصبح الأمر أمر وقت لتقوم الحرب بين فارس واليونانيين الغربيين بعد أن قدمت أثينا وأترتيا العون لهذه المدن الشائرة ولم تلبث الهزيمة المدوية ل أرتافرنيس ابن أخ دريوس فى ماراثون (٤٩٠ ق م) ان ادت الى انعكاس خطير فى الشرق الأوسط كله ، ففي عام ٤٨٦ ق م ثار المصريون ولم يقدر لثورتهم أن تخمد نهائيا حتى العام الثانى من حكم اكزركسيس الذى خلف أباه قرابة نهاية عام ٤٨٥ ق.م. ويروى هيرودوت (٧ : ٧) ان الحاكم الجديد « أنزل مصر الى لون من الاستعباد أقسى مما عرفتة فى عهد دريوس » ولسنا فى حاجة الى القول بأن اكزركسيس أفاد من سلطانه هناك ليبلغ أهدافه فقد لعب أسطول مصرى ضخما دورا هاما (٧ : ٨٩) قبل معركة سلاميس التى سعى من ورائها للانتقام من اليونانيين . ولم يفعل اكزركسيس سوى القليل - بل لم يفعل شيئا - لصالح المصريين أنفسهم ، وآثار العهد تكاد تكون بكما ، فلم تبين معابد ولم يستخدم سوى قلة من المصريين ويبدو أن مصر العليا كانت هادئة تماما خلال تلك السنوات ونستطيع أن ندرك ذلك من وراء زيارات متعاقبة كان يقوم بها فارسي على فترات الى وادى الحمامات بدأت للمرة الاولى من العام السادس من حكم

قمبيزس واستمرت حتى العام الثاني عشر من حكم اكركسيس (١) ، وهو يشير الى شخصه بوصفه حاكم فقط وربما كان مكلفا بحماية الطريق الى البحر الاحمر ، وقد قام أخوه الاصغر من بعده بنيارات مماثلة في عهد اكركسيس وأضاف الى اسمه الفارسي الاسم المصري الصميم « زيحو » .

وقد حدثت حوالي هذه الفترة تغيرات كبيرة في حضارة أرض الفراعنة التي ظلت حتى اذ ذاك تسير على وتيرة واحدة تقريبا ، وكان الاهلون - كما كانت الحال من قبل - يمارسون أعمالهم الشخصية بلغتهم مستخدمين في ذلك أسلوب الكتابة الذي عرفه اليونان تحت اسم « أنكوريالى » أو « ديموطيقى » وكانت مصر حتى الآن - فيما يتصل بالحكومة - أبعد أقاليم امبراطورية أجنبية كبيرة وقد ترك الملك الفارسي المولى ، المقيم في سوسة أو بابل الادارة الحقيقية في يد حاكم محلي يعرف بـ « ستراب » (والى) وقد استخدمت الآرامية لغة وكتابة في كل الشئون المكتوبة ، وكلمة آرامية اصطلاح سامى شاملى استطاع أن يمتد من غير شك جنوبا فيما بعد ، بعد أن أنتشر انتشارا عريضا حتى وصل الى ميزوبوتاميا مع المسيبيين هناك مثل اليهود المنفيين الذين سمح لهم كيروش أن يعودوا الى موطنهم الأصلي ، وقد حل هذا المصطلح تماما محل العبرانية في فلسطين ، وليس لنا أن نتخيل أن استخدام الآرامية في مصر كان مقصورا على اليهود وإن كانت هذه الانطباعة قد يدعو اليها ما عثر عليه من العديد من البرديات الكثيرة الهامة في الفنتين الى شمال الجندل الاول مباشرة ، والحق يقال ان الاشخاص الذين تناولهم الحديث فيها كانوا جميعا أو في معظمهم يهودا ، ولكنهم كانوا أيضا أعضاء في حامية الحدود ومن ثم فإنهم يعملون في خدمة النظام الفارسي . ولعل أكثر الأدلة ابانة على أية حال أن الآرامية كانت هى الوسيط في تنفيذ أوامر الادارة الفارسية مجموعة من الخطابات وجه معظمها الى ارسامس الذى كان يباشر سلطاته خلال كل الربع الأخير من القرن الخامس الى أتباعه في مصر . وقد صدرت هذه الخطابات المكتوبة على الجلد من مقر الوالى الذى ربما كان مدينة منف ، وقد اشتراها تاجر لم يستطع ، أو لم يشأ أن يكشف عن المكان الذى عثر عليها فيه .

ولسنا نعرف سوى القليل أبعد من ذلك عن مصر فى القرن الخامس

(١) Posener, pp. 123, 178

عن غير طريق المؤرخين اليونانيين الذين لا نجد في رواياتهم سوى ما يتصل بعلاقاتها بالآثينيين وقد أعقب الاضطرابات التي تلت مقتل اكزركسيس الاول (٤٦٥ ق م) شغب شديد في شمال غرب الدلتا ، فقد ثار ايناروس (١) بن بسامتكوس - والاسمان مصريان وان كان ثيوسيدس (١ : ١٠٤) يطلق عليه لقب ملك الليبيين - وجعل من حصن ماريا الذي لا يبعد كثيرا عن الاسكندرية قاعدة له ، وقد حدث اول صدام بالفرس عند بابريمس وهو مكان لا يمكن تحديده تماما ويقع ناحية الغرب على أية حال ، وقد هزمت القوة التي تحركت تحت امره الوالى اخمينيس - شقيق اكزركسيس - وقتل هو ، واما بقية الجيش فانسحبت الى منف وتحصنت بها واستطاع ايناروس بذلك أن يضغ يده على الدلتا كلها ولكن يبدو انه لم يعلن نفسه ملكا ، وكان الخلاص الذي لا مناص منه من الحكم الفارسى يراود النفوس من بعيد ، وقد سعى ايناروس الى تحقيقه عن طريق التماس عون الآثينيين الذين كانوا اذ ذاك قد تفوقوا في حروبهم ضد الفرس في قبرص ، وقد تم عن طريق هذا العون الاستيلاء على ثلثي منف أو « الحائط الابيض » ٠٠ كما أشار اليهسا ثيوسيدس عن حق - ولكن الثلث الباقي ظل في قبضة الفرس حتى تمكن القائد الفارسى ميخابيزوس أن يرد المحاصرين الذين وجدوا أنفسهم بدورهم محاصرين في جزيرة في المستنقعات تدعى « بروزوبيتس (٢) » ولكن نصر ميخابيزوس لم يتحقق حتى عام ٤٥٤ ق م. وقد استطاعت قلة من الآثينيين أن تهرب كما أمكن القضاء على عدد من السفن جاءت متأخرة لتمد يد المساعدة ، وقد سقط ايناروس نفسه في أيدي الفرس ثم صلب (٣) ، ومع ذلك فان هذه لم تكن خاتمة الثورة فقد ظل أحد القادة ويدعى « أميرتايوس » وهو اسم مصرى بحث كذلك - بعيدا عن الهزيمة في أقصى الركن الغربى من الدلتا ، وقد استدعى بدوره الآثينيين من جديد ليعاونوه وتحركت بعض سفنهم فعلا ، ولكن موت القائد اليونانى «سيمون» في قبرص كان سببا في عودتها (٤) . وقد أعلنت الهدنة عقب ذلك بين أثينا وفارس (٥) وانتهى أمر تدخل الأولى في الشؤون المصرية (٤٤٩ - ٤٤٨ ق م) .

(١) Kienitz, P. 69, From Thuc, I, 104; Hdt. III, 12; VII, 7

Thuc, I, 109 (٢)

Thuc, I, 110 (٣)

Thuc, I, 112; Hdt., II, 140; III, 15 (٤)

C.A.H., V, 469-71 Keinitz pp. 72-3 وانظر كذلك (٥)

وقد ساد السلام مصر جميعها فيما عدا غرب الدلتا وقد قوبل بالترحاب الاجانب من كل البقاع وبخاصة اليونانيين الذين اتسعت تجارتهم بحيث لم تعد نقراطيسى أهلا للاحتفاظ بمركزها الاحتكاري وفقدت بذلك أهميتها الملحوظة وقد قام هيروdot بعد عام ٤٥٠ ق م بقليل بجولة في مصر ، ولئن كانت الدعاوى الملققة بغير شك التي تشير الى أن فلاسفة القرن السادس أمثال « ثاليس » و « بيثاجوراس » قد أخذوا الكثير من حكمتهم من مصر فإن هذا يدعونا لأن نرتاب كذلك فيما يتصل بـ « ديموقريطس » الأبديري و « افلاطون » ولسنا نستطيع مع ذلك الا القول بأن البلاد كانت مفتوحة أمامهم ، وقد نشأت من غير شك بعض الكراهية ضد الاجانب بل ربما حدثت ثورة صغيرة ضد الحكام الاجانب ، ولكن الامر في مصر العليا بخاصة كان يتطلب اختلافات في الجنس والدين ليحيل أى قلق الى اشعال ثورة ، وقد تم أمر مماثل لهذا في جزيرة الفنتين في عام ٤١٠ ق م * ذلك أن من كانوا يعبدون ياهو (صفحة ٣٨٧) كانوا يعيشون ملاصقين لكهنة الاله خنوم ذى رأس الكبش وقد أفاد الكهنة الوطنيون من وجود الوالى ارساميس بعيدا في الخارج ليقدموا رشوة للقائد المحلى فيداراناچ وكانت نتيجة ذلك هدم المعبد اليهودى تماما ، وقد عوقب فيداراناچ ومع ذلك مر وقت طويل قبل أن يعاد بناء المعبد ، وتشير البردية الآرامية التي تتناول هذا الامر الى شكوى أرسلت الى باجواس حاكم اليهودية تلتمس إعادة البناء ويبدو أنها لقيت قبولا (١) .

والسنوات الاربعون التى تنتهى بموت دريوس الثانى فى عام ٤٠٤ ق م خالية تماما من أية اشارة تتصل بمصر ، ولسنا نراها تدخل فى خضم الأحداث حتى ولاية اكزركسيس الثانى حين تعاود الظهور على مسرح الشرق الاوسط ، وينهى مانيثو عند هذه النقطة الاسرة السابعة والعشرين من الحكام الفرس ويجعل أسرته الثامنة والعشرين تحوى ملكا واحدا هو امرتايوس الساوى الذى يحتمل أنه كان من أقرباء امرتايوس الذى حمل من قبل لواء الصراع لذى بدأه ايناروس بعد أن قبض أعداء الاخير عليه ، ويشير المؤرخون اليونانيون الى الفرعون الجديد اشارة تحتمل الشك ف « ديودورس (١٤ : ٣٥) » وهو عهدتنا هنا - يطلق عليه خطأ « بسامتكوس » من نسل بسامتكوس المشهور » وتشير القصة هنا الى أنه بعد معركة سيناكسا (٤٠١ ق م)

التي هزم فيها الأمير المتمرد كيروش ثم قتل ، وهرب صديقه القائد البحري تاموس - الذي كان قد عينه حاكما على ايونيا - الى مصر فرارا من انتقام والى اكرزكسيس الثساني المدعو نسافرينس ، وقد نقل معه كل سفنه ولكن امرتايوس - ان كان هو بسمتكوس الذي يشير اليه ديودورس - قتل تاموس ، وتشير رواية مصرية من العصر المتأخر أن امرتايوس اعتدى بصورة ما على أحكام القانون ومن أجل ذلك لم يسمح لابنه أن يخلفه وانا لنلاحظ أن الاعتقاد بأن النجاح في الدنيا والسلوك القويم مرتبطان بعضهما ببعض أوثق ارتباط يلقي صدى في تلك البردية السرية العجيبة التي تحمل تسمية غير دقيقة هي « الاخبار الديموطيقية ، وهي البردية نفسها التي عرفنا منها أمر استرداد قمبيزس للمنج التي كان قد وهبها للمعابد (صفحة ٣٩٤) وكذا أمر داريوس بتسجيل قوانين البلاد كتابة (صفحة ٣٩٥) وعلى أية حال فان ما يعنينا هنا ما جاء على الوجه الرئيسي للبردية وهو عبارة عن خليط من توابخ تقاويم واعياد واشعارات جغرافية ربما لا تكون لها قيمة أو معنى بالنسبة لنا بغير ما تعنيه أو تشير اليه من تنبؤات تصحب كل فقرة وهي ذات أهمية تاريخية كبيرة بقدر ما تشير في تتابع سليم الى مجموعتين من الملوك « جاءوا بعد الميديين » (أي بعد الفرس) من أمير تايوس حتى تيوس ، ثاني ملوك الاسرة الثلاثين طبقا لما نيتو ويزعم النص التكهني بهذه الصورة ايجاد صلة سببية ونتيجة بين السلوك الذي يتسم بالفضيلة وبين الحياة الناجحة على الارض وهو من ثمار تفكير كهانة القرن الثاني قبل الميلاد . ويشير مانيتو الى أن أمير امرتايوس حكم ست سنوات وربما كان هذا صحيحا مادامت البردية الآرامية من الفنتين تشير الى وعد بسداد أحد الديون مؤرخ بالعام الخامس (١) له ، ولسنا نجد إشارة له بعد ذلك الا في خطاب من المصدر نفسه يذكر اسمه في اتصال وثيق باسم نفريتس خلفه المباشر . . . ولسنا نجد له آثارا خلفها . . . وهكذا فاننا لا ندرى من أين جاء الى العرش وكيف فقدته .

ومن هذه المرحلة حتى غزو الاسكندر الاكبر في عام ٣٣٢ ق م نجد ان الهدف الوحيد لسياسة مصر الخارجية هو الدفاع عن استقلالها ضد امبراطورية ظلت تتشبث بفكرة انها ليست سوى اقليم ثائر - ولقد كانت سياسة مصر هذه ناجحة فيما عدا فترة عشر سنوات قرب النهاية

وكانت هناك عقبة دائمة على أية حال هي المنافسة بين مختلف عائلات أمراء الدلتا ، وقد برزت الأسرة التاسعة والعشرون - طبقا لمانييتو - (وأثارها منتشرة في مصر حتى طيبة جنوبا) من المدينة المشهورة مهندس وهي تضم أربعة ملوك حكموا قرابة عشرين عاما (٣٩٩ - ٣٨٠ ق م) وكان يحمل أول الملوك - كما يحمل آخرهم - اسم نفريتس الذى يعنى بحرفيته « عظماءه مفلحون » وقد حكم نفريتس الأول ست سنوات بينما لم يحكم نفريتس الثانى سوى أربعة شهور ، وهناك اختلاف بين قائمة مانييتو وبين « الاخبار الديموطيقية » بسبب ارتباطا بين بعض المهتمين بالدراسات المصرية ذلك أن مانييتو يضع اخوريس (وهو هكور أو هجور بالمصرية) قبل بساموتس (ابن موت) بينما تعكس البردية هذا الترتيب . والحل المحتمل هنا هو ان العام الاول للملكين واحد ومن ثم فان الرايين صحيحان ، ول « بساموتس » آثار وحيدة في الكرنك نقش عليها اسم « اخوريس » ، والذى حكم عاما واحدا بينما نجد ل « اخوريس » آثار عديدة منتشرة في أنحاء مصر تشير الى أنه حكم مدى ثلاثة عشر عاما ولئن كنا أطلنا بعض الشيء بالنسبة لهؤلاء الفراعين غير الهامين فان ذلك بسبب ما ذكرته « الاخبار الديموطيقية » من ناحية الاحكام الخلقية التى سلفت الاشارة اليها وذلك لأنها تعكس بالتأكيد تاريخا صحيحا . وهكذا فانه يقال عن اخوريس انه استطاع أن يبلغ هذا المدى من الحكم « لأنه كان كريما بالنسبة للمعابد » ولكنه « خلع لأنه خالف القانون ولم يكثر باخوانه » .

ونحن ندين للمصادر اليونانية بمعلومات أقل ابهاما فنعرف من اكسينفون (Anab. I. 4-5) ان فارس جمعت جيشا قويا في فينيقيا كان الهدف منه من غير شك اخضاع مصر (١) ولكن المشروع لم يتحقق بسبب مغامرة كيروش الخطرة التى لم تكلل بالنجاح وكان من أثر ذلك ان وجدت المدن اليونانية في آسيا الصغرى ، التى ظاهرتة - نفسها في خطر محقق ، وقد خرجت اسبارطة - وان كانت تحس بعظم ما هي مدينة به لكىروش - لانقاذها بانضمامها الى مواطنيها الذين كانوا لا يزالون شديدي البأس (٤٠٠ ق م) وقد استغرق الصراع عشر سنوات . وسعت اسبارطة في عام ٣٩٦ ق م . للتحالف مع مصر وسرعان ما لبثت مصر النداء ، ويرى ديودوروس (١٤ : ٧٩) ان المصري نفريوس (أى نفريتس الاول) استجاب الى دعوة الملك الاسبارطى

اجسيلاوس بأن وضع تحت تصرفه نصف مليون مكبالا من الجبوب ومائة سفينة من ذوات الثلاثة الصفوف من المجاديف ، وقد اشترط أن يحضر لأخذ هذه المنحة الطيبة الاسطول الاسبرطى ، ولكن قبل أن يصل الاسطول الاسبرطى الى رودس كانت تلك الجزيرة قد سقطت فى أيدي الفرس وهكذا فان قائدهم البحرى كونون الاثينى استطاع أن يستحوذ على كل ما أسهمت به مصر .

ولم يمض سوى قليل حتى اعتلى اخوريس العرش (٣٩٣ ق م) . وأدرك ان الحلف مع اسبارطة أثبت عدم جدواه فتطلع الى السعى وراء عون آخر وجده فى عقد معاهدة مع ايفاجوراس الملك القوى الطموح فى سلاميس فى قبرص الذى كان قد استطاع قبل ذلك أن يجعل من نفسه سيدا على الكثير من المدن الأخرى فى الجزيرة - وكان ايفاجوراس صديقا للقائد البحرى كونون ومن ثم فان الارتباط به يحمل فى ثناياه الارتباط المباشر باثينا ، وكانت الحرب وقت ذاك قد اجهدت كلا من فارس . وأسبرطة وتمت معاهدة صلح انتالكيداس فى عام ٣٨٦ ق م أطلقت بمقتضاها يد فارس كل المدن اليونانية فى آسيا الصغرى مقابل الحكم الذاتى المستقل فى كل الولايات الهلينية الأخرى (١) وكان من أثر ذلك ان وجد اخوريس وايفاجوراس نفسسيهما وحيدين كما وجد ارتكزركسيس نفسه حرا فى التعامل مع من يشاء ، وكانت مصر أول من هاجم ، وكانت قد أصبحت اذ ذاك قوية وغنية ، وترك خبرياس - من خيرة قادة العصر - اثينا ليدخل فى خدمة اخوريس ولسنا نعرف سوى القليل عن هذه الحرب فيما عدا انها امتدت حتى عام (٣٨٣ ق م) . وان ايزوكراتس الاثينى مؤلف المقطوعات القصيرة أشار اليها باحتقار . وقد أثبت ايفاجوراس قدرته على مد يد العون فتحرك بجيوشه الى معسكر العدو واستولى على صور وبضعة مدن فينيقية أخرى ولكن حظه تعثر فحوصر فى مدينته سلاميس بعد أن هزم فى معركة بحرية هامة وقد ظل يتحدى الفرس أكثر من عشر سنوات ، وكان اختلاف الثوار فيما بينهم مما جعلهم يقبلون خضوعه على أسس مشرفة (٣٨٠ ق م) (٢) وبعد أن قضى وقتا طويلا كمولى مخلص للملك الفارسى راح فريسة مؤامرة ، ولئن صدقنا ما جاء فى « الاخبار الديموطيقية » فان سوء الطالع ، أصاب اخوريس فى النهاية ذلك انه بعد حكم نفريتس الثانى

(١) Op. cit., p. 84

(٢) Kienitz, pp. 86-87

مدى أربعة شهور انتقلت الملكية الى يد قائد من سمينيتوس (سمنود)
وتضم الأسرة الثلاثون - طبقا لمانيتو - ثلاثة ملوك يتشابه اسم الأول
والآخر منهم (نكتانبس أو نكتانبوس) ويمكن التفرقة بينهما عن
طريق الاختلاف اللفظي بينهما نخت نب أف ونخت حارجي ولقد أصبح
من المؤكد اليوم رغم ما ثار من قبل من اختلاف حول اسبقية أحدهما
على الآخر أن أسبقهما لولاية العرش هو نخت نب أف (١) وقد تترك
كثرة آثاره (٢) التي خلفها فكرة عن سلم متصل وتقدم . وقد قام بتشبيد
أقدم المباني في فيله وقد خلد ذكراه في ادفو ما منحه من أراض
كثيرة لمعبد حورس . وهناك لوحة كبيرة في الاشموتين (هرموبوليس
ماجنا) (٣) تسجل الإضافات الضخمة لمعابد الآلهة نحت عاوى والثامون
البدائي وتوت المزدوج العظمة نفسه ، كما ان هناك نقشاً مكتوباً في عناية
ودقة عشر عليه في نقراتيس يخلد فرض ١٠٪ ضريبة على الواردات الى
هذه المدينة وعلى البضائع التي تصنع بها وان يخصص الايراد من هذه
الضريبة للآلهة نيث في سايس . ولكن هناك قصة تختلف تماماً يقدمها
لنا المؤرخون اليونانيون الذين يعد ديودوروس مرة أخرى أول ممثلهم
في هذا الصدد (١٥ : ٤١ - ٤٣) فهو يشير الى أن ارتكزركسيس
الثاني (٤٠٤ - ٣٥٨ ق م) كان لا يزال يحكم في فارس وأنه كان لا يزال
على تصميمه من ناحية اذلال مصر بارجاعها الى حالة التبعية السابقة ،
وعلى أية حال فإن استعداداته للغزو كانت تتقدم في ببطء شديد ، وقد
أصر في أول الأمر على أن تستدعى اثينا قائدها القوى «خبرياس» من
مصر وقد قنع بعد ذلك بأن يشغل وظيفة حربية في بلاده ، وقد ظلت
الامور كذلك حتى كان عام ٣٧٣ ق م . حين خرجت الجحافل الفارسية
الضخمة ويفودها الوالى فارنا بازوس وقائد اليونانيين المتطوعين ايفيكراتس
من عكا . حين وصلوا الى بلوزيوم أدركوا أن الهجوم من هذه الناحية لا طائل
من ورائه وأن واحداً من مصبات النيل الأقل تحصيناً قد يؤدي الى الهدف
المطلوب ، وقد استقر الراى على ذلك وأمكن كسر الاستحكامات على الفرع
المنديسى ، وقتل الكثير من المصريين أو أسروا ، وعمل ايفيكراتس وكان
ذلك ضد رغبة فارنا بازوس - على الاندفاع نحو منف ، وبينما كان الصراع
بين القائدين يؤخر المجهود الفارسى واستطاعت قوات نخت نب أف
أن تلم شملها وأن تحيط الغزاة المحاصرين من جميع النواحي . وجاء

(١) Vandrier, pp. 624-5; Kienitz, p. 199

(٢) مذكورة في المصدر السابق PP. 199-212

(٣) Ann. Serv. LII, 375 ff.

فيضان النيل حليفا مسعدا فتحولت بعض أجزاء الدلتا الى مستنقعات مما اضطر الفرس الى الانسحاب ، وهكذا أفلتت مصر .

وقد تميزت السنوات التالية بحركات تمرد من جميع الولاة في كل الانحاء واستطاع خلالها نخت نب أف أن يؤمن نفسه بالعطايا من الذهب يمنحها لمختلف المحاربين ، وقد خلفه عند موته عام ٣٦٣ ق م ابنه تيوس (تاخوس) (١) كما يسميه بعض الكتاب اليونانيون) ، وكان والد نخت نب أف يحمل الاسم نفسه ، ويبدو ان الوقت كان مناسباً لهجوم مباشر على الفرس (٢) ، ووصل الملك الاسبرطي العجوز اجيسلاوس الى مصر يصحبه ألف جندي مدججون بالسلاح حيث لحق به الاثيني خيرياس ، وقد أصر تيوس في الهجوم على فينيقيا ، الذي تلا ذلك (٣٦٠ ق م) ، أن يتولى قيادة جنده من المصريين وقد أغضب اجيسلاوس ما أظهرته هيئته العجيبة وتصرفاته من اثارة للضحك فساند نخت حارحبي الصغير الذي كانت تعده جماعة كبيرة من الأتباع منافسا ل تيوس وقد انتهت الحملة كلها الى لا شيء وعاد نخت حارحبي الى مصر كفرعون وهرب تيوس الى فارس حيث عاش هناك ومات في المنفى .

ولئن نظرنا الى الأمور من وجهة النظر المصرية نجد أن حكم نخت حارحبي (٣٦٠ - ٣٤٣ ق م) يكاد يبدو مطابقا لحكم نخت نب أف ، فلقد حكم كل منهما مدى ثمانية عشر عاما ، وكان نشاط كل منهما البناء ضخما (٣) ، ولكن كانت هناك في الوقت نفسه احداث تكاد تهز العالم في حيز الغيب . ثم بدأت تدب حياة جديدة في كيان الامبراطورية الفارسية المهتزة بولاية ارتكزركسيس الثالث أوخوس (٣٥٨ ق م) فأعيد النظام بين ولاية آسيا الصغرى ولكن النشاط المطلوب لهذا الجهد حال دون التفكير في أى هجوم على مصر ومع ذلك فان أوخوس أصبح مستعدا لذلك الامر في عام ٣٥٠ ق م ، وليس لدينا تفصيلات عن ذلك ولكن الحرب انتهت بفشل ذريع كان من نتيجته أن قامت الثورات ضد الاحتلال الفارسي في كل مكان وكانت فينيقيا وقبرص في مقدمة الثائرين وكان الجند اليونانيون والقواد اليونانيون قبل ذلك بزمان طويل هم العماد الاكبر للطرفين ولكن مصر كانت أهم ما يتطلعون اليه بسبب الذهب والحبوب التي كانت تستطيع أن تقدمها في وفرة ومن ثم كان إعادة اخضاعها أمرا بالغ الضرورة ، ومع ذلك فانه

(١) زيعو بالمصرية

(٢) Diod., XV, 90, 92

(٣) Kienitz, pp. 193-212; 214-230

كان يجب الانتهاء أولا من فينيقيا وفلسطين . كانت صيدا هي مركز الثورة وكانت قد قامت بما يدعو لاختار حين وجهت ضربة عنيفة للمحتلين الفرس وخشي الصيغونيون مغبة الأمر فالتمسوا عون مصر ، ولكن نخت حارحبى قنع بارسال فرقة محدودة من اليونانيين المتطوعين تحت قيادة منتور الروديسى . ويقص ديودوروس (١٦ : ٤٠ - ٥١) أحداث السنوات القليلة التالية فى تفصيل سنووجه هنا : كانت استعدادات أوخوس على نطاق واسع ، ولكنه استطاع حتى قبل وصول القوات الضرورية جدا من المدن اليونانية فى اليونان وآسيا الصغرى أن يوقع عقوبة فظيعة على صيدا التى تأمر مليكها الخائن « تنس » مع منتور لتسليم المدينة بينما أحرق المواطنون سفنهم كما فضل الكثيرون أن ينتحروا محترقين فى لهب بيوتهم .

وفى خريف ٣٤٣ ق م خرج الجيش الفارسى فى حملته الخطيرة ضد مصر وكان على رأسه الملك نفسه . وكانت بلوزيوم أول مدينة مصرية تعرضت للهجوم ولكنها قاومت مقاومة شديدة ، وكان أوخوس قد وضع خطته على أية حال على أساس دخول الدلتا فى الوقت نفسه من ثلاثة أماكن مختلفة وقد تم له الدخول بالقرب من أحد مصاب النيل الغربية وكان فصل الفيضان قد انتهى فلم يعد هناك خوف من أن تتكرر المأساة التى حدثت منذ ثلاثين عاما ، وقد لازم النحس المدافعين منذ البداية فقد خرج متطوعو اليونان تحت قيادة كلتياس الكوسى يهاجمون من القلعة المجاورة ولكنهم هزموا ، أما هو فقتل وأجتاح الرعب نخت حارحبى فبدلا من أن يثبت فى مكانه تراجع الى منف التى أعدها لمقاومة الحصار ، ولكن بلوزيوم كانت قد سقطت فى الوقت نفسه واستسلمت حاميتها حين وعد بأنه سيعامل بالحسن من يفعل ذلك وقد تكرر تأكيد هذا الوعد فى كل مكان وسرعان ما جد المصريون واليونان فى المنافسة فى الاسبقية فى الافادة من مظهر الرحمة هذا . وأما الجيش الثالث تحت قيادة منتور صديق أوخوس الحميم وحليفه باجواس فقد وفق كذلك وكان استيلاء القوات المشتركة على بوباستيس حدثا هاما سرعان ما استسلمت بعده مدن أخرى فى الدلتا وأصبحت مصر الآن تحت رحمة أوخوس وأدرك نخت حارحبى عقم الموقف فجمع ما استطاع جمعه من مقتنيات وارتحل جنوبا الى أثيوبيا ولم يسمع عنه بعد ذلك ، وهكذا استطاعت مهارة أوخوس الحربية وحكته السياسية أن تعيد مصر الى حظيرة فارس من جديد . ونحن نورد هنا نص مارواه ديودوروس (١٦ : ٥١) فى هذا الصدد :

بعد أن استولى أرتكزر كسيس على مصر ودمر أسوار معظم المدن

الهامة استطاع أن ينهب المعابد وأن يجمع كمية كبيرة من الفضة والذهب وأن ينقل الوثائق المكتوبة من المعابد القديمة التي أعادها فيما بعد باجواس الى الكهنة المصريين مقابل مبالغ ضخمة ثم كافأ بسخاء اليونانيين الذين صحبوه في حملته كلا بما يستحق ثم سرحهم الى بلادهم وجعل من فرنداتس واليا على مصر وعاد بجيشه الى بابل وهو يحمل معه مقتنيات وأسلاب بعد أن ذاعت شهرة انتصاراته .

وليس من شك في أن يد الغازي كانت ثقيلة على البلد المهزوم وأنا لنجد صدى العصر الوسيط الاول في « الاخبار الديموطيقية » ولكن ليس هناك من سند يجعلنا نصدق ما يرويهِ الكتاب المتأخرون في نسبتهم الى أوخوس نفس اتهام انتهاك حرمة المقدسات الذي نسبوه من قبل الى قمبيزس فلقد كان هذا الملك الفارسي أعقل من أن يقدم على ذلك ، ورغم ذلك فانه لم يقدر لهذه القوة الضخمة أو الهيبة التي اكتسبها أن تعمر طويلا فقد دس له السم في عام ٣٣٨ ق . م صفيه باجواس ووضع في مكانه ابنه الأصغر ارسس الذي قتله باجواس أيضا بعد ذلك بعامين وقد جلس على العرش من بعد ارسس أحد أقربائه البعيدين دريوس الثالث كودومانوس ، وهو آخر الاخمينيين ، وقد سارع بتسميم باجواس هذا المجرم المتسلط الذي لقي جزاءه الحق ، ويعد ديورس الثالث خاتمة الاسرة الحادية والثلاثين التي أضافها المؤرخون المتأخرون الى أسرات مانيتو الثلاثين ، وقد ظل حكمه على مصر اسميا مدى أربع سنوات وقد قدر للامبراطورية الفارسية أن تختفي قبل أن تحل نهاية هذه السنوات الاربع ، وبدأ العالم القديم عصرا جديدا .



كان من هدف هذا الكتاب - من الناحية النظرية - التركيز في عرض تاريخ مصر على المصادر المصرية وحدها ، ولكن اظهر الفصلان الأخيران استحالة المضي في ذلك ، وروايتنا للاحداث فيهما تتصل بمجريات الامور في الدلتا التي تعد نقوشنا الهيروغليفية منها باللغة الددرة كما ان النقوش المسمارية التي أشرنا اليها هي دائما عبارة عن تقارير حوليات بينما تشير استشهاداتنا اليونانية - رغم أنها لا تكف عن الأوصاف المزوقة حيث يكون ذلك مناسبا - الى انها دائما في أغلب الأمر من عمل مؤرخين محترفين جادين - وباستعراض الامور على هذه الصورة ، برجة الى الوراء ، نستطيع أن نقدر قيمة المعلومات التاريخية من مصدر غير محايد .

والواقع ان عصر الاحتلال الفارسي ليس قاصرا تماما من الناحية التاريخية وتزويدنا بمعلومات عنها ، ولكن تقديم مثلين يستطيع أن يصور

الصعوبات التى نلقاها فى محاولتنا لاستخدامهما والانتفاع بهما ، فهناك لوحة فى نابلى (١) - عثر عليها أصلا فى بومبيى - تحوى تاريخ حياة « سمتاوى تف نخته » الذى كان يشغل وظائف كهانة هامة فى المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الصعيد ، ويشير اسمه والدعوات التى يقدمها الى ارسافس ، المعبود برأس الكبش فى هرقلوبوليس انه يمت الى أسرة سلفت الاشارة اليها عدة مرات من قبل (صفحات ٣٨٣ - ٣٩٨) وهو هنا يتحدث الى الهه :

« أنا خادمك وقلبى موال لك ، لقد ملأت قلبى بك ولم أزرع أية مدينة غير مدينتك أنا لم أتردد عن أطرائها لكل الناس ، وكان قلبى يسعى وراء الحق فى بيتك ليل نهار ، لقد فعلت لى أشياء خيرا منها مليون مرة ، لقد وسعت خطاى فى النصر ، وكان قلب الاله الطيب راضيا بما أقول ، لقد رفعتنى من بين الملايين حين أدركت وجهك عن مصر وأحللت حبى فى قلب أمير آسيا فشكر رجال بلاطه الاله بسببى ، لقد عينتنى فى وظيفة المشرف على كهنة الالهة سخمة (أى طبيب) فى مكان شقيق أُمى المشرف على كهنة سخمة فى مصر العليا والسفلى نخت حنب . لقد حميتنى فى محاربة اليونان حين رددت آسيا وذبحوا الملايين بجوارى ولم يرفع أحد ذراعه ضدى ، كانت عيناي تتبعان جلالتك فى نومي وأنت تقول لى : « توجه مسرعا الى هرقلوبوليس : هاك اننى معك » لقد احترقت بلاد أجنبية وحدى وعبرت البحر ولم ينل منى الخوف لأننى كنت أتذكرك ، أنا لم أخالف ما قلت ووصلت الى هرقلوبوليس ولم تنزع شعرة واحدة من رأسى .

ونصف هذه الرواية مرة أخرى السمعة الطيبة التى عرفت عن الأطباء المصريين ولكنها تفقد نصف قيمتها لأنه ينقصها تحديد زمانها من الناحية التاريخية ، وقد اختلف المؤرخون فى هذه الناحية فهناك «ارمان» يرى أنها ترجع الى عصر ماراتون ، بينما يرى « تريسون » - آخر من ناقش الموضوع - ان لها صلة وثيقة بالمعركة بين اليونان والفرس التى كسبها الاسكندر فى جاوجاميل ٠٠٠ وهكذا نرى الخلاف بينا ويدخل فى المناقشة آخرون يدلون بأرائهم مما يجعل من المستحيل بالنسبة لنا أن ننتهى الى قرار حاسم .

وهناك مشكلة معقدة يدعو لاثارتها « خباباش » الذى انتحل لقب فرعون . فلدينا تابوت أبيس مؤرخ من عامه الثانى وكذا عقد زواج لكاهن طبى صغير مؤرخ بالعام الأول ، ومما يدعو للاهتمام كذلك

Bull. Inst. Fr., XXX, 369 ff. (١)

معلومات عنه جاءت في لوحة ترجع الى عام ٣١١ ق م . حين كان بطلميوس الأول سوتير لا يزال واليا على مصر ، والنقش من الناحية الشكلية يتناول الثناء على انجازات بطلميوس العظيمة ولكن هدفه الرئيسي هو تسجيل اعادة رقعة من الأرض الى كهنة بوتو كانت لهم منذ أزمان موعلة في القدم ثم استولى عليها أكرزكسيس الذى وصف بكونه عدوا وشريرا . وقد أصغى خباباش الى شكوى الكهنة ولما ذكر بأن الاله حوريس طرد أكرزكسيس وابنه من مصر عقابا لهما استجاب الى الملتمس كما فعل بطلميوس فيما بعد . وهنا - كما نرى - مفتاحان للمركز التاريخي لـ «خباباش» فمن الواضح أولا أنه جاء في عهد بعد عهد أكرزكسيس ثم يقال عنه ثانيا انه أصدر قراره بعد أن قام باستكشاف مصاب الدلتا التى قد يظن أن الآسيويين (أى الفرس) قد يهاجمون مصر عن طريقها ، وهناك مفتاح ثالث هو أن عقد الزواج السالف الذكر تم توقيعه من سجل العقود نفسه الذى وقع وثيقة أخرى فى عام ٣٢٤ ق م . وهكذا قدمنا عدة نظريات مختلفة ولكن كل ما يمكن أن نقوله مطمئن أن خباباش كان واحدا من آخر - ان لم يكن آخر - الحكام غير الفارسيين وغير اليونانيين استطاع أن ينتحل لقب فرعون الوطنى المولد ، ولكن اسمه مع ذلك غريب مستهجن تماما .

كان الحدث الضخم الذى قرر مصير مصر وحدد نوع حكومتها خلال القرون الثلاثة التالية هو غزو الاسكندر الاكبر لها فى عام ٣٣٢ ق م . ولقد كان ظهور مقدونيا كقوة متسلطة على العالم أمرا بدىء فى ادراكه منذ عام ٣٣٨ ق م حين استطاع اليونانى (وهو أمر يحتمل الشك) فيليب الثانى أن يقضى على كل مقاومة بهزيمته اثينا ثم طيبة عند خيرونيا وتأسيس العصبة الهلينية التى كان عليها أن تلم شمل اليونانيين تحت امرته ، ولكن لم يستطع أحد اذ ذاك أن يتنبأ بالانتصارات الباهرة التى استطاعت خلال عشر سنوات أن تجعل من ابنه الصغير الاسكندر سيدا على العالم الشرقى كله بغير منازع - ويبدو أن الاسكندر نفسه كذلك لم يكن يدرك أهدافه تماما حتى غزا آسيا الصغرى واضطر داريوس الى الهرب فى معركة ايسسوس على بعد خمسة عشر ميلا الى شمال الاسكندرونه الحالية (٣٣٣ ق م) وحتى هذه المرحلة لم يكن فكره يتجه فى أول الأمر لمطارده العاهل الفارسى بله لاختضاع سورية ومصر . وكان حصار صور عملية طويلة مرهقة ولكن لم يكن هناك شئ يعوق مسيره بعد التغلب على هذه العقبة حتى وصل الى غزة التى قاومت فى اسبماتة ، وحين وصل الى مصر فى عام ٣٣٢ ق م استسلم الوالى الفارسى دون مقاومة وأسرع الاسكندر جنوبا نحو منف وقدم التضحيات الى العجل

ابيس حيث اعترف به فرعوناً ثم عاد يعد ذلك الى الشاطئ وهناك على شاطئ البحر المتوسط بالقرب من قرية تدعى راكوتيس قام بتخطيط مدينة المستقبل العظيمة ، مدينة الاسكندرية قبل ان يبدأ زيارته المشهورة الى وحى آمون فى واحة سيوه . ولسنا ندرى على وجه التحقيق ان كانت قد خطرت ببال الاسكندر اذ ذاك فكرة محددة عن تأليهه ولكن هذا الأثر المهيّب فى حياته كان نتيجة محتومة للتراث المصرى العتيق ذلك أن الفرعون كان بالضرورة ابناً لأمون ومن ثم فهو نفسه اله . وقد اطل الاسكندر مكثه فى مصر بقدر ما مكثه من تعيين حكام وطنيين حتى يستطيع جمع الضرائب تحت اشراف مستشاره المالى «كليومنيس» (من نقراطيس) ومن تكوين جيش صغير تحت امره صديقه بطلميوس ثم سارع بعد ذلك للذهاب لتصفية الامبراطورية الفارسية ولاستكشاف اقاليمها بعيداً حتى الهند ، واما مصيره بعد ذلك فليس من اختصاصنا هنا فى هذا الكتاب ، مهما يكن هناك من اغراء لمتابعة كفاح مثل هذا الاشعاع الذى لا نظير له ، ولقد سقط فريسة للمرض بعد عودته الى بابل عام ٣٢٣ ق م ومات هناك فى قصر نبوخذ نصر ولم يكن قد بلغ بعد الثالثة والثلاثين من عمره ، قبل أن يتم العام الثالث عشر من حكمه .

من الطبيعى ألاينتهى تاريخ مصر هنا والواقع أنه يدخل هنا فى مرحلة جديدة ولكن الصورة المتتابة التى كانت كل ما استطعنا تقديمه يجب أن تختتم فى مكان ما ومن الخير أن تتوقف هنا قبل أن نبدأ أسره جديدة طويلة هى أسره البطالمة ، كانت مصر تحت حكمها بلداً من نوع آخر ، فكانت الادارة يونانية وان أخذ الاهلون يتابعون الى حد كبير حياتهم ويكتبون بلغتهم ويرعون عاداتهم التقليدية ، وقد احتفظ الحكام الذين يتحدثون اليونانية واللاتينية فى البلاد خلال العهود البطلمية والرومانية بمظهرهم السياسى المتعالى كفراعين أصليين وبعبادة الآلهة الاقدمين للبلاد وباسترضاء الكهانات بامدادها بالمال لبناء وتوسيع المعابد الكبرى ، وانه ليبذو مضحكا أنه يغض النظر هنا تماماً عن الأوصاف المتصلة بهذه الآثار المحفوظة حفظاً رائعاً مثل معبدى ادفو ودندرة ، وأن نفشل فى أن نضم صوتنا الى صيحات الالم والعيول على معابد نوبيا التى توشك على الغرق لمصلحة الاجيال النامية الجائعة ، وان نمر مر الكرام فلا نشير بأكثر من لمحة خاطفة الى النقوش البالغة الاهمية مثل حجر رشيد ومرسوم كانوب ولكن . . ان كان النقد الشبان الذين نكتب لهم بخاصة يلوموننا من جراء حذف مثل هذه الاشياء فان علينا ان نذكرهم انه لا يزال امامنا وعد نفى به ، فلا يزال هناك ما قبل التاريخ ، ثم تاريخ الاسرتين الأوليين لمصر نناقشه قبل ان نضع قلمنا .

مراجع مختارة

للعصر كله :

F. K. Kienitz, Die politische Geschichte Agyptens vom 7 bis zum 4 Jahrhundert vor der Zeitwende, Berlin, 1953

Cambridge Ancient History vols. III, IV, V

H. R. Hall, The Ancient History of the Near East, 8th. ed. London, 1932

اليهود في الفنتين : الى جانب مؤلفات « كينتز » التي سلفت الاشارة اليها يمكن الرجوع الى :

E. G. Kraeling, The Brooklyn Museum Aramaic Papyri, New Haven, 1953

الأسرة السادسة والعشرون ، تاريخ

R. A. Parker in Mitt. Kairo, XV, 208-12 ; JEA XXXI. 16 ff.

نكو الثاني ، القناة العظيمة الموصلة الى البحر الاحمر :

Hdt. II 158

Hdt. IV. 42 الدوران حول افريقيا

Hdt. II. 161-3 امازييس وابريس

Hdt. II. 172-82 تاريخ امازييس وصفته

Hdt. I. 95 ff.

ظهور ميديا

الملكان البابليان بابربولاسر ونبوخذنزر

D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956 pp. 5 ff.

Kienitz, pp. 18 ff.

ظهور فارس :

CAH IV. 1 ff.

Hdt. I, 107 ff. كيروش الاكبر ، اسطورة مولده وتنشئته

الصفات المميزة للفرس واحداث الحكم بما تخللها من فترات طويلة من الانحراف :

Hdt. I. 131 to end

الأسرة السابعة والعشرون

O. Posener, النصوص الهيروغليفية ، نشرها وترجمها

La première domination Perse en Egypte, Cairo, 1936

CAH IV. 15 ff.

قمبيريوس :

Kienitz pp. 55 ff.

Hdt. III. 1 ff.

اللفة الرسمية المستخدمة

G. R. Driver, Aramaic Documents of the fifth century B.C. Oxford, 1957

CAH IV, Ch. 7 : داريوس :

W. Spiegelberg, Die sogenannte demotische Chronik المصري

Leipzig, 1914, pp. 30 ff.

التماس بتيظه

F. LL. Griffith, The Demotic Papyri in the John Rylands Library, Manchester, 1909 vol. III, pp. 60 ff.

Bull. Rylands Libr. XXVIII no. 1, 1944 في G. A. Wainwright بالتفسير

الاسرات الثامنة والعشرون الى الثلاثين

Kienitz, pp 76-112 العلاقات مع فارس ، نقلا عن المصادر اليونانية نجدها في

op. cit. pp. 190-230 الآثار والكتابات

op. cit. 166-80 مناقشة مستفيضة للتواريخ

الأسرة الحادية والثلاثون

ارتكزوكسس الثاني يغزو مصر (الاحتلال الفارسي الثاني)

CAH VI. pp. 21-24 ; 151-4

Kienitz p. 231

البرديات والنقوش

op. cit., pp. 185 ff., 232 كباباش والمشاكل التي دارت حوله

الاسكندر الأكبر وغزو مصر

CAH VI, pp. 154-6 ; 373-9

خلفاؤه :

E. Bevan, A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London, 1927

الكتاب الثالث

عود إلى بدء

١٤ ماقبل التاريخ

ليس هناك ما هو أشق على المؤرخ من أن يتتبع الانبثاق التدريجي للحضارة ما ، خاصة ولأن هذا يخص بالضرورة عصورا كانت الوثائق المكتوبة خلالها معدومة أو بالغة الندرة، وفي الوقت نفسه ليست هناك مشكلة تعتبر أكثر إثارة للاهتمام ، وللقارئ بعض العذر في الشكوى لو أن هذا الكتاب غرض النظر عن أية محاولة لمجابهتها ؛ وأما أن مثل هذه المحاولة اجلت لما بعد الانتهاء من تقديم تفصيلات عن الأسرات المانيتونية فإن هذا له مبرراته من ناحية تاريخ العلم لدينا ، فمنذ حوالى سبعين عاما كان من العسير أن نشير الى أية آثار مصرية أقدم من عهد بناء الأهرام الذى يقابل الأسرة الرابعة عند مانييتو ، وكان قد عثر من قبل على أدوات باليوليتية ولكنها كانت تختلف قليلا عن نظائر لها عثر عليها في أوروبا ولم يكن فيها ما يشير الى مصريتها ، أما منيس وخلفاؤه المباشرون فقد عرفناهم من قبل عن طريق الكتاب الكلاسيكيين وحدهم وعن طريق القوائم الملكية الوطنية وأما وراء منيس ففراغ مطلق ، وقد بدأ ملء هذا الفراغ في ١٨٩٤ - ١٨٩٥ حين قام بيتري وكوبييل بالحفر عند نقادة بالوجه القبلي وبالقرب منها (١) فعثرا على جبانته شاسعة بها هياكل أشخاص القوا على جنوبهم كأنما هم في حالة نوم ومعهم - ضمن أشياء أخرى - أوان فخارية رسمت عليها طرز هندسية عجيبة ورسوم فجة لحيوانات ومراكب ، وكان من رأى

W.M., F. Petrie and J.E. Quibell, Naqada and Ballas, London, 1896 (١)

المكتشفين اللذين اكتنفتهم الحيرة أن هذه المخلفات لا يمكن أن تكون
مصرية وذكرنا أدلة ثبت فيما بعد عدم صحتها وهي أن هذه المخلفات ترجع
إلى تلك الفترة المظلمة التي أعقبت الأسرة السادسة ولم يكد يمر اثنا عشر
شهرا حتى استطاع العالم المعروف لما قبل التاريخ دى مورجان أن يبعد
فهاثيا ماسبق تخيله عن «الجنس الجديد» (١) . وقد أجريت اختبارات غير
منتظمة على عدد من المواقع فى مصر العليا واستطاعت أن تمييط اللثام عن
دفنات وفخار من أنواع قريبة الشبه جدا وتصحبها دائما كميات من
الادوات الظرائية كما انها تشترك جميعا فى عدم وجود أدوات من المعدن،
وسرعان ما أدرك بيتري خطأه وكان من أثر الابحاث التالية له ولمساعديه
وكذا أبحاث عدد من العلماء من مختلف الدول الاخرى ان تطورت دراسة
عصر ما قبل الاسرات الى دراسة مثمرة جدا وان كانت فى الوقت نفسه
بالغة التعقيد كفرع من دراسة علم المصريات ، وقد حدث فى السنوات
نفسها بالصدفة البحتة ان ظهرت الكشف الاولى لآثار الاسرات الاولى الى
الثالثة وكان بيتري وكوييل هنا كذلك من بين أوائل الباحثين . وفى
الوقت نفسه بدأ الجيولوجيون يبحثون فى أعماق الماضى البعيد ولكن الامر
تطلب بعض الوقت حتى استطاعت بحوثهم أن تتصل اتصالا أوثق ببحوث
الدارسين الذين تركز اهتمامهم فقط حول أقدم مخلفات الجنس البشرى،
وبرغم انه لا تزال بالقصة فجوة ضخمة الا اننا نستطيع أن نقدمها مع ذلك
فى صورة متتابعة .

فى زمن بعيد ، ممعن فى القدم ٥٥ ربما منذ خمسين مليوناً من
السنين ، كان كل مايعرف الآن بمصر وكذا أجزاء كبيرة من شمال افريقية
وبلاد العرب غارقا تحت سطح البحر ، وخلال ذلك العصر المعروف
بالطباشيرى أرسيت طبقات الحجر الرملى النوبى ومن فوقها أوائل الحجر
الجبرى والطفل ٥٥ وبعد مرحلة طويلة عادت الارض للظهور ، ولكن ليطغى
عليها البحر من جديد متقدما من ناحية الشمال ٥٥ وقد أدخلت هذه
الاسطورة الطويلة عصرا استغرق دهورا طويلا ترسب فيه الحجر الجبرى
الاوسينى المسمى بالنوموليتى تبعا للبقايا البحرية المتحجرة التى تظهر
به ، وتبعث ذلك مرحلة تكون فيها منخفض البحر الاحمر ، وكان من
نتائج الالتواءات على الجانبين تلك الجبال الشاهقة فى شبه جزيرة
سينا وفى الصحراء الشرقية . ولم يبدأ النيل الذى نعرفه اليوم يشق
مجراه ويحفز واديه حتى مستوى الفيض الحالى الا فى نهاية عصر

البليوسين ولم تكن الدلتا قد ظهرت بعد وكان يشغل مكانها خليج من البحر المتوسط ، وقرب نهاية عصر البليوسين التالى حدثت حركة رفع هائلة سبقها امتلاء مجرى النيل بالحصى والرمال التى كانت تجرفها اليه المجارى الفرعية التى تتدفق على جانبيه ، وبدأ النيل ينحت مجراه النهائى فى هذه الركامات مخلقا طبقات متتالية تحددها مستويات الحصى كلما عمق مجراه . والحمس مسطحات العليا من بين هذه وهى التى تنتقل خلالها من البليوسين الى البليوستسين ليست بها أدوات حجرية أو أية مخلفات أخرى لانسان ما قبل التاريخ ولكن المسطحين التاليين يكشفان عن أيدى فئوس من الطران شديدة الشبه بنظائر لها من عصر الجليد الأخير التى كشف عنها فى أوروبا حتى أصبح من المعتاد أن تطلق عليها أسماء شيلية واشولية وهى الاسماء التى استخدمت أول ما استخدمت فى فرنسا ، وأما المسطحان التاليان فقد ظهرت بهما أدوات من الطراز المعروف اليوم بالليفالوازي (١) ، وعلى مسافة لا تبعد كثيرا الى أسفل نصل الى مستوى الفيض فى هذه الايام الذى يستقر فوق ترسبات هائلة من الغرين مما يشير الى انه بعد أن حدث التحات الى عمق بعيد جاءت فترة ترسيب غيرت من مجرى النهر السفلى . وقد قام الدكتوران : ساندفورد واركل بدراسات واسعة كرسن لهذه التحركات على طول مجرى النهر فى البلاد ومن نتائج هذه الدراسات ان مختلف البقايا الباليوليتية المتأخرة المعروفة بالسبيلية (نسبة لقرية سبيل من مجاورات كوم امبو) ، وفى خلال العقد الثامن من القرن الماضى أمكن التقاط عدد من الأدوات التى ترجع الى العصرين الباليوليتى والنيوليتى من فوق سطح الصحراء العالية ، ولكن الأمر كان يتطلب كشفا منظما واستطاعت الأنستان : كارتون تومسون وجاردنر مع آخرين القيام بأبحاث فى الفيوم والواحة الخارجية وتمكنتا من أن تحددوا العلاقة الدقيقة بين مختلف مظاهر الانسان الباليوليتى والمراحل المتتابة فى تكوين وادى النيل، وقد جازف أحد الجيولوجيين (٢) الحذررين بالتخمين حين اقترح ان الثقافة السبيلية انتهت قرابة عام ٨٠٠٠ ق م أى قبل أن تبدأ الفترة التى نعالجها فى هذا الكتاب بحوالى خمسة آلاف عام .

بينما كانت أوروبا لا تزال فى قبضة الجليد وكان انسان نياندرثال يكافح من أجل كيان ضئيل كصياد وباحث عن طعام من الاعشاب كان

(١) الموستيرى لدى قدامى الباحثين .

(٢) J. Ball, Contributions, pp. 29, 176

جانب كبير من شمال أفريقيا يزخر بسكانه بسبب الامطار المستمرة .
وحيث نجد الآن صحراء لا ماء فيها كانت هناك اذ ذاك كفاية من النبات
والحيوان طعاما ليقيم اود الحياة الانسانية ، وانه من العسير أن نقرر أى
نوع من الرجال كانوا أولئك الذين يسعون وراء الصيد أو ينبشون سعيا
وراء الجذور ، ولكن قليلا من العظام المتحجرة التى كشف عنها فى قاو الكبير
يشير الى ان أصحابها ربما لم يختلفوا عن الجنس الذى سكن فى النواحي
نفسها حتى زمن الاسرات وحين كان عصر البليوستسين يقترب من نهايته
والنيل يعمق مجراه ويضيق مسراه كلما تقدم ، كان تقدم الجفاف فى
المرتفعات مما يدفع بالناس والحيوان الى أن يقتربوا من النهر حيث كان
الترسب السنوى لطمى النيل يشجع على قيام حياة زراعية أكمل وأكثر
استقرارا . . وهكذا بدأ العصر الأكثر تقدما للانسان المعروف باسم
النيوليتى .

وقد رأى علماء ما قبل التاريخ انهم سواء تطلعو الى أوروبا وأفريقيا
أو أى مكان آخر فى العالم فان المصطلحات باليوليتى ونيوليتى تفى تماما
بالغرض الذى يتوخونه ، وتشير هذه المصطلحات الى مراحل من التطور
البشرى وليس الى تواريخ . فهناك مثلا بعض انتاج السكان الأصليين
لأواسط استراليا نستطيع أن نطلق عليه انه لا يزال فى الباليوليتى أو
فى مرحلة العصر الحجري القديم ، بينما الـ «ماوريس» المثقفون كانوا منذ
أقل من قرنين لم يخرجوا بعد من العصر النيوليتى أى العصر الحجري
الحديث . ويقصد بهذه الاصطلاحات الاشارة الى طبيعة الادوات التى
يستخدمها أصحابها فهى فى الحالة الاولى أدوات من الحجر غير المصقول غير
المهذب وهى فى الثانية من الحجر المصقول المهذب ، ولكن اصطلاح نيوليتى
يحمل كذلك معنى آخر أو هو يحمل فى طياته ميزة اضافية مميزة هى
عدم وجود الادوات النحاسية بل عدم وجود النحاس أو استخدامه فى
غرض من الاغراض . . ولقد رأينا حتى الآن ان الثقافة السبيلية
(الباليوليتية المتأخرة) أفسحت المجال للتجمعات الغرينية تحت النيل
وبهذه الطريقة ضاعت من أعيننا تماما المرحلة النيوليتية فى أقصى مايعنيه
هذا الاصطلاح ، ويمكن تحديد المرحلة بين بدايتها وبين المظهر التاسى -
البدارى الذى ستبدأ به قصتنا بحوالى ثلاثة آلاف سنة أو أكثر اتخذ
خلالها وادى النيل حجمه الحالى وما يقارب مناخه الذى نعرفه له اليوم
بينما أصبحت الصحراء المحيطة - كما سلفت الاشارة - أقل قابلية للسكنى
مخلقة مصر بذلك أشبه بواحة كبيرة استطاعت حضارة مفردة أن تتطور
فيها دون أن تلقى ما يقطع عليها سلسلة التطور .

وانه لمن الأفضل قبل أن نناقش أمر أقدم المحلات النيوليتية بمصر العليا ان نذكر بعض المواقع ومعظمها فى الشمال حيث لم يوجد بها أى أثر لاستخدام المعدن وأكبر هذه المواقع هو مرمدة بنى سلامة الواقعة على مبعدة ثلاثين ميلا الى الشمال غرب القاهرة على حافة الصحراء ، وقد قامت بأعمال الحفر هنا بعثتان : احدهما نمسوية والأخرى سويدية واستطاعتا ان تكشفوا عن مجموعة قروية كانت تسكن فى أكواخ من القصب الذى يغوص جانب منه تحت مستوى الأرض ، وكانوا يخزنون حبوبهم قريبة منهم فى صوامع من سلال القش المغطاة بالطين ، وكانوا يعرفون النسيج بدليل العشور على قطع من القماش وكذا فلكات الغزل . أما الحلى فقليلة ولكن هناك دمالج من العاج وعقودا من العظم والاصداف . أما الفخار فشأنه شأن فخار مرحلة ما قبل الاسرات الذى كان يصنع قبل معرفة عجلة الفخار وكان فى أغلب الأمر غير مصقول وغير مزخرف ، ومن علائم الامعان فى القدم دفن الميت بين أكواخ الأحياء أو فى داخلها - وليس فى مقابر - وهناك أقلية تنسب على أية حال بأن ما عثر عليه فى مرمدة ليست له الأولوية من الناحية الزمنية بل ان هذه الأولوية من حق حضارة متأخرة ازدهرت حين شاع استخدام الأدوات المعدنية فى مصر العليا ، وقد رد على هذا رأى بأن هناك موقعا فى الشمال برزت به هذه المظاهر نفسها وهو الموقع الذى قامت بالحفر فيه مس كاتون تومسون الى شمال بركة قارون (الفيوم - نيوليتى أ) وهو يقع مرتفعا فوق البحيرة بحيث اننا ان نسبناه الى تاريخ متأخر فان هذا لا ينمشى مع المستويات الحضارية الأخرى فى الموقع نفسه .

ولندع أمر المناقشات فى مثل هذه الامور للمتخصصين ، ولنلق نظرة الى الجنوب الى المنطقة الواقعة بين أسسيوط واخميم فهنا فى ديرتاسا والبدارى على الضفة الشرقية قام « ج . برنتون » باجراء حفائر كشف فيها عن مقابر ومساكن قرية زعم انها تقارب عصر مرمدة ، والموقعان قريبان بعضهما من بعض وقد اختلطت القطع التى عثر عليها فى ديرتاسا بنظائرها فى البدارى حتى انه ليشك فى امكان التمييز بين المرحلتين ، ولئن كانت تاسا مرحلة منفصلة حقا فان ما يميزها فعلا هو عدم وجود المعدن بتاتا ثم المظهر البدائى لفخارها وللقطع الأخرى ، ويميز فخار البدارى كمال الصناعة بصورة لا نشهدها بعد ذلك فى وادى النيل وخير أنواع فخارها بالغ الدقة وتظهر به موجات خفيفة لا تظهر بعد ذلك الا نادرا ، وهناك أوان باللون البنى والاحمر تظهر بها التموجات أو لا تظهر وهى مسودة عند الحافة من الداخل مما يعد من المميزات البارزة

للمرحلة التالية وأكثر الألوان شيوعا المفلطح ، وأما الحافة والمقابض فنادران جدا . وهناك بعض ملاعق من العاج وأمشاط نبدو وكأنما هي دخيلة على مثل تلك العصور البعيدة ، ومن بين تماثيل النساء العارية اثلاثة نلاحظ ان اثنين منها على الأقل يبدوان فى صورة مننظمة خيرا من نظائرها فى المرحلة التالية ، مرحلة عمرة ، ويوحى العثور على عدد قليل من حبات النحاس ومخارز النحاس بتفضيل استبدال استخدام اصطلاح نيوليتى باصطلاح شالكوليتى (أو انيوليتى) من الآن فصاعدا . وهو الاصطلاح الذى يطلق على تلك العصور التى استخدم فيها النحاس والظران معا ، ويجب علينا أن نشير هنا الى ان الظران ظل يستخدم فى أدوات الاحتفالات التقليدية دهرا طويلا بعد أن استخدم النحاس فى استخدام الادوات والاسلحة ولدينا من عهد الاسرة الثانية عشرة مناجل خشبية ذات أسلحة وأسنان من الظران ، أما التوقيت الدقيق لهذه المرحلة المبكرة من الحضارة المصرية فأمر اعتبر منذ بعيد خارجا عن البحث وسيظل كذلك حتى تغدو صلاحية واستخدام الطريقة الجديدة للفحص بواسطة الراديو كربون فوق كل شك . وفى الوقت نفسه نجد أن بيتري يستخدم بديلا لها ييسدو مما لا يبعث على الاطمئنان بالنسبة للدارس السطحى ومع ذلك فإنها لقيت ترحيبا اجماعيا من أولئك الذين وضعوها موضع الاختبار العملى ، وهذه الطريقة المشهورة المعروفة بـ « التوقيت المتتابع » (١) وقد بدأ بما ظنه تطورا لا نزاع حوله فيما يتصل بالمقابض المتموجة للأوانى ابتداء من مقابض حقيقية حتى أصبحت مجرد زينة وقد عين نوقيتنا متتابعا لكل مرحلة ثم طبق ذلك على مجموعات من طرز أخرى من الادوات التى عثر عليها مع مثل هذه الأوانى وأخيرا عقد مقارنة لأوضاع التوقيت المتتابع بالنسبة للمحتويات فى كل مجموعة مقبرة . ثم حاول تثبيت الموقع الزمنى النسبى له ككل . وقد بدأ بيتري توقيته المتتابع عند رقم ٣٠ تاركا الارقام قبل ذلك لما يمكن أن يكشف عنه فيما بعد سابقا لهذا الرقم رينتهى توقيته المتتابع عند رقم ٧٧ الذى يتفق . وبدء الاسرة الاولى ، وتقع المخلفات التى عثر عليها فى البدارى خارج نطاق هذه الارقام ومن ثم فإنها تعطى لها الارقام ٢١ - ٢٩ التى احتفظ بها لمثل هذه الطواريء ، وقد عثر فى نقادة على قبور من فترتين مميزتين أشار اليها الدارسون الأجانب بخاصة بوصفها نقادة (١) (توقيت متتابع ٣٠ - ٣٩) ونقادة (٢) (توقيت متتابع ٤٠ - ٦٢) وقد استبدل هذان


(١) شرحها لأول مرة فى كتابه Diospolis Parva, London 1901, pp. 4, ff.

الاصطلاحان على أية حال ب عمرة (١) ، جرزة • وعمرة موقع بالقرب من أبيدوس ، لوحظ فيه عدم امتزاج طرازي الانتاج ، والأمـر كذلك بالنسبة لجرزه (٢) ، ولعصر عمرة عدة طرز من الفخار تميزها بالاضافة الى ماسلفت الاشارة اليه عن الفخار ذى الحافة السوداء الذى يعد أكثر الطرز شيوعا ، وقد سادت الفكرة القائلة بأن الحافة السوداء والداخل الاسود يرجعان لوضع الاوانى مقلوبة أثناء الاحراق ، أما الأجزاء العليا فيرجع لونها الاحمر الى تأكسدها نتيجة لتعرضها للهواء ، وقد بينت التجارب على أية حال ان الاثر الذى ينتج الحافة السوداء يمكن الوصول اليه على مرحلتين وعلى ذلك فان وجود فخار كله أحمر مصقول فى الوقت نفسه لا يدعو للعجب، وما يميز فخار عمرة ذلك الطراز المعروف ب «الخطوط البيضاء المتقاطعة» وهو يحوى فخارا أحمر مصقولا مزينا بصبغة بيضاء شاحبة ، أما الزخارف الهندسية الطريفة الشائعة فتتم عن طريق خطوط متقاربة متوازية أو على شكل شبكة وقد يصحبها أحيانا صور حيوانات أو رجال أو أشجار ، ولكن الأكثر ندرة هو الأوانى السوداء وبها زخارف محفورة منقوشة باللون الابيض • والأوانى الحجرية شائعة كذلك فى هذه المرحلة ولم تستخدم الاحجار الصلبة كالجرانيت والبازلت فقط بل استخدمت كذلك أحجار أقل صلابة مثل الستياتيت والمرمر ، وهناك تماثيل من الفخار والعاج تمثل رجالا مغمدة قضبائهم ونساء يسترن أعضاءهن كذلك، ولعل مايدعو للفرابة هو العاج فهو أحيانا من قطع مسطحة وأحيانا أخرى أنياب يظهر فيها الرجال بلهى مدببة بغير اشارة الى أجسامهم وأعضائهم وبعض النساء بهن وشم وبعضهن قبيحات الصورة بشكل واضح ، أما الامشاط ذات الاسنان الطويلة فأجزاؤها العلوية على شكل طيور أو حيوانات •• ولا يبقى لدينا بعد حذف الاشارة الى الادوات الأقل وضوحا من ناحية المظاهر المميزة الا أن نذكر ندرة القاشانى ، وقد أضيفت هنا الى حبات وعقود النحاس ، الدبابيس • وقد عثر مرة أو اثنتين على ما يشير الى استخدام الذهب •

وبحلول عصر جرزة طرأ تغيير ضخم يبدو أكثر وضوحا مرة أخرى فى الفخار فقد حل محل الابيض ذى الخطوط المتقاطعة لون برتقالى يميل الى الصفرة ، به زخارف بخطوط متعرجة حمراء أو بحلزونات أو تظهر به

(١) P.M. V, 106-7 ; D. Randall-Maciver and A.C. Mace, El Amrah & Abydos, London, 1902.

(٢) قام الحفر فيها G.A. Wainwright انظر Petrie, Wainwright and Mackay, the Labyrinth, Gerzeh and Mazgounah.

قوارب ذات مجاديف كثيرة وبالقارب غرفتان وما يشبه سارية العلم أو اللواء وبها ، أو ليس بها ، صفوف من البشروش ، وأحيانا صور لرجال وحيوانات ، وليس هناك فى كل تاريخ الفخار نوع غيره قل أن تخطئه العين أو أكثر وضوحا وإبرازا لفترة محدودة ، وقد كشف ف. و. جرين فى هيراقونبوليس عن مقبرة ذات جدران ملونة من الواضح أنها من الطراز نفسه (١) . وتبدأ الأوانى ذات الأيدى الموجهة - وهى التى يرى لها بيمتري أهمية كبيرة - فى الظهور فى عصر عمرة عند رقم ٣٥ من التوقيت المتتابع ولكنها تخص فى أغلب الامر عصر جرزة . وأما الأوانى الحجرية فقد استخدمت فيها بعض المواد ذات مظهر أكثر برقا ، ومن بينها الديوريت والسربانتين ، وهناك فارق بين عصرى جرزة وعمرة نلاحظه فى رموس الدبابيس فهى فى الاول على شكل القرص بأطراف حادة جدا وهى فى الثانى على شكل الكمثرى والرمزان الهيروغليفيان  بينان الفرق ، وهناك تطور آخر له أهمية كبرى وهو زيادة استخدام النحاس الذى يستخدم الآن فى الأسلحة والأدوات كما يستخدم فى أدوات الزينة .

وقد عثر على مراحل البدارى وعمرة وجرزة فى ترتيب طبقات الحمامية بالقرب من البدارى ومن ثم فليس هناك من شك فى ان الاصطلاحات تشير الى فروق زمنية ومع ذلك فان المصطلحات نفسها تستخدم كذلك لوصف الترتيب المحلى ، وقد وجدت أمثلة للمراحل الثلاثة فى نوبيا السفلى وفيما وراءها وان كانت عرضة لأن تتقاعس الى الوراء كلما تقدمت مصر نفسها نحو مظاهر جديدة ، وفيما عدا نوبيا نجد ان المخلفات البدارية يعثر عليها فى هيراقونبوليس فى جنوب المحاسنة الى شمال ابيدوس ، والعمرية من ارمنت الى نجع الدير على الضفة الشرقية مقابل المحاسنة واما الجزرية فعلى نطاق أوسع وذلك لان قرية جرزة تقع على مبعده أكثر من مائتى ميل الى الشمال بالقرب من ميدوم وأنه ل يبدو بعيدا عن التعقل أن نؤكد قيام تشابه تام فى مصر العليا كلها فى زمن معين ولكن ليست هناك اختلافات محلية ملحوظة جدا تعارض مثل هذا الافتراض ؛ ومن ناحية أخرى فان هناك ما يدعو الى مقارنة حضارة مصر العليا فيما قبل الاسرات بحضارة مصر السفلى كما تمثلها مرمدة والفيوم والمعادى (قرب القاهرة) والعمرى (قرب حلوان) وبخاصة لان

J.E. Quibell and F.W. Green, Hierakonpolis, II, London, 1902, (١)
pls. 75-79

اختلاف الجنس هنا يمكن تمييزه . والواقع ان الدليل الانثروبولوجى من مرمدة ليس مقنعا تماما ومع ذلك فان المتخصصين أحسوا بأنهم على حق حين أعلنوا وجود قوم هناك طوال القامة نسبيا وسعة جماجمهم أكثر بكثير مما هي لدى الجنوبيين(١) . وكان هؤلاء الاخيريون ذوى رموس طويلة (دوليكوكيفالى بالاصطلاح العلمى) ودون المستوى العادى فى القامة ولكن لهم ملامح زنجية يمكن تمييزها فى أغلب الأمر - ومهما يكن القول عن الشماليين فانه من الاسلام أن نصف سكان مصر العليا بأنهم من العنصر الافريقى بالضرورة وهى ميزة ظلوا يحتفظون بها رغم التأثيرات الاجنبية التى كانت تحل بهم من وقت لآخر .

ولنرجع الى المظهر الزمنى للمراحل الثلاث فنقول انه من الأسف ان بعض الاثريين لا يزالون يستخدمون المصطلحات مثل «حضارة عمرة» وهى مصطلحات تحمل فى ثناياها معنى انفصال رئيسى فى التطور ، كما تميز بين عصرى : مصر الرومانية ومصر الاسلامية ، والواقع انه مهما يبدو التغير واضحا من مرحلة لأخرى فان استمرار التطور ككل يجب أن نضبط عليه بقدر ما نستطيع ولكن دون أن ننكر البواعث الخارجية التى قد تمس الحاجة اليها لتحرك كل خطوة هامة الى الامام . ونحن نورد هنا حجتين للتدليل على هذا الاستمرار ، احدهما عامة والاخرى خاصة . . ففى خلا الفترة كلها نجد القبور عبارة عن خنادق ضيقة ذات شكل بيضاوى أو مستطيل توسل فيها الاجساد على الجانب الايسر وتوضع الركبة نى مستوى قريب من الوجه وتوجه الرأس غالبا الى ناحية الجنوب أكثر مما توجه الى الشمال وكان يدفن مع الميت أغلى مقتنياته وكذا الادوات التى تمكنه من أن يمارس حياته المعتادة فى العالم الآخر . ولا تتعارض هذه الوحدة التى تلازم الترتيبات الجنزية التغيرات التى كانت تدخل عليها من عصر لآخر كما حدث بالنسبة للحصير الذى استخدمه البداريون فى جوانب قبورهم حين استبدل به ألواح خشبية توضع فى الجوانب والسقف وهو تجديد تطور بمرور الزمن الى التابوت فى عصر الاسرات وقد ظل دفن القرفصاء قائما بالنسبة للفقراء مدى قرون كثيرة بعد أن كان التحنيط والدفن فى مقابر حجرية فخمة سمة الأغنياء .

وهناك دليل أكثر وضوحا على مدى الاستمرار الحضارى نشهده فى اللوحات الحجرية الرقيقة المسطحة التى استخدمت لصحن الدهن الذى كان يستعمل زينة للعيون وحماية سحرية لها ، وانا لنلتقى بمثل هذه

(١) انظر آخر الفصل للرجوع الى وجهة نظر Derry

اللوحات لا فى دير تاسا وحدها ، بل فى مرمدة كذلك وهى فى الموقعين من أبسط طراز مستطيل أو بيضاوى ولكنها لم تكن قد صنعت بعد من الادواز ذى اللون الذى يميل الى الخضرة والذى أصبح شائعا فيما بعد . ولدينا من عصر عمرة أقدم نماذج الاشكال المعينة والبيضية التى تطورت فيما بعد تطورا ذائعا وقد ظهرت الى جانبها كل الاشكال الغريبة وبعضها يمثل أسماكا وبعضها الآخر سلاحف أو حيوانات من ذوات الاربع كعجل البحر والتيتل ، واللوحات التى تعلو قممها من الركنين رأسان للطيور ذات أهمية خاصة ؛ لأن هذا التماثل أصبح فيما بعد واحدا من أوضح الدلالات على التأثيرات الميروبوتامية ، وقراءة نهاية عصر جرزه نجد رسوما بالنقش الغائر تظهر لأول مرة ولكنها لا تشغل سوى حيز ضئيل من السطح وهى رسوم رمزية لا تزال تستعصى على أية محاولة قامت لتفسيرها . ومن الواضح ان لدينا هنا أصول اللوحات الرائعة المنحوتة التى لم يبق منها سوى ثلاث عشرة بما فى ذلك بعض القطع المكسورة (١) ، وتشير الدقة التى تمت بها صياغتها الفنية وكذا النقوش التى تملأ ساحتها كلها ثم حجم أكبرها الى انها قطع نذرية لم تشكل بقصد استعمالها . وقد جرى التفكير حين عثر على أول نماذجها انها ليست صناعة مصرية على الإطلاق ، ولكن هذه الشكوك تلاشت بعد الكشف فى عام ١٨٩٧ عن قطعتين أخريين فى معبد هيراقونبوليس احدهما هى لوحة نعرمر المشهورة (٢) ، التى سنناقش أمرها فيما بعد ، وأصبح من الواضح الآن ان هذه اللوحات التذكارية ترجع الى آخر عصور ما قبل الاسرات ان لم ترجع فى بعض الحالات الى عصر ما قبيل الاسرات ولعل أهم تجديد فيها هو نماذج الكتابة الهيروغليفية بها وهو شحيح وان كان غير قابل للشك .

وقد اخترنا من بين هذه اللوحات الخلاصة التى ترجع الى أواخر عصر ما قبل الاسرات واحدة (انظر لوحة ١٩ (٣)) لم يقع الاختيار عليها بسبب تفوقها من الناحية الفنية ، فهناك غيرها أكثر جاذبية ولكن لانها ذات دلالة أوضح فقد ظهر بوجهها سبعة مستطيلات ذات ركائز تمثل من غير شك المدائن المقهورة تشق فيها مخاوقات رمزية طريقها بالفئوس ؛ والهيروغليفية - وهى فى الغالب مفردة - داخل المستطيلات قصد بها من

(١) P.M., V, 104 ff; 194

(٢) Op. cit., V, 193

(٣) Op. cit., V, 195; No. 6

غير شك ذكر أسماء الأماكن ، وقد ظن البعض ان المهاجمين (باشق ، أسد ، عقرب ٠٠٠ الخ) يقصد بهم وصف المظاهر المختلفة لنفس الزعيم المنتصر (١) ، ولكن من المؤكد أن الأكثر احتمالا انها تميز أقاليم متميزة تحارب معا كحلف وعلينا أن نلاحظ بخاصة لواء الطائرين يحطمان قلعة فى الركن السفلى الايسر التى قد تمثل المقاطعة القفطية فيما بعد وهى خامس مقاطعات مصر العليا ، وأما الوجه الآخر فظهر به ثيران وحمر وخراف تسير فى أمان متجهة الى اليمين ولكل نوع منها نهر خاص به ، أما فى نهاية اللوحة من أسفل فأشجار يفترض نيوبرى انها أشجار زيتون (وقد عارضه بشدة فى ذلك ل. كيمر) (٢) وإلى جانب الأشجار توجد علامة

التي يرى زينه عن حق انها تعنى بلاد جحنو (٣) (تحنو) وهى أرض الليبيين المعروفين باسم جحنيو (تحنيو) . وليس يحتاج الأمر الى كثير من البراعة للقول بأن الماشية عبارة عن غنيمة وان الأشجار يستخرج منها زيت جحنو (تحنو) الذى كانت له قيمة كبيرة .

ويبدو ان التفسير على هذه الصورة له ما يؤيده وان كان هناك اختلاف هام وذلك عن طريق تلك اللوحة الكاملة تقريبا والمعروفة باسم لوحة الصيد (٤) . فهنا نشهد عددا من الرجال يحملون أقواسا وحرابا وبوميرانج وانشوطه ويبدون وهم يهاجمون حيوانات الصحراء بنجاح . وفى المنظر أسدان مرشوقان بالسهم ووعل علققت الانشوطه بقرونه ، وحيوانات أخرى من بينها نعامة وأرنب صحراوي يعدوان مسرعين هربا ولكن لعل أهم ما يلفت النظر بالاضافة الى رمزين هيروغليفيين خفيين - هو تسليح الرجال ، فهم ملتحنون - شأنهم فى هذا - شأن الاعداء المنهزمين فى لوحة نعرمر (لوحتا ٢١ ، ٢٢) وفى شعورهم ريش (٥) وهناك ذيول متصلة بنقبهم القصيرة ، وكانت الذيول ميزة خاصة بالفراعين أنفسهم ولم تعرف لدى غيرهم الا فى صور الليبيين المقهورين المرسومة على

(١) Z.A.S., LII, 56


(٢) Bull. Inst. Fr., XXXI, 121 ff.



(٣) انظر الهامش رقم ٢

(٤) P.M., V, 104 No. 3

(٥) عدم وجود الريشة فى لوحة نعرمر ومع الرؤساء الأسرى الذين سيشير اليهم هى

علامة الهزيمة ، انظر الفقرة فى صفحة ٢٩٩ .

جدار (١) يؤدي الى معبد هرم الفرعون ساحورع من ملوك الاسرة الخامسة (٢) ، ولنفس هؤلاء الرؤساء الذين يضعون قضبانهم داخل غمد كذلك خصلة شعر غريبة صغيرة فوق مقدم رؤوسهم تذكرنا بالصل (الكوبرا) على جبهة فرعون ، أفمن الممكن أن يكون ملوك ما قبل الاسرات في مصر السفلى أو في غرب الدلتا من أصل ليبى فعلا ، وإن حكام الارضين المتحدتين فيما بعد ورثوا عنهم الذيل والصل وهما الوحدتان غير المتوقعتين اطلاقا في شعارات الملكية ؟ ولكن هناك افتراضات أخرى هي أنه ربما كان الرؤساء الليبيين لدى ساحورع يقتلدون الملوك المصريين أو ان غرابة أطوار الزى المشمار اليه ليست مقصورة على الليبيين أو مصر السفلى بل كانت افريقية واسعة الانتشار ، والكلمة المصرية لنوبيين وكذا الكلمة للجنود عامة تخصص (صفحة ٣٧) بصورة رجل يضع ريشة فوق رأسه  وقد نبهنا من قبل أن تماثيل عمرة التى عثر عليها في مصر العليا تمثل غمد القضيب ومن ثم فان كل ما نود أن ننتهى به هذا الأمر هو انه فيما يتصل بالتسليح - وهو أمر ليس من الضروري أن يخص جنسا معيناً بالذات - توجد قرابة بين الليبيين والمصريين والنوبيين تؤكد وصفنا لأقدم حضارة قامت في وادي النيل بأنها يجب أن تكون افريقية.

وتختلف لوحة الصيد عن لوحة القاهرة في ذكر أرض تحنو وسكانها الليبيين كأنما هم رياضيون سعداء وليسوا أعداء منهزمين . وقد ناقش رانكه (٣) أمر تاريخ اللوحة على أساس الصور المرسومة فيها التى تبدو في مظهر يشيع فيه الانطلاق وعدم النظام مما يخالف مآدج عليه المصريون فيما بعد من ناحية تمثيل صور الرجال والحيوانات على خطوط مستقيمة تماما كما هي الحال في قطعة القاهرة وفي لوحة نعرمر وربما كانت هناك قوة أكثر في مزاعم رانكه عن أصول شمالية للوحة على أساس ما يقدمه فيما يتصل بخطوط الرسم من ناحية ، ولسبب الاولوية التى يمسيها ثلاثة من الصيادين من ناحية أخرى ، ويبدو ان هذه تمثل رموزه «الغرب»  و «الشرق»  وقد استطاع الباحث البارع كورت زيته (٣) أن يجد ما يؤكد أن هذه كانت ترمز أصلا


(١) L. Borchardt, Das Grabdenkmal des konigs sahurê, II, Leipzig 1913, pls. I; 5

(٢) في المقال المذكور في P.M., V. 104, No. 3.

(٣) Nachr. Göttingen, 1922; 197 ff.

الى جانبى الدلتا المتقابلين ، ومع ذلك فان الهدف من منظر الصيد ، ككل ، لا يزال غامضا ما دام من المستحيل أن نتقبل اقتراح رانكه - الخطير - من ان حيوانات الدلتا البرية أصبحت خطرا مهددا ، وان الشرق والغرب تكاتفيا على وضع حد لوحشيتها .

وتذكرنا الاشارة الى الالوية على لوحة الصيد الى انه ليس هناك تفسير حتى الآن للالوية فى سفن فخار جرزه ، وقد استطاع نيوبرى ان يرتب مجموعة منه وسعى وراء التدليل على ان معظمها على الأقل كانت شعارات لمقاطعات الدلتا أو اقاليمها وهناك بعض الشك فى أنها كانت تقابل اعلامنا الوطنية اليوم وان الهدف منها كان الاشارة الى ان هذه الجماعة المحلية أو تلك تملك السفن ، ومع ذلك فان محاولات نيوبرى للتعرف عليها (١) غير صحيحة فى معظمها ونحن لانزال نجهل أية مقاطعات معينة هى المقصودة ؛ وهناك شيء آخر أقل غموضا هو ما يقابل ذلك من الالوية على واحدة من اللوحات الزخرفية (٢) التى يشغل أجزاءها العلوية « ثور قوى » يطعن حتى الموت رجلا مستلقيا من الطراز نفسه الذى أشرنا اليه من قبل كـ « لبيى » والثور هنا هو الملك سواء ملك مصر العليا أو السفلى أو ملك كليهما مادامت هذه الصفة تستخدم دوما للملك الحاكم ، وهناك الى أسفل - مربوط بغير شك بهيكل اسير منهار - حبل يمسك ايدى خارجة من خمسة الوية من النوع نفسه الذى نجده فيما بعد كعلامات للمقاطعات ، ولعل أيسر ما نعرف عليه منها هو لواء

مقاطعة اخميم وهو ثاسع اقاليم الوجه القبلى ورمزه  (٣) واما

هدف اللوحة فواضح حيث انها تسجل المذبحة أو القبض على مصريين من الدلتا أو اعداء لبيبيين على يد زعيم من مصر العليا على رأس حلف من بضعة اقاليم .

على هذه الصورة نستطيع ان ندرك الاتجاه العام للوحات التى تظهر بها صور حربية ولعل أهم ما يسترعى النظر فيها هو انها تتناول جميعا أمر حروب ضارية وهى ليس بها ما يشير الى التحام بغزاة من الشرق فيما عدا واحدة هى القطعة المشهورة المعروفة بمقبض سكين جبل العرق فى اللوفر (٤) ، وهى قطعة من العاج المثلث فيها مطاردة

(١) Ann, arch. and Anthropol, Liverpool, V, 132 ff.

(٢) P.M., V, 105, No. 4

(٣) أنظر فيما بعد شكل ١٢ ، فى الوسط .

(٤) Op. cit., V, 107

الصيد على أحد وجهيها ومثلت معركة على الوجه الآخر (لوحة ٢٠)
ويشاهد فوق منظر الصيد رجل يلبس عباءة ويقف بين أسدين يبدو أنه
استأنسهما ، اما المتحاريون على الوجه الآخر فيستخدمون أسلحة من
العصى ويبدون في المظهر نفسه الذي نشهده في اللوحات . ولكن يوجد
الى أسفلهم صفان من المراكب يفصلهما محاربون مذبحون ويظهر
بالصف العلوى مقدمات السفن ومؤخراتها راسية بل تظهر كذلك
ساريات يعلوها الهلال من الطراز نفسه الذي نعرفه في صناعة
ميزوبوتاميا منذ عهد بالغ القدم ، وصورة البطل الواقف بين أسدين
تشير الى طراز سوميرى حقيقى يرتدى ثوب معبود بابلى قديم ويضع
على رأسه نفس ما يضع المعبود ، ونحن ندين لفرانكفورت الذى استكملت
بحوثه الرائعة عن هذه العلاقات الاجنبية بحوث غيره ، ندين له بجدول
مفيد عن النقاط التى تتناول الارتباط بين الحضارتين (١) ، وهو يوافق
على القول بان المظهر البابلى حين بلغ التشابه اقصاه كان فيما يطلق
عليه « عصر جمدة نصر » وهو يقابل تقريبا بدء الأسرة الأولى فى مصر .
واذن فان الكتابة الهيروغليفية ظهرت أول ما ظهرت فى مصر . وان كان
يمكن ترسم خطاها فى ميزوبوتاميا قبل ذلك ، أما المقارنات فليست موضع
تساؤل وهى تبدو أنها نمت نموا طبيعيا على الأرض البابلية ولكنها
أجنبية على الروح والتراث المصريين . ومن أجل ذلك اختفت فعلا
بعد بضعة قرون ، وللمقابر الكبرى من اللبن (انظر شكل ١٥) ذات
الدخلات والخرجات التى ترجع الى الأسرات من الأولى الى الثالثة نظائر
تسبقها من طرازها فى ميزوبوتاميا ، وكذلك الأمر بالنسبة للاختام
الاسطوانية التى يمكن تحديد وصولها الى مصر قبل الأسرة الأولى .
أما الحيوانات المركبة والاخرى المجنحة والنسور التى لها رهوس الافاعى
فليست مصرية فى طبيعتها وهى قاصرة فى أغلب الأمر على اللوحات
ومقابض السكاكين . اما الرقاب الملفوفة بعضها على بعض التى نراها
فى لوحة نعرمر وبعض قطع أخرى فليس من شك فى أنها ميزوبوتامية
الفكرة وان كانت مصرية التنفيذ والأمر كذلك بالنسبة للمجاميع المرتبة
فى تباين مثل الرزاف على لوحة أخرى ومثل الأسود فى سكين جبل
العرق .

فكيف يمكن تفسير هذا التأثير الميزوبوتامى من الناحية التاريخية؟
أيمكن أن ينظر اليه ببساطة كأنما هو استمرار لضغط ربما بدأ منذ

عصر عمرة ثم عجل به وضخم ؟ ، اننا لاننوي هنا ان نناقش أقدم الارتباطات التي تجدها باومجارتل - مع غيرها من الباحثين - بين الفخار الايراني ونظائره المعاصرة في مصر من عصور ما قبل الأسرات ولكننا نقترح أن يكون الأمر ليس أقل من تسرب صناع ميزوبوتاميين الى مصر استطاعوا أن يكونوا مقدمة - قبيل الأسرة الأولى - لهذه التجديدات المعمارية والفنية الصارخة التي حددناها من قبل . ومن الواضح أن العلاقات التجارية غير المباشرة تكفي ، بينما نرى من ناحية أخرى أن غزوا فعليا أمر أكثر من ان نتقبله . واذن فعلينا أن نعترف بجهلنا بمثل هذه الأمور ، وألا نحاول أن نصدر حكما نقضى به بين أولئك الذين يدافعون عن وجهة نظر الوصول من البحر الأحمر الى وادى الحمامات ثم الى مدينة قفط (١) ، وأولئك الذين يميلون الى الطريق الشمالى من ناحية فلسطين (٢) ، ومع ذلك فانه يبدو انه لا بأس من القول باننا نرى التأثير الميزوبوتامى الذى أمكن اثباته يكفى تماما لأن يشيع الحركة فى هذا التقدم السريع الذى خلق لمصر حضارة خاصة رائعة من أشكال وصور لم ترض أن تبتعد عنها كثيرا فيما بعد .

ولئن القينا نظرة عامة على عصر ما قبل الأسرات ككل فاننا نلقى عقبة خطيرة هى عدم قدرتنا على تحديد مداه ، وهى بالضبط نفس عدم القدرة التى دفعت بىترى الى اختراع طريقته المعروفة بـ « التوقيت المتتابع » ومع ذلك فانه لم يسعه هو وغيره الا ان يلقى بدلوه فى بشر الحدىس والتخمين فيما يتصل بهذا الأمر ، ولعل أعلى افتراض هو ما يقدمه بىترى نفسه (٣) ، الذى يشير الى مخلفات الفيوم كأنما ترجع الى ٩٠٠٠ ق م والبدارى الى ٧٤٧١ ق م ومنيس الى ٤٣٢٦ ق م ، ولقد أشرنا من قبل (صفحة ٧٢) وما بعدها الى الأسباب التى تدعونا الى رفض التاريخ الأخير واعتباره مستحيلا ، أما المكتشف العظيم ريزنر (٤) فقد انتقل الى الطرف الآخر المضاد فلم يقدر لعصر ما قبل الأسرات أكثر من ١٠٠٠ سنة والمسألة هامة لأنها تثير مشكلة نوع الحياة الممكنة فى مختلف المراحل ، فلئن كانت

(١) Baumgartel متابعة لىترى فى صفحة ٤٤ من مؤلفها ورأيها فى الصفحة السابقة

(٢) Engelbach in Ann. Serv., XLII, 201 f.

(٣) The making of Egypt, p

(٤) The Development of the Egyptian Tomb, Cambridge, Harvard Univ. Press, 1936, p. 343

الأمطار الغزيرة لاتزال موسمية على الصحراء المتاخمة للنيل فان العصر النيوليتى - ربما حتى المرحلة التاسية - ظل يتطلع الى المرتفعات أكثر مما يهتم بواى النيل وذلك بالنسبة لانتاج الحبوب ، ثم هناك المشكلة التى نلقاها من ناحية الوادى نفسه ، فكم استغرق من الزمن لينظم آثار الفيضان حتى يحول اقليما من غابة أو مستنقعات الى أرض تنبت حبوبا ؟ اننا نشير مؤكدين الى أمر واحد هو اننا نخطئ تماما اذا تخيلنا مظهر الوادى فى عصر ما قبل الأسرات بأنه كان يشبه مانشهده اليوم ، انه كان من غير شك اشبه بأعلى النيل فى السودان فى الوقت الحاضر بمستنقعاته التى تزخر بالبردى وتبتلى بالتماسيح كما أنها مأوى لكل المخلوقات الوحشية من مختلف الأنواع وحين استحدثت عمليات الصرف ازدادت الأرض الزراعية وتناقصت مناطق المستنقعات وأصبحت قاصرة على حافة الصحراء - كما هاجرت الحيوانات تدريجيا الى الجنوب ومعها البردى واللوتس ، وليس هناك تحت أيدينا على أية حال ما يمكننا من ان نتتبع هذا التطور خطوة خطوة .

مراجع مختارة

ما قبل التاريخ :

من بين التراث الضخم بين ايدينا لا نستطيع الا ان نقدم احدث ما كتب في هذا الميدان وآخر ما نشره السير فلندرز بيتري عن نتائج بحره النهائية لنتقى به في كتاب
The Making of Egypt, London, 1939

وهناك كتاب اعيد طبعه ل

E. J. Baumgartel هو The Cultures of Prehistoric Egypt, Oxford, 1955

وبالفرنسية :

E. Massoulard, Préhistoire et Protohistoire d'Egypte, Paris, 1939

J. Vandier, Manuel d'archéologie égyptienne vol. I, Paris, 1952

C. Bachatly, Bibliographie de la préhistoire égyptienne (1869-1938), 'Cairo, 1942

ومن بين مساعدي « بيتري » الذين اسهمت الحفائر التي أجروها في زيادة معلوماتها
نخص بالذكر G. Brunton G. A. Wainwright

ومن الحفارين الألمان A. Scharff, H. Junker

جيولوجيا :

J. Ball, Contributions to the Geography of Egypt, Cairo, 1939, ch. II

وبالنسبة للمستويات انظر op. cit. ch. III واما عن انجازات

K. S. Sandford and W. J. Arkell

فراجع, ibid., p. 41 n., واما عن بحوث Miss Caton Thompson and Miss Gardner

فانظر op. cit. pp. 184-6

مرممة بني سلامة :

انظر تقارير « هرمان يونكر » التي اشار اليها « بشتل » op. cit., pp. 33-34

وعن الملخص والمناقشة راجع Vandier, op. cit. I. 95 ff.

واما عن رأي Baumgartel المتعارض فيمكن الرجوع الى op. cit. pp. 14 ff. ; 120 ff.

مصر الفراعنة — ٣٣

ديرتاسا :

G. Brunton, Mostgeddu and the Tasian Culture, London, 1937
Vandier, op. cit. I, 167 ff.

البداري :

G. Brunton, Qau and Badari, 3 vols. London, 1927-30.
Brunton & Caton Thompson, The Badarian Civilisation, London, 1928
Vandier, op. cit. F, 191 ff.

لوحات الاردواز (النماذج المبكرة)

W. M. F. Petrie, Prehistoric Egypt Corpus, London 1921, Pts. 52-59

(النماذج المتأخرة الزخرفية)

Petrie, Ceremonial Slate Palettes, London, 1953

الاختلاف الجشائي بين الشماليين والجنوبيين : D. E. Derry وقد ناقشه Vandier
في ميدان ما عثر عليه في op. cit. I. 11-13

خاتمة

استطاعت الأعوام الحالدة والتي منحت علماء الدراسات المصرية أول لمحة عن عصر ما قبل الأسرات ان تضعهم كذلك وجها لوجه أمام أوائل الأسرات للمرة الأولى وكان السبق في هذا الميدان لـ « أملينو » وهو عالم فى الدراسات القبطية لم تكن له خبرة سابقة بأعمال الحفر ، واستطاع عن طريق اعتمادات خاصة أن يبدأ عمليات الحفر فى ابيدوس عام ١٨٩٥ واتجه فى عمله الى ناحية الغرب حتى وصل الى منخفض فى الصحراء يعرف بأى العقاب (أم الأوانى) الذى سعى كذلك لكثرة ما يغطى سطحه من لحاف لا حصر له (١) - وفى هذه البقعة النائية على مسافة ميل من الأرض الزراعية وصل الى مجموعة من حفر المقابر المبنية باللبن والتي ثبت بعد ذلك أنها تخص ملوك الأسرتين : الأولى والثانية وكان عدتها طبقا لحصره ست عشرة مقبرة وكانت - كما رأى - تحمل أسماء ملكية كلها من طراز اللقب الحوريسى (صفحة ٦٨-٦٩) ولم يكن بينها وحد يقارب الأسماء التى قدمها مانيتو أو جاءت بقوائم الملوك وقد انتهى من وراء ذلك بطبيعة الحال الى القول بأن ملوكه الجدد هم « اتباع حورس » الذين تضعهم بردية نورين للملوك كاسلاف لـ - مينيس والذين يصفهم مانيتو بأنهم انصاف آلهة أو « مانيس » وسرعان ما نحت هذا الخطأ دراسات أدق لعلماء نابيين فى اللغة ولقد أجريت حفائر املينو اجراء ردينا وكان ما نشر عنها سيئا كذلك ومن حسن الحظ أن تمكن بيترى عام ١٨٩٩ من الحصول على حق الكشف ثانية عن هذه المنطقة وقد أمكن نشر النتائج الرائعة لهذه الحفائر فى عدة مقالات عنيت بنشرها على التوالى فى سرعة نموذجية جماعة Egypt Exploration Fund ومن سوء الحظ ان الجبانة كانت

قد تعرضت قبل املينو بزمان طويل لعملية نهب محزنة مما زاد الارتباك . وينسب حرق الاخشاب التى تحدد جوانب المقابر وكذا القطع الكثيرة المهشمة الى اقباط القرن الخامس أو السادس . ومع ذلك فانه رغم هذه الصعاب جميعا استطاع بيتري الى جانب عمل تخطيط للمقابر ان يرفع كمية كبيرة جدا من القطع الهامة بما فيها أوان حجرية عليها كتابات وكذا أختام جرار وألواح من الابنوس والعاج وكذا لوحات ذات حجم كبير نقشت نقشاً رائعاً .

وفى الوقت نفسه عكف الدارسون فى أوربا على معالجة الكتابات التى عثر عليها املينو ، وكان جريفث (١) فى انجلترا وزيته فى ألمانيا من بين أول من أدركوا أنهم أمام بقايا الأسرتين : الأولى والثانية لدى مانيتو . وهناك مقال كبير القيمة جدا نشره زيته (٢) (١٨٩٧) اثار الانتباه بخاصة الى حقيقة انه فى بعض الحالات يصحب اللقب الحوريسى للملك كنية أخرى يسبقها لقب مصر العليا والسفلى أو يلحق بهذه الكنية « لقب السيدتين » (صفحة ٦٨) وان هذه الكنيات الثانوية هى التى تقابل ما جاء فى قوائم الملوك من عهد الرعامسة وكذا لدى مانيتو . وقد تعرضت هذه الكنيات الثانوية بطبيعة الحال الى بعض التحوير بمرور الزمن ومع ذلك فانه لم يكن من العسير ادراك هذا التفاوت . وهكذا فان اوسافيس لدى يجعل منه مانيتو خامس ملوك الأسرة الأولى يمكن تتبعه حتى فصل الى مجموعة هيروغليفية قد تقرأ « زمتى » ، بينما سادس الملوك لدى مانيتو وهو ميبيس كما يكتب أصلاً من غير شك « مريبى بيا » ، واما السابع وهو « سممبس » لدى مانيتو فيبدو فى هيئة كهنوتية بمسك عصا فى أم القعاب كما يمسك صولجاناً فى قائمة ملوك أبيدوس (٣) . بينما نجد ثامن ملوك الأسرة ، وآخرهم يستخدم « قاعا » كلقب حورسى وأحياناً كاسم شخصى ويتخفى فى قائمة أبيدوس وفى بردية تورين بطريقة أمكن الكشف عنها تحت اسم قبح . وقد أمكن التمسك لحسن الحظ من التتابع التاريخى لهؤلاء الملوك الأربعة عن طريق اناءين حجريين منقوشين كشف عنهما بعد ذلك بعدة سنوات (٤) وانا فنتهر هذه الفرصة

(١) فى Petrie, Royal Tombs أنظر المراجع فى نهاية الفصل


(٢) Z.A.S., XXXV, I, ff.

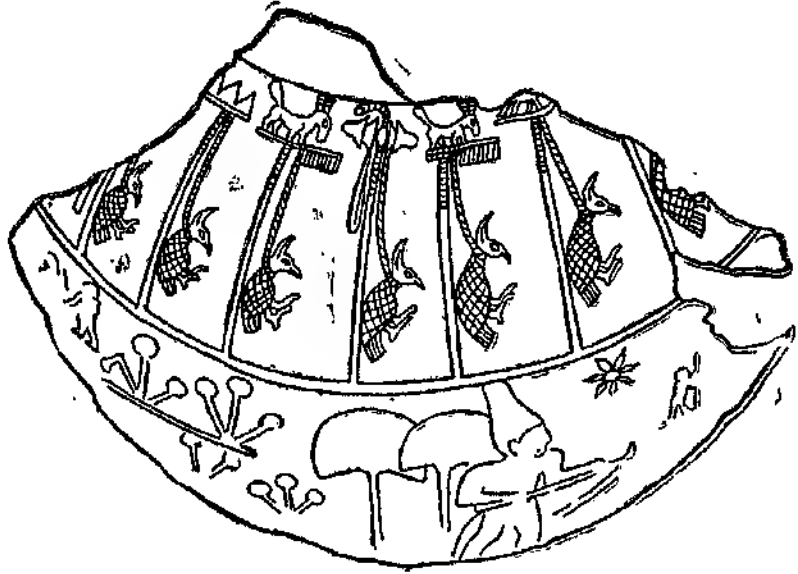
(٣) Ann. Serv. XLIX, 284 ff.

C.M. Firth, J.E. Quibell, The Step Pyramid, Cairo, 1935, Pls. 88., I; (٤)

لنشير الى أن نعل الهيروغليفية الخاصة بهذه المصور البعيدة أمر بالغ الصعوبة حتى لنجد الكثير من الأسماء يتناولها مختلف الباحثين بصورة متباينة كما سيتضح من لقبين حورييسين من عهد الأسرة الأولى . فاللقب الذى يخص رابع ملوك الأسرة يقرؤه بيتري كأنما هو « رت » مما يجعل صاحبه كما هو واضح هنا يتساوى بالآلهة الصل التى ربما كان نطق اسمها أقرب الى ادجو منه الى وادجى كما يرى البعض . ومن ناحية أخرى فلو كان خامس الملوك لدى بيتري وهو « دن » يشير اليه زيتنه - ويوافقه جمهرة من الباحثين على ذلك - كأنما هو « اوديمو » ، ومعناها « ساكب الماء » فإن ذلك يرجع الى أن هذا أمر نظرى وربما كان من الخير الاحتفاظ بالقيمة المتعارف عليها لهاتين العلامتين الهيروغليفييتين اللتين يكتب بهما الاسم .

أما المشاكل المنصلة بالملوك الأربعة الأولين فى الأسرة الأولى وعلى رأسهم مينيس فحلها أقل يسرا وهى تتطلب بعض النظر أكثر مما اكتفينا به بالنسبة للأربعة الآخرين ومن ثم فإنه من المرغوب فيه أن نشير هنا الى بعض ما جاء خاصا بالحفائر السابقة لحفائر بيتري الأساسية فى أبيدوس . ففي عام ١٨٩٧ كان كويل شريك بيتري يحفر فى الكاب وهو موقع هام على الضفة الشرقية الى شمال ادفو حيث الآلهة المحلية العقاب « نخبة » التى أسهمت مع الكوبرا « ادجو » من بوتو فى الدلب فى شرف منح الملك لقبه المعروف ، لقب « السيدتين » وكان من المتفق بالنسبة لعراقة وقدم هذا اللقب أن يعثر هناك على أشياء هامة ولكن النتائج التى وصل اليها كويل كانت مئسرة ، ومع ذلك فإن النجاح الذى كان ينتظره فى العام التالى فى الكوم الأحمر الذى يقع مقابلها من النهر تفريبا كان نجاحا مشيرا . وكان من المصروف أن هذا الموقع هو الذى يقال نحن القديمة التى ورد ذكرها فى القاب عدد من موظفى الدولة القديمة وهو المعروف لدى اليونان باسم هيراكليونيس بسبب الآلهة الباشق حورس الذى كان المعبود الرئيسى هناك . وكانت مكافأة البعثة اللوحة الارذوازية للملك نعرمر التى تردد ذكرها كثيرا فى الفصل السابق والمصورة فى شكل ٢١ ، ٢٢ . وأن الأمر لا يحتاج الا لقليل من العطف لنذكر أن هذه القطعة هى حلقة تصل بغير منازع بين أواخر عصر ما قبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات - فى فنها ورسومها ، والموضوعات التى تتناولها تشير فى وضوح الى أنها آخر مثال لمجموعة اللوحات المعروفة للمقاريء الآن ، ومن ناحية أخرى نجد أن اللقب الحورييسى نعرمر سرعان ما يظهر كذلك فى أم العقاب . ولكن قبل أن نتمادى فى الحديث عن

نعمر - وقراءة الكلمة ليست مؤكدة تماما - (١) يجب ان نشير الى بعض النقوش الذي تتناول ملكا اسبق يجب أن نشير اليه بـ « الملك العقرب » مادامت تنقصنا أية مماثلة نطقية . وليس لدينا من آثاره سوى تقدمات نذرية عثر عليها في معبد هيراقونبوليس وذلك بالاضافة الى اشارات مبهمة على اناء من طره (٢) من الحجر الجيري الصلب عليها مناظر بالنقش البارز . والمنظر الرئيسي منظر احتفالات كما هي الحال بالنسبة للقطع التي تخلد ذكريات احداث الأسرة الأولى يرى الملك في وسط المنظر وهو يمسك فأسا بكلتا يديه ويرتدى نقبة مربوطة الى أعلى كتفه الأيسر ويتدلى من الزنار ذيل ثور وهو من الخصائص المعروفة للملكية . وعلى رأسه تاج مصر العليا وتعد الرسوم العلوية من أكثر الأشياء أهمية من الناحية التاريخية ويبدو فيها موكب من الاولوية الحربية تعلوها شعاعات الاقاليم أو المقاطعات المختلفة ومن بينها رمز « مين » وحيوان « ست » وقد علق طائر الزفراق  معلقا من عنقه بحبل يدور حوله ، ميتا أو يبدو كميث (شكل ١٢) .



شكل ١٢ - الأقاليم تقبض على طيور النباح

(١) Ann. Serv. XLIX, 217 ff., 547.

(٢) Junker, Turah. p. 7

ويواجهها في الناحية المضادة موكب من الالوية ذات الاقواس
التي تتصل بها بالطريقة نفسها ولكن ليس من بينها سوى لواء واحد
كامل . . والمعنى العام واضح : فالملك عقرب زعم انتصاره على الاقواس
التسعة أى الشعوب المختلفة فى مصر وعلى حدودها وكذا على جانب من
سكان مصر يتردد ذكره فيما بعد كثيرا وهم المعروفون بال « ارخيه »
أو « قوم الزقزاق » الذين يرى فيهم جمهرة علماء الدراسات المصرية
سكان الدلتا الذين تم اخضاعهم ، وإن مما له دلالة على أية حال هو انه
رغم اتساع نطاق الانتصارات التي يفاخر بها العقرب فانه لا يزعم انه
كان ملكا على مصر الموحدة وقد احتفظ بهذا الشرف ل نعرمر الذي يلبس
التاج الأبيض لمصر العليا  على أحد وجهي لوحته ، بينما نراه على
الوجه الآخر ، وكذا على رأس دبوس له نفس الأهمية ، يضع التاج الأحمر
لمصر السفلى  ومن الواضح انه كان أول ملك مصرى يفعل ذلك .
ومما له قيمة كبرى تلك الحقيقة التي تجعل من نعرمر نفس شخصية
مينيس ولسنا بحاجة الى التعليق فى افاضة كبيرة على المناظر التي تفسر
نفسها الى حد كبير ومع ذلك فهناك ظاهرتان باللوحه ، لهما من الأهمية
ما يجعلنا لانستطيع ان نمر عليهما دون تعليق فالى يمين صورة نعرمر ذى
الذراع المرفوعة ليضرب عدوه الذى يمسك بناصيته توجد مجموعة
سحرية من الرموز مرتبطة بعضها ببعض ككل . ومن الواضح انه -
حتى هذه المرحلة - لم يكن العلماء فى البلاد قد طوروا بعد قوة كتابة
جمل كاملة وكان أقصى ما يفعلون هو عرض مجموعة من الصور يستطيع
المشاهد ان يترجمها الى كلمات . ومن الواضح ان صقر حورس يمثل
نعرمر وليس الحبل المتصل برأس عدو ملتصق به يد الصقر بحاجة
الى تعليق . أما الشيء الذى يشبه المسند وتبرز منه رأس السجين
فمن الواضح انه يمثل موطنه الأصلي : وأما نباتات البردى الستة التي
تبدو نامية فتمثل مصر السفلى الذى يعتبر البردى رمزا لها . وهكذا فان
المجموعة كلها تعنى ان «الاله الصقر حوربس (أى نعرمر) يقود أسيرا
من سكان أرض البردى » وربما لا يبدو غريبا أن نترجم الرسم الذى
يشغل وسط الوجه الخلفى كأنما يرمز الى اتحاد نصفى مصر فالحيوانان
السنوريان برقبتيهما الطويلتين يبدوان كأنما يصدهما عن محاربة
بعضهما رجل ملتصق فى كل من الناحيتين . ويشاهد نعرمر الى أعلى كملك


على مصر السفلى وهو يستعرض ثمار نصره فأمامه ألوية حلقائه ثم سفينة يبدو أنها جاءت به الى المكان الذى لا يزال يرى فيه أعداءه ممددين على الأرض بعد أن قطعت رؤوسهم . ويمكن أن تفهم هذه اللوحة النذرية التى أجيد تصويرها وتنفيذها بأنها تخلد تخليدا صادقا الاحداث نفسها التى قامت عليها شهرة مينيس كمؤسس للملكية الفرعونية .

ومع ذلك فان حقيقة شخصية مينيس لا تزال موضوع نقاش بين الباحثين وليس من نافلة القول ان نستعرض الحجج التى يدلى بها أصحاب النظريات المختلفة . فمن بين اختتام الجرار التى عثر عليها فى أم القعاب واحد يحمل علامات  دون أن يسبقها قب وقد عثر عليه مجاورا للقب نعمر الحوريسى (١) وقد اتخذ هذا كدليل على أن نعمر ومينيس يعدان شخصية واحدة . والأمر نفسه - نلقاه ينطبق كذلك على حورس جر وحورس ادجو (وهو زت، الملك الثعبان لدى بيتري) بالنسبة للملكين المعروفين تحت اسم ايتى وايتا فى قائمة ابيدوس ، ولكن من سوء الحظ - كما يشير الى ذلك جريفت وزيته - ان مثل هذا الدليل يقدم لنا نقبين واضحين لحورس مما لا نجد أيا منهما فى قوائم الملوك . . . وهناك اعتراضات أخرى من النوع نفسه ، وتبعاً لهذا فان مثل هذا المعيار عديم القيمة وان كان استبعاده لا يثبت أن نعمر ليس هو مينيس . ولعل من أهم ما عثر عليه لوحة من العاج تقدم صورة لها فى شكل ١٤ (٢) . وقد عثر عليها دى مورجان فى عام ١٨٩٧ فى مقبرة ضخمة ذات دخلات وخرجات فى نقادة فى المنطقة التى أجرى بها فلنדרز بيتري من قبل كشفه عن عصر ما قبل التاريخ . وليس هناك مجال للشك فى طبيعة هذه القطعة فهى بطاقة قصد بها أن تشير الى تاريخ ومحتويات اناء كانت معلقة به . ويرى فى وسط الصف العلوى الاسم الحوريسى للملك عحا (المحارب) الذى نلتقى

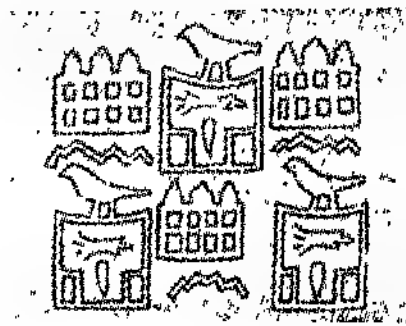
(١) R.T., II, pl. 3, 19

(٢) Petrie, Royal Tombs; II, 13, 93 وانظر كذلك شكل ١٣

Ann. Serv. XXXIII, pls, 1, 2 كما ترى هنا بما عثر على اجزاء منها فيما بعد
P.M., V, 118,

به كذلك على اختتام جرار في المقبرة وفي عدة أماكن أخرى ، وتوجد خلف ال «سرخ» (صفحة ٦٩) سفينة كان يفترض من غير شك أن يسافر عليها الملك . وترى في المقدمة مجموعة من الكتابات الهيروغليفية داخل ما يشبه الكشك أو الجوسق وقد ركزت حول هذه المجموعة مختلف آراء الباحثين . وليس الأمر موضع نقاش فيما يتصل بالعقاب والصل فوق العلامتين على شكل السلة فهما يكونان معا لقب « السيدتين » الذي - كما شهدنا من قبل - كان يستخدم لتقديم الأسماء الشخصية للملوك الأسرة الأولى وليس من الحكمة أن ننكر - كما فعل عدد كبير من الباحثين - أن الكلمة الهيروغليفية المرسومة تحتها هي رفعة الداما  التي تقرأ «من» ، أو أنها تشير الى الاسم الشخصي لـ «مينيس» .

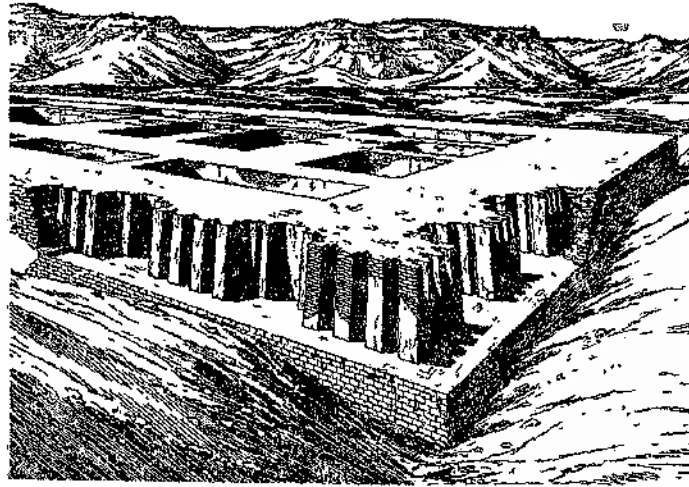
وكان بورخارت أول من أدرك هذه الحقيقة الأخيرة ولكنه قفز للأسف الى الخاتمة بأن زعم بأن عجا ومينيس يعنيان شيئا واحدا ،وهى وجهة نظر وافق عليها زيته كذلك وكنتيجة لهذا اعتبر مقبرة نقاده مقبرة لـ « مينيس » نفسه . ولكن هناك اعتراضين خطيرين على هذا التفسير : فهو أولا يتجاهل المبنى على شكل الجوسق الذي كتب بداخله اسم مينيس ، وهو ثانيا يضرب صفحا عن حقيقة صارخة هي أن اللقب بالهيروغليفية للسيدتين يواجه ناحية اليمين، بينما القاعدة العامة دائما هي



شكل ١٣ - الختام يفترض انها للملك « مينس »



شكل ١٤ - لوحة مرسومة تحمل اسم « ميس »
(حوليات مصلحة الآثار - الجزء ٣٣ ، لوحات ١ ، ٢)



شكل ١٥ - تكسية التجاويف في المقبرة الكبرى في نقادة

أن يواجه لقب حورس واسم الملك الشخصى احدهما الآخر . ويضاف الى هذين الاعتراضين اعتبار آخر هو أن السجل العلوى يجب أن يخلد حادثا بارزا يمكن من ورائه تذكر السنة التى تم فيها صنع اللوحة ، وهنا يجب أن نشير فى الختام بأن عجا يرى وهو يزور مكانا له صلة بـ « مينيس » ويشير « جردسلوف » (١) الذى ينسب اليه فضل الاصرار على هذه الأمور متابعاً فى ذلك افتراضات نيوبرى فقرة فى متون الاهرام يوصف فيها الملك وهو يشيد المبانى المؤقتة المطلوبة من أجل جنازة ملكية . . وربما كان هذا هو الاحتفال الفعلى الذى يوصف فى هذه اللوحة . ونستطيع هنا - اذن - رغم عدم وجود دليل على أن نعرمر هو مينيس - أن نؤكد أن مينيس ليس هو عجا ولكنه كان سلفاً له . والاختيار قائم من غير شك بين نعرمر وعجا اللذين يشترك لقبهما الحوريسيان فى خاصية ابراز الصقر فى صورة جاثمة وكان يستقر عادة فوق قاعدة مقعرة تشبه القارب، بينما يرسم الصقر لدى ملوك الأسرة الأولى بعد ذلك واقفاً فوق خط مستو هو قمة الـ « سرخ » وهناك حجة أخرى تدعو الى استبعاد افتراض كون عجا هو مينيس ذلك انهما لو كانا شخصية واحدة فاننا كنا نتوقع أن نجد عجا مذكوراً فى هيراقونبوليس ، بينما لا نجد له فى الواقع أثراً هنا . ونستطيع أن نشير هنا كذلك اشارة عابرة الى ملك غامض يدعى (كا) نلتقى بلقبه الحوريسى فى أم القعاب وفى أماكن أخرى قليلة وهو يكتب بالصيغة الاركيه التى أشرنا اليها ولكن أحداً لم يحاول الاشارة اليه فى الأمر الذى نناقشه هنا . . ولذا فمن الآمن أن نصرف النظر عن مثل هذا الافتراض .

ان الاجماع الذى تلقاه الفكرة التى ينادى بها المحدثون من المؤرخين من أن مينيس هو أول الفراعنة يلقي تأكيداً فعلاً من حجر بالرمو المشهور (صفحة ٨٠) فالصف العلوى من الصدر يقدم الأسماء المكتوبة الغربية الشكل لعدد من الملوك ليس لدى صاحب الحوليات من بيانات أخرى عنهم . وليس من شك فى أن الصف الثانى يبدأ بـ « مينيس » وإن كانت الناحية التى ذكر بها مفقودة . والمشابهة الموجودة بالنسبة للمكين آخرين من الأسرة الأولى والمسجلة فى القطعة الكبيرة بمتحف القاهرة يجعل من المؤكد تقريباً القول بأن اسميه : الحوريسى والشخص ، كانا موجودين مصحوبين كما يبدو كذلك باسم أمه . أما خانات السنين أسفل العنوان

فتشير فى كل عام من أعوام حكمه الى أهم حدث تم بها وان كان يغلب أن صاحب هذه الأخبار ربما لجأ الى الخيال حين كان يتحدث عن هذه العصور الممعة فى القدم . وانه ل يبدو مما يشير الانتباه أن نعرف ان كان قد ذكر أمر توحيد الأرضين صراحة فهذا كان على أية حال الاجراء الحاسم فى أعين المصريين ، ذلك الاجراء الذى حدد أول التاريخ الانسانى ، وانا لنجد له ذكرا فى الكلمات « توحيد مصر العليا والسفلى ، الطواف حول الجدران » الذى يميز فى حجر بالرمو وغيره العام الاول لحكم كل ملك ، وكان هذا يشير فى جلاء الى الاحتفال الذى يؤكد شرعيته كخلف لمؤسس أسرته . واما الجدران المشار اليها هنا فهي حوائط منف التى ينسب هيروودوت تأسيسها الى مينيس (٢ : ٩٢) والتى يشير اليها ديودور كذلك (١ : ٥٠) مع بعض الاضطراب . وهناك كذلك حجر رشيد الذى يشير الى منف ويتحدث عن الاحتفالات المعتادة التى يقوم بها الملك حين يتسلم وظيفته الكبيرة . وهكذا فان انتقال المقر الملكى من مكان ما فى ابجنوب الى هذا المركز الممتاز من ناحية الموقع عند رأس الدلتا يجب أن ينظر اليه كمناسبة مباشرة لارساء دعائم المملكة المزدوجة . وقد ناقش زيته الأعمال الهامة التى نسبها هيروودوت الى مينيس بكثير من البراعة وهى عبارة عن انشاء جسر ضخيم يحمى منف من غائلة الفيضان وكذا بناء معبد بتاح الى جنوب الاسوار المحصنة ويؤكد هذا الأمر الأخير لوحة من الأسرة التاسعة عشرة تشير الى بتاح مينيس (١) وهناك حقائق أخرى لا يمكن احصاؤها هنا تربط ما بين مينيس ومنف .

أما أهمية هذه المدينة العظمى فى عهد الأسرة الأولى فقد ضغط عليها عن طريق الحفائر التى أجريت عند طرف الصحراء الغربية على مبعده ثلاثة أميال الى الشمال ، فالصف الطويل من المساطب من اللبن التى أخذ ر . ب . ايمرى فى الكشف عنها منذ عام ١٩٣٥ تختلف عن نظائرها التى كشف عنها بينرى فى ابيدوس بسبب تعقيدها الكبير وهى تكاد تبلغ ضعفها من ناحية الحجم .

وبشير تكوينها - كما تبين الرسوم وكذا ما عثر عليه بها - الى أنها تخص الأسرة الأولى ، وأقدم تاريخ لها يرجع الى عهد عحا . ونستطيع أن نلاحظ تطورا سريعا لم يتناول على أية حال الخصائص الرئيسية . وبضم المستطيل الكبير المصنوع من اللبن الذى تظهر به خصائص تكسية واجهة

القصر (شكل ١٥) من الخارج عددا من المخازن المستطيلة التي صنعت مماثلة حول حجرة دفن تبلغ ضعف مساحتها كانت تعمق بمرور الزمن ويستطاع الوصول اليها الآن عن طريق درج يبدأ عند ، أو بالقرب من ، السور . وفي أقدام مانشهده من أمثلة لا نجد ما يصل بين الغرف وبعضها بعضها مما يشير الى أن محتوياتها كانت تخزن بها قبل أن يشيد المبنى العلوى . وفي النهاية تخفى الغرف ويحل محلها غرفة دفن أكبر حجما (١) وهناك أرضيات وسقوف خشبية كما أن هناك ما يشير الى استخدام الأحجار وقد ظهرت على الجدران أحيانا بعض الرسوم الهندسية الملونة .

ولعل الناحية الهامة بالنسبة للمؤرخ هي تشابه المخلفات فى جزئى البلاد . ان هناك حقا بعض الاختلافات بين الشمال والجنوب ولعل أكبرها هو عدم وجود التقاسيم المميزة لواجهة القصر فى ابيدوس وان كنا نجدها فى المقبرة الكبيرة بنقادة . ويلاحظ اختلاف كبير من الناحيتين بين مقبرة ومقبرة . واما من الناحية الأثرية فان التشابه يكاد يصل الى حد التماثل والأمـر كذلك من ناحية الأثاث والأواني الحجرية والأدوات واللوحات أو البطاقات المستخدمة لتسجيل التاريخ . والتشابه واضح بخاصة فى اختتام الجرار ؛ إذ أن نفس الرسوم والتركيبات الهيروغليفية موجودة فى كل من منف و ابيدوس ، ولسنا نطمع فى دليل على قيام الوحدة فى البلاد . وهناك ما يدل كذلك على عادات مشابهة تنحو الى تأييد الارتباط بالحضارة الميزوبوتامية التى تناولناها فى الفصل السابق . وتحيط بالكثير من المقابر الكبرى صفوف طويلة من غرف الدفن يجاور بعضها بعضا وتنهض محتوياتها دليلا على تضحبة الخدم أو غيرهم من المخلوقات العجة ليصحبوا سيدهم فى العالم الآخر . وفى إحدى المقابر التى كشف عنها ايمرى فى شمال سقارة - وهى تنسب الى ملكة تدعى مروت نيت ، وان كان الدليل واهيا - عثر على هياكل عظمية لذكور بالغين موسدين القرفصاء ووجوههم جميعا الى ناحية واحدة ولعل من الطريف أن ننقل بالنص كلمات المكتشف (٢) :

« . . لم يلاحظ وجود أثر للعنف على البقايا التشريحية . ولا يشير وضع الهياكل بأية حال الى وجود حركة بعد الدفن ومن ثم فانه يبدو من المحتمل

(١) راجع الرسوم التخطيطية فى Emery, Great Tombs (p. 428), I, pp. 2-18; II, pls. 1, 2, III, pl. 2

(٢) Op. cit., II, 142

انه حين تم دفن هؤلاء الأفراد فان ذلك حدث بعد موتهم وليس هناك ما يشير الى دفنهم احياء وعدم وجود آثار للعنف يوحى بأنهم قتلوا بالسم قبل الدفن *

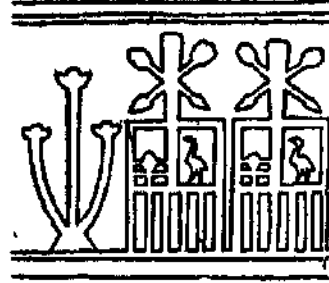
ويتابع ايمرى القول بأن القطع التى عثر عليها فى هذه المقابر السليمة توحى بقيام حرف محددة وهو يشير فى احدى المناسبات الى وجود نماذج لقوارب ، كما يشير فى حالة أخرى الى وجود أزميل نحاسى فى اناء من المرمر . أما فى أبيدوس فان ما يقابل هذه القبور الفرعية يحوى لوحات غير مصقولة بها أسماء للأشخاص تصحبها أحيانا علامات هيروغليفية للدلالة على الجنس والحالة ... وما الى ذلك . وكثرة شاغلها من النساء وبعضهن من سبائا الحروب وهناك أحيانا العديد من الأقزام وكذا قلة من الكلاب وهناك لقب يتردد كثيرا على اختتام الجرار يبدو انه يشير الى ان بعض المدفونين كانوا من طبقة أعلى من طبقة الحدم وفى احدى الحالات (١) التى نجد لها مثيلا أكثر دلالة كذلك لدى ايمرى (٢) نلاحظ أن اللوحة الكبيرة فى الحالتين - وهما مؤرختان من عهد الملك قاعا - سجلت بها ألقاب يبدو أنها تخص شخصية لها وزن أكبر .

وأمام مثل هذه المعلومات عمن كانوا لا يزيدون عن أتباع فى معظم الأمر نرى الحقن يحتويننا حين تصبح معلوماتنا ضئيلة بالنسبة لأولئك الذين ضحى هؤلاء بحياتهم فى سبيلهم . فليست هناك واحدة من غرف الدفن المركزية فى المساطب الكبرى الا جردت من شاغلها الأصلي ولم يبق بها سوى أختام جرار أو بعض نقوش على الجرار وما أشبه ذلك مما نتخذة أساسا لافتراضاتنا . ورغم الاثارة العميقة التى توحى بها مكتشفات أيمرى الا أنه ثبت كذلك انها لا تقوم على أساس قوى تماما . ذلك أن كشوف أبيدوس استطاعت أن تقنع الباحثين بالعثور على أماكن الدفن الحقيقية لأوائل الفراعين وقد بدا تأكيد هذا عن طريق الدليل المستقى من مانيتو من ان الأسرتين : الأولى والثانية من أصل ثينى، وكانت المدينة المصرية ثينة من المواقع القريبة من أبيدوس ولكن ضخامة وفخامة المقابر الممفية أثارت الشكوك فى أن المقابر الحقيقية للعصر مكانها هنا ، وزاد الأمر تعقيدا وجود مصاطب منعزلة أخرى ليست أقل أهمية - ترجع

(١) Petrie, Royal Tombs I, pl. 30

(٢) Emery, Op. cit., III, pl. 39

الى العصر نفسه ، فى طرخان على بعد بضعة أميال الى جنوب اللشت ، وفى الجيزة ثم أبعد من ذلك شمالا فى أبو رواش . أفمن الممكن ألا تكون هذه فعلا إلا مقابر نبلاء يفوقون من ناحية الفخامة ساداتهم الذين كانوا لهم بمثابة الموالى ؟ لقد كانت هذه هى الانطباعة الأولى الواضحة التى أنبثقت عند الكشف عن « مسطبة بواجهة قصر » ضخمة فى شمال سقارة كانت فاتحة للكشف عن مجموعة المقابر . وقد نسب ايمرى هذه المسطبة الى رجل من رجال الادارة الاقليمية يدعى « حماكا » بفضل ما عثر عليه بها من كثير من ختام الجرار ومع ذلك فإن الـ « حورس دن » خامس ملوك الأسرة الأولى أمكن تمييزه كذلك على أختام الجرار التى تشير كذلك الى « حامل ختم ملك مصر السفلى » الذى يحمل اسما يدخل فى تركيبه اسم الاله نيت . ولقد عثر كذلك على حماكا مرتبطا بالملك « دن » فى أبيدوس . ومن ثم فإنه ليست هناك شبهة من شك فى أهميته ولكن لنا أن نجزم هنا بأن أختام الجرار عديمة الجدوى فى أغلب الأمر من ناحية كونها دليلا على ملكية المقبرة فلئن كانت لها هذه الدلالة - كما يحدث غالبا - فإنها حين تشير الى اسم الملك . تصبح دليلا على التاريخ . ولتوضيح ذلك علينا أن نتذكر مقبرة نقاده التى عثر بها على لوحة مينيس (صفحة ٤٣٦ وما بعدها) وهى مقبرة أصغر من المقبرة التى تنسب الى حماكا ولكنها أكبر من ثلاثة أمثال أضخم المقابر الملكية المزعومة فى أبيدوس . ومقبرة أبيدوس التى يشك بىترى فى نسبتها الى الملك عحا عبارة عن غرفة مفردة قليلة الأهمية لا يكاد تصدق انها له . وأختام حورس - عحا فى نقادة عديدة ونرى الـ « سرخ » يوجد وحده أحيانا ، وتصحبه فى أحيان أخرى العلامة الهيروغليقية لـ « حت » وأحيانا ثلاثة نجد معه ثلاثة طيور متماثلة وما دامت هذه الطيور لا توجد الا على عدد من الأواني الحجرية فإن الافتراض قام على أساس انها تقدم اسم أحد النبلاء الذى هو صاحب المقبرة ولكن . . . هناك اثنان آخران مرشحان لهذه الملكية : أولهما عحا نفسه وثانيهما الملكة نيت حتبو ، وقد كتب اسم الملكة بطريقة بالغة الطرافة فقد وضعت كلمة ، « حتبو » داخل « سرخ » ويعلوهما السهمان المتقاطعان وهما طريقة التعبير الأركية لكتابة اسم نيت الهه مدينة سايس فى مصر السفلى (شكل ١٦) . والمشابهة تامة مع لقب حورس الفرعوني ولكننا حين نجد فى كل من أبيدوس وسقارة اسم ملكة أخرى ، أو أميرة ، هى مرنيت وكذا مقطع - « نيت » فى أبيدوس فى أسماء بعض الآماء المضحيات فإن الافتراض المعقول عندئذ هو أن العلاقات الدبلوماسية كانت قد تمت بين السيدات الملكيات من سايس وبين الملك الغازى من مصر العليا وليس من شك فى أن ملكة المستقبل



شكل ١٦ سرخ الملكة حتبوت

قد صحبتها نساء أخريات كمحظيات فليس من غير المحتمل تبعا لذلك أن تكون مقبرة نقادة هي مقبرة زوجة عحا ٠٠٠ ومع ذلك فلم اختيرت لدفعها هذه البقعة البعيدة ؟ وإما افتراض كون المقبرة لـ « عحا » نفسه كما ظن في أول الأمر حين فكر في أن عحا هو مينييس فإنه أمر يبدو غير مقبول بعد أن كشف إيملر في سقارة عن مقبرة فسيحة ضخمة تشير اختتام الجرار بها في معظم الأمر إلى اسم « حورس عحا » وحده أو مصحوبا بالعلامة سالفة الذكر « حت » أو بكلمات هيروغليفية يبدو أنها تقرأ « ابن إيزيس » وإن كان مما يثير الدهشة أن تكون زوجة أوزوريس سميت بهذا الاسم فعلا في ذلك التاريخ البعيد وهكذا فإن أغلب الأمر أن مقبرة سقارة تخص عحا ٠ وقد ناقشنا أمر المقابر الثلاثة التي يجدها بها مكتشفوها ٠ وقد استطاعت حفائر إيملر الموفقة توفيقا كبيرا أن تميظ اللثام عما لا يقل عن أربع عشرة مسطبة ضخمة بواجهة قصر تمتد في صف على طول حافة المنحدر وقد عثر بها جميعا على أختام جرار الملوك الأسرة الأولى تشير إلى تواريخ تقريبية ٠ وفيما عدا نعرمر نلتقى بالملوك جميعا فيما عدا سمبسس ، وتشير قطعة حجر بالرمو بالمتحف المصري إلى أنه لم يحكم أكثر من تسع سنوات ٠ ويعتقد إيملر أنه اكتشف المقابر الفعلية للملوك الستة الآخرين ابتداء من عحا ، وما دام لدينا ما يجعلنا نعتقد أن مينييس تحرك من الجنوب ليجمع من منف عاصمة له فإن نظرية إيملر محتملة جدا ٠ ولكن اسم « جر » يتردد في مقبرتين ، كما يتردد اسم « دن » في أربع مقابر أو خمس ، أما المقبرة الكبيرة المعروفة بـ « جيزه ٥ » (١) فهناك من الحجج ما يعدل الحجج التي

(١) Petrie, Gizeh and Rifeh, London, 1907 ; pp. 2 ff.

تشير الى مقبرة سقارة رقم ٣٥٠٤ من أنها خاصة بـ « ادجو » الملك،
 الثعبان . وهناك مقبرتان ربما كان من الصواب ترجيح أنهما للمكتن
 كما انه من الممكن بعد ذلك كله ان تكون مقبرة حماكا التى تنسب اليه
 خاصة به والاحتمال نفسه قائم كذلك بالنسبة لأحد العظماء ويدعى
 مبابو من عهد «عنز اي» (١) وان لم يكن كذلك بالنسبة للأمير « مراكا »
 من عهد قاعا (٢) وليس هناك فى مقبرة واحدة من بين المقابر الأربع
 عشرة ما يؤكد نسبتها تأكيداً قاطعاً ، بل ان هناك بعض الباحثين الذين
 يرون فى اييدوس الجبانة الملكية الحقيقية ويقدمون كدليل تلك اللوحات
 الحجرية الفخمة التى كانت قائمة أمام غرف الدفن العظيمة والتى تعد
 لوحة الملك الثعبان الموجودة الآن فى اللوفر ، أروعها جميعاً . وربما ظن
 المصريون أنفسهم فى العهد المتأخر أن ملوكهم للأوائل كانوا مدفونين
 هناك ؛ لأنهم وضعوا فى مقبرة جر الأبيدوسية تابوتا ضخماً يمثل الاله
 أوزوريس النموذج الأصلي لكل الفراعين المتوفين (٣) ويعتقد ايمرى -
 وهناك الكثير مما يمكن أن يقال بصدد رأيه - ان قبور أبيدوس عبارة
 عن قبور تذكارية وفقاً للنظرية القائلة بأنه يجب أن يكون للفرعون
 قبران منفصلان كملك على مصر العليا وملك على مصر السفلى . وقد
 رأينا ملكاً مصرياً يشيد لنفسه هرمين ضخمين فى مكانين متقاربين وهو
 سنفرو (صفحة ٩٥) ويستطيع فيما يتصل بالقبور التذكارية أن
 نحيل القارئ بالدليل المكتوب الى ما ذكرناه من قبل عن الملكة تنى
 شبرى (صفحة ١٩٢) . ويبرز على قمة المتشككين فى نظرية ايمرى
 العالم هـ . كيس وقد نشر مقالا (٤) حاول به القضاء على الدليل الذى
 يقوم على معيار الحجم مشيراً الى انه لا يمكن استخلاص حجة من وراء عدم
 وجود القبور الفرعية للأتباع الذين يضحى بهم ثم يضغط على أمر وجود
 مقابر مماثلة لمقابر سقارة من حيث البناء والمحتويات فى أماكن أخرى .
 وقد ظن فى وقت ما أن الاكتشاف الرائع لردوس ثيران مصنوعة كنماذج
 من الطين موضوعة على رفوف حول مقابر سقارة وقد ثبتت بها قرون ثيران
 حقيقية ربما يوحى بالإشارة الى مقابر ملكية ولكن اتضح أن هناك من
 بين الأمثلة الثلاثة اثنين ثبت أنهما للمكتن وليس هناك من دليل على أن

(١) Petrie, Royal Tombs, I, 27, 64

(٢) انظر هامش ٢ صفحة ٤٤٢ .

(٣) P.M., V, 79

(٤) O.L.Z., 1957, pp. 12-20; also 1959, pp. 566-701

النموذج الثالث للملك . ولسنا نستطيع أن نشرك موضوع الاكتشافات العظيمة التي قام بها امري دون الاشارة الى الجمال الرائع لكثير من القطع التي عثر عليها فصناعة الاواني الحجرية والدقة الفنية التي تبدو بها تفوق كل نظائر لها فيما بعد ، وهناك ظاهرة عجيبة لا يمكن تفسيرها هي أن المقابر في كل من سقارة وأبيدوس قد تعرضت جميعا للتدمير عمدا عن طريق الحرق وهو أمر لا يصدق على مقابر الاسرة الثانية .

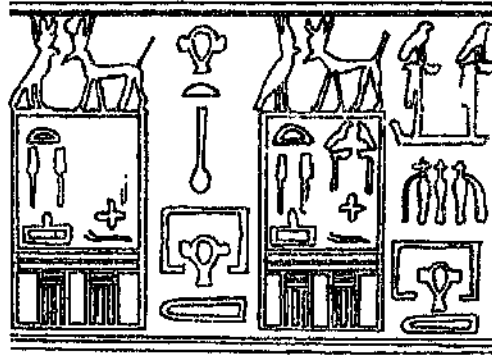
أما الأحداث التي اختيرت كوسيلة للتأريخ سواء على اللوحات أو على حجر بالرمو فهي في أغلب الأمر ذات طابع ديني . وكان كل عام ثان يشهد مناسبة « متابعة ال حورس » التي تذكرنا من غير شك - سواء أكانت تعنى انتقالا ملكيا فعليا على النهر أم احتفالا للذكرى - بتلك الرحلات والأسفار التاريخية التي كان يتقدم فيها الملك نحو الشمال ليعمل على توحيد الأرضين كما يتضح من لوحة نعرمر حيث يرى الملك بها وهو يضع على رأسه تاج مصر السفلى ، بينما تظهر الألوية الحربية التي تصحبه وكأنما هي آلهة المقاطعات المختلفة المتحالفة معه . وهناك سؤالهم لـ « أتباع حورس » - هؤلاء سلفت الاشارة اليهم في أول هذا الفصل - وهناك نوع آخر من الأحداث « غير متوقع تماما » كان يعد بالنسبة لأوائل الفراعين من غير شك ذا أهمية كبرى ليصبح اسما للسنة ، وهو صياغة تمثال ضخمة للعبادة عبروا عنه باصطلاحات مثل « ولادة أنوبيس » « ولادة مين » وكلمة « ولادة » تعنى الاعتقاد بأن هذه التماثيل أصبحت تدب فيها الحياة حقا بعد اجراء احتفال « فتح الفم » عليها . ويظهر أن افتتاح أو زيارة منشآت معينة كان يبدو كذلك أمرا كبيرا كذلك في عيون المسئولين عن ايجاد تسميات للسنين . أما الحملات الحربية فقلما كان يشار اليها . وقد ذكرت قطعة القاهرة لحجر بالرمو اشارة الى ما حدث في عهد الملك « جر » من « ضرب ستيه » وهو اصطلاح جغرافي علينا أن نشير اليه بأن يقابل أسيا تقريبا ، ونحن نطالع في عهد ملك متأخر عن « ضرب الايونيثو » (١) وهذا اصطلاح مبهم كذلك يشير الى الشعوب القاطنة في شمال شرق الدلتا . وهناك لوحة رائعة جدا كانت من متعلقات مجموعة ماك جريجور من قبل (٢) تمثل الملك دن يقوم بذبح آسيوى يسكن في الصحراء الرملية التي هي سيناء وليست بالنصوص الهيروغليفية بها أبة صعوبة في الترجمة فقرأتها واضحة وتعنى « أول مرة لضرب

(١) Pal. recto, 3, 2

(٢) Z.A.S., XXXV, 7


الشرقيين » وربما كان أكثر أهمية من هذه الإشارة لما لا يبدو أكثر من حادثة جانبية هو الدليل على التطور السريع للتعبير الهيروغليفي . وقد أمكن قبل نهاية الأسرة الأولى نقل فحوى جمل بأكملها بتتابع العلامات المنفصلة وقد ظهر تقدم ملحوظ لهذه المرحلة في لوحة نعرمر .

وتضم الأسرة الثانية لمانييتو تسعة من الملوك من تينيس وهي تقدم مشاكل أكبر تعقيدا من الأسرة السابقة . ونحن نستطيع التعرف على أربعة من الأسماء المانييتونية رغم التشويه المحزن في قوائم ملوك الرعامسة رغم أن الأمر احتاج إلى دراسة فيها كثير من البراعة لظهار كيف أن « تلاس » لدى مانييتو هو « ونج » الذي لا يعرف إلا عن طريق قطع من أوان مكسورة كانت مخزونة في السرايب السفلية للهرم المدرج . وتحصى قوائم الملوك أحد عشر ملكا مقابل الملوك التسعة لدى مانييتو ولكن ليس من بين هؤلاء سوى أربعة يجدون لهم سندا من الآثار . وترتيب الملوك الخمسة الأول معروف على وجه التأكيد ولكن البقايا الأثرية لدينا تتجاهل « بويثوس » و « كاييخوس » وتقدم لنا بدلا منهما حوتب سخموى « و « نب رع » . وأما الاسم الأول فهم إذ يعنى « هدأت القوتان » وسنجد الدليل فورا على أن هذا الاصطلاح يتضمن العودة إلى المجرى الطبيعى للأمور بعد فترة سابقة من الشغب أو الاضطراب . وهكذا يمكن تخيل سبب الانتقال من الأسرة الأولى إلى الأسرة الثانية . رغم أن بويثوس ليس معروفا في الهيروغليفية المعاصرة فإننا نجد صيغة « بد جاو » التى تقدمها قوائم الملوك لنا على لوح كتابة من الدولة القديمة أمام خمسة ملوك معروفين تماما من ملوك الأسرتين : الرابعة والخامسة (١) ومع الملك الثالث من الأسرة الثانية نصل إلى تتابع لثلاثة ملوك هم بنوثريس وتلامس سثينيس تتفق فيما يتصل بهم من الآثار وقوائم الملوك ومانييتو وذلك لأنه من الواضح أن بنوثريس امتداد للاسم المعادل له بالهيروغليفية الذى يقرأ « نوتيرن » وإن فضل بعض الباحثين قراءته « نى نوتر » أو « نتريمو » . وأما فيما يتصل بـ « تلاس » فقد عرضنا له من قبل وأما « سثينيس » فهو من غير شك الـ « سند » الذى سنعود إليه فيما بعد وهو اسم بالغ الغرابة ما دام يعنى « المدعور » وسنلتقى هؤلاء الأعضاء الخمسة من ملوك الأسرة الثانية فيما بعد فى التذييل ولكننا نستطيع أن نضيف هنا أن « نى نوتر » يجب على رأس العمود الرابع من حجر بالرمو بصورة توحى بأنه لم يحكم أقل من ثلاثين عاما .



شكل ١٧ - سرخ الملك خع سخموى

والأسماء السنة الباقية فى قوائم الملوك تعد سرا مبهما فيما عدا اسم « نب كا » وذلك لأنه لم يوجد اثر لأحدهم فى أى مكان آخر . وربما كان نفر كارع (وهو نفر كيرس لدى مانيتو) وهميا ؛ لأن الإشارة الى اله الشمس فى نهايته تبدو كأنها تشير الى عصر لاحق وقد كان هناك فعلا ملوك أطلق عليهم هذا اللقب فى الأسرات : السادسة والسابعة والحادية والعشرين . ولسنا بحاجة كذلك الى أن يشغلنا أمر « عاكا » الذى يبدو أنه النطق الصحيح فى بردية تورين وهى مناسبة مفردة ربما كانت نتيجة اضطراب من نوع ما . ومن ناحية أخرى فانه لا يمكن التجاوز بسهولة عن « نفر كاسكر » و « حوجفا » و « ببي » من تراث الرعامسة ويزداد الأمر أهمية ان أدركنا أن بردية تورين تنسب اليهم مدد حكم ثابتة . ولا يمكن الا افتراض أنهم شغلوا العرش حقيقة وان دعواهم اليه أمر رأى مانيتو ومن سبقوه أحقيتهم فيه عن فراعنة جنوبيين آخرين تجاهلهم . ولكن فلنلق نظرة الآن على هؤلاء الفراعنة الأربعة على الأكثر - والذين ربما كانا اثنين فقط - فقد كشف بيتري فى أم العقاب فى طرفين متقابلين من جبانة ما قبيل الأسرات عن قبر صغير للملك يدعى « خع سخموى » وكان « سرخ » الملك السابق تعلوه علامة حيوان ست

بدلا من الصقر المعتاد حورس  أما « سرخ » « خع سخموى » فعليه حيوان ست وصقر حورس متقابلان وجها لوجه ويلبس كل منهما الباج المزدوج لمصر العليا ومصر السفلى (شكل ١٧)

ولا تدع الايضاحات - التي قدمناها من قبل أو التشابه في مسألة الملكة نيت حتبو التي علقنا عليه في الصفحات السابقة - مجالا للشك في معنى هذا الاجراء الذي تم في لقب خع سخموى نفسه وبإضافة « نب وى حوتب ايم أف » الذي يتبعه كجزء من اللقب . وترجمة التركيب كله تصبح « اضاءت القوات ، السيدان على سلام فيه » وبمعنى آخر ان الملك خع سخموى يجسد في ذاته الآن الالهين اللذين كانت العدو قائمة بينهما عن طريق انكار « بريب سن » لسلفه التراثي في سبيل العدو اللدود لذلك المعبود . ومن الواضح ان ألوانا من الاضطرابات الشديدة نشأت من وراء هذه الحركات الثورية ولكن من المستحيل أن نخصص طبيعتها . ولقد كان حورس يرتبط بخاصة في الماضي البعيد بالدلتا بينما كانت عبادة ست محلية بالقرب من نقاده (أومبوس) في مصر العليا ، ومع ذلك فانه من المستحيل أن نترجم الأحداث كأنما هي صراع بين الأرضين كان من اثره أن اكتفى بريب سن بأن يصبح حكمه مقصورا على مصر العليا فلو انه كان هناك مثل هذا الصراع بين الشمال والجنوب ألم يكن في مقدور بريب سن أن يؤكد زعمه بأنه تجسيد لحورس الأكثر قوة ؟ وهناك مشكلة أبعد من هذه هي انه أطلق على حيوان ست في بعض الأختام الخاصة بـ « بريب سن » اسم « أش » (١) ومن المعروف ان هذا يخص المقابل الليبي لد « اومبوى » . وقد سلفت الإشارة من قبل الى أن مجموعة الملوك هذه قد تتضمن اثنين فقط بدلا من أربعة وعلينا أن نتابع هذا الافتراض الآن فقد عثر في قبر بريب سن على أختام جرار لـ « حورس سخم يب » وقد ظن في بادئ الأمر أن « سخم يب » هو اللقب الحوريسى لـ « بريب سن » نفسه وان كان يعارض مثل هذا الافتراض وجود ست على الـ « سرخ » في معظم الأختام وكذا على لوحين جميلتين من الجرائيت عثر عليهما عند مدخل غرفة الدفن . وقد كشفت حفائر تالية على مسافة قصيرة عن ملك هو « سخم يب بر ان ماعة » الذي عرف عنه الآن انه سلف « بريب سن » ثم عثر فيما بعد على اللقب نفسه كاملا على بعض القطع في الهرم المدرج . وهناك كثير من الاحتمال لما يفترضه « حرد سلوف » (٢) من ان « سخم ايب بر ان ماعة » هو في الواقع لقب « بريب سن » قبل أن يتخلى عن ارتباطه بحورس ليصبح المتعبد المتحمس لـ ست . أما الحورس خع سخم الذي تقتصر آثاره على هيراقونبوليس فأكثر صعوبة فهي تتضمن

(١) « اورشا » انظر Borchardt, Sahuré' p. 74 وكذا J.E.A., XIV, 220 ff.

(٢) Ann. Serv., XLIV, 295

لوحة مكسورة واثنتين حجريين كبيرين ثم تمثالين جالسين احدهما من الحجر الجيري والآخر من الاردواز ، والتمثال الاردوازي مكتمل أكثر من الآخر ولكن نصف الوجه ضاع ، بينما تكشف ملامح التمثال من الحجر الجيري عن تفاصيل أدق (وهو موجود الآن في أوكسفورد) . أما الوضع والطراز والصناعة فتكاد تشير الى أنها من المستحيل أن ترجع الى بداية الأسرة الثانية بل انها تؤيد مكان هذا الملك في نهايتها . وتزين قواعد التمثالين زخارف من صور محفورة لأعداء مذبحين في كل مظهر يمكن تصوره مما يمثل الألم والعذاب وقد قدم احصاء بعددهم البالغ ٤٧٢٠٩ . أما اللوحة فتكشف عن ماهية هؤلاء الأعداء ذلك لأن رأسا ملتجيا (فوقه ريشة) تتصل بما يشبه الدعامة البيضاء التي شهدناها في لوحة نعرمر وهي تشير في وضوح الى الأعداء الليبيين .

أما الرسم الذي يظهر كخدوش على سطح الاواني فيمثل الربة العقاب نخبة ربة الكاب تقدم الى خع سخم رمز توحيد الأرضين ، ويستقر مخلصها الخلفيان فوق خرطوش دائري بداخله علامات « بش » وأغلب الأمر ان « بش » هذا هو الاسم الشخصي لخع سخم أكثر منه اسم بلد أو رئيس منهزم . ويشغل الجانب الأيمن من الرسم التعبير بالهيوغلفية عن « سنة » مصحوبا بالكلمات « محاربة وضرب الشماليين » والملك يلبس في هذه القطع جميعا تاج مصر العليا ولكن لنعد الى مشكلتنا :

ما هي علاقة خع سخم الهيراقونبوليسى بريب سن من ناحية وبخع سخموى من ناحية أخرى ؟ ان أكثر الافتراضات تقبلا اليوم هي أن خع سخم هو الخلف المباشر لـ بريب سن الذى لا نلتقى باسمه فى هيراقونبوليس وانه استطاع أن يسترجع الدلتا وان خلفه كان خع سخموى . ولكن ، أمن الممكن لهذا الملك الأخير - ان كان قد سبقه آخر ممن يعبدون حورس - أن يضمن اسمه ما يشير الى النزاع السابق بين حورس وست ؟ انه لا يمكن التسليم بأن حورس خع سخم وحورس ست خع سخموى هما شخص واحد فمعنى ذلك الافتراض بأنه فضل انتحال الصورة الثانية من لقبه والصراع مع بريب سن لا يزال عالقا فى ذهنه ولكن يقوم فى وجه ذلك أمر وجود آثار خاصة بـ خع سخموى فى هيراقونبوليس متميزة عن آثار خع سخم وأهمها قطعة كبيرة لكثف بوابه (١) من الجرانيت الوردي يظهر فى خلفيتها منظر يمثل احتفال تأسيس هام . وهناك

كذلك الاعتراض الذى يحول دون اعتبار خع سخم ملكا منفردا يتوسط بين خع سخموى و زوسر مؤسس الأسرة الثالثة بسبب العثور على ختم فى مقبرة خع سخموى فى أبيدوس (١) يذكر اسم ملكة هي «حب ان ماعه» ك « أم أطفال الملك » وان حب ان ماعه هذه نفسها يطلق عليها لقب « أم ملك مصر العليا والسفلى » على ختم فى المقبرة الكبرى فى بيت خلاف بالقرب من أبيدوس حيث دفعت أهمية زوسر هناك الى افتراض انه صاحبها . (٢) وقد افترض (٣) تبعا لذلك ان خع سخموى و « حب ان ماعه » كانا الأبوين الفعليين لزوسر ، والافتراض فيه كثير من الأغراء ولئن صح فان هذا يدعونا الى التساؤل عن سبب قيام أسرة جديدة فى هذه المرحلة . وقبل أن نترك موضع خع سخموى يجب أن نذكر أمر تسجيل صنع تمثال نحاسى له فى العمود الخامس من حجر بالرمو (٤) وكذا أمر الكشف فى ببلوس (٥) عن قطعة من البرشيا تحمل اسمه . ولقد أشرنا من قبل عدة مرات أنه ليست هناك أهمية كبيرة لما يعثر عليه من قطع صغيرة فى نواح بعيدة ولكن هناك بعض الأدلة القوية على قيام صلات ، ودية أو غير ذلك ، بين أواخر ملوك الأسرة الثانية وبين الشمال . فليست هناك اختتام تضيف على بريب سن لقب « قاهر البلاد الأجنبية » فحسب بل هناك كذلك ما يدعو الى الظن بأنه هو الذى أدخل عبادة ست فى شمال الدلتا (٦) وقد تحدثنا من قبل عن لوحة خع سخم المكسورة التى عثر عليها فى هيراكوبوليس (٧) ومما تشير اليه بوضوح ذلك الصراع مع عدو ليبي . ولسنا نستطيع على أية حال أن نقدم شيئا محددا أبعد من ذلك عن أحداث تلك الفترة المضطربة . . . وأما ان ملوكها لم يسارعوا بالانهيار وضياع السمعة فأمر يتضح من نقوش بعض المساطب فى سفارة من عهد الأسرة الرابعة فهناك واحدة لمن يدعى « شيرى » الذى يردف الى اسمه ألقاب « المشرف على كهنة بريب سن فى الجبانة » فى بيت سند

(١) R.T., II, pl. 24, No. 210

(٢) J. Garstang, *Mohasna and Bêt Khallaf*, London, 1905, pl. 10 No. 7.

(٣) Sethe in op. cit., pp. 22-23

(٤) J.E.A., I, 233-5

(٥) P.M., VII, 390

(٦) Ann. Serv., XLIV, 295-8

(٧) Hierakonpolis, II, pl. 58

وفى كل أماكنه » (١) وهناك أشياء أخرى تثير حيرة أكبر هي عبارة عن بضع قطع مكسورة من مقبرة كاهن للملك « نب كا » الذى تصفه بردية تورين وجدول ملوك ابيدوس كأنما يسبق زوسر (٢) مباشرة . ويرد ذكر هذا الملك كذلك فى قصة السحرة التى أشرنا إليها من قبل (صفحة ١٠١) حيث يتسار على أية حال فيها أن حكمه يقع بين حكمى الملكين زوسر وسنفرو . ومن ثم فإن «نب كا» المذكور لا يمكن أن يكون سلفا لزوسر ما لم يكن منافسا لـ «خخ سخموى» استطاع أن يتفوق عليه . وأمر التسعة عشر عاما التى نسب اليه كمدة حكم تثير مشكلة كذلك . ويمكن الرجوع فى هوامش قوائم الملوك فيما بعد الى الأحداث القريبة التى ينسبها مانيتو الى ملوك الاسرة الثانية ولسنا بحاجة الى ترديد القول بأن هذه الأحداث مستقاة من الادب الاسطورى الذى كان - من الواضح - راحدا من المصادر الرئيسية التى أوحى الى هذا المؤرخ المصرى .

ولسنا نستطيع أن نصدق أن مجموع سنى الحكم للأسرة الأولى يبلغ ٢٥٣ سنة . وأن مجموع سنى الحكم للأسرة الثانية يبلغ ٣٠٢ سنة، وهى الأرقام التى يقدمها مانيتو . وعلينا أن نضغط من جديد على أمر عدم احتمال صحة الـ ٤٥٠ سنة التى يقدمها حجر بالرمو لمجموع حكم الأسرتين معا . وعلى أية حال فسواء أطالت المرحلة أم قصرت فإنه يكفى أنها طبعت حضارة مصر القديمة بطابع خاص استطاع منذ ذلك الوقت أن يميز بقاياها وآثارها بوضوح عن بقايا وآثار البلاد المجاورة . وقد استطاعت جهود بيشرى الرائعة وكذا جهود المجموعة الممتازة من الحفارين بعد ذلك أن تمكن الباحثين من أن يتتبعوا خطوة بخطوة التطورات المادية التى حولت الحضارة شبه البربرية الى حضارة مصقولة صقلا كبيرا ذات قوة هائلة وأن كانت التطورات الثقافية والدينية للعصر نفسه ظلت مخبوءة بالنسبة لغياب الأدلة المكتوبة المناسبة حتى الأسرة الخامسة . وحين استطاعت متون الأهرام فى نهاية الأمر ، وكذا مادة أخرى تماثلها ، أن تكشف عن بعض نواحي الفكر المصرى أخذنا نتساءل الى أى مدى يمكن أن نميط اللثام ونزيل الإبهام عن هذه المجموعة المختلطة المعقدة فى المراحل المتعددة التى جعلت من مصر ماصارت عليه فى هذه المرحلة . ولكن علينا قبل أن نناقش بعض وجهات النظر التى أشرنا إليها فيما يتصل بهذا الموضوع أن نشير الى ما قاله المصريون أنفسهم عن ماضيهم البعيد .





(١) Ann. Serv., XLIV, 294

(٢) Ag. Inschriften aus den kön. Museen zu Berlin, I; Leipzig, 1913,

ليست هناك حقيقة جلية قاطعة ترجع الى ما قبل عصر الرعامسة حين استطاعت بردية تورين (صفحة ٦٦) أن تمدنا بما يتفق وما قدمه مانيتو . وانا لنرى أقدم الملوك في المصدرين يمتون الى التاسوع الأكبر وهو اسرة المعبودات التسعة التي تربطها متون الأهرام (١٠٦٤) ربطا مؤكدا بلاهوت هليوبوليس ، ومن أجل هذا كان يجب أن تبدأ القائمة باله الشمس رع - أتوم ولكن مانيتو - الذى يتحفظ هنا فقط - يضع هيفاستوس ، أى بتاح منف ، قبل هليوس مشيرا الى أن هذه الرواية المعينة جمعت فى الأسرة السادسة التى جاء ملوكها من هذه المدينة . ويأتى بعد اجاثو دايمون (اله الهواء شو) - وهو غير موجود فى البردية - متحدا معه ، كرونوس (اله الأرض ، جب) ثم اوزيريس ثم تيفون (ست) قاتل اوزيريس ثم حورس المنتقم لأبيه . وفى كلا المصدرين لا يرد ذكر للالهات تفينس ونوت وايزيس ونفتيس لانهن اناث ولكن التراث القديم يدخلهن فى التاسوع الأكبر كزوجات لأربعة من الذكور وان كان لا ينسب لهن مدد حكم خاصة بهن . ولسنا بحاجة الآن للإشارة أكثر من ذلك بالنسبة لهؤلاء الحكام الاسطوريين تماما . ولقد خلفهم لدى مانيتو عدد من الملوك وصفوا بأنهم أنصاف آلهة و « الموتى » (نكيوس) باليونانية ، Manès (باللاتينية) ثم تبعهم مينس البشرى على رأس الأسرة الأولى . وتذكر برديه تورين التى وضعت « حورس الالهة » بعد ست مباشرة ، حورس آخر فى نهاية الأسرة الالهية ثم حورس ثالث فيما بعد . وهناك بعد ذلك عدد من السطور المهشمة تختتم بـ « اتباع حورس » الذين ذكرناهم وقد وصفوا بأنهم « الأرواح المبجلة » وهم الاسلاف المباشرى ل مينيس . وقد استطاع زينه ان يحدد تماما ماهية الـ « شمسو حور » (اتباع حورس) فذكر أنهم ملوك كل من هيراقونبوليس وبوتو (١) ولكنه حذف سهوا أقوى دليل على مزاعمه ، وكان هذا الدليل - كما ذكره جريفت مشافهة الى مؤلف الكتاب - فى بردية بالهيروغليفية من العصر الرومانى تضم من غير شك مجموعة من الحكم المتوارثة المعروفة لدى المثقفين من عصر كيوبس (٢) وهنا نجد قائمتين جنباً الى جنب لـ (١) « أرواح بى (بوتو) اتباع حورس كملوك لمصر السفلى » (انظر صفحة ٤٥٥) أو (٢) « أرواح نخن (هيراقونبوليس) اتباع حورس كملوك لمصر العليا » (صفحة ٤٥٥) .

(١) Beiträge, pl. 3 ff. انظر كذلك ما سبق فى p. 70, No. 1

(٢) Two Hieroglyphic Papyri (Egypt Exploration Fund) London, 1889 ; pl. 9, fragm. 10

وانه ليبدو من المستحيل أن نجد ما هو أكثر دقة مما يذكرنا بهذا المظهر
الختامي لتاريخ ما قبل الأسرات الذي بدأ من هيراقونبوليس وانتهى بغزو
مصر السفلى على يد مينيس ثم توحيد الأرضين . ونجد في البردية المذكور
ان الكلمة التى تقابل « ملك مصر العليا » (نسوت) تكتب بالطريق المعتاد
بالقصة  . أما الكلمة التى تقابل « ملك مصر السفلى »
(بيتى) فتكتب بالتحلة  ومما يشير الى النصر
المؤكد لمينيس انه فى لقب « انسيا » للفراعين  يتقدم رمز
القصة فى الكتابة الهيروغليفية كما يحدث تماما فى لقب « نبتى » - من
اللقاب الملكية  حيث نجد الأسبقية للربة العقاب (من الكاب)
على الربة الصل ادجو (من بوتو) . ومهما يبدو الأمر غريبا بالنسبة
للقرء الذين ليسوا على دراية بالعادات المصرية فان مثل هذه الأسبقية
فى كتابه الكلمة يجب أن تفهم بوصف أن لها دلالة تاريخية حقيقية .
وأخيرا فلئن تناول الشك أحدا فى حقيقة سلسلة ملوك بوتو فى عصر
ما قبل الأسرات فانه يجب أن يقتنع بما جاء فى متون الأهرام (١٤٨٨)
من اشارة الى « ملوك مصر السفلى (بيتيو) الذين فى بى (بوتو) » وان
مصر العليا وليست مصر السفلى هى التى منحت اللغة كلمة 
نسوت ليكنى بها عن « الملك » .

وتعزز هذه الحقائق جميعا ، كما توسع ، من النتائج التى أدت اليها
كشوف كويل فى هيراقونبوليس : فلقد كانت مملكتنا نحن وبى
المنفصلتين حقيقتين لا يتناولهما الشك ، والأمر كذلك بالنسبة لتوحيدهما
على يد مينيس . ومع ذلك فانه تبقى بعد ذلك على أية حال بعض
الصعوبات التى لا نستطيع أن ننحيا جانبا ببساطة . وقد أشار
ويلسون (١) الى كيف انه لم يكن من المناسب لكل من هيراقونبوليس
وبوتو أن تصبح مقرا ملكيا دائما ، فالاولى تقع فى بقعة مجدبة غير خصبة
قريبة من الحد النهائى لمصر العليا ، أما الثانية فموقعها يكاد يشبه موقع

جزيرة وسط المستنقعات الكائنة في شمال غرب الدلتا • ويرى ويلسون أن المدينتين ربما أصبحتا مدينتين مقدستين ، وربما مراكز حج • وهناك نظرية كسبت لها الكثير من المناصرين أخيرا علينا أن نحاربها في صعوبة وتزعم هذه النظرية أن كل الحديث عن الأرضين ومقارنة مصر العليا ومصر السفلى وتنقض السيدتين • • والمصطلحات الأخرى من النوع نفسه ليست أكثر من وهم مرجعه ما يفترض بين انعطاف العقل المصرى انعطافا متأسلا الى مقابلة عقيدتين مزدوجتين • وليس من الضروري أن ننكر غرام الشعوب القديمة بعبارات المقارنة أو المقابلة مثل « السـمـاء والأرض » و « الرجل والمرأة » و « الأرض السوداء والأرض الحمراء » (انظر صفحة ٤٣). ولكن اعتبار الحقائق المتصلة بالملكيتين كأنما هي وهم يعنى معاندة الادراك السليم للأمور • وهناك وجه آخر للنزاع نفسه (١) أقل غرابة وإن كان خطأ كذلك - وهو يركز على المظهر غير الحقيقي لمناقع الدلتا في القرون السابقة ل مينييس • اننا لا ننكر انه لابد أن الأمر كان بالغ الصعوبة لنمو المدن الهامة قبل انشاء السدود ووسائل الري الأخرى وإن نموها كان محدودا ومع ذلك فإن امكانية قيام مملكة في مصر السفلى يمكن اثباتها بسهولة ، ذلك أن الجانب الغربى من الدلتا بخاصة ، كانت به مدن هامة منذ الأسرة الأولى فقد أشير - الى معبد نيث في سايس على لوحة من عهد عحا (٢) وهناك أخرى من عهد جر (٣) تشير الى مبنى في دب وهى أحد المرتفعين اللذين يكونان مدينة بوتو • هذا الى نقش في الهرم المدرج لزوسر (٤) يسجل أمر احتفال له علاقة بمدينة ليتوبوليس (اوسيم) الواقعة على بعد بضعة أميال الى شمال القاهرة • وتعنى الكميات الضخمة من الماشية التى تم الاستيلاء عليها كما هى مبينة فى لوحة اردوازية الى كثرة عدد الأهلين من أصحابها ومن الواضح انه كان لأقاليم الدلتا الكثيرة التى يشرف من الناحية الادارية عليها النبيل الثرى « متن » (٥) قرابة نهاية الأسرة الثالثة ماضيها البعيد قبل ذلك • أما أوزيريسك «سيد جدو» (بوسيريس فى وسط الدلتا) فربما لم يعرف بهذا اللقب قبل الأسرة

(١) انظر المراجع فى آخر الفصل

(٢) R.T., II, pl. 3 A, 5


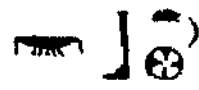
(٣) Schott, Hieroglyphen, in Abhandlungen of the Mainz Academy, 1950, pl. 7, fig. 15

(٤) J.E.A., XXX, pl. 3; fig. 3

(٥) B.A.R., I, §§ 172-4

السادسة بكثير ولكننا نجد هذا المركز الدينى المشهور يرد فى متون الأهرام (٢٨٨) مع المدينة المعروفة كذلك بـ « جده » « مهندس » ولسنا نترقع على أية حال أن نجد فى وثائق أقدم ما يشير الى وجودها . ولا تستطيع كذلك أن تلقى المحاولة لتبيان أن هليوبوليس لم تكن عاصمة مملكة ما قبل التاريخ صدى لدى الكنديين من المؤيدين حتى وان كان اثبات أن مثل هذه المملكة كانت قائمة فعلا وركزت على أساس مستقر . وأخيرا فان كتابة لقب « انسيا » بكلمتين مختلفتين لـ « ملك » ولقب « نبتى » برتبتين محليتين متقابلتين ليس بحاجة الى ما يفسره للدلالة على أن الملكتين كانتا على أهمية واتساع متساويين ، وكل ما نستطيع أن نؤكد هو قيامهما معا فى وقت واحد .

ويؤكد الشك فيما يتصل بعدة فترات أسبق — لا بفترة واحدة — كتاب مشهور لـ « كورت زيتة » حاول استخلاص ما وصل فيه من نتائج من النصوص الدينية . وقد عرض حججه فى منطق ووضوح يسترعيان الإعجاب . ومع ذلك فان زملاءه أجمعوا على احساسهم بان القصة التى يقدمها ، ككل ، بعيدة عن أن تصدق ومن ناحية أخرى فان ما يؤكد « كيس » فى كتاب لا يقل عن كتاب « زيتة » من ناحية قوته العلمية أنه ليست هناك نتائج تاريخية يمكن الاطمئنان اليها بالنسبة للعصور السابقة عن مملكتى هيراقونبوليس وبوتو هو أمر نعه فى غير موضعه . فأسطورة أوزيريس التى لا نرى أنفسنا بحاجة الى تكرار سطورها الرئيسية بالغة الأهمية ونحن نلتقى بها فى صور مختلفة بحيث لا نستطيع أن نجتنب القول بانها تضم الى حد ما عنصرا من الحقيقة التاريخية وان كان علينا أن نحذر كثيرا من أمر المغالاة فى تكوين التفاصيل من الناحية النظرية . ومن بين العوامل الرئيسية الثلاثة التى تتضمنها نجد أن الاله ست هو وحده الذى ندعو طبيعته واصله على الأقل الى المناقشة وهو الاله نفسه الذى قرنه اليونانيون بآلههم تيفون بسبب مظهره المتهيج .

ولسنا بحاجة هنا الى أن نناقش أمر مظهره الغريب  الذى لا يشير الى أى حيوان موجود . واما انه كان الاله المحلى لـ امبوس  بالهيروغليفية (المقابلة لقوص فى الاقليم الخامس من أقاليم مصر العليا فأمر تشير اليه كنيته الدائمة «الامبوى سيد مصر العليا» ويمكن تتبعها حتى متون الأهرام (٢٠٤) ولا تبعد امبوس أكثر من ميلين أو

ثلاثة أميال عن نقادة التي عمر بها ييترى على كمية ضخمة من جبانات ما قبل التاريخ وانه ليبدو من الطبيعي ان نربط ما بين الصراع بين حورس وست وذلك العصر الذى ازدهرت فيه تلك الحضارة فبلغت قمته .
وأما المشاكل المتصلة بالاله الصقر حورس فأوضح ، ذلك انه حين توضع صورته فى مقابل صورة ست فى الكتابة أو حين يوضعان وجها لوجه فى الصورة الانسانية لا يبدو من الواضح أن نعهده ممثلا لمصر السفلى وقد كشف زيتنه فى هذه الناحية عن خطئه فيما يتصل بهذه الحقائق على أية حال . ذلك انه رأى ان مدينة دمنهور الواقعة بين القاهرة والاسكندرية نعى « مدينة الصقر » وقد خرج من وراء ذلك برأيه القائل بأن مكان ولادة الاله الصقر كان هناك وهو افتراض يتضمن وجود مكان هناك يدعى « بحدة » يذكر غالبا مرتبطا بحورس على غرار ما ترتبط اومبوس بـ بست . ولكن ثبت (١) ان « بحدة » كانت تقع عند تل البلامون وهى مكان مبهم كان يعتبره المصريون أقصى مدنهم الشمالية ، بينما مصادر ترائية أخرى تشير الى « شمس » ، وهى مكان آخر فى المناق ، كانا هى مربى طفولة حورس . والمناسبة الوحيدة التى لا تحتل شكاً فى القصة الاوزيرية من الناحية التاريخية هى هزيمة ست على يد حورس التى تعنى - اذا ما ترجمت الى غير فحواها الدينية - هزيمة قوة كبيرة فى الجنوب على يد قوة أكبر من الشمال . وقد خلد انتصار حورس بوضع صورته فوق الـ « سرح » فى أول الألقاب الملكية وكذا باستخدام العلامة الهيروغليفية  كمخصص (صفحة ٣٨) للقب أى معبود مذكر مهما يكن . ومما له دلالة كذلك ان اسم حورس يتقدم كذلك حين نلتقى باصطلاحات متقابلة مثل « تلال حورس » و « تلال ست » أو حين يستخدم صقر حورس أو حيوان ست كصور لكلمة « نب وى » أى « السيدان » وهذه الخاصيات الهجائية هى عكس ما عرفناه من قبل مما جرت به العادة فيما يتصل بالألقاب « نبتى » و « انسبيا » بالنسبة لملوك الأسرة الأولى . وهكذا فانه من الواضح أن الألقاب المتطورة تؤلف بين ما يذكرنا بفترتين متميزتين من عصر ما قبل الأسرات وان أقدمها هى فترة انتصار حورس على ست أو - فى كلمات أخرى - تغلغل مصر السفلى الى مصر العليا .

J.E.A., XXX, 23 ff. (١)

وأما أن الصراع كان عنيفا فأمر تزكيه الاسطورة التي تجعل ست يحرم حورس من عينه وإن كان حورس قد ثار لنفسه بإصابة ست بضرر أشد . وعلى أية حال فإن النتيجة كانت في صالح حورس إذ أخذ مكان ست وامتص شخصية عدوه . وتشير الى ذلك بوضوح فقرة في متون الأهرام (١٤١ وما بعدها) بل إن هناك ما هو أكثر دلالة وهو لقب الملكة « تلك التي تشهد حورس وست » الذي عثر عليه في مقبرة جر . وهذا التاريخ المبكر ينحى بعيدا الافتراض القائم على التسرع والذي يصور الصراع بين الالهين كأنما انبثق من الناحية التاريخية من الأحداث التي سلفت الإشارة اليها والتي تتصل بـ « بريب سن » و « خع سخمون » . ولئن تقبلنا حقيقة لا تكاد تنكر ، مؤداها إخضاع مصر العليا لقوة شمالية قرن حاكمها نفسه بـ حورس فإن الأثر الحتمي لهذا يكون نوعا من الاندماج فيما قبل الأسرات بين الأرضين وإنها لحقيقة يجب عدم التقليل من شأنها . إنه بعد أن توالى عشرة على الأقل من ملوك مصر السفلى في الصف العلوى من حجر بالرمو نجد القطعة الكبرى في القاهرة تسجل ستة من الملوك أو أكثر يضعون التاج المزدوج فوق رؤوسهم . والأمر يحتمل الشك في أن يكون زيتته قد أدرك في هذه الملاحظة التي يقدمها برستد السيادة الهليوبوليتانية التي اعتقد أنها أعقبت انتصار آله الصقر والتي افترض قيام مذهب التاسوع الأكبر وتطوره خلالها ومع ذلك فإنه لم يكن ليجد هناك على الأقل أى تعارض مع الصورة الأخاذة التي أعاد تكوينها ، ويجب أن نلاحظ أن مذهب التاسوع الأكبر يتضمن الأسطورة الأوزيرية التي يجب أن نعود إليها مادمننا لم نذكر شيئا حتى الآن عن أوزيريس نفسه . ويرى زيتته في أوزيريس ملكا قديما تتعلق بقصة موته المؤسى الأسطورة كلها ومع ذلك فليس هناك شيء يمكن أن يكون أقل تأكيدا (١) ويجب أن يترك الأمر لمن يكتبون عن الديانة المصرية حتى يناقشوا أصل آله لم يوجد له من أثر حتى عصر متون الأهرام . ودوره في الأسطورة دور فرعى تماما كأنما صنع ليضغط على سوء طبيعة ست المهزوم وعلى فضيلة حورس ابنه والمنتقم له . ولا تنسب إليه حتى العصور الكلاسيكية ، كملك يحكم ، أية أعمال خيرة أو أية مغامرات حربية ، وهو في كل مكان ملك ميت أو ملك وقاض للموتى (٢) وهو يقدم لنا على التوالي - وهو أقدم في هذه الناحية من غير شك - كأنما هو

J.E.A., XLVI, 102 (١)

Op. cit., 80 ff. (٢)

الزراعة التي يقضى عليها مياه الفيضان التي تنبثق منه بصورة خفية والتي تتجدد فى السنة التالية . وهكذا فأننا لا نستطيع أن نستخلص لأهدافنا التاريخية من وراء الاسطورة الأوزيرية شيئا سوى الذكرى الغامضة لصراع استطاعت من ورائه مصر السفلى أن تسيطر على مصر العليا . وسواء أكان هذا متصلا بصورة ما بالتأثير الميزوبوتامى - الذى اعتبرناه أمرا مؤكدا - أم لم يكن فإن هذا الأمر يجب أن يظل واضحا ولكن من الأوفق أن نتذكر أمر الاختلاف فى الجنس الذى يبدو حقيقة ثابتة تماما . ولم تتح لغير دكتور د. أ. درى فرصة خير مما أتاحت له ليفحص الجماجم والمظاهر الجثمانية الأخرى فى قسمى البلاد ولقد أكد فى ابانة أن هناك « جنسا آخر » بالاضافة الى ما يكشف عنه البقايا التى عثر عليها من عصر ما قبل الأسرات « استطاع أن يحتل مصر فى أوائل عصور الأسرات » .

إننا نقتررب من نهاية تأملاتنا ، ويجب أن نعود فى كلمات قليلة أخيرة الى نظرية زيتته عن فترة هليوبوليتانية تطورت خلالها كل المذاهب الرئيسية فى الديانة المصرية . ان هذه النظرية لا يمكن أن تدحض عن يقين ولكن الكثير يمكن أن يقال عن وجهة نظر كيس المضادة من أن الأسرات المائتونية الأولى كانت المهة الرئيسى للتطورات الميثولوجية التى عرفت فى متون الأهرام . ولم يكن القوم الموهوبون المسئولون عن الانجازات الكبرى التى سجلناها فى هذا الفصل بمقصرين أو متهاونين فيما يتصل بأمور الإدراك أو الخيال . . . ولكننا نعاود الدخول بهذا الجدل فى ميدان الحدى الذى لا يمكن اثباته وسوف لا يضيق القارىء بأن يخلف ميدانا يعز فيه للأسف الدليل الذى يقف فى طريقه على أرض صلبة .

خاتمة

ان الكاتب يدرك تماما ان هو أعاد النظر الى محتويات هذا الكتاب ضالة مدى ما استطاع أن يشق طريقه الى صميم الموضوع . . . وكم كان يتوق لو استطاع أن يرسم صورة شاملة لأعظم حضارة قديمة في العالم ولكن الحيز والوقت حالا دون ذلك . . . وهكذا فإن ما تناوله الحديث عن فنون مصر القديمة وحرفها وعن أعظم ما قدمت . . . قليل ، وقليل هو كذلك ما قيل عن دينها بما فيه من اغراء بسبب غموضه وحتى رغم غنائه أو محاليتها كما انه لم يكن من الممكن أن نتناول بالحديث أمر الموميات والتحنيط النواحي الجانبية للثقافة المصرية التي تروق أكثر ما تروق للجماهير من زائري المتاحف . ولقد أبرزنا عرفاننا للمكتشفين والدارسين الذين أماطوا اللثام عن كثير من أحداث الماضي حتى بدأ الكتاب وكأنما كتب عن الباحثين في الدراسات المصرية بقدر ما تناول دراسة المصريين نفسها ولكن هذا لم يأت عفوا فنحن نعلن صراحة أن هدفنا هو الدعاية وإن أطماعنا لا تتحقق الا بنجاحنا في كسب متطوع جديد في الميدان الخلاب للبحث الذي نعمل فيه .

مراجع مختارة

ام القعاب :

- E. Amélineau, Les Nouvelles fouilles d'Abydos, 4 vols., Paris, 1899-1905
W. M. F. Petrie, Royal Tombs of the Earliest Dynasties 2 vols., London, 1900-1, Abydos, I, II, III, London, 1902-4

كوم الأحمر :

- J. E. Quibell & F. W. Green, Hierakonpolis, 2 vols. London, 1900-2

نقادة (المقبرة الملكية) :

- J. de Morgan, Recherches sur les origines de l'Egypte, Paris, 1897, II, ch.4

سقارة :

- W. B. Emery, The Tomb of Hemaka, Cairo, 1938
, Hor-Aha, Cairo, 1939
, Great Tombs of the First Dynasty 3 vols.

1 Cairo, 1949

2 London, 1954

3 London, 1958

الظاهر اللغوية :

- K. Sethe, Beiträge zur ältesten Geschichte, Leipzig, 1950
in Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Ägyptens, III

الأسرة الثانية

Vandier, op. cit. 3rd ed. pp. 163 ff. مناقشات عريضة

انكار حود مملكة منفصلة لـ « بوتو » في عصور ما قبل الاسرات :

- H. Frankfort, Kingship and the Gods, Chicago, 1948, pp. 19 ff.

انكار وجود مملكة هليوبوليتانية سابقة

- E. J. Baumgartel, The Cultures of Prehistoric Egypt (revised edition)
Oxford, 1955, pp. 3 ff.

نظرية تتصل بتاريخ ما قبل الاسرات

- K. Sethe, Ungeschichte und älteste Religion der Ägypter, Leipzig, 1930

ورحمة النظر المعارضة لدى H. Kees في

- Der Gotterglaube im Alten Ägypten, Leipzig, 1941

ومناك موجز طيب عن الحقائق المركبة المتصلة باوزيريس في

- H. Bonnet, Reallexikon der ägyptischen Religionsgeschichte, Berlin, 1952
pp. 568 ff.

أوائل عصر الأسرات

الأسرة الأولى

مانيثو « ثمانية ملوك من تينيس » (١) ، تاريخ افتراضى من ٣١٠٠ + ١٥٠ ق م .

مانيثو : قوائم الملوك :

منى أ ١ ، س - م ، ٠ ، ت ٢ - ١١	(١) مينيس (٢) أ ٦٢ سنة ، ي ٦٠ سنة
تنى أ ٢ ، س - م ، ٠ ، ت م	(٢) اثوتس (٣) أ ٥٧ سنة ، ي ٢٧ سنة
أتى أ ٣ ، س - م ، ٠ ، ت ٢ - ١٢ ، ب أتيت	
اتا أ ٤ ، س - م ، ٠ ، ت ٢ - ١٥ (٩)	
زمتى (٩) أ ٥ ، س م ، ٠ ، ت ٢ - ١٦	(٣) كتنيس أ ٣١ سنة ، ي ٣٩ سنة
مربياى أ ٦ ، مربياى س أ ، ت ٢ - ١٧	(٤) ونفيس (٤) أ ٢٣ سنة ، ي ٤٢ سنة
صورة كاهن أ ٧ ، ب ، س - م ، سمسم	(٥) اوسفايس أ ٢٠ سنة
ت ٢ - ١٨	(٦) مييبس أ ٢٦ سنة
قبح أ ٨ ، س ٢ ، ت ٢ - ١٩	(٧) سمبسيس (٥) أ ١٨ سنة
أ م ، ٠ ، بيونوتزه س ٣ ، ت ٢ - ٢٠	(٨) أ بيينخيس ي أوبينثيس

الجموع أ ٢٥٣ سنة ، ي ٢٥٢ سنة

(١) يستخدم مانيثو الصفة « ثينيت » ولكن الموصوف « تينيس » لا يوجد فى اليونانية ران تحقق فى الأصل المصرى ، وهى قرب جرجا الى شمال أبيدوس .

- (٢) أ ، « قتله عجل البحر ومات » .
 (٣) أ ، « بنى القصر فى منف ، وأعماله التشريحية متعددة لأنه كان طبيبا » .
 (٤) أ ، « حدثت فى عهده مجاعة فى مصر ، شيد أهراما بالقرب من كوكومى » .
 (٥) أ ، « حلت بمصر كارثة ضخمة فى عهده »

تذييل

ملوك مصر طبقا لمانيتو وقوائم الملوك والآثار

أضيفت أسماء الملوك التي استخدمها علماء الدراسات المصرية الآخرون بين أقواس • يشار الى نص أفريكانوس المنقول عن مانيتو بـ « أ » وإلى نص يوسيبوس بـ « ي »

تحت عنوان قوائم الملوك ، يشار الى قائمة ابيدوس بـ أ
والى قائمة سقارة بـ س
والى بردية تورين بـ ت
والى حجر بالرمو بـ ب
والأرقام التي تصحبها تحدد مكانها بالقائمة
« م » تعنى محذوف

فى « ت » لم تسجل سوى السنين وقد أغفلت الشهور والأيام
كقاعدة •

ملوك ما قبل الأسرات (ليسوا فى مانيتو)

ب ، صدر الحجر ، الصف العلوى ، ٧ أسماء تماما منها ٢ محفوظان
جزئيا

وجميعهم يضعون تاج مصر السفلى وهناك ما يشير الى وجود
مخصصات عند كل نهاية ، ليس بقطعة القاهرة أى اسم ولكن من بين
المخصصات العشرة يلبس ٦ التاج المزدوج لمصر الوحدة (١)

عن الملك عقرب انظر بداية الفصل ١٥
عن كا انظر الفصل ١٥ كذلك

الملوك التالون يقابلون على الآثار الملوك في القوائم الملكية السابقة ؛
وكما أشير في النص في الفصل ١٥ كان اللقب الحوريسى يستخدم عادة
وان صحبه أو حل محله أحيانا لقب « ملك مصر العليا والسفلى » (لقب
انسبيا ويختصر الى أ) و / أو لقب « السيدتين » (نبتى ويختصر الى ن)
وهناك بعض الصعوبات فقط في تحديد شخصية الأربعة الأسماء الأولى
وبخاصة ميبس .

اللقب الحوريسى	لقب انسبيا - و / أو نبتى	الاسم (اللقب) في القوائم الملكية
نعرمر عجا جر (زر) ب ادجو (زت ، وادجى) دن (وديمو) عنجيب (انزيب) — (؟) ب (٢) قاعا (٣)	من ن اثيت ، ب اترتى (٩) (١) ن زمتى (٩) (١) مربى بيا أ صورة كاهن ، ن ، أن ، قاعا ، ن ، أن ، أو (سن) ، ن	منى تتى اتى أتا زمتى (؟) مربى بيا سمسم قبسح

J.E.A., XLIV, 38 (١)

(٢) ليس « سخم خى »

Ann. Serv., XLIV, 281, fig. 28 (٣)

الأسرة الثانية

مانيتو « تسعة ملوك من تينيس »

مانيتو	قوائم الملوك	مدة الحكم في بردية تورين
(١) بويثوس (١) أ ٣٨ سنة	بدجاو ، أ ٩ س ت - م .	
(٢) كاييخوس (٢) أ ٣٩ سنة	ككاو ، أ ١٠ س ٤ ، ت ٢ - ٢١	مفقود
(٣) بنوئرس (٣) أ ٤٧ سنة	بنوت جرن أ ١١ س ٥ ، ت ٢ - ٢٢	»
(٤) تلاس أ ١٧ سنة	ودجناس (٤) أ ١٢ س ٦ ، ت ٢ - ٢٣	»
(٥) سثنيس أ ٤١ سنة	سندى أ ١٣ س ٧ ، ت ٢ - ٢٤	»
(٦) خيريس أ ١٧ سنة	عكا ت ٢ - ٢٥ ، أ س - م .	
(٧) نفر خريس (٥) ٢٥١ سنة	نفر كارع س ٨ ، أ ت - م .	
(٨) سيسو خريس (٦) أ ٤٨ سنة	نفر كاسكر س ٩ ، ت ٣ - ١ ، ٨ سنة	
	أ - م .	
	حوزفاء س ١٠ ت ٣ - ٢ ، أ - م .	١١ سنة
	ببي ، س ١١ ، بيتي ت ٣ - ٣ ، ٢٧ سنة	
	جاجاي ، أ ١٤	
	نب كا (٧) أ ١٥ ، ت ٣ - ٤ ، ١٩ سنة	
	س - م .	

(٩) خيريس ، ٣٠ سنة

مدة الحكم : أ ٣٠٢ سنة ، ي ٢٩٧ سنة

(١٠) يضيف مانيتو كرقم ١ للأسرة الثالثة « نخروفيش (٨) بمدة حكم قدرها ٢٨ سنة ويبدو ان وجوده موضع شك كبير .

-
- (١) أ ، « انفتحت هرة فج عهده في بوباستس وملك الكتيرون »
(٢) أ ، « عبد في عهده الثيران ايس في منف ، ومنيفس في هليوبولس ، والعنزة المنديسية » كآلهة .
(٣) أ ، « قرر في عهده أن يكون للنساء حق تولي العرش » .
(٤) أنظر الفصل الخامس عشر ، والصفحة التالية تحت رقم ٥
(٥) أ ، « يقال أن في عهده فاض النيل ممزوجا بالعسل على مدى أحد عشر يوما » .
(٦) أ ، « كان ارتفاع قامته ٥ ذراع ، ٣ قبضات »
(٧) أنظر الفصل ١٥ .
(٨) أ ، « ثار في عهده اللييون ضد مصر واستسلموا ذعرا حين خسوف القمر فجاء »

تابع

الأسرة الثانية

تذكر الآثار بخلاف نب كا فى نهاية الأسرة أرقام ٣ ، ٤ ، ٥ من التراث المانيتونى وتحل محل رقميه ١ ، ٢ ملكين آخرين معروف مكانهما تماما .

اللقب الحورى لقب انسيا ونبتى اللقب فى قوائم الملوك

حوتب سخموى (١) (٢) حوتب (٢) أن
 نب رع أو رع نب (١) (٣) نوب نوفر (٣) أ
 نيتوتير أو نوتيرن (١) نيتوتير (٤) أو نوتيرن أن = بانوتيرن
 ب صدر ٤ ونج (٥) أو ، أن = ودجناس
 = سند أ (٦) = سندی

لا يوجد للملوك الستة التالون ذكر فى قوائم الملوك على أية آثار معاصرة لهم وقد أحل محلهم :

اللقب الحورى لقب انسيا ونبتى

(أ) سخم يب - برن ماعة (٧) سخم يب برن ماعة ، أن (٨)
 لقب ست
 بريب سن (١) (٤) (١٠)
 (ب) بريب سن (١) (٩)

- (١) هذه الاسماء الثلاثة معا على تماثيل القاهرة ، انظر
 L. Borchardt, Statuen, Berlin, 1911, Nr. I
 (٢) الاثنان معافى Ann. Serv. III, 187 ومنفصلان ، حوتب سخموى ،
 R.T. II 8.8-10 حوتب Ann. Serv. XXVIII Pl. 2-1
 (٣) نب رع Ann. Serv. III, 188 نوب نوفر Op. cit. XXVIII pl. 2, 7-8
 تأكيد شخصيته غير محقق .
 (٤) مكانه بعد نب رع ، انظر R.T., II, pl. 8, 12
 (٥) Ann. Serv. XLIV, 288-291
 (٦) Ibid, 292-4
 (٧) Petrie, Abidos, III, pl. 9, 3;
 وكذلك بدون بدن ماعة R.T., II, pl. 21, 164 ff.
 (٨) Ann. Serv., XXVIII, pl. 2, 2, 3
 (٩) R.T., II, pls. 21, 22
 (١٠) R.T., II, pl. 22, 190

لقب حورس وست

(ج) خع سخموى - نب وى حوتب ايم اف (١)

خع سخموى - نب وى حوتب ايم اف ، ان (٢)

لقب حورس

(د) خع سخم (٣)

راجع النص لامكان أن يصبح (أ) هو الاسم القديم ل (ب) وامكان

أن (ج) هو الاسم الأسبق ل (د) .

الدولة القديمة

الأسرة الثالثة

مانيتو « تسعة ملوك من منف » تاريخ افتراضى من ٢٧٠٠ ق.م.

مدة الحكم
طبقا لبردية
تورين

قوائم الملوك

مانيتو

(١) نخروفيس (٤)

٢٨ سنة

(٢) توزورثروس (٥)

٢٩ سنة

= ٠٠٠ زوسرزا ، ١٦ أ ، زوسر

س ١٢

زوسر - أ ت (٩) ، ٣ - ٥ (٦) ١٩ سنة

نتى ، ١٧ أ ، زوسر تتى ، س ١٣ ،

زوسر تى ، ت ٣ - ٦ ٦ سنوات

سسجس ، أ - ١٨ ، نب كارع ،

س ١٤ ، ٠٠ (جفا ؟) ، ت ٣ - ٦ سنوات

٥

(١) R.T., II, pl. 23, 191-200 وحذف نبوى حوتب ايم اف pl. 24

(٢) R.T., II, pl. 23, 201

(٣) Op. cit., II, pl. 58 واللوحة Quibell, Hierakonpolis, I, pls. 36-40

(٤) منقول للأسرة الثانية لبتريك زوسر ، كاول ملوك الأسرة الثالثة كما هو فى تورين .

(٥) أ ، (الذى كان من رجاله ايموئس) وعرف (عند) المصريين كاسكليبيوس بسبب

مهارته الطبية ، والذى اخترع البناء بالحجر المنحوت ، وقد كرس اهتمامه كذلك للكتابة .

(٦) مكتوب بالحجر الأحمر .

- (٣) توريس ٧ سنوات
 (٤) مسوخرس ١٧ سنة
 (٥) سوفس ١٦ سنة
 (٦) توسرتاسس ١٩ سنة
 (٧) أخس ٤٢ سنة
 (٨) سفورس ٣٠ سنة
 (٩) كرفريس ٢٦ سنة
 المجموع ٢١٤ سنة

نفر كارع ، ١٩٢ ،
 س ت - م .
 حوني ، س ١٥ ، أ - م .
 حو . ، ت ٣ - ٨
 ٢٤ سنة

لا تعرف الآثار من بين الملوك المذكورين عاليه سوى الأول (زوسر ،
 اللقب الحوريسي نترى خي) والأخير (حوني ، اللقب الحوريسي غير
 معروف) . انظر النص السابق فيما يتصل بالثلاثة الآخرين
 الذين لهم ألقاب حوريسية هي سخم خي ، خاع با ، زانخت .

الأسرة الرابعة

مانيثو « ثمانية ملوك من منف ينسبون لفرع مختلف » ، فحت عنوان « قوائم الملوك » تعنى هـ تتابع خمسة من الملوك فى هذه الأسرة مسجلين فى نقش صخرى ، ربما من عهد الأسرة الثانية عشرة ، عثر عليه فى وادى الحمامات (١) ويبدأ التاريخ الافتراضى للأسرة الرابعة من ٢٦٢٠ ق م .

مانيثو	قوائم الملوك	هيودوت	بردية تورين
(١) سورس ، ٢٩ سنة = سنوفرو ، ٢٠ أ س ١٦ ، ت ٩ - ٣			٢٤ سنة
(٢) سوفس (٢) ، = خوفو (بدلا من خنوم خوفوى) ، أ ، ٢١	٦٣ سنة	كيوبس	٢٣ سنة ٨ سنة مفقود
(٣) سوفس ، ٦٦ سنة = رع خع اف رع ، أ ٢٣ ، س ١٨ ، ت (٣ - ١١) ح ٢		كفرن	
٣ - ١٢ ، ح ٣ حار جلف (٣) ، أ س - م			مفقود
ح ٤ ، (ت ٣ - ١٣) رع با اف (٣) ، أ س ت - م هـ ٥			محذوف
(٤) منكيس ، ٦٣ سنة - من كا ورع ، أ ٢٤ ، س ٢٠ ، ت (٣ - ١٤) ٩		ميسرينوس	١٨ سنة (٤)

(١) Bull., Soc. fr. d'Eg., No. ١٦ (1954) pp. 41 ff.

(٢) « ١ » ، « شيد الهرم الأكبر الذى يقول هيودوت أن كيوبس هو الذى بناه » كان سوفس يحتقر الآلهة ، وقد ألف الكتاب المقدس الذى حصلت عليه فى مصر مقدرا قيمته الكبرى * .

(٣) يعرفون فى الأدب المتأخر كامراء فقط ، لا كملوك .

(٤) ينسب الى ميسرينوس عن طريق البحث ، ربما ٢٨ سنة وليس ١٨

- (٥) راتويسيسيس ،
 ٢٥ سنة ت (٣ - ١٥ ٩)
 ٤ سنة (٦) بكيرس ، ٢٢ سنة أ - م ، ٠ س كان أربعة مهشمة
 ٢ سنة (٧) سبركيرس ، ٧ سنة شيسكاف (١) ، أ ، ٢٥ ،
 س - م ، ٠ ، ت - م ، ٩٠
 (٨) ثاميتش ، ٩ سنة
 المجموع ٢٧٧ سنة .

منذ هذه المرحلة يصبح اللقب الحوريسي على الآثار أقل أهمية من الاسم الذي يكتب بانتظام داخل خرطوش والذي يوجد غالباً كمقطع في أسماء الأقارب ورجال البلاط والملوك التالون وحدهم هم الذين نجدهم .

اللقب الحوريسي	الاسم	هيرودوت
نب ماعه	سنوفرو	
مدجودو (٢)	خوفوى	كيوبسن
خسبر (٣)	رع جدف	
وسريب	خع اف رع	كفرن
كاخه (٤)	من كاوع	ميسرينوس
شيسس خى (٥)	شيسكاف	

(١) يسبق وسركاف أول ملوك الأسرة الخامسة ، ومقبوته ذكرت سابقاً .

(٢) أو مدجورو كلفب نبتى ، Wb. II, 192, II

(٣) Gauthier, L.R., I, 84

(٤) Ann. Serv., XLV, 53

(٥) مصحح Urk, I, 160

الأسرة الخامسة

مانيشو « ثمانية (١) ملوك من الفنتين » ، يخلط يوسيبوس هذه الأسرة بالأسرة السادسة ، التاريخ الافتراضى من ٢٤٨٠ ق م .

مانيشو	قوائم الملوك	بردية تورين
(١) وسركريس ، ٢٨ سنة =	وبركاف ، أ ٢٦ ، س ٢٥ ، ت ٣-١٧ ؟	٧ سنة
(٢) سفريس ، ١٣ سنة (٣ - ١٨)		١٢ سنة
(٣) نفركريس ، ٢٠ سنة =	سارحورع ، أ ٢٧ ، س ٢٦ ، ت	مفقود
	ككاى ، أ ٢٨ ، نفر اير كارع ، س	
	٢٧ ، ت (٣ - ١٩)	
(٤) سسريس ، ٧ سنة =	شيسس كارع ، س ٢٨ ، أ - م ٠ ، ٧ سنوات	
	٣ - ٢٠)	
(٥) خيريس ، ٢٠ سنة ؟ =	رع نفرآف ، أ ٢٩ ، خع نفررع ، س س + ١ سنة	
	٢٩ ، ت (٣ - ٢١)	
(٦) رثوريس ، ٤٤ سنة ؟ =	نى وسرع ، أ ٣٠ ، س - م - ت	١١ سنة
	(٣ - ٢٢)	
(٧) منكريس ، ٩ سنة =	من كاو حورأ ٣١ ، س - ٣٠ ، ت	٨ سنة
	٣ - ٢٣	
(٨) تانكريس ٤٤ سنة =	جدكارع ، أ ٣٢ ، ماع كارع ؟ س ٣١ ، ٢٨ سنة (٢)	
	جد ، ت ٣ - ٢٤	
(٩) أونوس ٣٣ سنة - ونيس ، أ - ٣٣ ، س ٣٢ ، ت ٣ - ٢٥		٣٠ سنة
المجموع : ٢٤٨ سنة -	٣ - ٢٦ « مجموع الملوك من منيتى	مفقود
	(؟) الى (ونيس) »	

يستخدم بعض هؤلاء الملوك على الآثار اسما يدخل فى تركيبه اسم رع اله الشمس الذى كان مؤذنا باللقب الأخير ، وكان يوضع داخل خرطوش ، أما الاسم الشخصى ، أو الاسم ، فاستعماله أقل .

(١) يحصى تسعة ملدا .

(٢) تشير احدى البرديات التى جاء ذكرها سابقا جد كارع « للمرة السادسة

عشرة » وهذا يعنى ٣٢ سنة

اللقب الخوري	لقب رع	الاسم
أرماعه	_____	وسر كاف
نپ خاعو	ساحورع	كاكاي
وسر خاعو	نفر اير كارع	ايزى (٢)
؟	(شبسس كارع) (١)	رع نقراف
نفر خاعو	_____	ابني
ستبيتوى	نى وسر رع	منكاو حور (٣)
منخاعو	_____	ازوزى
جد خاعو	جد كارع	ونيس
ود جتوى	_____	

الأسرة السادسة

مانيشو « ستة ملوك من منف » ، تاريخ افتراضى من ٢٣٤٠ ق.م.

مانيشو	قوائم الملوك	بردية تورين
(١) اوثويسس (٤) ، - تتى ، أ ٣٤ ، س ٣٣ ت (٤ - ١) مفقود سنة ٣٠		
(٢) فيوس ، ٥٣ سنة	- وسر كارع ، أ ٣٥ ، سن - م ٠ ، ت (٤ - ٢) مفقود	
(٣) متوسوفيس ، - مرفوع ، أ ٣٧ ، س ٣٥ ، ت (٤ - ٤) ٩ ٤٤ سنة ٧ سنة (٥)	- بيوبى ، س ٣٤ ، ميريح ، أ ٣٦ ، ت ٢٠ سنة (٣ - ٤)	
(٤) فيوبس ، ٩٩ سنة - مرنوع ، أ ٣٧ ، س ٣٥ ، ت (٤ - ٤) ٩٠ سنة + س (٥ - ٤)		
(٥) منثسوفس (٦) ، - مرنوع - عنتى ام زاف أ ٣٩ ، ت ١ سنة ١ سنة (٦ - ٤)		

(١) لم يعرف من عهده سوى جعل ، Gauthier, L.R., I, 119

(٢) Z.A.S., I, 3

(٣) صورة أخرى : « حوريكاو » ، Z.A.S., XLII, 8

(٤) أ ، « قتل بيد حرسه »

(٥) أ ، « بدا يحكم وهو فى السادسة واستمر فى الحكم حتى المائة » .

(٦) يقرأ مانيشو الصقر فى القارب (عنتى) خطأ كأنما هو موت .

(٦) نتوكريس (١) ، — نيتوكرتي ، ت ٤ - ٧ (أو ٤ - ٨) ؟
١٢ سنة ، أ ؟

المجموع : ٢٠٣ ت ٤ - ١٤ « (مجموع) الملوك ١٨١ سنة
(من تتى الى ٠٠٠)

الخمسـة الأوائل من هؤلاء الملوك يعرفون بالأسماء الآتية على الآثار .

اللقب الحوري	لقب رع	الاسم
سحتب تووى	—	تتى
مرى تووى	وسر كارع (٢)	بيوبى (ببى الأول)
عنخ خاعو	نفر زاحور (٣) ثم مريـرع	عنـتى أم زا اف
نتير خاعو	فيما بعد مرنرع نفر كارع	بيوبى (ببى الثانى)

وهناك فى بردية تورين خمسة ملوك بعد نيتوكرتي وذلك قبل
تقديم المجموع الختامى للأسرة السادسة ، ولكن لم يحفظ سوى الثلاثة
الأسماء الأولى ومدد الحكم الأربعة الآخرين على الوجه التالى :

اللقب	الاسم	قائمة الملوك	بردية تورين
مفقود	نفر كا ، طفل ٠٠	ت ٤ - ٩	مفقود
مفقود	نوفه	ت ٤ - ١٠	مفقود
قاكرع (٤) أبى	أبى	ت ٤ - ١١	مفقود
مفقود	مفقود	ت ٤ - ١٢	مفقود
مفقود	مفقود	ت ٤ - ١٣	مفقود

أما خلفاء مرنوع - عنـتى أم زا اف فى قائمة أبيدوس فلا يمكن
مقارنتهم على وجه التأكيد بأى من هؤلاء وقد وضعوا فيما بعد فى الأسرة
الثامنة . وقد ذكر ملكان فى أودى الحمامات هما اتى وامحوتب (٥)
وربما كانا معاصرين للأسرة السادسة .

(١) أ ، ي « انبل وأحب نساء عصرها ، ذات بشرة بيضاء ، وهى التى سب الهرم
الثالث » ربما كان لقبها هو المذكور فى هامش الصفحة التالية رقم ٢ .
(٢) خاتمان اسطوانيان ، Hayes, Scepter I, P. 125
(٣) Z.A.S., XLIV, 129 ; LIX 71 ; Vandier, p. 232
(٤) هرم مهشم فى سقاره ، انظر Vandier, p. 234
(٥) Op. cit., pp. 233 f.

الأسرة السابعة

مانيثو « سبعون ملكا من منف حكموا سبعين يوما » أ ٠٠ يبدو أن هذه الأسرة كلها غير شرعية .

العصر الوسيط الأول

الأسرة الثامنة

مانيثو «سبعة وعشرون ملكا من منف حكموا ١٤٦ سنة» وكذا أ ، اما ي فيشير الى ان خمسة ملوك حكموا مائة عام وليست هناك اسماء مذكور . في الكتاب عن الثمانية عشر خلفا لـ « بيوبى الثانى » حيث وردت أسماءهم وألقابهم فى قائمة أبيدوس ، والهامش هنا يذكر النقوش والقطع التى وجدت والتى تثبت كيانهم .

٣٩٦ ، مرنوع عنتىام زا اف (١) أ ٤٠ نثير كارع أ ٤١ منكارع (٢)

أ ٤٢ نفر كارع أ ٤٣ نفر كارع نبى أ ٤٤ جد كارع شماع
أ ٤٥ نفر كارع خندو (٣)
أ ٤٦ مرنحور أ ٤٧ سنفر كا (٤) أ ٤٨ نيكارع (٤) أ ٤٩ نفر كارع تورو (٥)
أ ٥٠ نفر كاحور أ ٥١ نفر كارع بى سونب أ ٥٢ سنفر كاعانو
أ ٥٣ قا ٩ كاورع (٦)
أ ٥٤ نفر كاورع أ ٥٥ نفر كاو حور (٧) أ ٥٦ نفر ايركارع

(١) انظر كذلك فى الأسرة السادسة .

(٢) ربما كان لقبا لتتيو كريس طبقا لـ (نيبرى) J.E.A., XXIX, 51 ff.

(٣) على اسطوانة خشنة J.E.A., XII, 92, fig. 6

(٤) معا على لوحة من الذهب فى المتحف البريطانى تحت رقم ٨٤٤٤ .

(٥) على ختم أو جعل ، انظر Petrie, Scarabs and Cylinders, pl. 10, 7, 10

(٦) ربما لقب ايبي ، انظر الأسرة السادسة تحت ت ٤ - ١١

(٧) فى المراسيم التى عثر عليها فى قنط ، J.E.A., XXXII, 5, 6, j to 9

اللقب الحورى نثرى بار .

وهناك ملك لا مكان له ذكر في مرسوم فقط له لقب وادج كارع (١)
وهناك لقبان حوريسيان من نفس المصدر وربما هما لسلف وخلف
أ ٥٥ وهما على التوالي خاع (باو) ودمدج أيب تووى (٢) .

الأسرة التاسعة

مانيثو أ ، ي « تسعة عشر ملكا من هرقليوبوليس حكموا ٤٠٩
عاما (٣) أولهم اخثويس وكان أبعث للربع من كل من سبقوه وقد
صنع الشر لكل من في مصر ولكنه راح فيما بعد فريسة للجنون ثم
افترسه تمساح » .

الأسرة العاشرة

مانيثو « تسعة عشر ملكا من هرقليوبوليس حكموا ١٨٥ عاما »
وقد أخذت الأسرة التاسعة والعاشرة هنا معا ، ولا تشير إليهما
القوائم الملكية في ابيدوس أو سقارة ، وقد أشارت بردية تورين مرة الى
ثمانية عشر ملكا وجاء المجموع في ٥ - ١٠ ومن بين هؤلاء ثالثهم نفر كارع
٤ - ٢٠ وليس اختوى سوى الرابع (٤ - ٢١) ثم يجيء بعد ذلك خمسة
مهشمة أسماؤهم ولا يستطيع قراءتها . وهناك قطعة (رقم ٤٨) تكرر
ذكر نفر كارع واختوى ولا يمكن أن تمت الى العمود الخامس حيث وضعت
هناك خطأ .

أما الآثار فلا تضيف الا القليل الى الملوك الثلاثة الملقبين ب اختوى
والى مريكارع (٤) الذى فاقشناه من قبل فى صلب الكتاب .

(١) URK., I, 306, 13

(٢) J.E.A., XXXII, 21-23

(٣) ي = ٤ ملوك ، ١٠٠ سنة .

(٤) انظر كذلك Gauthier L.R. I. 209 f.

الدولة الوسطى الأسرة الحادية عشرة

مانيثو « ستة عشر ملكا من ديوسبوليس (طيبة) حكموا ٤٣ سنة وجاء من بعدهم امنمس ، ١٦ سنة . وتقدم بردية تورين ستة أسماء عنوانها بالأحمر (٥ - ١١) لم يحفظ منها سوى الآخرين . أما قائمتنا ابيدوس وسقارة فتعترفان بهذين الملكين فقط . ولئن أردنا الافادة كذلك من قائمة الكرنك والآثار فان التتابع يمكن أن يرتب على الوجه الآتي (١) .

اللقب الحوريسى	اللقب	الاسم	قوائم الملوك	بردية تورين
		انيوتف (٢)	ت (٥ - ١٢)	مفقود
سهر تاوى	-	انيوتف الأول	ت (٥ - ١٣)	مفقود
واح عنخ	-	انيوتف الثانى	ت (٥ - ١٤)	٤٩ سنة
نخت نب تب نوفة	-	انيوتف الثالث	ت (٥ - ١٥)	٨ (أو ١٨) سنة
سعنخ تووى آيب نب حذ جه سامتاوى	(٣) نب جبت رع (٤)	منتحوتبة الأول	ت (٥ - ١٦) ، أ ٥٧ ، س ٣٧	٥١ سنة
سعنخ تو ان	سعنخ كارع	منتحوتبة الثانى	ت (٥ - ١٧) ، أ ٥٨ ، س ٣٨	١٢ سنة
نب تاوى	نب تاوى رع	منتحوتبة الثالث	ت أس - م - م	م

وتقدم بردية تورين مجموعا قدره ١٤٣ سنة للأسرة الحادية عشرة. فاذا رجعنا الى عام ١٩٩١ ق.م. المنسوب الى امنمس الأول فان بداية هذه الأسرة تكون فى عام ٢١٣٤ ق.م.

(١) Mitt. Kairo, XIV, 42 ff.

(٢) أمير وراثى فقط ، هو انتف لدى قدامى علماء الدراسات المصرية .

(٣) من الواضح ان هذه هى القباب حوريسيه متميزة لثلاث مراحل من عهد منتحوتبة الاول ، وهو منتو حوتب لدى قدامى علماء الدراسات المصرية .

(٤) راجع P. 120 للتهجئة المخالفة فى المرحلة الاخيرة .

الأسرة الثانية عشرة

مانيتو « سبعة ملوك من ديوسبوليس » ، انظر الأسرة ١١ فيما
بنصل بامنس الأول ، ت ٥ - ١٩ لها عنوان :
« (ملوك ١٠٠) العاصمة ات تووى » .

بردية تورين	قوائم الملوك	مانيتو
سنة (٢) ٩	سحتب ايسرع ، أ ٥٩ ، س ٣٩ ، ت ٥ - ٢٠	أمنس ، ١٦ سنة
	سحتب ايسرع ، أ ٦٠ ، س ٤٥ ، ت ٥ - ٢١	(١) سسبونخوزيس (١) ، ٤٦ سنة
	نوب كاورع ، أ ٦١ ، س ٤١ ، ت ٥ - ٢٢	(٢) امانس (٢) ، ٣٨ سنة
	خع خبرع ، أ ٦٢ ، س ٤٢ ، ت ٥ - ٢٣	(٣) سسبزوسترس (٣) ، ٤٨ سنة
	خع كاورع ، أ ٦٣ ، س ٤٣ ، ت ٥ - ٢٤	(٤) لا خساريس (٤) ، ٨ سنة
	نما عرع ، أ ٦٤ ، س ٤٤ ، ت ٥ - ٢٥	(٥) أمريس ، ٨ سنة
	ماع خورع ، أ ٦٥ ، س ٤٥ ، ت ٦ - ١	(٦) امنس ، ٨ سنة
سنة ٩	يوم ٢٧ ، شهر ٣	(٧) سسكميو فرس (٥) ، ٤ سنة
سنة ٣	يوم ٢٤ ، شهر ١٠	٤ - ٦

المجموع أ - ١٦٠ سنة
ي - ٢٤٥ سنة .

سنة	شهر	يوم
٢١٣	١	١٦

ت ٦ - ٣ تختتم هكذا : مجموع ، ملوك العاصمة (ات تووى ، ٨ ملوك)

(١) أ ، ي « ابن امانس » .

(٢) أ ، ي « قنله خصيانه » .

(٣) أ ، ي « اخضع كل آسيا في تسع سنوات وكذا اوربا حتى تراقية وشساد
في كل مكان ما يخلد حالة السكان وحفر على اللوحات اعضاء الرجال للنبلاء منهم واعضاء
النساء للخسيسين حتى ينال التقدير لدى المصريين » كالاول من بعد اوزيريس » .

(٤) يقدم الاسم في غير هذا المكان في صور مختلفة ، وأقربها الى الهروغليفية
هو « لابارس » انظر كذلك Waddell, p. 224 No. 1 ويعلق عليه مانيتو بقوله لقد
بنى اللابيرت في اقليم ارسينوى كمقبرة لشخصه .

(٥) أ ، ي « اخته » (أى اخت رقم ٦) .

مصر الفراعنة - ٤٨١

عدتها ٢١٣ سنة ، ١ شهر ، ١٦ يوما . أما أ ٦٥ ، س ٤٦ يتبعهما مباشرة
 نب بعثى رع ، أى اموزس الأول من الأسرة الثامنة عشرة وتشير الآثار
 الى اشتراك فى الحكم للملوك الثلاثة الاولين وهناك دلالات كذلك على
 تتابع الاشتراك فى الحكم بالنسبة لـ أمنمس الثالث والرابع وكذا
 لـ أمنمس الثالث والملك الانثى سبك نفرو .

لقب حورس	الاسم واللقب	أعلى تقدير لمدة الحكم	الاشتراك يبدأ فى العام	التاريخ المحتمل ق . م (١)
(١) وحام مسوى	سختب ايبرع امنمحيه (١)	٣٠	٢١	١٩٦٢ - ١٩٩١
(٢) عنسخ مسوى	حبر كارع سنوسرة (١)	٤٤	٤٣	١٩٢٨ - ١٩٧١
(٣) حنكماعه	نوب كاورع امنمحيه (٢)	٣٥	٣٢	١٨٩٥ - ١٩٢٩
(٤) ششمونوى	خاع خيررع سنوسرة (٢)	٦		١٨٧٧ - ١٨٩٧
(٥) نثير خبرو	خاع كاورع سنوسرة (٣)	٣٣		١٨٤٣ - ١٨٧٨
(٦) عاو	نماع رع امنمحيه (٣)	٤٥	٤٣ (٩)	١٧٩٧ - ١٨٤٢
(٧) خبر خبرو	ماع خرورع امنمحيه (٤)	٦		١٧٩٠ - ١٧٩٨
(٨) موت رع	سبك كارع سبك نفرو			١٧٨٦ - ١٧٨٩

والأرقام التى تقدمها الآثار تتفق تقريبا بما جاء فى بردية تورين .

العصر الوسيط الثانى

عن الأسرات ١٣ - ١٧ لدى مانيتو ارجع الى صفحة 197 ومايليه .
 ليست هناك أسماء الا الملوك الهكسوس . فيتجاهل ا ، س هذا العصر
 تماما . يقدم ك عددا من الأسماء ولكن فى تتابع مضطرب . والملوك
 فى بردية تورين (ت) المذكورون هنا كاملين باضافة أسماء من مصادر
 أخرى وضعت بين أقواس () ، النجمة * تشير الى أن أصحابها
 معروفون لدينا عن طريق الآثار كذلك أو عن طريق قطع أخرى . سجلت
 مدد الحكم طبقا لـ ت حيث أنها محفوظة هناك .

(١) Parker, p. 69 وكذا أيضا Edgerton فى J.N.E.S., I, 307, ff.

- ٦ - ٥ (سخم) رع - خوتووى (امنمحيه - سبك حوتبه) (١) ، ك *
يوم شهر سنة
(ظل فى) الحكم ٢٤ ٣ ٢
- ٦ - سخم كارع أ (امنمحيه - سونبى) اف * ٩ - ٠٠٠٠٠٠ غير
مشغول ، ٦ سنوات
- ٦ - ٧ رع ؟ (أ) امنمحيه * ؟ (٢) ٣٠٠٠٠٠٠ سنة
- ٦ - ٨ سحتب ايب رع * ؟ (٣) ١٠٠٠ (سنة) هناك آخر يحمل نفس
الاسم ٦ - ١٢)
- ٦ - ٩ افناى
- ٦ - ١٠ سعنخ ايب رع (امنى - انيوتف - امنمحيه*) ، ك (هناك آخر
يحمل الاسم نفسه ٨ - ١٨)
- ٦ - ١١ سمنكارع
- ٦ - ١٢ سحتب ايب رع (٣) هناك آخر يحمل الاسم نفسه ٦ - ٨)
- ٦ - ١٣ سوادج كارع (هناك آخر يحمل الاسم نفسه ٨ - ٦)
- ٦ - ١٤ نجم ايب رع
- ٦ - ١٥ رع ؟ سبك (حوتبه) (١ ؟) ابن ن (٩) ٠٠٠ ، ٢ (سنة)
- ٦ - ١٦ رن (سو) نب ، ٤ شهور
- ٦ - ١٧ أويب رع ٧٠٠ (شهور ؟) هناك آخر يحمل نفس الاسم ٨ -
(١٢)
- ٦ - ١٨ سجفاكارع (كاي - امنمحيه *) ٠٠٠ سنوات
- ٦ - ١٩ سخم رع - خوتووى - سبك حوتبه (الثانى ؟) (وجف) ، ك * ؟
٠٠٠ سنوات
- ٦ - ١٨ سجفاكارع (كاي - امنمحيه *) ٠٠٠ سنوات
- ٦ - ٢١ (سمنخ) كارع ، القائد *
- ٦ - ٢٢ ٠٠٠٠٠ كا (رع) انيوتف * ؟
- ٦ - ٢٣ ٠٠٠ يب ؟ ست

(١) لمناقشة الموضوع راجع Vandier, p. 322-3.

(٢) Op. cit., pp. 323-4.

(٣) Op. cit., p. 325.

٦ - ٢٤ سخم كا ؟ رع (١) - سبك حوتبه (الثالث ؟) * ، ٣ سنوات ،
٢ . (شهر)

٦ - ٢٥ خع (سخم) رع - نفر حوتب ، ابن جاعو نخ اف ، ك *
شهر سنة

١ ١١ ٠٠٠

٦ - ٢٦ رع ؟ سى حتحور ٣ ٠٠٠٠ (شهر ؟)

٦ - ٢٧ خاع نفر رع سبك حوتبه (الرابع ؟) ، ك *

يوم شهر سنة

٧ - ١ خاع حوتب رع (سبك حوتبه الخامس ؟) ، ٢٩ ٨ ٤

٧ - ٢ واح اييب رع ياع ييب *

٧ - ٣ مرنفر رع * ، ظل فى (الحكم)

٧ - ٤ مر حتب رع (اناي) ، ك * ، ٩ ٢ ٢

٧ - ٥ سعنخ رع ان سوادج تو (٠٠٠) ٢ ٣

٧ - ٦ مر سخم رع اند ، ك * ١ ١ ٣

٧ - ٧ سوداج كارع حورى خمسة أعوام وثمانية (شهور ؟)

٧ - ٨ مركا (و؟) رع - سبك (حوتبه) ، ك * ، سنتان وأربعة (شهور؟)

٧ - ٩ ١١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ (شهر ؟)

٧ - ١٠ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ثلاثة (شهور ؟)

٧ - ١١ ، ١٢ مفقود .

٧ - ١٣ ٠٠٠٠ موزة

٧ - ١٤ رع ٠٠٠٠ ماعة اييب *

٧ - ١٥ رع ٠٠٠٠ وبن حور ٠٠٠

٧ - ١٦ رع ٠٠٠٠٠ كا

٧ - ١٧ ٢١ مفقود

٧ - ٢٢ مر خير رع

٧ - ٢٣ مركا (رع)

(١) ربما ينتج الى الاسم المشهور « سخم رع سراج توى » .

- ٧ - ٢٤ - ٢٧ مفقود
- ٨ - ١ نحاسي * ٠٠٠٠ سنوات ، ٣ (شهور ؟)
- ٨ - ٢ خاع تى رع ٠٠٠ (سنوات) ، ٣ (شهور؟)
- يوم شهر سنة
١٥ ٥ ١
- ٨ - ٣ نب فاو رع ١٥
- يوم شهر سنة
١ ٠٠ ٣
- ٨ - ٤ سحب رع ، جلس على العرش ١ ٠٠ ٣
- ٨ - ٥ مر جفا رع ، ٣ سنوات
- ٨ - ٦ سوادج كارع ، ١ سنه (هناك آخر يحمل نفس الاسم ١ - ١٣)
- ٨ - ٧ نب جفا رع ، ١ سنة
- ٨ - ٨ وبن رع ، ٠٠٠ (٩ ١) سنة ٠٠٠
- شهر سنة
١ ١ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠
- ٨ - ٩ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
- ٨ - ١٠ ٠٠٠٠٠ (جفا ؟ رع) ، ٤ سنوات
- ٨ - ١١ ٠٠٠ (و) بن (رع) ، ٣ (سنوات)
- ٨ - ١٢ أويب رع ٠٠٠ (هناك آخر يحمل نفس الاسم ٦ - ١٧) غير (مشغول) ، ١٨ يوما
- ٨ - ١٣ هريبرع ٢٩٠٠٠٠٠
- ٨ - ١٤ نيسنرع ٠٠٠ ٥ (شهور) ٢٠ يوما ، غير مشغول ، ٠٠٠
- ٨ - ١٥ ٠٠٠٠ رع ٠٠٠٠٠ ٢١ (يوما)
- ٨ - ١٦ سخبر ان رع ، ٢ سنة ، ١ (يوما ؟)
- ٨ - ١٧ جد خرور رع ، ٢ سنة ، ٥ (يوما ؟)
- ٨ - ١٨ سعنفخ ايپ رع ٠٠٠ ١٩ (يوما) (هناك آخر يحمل نفس الاسم ٦ - ١٠)
- ٨ - ١٩ نفدتيم رع ٠٠٠٠٠ ١٨ (يوما)
- ٨ - ٢٠ سخم ٠٠٠٠ رع ، ظل فى (الحكم) ٠٠٠ ، شهور
- ٨ - ٢١ كاكمورع ٠٠٠٠٠ سنوات
- ٨ - ٢٢ نفر ايب رع * ٠٠٠٠ سنوات
- ٨ - ٢٣ يا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ سنوات
- ٨ - ٢٤ خاع ٠٠٠٠٠٠٠ رع ٠٠٠٠

٨ - ٢٥ عا كارع٠٠٠٠٠٠٠٠

٨ - ٢٦ سمن ٠٠٠ رع٠٠٠٠٠٠٠٠

٨ - ٢٧ جد ٠٠٠٠٠٠ رع

وهناك أربعة أو خمسة أسماء مفقودة

أما القطع المرتبة كأعمدة ٩ ، ١٠ فيضم معظمها أسماء مهشمة
أو غريبة وبخاصة : ١٧ - ٢٢ ، ١٠ : ١ - ١١ التي تبدو من الواضح
وهمية ولا تخص ملوكا حقيقيين . ومن بين الملوك الحقيقيين الملوك التالون :

٩ - ٧ سنفر (كا ؟) رع ، هـ

٩ - ٨ من ٠٠ رع

٩ - ٩ جد ٠٠ رع

٩ - ١٤ انك ٠٠

٩ - ١٥ انب ؟ ٠٠

٩ - ١٦ اب ٠٠

٩ - ٢٩ ٠٠ كا (رع ؟) نب ان فاتي

٩ - ٣٠ ٠٠ كا (رع ؟) بينم

وقد وضعت في العمود ١٠ بصفة تجريبية القطعة الهامة التي تخص
الهكسوس :

١٠ - ٢٠ (رئيس البلاد الأجنبية) خامودى (١)

١٠ - ٢١ (مجموع ، رؤساء) البلاد الأجنبية ٦ ومدة حكمهم

١٠٨ سنة (٢)

وما تم تركيبه كعمود (كنهر) ١١ يضم قطعتين تقدم السفلى منهما
أكثر بقليل من مدد حكم خمسة من الحكام هي على التوالي ٢ ، ٢ ، ٤ ،
٣ ، ٣ سنوات . أما الجزء العلوى من العمود فيقرأ هكذا :

١١ - ١ سنجم ٠٠ رع ٣ سنوات

١١ - ١ سنجم ٠٠ رع ١٦ سنة

(١) ليس في خرطوش .

(٢) رقم ١٠٠ مؤكد اما رقم ٨ فاقبل تاكيدا .

- ١١ - ٣ سخمس ٠٠ رع ١ سنة
 ١١ - ٤ سوادج (ان ؟) رع ١ سنة
 ١١ - ٥ نبيرى (ار) آو (ا) * ٩ (؟) ٢ سنة
 ١١ - ٦ نبيتاو ٠٠
 ١١ - ٧ سمن ٠٠ رع ٠٠ سنوات
 ١١ - ٨ سوسر ٠٠ رع ١٢ سنة ٠٠ غير مشغول ٠٠ أيام
 ١١ - ٩ سخم رع - شد ويسه ٠٠ سنوات
 ثم خمسة أسماء مفقودة
 ١١ - ١٥ (المجموع) ، ٥ ملوك ٠٠
 ١١ - ١٦ وسر ٠٠ رع
 ١١ - ١٧ وسر

أما فيما يتصل بملوك الهكسوس فانظر التفصيلات تحت العنوان الخاص بهم وكذا صفحات 149-50, 155-726 وأما فيما يتصل بالملوك الذين ينسبون الى الأسرة السابعة عشرة فذلك :

- (أ) لأن لهم توابيت وأشياء أخرى عثر عليها فى طيبة
 (ب) لأنهم ذكروا فى سرية التفتيش من عهد رمسيس التاسع
 (ج) لأنه يمكن التعرف عليهم من وراء أسماء وردت فى بردية تورين *

أما التتابع فغير مؤكد الا فيما يتصل بالأرقام ٩ - ١١ التى تسبق الأسرة الثامنة عشرة مباشرة . وهناك قطع عثر عليها تحمل أسماءهم (أنظر Vandier pp. 318-21) وأما المناقشات المتصلة بهم ففى نفس المرجع pp. 296-7, 328-33

- ١ - سخم رع واح خاع رع حوتبه ، ج = ت ١١ - ٩ ؟
 ٢ - سخم رع وادج خاعو سبك أم ساف ، ح = ت ١١ - ٢ ؟
 ٣ - سخم رع - سمنتوى ججوتى ، أ ، ح = ت ١١ - ٣ ؟
 ٤ - سوادج ان رع نب ايريراو ، أ ، ح = ت ١١ - ٥
 ٥ - نوب خبر رع انيوتف ، أ ، ب

(١) انظر فيما يتصل بلوحة يظهر فيها اسم هذا الملك سوادج ان رع كما مى الحال فى ١١ - ٤ .

- ٦ - سخم رع وب ماعة انيوتف عو ، أ ، ب
 ٧ - سخم رع هر حيماع انيوتف ، أ
 ٨ - سخم رع شد قووى سبك ام ساف أ ، ب ، ح = ت ١١-٩٩
 ٩ - سنخت ان رع ؟ تاعو ، أ ، ب
 ١٠ - سقن رع تاعو ، أ ، ب
 ١١ - وادج خبر رع كاموزه ، أ ، ب . . .
 ويمكن الرجوع الى المصادر المذكورة فى آخر الفصل السابع من
 هذا الكتاب عن بقية ملوك العصر الوسيط الثانى *

ملوك إلهكسوس

يسير افريكانوس الى الأسرة الخامسة عشرة لدى مانيتو كأنما نضم
 سنة من الأجانب من فينيقيا ، استولوا على منف ، وأسسوا كذلك
 مدينة فى المقاطعة السيئورية اتخذوها كقاعدة لهم اخضعوا مصر منها
 « ثم يذكر سنة ملوك فهم » يختلفون اختلافا يسيرا من ناحية الشكل
 وانرتيب عما اورده جوريفوس (انظر p. 156) وهم :

- ١ - سايتيس ، ١٩ سنة
- ٢ - بتون ، ٤٤ سنة
- ٣ - بخنان ، ٦١ سنة
- ٤ - سنان ، ٥٠ سنة
- ٥ - ارخليس ، ٤٩ سنة
- ٦ - افوفيس ، ٦١ سنة

واذا استثنيا ما جاء فى ت (انظر الصفحتين السابقتين) فان قوائم
 الملوك لا تورد ذكرا لهم ، ولكن القائمة الممفية للكهنة (انظر pp. 50, 160
 تقدم اسم عقن (؟ = عقنترع) خلفا ل ايبى (؟ = ت ٧ - ١٤)
 ثم بعد خمسة من الكهنة نلتقى ب « شارك » وأخيرا ب « ابوب » قبل
 امازيس من الأسرة الثامنة عشرة مباشرة .
 وأما الآثار فلا تكشف الا عن أربعة أسماء لها قيمتها :

الاسم واللقب

- عافن رع ابوبى بدون تاريخ
 نب خبش رع ابوب »
 سوسر ان رع خايان »
 عاوسر رع ابوبى التاريخ الوحيد ٣٣ سنة

«المولة الجديدة»

«الأسرة الثامنة عشرة»

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضي ، قبل الميلاد
اموزيس	نب بهتي رع عاحموزه	٢٢	١٥٧٥ - ١٥٥٠
امنوفيس ١	زسر كارع امنحتبه	٢١ (١)	١٥٢٨ - ١٥٥٠
توئموزيس ١	عاخبر كارع دحوتوموزه	٤ (٩) ؟	١٥٢٨ - ١٥١٠
توئموزيس ٢	عاخبر ان رع دحوتوموزه	١٨ (٢)	١٥١٠ - ١٤٩٠
حاشيبسوه	ماع كارع حاشيبسوه	٢٠	١٤٩٠ - ١٤٦٨ (٣)
توئموزيس ٣	من خبرو رع دحو تموزه	٥٤	١٤٩٠ (٤) - ١٤٣٦
امنوفيس ٢	عا خبرو رع امنحتبه	٢٣ (٥)	١٤٣٦ - ١٤١٣
توئموزيس ٤	من خبرو رع دحوتوموزه	٨ (٦)	١٤١٣ - ١٤٠٥
امنوفيس ٣	نب ماع رع امنحتبه	٣٧	١٤٠٥ - ١٣٦٧
امنوفيس ٤	نفر خبرو رع - وع ان رع - امنحتبه	١٧	١٣٦٧ - ١٣٥٠
اخناتون	اخناتن		
سمنخ كارع	عنخ خبرو رع سمنخ كارع	٣	١٣٥٠ - ١٣٤٧
	نفر نفرو اتن-مر واع ان رع		١٣٤٧ - ١٣٣٩
توت عنخ اتن	نب خبرو رع توت عنخ اتن	٩	
توت عنخ امون	توت عنخ امون		
اي	خبر خبرو رع اتنوتى- آى	٤	١٣٣٩ - ١٣٣٥
خرمحاب (٧)	زسر خبرو رع حارمحاب	٢٧ (٨)	١٣٣٥ - ١٣٠٨ ؟

(١) انظر I. 175, No. 3

(٢) Ann. Serv., I, 99

(٣) حوالى ٢٢ سنة كاشتراك مع توئموزيس الثالث .

(٤) Parker, in J.N.E.S., XVI, 42

(٥) URK. IV, 1545

(٦) Op. cit., IV, 1545

(٧) بتوسط ما بين الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة

(٨) انظر P. 242, No. 1

مانيثو : ج = جوزيفوس ، ا = افريكانوس ، ي = يوسيبوس

ا « ١٦ ملكا من ديوسبوليس » ، ي « ١٤ ملكا من ديوسبوليس »

شهر سنة

ج تشموزس (١) الذى طرد الرعاة من مصر ٤ ٢٥ ، ا اموس ، ولا تحدد
مدة الحكم ، ي اموزس ٢٥

ج ابنه خبرون ١٣ سنة ، ا خبروس ١٣ سنة ، ي ، خبرون ١٣ سنة

شهر سنة

ج امنوفس (٢) ٧ ٢٠ ، امنوفس ٢٤ (٢١) سنة ، ي امنوفس ٢١ سنة

شهر سنة

ج . اخته امنس (٣) ٩ ٢١ ، ا ، امنسس ٢٢ سنة ، ي - م .

شهر سنة

ج ابنها ميفريس ٩ ١٢ ، ا ، مسافريس ١٣ سنة ، ي مفرس ١٢ سنة

شهر سنة

ج ابنه ميفرموئوسس (٤) ١٠ ٢٥ ، ا ، ي مسفراجموئوسس (٥) ٢٦ سنة

شهر سنة

ج ابنه ثموزس (٦) ٨ ٩ ، ا ، ي توئموزس ٩ سنة

شهر سنة

ج ابنه امنوفس (٧) ١٠ ٣٠ ، ا ، ي امنوفس ٣١ سنة (٨)

شهر سنة

ج ابنه اورس (٩) ٥ ٣٦ ، ا ، اورس ٣٧ سنة ، ي اورس ٣٦ أو ٣٨ سنة

ثم تلى ذلك اسماء هي موضع شك لأسلاف اورس (= حارمحاب)
الذى يظهر من جديد تحت اسم يكتب بصيغة اطول هي هارماييس :

(١) خلطا بخطا ب اموزس

(٢) امنوفس الاول .

(٣) حاشيسوه ؟

(٤) توئموزس الثالث .

(٥) ا . في عصره حدث فيضان عصر دو كاليون .

(٦) توئموزس الرابع .

(٧) امنوفس الثالث .

(٨) « ذاع صيته بأنه منون وانه التمثال الناطق » ا ، ي « .

(٩) حار محاب .

شهر سنة

ج ابنته آكنخريس ١ ١٢ . أ ، اخريس ٢٣ سنة ، ي آكنخريس (١٢ سنة)

ج اخوه رثوتس ٩ سنة ، أ ، راوتس ٦ سنة ، ي - م .

شهر سنة

ج ابنه آكنخريس ٥ ١٢ ، أ ، خريس ١٢ سنة ، ي اخريس ٨ سنة .

شهر سنة

ج ابنه آكنخريس الثاني ٣ ١٢ ، أ ، اخريس ١٢ سنة ، ي خريس ١٥ سنة

شهر سنة

ج ابنه هارمايس (١) ١ ٤ ، أ ، ارميسس ٥ سنة ، ي ارميسس ٥ سنة
وينهى مانيتيو الأسرة الثامنة عشرة - كما نقل ذلك عنه ج بأربعة
خلفاء ل هارمايسس (= حازمحاب) كان يجب أن يضعهم في الأسرة
التاسعة عشرة حيث سيرد ذكرهم هناك . وقد أشرنا من قبل في p. 156
ان مقتطفات ج عن مانينو قدمت مستهدفة تدعيم وجهة نظر الأخير لما
جاء في التوراة عن الخروج وطرد الهكسوس في عهد تئموزس مشيرة الى
نفس الحادثة التاريخية ، وهي وجهة نظر لا يوافق عليها كتاب « راولي »
p. 130 N. 2 ونحن نقرر هنا أن المقتطفات المطولة في هذا الصدد تضم
قصصا شعبية كثيرة يشيع فيها الخيال الضخم من الواضح أن الكثيرين
من أمثال المؤرخ اليهودي صدقوها .

الأسرة التاسعة عشرة

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضي قبل الميلاد
رمسيس الاول	من بحتى رع رعسمه	٢	١٣٠٨
سيتوس الاول	من ماع رع ستى مرنبتاح	١١ (٢)	١٣٠٩ - ١٢٩١
رمسيس الثانى	وسى ماع رع ستب ان رع رعسمه ميامون	٦٧	١٢٩٠ (٢) - ١٢٢٤
مرنبتاح (٣)	بينرع مرامون مرنبتاح حوتب حيماعة	١٠	١٢٢٤ - ١٢١٤
سيتوس الثانى	وسى خبرو رع ستب ان رع ستى مرنبتاح	٦	١٢١٤ - ١٢٠٨

(١) لوحة من جبل البرقل Z.A.S., LXIX, 74

(٢) Parker في I.N.E.S., XVI 43

(٣) يعرف في اغلب الامر كـ « منفتاح » انظر مانيتو فيما بعد ، وكذا

O.L.Z. VI, 224

الاسم المستخلص في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة التاريخ الافتراضى حكم قبل الميلاد	-
امنمسه (١)	من مى رع ستب ان رع امنمسه حقاويسه	-	-
سبتاح	سبخاع ان رع ستب ان رع (١) رعمنة سبتاح	(١٢٠٨)	-
سبتاح (متأخر) (٢)	اخ ان رع ستب ان رع مرنبتاح سبتاح	١٢٠٢ - ١٢٠٨	٦
توسرة	ست رع مري امون توسره سنب تنموت	١١٩٤ - ١٢٠٢	٨ ؟

وقد اعقبت الفرعون الانثى فترة قصيرة لم يكن فيها ملوك .
الاسرة الثامنة عشرة (تتمة) والاسرة التاسعة عشرة لدى مانيتو

ج = جوزيفوس أ - افريكافوس ي = يوسبيوس
يلي هرمائس (أنظر الصفحة السابقة) فى أ ، ي عند نهاية الاسرة
الثامنة عشرة :

شهر سنة

ج ابنه رمسيس (٣) ١ ٤ ، أ ، رمسيس ١ سنة ، ي - م .
شهر سنة

ج ابنه حرمسيس ميامون (٤) ٦ ٢ ، أ - م ، ي رمسيس ٦٨ سنة .
شهر سنة

ج ابنه امنوفيس (٥) ٦ ٢٩ ، أ - امنوفات ١٩ سنة ، ي امنوفس ٤٠ سنة
ج ابنه سيثوس (٦) ويسمى كذلك رمسيس برزت قدرته فى العربات
والاسطول (١٠ سنوات) ، أ ، ي - م .

تبدأ الاسرة التاسعة عشرة لدى مانيتو عند هذه النقطة ، أ ، من
ديوسبوليس ٧ (٦) ملوك ، ي من ديوسبوليس ٥ ملوك .

(١) مختصر جدا ، قيل أو خلال حكم سيقوس الثانى .

(٢) J.F.A., XLIV, 12 ff.

(٣) رمسيس الاول

(٤) رمسيس الثانى

(٥) مرنبتاح

(٦) سيثوس الثانى

أ سيثوس (١) ٥١ سنة ، ي سيثوس ٥٥ سنة
 أ ريساكييس (٢) ٦١ سنة ، ي ميسيس ٦٦ سنة
 أ امنفثس (٣) ٢٠ سنة ، ي امنفثس ٤٠ سنة
 أ رمسيس (٢) ٦٠ سنة ، ي - م .
 أ امنميس (٣) ٥ سنة ، ي - امنميس ٢٦ سنة
 أ ، ي ثوريس (٤) (ذكرت كملك) ٧ سنوات

الأسرة العشرون

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضي قبل الميلاد
ستت نخته	وسى خاءورع - مرامون ستب ان رع ست نخته - مرر رع - مرامون	٢	١١٨٤ - ١١٨٢
رمسيس الثالث	وسى ماع رع - مرامون رعمنة - حتا اون	٣٢	١١٨٢ (٥) - ١١٥١
رمسيس الرابع	حقا ماع رع (٦) ستب ان أمرن رعمنة	٦	١١٥١ - ١١٤٥
رمسيس الخامس	حقا ماعه - مرامون وسى ما رع سخبر ان رع رعمنة أمنحى خوبشى اف - مرامون	٤	١١٤٥ - ١١٤١

(١) سينوس الأول .

(٢) سيثوس الثانى ، انظر الصفحة السابقة رقم ٦ ، مختلطا رمسيس الثانى .

(٣) امنمسة ؟

(٤) الملكة تووسره : «المسمى بوليبيوس (هومر) زوج - الكساندرا والذي تم الاستيلاء على طروادة في عصره . والتاريخ المقدر لهذه الحادثة الأخيرة يقع في عام

١١٨ ق.م.

(٥) ادوارد ماير وآخرون . ١٢٠٠ ق.م . اما Rowten في 72, XXXIV, J.E.A.

فلا يضعح الولاية على العرش قبل ١١٧٠ ق.م.

(٦) وسى ماعرع - عند بداية الحكم .

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضي قبل الميلاد
رمسيس السادس	نب ماع رع مرامون رعسمه امنحي خوبش اف نوتى حقا أون	٧ (١)	١١٤١ - ١١٣٤
رمسيس السابع (٢)	وسى ماع رع - مرامون - ستب ان رع رعسمه ايتامون نوتى حقا اون	— (٥)	١١٣٤
رمسيس الثامن (٤)	وسى ماع رع اخ ان امون رعسمه ستى خوبش اف مرامون	— (٣)	١١٣٤
رمسيس التاسع	نفر كارع ستب ان رع رعسمه خع أم ويسنه مور أمون	١٧	١١٣٤ - ١١١٧
رمسيس العاشر	خبر ماع رع ستب ان رع رعسمه		
رمسيس الحادى عشر	امنحي خوبش اف مرامون من ماع رع ستب ان بتاح رعسمه	٣	١١١٧ - ١١١٤
	خع أم ويسنه مور أمون نوتى حقا اون	٢٧	١١١٤ - ١٠٨٧

وفى العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر بدأ العصر
المختصر المعروف باسم « اعادة الولادات » الذى انتحل الملكية فيه مؤقتا
حريحور ، الكاهن الأكبر لـ أمون رع .

الأسرة العشرون لدى مانيثو : ١٢ ملكا من ديوسبوليس ، أ ،
« حكموا ١٣٥ سنة » « ي » « حكموا ١٧٨ سنة ولا توردا أية أسماء » .

(١) Varille, Karnak, I, pl. 68 with p. 22

(٢) من الممكن تغيير الترتيب داخليا ، Bibl. Or. XIV, 138

(٣) مشكوك فيه ، انظر J.E.A., XI, 72 ff.; XIV, 60

العصر المتأخر للأسرات

الأسرة الحادية والعشرون

التواريخ الافتراضية : ١٠٨٧ - ٩٤٥ ق م.

يعد مانيتو هنا المصدر الرئيسى وهو يذكر سبعة ملوك من تانيس

أفريكانوس	الاسم واللقب
سمندس ، ٢٦ سنة	حجج خبر رع - ستب ان رع نس بانب دد مر امون
بسوسنس (الأول) ، ٤٦ سنة (١)	عاجبر رع ستب ان امون بسيب خاع ام نى - مر امون
نفر خريس ، ٤ سنوات	نفر كارع - حقاويسة (٢) امنميسو (٣) مر امون
امنوفثيس ، ٩ سنوات	وسى ماع رع ستب ان امون امنموبى مر امون
أو سخور ، ٦ سنوات	غير محدد
بسناخيس ، ٩ سنوات	غير محدد
بسوسنس (الثانى) ، ١٤ سنة (٣)	تيت خبرو رع ستب ان رع (٤) بسيب خاع ام نى مر امون

المجموع ١٣٠ سنة كما جاء عن مانيتو ولكن « أ » يجمع من المجموع ١١٤ ، ومما لا شك فيه أن الملك سيامون ينتسب الى هذه الأسرة ، وألقابه : نوته خبر رع ستب ان امون سبامون - مرامون ، وأعلى تاريخ له هو ١٧ (٥) .

(١) هو كذلك لدى أ ، أما (ي) فيشير الى ٤١ سنة

(٢) انظر p. 317 وكذا أيضا Ann. Serv., XLVII, 207-211

(٣) ي ٢٥ سنة

(٤) Gauthier L.R., III, 301 ولكن يشار هناك كذلك الى بسوسنس ثالث

(٥) Op. cit., III, 294 ff.

ويمكن الرجوع الى (صفحة) فيما يتصل بكبار كهنة
أمون رع المعاصرين وكذا Gauthier, LRIII 229-85 أما التواريخ التي
تصحبهم فيبدو انها خاصة بملوك تانيس ولكن هناك تاريخا واحدا يخص
بالتأكيد الكاهن الأكبر من خبر (١) .

الأسرة الثانية والعشرون

التواريخ الافتراضية ٩٤٥ - ٧٣٠ ق.م.

مانيثو طبقاً لـ افريكانوس : الأسرة ٢٢ « تسعة ملوك من بوباستس هم (١) سسونخس ، ٢١ سنة (٢) اوسركون ، ١٥ سنة (٣ ، ٤ ، ٥) ثلاثة آخرون ، ٢٥ سنة (٦) تكلوئس ، ١٣ سنة (٧ ، ٨ ، ٩) ثلاثة آخرون ، ٤٢ سنة ، المجموع ١٢٠ سنة » .

ويقدم يوسيبوس الأول تحت أسم سسونخوسس ثم يحذف (٣ ، ٤ ، ٥) و (٧ ، ٨ ، ٩) تاركاً تاكلوئس ثالث الأسماء وآخر الأسرة .

ويقابل هؤلاء على الآثار :

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم
شوشنق الأول (١)	(١) حـدج خـبر رع - سـتـب أن رع - شوشنق ٢١	
اوسركون الأول	(٢) سـنـخـم خـبر رع - سـتـب أن رع اوسركون ٣٦	
تكلوت الأول	(٣) وسى ماع رع تكلوت ٧ ؟ ٢٣ ؟ (٢)	
اوسركون الثانى	(٤) وسى ماع رع سـتـب أن أمون اوسركون ٢٩	
تكلوت الثانى	(٥) حـدج خـبر سـتـب أن رع تكلوت سيسى ٢٥ (٣)	
شوشنق الثالث	(٦) وسى ماع رع سـتـب أن أمون شوشنق سى ٣٩	
بمـاى	(٧) وسى ماع رع سـتـب أن أمون بمـاى مرأمون ٦	
شوشنق الرابع	(٨) عـا خـبر رع شوشنق ٣٧	

(١) تنطق هكذا فى الاثورية وليس شيشونق ، اما التوراء فتورده خطأ شيشق

(ملوك الأول ١٤ : ٢٥) .

(٢) وانظر كذلك Gauthier, L.R., III, 333, No. 3

(٣) اشتراك فى حكم مع اوسركون الثانى من العام الثالث والعشرين للآخر ، انظر

كذلك B.A.R., IV, No. 697.

ويؤكد الترتيب من (١) - (٤) لوحة حاربسون (p. 326) ولكن
مؤنتيه يضح مجهولا بعد اوسركون الأول وهو حقا خبر رع - ستب ان
رع - شوشنق - مرامون *

الذي عشر على تابوته الفضى وموميائه فى تانيس (١) ويمكن مؤقتا
ان يعرف هذا الملك بأنه شوشنق الثانى فى مكان الملك الذى يحمل هذا
الرقم من قبل (٢) والذى تقوم حوله عدة مشاكل . . هذا اذا لم يكن
هو فعلا شوشنق الأول . وكان تكلوت الثانى (٥) ابنا ل اوسركون الثانى
كما أن شوشنق الثالث هو بالتاكيد خلف تكلوت الثانى . أما فيما يتصل
بمدة حكم شوشنق الثالث وقدرها ٥٢ سنة فيحسن الرجوع الى p. 334
واما عن التوقييت الخاص بالأسرات الثانية والعشرين الى الخامسة والعشرين
فيحسن الرجوع الى
Ed. Meyer, Geschichte des Altertums, II, 56 ff.

(١) Montet, Osorkon, II, p. II ; Psu., pp. 37 ff.

(٢) Gauthier, L.R., III, 350

الأسرة الثالثة والعشرون

تواريخ افتراضية ٨١٧ ؟ - ٧٣٠ ق.م.

مانيثو - طبقا لأفريكانوس - أربعة ملوك من تانيس
(١) بتوباتيس (١) ، ٤٠ سنة (٢) اوسرخو (٢) ، ٨ سنوات (٣) بساموس ،
١٠ سنوات ، زت ، ٣١ سنة ، المجموع ٨٩ سنة

ويحذف يوسبيوس « زت » ويقدم (١) بتوباسس ، ٢٥ سنة
(٢) اوسرثون ، ٩ سنة (٣) بساموس ، ١٠ سنة .

أما نقوش الرصيف عن الكرنك فنسجل عدة تواريخ للملك
بتوباستس أعلاها هو العام ٢٣ وأما اسمه ولقبه فهو « وسى ماعرع سنپ
ان أمون بدوباست مرامون » ولم يمكن تحديد الملوك الآخرين لدى
مانيثو في الهرموجليفية على وجه التحقيق . ويعارض فاندييه Clio, 567 ff.
معارضة طفيفة ما يراه أ . ماير ويقترح أن تبدأ ولاية بتوباستس للعرش
في عام ٨١٧ ق.م. ويعنى ذلك تداخلا كبيرا ما بينها وبين الأسرة
الثانية والعشرين .

وفى المرحلة السابقة لدخول بى عنخى (٧٣٠ ق.م.) يوضع
خمسة ملوك ذوو مدد حكم قصيرة ، من بينهم اثنان باسم اوسركون ،
ونرى نقوش الرصيف تجعل السنة السادسة شرة لـ بتوباست ملهاصرة
للسنة الثانية للملك ايوبوتى الذى يذكرنا اسمه بـ « ايووابت » الذى
ورد على لوحة بى عنخى (p. 336)

(١) أ ، اقيمت فى عهده الاحتفالات الاولبية للمرة الأولى ومن ثم فان التاريخ يكون
٧٧٦ - ٧٧٥ ق . م

(٢) أ ، ي « يطلق عليه المصريون هرقل »

(٣) Gauthier, L.R., III, 409

الأسرة الرابعة والعشرون

التواريخ الافتراضية ٧٢٠ - ٧١٥ ق م

يرى مانيثو (كما سلفت الإشارة في p. 335) انها تتكون من
بوخوريس من سساييس وهو ابن تخناكتس طبقا لما جاء في بلوتارك
De Iside, ch. 8 أو ابن ننيفاختوس طبقا لما جاء في ديودور (1,45)
وقد حكم ست سنوات (أ) أو ٤٤ سنة (ي) .

ويقابله في الآثار

شيسس رع تف نخته (٧) والتاريخ الوحيد له هو العام الثامن
واح كارع باكن رن اف (٢) والتاريخ الوحيد له هو العام السادس
وانظر فيما بعد تحت عنوان الأسرة الخامسة والعشرين .

الأسرة الخامسة والعشرون

مانيثو « ثلاثة ملوك اثيوبيون » : (١) سبكون (١) وقد حكم أ ٨ سنوات ، ي - ١٢ سنة (٢) سبكوس ، أ ١٤ سنة ، ي ١٢ سنة (٣) تركوس ١٨٢ سنة ، ي تراكوس - ٢ سنة ٠ وأفراد الأسرة جميعا وعدتهم تسعة ميينون ادناه ولكن أول من حكم منهم مصر جميعا هو شبكو ، وأما فيما يتصل بصلاتهم وقراباتهم فانظر J.E.A., XXXV, 141 ff.

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	مانيثو	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التواريخ الافتراضية قبل الميلاد
(١) كاشتا (والد ٢ ، ٣)	-	كاشتا	-	-
(٢) بى عنخى (والد ٤ ، ٥)	-	وسى ماع رع (٢) سنفر رع	٢١	٧٣٠ - ٧٥٠
وعند هذه المرحلة يحشر تف نخته وبوخوريس من الأسرة الرابعة والعشرين متدخلين مع رقمى ٢ ، ٣ على التوالى ٠				
(٣) شبكو (أخ ٢)	سبكون	نفر كارع واح ايپ رع (٢) شبكو	١٥	٧١٦ - ٦٩٥
(٤) شبتكو (أخ ٥)	سبخوس	جد كاو رع (٢) شبتكو	٣	٦٩٥ - ٦٩٠
(٥) تهرقا (أن ٢)	تركوس	من خبر رع خونفرتيم رع تهرقا	٢٦	٦٨٩ - ٦٦٤ (٣)
(٦) تانوات أمون (٤) (ابن ٢)	-	باكارع ثانوتامون	٨	٦٦٤ - ٦٥٦

ومتد نحوالى ٦٦٨ ق م ٠ كان حكم تهرقا يتبادل فى منف مع نكو (من سايس) الذى كان يسنده الملكان الاشوريان اسارحدون واشور بانيبال (٥) ٠

(١) أ ، ي « اخذ بوخوريس اسيرا وأحرقه حيا » ٠

(٢) للاسماء المتتابة انظر Z.A.S., LXVI, 95-96

(٣) هذان التاريخان مؤكدان

(٤) اوردمالى بالاشورية

(٥) ANE.T., pp. 294, 297

الاسمعة السادسة والعشرون

• مانيثو ، « تسعة ملوك من سائيس » .

هيروذوت
(٢ : ١٥٧ وما
بعده) سني الحكم

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	افريكانوس	يوسيبوس
—	—	سنة ١٢
—	(١) ستفانيس ، ٧ سنة	(١) اميرس الاثوري ، ١٢ سنة
نكو الاول	(٢) نخيسوس ، ٦ سنة	(٢) ستيفينائيس ، ٧ سنوات
بسامكوس الاول	(٣) نكاو ، ٨ سنوات	(٣) نخيسوس ، ٦ سنوات
بسامكوس الثاني	(٤) بسامكوس ، ٥٤ سنة	(٤) نكاو ، ٨ سنوات
بسامكوس الثاني	(٥) نكاو الثاني (١) ، ٦ سنوات	(٥) بسامكوس ، ٤٥ سنة
بسامكوس الثالث	(٦) بساموتس الثاني ، ٦ سنة	(٦) نكاو الثاني ، ٦ سنوات
ابريس	(٧) وافر ، ١٩ سنة	(٧) بساموتس الثاني ويسمى كذلك بسامكوس ، ١٧ سنة
امازس	(٨) اموزس ، ٤٤ سنة	(٨) وافر ، ٢٥ سنة
بسامكوس الثالث	(٩) ابسامكوتيس ، ٦ شهر	(٩) اموزس ، ٤٢ سنة
المجموع	١٥٠ ٦	المجموع ١٦٣ سنة

(١) أ ، ي د استول على اورشليم وأخذ يواخاز اسيرا الي مصر .

(٢) أ ، ي حرب اليه بقية اليهود حين استول الاثوريون على اورشليم .

ومن بين هؤلاء من نجد لهم آثارا :

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	طول مدة الحكم مستقاة من ألواح الابيس وغيرها	التواريخ (١) قم
نكو الاول	واح ايـب رع بسمتك	٥٤	٦٦٤ - ٦١٠
بسامتكوس الاول	وحـم ايـب رع نكو	١٥	٦١٠ - ٥٩٥
نكو الثاني	نفر ايـب رع بسمتك	١٦	٥٩٥ - ٥٨٩
بسامتكوس الثاني	حا عـاـع ايـب رع واح ايـب رع	١٩	٥٨٩ - ٥٧٠
ابريس	خنم ايـب رع عاجوزه سي نيت	٤٤	٥٧٠ - ٥٢٦
اما زس	عنخ كا ان رع بسمتك	١	٥٢٦ - ٥٢٥
بسامتكوس الثالث	المجموع ١٣٩ سنة		

الأسرة السابعة والعشرون

مانيتو « ثمانية ملوك من الفرس » ، يشار الى من عثر على أسمائهم
مكتوبة بالهيراغليفية ، بالعلامة *

افريكانوس	يوسيبوس	التواريخ ق م *
(١) قمبيز (١) ، ٦ سنوات	(١) قمبيز (١) ، ٣ سنوات	٥٢٢ - ٥٢٥
(٢) داريوس * (ابن هستايس) ، ٣٦ سنة	(٢) ماجي ، ٧ شهور	٤٨٦ - ٥٢١
(٣) اكزركسيس الاكبر ، ٢١ سنة	(٣) داريوس ، ٣٦ سنة	٤٦٦ - ٤٨٦
(٤) ارتبانوس (٢) ، ٧ شهور	(٤) اكزركسيس (ابن داريوس)	
(٥) ارتكزركسيس * ٤١ سنة	(٥) ارتكزركسيس طويل اليد ، ٤٠ سنة	٤٦٥ - ٤٢٤
(٦) اكزركسيس ، شهران	(٦) اكزركسيس الثاني ، شهران	
(٧) سوجديانوس ، ٧ شهور	(٧) سوجديانوس ، ٧ شهور	
(٨) داريوس (ابن اكزركسيس) ١٩ سنة	(٩) داريوس (ابن اكزركسيس) ١٩ سنة	٤٢٤ - ٤٠٤
شهر سنة	شهر سنة	
المجموع ١٢٤	المجموع ١٢٠	

لم يحدث مطلقا أن زار ارتكزركسيس مصر والأمر كذلك بالنسبة
لداريوس الثاني الذي يبدو انه أمر ، على أية حال ، بتشديد بعض المباني
في معبد هيبس في الواحة الخارجة (٣) . أما عن ارتكزركسيس الثاني
(٤٠٤ - ٣٥٨ ق م) فارجع الى صفحتي 372, 375

(١) « أ » ي « أصبح ملكا على مصر في العام الخامس من حكمه على الفرس »

(٢) رجل من رجال البلاط وقتل اكزركسيس بن داريوس .

(٣) Kienitz, p. 73, No. 8

الأسرة الثامنة والعشرون

مانيثو « اميرتيوس (ى : - تايبوس) من سايس ، ٦ سنوات »
حوالى ٤٠٤ - ٣٩٩ ق.م. وليس هناك ما يشير اليه بالهيروغليفية وان
عثر عليه فى برديات ديموطيقية وارامية (١) . ويقابله باليونانية
امونورتايس .

الأسرة التاسعة والعشرون

مانيثو « أربعة ملوك من منديس » توجد علامة * فوق من عثر على
اسمائهم فى الآثار :

انريكانوس ويوسبيوس	الاسم اللقب	أعلى سننى التواريخ ق . الحكم
(١) نفريتس ، ٦ سنوات	* (١) - نف عاورود	٤ ٣٩٩ - ٣٩٣
(٢) بساموئس ، ١ سنة	* (٢) وسى رع ستب ان بتاح بتمن موت	- (٣٩٣)
(٣) اخورس ، ١٣ سنة	* (٣) خنم ماعة رع ستب ان خنوم هكور	٦ ٣٩٣ - ٣٨٠
(٤) نفريتس (الثانى) ، ٤ شهور	(٤) - نفر عاورود (ديموطيقى فقط)	-
(٥) موئس ، سنة واحدة	يوسبيوس فقط وربما لم يحكم اطلاقا	-
المجموع ٢٠ (٢١) سنة		

(١) انظر صفحتى 372-3

(٢) يضع مانيو « اخوريس » قبل « بساموئس » ، انظر P. 373

الأسرة الثلاثون

مانيتو « ثلاثة ملوك من سبنييتوس »

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	افريكانوس	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التواريخ م . م .
نخت نب اف	نكتانبس ١٨ سنة	خبر كارع نخت نب اف	١٦	٣٦٣ - ٢٨٠ (١)
تيوس أو تاخوس تيوس عامان	ايرماع أن رع ، زجو ستيب ان انحور		-	٣٦٢ - ٣٦١
نخت حار حبي	نكتانبس ١٨ سنة	سنجم ايب رع - ستيب ان انحور نخت حار حبي	١٨	٣٦٠ - ٢٤٣
المجموع ٣٨ سنة				

الأسرة الحادية والثلاثون

« ثلاثة ملوك من الفرس » اضيفت هذه الأسرة الى مانيتو الاصل على يد مؤرخ متأخر ، والنص الذي يقدمه ي سبيوس هنا أكثر كمالاً من نص افريكانوس (١)

١ - في السنة العشرين من حكم أوخس على الفرس حكم على مصر مدى ست سنوات (أ عامان)

٢ - ومن بعده ارسيس بن أوخس ، ٤ سنوات (أ سنوات)
٣ - ومن بعده داريوس (الثالث) ، ٦ سنوات (أ سنوات) الذي اخضعه الاسكندر المقدوني .

وقد خلف ارتكزر كسس الثالث أباه ارتكزر كسس الثاني في عام ٣٥٨ ق . م وغزا مصر في عام ٣٤٣ ق . م وبعد مقتل أوخس في عام ٣٣٨ ق . م خلفه ابنه الأصغر ارسيس الذي قتل بسوره في عام ٣٣٦ ق . م . وقد خلف ارسيس في عام ٣٣٥ (٣) ق . م داريوس الثالث كودومانوس . ووصل الاسكندر بشخصه الى مصر في نهاية عام ٣٣٢ ق . م (٤)

Loc. cit (٢)

Kienitz, pp. 173-5 (١)

Op. cit., p. 112 (٤)

Op. cit., p. 110 (٣)

محتويات الكتاب

الكتاب الأول

تمهيد

الموضوع	الصفحة
١ - دراسة علم المصريات قديما وحديثا	١٤
٢ - اللغة المصرية والكتابة	٣٣
٣ - الأرض : جيرانها ومصادر ثرواتها	٤٣
٤ - أسس التاريخ المصرى وطبيعته جولة سننى الحكم وطرق التاريخ	٦٣

الكتاب الثانى

من بناء الأهرام الى الاسكندر

٥ - الدولة القديمة	٨٩
٦ - قيام وسقوط الدولة الوسطى	١٢٦
٧ - من الانهيار الى لم البعث	١٦٧
٨ - السيادة الطيبية	١٩٨
٩ - الثورة الدينية وما بعدها	٢٣٦

الصفحة

الموضوع

٢٧٣	١٠ - عصر الرعامسة (١) الأسرة التاسعة عشرة
٣٠٨	١١ - عصر الرعامسة (٢) الأسرة العشرون
٣٤٤	١٢ - مصر تحت الحكم الأجنبي
٣٨١	١٣ - التأكيدات الأخيرة للاستقلال

الكتاب الثالث

٤١٤	١٤ - ما قبل التاريخ — — — — —
٤٣١	١٥ - الأسرتان الأوليان لدى مانيتو ، خاتمة
	تذييل : ملوك مصر لدى مانيتو ، وفي قوائم الملوك ، وعلى
٤٦٣	الآثار
٥٥٠	محتويات الكتاب
	اللوحات

قائمة اللوحات

لوحة صدر الكتاب

١ - عظمة مصر

تمثال جالس ل . « أمنمس الثالث » من الجرانيت الرمادي القاتم ،
أجزأؤه السفلى من الوسط فما دون مكسورة ، الارتفاع قدم واحدة
وثلاث بوصات ونصف ، متحف موسكو . نشره ف . ف .
بافلوف وم ماتيو فى :

Monuments of Ancient Egyptian art in the meuseums of
U.S.S.R., Moscow, 1958, Pls. 18-20.

٢ - النيل فى مصر العليا منظر يطل على الغرب الى اتجاه تلال طيبة

٣ - حجر بالرمو ، الصدر عن ه . شيفر فى . Abn. Berlin, 1902.

٤ - الهرم المدرج للملك زوسر الوسط واليسار ، جزء من معبد - الهرم المرمم ، تصوير ج . ف . لاور .

٥ - أهرام الجيزة منظر مأخوذ من الجو يطل على الشمال الشرقى : الهرم الثالث . هرم ميسرينوس فى صدر الصورة ، الأهرام الأصغر حجما ربما كانت أهرام الملكات زوجاته . فى الخلفية مصاطب نبلاء الهرم الأكبر .

٦ - ميسرينوس وزوجته الملكة . تمثال من الاردواز من هرم الملك ، ارتفاعه أربع أقدام وسبع بوصات من منشورات P.M. 122.7 تصوير متحف بوستن للفن

- ٧ - أهرام أبو صير
من ترميم وإعادة بناء ل . بورخارت في :
: Das grabdenkmal des königs Ne-user, re', Leipzig 1907.
يرى معبد شمس من بعيد .
- ٨ - الاستعدادات لوليمة لصاحب المقبرة
نقش على الحجر الجيري من مصطبة من الأسرة الخامسة في متحف ليدن
نشره
Die Denkmäler des alten reichs في A.E. Holwerda &
P.A.A. Boeser.
- ٩ - الدير البحري من الجو
معبد حاشيسوه الى اليمين ، معبد منتحوتية الاول الى اليسار
صورة من مصلحة الطيران المصرية
- ١٠ - حملة الحراب والسهام
نماذج خشبية ملونة من أسيوط ، المتحف المصري ، نشرها
M.E. في Grébaut le Musée Egyptien, I, Cairo 1890-1900
- ١١ - في داخل مقبرة « نخت »
نقوش ملونة جدارية من طيبة الغربية من عهد الأسرة ١٨
نشرتها N. de G. Davies في
The tomb of Nakht at Thebes, New-York, 1917. لوحة ٧
تصوير متحف متروبوليتان للفن ، نيويورك
- ١٢ - تمثالا امنوفيس الثالث العملاقان
طيبة الغربية ، تمثال ممنون الصوتى الى اليمين ، وترى على
معبد سلسلة مقابر الشيخ عبد القرنة .
- ١٣ - الوزير رعموزه يقدم الزهور الى أمون رع .
حكم امنوفيس الثالث قبل الهرطقة . نشرتها N. de G. Davies
The Tomb of the Vizier Ramose, London, 1941. في
لوحة ٤٦ 1941
تصوير متحف متروبوليتان للفن ، نيويورك .
- ١٤ - تمثال من الحجر الرملي لاختاتون
من معبد في الكرنك ، ارتفاعه حوالى ١٣ قدما . متحف القاهرة .

Alfred, New Kingdom art in Ancient Egypt, شره
London, 1951.

لوحة ١٠٢ تصوير المتحف المصرى بالقاهرة .

١٥- لوحة من الحجر الجيري من العمارة

(أ) اخناتون يتعبد الى آتون ، المتحف المصرى

نشرها C. Aldred فى كتابه السالف الذكر لوحة ١٠٥

(ب) اخناتون كرب أسرة ، متحف برلين ، المصدر السالف

الذكر لوحة ٣ صور باذن من A. Tiranti Ltd.

١٦- مقبرة توت عنخ آمون

الغرفة الجانبية كما رثيت للمرة الأولى . تمثالا الملك يحرسان
المدخل الى غرفة الدفن التى كانت مغلقة بفواصل من الجص
المختوم . الى الامام الصندوق الرائع وعليه نقوش المعارك
الحربية والصيد ، الى اليسار صناديق أخرى وكراس ومثكأ
خاص بالاحتفالات .

عن

Howard Carter, the Tomb of Tutankhamen, London 1923

لوحة ١٦ من الجزء الأول تصوير H. Burton من معهد

جريفث ، أوكسفورد .

١٧- تمثال من الجرانيت الأسود لرمسيس الثانى

ارتفاعه مع القاعدة ثمانية أقدام . يقف الى جانب الساق
اليسرى تمثال صغير للملكة نوفريتارى مرى أن موت . ربما
كان مصدر التمثال من الكرنك . موجود حاليا بمتحف
تورين . تصوير اندرسون . هناك مناظر أخرى نشرها

Fr. W. von Bissing, Denkmäler Agyptischer Sculptur,
Munich, 1914.

لوحات ٤٨ ، ٤٩ .

١٨- صالة الأعمدة فى الكرنك .

من عصر رمسيس الثانى أصلا . نقل عن Jéquier, Les Temples

Ramessides et Saïtes, Paris, 1922. لوحة ٤

١٩- لوحة زحنو (تحنو) .

من الاردواز ، من قبل الاسرات ، متحف القاهرة . منشورات

P.M.V. 105.6 ; W.M.F. Petrie, Ceremonial Slate Palettes,
London, 1953. Pl. G.

تصوير المتحف المصرى بالقاهرة .

٢٠- مقبض سكين جبل العرق

من العاج من عصر ما قبل الاسرات . موجودة حاليا بمتحف اللوفر .
نشرها G. Bénédict في 1916 Monuments E. Piot, Paris

تصوير P.M. V. 107. (Archives photos, Paris)

٢١- لوحة نعرمر (الصدر)

من الاردواز ، عثر عليها في هيراكونبوليس ، موجودة حاليا
بالمتحف المصرى نشرت في P.M.V. 105, 193 ; W.M.F. Petrie

السالف الذكر ، لوحة J

٢٢- لوحة نعرمر (الظهر)

أنظر لوحة ٢١ ، W.M.F. Petrie والمرجع السالف الذكر لوحة
K ، موجودة حاليا بمتحف المصرى .

قائمة الأشكال فى النص

صفحة

- ١ - خانه ملكية من العصر المبكر ٢٦
- ٢ - خانات ملكية استخدامها شاميليون فى حل الرموز ٢٧
- ٣ - الأنواع الثلاثة الرئيسية للكتابة ٣٤
- ٤ - تمثال أوشابتنى نموذجى ٤٨
- ٥ - نبات البردى ٥٥
- ٦ - لوحة صغيرة من الدولة الوسطى ٥٧
- ٧ - جعل نموذجى ٦٢
- ٨ - نماذج من قوائم الملوك الثلاثة الرئيسية ٦٥
- ٩ - اسم الملك اموزس على الـ « سرخ » (واجهة القصر) .. ٧٠
- ١٠ - بعض المعبودات المصرية الرئيسية ٢٤١
- ١١ - المعركة ضد شعوب البحر (صورة جزئية) ٣١٥
- ١٢ - الأقاليم تقبض على طيور النباح (الزقازيق) ٤٤١
- ١٣ - اختتام يفترض انها للملك « مينس » (مرممة) .. ٤٤١
- ١٤ - لوحة مرممة تحمل اسم « مينس » (حوليات مصلحة الآثار الجزء ٣٣ ، لوحات ١ ، ٢) ٤٤٢
- ١٥ - تكسية التجايف فى المقبرة الكبرى فى نقادة ٤٤٢
- ١٦ - « سرخ » (واجهة القصر) الملك حتبى ٤٤٨
- ١٧ - « سرخ » الملك خنغ سخموى ٤٥٢

قائمة الخرائط

- ١ - مصر ٤٥
- ٢ - النوبة والسودان ٤٦
- ٣ - الشرق الأدنى فى الألف الأولى قبل الميلاد ٣٧١



عظيمة قيصري

الملك جمال الدين - المنصور الثالث - من الملوك المماليك (القرن الرابع الهجري)

(متحف موسكو)

(أجزاء التمثال السفلى من الوسط فما دون مكسورة)

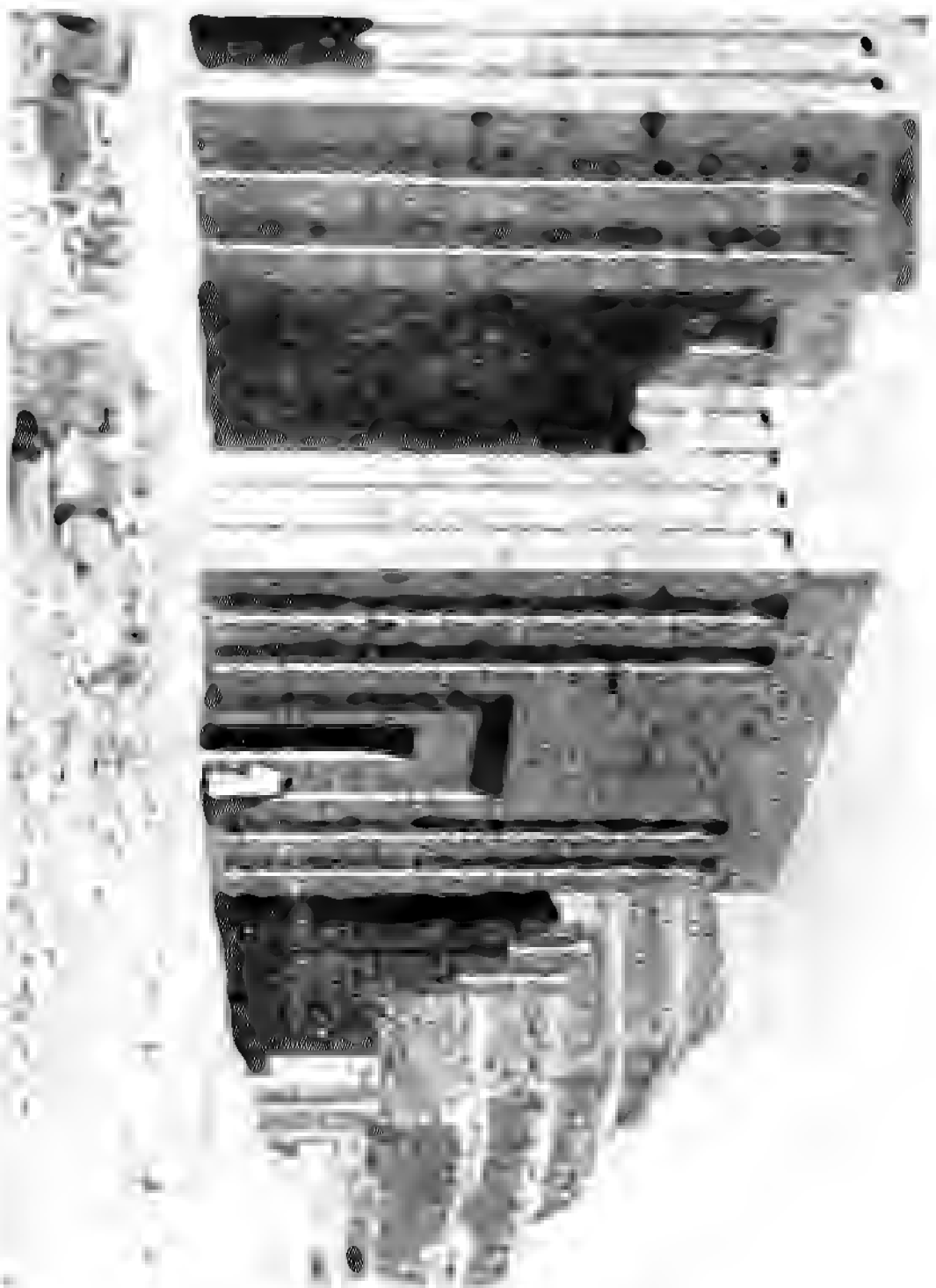


النبيل في مصر العليا ، منتشر بين غربي على التلال الطبيعية



حجر بالرمو (الصدر)

الهرم المدرج للملك ذوسر (في الوسط وإيسار جزء من معبد - الهرم المدرج





اهرام الجيزه - منظر من الجو من ناحيه الشمال الشرقى ، وبرى الهرم الثالث .
هرم سهرنوس فى المقدمة ، واما الاهرام الصغيره فرمما كانت اهرام زواجه الملكات .
ومن وراى الهرم الاكبر يوجد مساطب الجلاء .



ميسرينوس وزوجته الملكة (من المتاحف في القاهرة)

۱۰ (مسجد) منتهى شرف (بزرگ) . مسجد بزرگ . منتهى شرف ، منتهى شرف ، منتهى شرف - منتهى شرف





٤٤١ أولاده صاحب القبر»

على حجر الجوى من صلبه من عهد الاسره الخامسه

(متحف لندن)

الدبر البحري (صورة مأخوذة من البحر) أكي اليمين : معبد حانيسوه ، واك اليسار : معبد متوجتية الاول





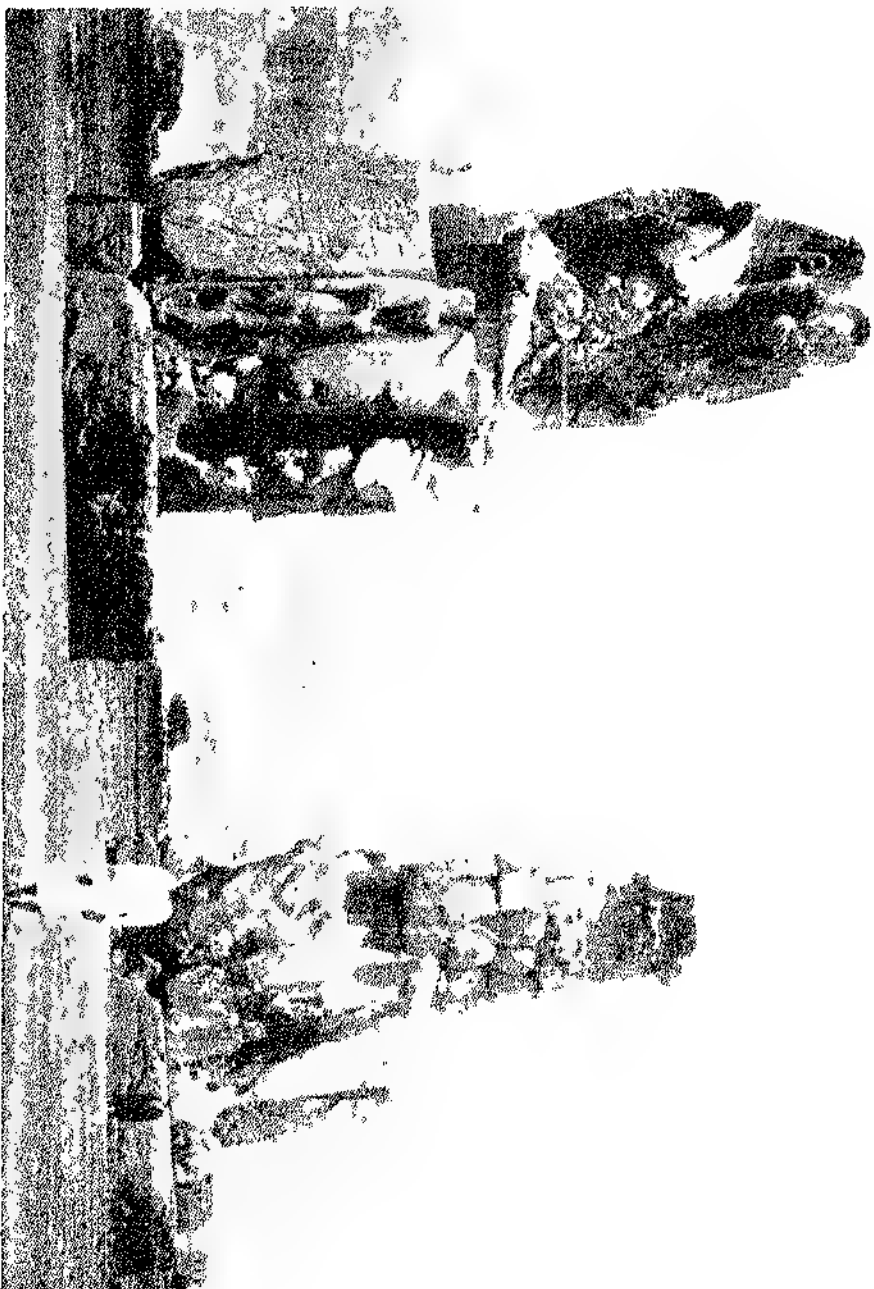
حملة الحراب وكاذبو السهام

نماذج خشبية ملونة من عهد الاسره الحاديه عشره

(متحف القاهره)



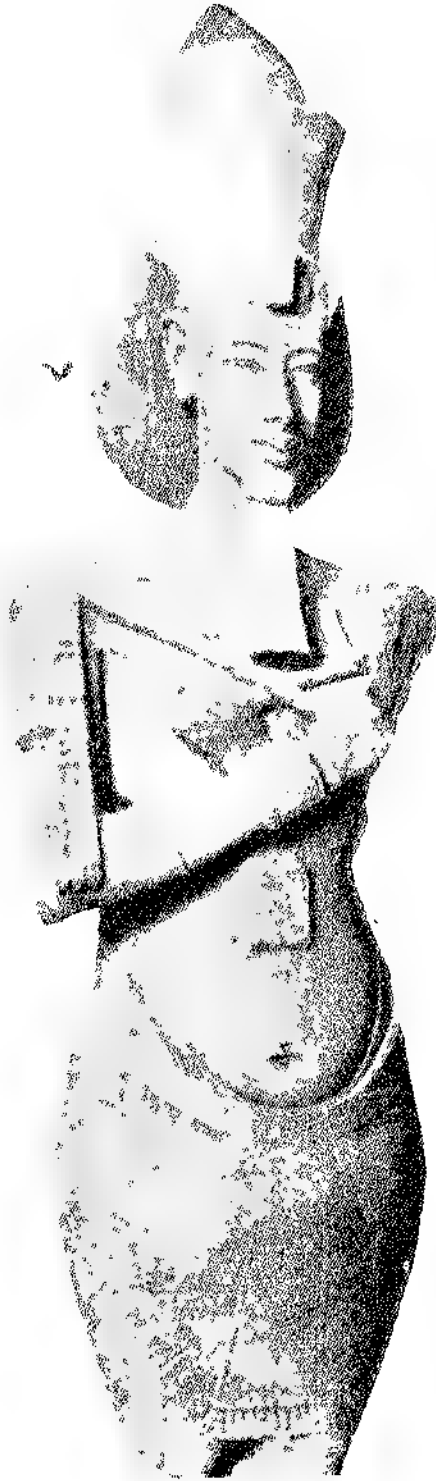
مقبرة نخت من الداخل
تصوير على الحائط ، من طب الأسرة ١٨



تمثال امنوفس الثالث المملوك
طيبة الغربية : اكل البهين ، محزون ذو السموت ، وتري من بعد الكابر السردابية في الشيخ عبد القدوة .

الوزير ركنودہ معلم وھورا اکی آمون رع (عهد امنموتیس الرابع جبل الھرطہ)





تمثال من الحجر الرملي لـ إخناتن
من معبدته في الكرنك ، ارتفاعه حوالي ١٣ قدما



أ - المختار سعيد أمام التوت



ب - اختانق كوكب أسرة
نوحه من الحجر الجبرى من الصارئة



مدينة توت صنع آمون

العبقرية الجانسية كما ساعدت للفره الاولى ، تصالان للملك بحرمشان مدخل غرفة الملكين التي كانت مقامه بجوار من
 البعض عليه الاضام - وروى الى الإلهام مستوحى فاجر عليه رسوم للامير العرب والعبيد ، والى المسار صناديق اخرى
 ومقاعد وسكة خاص بالاحتفالات .



تحتال لرئيس الثاني من الجرافيت الاسود
وبما كان في الكرنك ، متحف لودين

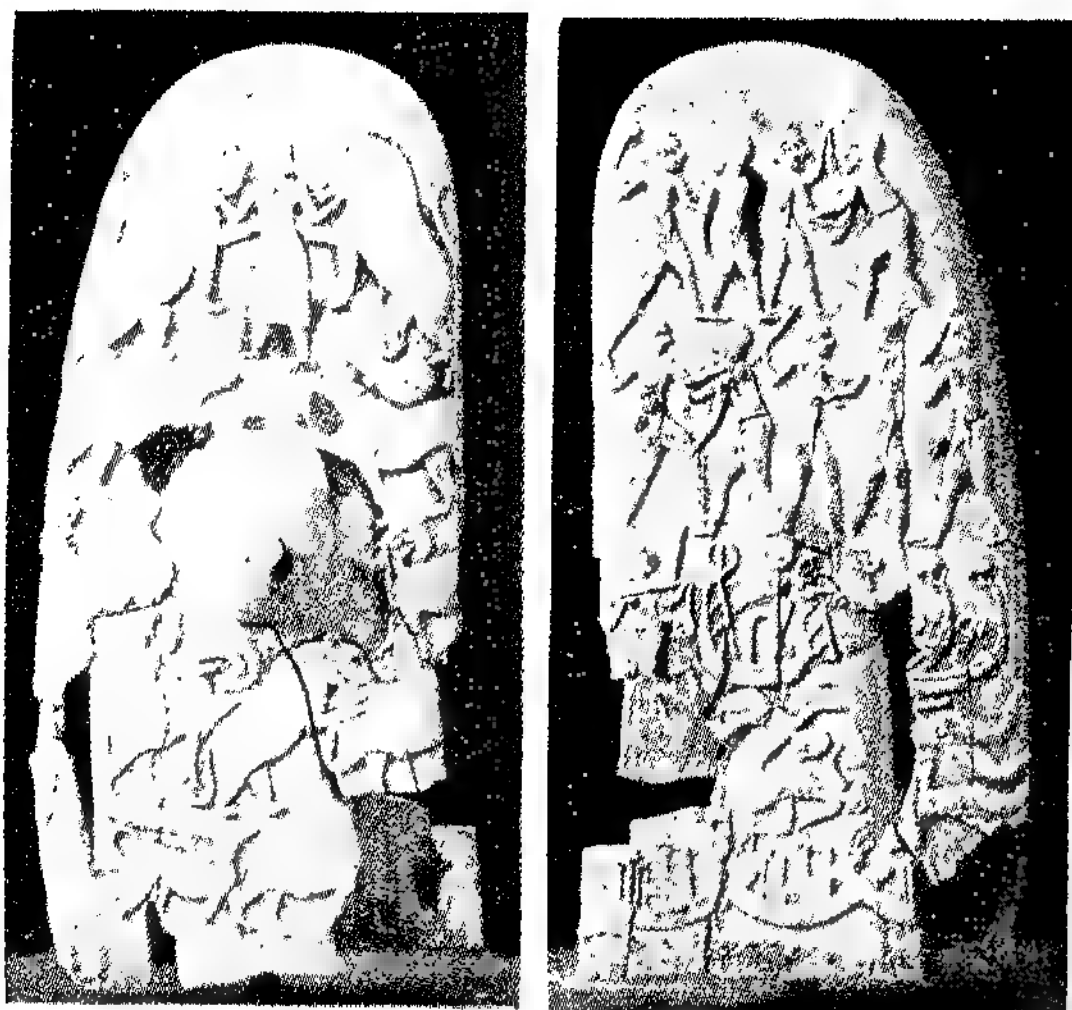


بوم الأعمش في القزند



لوحة تينو

من الارشوازي ، داخل الاسرات ، متحف القاهرة



مقبض سكين جبل العرق
من العاج ، ماقبل الاسرات ، بمتحف اللوفر حاليا



لوحة لغزمر (الصدر)
من الاردولز ، من هيراقونبولس من عهد الاسرة الاول
(متحف القاهرة)



لوحة لفرمر (خلفية)
٢١ لوحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٦٠٠٩



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

التهن ١٥٠ قرشا